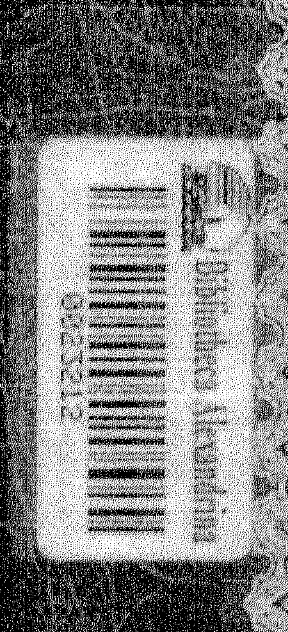
Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاريخ الطبري

تاريخ الرسل والملوك

الجزء الخامس



دار المعارف





تاريخ الطبري



ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطّبرى

تاريخ الرّسل والملوك

لأبى جعفر محمد بن جرير الطّبرى

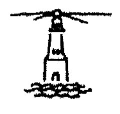
٢٢٤ — ٣١٠ هـ

الجزء الخامس

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الرابعة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين

١/٣٢٧٤

ذكر ما كان فيها من الأحداث وموادعة الحرب بين عليّ ومعاوية

فكان فى أوّل شهر منها — وهو المحرّم — موادَعة الحرب بين عليّ ومعاوية، قد توادعا على ترْك الحرب فيه إلى انقضائه طمعًا فى الصلح ؛ فذكر هشام ابن محمد، عن أبي مِخْنَف الأزديّ، قال : حدّثني سعد أبو المجاهد الطائيّ، عن المُحِلّ بن خليفة الطائيّ، قال : لما توادَع عليّ ومعاوية يوم صِفّين، اختلف فيما بينهما الرُّسل رجاء الصُّلْح، فبعث عليّ عديَّ بنَ حاتم ويزيدَ ابنَ قيس الأرحبيّ وشَبَث بن رِبْعيّ وزياد بن خَصَفة إلى معاوية، فلمّا دخلوا حمِد اللهَ عديّ بن حاتم، ثم قال : أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عزّ وجلّ به كلمتنا وأمّتنا، ويحقن به الدماء، ويؤمّن به السُّبل، ويصلح به ذاتَ البين. إنّ ابن عمك سيّد المسلمين أفضلها سابقة، وأحسنها فى الإسلام أثراً، وقد استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عزّ وجلّ بالذى رأوْا، فلم يبق أحد غيرك وغير مَن معك، فانته يا معاوية لا يصبْك الله وأصحابك بيوم مثل يوم الجمل. فقال معاوية : كأنك إنما جئت متهدّداً، لم تأت مصلحًا ! هيهات يا عديّ، كلاّ والله إنى لابنُ حرب، ما يُقعقَع لى بالشِّنان، أما والله إنك لمن المجلِبين على ابن عفّان رضى الله عنه، وإنك لِمن قَتَلته، وإنّى لأرجو أن تكون ممن يَقتل اللهُ عزّ وجلّ به. هيهات يا عديّ ابن حاتم ! قد حلبتَ بالساعد الأشدّ. فقال له شَبَث بن رِبعيّ وزياد بن خَصَفة — وتنازَعا جوابًا واحداً : أتيناك فيما يصلحنا وإيّاك، فأقبلتَ تضرب لنا الأمثال ! دَعْ ما لا يُنتفع به من القول والفعل، وأجبنا فيما يعمُّنا وإياك نفعُه. وتكلم يزيد بن قيس، فقال : إنا لم نأتك إلاّ لنبلّغك مابُعثنا به إليك، ولنؤدّيَ عنك ما سمعنا منك، ونحن على ذلك لم ندَع أن ننصحَ لك، وأن نذكر ما ظننّا أن لنا عليك به حجّة، وأنّك راجع به إلى الألفة والجماعة.

١/٣٢٧٥

إنّ صاحبنا من قد عرفتَ وعرفَ المسلمون فضلَه ، ولا أظنّه يخفى عليك ؛ إنّ أهل الدين والفضل لن يعدلوا بعلىّ ، ولن يميّلوا بينك وبينه ، فاتّق الله يا معاوية ، ولا تخالف عليًّا ، فإنّا والله ما رأينا رجلا قطّ أعملَ بالتقوى ، ولا أزهدَ فى الدنيا ، ولا أجمعَ لخصال الخير كلّها منه .

فحمِد اللهَ معاويةُ وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة ، فأمّا الجماعة التى دعوتم إليها فمعنا هى ، وأمّا الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ؛ إنّ[1] صاحبكم قتل خليفتَنا ، وفرّق جماعتَنا ، وآوى ثأرنا وقتلتَنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتلْه ، فنحن لا نردّ ذلك عليه ، أرأيتم قتَلة صاحبنا ؟ ألستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم ؟ فليدفعْهم إلينا فلنقتلْهم[2] به ، ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

٣٢٧٦/١

فقال له شَبَث : أيسرّك يا معاوية أنك أُمْكِنْت من عمّار تقتله ! فقال معاوية : وما يمنعنى من ذلك ! والله لو أمكِنْتُ من ابن سُميّة ما قتلتُه بعثمانَ ، ولكن كنتُ قاتلَه بناتل مولى عثمان . فقال له شَبَث : وإله الأرض وإله السماء ، ما[3] عدلتَ معتدلا . لا والذى لا إله إلاّ هو لا تصل إلى عمّار حتى تندُر الهام عن كواهل الأقوام ، وتضيق الأرض الفضاء[4] عليك برُحْبها . فقال له معاوية : إنه لو قد كان ذلك كانت الأرض عليك أضيَق .

وتفرّق القوم عن معاوية . فلما انصرفوا بعث معاوية إلى زياد بن خَصَفة التيمىّ ، فخلا به ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد يا أخا ربيعة ، فإن عليًّا قطّع أرحامنا ، وآوى قتَلة صاحبنا ، وإنى أسألك النصر عليه بأسرتك وعشيرتك ، ثم لك عهدُ الله جلّ وعزّ وميثاقُه أن أولّيَك إذا ظهرتُ أىّ المِصْريْن أحببت .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سعد أبو المجاهد ، عن المحِلّ بن خليفة ، قال : سمعت زياد بن خَصَفة يحدّث بهذا الحديث ، قال : فلما قضى

(١) ابن الأثير والنويرى : « لأن » .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « ولنقتلهم » .
(٣) ط : « أما » ؛ والوجه ما أثبت .
(٤) ابن الأثير : « والفضاء » .

معاوية كلامَه حمدتُ الله عزّ وجل وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإنى على بيّنة من ربّى وبما أنعم علىّ، فلن أكون ظهيرًا للمجرمين، ثم قمت. ١ / ٣٢٧٧
فقال معاوية لعمرو بن العاص – وكان إلى جنبه جالسًا: ليس يكلّم رجل منا رجلا منهم فيُجيب إلى خير. ما لهم عضبهم[1] الله بشرّ! ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد.

قال أبو مخنف: فحدّثنى سليمان بن أبى[2] راشد الأزدىّ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبى الكنود، أنّ معاوية بعث إلى علىّ حبيبَ بن مسلمة الفهرىّ وشُرَحبيل بن السِّمْط ومعن بن يزيد بن الأخنس، فدخلوا عليه وأنا عنده؛ فحمد الله حبيب وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنّ عثمان بنَ عفّان رضى الله عنه كان خليفةً مهديًّا، يعمل بكتاب الله عزّ وجلّ، ويُنيب إلى أمر الله تعالى. فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلةَ عثمان – إن زعمت أنك لم تقتله – نقتلهم به، ثم اعتزِل أمرَ الناس فيكونَ أمرُهم شورى بينهم، يولّى الناس أمرَهم مَن أجمع عليه رأيهم. فقال له علىّ بن أبى طالب: وما أنت لا أمَّ لك والعزل وهذا الأمر! اسكُت فإنك لستَ هناك ولا بأهل له! فقام وقال له: والله لترَينّى بحيث تكره. فقال علىّ: وما أنت ولو أجلبتَ بخيلك ورَجِلك! لا أبقى الله عليك إن أبقيت علىّ؛ أحُقْرَةً وسوءًا! اذهب فصوِّب وصعِّد ما بدا لك.

وقال شُرحبيل بن السِّمط: إنى إن كلمتك فلعَمْرى ما كلامى إلا مثل كلام صاحبى قبلُ، فهل عندك جواب غير الذى أجبتَه به؟ فقال علىّ: نعم لك ولصاحبك جواب غير الذى أجبتُه به. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ١ / ٣٢٧٨
أما بعد، فإنّ الله جلّ ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق. فأنقذ به من الضلالة، وانتاش به من الهلكة[3]، وجمع به من الفُرقة، ثمّ قبَضه الله إليه وقد أدّى ما عليه صلى الله عليه وسلم. ثم استخلف الناسُ أبا بكر

(١) فى اللسان: «العضب: القطع، وتدعو العرب على الرجل فتقول: ما له عضبه الله! يدعون عليه بقطع يده ورجله».
(٢) ساقطة من ب. (٣) انتاش به من الهلكة، أى أنقذ.

رضى الله عنه ، واستخلف أبو بكر عمرَ رضى الله عنه ، فأحسَنَا السّيرة ، وعدَلا فى الأمّة ، وقد وَجَدنا عليهما أن تَوَلّيا علينا — ونحن آل رسول الله صلّى الله عليه وسلم — فغفرنا ذلك لهما ، وولى عثمان رضى الله عنه فعمل بأشياءَ عابها النّاس عليه ، فساروا إليه فقتلوه ، ثم أتانى الناس وأنا معتزل أمورَهم ، فقالوا لى : بايع ، فأبَيتُ عليهم ، فقالوا لى : بايعْ ، فإنّ الأمة لا ترضى إلا بك! ، وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق[1] الناس ؛ فبايعتُهم ، فلم يَرعْنى إلاّ شقاق رجُلين قد بايَعانى ، وخلاف معاوية الذى لم يجعل الله عزّ وجلّ له سابقةً فى الدين ، ولا سلفَ صدْق فى الإسلام ، طليق ابن طَليق ، حِزْب من هذه الأحزاب ، لم يزل لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين عدوًّا . هو وأبوه حتى دخلا فى الإسلام كارهين ، فلا غَرْوَ[2] إلاّ خلافكم معه ، وانقيادُكم له ، وتدَعون آلَ نبيكم صلى الله عليه وسلم الذين لا ينبغى لكم شقاقُهم ولا خلافُهم ، ولا أن تَعدِلوا بهم من الناس أحداً . ألا إنى أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم وإماتة الباطل ، وإحياء معالم الدين[3] ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ، ولكلّ مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة .

١/٣٢٧٩

فقالا : اِشهَدْ أنّ عثمانَ رضى الله عنه قُتل مظلومًا ، فقال لهما : لا أقول إنه قُتل مظلومًا ، ولا إنه قتل ظالمًا ، قالا : فمَنْ لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلومًا فنحن منه برآء ، ثم قاما فانصرفا . فقال علىّ : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ۝ وَمَا أَنْتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[4] ثم أقبل علىٌّ على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء أوْلى بالجِدّ فى ضلالهم منكم بالجِدّ فى حقّكم وطاعة ربّكم .

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى جعفر بن حُذَيفة ، من آل عامر بن جُوَين ،

(١) ابن الأثير والنويرى : « يتفرق » . (٢) لا غرو : لا عجب .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « وإحياء الحق ومعالم الدين » .

(٤) سورة النمل : ٨٠ ، ٨١ .

أنّ عائذ بن قيس الحزمرىّ[1] واثبَ عدىّ بن حاتم فى الرّاية بصفّين — وكانت حزْمر أكثر من بنى عدىّ رهط حاتم — فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائىّ البَوْلانىّ عند علىّ، فقال : يا بنى حزْمر، على[2] عدىّ تتوثّبون ! وهل فيكم مثل عَدِىّ أو فى آبائكم مثل أبى عَدِىّ ! أليس بحامى القربة[3] ومانع الماء يوم رَوِيّة ؟ أليس بابن ذى المِرباع[4] وابن جواد العرب؟! أليس بابن المُنْهِب ماله ، ومانع جاره؟! أليس مَن لم يغدر ولم يفجُر ، ولم يجهل ولم يبخَل ، ولم يمنُن ولم يجبن؟! هاتوا فى آبائكم مثلَ أبيه ، أو هاتوا فيكم مثلَه . أوَليس أفضلكم فى الإسلام ! أوَليس وافدَكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم! أليس برأسكم يوم النُّخَيلة ويوم القادسيّة ويوم المدائن ويوم جَلُولاء الوقيعة ويوم نِهاوَند ويوم تُستَر ؟! فما لكم وله! والله ما من قومكم أحد يطلب مثلَ الذى تطلبون . فقال له علىّ بن أبى طالب : حسبُك يابن خليفة، هَلُمّ أيّها القوم إلىّ ، وعلىّ بجماعة طيِّئ ، فأتوْه جميعًا، فقال علىّ : من كان رأسكم فى هذه المواطن ؟ قالت له طيِّئ : عدىّ . فقال له ابن خليفة : فسلْهم[5] يا أمير المؤمنين ، أليسوا راضين مسلّمين لعدىّ الرياسة ؟ ففعل ، فقالوا : نعم ، فقال لهم : عدىّ أحقُّكم بالراية . فسلّموها له ، فقال علىّ — وضجّت بنو الحزْمر —: إنّى أراه رأسَكم قبل اليوم ، ولا أرى قومه كلهم إلا مسلّمين له غيرَكم ؛ فأتّبع فى ذلك الكثرة. فأخذها عدىّ . فلما كان أزمان حُجْر بن عدىّ طُلِب عبدُ الله بن خليفة ليُبْعَثَ به مع حُجر[6] — وكان من أصحابه — فسيِّر إلى الجبلين ؛ وكان عدىّ قد منّاه أن يردّه ، وأن يطلب فيه ، فطال عليه ذلك ، فقال :

١/٣٢٨٠

وتَنْسَوْنَنى يَوْمَ الشَّرِيعَةِ والقنَا بصِفِّينَ فى أكتافِهِمْ قد تَكَسَّرَا

---

(١) ابن الأثير : « الحذمرى » .

(٢) ابن الأثير : « أعلى » .

(٣) ابن الأثير : « القرية » .

(٤) المرباع : ربع الغنيمة ، و الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

(٥) ابن الأثير : « سلهم » .

(٦) ابن الأثير : « طلب زياد عبد الله بن خليفة ليبعثه مع حجر » .

١/٣٢٨١ جَزَى ربُّهُ عَنّى عَدِىَّ بنَ حاتِمٍ ... برَفْضِى وخِذلانى جَزاءً مُوَفَّرا
أَتَنْسَى بَلائى سادرًا يابْنَ حاتِمٍ ... عَشِيَّةَ ما أغْنَتْ عَدِيُّكَ حِزْمِرا
فدافَعْتُ عنك القَوْمَ حتى تَخاذَلوا ... وكُنْتُ أنا الخَصْمَ الألَدَّ العَذَوَّرا[١]
فوَلّوا وما قاموا مقامى كأنّما ... رأوْنِىَ لَيْثًا بالأباءَةِ مُخْدِرا[٢]
نَصَرْتُكَ إذ خامَ القَريبُ وأبْعَطَ الـ ... ـبَعيدُ وقد أفْرِدْتُ نَصْرًا مُؤَزَّرا[٣]
فكان جزائى أن أُجَرَّدَ بينكُمْ[٤] ... سَجينًا ، وأنْ أُولَى الهَوانَ وأوسَرا
وكم عِدَةٍ لى منْكَ أنّكَ راجِعِى ... فَلَمْ تُغْنِ بالميعادِ عَنّىَ حَبْتَرا

* * *

تكتيب الكتائب وتعبئة الناس للقتال

قال : ومكث الناس حتى إذا دنا انسلاخ المحرَّم أمر علىّ مَرْثَد بن الحارث الجُشَمىّ فنادى أهل الشأم عند غروب الشمس : ألَا إنّ أميرالمؤمنين يقول لكم : إنّى قد استدمتكم لتراجعوا الحقّ وتُنيبوا إليه ، واحتججت عليكم بكتاب الله عزّ وجلّ ، فدعوْتكم إليه ، فلم تَناهَوْا عن طغيان[٥] ، ولم تجيبوا إلى حقّ[٦] ، وإنّى قد نبذت إليكم على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين . (١/٣٢٨٢)
ففزع أهل الشأم إلى أمرائهم ورؤسائهم ؛ وخرج معاوية وعمرو بن العاص فى الناس يكتّبان الكتائب ويعبّيان الناس ، وأوقدوا النيران ، وبات علىّ ليلته كلّها يعبّى الناس ، ويكتّب الكتائب ، ويدور فى الناس يحرّضهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدىّ ، عن أبيه ، أنّ عليًّا كان يأمرنا فى كلّ موطن لقينا فيه معه عدوًّا فيقول : لا تقاتلوا القوم

(١) العذوّر : الصعب الخلق الشديد النفس .
(٢) الأباءة : الأجمة . والأسد المخدر والخادر أيضاً : المقيم فى الأجمة أو العرين .
(٣) خام : نكص وجبن . وأبعط ، أى أبعد .
(٤) ابن الأثير : « أجرر بينكم » .
(٥) ابن الأثير : « طغيانكم» . النويرى : « الطغيان » .
(٦) ابن الأثير والنويرى : « الحق » .

حتى يبدءوكم ، فأنتم بحمد الله عزّ وجلّ على حجّة ، وتركُكم إيّاهم حتى يبدءوكم حجّة أخرى لكم ، فإذا قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبِرًا ، ولا تُجهِزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورةً ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتِكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ، ولا تأخذوا شيئًا من أموالهم إلا ما وجدتم فى عسكرهم ، ولا تُهيِّجوا امرأةً بأذًى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسبَبْن أمراءكم وصلحاءكم ، فإنهنّ ضعاف القُوَى والأنفس .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى إسماعيل بن يزيد ، عن أبى صادق ، عن الحضرمىّ ، قال : سمعت عليًّا يحرّض الناس فى ثلاثة مواطن : يحرّض الناس يومَ صِفّين ، ويومَ الجمل ، ويوم النَّهر ، يقول : عباد الله ، اتقوا الله ، وغُضّوا الأبصار ، واخفضوا الأصوات ، وأقلّوا الكلام ، ووطِّنوا أنفسكم على المنازلة والمجاولة والمبارَزة[1] والمناضَلة والمُجالَدة[2] والمعانَقة والمكادَمة والملازمة ، فاثبُتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إنّ الله مع الصابرين . اللهم ألهمهم الصبر ، وأنزل عليهم النصر ، وأعظِم لهم الأجر . ٣٢٨٣/١

فأصبح علىّ من الغد ، فبعث على الميمنة والميسرة والرجّالة والخيل . قال أبو مخنف : فحدّثنى فضيل بن خَدِيج الكِندىّ أن عليًّا بعث على خيل أهل الكوفة الأشتر ، وعلى خيل أهل البصرة سهل بن حُنَيف ، وعلى رجّالة أهل الكوفة عمّار بن ياسر ، وعلى رجّالة أهل البصرة قيس بن سعد وهاشم ابن عُتبة ومعه رايته ، ومِسعر بن فَدَكىّ التميمىّ على قرّاء أهل البصرة ، وصار أهل الكوفة إلى عبد الله بن بُدَيل وعمّار بن ياسر .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الله بن يزيد بن جابر الأزدىّ ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، أنّ معاوية بعث على ميمنته ابن ذى الكَلاع الحِمْيَرِىّ ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، وعلى مقدّمته يوم أقبل من دمشق

(١) ابن الأثير : « المزاولة » . (٢) ط : « والمبالدة » .

أبا الأعور السُّلَمىّ – وكان على خيل أهل دمشق – وعمرو بن العاص على خيول أهل الشأم كلها ، ومسلم بن عقبة المرّىّ على رجّالة أهل دمشق ، والضحّاك بن قيس على رجّالة الناس كلها . وبايع رجال من أهل الشأم على الموت ، فعقّلوا أنفسهم بالعمائم ، فكان المعقّلون خمسة صفوف ، وكانوا يخرجون ويُصفّون عشرة صفوف ، ويخرج أهل العراق أحد عشر صفًّا ، فخرجوا أوّل يوم من صِفّين فاقتتلوا . وعلى مَن خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشأم حبيبُ بن مسلمة ، وذلك يوم الأربعاء ، فاقتتلوا قتالا شديداً جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ، ثم خرج هاشم بن عُتبة فى خيل ورجال حَسَنٍ عددُها وعُدّتها ، وخرج إليه أبو الأعور ، فاقتتلوا يومَهم ذلك ، يحمل الخيل على الخيل ، والرجال على الرجال ، ثمّ انصرفوا وقد كان القوم صَبَر بعضُهم لبعض . وخرج اليومَ الثالث عمّارُ بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ، فاقتتل الناس كأشدّ القتال ، وأخذ عمّار يقول : يا أهلَ العراق ، أتريدون أن تنظروا إلى من عادَى الله ورسوله وجاهدَهما ، وبغى على المسلمين ، وظاهَرَ المشركين ، فلما رأى الله عزّ وجلّ يعزّ دينَه ويُظهر رسوله أتى النبىّ صلى الله عليه وسلّم فأسلم ، وهو فيما نرَى راهب غير راغب ؛ ثم قبض الله عزّ وجلّ رسوله صلى الله عليه وسلم ! فوالله إنْ زال بعدَه معروفًا بعداوة المسلم ، وهَوادة المجرم . فاثبُتوا له وقاتِلوه فإنه يطفِئ نورَ الله ، ويظاهر أعداءَ الله عزّ وجلّ .

١/٣٢٨٤

فكان مع عمّار زياد بن النّضْر على الخيل ، فأمره أن يحمل فى الخيل ، فحمل ، وقاتله الناس وصبروا له ، وشدّ عمّار فى الرجال ، فأزال عمرو بن العاص عن موقفه . وبارز يومئذ زياد بن النّضر أخًا له لأمّه يقال له عمرو بن معاوية بن المنتفِق بن عامر بن عُقَيل – وكانت أمّهما امرأة من بنى يزيد[1] – فلما التقيا تعارَفا فتواقفا ، ثم انصرف كلّ واحد منهما عن صاحبه ، وتراجع الناس .

١/٣٢٨٥

فلمّا كان من الغد خرج محمد بن علىّ وعبيد الله بن عمر فى جمعيْن عظيمين ، فاقتتلوا كأشدّ القتال . ثم إن عبيد الله بن عمرَ أرسل إلى ابن الحنفيّة :

---

(١) هى أمامة – أو أميمة – بنت يزيد بن عبد المدان – (الإصابة رقم ٦٥١٤) .

أن اخرج إلىّ ؛ فقال : نعم، ثم خرج يمشى ؛ فبصُر به أمير المؤمنين فقال : مَنْ هذان المتبارزان ؟ فقيل : ابن الحنفيّة وعُبيد الله بن عمر ؛ فحرّك دابّته ثم نادى محمّداً ، فوقف له ، فقال : أمسِكْ دابّتى ، فأمسكَها ، ثم مشى إليه علىّ فقال : أبرز لك ، هلمّ إلىّ ؛ فقال : ليست لى فى مبارزتك حاجة ، فقال : بلى ، فقال : لا ، فرجع ابن عمر . فأخذ ابن الحنفيّة يقول لأبيه : يا أبتِ ، لِمَ منعتَنى من مبارزته ؟ فوالله لو تركتَنى لرجوتُ أن أقتلَه ، فقال : لو بارزتَه لرجوتُ أن تقتله ، وما كنتُ آمن أن يقتلَك ، فقال : يا أبتِ أوَتبرز لهذا الفاسق ! والله لو أبوه سألك المبارزة لرغبتُ بك عنه ؛ فقال علىّ : يا بُنَىّ ، لا تَقُلْ فى أبيه إلا خيراً . ثم إنّ الناس تحاجزوا وتراجعوا .

قال : فلما كان اليوم الخامس خرج عبد الله بن عباس والوليد بن عُقْبة فاقتتلوا قتالا شديداً ، ودنا ابن عبّاس من الوليد بن عقبة ، فأخذ الوليد يسبّ بنى عبد المطّلب ، وأخذ يقول : يابن عباس ، قطّعتم أرحامكم ، وقتلتم إمامكم ، فكيف رأيتم الله صنع بكم ؟! لم تُعطَوْا ما طلبتم ، ولم تُدرِكوا ما أمّلتم ، والله إن شاء مُهلِككم وناصرٌ عليكم . فأرسل إليه ابن عباس : أن ابرز لى ؛ فأبى . وقاتل ابن عباس يومئذ قتالاً شديداً ، وغشىَ الناس بنفسه . ١/٣٢٨٦

ثم خرج قيس بن سعد الأنصارىّ وابن ذى الكَلاع الحِميَرىّ فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انصرَفا ، وذلك فى اليوم السادس .

ثمّ خرج الأشتر ، وعاد إليه حبيب بن مَسلمة اليوم السابع ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، ثم انصرفا عند الظهر ، وكلٌّ غير غالب ، وذلك يومَ الثلاثاء .

قال أبو مِخْنف : حدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ ، عن زيد بن وهب ، أن عليًّا قال : حتّى متى لا نناهض هؤلاء القوم بأجمعنا ! فقام فى النّاس عشيّة الثلاثاء ، ليلة الأربعاء بعد العصر ، فقال : الحمد لله الذى لا يُبرَم ما نَقَض ، وما أبرَم لاينقضُه الناقضون ، لو شاء ما اختلف اثنان من خَلْقه ، ولا تنازعت الأمة فى شىء من أمره ، ولا جحد المفضولُ ذا الفضل فضلَه ، وقد ساقتْنا وهؤلاء القوم الأقدار ، فلفّت بيننا فى هذا المكان ، فنحن من رَبّنا بمرأى ومسمع ، فلو شاء عجّل النِّقمة ، وكان منه التغيير ، حتّى

يكذّب الله الظالم، ويعلم الحقّ أين مصيره؛ ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال ، وجعل الآخرة عنده هى دار القرار ، ليجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزىَ الذين أحسنوا بالحسنى . ألا إنكم لاقُو القومِ غداً ، فأطيلوا الليلة القيامَ ، وأكثروا تلاوة القرآن ، وسلُوا الله عزّ وجلّ النّصر والصبر ، والقَوْهم بالجدّ والحزم ، وكونوا صادقين . ثم انصرف ، ووثب الناسُ إلى سيوفهم ورماحِهم ونبالِهم يصلحونها ، ومرّ بهم كعب بن جُعَيل التغلبىّ وهو يقول :

١/٣٢٨٧

أصْبَحَتِ الأمّةُ فى أمْرٍ عَجَبْ　　والمُلك مجْموعٌ غداً لمن غَلَبْ
فقلتُ قولا صادقاً غيرَ كَذِبْ　　إنّ غداً تَهلِكُ أعلامُ العربْ

قال : فلما كان من الليل خرج علىّ فعبّى الناس ليلته كلها ، حتى إذا أصبح زحف بالناس ، وخرج إليه معاوية فى أهل الشأم ، فأخذ علىّ يقول : مَن هذه القبيلة ؟ ومَن هذه القبيلة ؟ فنُسبت له قبائل أهل الشأم ، حتى إذا عرفهم ورأى مراكزَهم قال للأزد : اكفُونى الأزد ، وقال لخثْعم : اكفونى خثْعم . وأمر كلّ قبيلة من أهل العراق أن تكفيَه أختها من أهل الشأم إلاّ أن تكون قبيلة ليس منها بالشأم أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى تكون بالشأم ، ليس منهم بالعراق واحد ، مثل بَجيلة لم يكن منهم بالشأم إلا عدد قليل، فصرفهم إلى لخْم . ثم تناهض الناس يومَ الأربعاء فاقتتلوا قتالاً شديداً نهارهم كلّه ، ثم انصرفوا عند المساء وكلّ غير غالب ، حتى إذا كان غداة الخميس صلى علىّ بغَلَس .

٣٢٨٨/

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب الأزدىّ ، عن أبيه ، قال : ما رأيت عليًّا غلّس بالصلاة أشدّ من تَغْليسه يومئذ ، ثم خرج بالناس إلى أهل الشأم فزحف إليهم ، فكان يبدؤهم فيسير إليهم ، فإذا رأوه قد زحف إليهم استقبلوه بوجوههم .

قال أبو مخنف : حدّثنى مالك بن أعيَن ، عن زيد بن وهب الجُهَنىّ ، أنّ عليًّا خرج إليهم غَداة الأربعاء فاستقبلهم فقال : اللهمّ ربَّ السقف المرفوع ، المحفوظ المكفوف ، الذى جعلته مَغيضًا لليل والنهار ، وجعلتَ

فيه مجرى الشمس والقمر ومنازل النجوم ، وجعلت سكّانه سِبْطًا[1] من الملائكة ، لا يسأمون العبادة . وربّ هذه الأرض التى جعلتَها قراراً للأنام ، والهوامّ والأنعام ، وما لا يُحصى مما لا يُرَى ومما يُرَى من خَلْقك العظيم . وربّ الفلْك التى تجرى فى البحر بما يَنفع الناس ، وربّ السحاب المسخَّر بين السماء والأرض ، وربّ البحر المسجور المحيط بالعالم ، وربّ الجبال الرّواسى التى جعلتَها للأرض أوتاداً ، وللخلق متاعًا ؛ إن أظهرتَنا على عدوّنا فجنِّبنا البغىَ ، وسدِّدنا للحقّ ، وإن أظهرتَهم علينا فارزقنى الشهادة : واعصم بقيّة أصحابى من الفتنة .

قال : وازدلف الناس يومَ الأربعاء فاقتتلوا كأشدّ القتال يومَهم حتى الليل ، لا ينصرف بعضهم عن بعض إلا للصّلاة ، وكثرت القتلَى بينهم ، وتحاجزوا عند الليل وكلٌّ غيرُ غالب ، فأصبحوا من الغد ، فصلَّى بهم علىٌّ غداة الخميس ، فغلّس بالصّلاة أشدّ التّغليس ، ثم بدأ أهل الشأم بالخروج ، فلما رأوه قد أقبل إليهم خرجوا إليه بوجوههم ، وعلى ميمنته عبد الله بن بُديل ، وعلى ميسرته عبد الله بن عبّاس ، وقرّاء أهل العراق مع ثلاثة نفر : مع عمّار ابن ياسر ، ومع قيس بن سعد ، ومع عبد الله بن بُدَيل ؛ والناس على راياتهم ومراكزهم ، وعلىٌّ فى القلْب فى أهل المدينة بين أهل الكوفة وأهل البصرة ، وعُظْم مَن معه من أهل المدينة الأنصارُ ، ومعه من خُزاعة عدد حَسَن ، ومن كنانةَ وغيرهم من أهل المدينة . ٣٢٨٩/١

ثم زحف إليهم بالناس ، ورفع معاوية قبّةً عظيمة قد ألقى عليها الكرابيس[2] وبايعه عُظْم الناس من أهل الشأم على الموت ، وبعث خيلَ أهل دمشق فاحتاطت بقبّته ، وزحف عبد الله بن بُدَيل فى الميمنة نحو حبيب بن مسلمة ، فلم يزل يحوزه[3] ، ويكشف خيلَه من الميسرة حتى اضطرهم إلى قبّة معاوية عند الظهر[4] .

---

(١) السبط هنا : الأمة .

(٢) الكرابيس : ضرب من الثياب ؛ فارسىّ معرّب .

(٣) يحوزه ، أى يبعده وينحيه .

(٤) الخبر فى كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦١ — ٢٦٣ .

قال أبو مخنف : حدّثنى مالك بن أعين ، عن زيد بن وهب الجُهَنىّ ، أنّ ابن بُديل قام فى أصحابه فقال : ألاَ إنّ معاوية ادّعى ما ليس أهلَه ، ونازع هذا الأمرَ من ليس مثلَه ، وجادل بالباطل ليُدحِض به الحقّ ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب ، قد زيّن لهم الضلالة ، وزرع فى قلوبهم حبَّ الفتنة ، ولبّس عليهم الأمر ، وزادهم رِجْساً إلى رجسهم ، وأنتم على نورٍ من ربّكم ، وبرهان مبين . فقاتلوا الطغاة الجفاة ، ولا تخشوهم ، فكيف تخشونهم وفى أيديكم كتاب الله عزّ وجلّ طاهراً مبروراً[١] ! ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾[٢] ، وقد قاتلناهم مع النبىّ صلى الله عليه وسلم[٣] مرّة ، وهذه ثانية ، والله ما هم فى هذه بأتقى ولا أزكى ولا أرشد ، قوموا إلى عدوّكم بارك الله عليكم ! فقاتل قتالاً شديداً هو وأصحابه[٤] .

١/٣٢٩٠

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن أبى عَمْرة الأنصارىّ ، عن أبيه ومولًى له ، أنّ عليًّا حرّض الناس يومَ صِفّين ، فقال :

إنّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تُنجيكم من عذاب أليم[٥] ، تُشفى[٦] بكم على الخير : الإيمان بالله عزّ وجلّ وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، والجهاد فى سبيل الله تعالى ذكره ، وجعل ثوابه مغفرة الذنب ، ومساكنَ طيّبة فى جنات عدن . ثم أخبركم أنه يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفًّا كأنهم بنيان مرصوص ؛ فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، وقدّموا الدّارع ، وأخّروا الحاسر ، وعضّوا على الأضراس ، فإنه أنبى للسيوف عن الهام[٧] ، والتووا

---

(١) صفين : « ظاهر مبرور » .
(٢) سورة التوبة : ١٣ ، ١٤ .
(٣) صفين : « وقد قاتلتهم مع النبى صلى الله عليه » .
(٤) الخبر فى صفين : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .
(٥) صفين : « من العذاب » .
(٦) تشفى ، أى تشرف .
(٧) أنبى : أبعد . والهام : الرءوس .

فى أطراف الرماح، فإنّه أصونَ[١] للأسنّة. وغُضّوا الأبصار فإنه أربَط للجأش، وأسكَنُ للقلوب ، وأميتوا الأصوات فإنه أطرَد للفشل، وأولى بالوقار . راياتِكم[٢] فلا تُميلوها ولا تزيلوها ، ولاتجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم ، فإن المانع للذّمار . والصابر عند نزول الحقائق، هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويكنفونها[٣] ؛ يضربون حِفافيها خَلفها وأمامها، ولا يضعونها. أجزأ امرؤٌ وقذ قِرنْه[٤] — رحمكم الله[٥] — وآسى أخاه بنفسه، ولم يَكِل قِرنَه إلى أخيه، فيكسب بذلك لائمةً ، ويأتِيَ به دناءة. وأنّى لا يكون هذا هكذا ! وهذا يقاتل اثنين ، وهذا ممسك بيده يُدخل قرنه على أخيه هاربًا منه ، أو قائمًا ينظر إليه ! من يفعل هذا يمقتْه الله عزّ وجلّ، فلا تعرّضوا لمقتِ الله سبحانه فإنما مردّكم إلى الله، قال الله عزّ من قائل لقوم : ﴿ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إن فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِالقَتْلِ وَإذاً لَا تُمَتَّعونَ إلَّا قَلِيلاً ﴾[٦] . وايمُ الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تَسلمون من سيف الآخرةِ . واستعينوا بالصّدق والصبر ، فإنّ بعد الصبر يُنزل الله النصر[٧] .

* * *

الجدّ فى الحرب والقتال

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو رَوْق الهمْدانىّ، أن يزيد بن قيس الأرحبىّ حرّض الناس فقال : إنّ المسلم السليم مَن سَلِم دينُه ورأيُه ، وإنّ هؤلاء القوم والله إن يقاتلوننا[٨]

---

(١) صفين : « فإنه أمور للأسنة » ، وأمور ، تفضيل من المور وهو الاضطراب والمجىء والذهاب . (٢) صفين : « وراياتكم » .

(٣) صفين : « ويكتنفونها » .

(٤) وقذ قرنه : ضربه ضرباً شديداً .

(٥) صفين : « رحمه الله » .

(٦) سورة الأحزاب: ١٦ .

(٧) الخبر فى صفين: ٢٦٤ ، ٢٦٥ بروايته عن عمر بن سعد ، عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ، عن أبيه .

(٨) إن هنا بمعنى النفى ، وفى صفين : « ما إن يقاتلونا » .

١/٣٢٩٢ على إقامة دين رأونا ضيّعناه، وإحياء حقّ رأونا أمتناه، وإن يقاتلوننا إلاّ على هذه الدنيا ليكونوا جبابرةً فيها ملوكاً، فلو ظهروا عليكم — لاأراهم الله ظهوراً ولا سروراً — لزموكم[١] بمثل سعيد والوليد[٢] وعبد الله[٣] بن عامر السفيه الضالّ، يخبر[٤] أحدهم فى مجلسه بمثل ديته ودية أبيه وجدّه[٤]، يقول: هذا لى ولا إثمَ علىّ، كأنما أعطى تراثه عن أبيه وأمه، وإنما هو مال الله عزّ وجلّ، أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا، فقاتلوا عباد الله القومَ الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله. ولا يأخذكم فى جهادهم لومُ لائم[٥]، فإنهم إن يظهروا عليكم يُفسدوا عليكم دينكم ودنياكم؛ وهم مَن قد عرفتم وخبرتم؛ وايمُ الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شرّاً.

وقاتلهم عبد الله بن بُديل فى الميمنة قتالا شديداً حتى انتهى إلى قبّة معاوية. ثم إنّ الذين تبايعوا على الموت أقبلوا إلى معاوية، فأمرهم أن يصمُدوا لابن بديل فى الميمنة، وبعث إلى حبيب بن مسلمة فى الميسرة، فحمل بهم وبمن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم، وانكشف أهلُ العراق من قِبَل الميمنة حتى لم يبقَ منهم إلاّ ابن بُديل فى مائتين أو ثلثمائة من القرّاء، قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض، وانجفل[٦] الناس، فأمر علىٌّ سهلَ بن حُنيف فاستقدم فيمن كان معه من أهل المدينة، فاستقبلتْهم جموعٌ لأهل الشأم عظيمة، فاحتملتهم حتى ألحقتْهم بالميمنة، وكان فى الميمنة إلى موقف علىٍّ

١/٣٢٩٣ فى القلب أهل اليمن، فلما كَشَفوا[٧] انتهت الهزيمة إلى علىّ، فانصرف يتمشّى نحو الميسرة، فانكشفت عنه مُضَر من الميسرة، وثبتت ربيعة[٨].

قال أبو مِخْنَف: حدّثنى مالك بن أعيَن الجُهَنىّ، عن زيد بن وهب

---

(١) صفين: « ألزموكم ». (٢) يعنى سعيد بن العاص والوليد بن عقبة.

(٣) صفين: « عبيد الله ».

(٤ — ٤) صفين: « يحدث أحدهم فى مجلسه بذيت وذيت ».

(٥) صفين: « لومة لائم ».

(٦) انجفلوا: ذهبوا مسرعين نحوهم.

(٧) يقال: كشف القوم؛ أى انهزموا. وفى صفّين: « انكشفوا ».

(٨) صفين: ٢٧٩، ٢٨٠، بروايته عن عمرو، عن أبى روق الهمدانى.

الجُهَنى ، قال : مرّ علىّ معه بنوه نحو الميسَرة ، [ومعه ربيعة وحدها] [١] ، وإنّى لأرى النَّبل يمرّ بين عاتقه ومنكبه[٢] ، وما من بنيه أحد إلاّ يقيه بنفسه ، [فيكره علىٌّ ذلك] [١] ، فيتقدّم [عليه] [١] ، فيحول بين أهل الشأم وبينه ، فيأخذه بيده إذا فعل ذلك فيلْقيه بين يديه أو من ورائه ، فبصُر به أحمر — مولى أبى سفيان ، أو عثمان ، أو بعض بنى أميّة — فقال [علىّ] [١] : وربّ الكعبة ؛ قتلنى الله إن لم أقتلك أو تقتلنى ! فأقبل نحوه ، فخرج إليه كَيْسانُ مولى علىّ ، فاختلفا ضربتين ، فقتله مولى بنى أمية ، [٣] وينتهزه علىٌّ ، فيقع بيده فى جيب درعه ، فيجبذه ، ثم حمله على عاتقه [٣] ؛ فكأنّى أنظر إلى رُجَيْلَتَيْه ، تختلفان على عنق على [٣] ، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه [٤] وعَضُديه ، وشدّ ابنا علىّ عليه : حسين ومحمد ، فضرباه بأسيافهما ، [حتى بَرَد [١]] ؛ فكأنى أنظر إلى علىّ قائمًا وإلى شِبليْه يضربان الرجلَ ، حتى إذا قتلاه وأقبلا إلى أبيهما ، والحسن قائمًا قال له : يا بنىّ ، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ قال : كَفَيانى يا أميرَ المؤمنين . ثم إن أهل الشأم دنَوا منه ووالله ما يزيده قربهم منه سرعةً فى مشيه ، فقال له الحسن : ما ضرّك لو سعيتَ حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين قد صبروا لعدّوك من أصحابك ؟ فقال : يا بنىّ ، إن لأبيك يومًا لن يَعدُوَه ولا يبطئ به عند السعى ، ولا يعجّل به إليه المشى ، إنّ أباك والله ما يبالى أوَقَع على الموت ، أو وَقَع الموتُ عليه [٥] . ٣٢٩٤/١

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خَديج الكِنْدىّ ، عن مولًى للأشتر ، قال : لما انهزمتْ ميمنة العراق وأقبل علىٌّ نحو الميسرة ، مرّ به الأشتر يركض نحو الفَزَع قبَل الميمنة ، فقال له علىّ : يا مالك ، قال : لبّيك ؛

---

(١) من صفين .

(٢) صفين : « منكبيه » .

(٣ — ٣) صفين : « وخالط عليا ليضربه بالسيف ، فانتهره علىّ ، فتقع يده فى جيب درعه ، فجذبه ثم حمله على عاتقه ، فكأنى أنظر إلى رجليه تختلفان على عنق علىّ » .

(٤) ابن الأثير والنويرى : « منكبيه » .

(٥) صفين : ٢٨٠ — ٢٨٣ .

قال : ائت هؤلاء القومَ فقل لهم : أين فراركم من الموت الذى لن تُعجزوه، إلى الحياة التى لن تبقى لكم ! فمضى فاستقبل الناسَ منهزمين ، فقال لهم هذه الكلمات التى قالها له علىّ[1] . وقال : إلىّ أيّها الناس ، أنا مالك بن الحارث ، أنا مالك بن الحارث ، ثم ظنّ أنه بالأشتر أعرف فى الناس ، فقال : أنا الأشتر ، إلىّ أيُّها الناس . فأقبلت إليه طائفة، وذهبت عنه طائفة، فنادى : أيُّها الناس، عضِضتم بهَنِ آبائكم ! ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم ! أيّها الناس، أخلِصوا إلىّ مذحِجًا ؛ فأقبلت إليه مذحِج ، فقال : عضِضتم بصمّ الجندل ! ما أرضَيتُم ربّكم ، ولانصحتُم له فى عدوّكم ، وكيف بذلك وأنتم أبناء الحروب ، وأصحاب الغارات ، وفِتيان الصباح ، وفرسان الطِّراد، وحتوف الأقران، ومذحِج الطّعان، الذين لم يكونوا يُسبَقون بثأرهم ، ولا تُطلّ دماؤهم ، ولا يُعرفون فى موطن بخسفٍ، وأنتم حَدُّ[2] أهل مصركم ، وأعدّ[3] حىٍّ فى قومكم ، وما تفعلوا فى هذا اليوم ، فإنه مأثور بعد اليوم ؛ فاتقوا مأثور الأحاديث فى غد[4] ، واصدقوا عدوّكم اللقاء فإن الله مع الصادقين . والذى نفسُ مالك بيَده ما من هؤلاء — وأشار بيَده إلى أهل الشام — رجلٌ على مثال جناح بعوضة من محمد صلى الله عليه وسلم . أنتم ما أحسنتم القِراع[5] ؛ اجلُوا سواد وجهى يرجعْ فى وجْهى دمى . عليكم بهذا السواد الأعظم ، فإنّ الله عزّ وجلّ لو قد فضّه تبعه مَن بجانبيه كما يتبع مؤخَّر السيل مقدّمه .

١/٣٢٩٥

قالوا : خذ بنا حيث أحببت . وصمد نحو عُظْمهم فيما يلى الميمنة ، فأخذ يزحف إليهم، ويردّهم ؛ ويستقبله شبابٌ من هَمْدان — وكانوا ثمانمائة مقاتل يومئذ — وقد انهزموا آخرَ الناس ، وكانوا قد صبروا فى الميمنة حتّى أصيب منهم ثمانون ومائة رجل ، وقتل منهم أحد عشر رئيسًا ، كلّما قُتل منهم رجل أخذ الراية آخرُ ، فكان الأوّل كُرَيب بن شُرَيح ، ثم شُرحبيل ابن شريح ، ثم مرثَد بن شُريح ، ثم هُبيرة بن شريح، ثم يريم بن شُرَيح ،

١/٣٢٩٦

---

(١) صفين : « التى أمره علىّ بهن » .

(٢) صفين : « أحد » . (٣) أعد ، أى أكثر عدداً .

(٤) مأثور الحديث : ما يؤثر ويروى ويخبر الناس به بعضهم بعضاً .

(٥) صفين : « ما أحسنتم اليوم » .

ثم سُمَير بن شريح[١] ، فقتل هؤلاء الإخوة الستة جميعاً . ثم أخذ الراية سُفيان ابن زيد، ثم عبد بن زيد ، ثم كُرَيب بن زيد، فقتل هؤلاء الإخوة الثلاثة جميعاً ، ثم أخذ الراية عميرة بن بشير[٢] ، ثم الحارث بن بشير[٢] ، فقتلا ، ثم أخذ الراية وهب بن كُرَيب أخو القَلوص[٣] . فأراد أن يستقبل، فقال له رجل من قومه : انصرف بهذه الراية ــ رحمك الله ــ فقد قُتل أشرافُ قومك حولَها ، فلا تقتل نفسك ولا من بقيَ من قومك ؛ فانصرفوا وهم يقولون : ليت لنا عِدّتَنا من العرب يحالفوننا على الموت ، ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتَل أو نظفر[٤] . فمرّوا بالأشتر وهم يقولون هذا القول ، فقال لهم الأشتر : إليّ أنا أحالفكم وأعاقدكم على ألا نرجع أبداً حتى نَظفَر أو نَهلِك . فأتوه فوقفوا معه ؛ ففي هذا القول قال كعب بن جُعَيل التغلبيّ :

* وهَمدانُ زُرْقٌ تبتغي مَن تُحالِفُ[٥] *

وزحف الأشتر نحو الميمنة ، وثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر والحياء والوفاء ؛ فأخذ لا يصمُد لكتيبة إلا كَشفها ، ولا لجمع إلا حازه وردّه ؛ فإنه لكذلك إذ مرّ بزياد بن النَّضْر يحمَل إلى العسكر ، فقال : مَن هذا ؟ فقيل : زياد بن النَّضر ، استُلحم[٦] عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة ، فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنة رايته ، فصبروا ، وقاتل حتى صُرِع ، ثم لم يمكثوا إلا كَلا شيء حتى مُرّ بيزيد بن قيس الأرحبيّ محمولاً نحو العسكر ، فقال الأشتر : مَن هذا ؟ فقالوا : يزيد بن قيس، لما صُرِع زياد ابن النّضر رفع لأهل الميمنة رايتَه ، فقاتل حتى صُرِع ، فقال الأشتر : هذا والله الصبرُ الجميل ، والفعل الكريم ، ألا يستحي الرّجلُ أن ينصرف لا يقتُل ٣٢٩٧/١

---

(١) صفين : « شمر بن شريح » .

(٢) صفين : « بشر » .

(٣) صفين : « أبو القلوص » .

(٤) صفين : « نظهر » ؛ من الظهور ؛ وهو الظفر .

(٥) أي زرق العيون ؛ وهو عندهم كناية عن اللؤم .

(٦) استلحم ، أي احتوشه العدو في القتال .

يضرب قُدُماً : أتَرونه كبش القوم ! فلما قُتِل أرسل إليه ، فقال : انظروا مَنْ هو ؟ فنظر إليه ناس من أهل الشأم فقالوا : لا نعرفه ، فأقبل إليه حتى وقف عليه ، فقال : بلى ، هذا عبد الله بن بُدَيل ، والله لو استطاعت نساءُ خُزاعة أن تقاتِلَنا فضلا على رجالها[1] لفعلتْ ، مُدّوه ، فمدّوه ، فقال : هذا والله كما قال الشاعر :

أخو الحرب إنْ عضّتْ به الحرب عضَّها ... وإن شمَّرتْ يوماً به الحرب شمَّرا[2]

١/٣٣٠٠ والبيت لحاتم طيّئ . وإن الأشتر زحف إليهم فاستقبله معاوية بعكٍّ والأشعريّين ، فقال الأشتر لمذحِج : اكفونا عكّا ، ووقف فى همْدان وقال لكنْدة : اكفونا الأشعريين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عكّ ، فاحملوا عليهم ، فيجثُون على الرُّكب ويرتجزون :

يا وَيْلَ أمِّ مَذْحِجٍ من عَكِّ ... هاتيكَ أمُّ مَذْحِجٍ تُبَكِّى[3]

فقاتلوهم حتى المساء . ثم إنه قاتلهم فى همْدانَ وناس من طوائف الناس ، فحمل عليهم فأزالهم عن مواقفهم حتى ألحقَهم بالصفوف الخمسة المعقَّلة بالعمائم حول معاوية ، ثم شدّ عليهم شدّة أخرى فصرع الصفوف الأربعة ، — وكانوا معقَّلين بالعمائم — حتى انتهوا إلى الخامس الذى حول معاوية ، ودعا معاوية بفرس فركب — وكان يقول : أردت أن أنهزم فذكرتُ قولَ ابن الإطنابة من الأنصار — كان جاهليّاً ، والإطنابة امرأة من بلْقَيْن :

أبتْ لى عِفّتى وحَيــاءُ نَفْسى ... وإقدامى على البَطَلِ المُشيحِ[4]

وإعطائى على المَكْروهِ مالى ... وأخذى الحَمْدَ بالثَّمَنِ الرَّبيحِ

وقَوْلى كُلَّمَا جَشَأت وجاشَتْ ... مَكانَكِ تُحْمَدى أو تَستَريحى

فمنعنى هذا القولُ من الفرار .

---

(١) ابن الأثير : « عن رجالها » . (٢) ديوانه : ١٢١ . (٣) صفين : ٢٥٦ ، وبعده :

نصُكُّهُمْ بالسَّيْفِ أىَّ صَكِّ ... فَلا رِجالَ كَرِجالِ عَكِّ

(٤) صفين ٤٤٩ والكامل ٤ : ٦٨ مع اختلاف فى الرواية . والمشيح : الجادّ .

قال أبو مخنف: حدثني مالك بن أعين الجُهَنيّ، عن زيد بن وهب، أنّ عليًّا لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقعها ومصافّها وكشفت مَن بإزائها من عدوّها حتى ضاربوهم في مواقفهم ومراكزهم؛ أقبل حتى انتهى إليهم فقال: إني قد رأيت جَولتكم وانحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم[1] الطغاة الجفاة وأعراب أهل الشأم، وأنتم لَهاميمُ العرب، والسَّنام الأعظم، وعُمّار الليل بتلاوة القرآن، وأهلُ دعوة الحق إذْ ضلّ الخاطئون؛ فلولا إقبالكم بعد إدباركم، وكرُّكم بعد انحيازكم، وجب عليكم ما وجب على المولّي يوم الزّحف دبرَه، وكنتم من الهالكين؛ ولكنْ هوّن وَجدي، وشفَى بعضَ أُحاحِ نفسي[2]، أني رأيتكم بأخَرة حُزتموهم كما حازوكم، وأزلتموهم عن مصافّهم كما أزالوكم، تحسّونهم بالسيوف، تركب أولاهم أخراهم كالإبل المطرَّدة [الهيم][3]؛ فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينة، وثبّتكم الله عزوجل باليقين، ليعلم المنهزم أنه مسخط ربّه، وموبِق نفسَه؛ إن في الفرار موجدةَ الله عزّ وجلّ عليه، والذلّ اللازم، والعارَ الباقي، واعتصار الفَيء من يده، وفساد العيش عليه. وإنّ الفارّ منه لا يزيد في عُمره، ولا يُرضِي ربّه؛ فموت المرء مُحِقًّا قبل إتيان هذه الخصال، خير من الرضا بالتأنيس لها[4]، والإقرار عليها[5].

١/٣٣٠١

قال أبو مخنف: حدّثنا عبد السلام بن عبد الله بن جابر الأحمسيّ، أن رايةَ بَجيلة بصفّين كانت في أحْمس بن الغوث بن أنْمار مع أبي شدّاد — وهو قيس بن مَكْشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن عليّ ابن أسلم بن أحْمَس بن الغوث— وقالت له بجيلة: خذ رايتَنا؛ فقال: غيري خيرٌ لكم منّي، قالوا: ما نريد غيرَك؛ قال: والله لئن أعطيتُمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب التُّرْس المُذهَب[6] قالوا: اصنَع ما شئتَ،

١/٣٣٠٢

(١) يحوزكم: ينحيكم.

(٢) الأحاح: اشتداد الحزن والغيظ.

(٣) من صفين، والهيم: العطاش.

(٤) صفين: «بالتلبس بها».

(٥) صفين: ٢٨٩، ٢٩٠.

(٦) بعدها في صفين: «وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس».

فأخذها ثم زحف ، حتى انتهى بهم إلى صاحب التُّرْس المُذهَّب — وكان فى جماعة عظيمة من أصحاب معاوية ، وذكروا أنّه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومىّ — فاقتتل الناسُ هنالك قتالا شديداً ، فشدّ بسيفه نحو صاحب التُّرس ، فتعرّض له رومىّ ، مولًى[1] لمعاوية فيضرب قَدَم أبى شدّاد فيقطعها ، ويضربه أبو شدّاد فيقتله ، وأشرِعت إليه الأسنَّة فقتِل ، وأخذ الرّاية عبد الله ابن قِلْع الأحمسىّ وهو يقول :

لا يُبْعِدِ اللهُ أبا شَدَّادِ حَيْثُ أجاب دَعْوَةَ المنادِى

وشَدَّ بالسيف على الأعادى نِعْمَ الفَتَى كان لَدَى الطِّرادِ

* وفى طِعانِ الرَّجْل والجلادِ *

فقاتل حتى قُتِل ؛ فأخذ الرّاية أخوه عبد الرحمن بن قِلْع ، فقاتل حتى قُتِل ، ثم أخذها عَفيف بن إياس ، فلم تزل فى يده حتى تحاجَزَ الناس ، وقتِل حازم بن أبى حازم الأحمسىّ — أخو قيس بن أبى حازم — يومئذ ، وقتِل نُعيم بن صُهيب بن العُلَيّة البَجَلِىّ يومئذ ، فأتى ابنُ عمّه وسميُّه نُعيم بن الحارث ابن العُلَيّة معاويةَ — وكان معه — فقال : إن هذا القتيل ابنُ عمّى ، فهبه لى أدفنه ، فقال : لا تدفنه فليس لذلك أهلا ، والله ما قدرنا على دفن ابن عفّان رضى الله عنه إلا سرًّا . قال : والله لتأذنَنّ فى دفنه أو لألحقنّ بهم ولأدَعنّك . قال معاوية : أترى أشياخ العرب [2]قد أحالتهم أمورُهم[2] ، فأنت تسألنى فى دفن ابنِ عمك ! ادفنه إن شئتَ أو دَعْ . فدفَنه[3] .

١/٣٣٠٣

قال أبو مخنف : حدثنى الحارث بن حَصيرة الأزدىّ ، عن أشياخ من النَّمِر من الأزد ، أن مِخْنَف بن سُليم لما نُدبت الأزْد للأزْد ، حمِد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ من الخطإ الجليل ، والبلاءِ العظيم ، أنّا صُرِفنا إلى قومنا وصُرِفوا إلينا ، والله ما هى إلا أيدينا نقطّعها بأيدينا ، وما هى إلا أجنحتنا نجدّها بأسيافنا ، فإن نحن لم نؤاسِ جماعتَنا ، ولم نناصحْ صاحبنا كفرْنا ، وإن

(١) صفين : « من دونه » . (٢ — ٢) صفين : « لا تواريهم » .
(٣) صفين ٢٩١ ، ٢٩٣ .

نحن فعلنا فعزّنا أبحنا ، ونارنا أخمدنا ؛ فقال له جُندَب بن زهير : والله لو كنّا آباءهم وولدناهم — أو كنّا أبناءهم وولدونا — ثم خرجوا من جماعتنا، وطعنوا على إمامنا ، وإذًا هم الحاكمون بالجوْر على آهل ملّتنا وذمّتنا ، ما افترقنا بعد أن اجتمعنا حتى يرجعوا عمّا هم عليه ، ويدخلوا فيما ندعوهم إليه ، أو تكثر القتلى بيننا وبينهم .

فقال له مخنف — وكان ابن خالته : أعزّ الله بك النيّة[1] ؛ والله ما عَلمت صغيراً وكبيراً إلاّ مشؤومًا ، والله ما ميَّلْنا[2] الرأيَ قطّ أيّهما نأتى أو أيّهما ندَع — فى الجاهلية ولا بعد أن أسلمنا — إلاّ اخترتَ أعسرهما وأنكدهما ، اللهمّ إن تُعافِيَ أحبّ إلينا من أن تَبتَليَ ، فأعطِ كلّ امرئ منّا ما يسألك . ١/٣٣٠٤

وقال أبو بُريدة بن عوف : اللهمّ احكم بيننا بما هو أرضَى لك . يا قوم إنكم تبصرون ما يصنع الناس ، وإنّ لنا الأُسوة بما عليه الجماعة إن كنا على حقّ ، وإن يكونوا صادقين فإنّ أُسْوةً فى الشرّ — والله ما علمنا — ضَرَرٌ فى المحيا والممات .

وتقدّم جندَب بن زهير ، فبارز رأسَ أزْد الشأم ، فقتله الشامىّ ، وقُتل من رهطه عِجْل وسَعْد ابنا عبد الله من بنى ثعلبة ، وقُتِل مع مِخْنف من رهطه عبد الله وخالد ابنا ناجد ، وعمرو وعامر ابنا عُوَيف ، وعبد الله بن الحجاج وجُندَب بن زهير ، وأبو زينب بن عوف بن الحارث ، وخرج عبد الله بن أبى الحصين الأزدىّ فى القرّاء الذين مع عمّار بن ياسر فأصيب معه[3] .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن حَصِيرة ، عن أشياخ النَّمِر ، أنّ عقبة بن حديد النمرىّ قال يوم صِفّين : ألا إنّ مرعَى الدنيا [قد][4] أصبح هشيماً ، وأصبح شجرُها خضيداً ، وجديدها سَمَلاً ، وحلوها مرّ المذاق . ألا وإنّى أنبئكم نبأ امرئ صادق : إنى قد سئمتُ الدنيا وعزفتْ نفسى عنها

---

(١) صفين : « أعزبك الله فى التيه » .

(٢) التمييل : الترجيح .

(٣) صفين: ٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٤) من صفين .

وقد كنت أتمنّى الشهادة ، وأتعرّض لها فى كلّ جيش[١] وغارة ؛ فأبى الله عزّ وجلّ إلا أن يبلّغنى هذا اليوم . ألا وإنى متعرّض لها من ساعتى هذه ، قد طمعت ألا أحرَمها ، فما تنتظرون عبادَ الله بجهاد مَنْ عادى الله ؟ خوفاً[٢] من الموت القادم عليكم ، الذاهب بأنفسكم لا محالة ، أو من ضربة كفٍّ بالسيف! تستبدلون الدنيا بالنظر فى وجه الله عزّ وجلّ وموافقة النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين فى دار القرار ! ما هذا بالرأى السديد . ثم مضى فقال : يا إخوتى ، قد بعتُ هذه الدار بالتى أمامها ، وهذا وجهى إليها لا يبرح وجوهكم ، ولا يقطع الله عزّ وجلّ رجاءكم . فتبعه إخوته : عبيد الله وعوف ومالك ، وقالوا : لا نطلب رزقَ الدنيا بعدك ، فقبّح الله العيشَ بعدك! اللهمّ إنا نحتسب أنفسنا عندك ! فاستقدموا فقاتلوا حتى قُتلوا[٣] .

١/٣٣٠٥

قال أبو مخنف : حدّثنى صلة[٤] بن زهير النهدىّ ، عن مسلم[٥] بن عبد الله الضّبابىّ ، قال : شهدت صفّين مع الحىّ ومعنا شمر بن ذى الجوشن الضبابىّ ، فبارزه أدهم بن محرز الباهلىّ ، فضرب أدهم وجه شمر بالسيف ، وضربه شمر ضربةً لم تضرّه ، فرجع شمر إلى رحله فشرب شربةً — وكان قد ظمئ — ثم أخذ الرمح ، فأقبل وهو يقول :

إنّى زعيمٌ لأخى باهلَهْ ... بطعنةٍ إنْ لم أصبْ عاجلهْ
أوضربةٍ تحتَ القنا والوغى[٦] ... شبيهةٍ بالقتلِ أو قاتلهْ

ثم حمل على أدهم فصرعه ، ثم قال : هذه بتلك[٧] .

قال أبو مخنف : حدّثنى عمرو بن عمرو بن عوف بن مالك الجشمىّ أن بشر بن عصمة المزنىّ كان لحق بمعاوية ، فلما اقتتل الناس بصفّين بصر

(١) صفين : « حين » . (٢) صفين : « أخوف الموت القادم عليكم ! » .
(٣) صفين: ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(٤) ط : « ملة » ، وفى صفين : « الصلت » ، وانظر الطبرى ٢ : ٦٣٥ (طبع ليدن) .
(٥) ط : « عن أبى مسلم » ، وانظر الفهرس .
(٦) صفين : « وضربة تحت الوغى فاصله » .
(٧) صفين: ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

بشر بن عصمة بمالك بن العقدية ـ وهو مالك بن الجلاح الجشمى ، ولكن العقدية غلبت عليه ـ فرآه بشر وهو يفرى فى أهل الشأم فريا عجيباً ، وكان رجلا مسلماً شجاعاً ، فغاظ بشراً ما رأى منه ، فحمل عليه فطعنه فصرعه ، ثم انصرف ، فندم لطعنته إياه جبّاراً ، فقال : ١/٣٣٠٦

وإنى لأرجو من مليكى تجاوُزًا ... ومن صاحب الموسوم فى الصدر هاجس[1]

دلفتُ له تحت الغبار بطعنة ... على ساعة فيها الطعان تخالُسُ

فبلغت مقالته ابن العقدية ، فقال :

ألا أبلغا بشر بن عصمة أننى ... شُغلتُ وألهانى الذين أمارسُ

فصادفتَ منى غِرّةً وأصبتَها ... كذلك والأبطالُ ماضٍ وخالسُ

ثم حمل عبد الله بن الطفيل البكائى على جمع لأهل الشأم ، فلما انصرف حمل عليه رجل من بنى تميم ـ يقال له قيس بن قرة ، ممن لحق بمعاوية من أهل العراق ـ فيضع الرمح بين كتفى عبد الله بن الطفيل ، ويعترضه يزيد ابن معاوية ، ابن عم عبد الله بن الطفيل ، فيضع الرمح بين كتفى التميمى ، فقال : والله لئن طعنته لأطعننك ، فقال : عليك عهد الله وميثاقه لئن رفعت السنان على ظهر صاحبك لترفعن سنانك عنى ! فقال له : نعم ، لك بذلك عهد الله ؛ فرفع السنان عن ابن الطفيل ، ورفع يزيد السنان عن التميمى ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بنى عامر ؛ فقال له : جعلنى الله فداكم ! أينما[2] ألفكم ألفكم كراماً ، وإنى لحادى عشر رجلاً من أهل بيتى ورهطى قتلتموهم اليوم ، وأنا كنت آخرهم . فلما رجع الناس إلى الكوفة عتب على يزيد بن الطفيل فى بعض مايعتب فيه الرجل على ابن عمه ، فقال له : ١/٣٣٠٧

ألم ترنى حاميتُ عنك مناصحاً ... بصفين إذ خلاك كلُّ حميمِ

ونهنهتُ عنك الحنظلىَّ وقد أتى ... على سابحٍ ذى ميعةٍ وهزيمِ[3]

---

(١) الموسوم : اسم فرس . (٢) ط : « أبنا » ؛ وفى الأصول : « أنتا » ، وكلاهما تصحيف .

(٣) صفين : ٣٠٥ ، ٣٠٦ مع تصرف وزيادة واختصار .

قال أبو مخنف : حدّثني فُضَيل بن خَدِيج ، قال : خرج رجل من أهل الشأم يدعو إلى المبارزة ، فخرج إليه عبد الرحمن بن محرز الكنديّ ، ثم الطمَحِيّ[١] ، فتجاولا ساعة . ثم إن عبد الرحمن حمل على الشأميّ فطعنه في ثُغرة[٢] نحره فصرعه ، ثم نزل إليه فسلبه درعه وسلاحَه ، فإذا هو حبشيّ[٣] ، فقال : إنّا لله ! لِمَنْ أخطرت نفسي ! لعبد أسود[٤] ! وخرج رجل من عكّ يسأل المبارزة ، فخرج إليه قيس بن فَهْدان الكنانيّ ، ثم البَدَنيّ ، فحمل عليه العكّيّ فضربه واحتمله أصحابُه فقال قيس بن فَهْدان :

لَقَدْ عَلِمَتْ عَكٌّ بصفّينَ أننا إذا التقَتِ الخيلان نَطْعنُها شَزْرَا
ونَحْمِلُ راياتِ الطِّعانِ بِحَقِّها فنُورِدُها بيضاً ونُصْدِرُها حُمْرا[٥]

١/٣٣٠٨ قال أبو مخنف : وحدّثني فُضَيل بن خَدِيج أن قيس بن فهدان كان يحرّض أصحابه فيقول : شدّوا إذا شددتم جميعًا ، وإذا انصرفتم فأقبلوا معًا ، وغُضّوا الأبصار ، وأقلّوا اللفظ ، واعتوروا الأقران ، ولا يؤتَيَنّ مِن قِبَلكم العرب . قال : وقتِل نُهَيك بن عُزَير — من بني الحارث بن عديّ وعمرو بن يزيد من بني ذُهل ، وسعيد بن عمرو — وخرج قيس بن يزيد وهو ممن فرّ إلى معاوية من عليّ ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه أخوه أبو العَمَرّطة بن يزيد ، فتعارفا ، فتواقفا وانصرفا إلى الناس ، فأخبر كلّ واحد منهما أنه لقي أخاه .

قال أبو مِخْنف : حدّثني جعفر بن حذيفة من آل عامر بن جوَين الطائيّ ، أن طيّئًا يوم صِفّين قاتلت قتالا شديداً ، فعبّيَت لهم جموع كثيرة ، فجاءهم حمزة بن مالك الهمْدانيّ ، فقال : ممّن أنتم ، لله أنتم ! فقال عبد الله ابن خليفة البَوْلانيّ[٦] — وكان شيعيًّا شاعراً خطيبًا : نحن طيّئ السهل ، وطيّئ

---

(١) ط : « الطحمى » تحريف ، وطمح : بطن من كندة ، وانظر القاموس والاشتقاق .
(٢) ثغرة النحر : نقرته .
(٣) صفين : « أسود » .
(٤) صفين : « فقال : يالله ! لقد أخطرت نفسي لعبد أسود » .
(٥) صفين: ٣١٣ ، ٣١٤ .
(٦) صفين : « الطائي » ، وبولان : إحدى قبائل طيّئ .

الرمل ، وطيّئ الجبل ، الممنوع ذى النخل ؛ نحن حُماة الجبلين ، إلى ما بين العُذَيب والعَيْن ، نحن طيّئ الرماح ، وطيّئ النّطاح[1] ، وفُرسان الصّباح.

فقال حمزة بن مالك : بخٍ بخٍ ! إنك لحسن الثناء على قومك ؛ فقال :

إنْ كُنْتَ لم تَشْعُر بنَجدةِ مَعْشَرٍ   فأَقدِمْ عَلَيْنا وَيْبَ غَيْرِك تَشعُرِ[2]

ثم اقتتل الناس أشدّ القتال ، فأخذ يناديهم ويقول : يا معشر طيّئ ، فِدًى لكم طارِفى وتالِدى ! قاتِلوا على الأحساب ، وأخذ يقول :

٢٣٠٩/١

أنا الذى كنْت إذا الدّاعى دَعا   مُصَمِّماً بالسَّيفِ نَدْباً أَرْوَعا[3]

فأُنزِل المُسْـــتَلْئِمَ المُقَنَّعا   وأَقتلُ المُبالِطَ السَّمَيْدَعا

وقال بشر بن العَسوس الطائىّ ثم المِلْقَطىّ :

يَا طيِّئَ السُّهولِ والأَجبالِ   ألا انهَدُوا بالبيضِ والعَوالى

وبالْكُماةِ مِنْكُمُ الأبطالِ   فقارِعوا أئمَّةَ الجُهَّالِ

* السّالِكينَ سُبُلَ الضَّلال[4] *

ففُقِئَتْ يومئذ عينُ ابن العَسوس ، فقال فى ذلك :

ألا لَيْتَ عَينِى هذِهِ مِثلُ هذِهِ   فلَم أَمشِ فى الآناسِ إلاّ بقائدِ[5]

ويالَيْتَنِى لم أبْقَ بعد مُطَرِّفٍ   وسَعدٍ وبعد المُسْتَنِيرِ بنِ خالدِ

فوارِسَ لم تَغْذُ الحَواضِنُ مِثْلَهُمْ   إذا الحربُ أبدَتْ عن خِدامِ الخرائدِ[6]

---

(١) صفين وابن الأثير : « البطاح » .

(٢) صفين : « ويل غيرك » .

(٣) رواية الرجز فى صفين :

يا طيِّئ الجبـــالِ والسَّهل معا   إنا إذا داعٍ دَعا مضطجعا

ندبٌ بالسَّيفِ دبيباً أَرْوَعا   فننزِل المســـتلئمَ المقنَّعا

* ونقْتُل المُنازِلَ السَّمَيْدَعا *

(٤) صفين : « الجهال » .

(٥) صفين : « ولم أمش بين الناس » .

(٦) الحواضن : الأمهات . والخدام : السيقان ، واحدتها خدمة .

ويا ليت رجلى ثم طَنَّتْ بنصفها[١] ويا ليت كفى ثم طاحتْ بساعدى[٢]

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو الصّلت التيمىّ ، قال : حدّثنى أشياخ محارب ، أنّه كان منهم رجل يقال له خنثر بن عبيدة بن خالد[٣] ، وكان من أشجع الناس ، فلما اقتتل الناس يومَ صفّين ، جعل يرى أصحابه منهزمين ، فأخذ ينادى : يا معشر قيْس . أطاعةُ الشيطان آثرُ عندكم من طاعة الرحمن ! الفرار فيه معصية الله سبحانه وسخطُه ، والصبر فيه طاعة الله عزّ وجلّ ورضوانُه ، فتختارون سخطَ الله تعالى على رضوانه ، ومعصيتَه على طاعته ! فإنما الراحة بعد الموت لمن مات محاسباً لنفسه . وقال :

لا وألَتْ نفسُ امرئٍ ولّى الدُّبُرْ[٤] أنا الّذى لا يَنثنى ولا يَفِرّ

* ولا يُرَى مع المعازيل الغُدُرْ[٥] *

فقاتَل حتى ارتُثّ . ثم إنه خرج مع الخمسمائة الذين كانوا اعتزلوا مع فَرْوة بن نَوْفل الأشجعىّ ، فنزلوا بالدّسكرة والبَنْدنيجَيْن ، فقاتلت النَّخَع يومئذ قتالاً شديداً ، فأصيب منهم يومئذ بكْر بن هوْذة وحيّان بن هَوذة وشُعيب بن نُعيم من بنى بكْر النَّخع ، وربيعة بن مالك بن وَهْبيل ، وأبىّ بن قَيْس أخو علقمة بن قيس الفقيه ، وقُطِعت رجل علقمة يومئذ ، فكان يقول : ما أحِبّ أنّ رجلى أصحّ ما كانت ، وإنها لمما أرجو به حسنَ الثواب من ربى عزّ وجلّ . وقال : لقد كنت أحبّ أن أرى فى نومى أخى أو بعض إخوانى ، فرأيتُ أخى فى النوم فقلت : يا أخى ، ماذا قَدمتم عليه ؟ فقال لى : إنا التقينا نحن والقوم ، فاحتججْنا عند الله عزّ وجلّ ، فحججْناهم ، فما سُررت منذ عقلتُ سرورى بتلك الرؤيا[٦] .

٣٣١٠/١

---

(١) طنت : قطعت وسقطت .

(٢) صفين: ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٣) صفين : « عنتر بن عبيد بن خالد » .

(٤) وألت : نجت ، وفى صفين : « ولت دبر » .

(٥) المعازيل : جمع معزال ؛ وهو الذى لا سلاح معه .

(٦) صفين: ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

قال أبو مِخْنف : حدّثني سُوَيد بن حيّة الأسدىّ، عن الحُضَين ابن المنذر ، أنّ أناسًا كانوا أتوْا عليًّا قبل الوَقْعة فقالوا له : إنا لا نرى خالد بن المعمَّر إلاّ قد كاتب معاوية ، وقد خشينا أن يتابعه . فبعث إليه علىّ وإلى رجال من أشرافنا ، فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال : أما بعدُ يا معشر ربيعة ، فأنتم أنصارى ومجيبو دَعْوَتى ومِن أوثق حىٍّ فى العرب فى نفسى ، وقد بلَغنى أنّ معاوية قد كاتب صاحبَكم خالد بن المعمَّر ، وقد أتيتُ به ، وجمعتُكم لأشهدَكم عليه ولتسمعوا أيضاً ما أقوله . ثمّ أقبل عليه ، فقال : ياخالد بن المعمر ، إن كان ما بلغنى حقًّا فإنى أُشهِد الله ومَن حَضرنِى من المسلمين أنّك آمِنٌ حتى تلحق بأرض العراق أو الحجاز أو أرضٍ لا سلطان لمعاوية فيها ، وإن كنتَ مكذوبًا عليك ، فإنّ صدورنا تطمئنّ إليك . فحلف بالله ما فعل ، وقال رجال منّا كثير : لو كنا نعلم أنه فعل أمثلناه[1] ، فقال شقيق بن ثوْر السَّدوسىّ : ما وُفّق خالد بن المعمّر أنْ نصَر[2] معاوية وأهل الشأم على علىّ وربيعة ؛ فقال زياد بن خَصَفة التّيمىّ : يا أمير المؤمنين ، استوثِق من ابن المعمَّر بالأيمان لا يغدرنّك . فاستوثق منه ، ثم انصرفنا . فلما كان يوم الخميس انهزم الناس من قِبَل الميمنة ، فجاءنا علىّ حتى انتهى إلينا ومعه بنوه ، فنادى بصوت عالٍ جهير ، كغير المكترث لما فيه الناس : لمن هذه الرايات ؟ قلنا : رايات ربيعة ، فقال : بل هى رايات الله عزّ وجلّ ، عصم الله أهلها ، فصبّرهم ، وثبّت أقدامهم . ثم قال لى : يا فتى ، ألا تُدْنِى رايتَك هذه ذراعًا ؟ قلت : نعم والله وعشرةَ أذرُع ؛ فقمت بها فأدنيتُها ، حتى قال : إنّ حسبَك مكانك ، فثبتُّ حيث أمرنى ، واجتمع أصحابى[3] .

١/٣٣١١

١/٣٣١٢

* * *

قال أبو مخنف : حدّثنا أبو الصّلت التيمىّ ، قال : سمعتُ أشياخَ الحىّ

---

(١) صفين وابن الأثير : « لقتلناه » .

(٢) صفين : « حين نصر » .

(٣) صفين: ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

من تيم الله بن ثعلبة يقولون : (١ إنّ راية ربيعة؛ أهل كوفتها وبصرتها، كانت مع خالد بن المعمّر ١) من أهل البصرة . قال : وسمعتُهم يقولون : إنّ خالد ابن المعمّر وسُفيان بن ثور [السّدوسىّ](٢) اصطلحا على أن ولّيا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحُضَيْن بن المنذر الذّهلىّ، وتنافسا فى الرّاية، وقالا : هذا فتًى منّا له حَسَب، نجعلها له حتى نرى من رأينا .

ثم إنّ عليًّا ولّى خالد بن المعمّر بعدُ راية ربيعة كلّها . قال : وضرب معاوية لحميَر بسهمهم على ثلاث قبائل، لم تكن لأهل العراق قبائل أكثر عدداً منها يومئذ: على ربيعة وهَمْدان ومذحِج، فوقع سهم حِمْير على ربيعة، فقال ذو الكَلاع : قبّحك الله من سهم! كرهتَ الضِّراب ! فأقبل ذو الكَلاع فى حميَر ومَن تعلّقها، ومعهم عبيد الله بن عمرَ بن الخطّاب فى أربعة آلاف من قرّاء أهل الشأم، وعلى ميمنتهم ذو الكَلاع، فحملوا على ربيعة، وهم ميسرة أهل العراق، وفيهم ابنُ عبّاس، وهو على الميسرة، فحمل عليهم ذو الكَلاع وعبيد الله بن عمر حَمْلةً شديدة بخيلهم ورجلهم، فتضعضعتْ رايات ربيعة إلاّ قليلا من الأخيار والأبدال(٣) . قال : ثمّ إن أهل الشأم انصرفوا، فلم يمكثوا إلاّ قليلا حتى كرّوا، وعبيد الله بن عمر يقول : يا أهل الشأم، إنّ هذا الحىَّ من أهل العراق قتلة عثمان بن عفّان رضى الله عنه، وأنصار علىّ بن أبى طالب، وإن هزمتم هذه القبيلة أدركتم ثأركم فى عثمان وهلك علىّ بن أبى طالب وأهل العراق، فشدّوا على الناس شدّة(٤)، فثبتتْ لهم ربيعة، وصبروا صبراً حسناً إلا قليلا من الضعفاء والفَشَلة، وثبت أهل الرايات وأهلُ الصّبر منهم والحفاظ، فلم يزولوا، وقاتلوا قتالا شديداً . فلما رأى خالد بن المعمّر ناساً من قومه انصرفوا انصرف، ولمّا رأى أصحاب الرايات قد ثبتوا ورأى قومه قد صبروا رجع وصاح بمن انهزم، وأمرهم بالرّجوع،

٣٣١٣/١

(١ - ١) صفين : « كانت راية ربيعة كوفيّها وبصريّها مع خالد بن المعمر » .

(٢) من صفين .

(٣) صفين : من الأحشام والأبدال » . والأحشام : الأتباع .

(٤) بعدها فى ابن الأثير والنويرى : « عظيمة » .

فقال : مَنْ أراد من قومه أن يتّهمه ؛ أراد الانصراف . فلمّا رآنا قد ثبتنا رجع إلينا وقال هو : لما رأيت رجالاً منا انهزموا رأيتُ أن أستقبلهم وأردّهم إليكم ، وأقبلت إليكم فيمن أطاعنى منهم ، فجاء بأمر مشبّه[1] .

قال أبو مخنف : حدّثنى رجل من بكر بن وائل ، عن محرز بن عبد الرحمن العجْلىّ ، أنّ خالداً[2] قال يومئذ : يا معشرَ ربيعة ، إنّ الله عزّ وجلّ قد أتى بكلّ رجل منكم من منبِته ومسقِط رأسه ، فجمعكم فى هذا المكان جمعاً لم يجمعكم مِثله منذ نشرَكم فى الأرض ، فإنْ تمسِكوا بأيديكم[3] ، وتنكُلوا عن عدوّكم ، وتزولوا عن مصافّكم[4] (٥لا يرض الله فعلَكم ، ولا تقدَموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلاّ يقول : فضحتْ ربيعة الذِّمار ، وحاصَت عن القتال٥) ، وأتيتْ من قِبَلها العرب ، فإيّاكم أن يتشاءم بكم العرب والمسلمون اليوم . وإنكم إن تمضُوا مقبلين مقدِمين ، وتصبروا محتسبين فإنّ الإقدام لكم عادة ، والصبر منكم سجيّة ، واصبروا ونيّتكم [صادقة][6] أن تؤجَروا ، فإنّ ثواب مَن نَوَى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامةُ الآخرة ، ولن يُضيع اللهُ أجرَ من أحسن عملاً .

١/٣٣١٤

فقام رجل [من ربيعة][6] فقال : ضاع والله أمرُ ربيعةَ حين جعلتْ إليك أمورَها ! تأمرنا ألاّ نزول ولا نحوُل حتى تَقتل أنفسَنا ، وتَسفِك دماءنا ! ألا ترى الناس قد انصرف جُلّهم ! فقام إليه رجال من قومه فنهروه وتناولوه بألسنتهم[7] . فقال لهم خالد : أخرِجوا هذا من بينكم ، فإنّ هذا إن بقِىَ فيكم

(١) صفين : ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، وفيها : « فجاء بأمر مشتبه » .

(٢) صفين : « خالد بن المعمر » . (٣) صفين : « أيديكم » .

(٤) صفين : « وتحولوا عن مصافكم » .

(٥ – ٥) صفين : « لا يرض الرب فعلكم ، ولا تعدموا معيراً ، يقول : فضحت ربيعة الذمار وخامت عن القتال » .

(٦) من صفين .

(٧) صفين : « فتناولوه بقسيهم ولكزوه بأيديهم » .

ضرّكم[١] ، وإن خرج منكم لم يَنْقُصكم ، هذا الذى لاينقص العدَد ، ولا يَملأ البلد ، برّحك[٢] الله من خطيب قوم كرام ! كيف جُنّبتَ السداد ! واشتدّ قتال ربيعة وحمير وعُبيد الله بن عمر حتى كثرتْ بينهم القتلى[٣] ، فقتِل سُمَير بن الرّيان بن الحارث العجلىّ[٤] ، وكان من أشدّ الناس بأساً[٥].

قال أبو مخنف : حدّثنى جيفر بن أبى القاسم العبدىّ ، عن يزيد بن علقمة ، عن زيد بن بدر العَبْدىّ ، أن زياد بن خَصَفة أتى عبدَ القيس يومَ صِفّين وقد عُبّيتْ قبائلُ حميَر مع ذى الكَلاع — وفيهم عُبيد الله بن عمرَ بن الخطاب— لبكر بن وائل ، فقوتلوا[٦] قتالاً شديداً، خافوا فيه الهلاك . فقال زياد بن خَصَفة : يا عبدَ القيس، لا بَكْر بعد اليوم[٧] . فركبنا الخيولَ ، ثم مضينا فواقفناهم ، فما لبثْنا إلاّ قليلا حتى أصيب ذو الكَلاع ، وقُتل عبيد الله بن عمرَ رضى الله عنه ، فقالت هَمْدان : قتله هانئ بن خطّاب الأرحبىّ ؛ وقالت حَضْرَمَوْت : قتله مالك بنُ عمرو التَّنْعىّ[٨] ، وقالت بكر ابن وائل : قتله مُحرِز بن الصّحصح من بنى عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، فأخذ به معاوية بالكُوفة بكرَ بن وائل ، فقالوا : إنما قتله رجل منا من أهل البصرة ، يقال له : محرز بن الصّحْصَح ، فبعث إليه بالبصرة فأخذ منه السيف ، وكان رأسَ النَّمِر بن قاسط عبدُ الله بن عمرو من بنى تيم الله بن النّمِر[٩] .

١/٣٣١٥

---

(١) صفين : « أضرّبكم » . (٢) برحك الله ؛ أى عذبك . (٣) بعدها فى صفين: « وحمل عبيد الله بن عمر ، فقال : أنا الطيب ابن الطيب ، قالوا : أنت الخبيث ابن الخبيث » .

(٤) صفين : « شمر بن الريان بن الحارث » .

(٥) صفين: ٣٢٨ — ٣٣٠ ؛ وزاد فيه : « ثم خرج نحو من خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علىّ ، على رءوسهم البيض وهم غائصون فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، وخرج إليهم من أهل الشام نحوهم فى العدد ، فاقتتلوا بين الصفين والناس تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء وهؤلاء مخبر ، لا عراقى ولا شامى ، قتلوا جميعا بين الصفين » .

(٦) صفين : « فقاتلوا » .

(٧) بعدها فى صفين : « إن ذا الكلاع وعبيد الله أبادا ربيعة ، فانهضوا معهم وإلا هلكوا » .

(٨) صفين : « السبيعى » .

(٩) صفين: ٣٣٤ — ٣٣٦ ؛ بتفصيل أكثر .

قال هشام بن محمد : الذى قتل عُبَيد الله بن عمرَ رضى الله عنه محرزُ بن الصّحصح ، وأخذ سيفه ذا الوشاح ، سيفَ عمر ، وفى ذلك قول كعب بن جُعيل التغلبىّ :

ألا إنّما تَبـكِى العُيونُ لِفارِسٍ بصِفّينَ أجْلَتْ خَيْلُهُ وَهْوَ واقِفُ
يُبَدِّلُ مِنْ أسْماءَ أسيافَ وائِلٍ وكان فتًى لو أخْطَأتْهُ المَتالِفُ
تركْنَ عُبَيْدَ اللهِ بالقاعِ مُسْنَدًا[1] تَمُجُّ دَمَ الخِرْقِ العُرُوقُ الذَّوارِفُ

وهى أكثر من هذا[2] . وقُتل منهم يومئذ بِشر بن مرّة بن شُرَحبيل ، والحارث بن شرَحبيل ، وكانت أسماء ابنة عطارد بن حاجب التميمىّ تحت عبيد الله بن عمر ، ثمّ خلَف عليها الحسن بن علىّ .

١/٣٣١٦ قال أبو مخنف : حدّثنى ابن أخى غياث بن لَقيط البكرىّ أن عليًّا حيث انتهى إلى ربيعة ، تبارتْ ربيعة بينها ، فقالوا : إن أصيب علىّ فيكم وقد لجأ إلى رايتكم افتضحتم . وقال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ، لا عذرَ لكم فى العرب إن وُصِل إلى علىّ فيكم وفيكم رجلٌ حىّ ، وإن منعتموه فمجدُ الحياة اكتسبتموه . فقاتَلوا قتالاً شديداً حين جاءهم علىّ لم يكونوا قاتَلوا مثلَه ، ففى ذلك قال علىّ :

لِمَنْ رايَةٌ سوْداءُ يَخْفِقُ ظِلُّها إذا قيل قَدِّمها حُضَيْنُ تقدَّما[3]
يُقَدِّمُها فى المَوْتِ حتى يُزِيرها حِياضَ المَنايا تَقْطُرُ الموتَ والدَّما[4]
أذَقْنا ابنَ حَرْبٍ طَعْنَنا وضِرابَنا بأسيافنا حتى توَلَّى وأحجَما
جزَى اللهُ قَوماً صابَروا فى لقائِهمْ لدى الموتِ قوماً ما أعَفَّ وأكْرَما![5]

---

(١) صفين : « مسلماً » ، أى متروكاً .
(٢) تسعة أبيات ؛ أوردها نصر فى صفين ٣٢٦ .
(٣) الأبيات لحضين بن المنذر ؛ وفى رواية صفين : « أقبل الحضين بن المنذر – وهو يومئذ غلام – يزحف برايته ؛ وكانت حمراء ، فأعجب عليا زحفه وثباته فقال . . . » . وأورد الأبيات .
(٤) صفين : « حتى يديرها . . . حمام المنايا » .
(٥) صفين : « لدى البأس حرًّا » .

وأطيبَ أخباراً وأكرمَ شيمةً إذا كان أصواتُ الرِّجال تغمغُما[١]
رَبيعةَ أعنِى أنَّهمْ أهلُ نجْدَةٍ وَبأسٍ إذا لاقَوْا جَسيماً عَرَمرَما[٢]

* * *

مقتل عمّار بن ياسر

٣٣١٧/١ قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الملك بن أبى حرّة الحنفىّ ، أنّ عمّار بن ياسر خرج إلى الناس، فقال : اللهمّ إنك تعلم أنّى لو أعلم أنّ رضاك فى أن أقذفَ بنفسى فى هذا البحر لفعلتُه ، اللهمّ إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك فى أن أضع ظُبَةَ سيفى فى صدرى ثم أنحنى عليها حتى تخرُجَ من ظهرى لفعلتُ ، وإنّى لا أعلم اليومَ عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم أنّ عملا من الأعمال هو أرضَى لك منه لفعلته .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصّقْعب بن زُهير الأزدىّ ، قال : سمعتُ عمّاراً يقول : واللهِ إنى لأرى قوماً ليضربُنَّكم ضرباً يرتاب منه المبطِلون ، وايم الله لو ضربونا حتّى يبلغوا بنا سَعَفات[٣] هَجَر لعلمنا أنّا على الحقّ ، وأنهم على الباطل[٤] .

حدّثنا محمد بن عباد بن موسى ، قال : حدّثنا محمد بن فُضَيل ، قال : حدّثنا مسلم الأعور ، عن حبّة بن جُوَين العُرَنىّ ، قال : انطلقتُ أنا وأبو مسعود إلى حُذَيفة بالمدائن ، فدخلنا عليه ، فقال : مرحبًا بكما ، ما خلّفتما من قبائل العرب أحداً أحبَّ إلىّ منكما . فأسندته إلى أبى مسعود ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، حدّثنا فإنا نخاف الفِتَن ؛ فقال : عليكما بالفئة التى فيها

---

(١) رواية صفين :
وأحزَم صبراً حين تدعى إلى الوغَى إذا كان أصوات الكماة تَغَمْغُما

(٢) الخبر والشعر فى صفين: ٣٢٥ ، ٣٢٦ ؛ بزيادة فى رواية الأبيات .

(٣) السعف : ورق جريد النخل ؛ قال فى اللسان ١١ : ٥٢ : « وإنما خص هجر للمباعدة فى المسافة ؛ ولأنها موصوفة بكثرة النخيل » .

(٤) صفين: ٣٦٣ — ٣٦٥ .

ابن سميّة ، إنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «تقتله الفئةالباغية الناكبة عن الطريق، وإنّ آخر رزقه ضَياح[1] من لبن». قال حبّة: فشهدتُه يومَ صِفّين وهو يقول: ائتونى بآخر رزق لى من الدنيا ، فأتِى بضَياح من لبن فى قدَح أرْوح[2] له حلقة حمراء ، فما أخطأ حُذَيفة مقياسَ شعرة ، فقال: ٣٣١٨/١

اليوم ألقى الأحبَّهْ محمّداً وحزبَهْ

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سَعَفات هَجَر لعلمنا أنا على الحقّ وأنهم على الباطل ، وجعل يقول: الموت تحت الأسَل ، والجنة تحت البارقة[3].

حدّثنى محمد ، عن خلف ، قال: حدّثنا منصور بن أبى نويرة ، عن أبى مِخْنف. وحُدّثت عن هشام بن الكلبيّ، عن أبى مخنف ، قال: حدّثنى مالك بن أعينَ الجُهَنىّ ، عن زيد بن وهب الجُهَنىّ ، أنّ عمّار بن ياسر رحمه الله قال يومئذ: أين مَن يبتغى رضوانَ الله عليه ، ولا يثوب إلى مال ولا ولد! فأتتْه عصابة من الناس ، فقال: أيُّها الناس ، اقصدوا بنا نحوَ هؤلاء الذين يبغون دمَ ابن عفان، ويزعمون أنه قتِل مظلومـًا ، والله ما طلبتهُم بدمه، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبُّوها واستمرءوها وعلموا أن الحقّ إذا لزمهم حالَ بينهم وبين ما يتمرّغون فيه من دنياهم ، ولم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقّون بها طاعةَ الناس والولايةَ عليهم ، فخدعوا أتباعَهم أن قالوا: إمامُنا قتِل مظلومـًا ، ليكونوا بذلك جبابرةً ملوكـًا، وتلك مكيدة بلغوا بها ما ترَوْن، ولولا هى ما تبعهم من الناس رجلان. اللهمّ إنْ تنصرْنا فطالما نصرت ، وإن تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا فى عبادك العذابَ الأليم. ثم مضى ، ومضت تلك العصابة التى أجابته حتى دنا من عَمرو فقال: ياعَمرو ، بعتَ دينك بمصر ، تبـًّا لك تبـًّا! طالمـًا بغيت فى الإسلام عِوَجـًا. وقال لعُبيد الله ابن عمرَ بن الخطاب: صرَعك الله! بعتَ دينَك من عدوّ الإسلام وابن عدوّه، ٣٣١٩/١

(١) الضياح بالفتح: اللبن الرقيق الكثير الماء.
(٢) أروح ، أى فيه سعة.
(٣) صفين: ٣٨٦ – ٣٨٨ مع اختلاف فى الرواية.

قال : لا ، ولكن أطلب بدم عثمانَ بن عفّان رضى الله عنه ؛ قال له : أشهد على علمى فيك أنك لا تطلب بشىء من فعلك وجهَ الله عزّ وجلّ ؛ وإنّك إن لم تُقتل اليوم تمتْ غداً ، فانظر إذا أُعطِيَ الناسُ على قدر نيّاتهم ما نيّتك .

حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقىّ ، قال : أخبرنا عبيد بن الصبّاح ، عن عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، عن أبى عبد الرحمن السُّلَمىّ ، قال : سمعت عمّار بن ياسر بصِفِّين وهو يقول لعَمرو بن العاص : لقد قاتلتُ صاحبَ هذه الراية ثلاثاً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذه الرابعة ما هى بأبرّ ولا أتقى .

حدّثنا أحمد بن محمد ، قال : حدّثنا الوليد بن صالح ، قال : حدّثنا عطاء بن مسلم ، عن الأعمش ، قال : قال أبو عبد الرحمن السُّلمىّ : كنا مع علىّ بصِفِّين ، فكنا قد وكّلْنا بفرسه رجلين يحفظانه ويمنعانه من أن يحمل ، فكان إذا حانت منهما غفلةٌ يحمِل فلا يرجع حتى يخضِب سيفَه ، وإنه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفُه ، فألقاه إليهم ، وقال : لولا أنه انثنى ما رجعتُ — فقال الأعمش : هذا والله ضربُ غير مرتاب ، فقال أبو عبد الرحمن : سمع القوم شيئاً فأدّوه وما كانوا بكذّابين[1] — قال : ورأيت عماراً لا يأخذ وادياً من أودية صفّين إلا تبعه مَن كان هناك من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ورأيته جاء إلى المِرْقال هاشم بن عتبة وهو صاحب راية علىّ ، فقال : يا هاشم ، أعوَراً وجبناً ! لا خير فى أعوَر لا يغشى البأس ، فإذا رجلٌ بين الصفّين قال : هذا والله ليخلُفَنّ إمامه ، وليخذلَنّ جنده ، وليَصْبِرَنّ جهده ، اركب يا هاشم ؛ فركب ، ومضى هاشم يقول : ١/٣٣٢٠

أَعْوَرُ يَبْغِى أَهلَهُ مَحَلاَّ قد عالَجَ الحياةَ حتى مَلاَّ

* لا بدّ أن يَفُلَّ أو يُفَلاَّ * [2]

---

(١) ابن الأثير : « بكاذبين » .

(٢) يفل ، أى يغلب .

وعمّار يقول : تقدّم يا هاشم ، الجنّة تحت ظلال السيوف ، والموتُ فى أطراف الأسَل ، وقد فُتِحت أبواب السماء ، وتزينت الحور العين .

اليوم ألْقَى الأحبَّهْ محمَّداً وحزبَهْ

فلم يرجعا وقُتلا ـ قال : يفيد لك علمهما مَنْ كان هناك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنّهما كانا علَما ـ فلما كان الليل قلت : لأدخلنّ إليهم حتى أعلم : هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا ! وكنا إذا توادعنا من القتال تحدّثوا إلينا وتحدّثنا إليهم ، فركبت فرسي وقد هدأت الرِّجل ، ثم دخلت فإذا أنا بأربعة يتسايرون : معاوية ، وأبو الأعور السُّلَمىّ ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو ـ وهو خير الأربعة ـ فأدخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتنى ما يقول أحد الشِّقّيْن ، فقال عبد الله لأبيه : يا أبت ، قتلتم هذا الرجلَ فى يومكم هذا ، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ! قال : وما قال ؟ قال : ألم تكن معنا ونحن نبنى المسجد ، والناس ينقلون حجراً حجراً ولَبِنة لَبِنة ، وعمّار ينقل حجريْن حجريْن ولبنتين لبنتين ، فغُشى عليه ، فأتاه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : « ويحك يابن سُميّة ! الناس ينقلون حجراً حجراً ، ولَبِنة لبِنة ، وأنت تنقل حجرين حجرين ولِبنتين لبنتين رغبةً منك فى الأجر ! وأنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية ! » . فدفع عمرو صدرَ فرسه ، ثم جذب معاوية إليه ، فقال : يا معاوية ، أما تسمع ما يقول عبد الله ! قال : وما يقول ؟ فأخبره الخبر ، فقال معاوية : إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدّث بالحديث وأنت تدحَض فى بَوْلك(١) ! أوَ نحن قتلنا عمّاراً ! إنما قتل عمّاراً مَن جاء به . فخرج الناس من فَساطيطهم وأخبيتهم يقولون : إنما قتل عمّاراً من جاء به ، فلا أدرى مَن كان أعجب ؟ هو أو هم !

١/٣٣٢١

قال أبو جعفر : وقد ذكر أن عماراً لما قتل قال علىّ لربيعة وهمْدان : أنتم دِرعى ورُمحى ، فانتدب له نحو من اثنى عشر ألفاً ، وتقدّمهم علىٌّ على بغلته فحمل وحملوا معه حملةَ رجل واحد ، فلم يبق لأهل الشأم صفّ

---

(١) فى اللسان : « وفى حديث معاوية ، قال لابن عمرو : لا تزال تأتينا بهنة تدحض بها فى بولك ، أى تزلق » .

إلاّ انتقض ، وقتلوا كلّ من انتهوا إليه ، حتى بلغوا معاوية ، وعلىّ يقول :

أَضْرِبُهُمْ ولا أرى معاويَهْ الجاحِظَ العَيْنِ العظيمَ الحاوِيَهْ[1]

١/٣٣٢٢ ثم نادى معاوية، فقال علىّ : علامَ يُقتَل[2] الناس بيننا ! هلمّ أحاكمك إلى الله ، فأيّنا قتل صاحبَه استقامت له الأمور ، فقال له عمرو : أنصفك الرجل ، فقال معاوية : ما أنْصَفَ ، وإنك لتعلم أنه لم يبارزْه رجل قطّ إلا قتله ، قال له عمرو : وما يجمُل بك إلاّ مبارزته ، فقال معاوية : طمعت فيها بعدى .

قال هشام، عن أبي مخنف : قال : حدّثنى عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى عَمْرة ، عن سليمان الحضرمىّ ، قال : قلت لأبى عَمرة : ألا تراهم، ما أحسن هيئتَهم ! يعنى أهلَ الشأم ، ولا ترانا ما أقبح رعيّتنا ! فقال : عليك نفسَك فأصلِحها ، وَدع الناسَ فإنّ فيهم ما فيهم .

* * *

خبر هاشم بن عُتْبة المرقال وذكر ليلة الهَرير

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو سلمة ؛ أنّ هاشم بن عتبة الزُّهرىّ دعا الناسَ عند المساء : ألا مَن كان يريدُ الله والدار الآخرة فإلىّ ، فأقبل إليه ناسٌ كثير ، فشدّ فى عصابة من أصحابه على أهل الشأم مراراً ، فليس [3]من وجه يحمل عليه إلاّ صبَر له وقاتَل فيه قتالا شديداً[3] ، فقال لأصحابه :

---

(١) نسبه فى صفين: ٤٥٤ إلى الأشتر فى هذه الرواية :

أضربُهُم ولا أرَى معاويهْ الأَخْزَرَ العَيْنِ العَظيمَ الحاويهْ
هَوَتْ بهِ في النّار أمٌّ هَاوِيهْ جاوَرَه فيها كلابٌ عَاوِيَهْ
* أغْوَى طغاماً لاهدَتْهُ هادِيَهْ *

(٢) النويرى : « نقتل » .

(٣ — ٣) صفين : « فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له وقوتل فيه قتالا شديداً » .

لا يهولنّكم ما ترونَ من صبرهم، فوالله ما ترون فيهم إلا حميّة العرب وصبراً تحت راياتها ، وعند مراكزها ، وإنهم لعلى الضّلال ، وإنكم لعلى الحق . ياقوم اصبروا وصابروا واجتمعوا ، وامشوا بنا إلى عدوّنا على تؤدة رويداً ، ثم اثبتوا وتناصروا ، واذكروا الله ، ولا يسأل[1] رجلٌ أخاه ، ولا تكثروا الالتفات ، واصمدوا صمدَهم ، وجاهدوهم محتسبين ، حتى يحكمَ الله بيننا وبينهم وهو خيرُ الحاكمين . ١/٣٣٢٣

ثم إنه مضى فى عصابة معه من القرّاء، فقاتل قتالا شديداً هو وأصحابُه عند المساء حتى رأوا بعض ما يُسرّون به ، قال : فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتىً شابٌ وهو يقول :

أنا ابنُ أربابِ الملوكِ غسّانْ والدّائنُ اليومَ بدينِ عثمانْ
إنى أتانى خبرٌ فأشجانْ[2] أنّ عليًّا قتَلَ ابنَ عفّانْ

ثم يشدّ فلا ينثنى حتى يضرب بسيفه ، ثم يشتم ويلعن ويُكثر الكلام ، فقال له هاشم بن عتبة : يا عبدَ الله ، إن هذا الكلام ، بعده الخصام، وإنّ هذا القتال ، بعده الحساب ، فاتّق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردتَ به . قال : فإنى أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّى كما ذكر لى ، وأنتم لا تصلّون أيضًا ، وأقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا ، وأنتم أردتموه على قتله . فقال له هاشم : وما أنت وابن عفان ! إنما قتله أصحابُ محمد وأبناء أصحابه وقرّاء الناس ، حين أحدث الأحداث ، وخالف حكم الكتاب ؛ وهم أهل الدّين ، وأولى بالنّظر فى أمور الناس منك ومن أصحابك ، وما أظنّ أمر هذه الأمة وأمرَ هذا الدين [3]أهمِل طرفة عين[3]. فقال له : أجَل ، والله لا أكذب ، فإنّ الكذب يضرّ ولا ينفع . قال[4] : فإنّ أهل هذا الأمر أعلم به ؛ فخلّه وأهل العلم به . قال : ما أظنك والله إلاّ نصحت لى ؛ قال[5] : وأمّا

(١) صفين : « ولا يسلم رجل أخاه » .
(٢) صفين : « أنبأنا أقوامنا بما كان » .
(٣-٣) صفين : « عناك طرفة عين قط » .
(٤) صفين : « فقال له هاشم » .
(٥) صفين : « وقال له هاشم » .

١/٣٣٢٤ قولك : إنّ صاحبنا لا يصلّي ، فهو أوّل من صلّى ، [مع رسول الله][1] وأفقه خلق الله فى دين الله ، وأولى بالرسول . وأما كلّ مَن ترى معى فكلهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجُّداً ، فلا يغوينّك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون . فقال الفتى : يا عبدَ الله ، إنّى أظنك امرأً صالحًا ؛ فتخبرنى : هل تجد لى من توبة ؟ فقال : نعم يا عبد الله ؛ تُبْ إلى الله يتب عليك ، فإنه يقبل التوبةَ عن عباده ويعفو عن السيئات ويحبّ المتطهرين . قال : فجشر[2] والله الفتى الناس راجعًا ، فقال له رجل من أهل الشأم : خدعك العراقىّ ، خدعك العراقىّ ، قال : لا ، ولكن نصحَ لى . وقاتل هاشمٌ قتالا شديداً هو وأصحابه ، وكان هاشم يُدعَى المِرْقال ، لأنه كان يُرْقِل فى الحرب ، فقاتل هو وأصحابه حتى أبرّوا على من يليهم ، وحتى رأوا الظفر ، وأقبلتْ إليهم[3] عند المغرب كتيبةٌ لتَنوخ فشدّوا على الناس ، فقاتلهم وهو يقول :

أعور يبغِى أهــلَه محلاّ[4] قد عالج الحياةَ حتّى مَلاّ
* يَتُلُّهم بذى الكعوبِ تلاّ *

فزعموا أنه قتل يومئذ تسعةً أو عشرة . وحمل عليه الحارث بن المنذر التّنوخىّ فطعنه فسقط ، وأرسل إليه علىٌّ : أن قدّم لواءك ، فقال لرسوله : انظر إلى بطنى ، فإذا هو قد شُقّ ، فقال الأنصارىّ الحجّاج بن غزِيّة :

فإن تَفخروا بابن البُدَيل وهاشمٍ فنحن قتَلْنا ذا الكَلاعِ وحَوْشَبا[5]
١/٣٣٢٥ ونحن تركْنا بعدَ مُعترَكِ اللقا أخاكم عبيــد الله لَحْمًا مُلَحَّبا

---

(١) من صفين .

(٢) جشر الناس ، أى تركهم وتباعد عنهم ، وفى ابن الأثير : « فرجع الفتى » .

(٣) ابن الأثير : « عليهم » .

(٤) بعده فى ابن الأثير : « لا بد أن يفل أو يفلا » .

(٥) من قصيدة طويلة أوردها صاحب صفين مع الخبر فى ٤٠٢ – ٤٠٧ .

ونحن أحطْنا بالبعـــيرِ وأهلِه ونحن سـقيناكمْ سِماماً مُقَشَّبا

هشام، عن أبي مخنف، قال : حدّثني مالك بن أعيَن الجُهَنيّ، عن زيد ابن وهب الجهنيّ ، أنّ عليًّا مرّ على جماعة من أهل الشأم فيها الوليد بن عقبة ، وهم يشتمونه ، فخبِّر بذلك ، فوقف فيمن يليهم من أصحابه فقال : انهَدوا إليهم ، عليكم السكينة والوقار ، وقار الإسلام ، وسيما الصالحين ، فوالله لأقربُ قوم من الجهل قائدهم ومؤذِنهم[1] معاوية وابن النابغة[2] ، وأبو الأعور السلميّ وابن أبي مُعيط شارب الخمر المجلود حدًّا في الإسلام ، وهم أولى من يقومون فينقصونى ويجدبونى[3] ، وقبل اليوم ما قاتلونى ، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدْعُونى إلى عبادة الأصنام ، الحمدُ لله ، قديمًا عادانى الفاسقون فعبدهم الله ألم يُقْبَحوا[4] ! إنّ هذا لهو الخطب الجليل ؛ إن فسّاقاً كانوا غير مرضيّين ، وعلى الإسلام وأهله متخوّفين ، خدعوا شطر هذه الأمّة ، وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة ، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان ، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عزّ وجلّ ، اللهمّ فافضض خدَمتهم[5] ، وشتِّت كلمتهم ، وأبسلهم بخطاياهم[6] فإنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت[7] .

قال أبو مخنف : حدّثني نمير بن وَعْلة ، عن الشعبيّ ، أنّ عليًّا مرّ بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم ، فحرّض عليهم الناس ، وذُكر أنهم غسّان ، فقال : إنّ هؤلاء لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دَرَّاك يخرج منهم النَّسم ، وضرب يفلِق منه الهام ، ويُطيح بالعِظام ، وتسقط منه المعاصم والأكفّ ، وحتى تُصدع جباههم بعُمُد الحديد ، وتنتشر حواجبهم على الصدور والأذقان . أين أهل الصبر ، وطلاّب الأجر ! فثاب إليه عصابة من ٣٣٢٦/١

(١) صفين : « ومؤذنهم » .
(٢) ابن النابغة عمرو بن العاص ، وأمه النابغة ، امرأة من عنزة .
(٣) يجدبونى ، أى يعيبونى ، وفى ط « يجذبونى » تحريف .
(٤) ألم يقبحوا ؛ أى ألم يبعدوا ! وفى القرآن الكريم : « وكانوا من المقبوحين » .
(٥) فض الله خدمتهم ، أى فرقها بعد اجتماعها ، وأصل الخدمة سير غليظ مثل الحلقة .
(٦) أبسلهم : أهلكهم .
(٧) صفين : ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

المسلمين ، فدعا ابنه محمداً ، فقال : امش نحوَ أهل هذه الراية مشياً رُويداً على هيِنتك ، حتى إذا أشرعتْ فى صدورهم الرماح ، فأمسك حتى يأتيَك رأيى . ففعل ، وأعدّ علىٌّ مثلهم ، فلمّا دنا منهم فأشرع بالرماح فى صدورهم أمر على الذين أعدّ فشدّوا عليهم ، وأنهض محمداً بمن معه فى وجوههم ، فزالوا عن مواقفهم ، وأصابوا منهم رجالا ، ثم اقتتل الناس بعد المغرب قتالا شديداً ، فما صلّى أكثر الناس إلاّ إيماء[1] .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو بكر الكندىّ ، أن عبد الله بن كعب المرادىّ قتِل يومَ صِفّينَ ، فمرّ به الأسوَدُ بن قيس المرادىّ ، فقال : يا أسوَد ، قال : لبّيك ! وعرفه وهو بآخر رَمَق ، فقال : عزّ والله علىّ مصرَعُك[2] ، أما والله لو شهدتك لآسيتك ، ولدافعتُ عنك ، ولو عرفت الذى أشعرك[3] لأحببتُ ألاّ يتزايل[4] حتى أقتله أو ألحق بك . ثم نزل إليه فقال : أما والله إن كان جارُك ليأمن بوائقَك ، وإن كنتَ لَمِن الذاكرين اللهَ كثيراً ، أوصنى رحمك الله ! فقال : أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ ، وأن تُناصحَ أمير المؤمنين ، وتقاتل معه المحِلّين حتى يظهر أو تلحق بالله . قال : وأبلغه عنّى السلام ، وقل له : قاتِل عن المعركة حتى تجعلَها خلفَ ظهرك ، فإنه من أصبح غداً والمعركة خلف ظهره كان العالىَ ، ثم لم يلبث أن مات ، فأقبل الأسوَد إلى علىّ فأخبره ، فقال رحمه الله ! جاهد فينا عدوّنا فى الحياة ، ونصح لنا فى الوفاة[5] . ٣٣٢٧/١

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن إسحاق مولى بنى المطّلب ، أنّ عبد الرحمن ابن حنبل الجُمحىّ ، هو الذى أشار على علىّ بهذا الرأى يوم صِفّين .

* * *

قال هشام : حدّثنى عَوانة ، قال : جعل ابن حَنْبل يقول يومئذ :

إنْ تَقتلونى فأنا ابْنُ حنبَلْ   أنا الذى قدْ قلتُ فيكم نعْثَلْ

* * *

(١) صفين : ٤٤٥ ، ٤٤٦ .   (٢) كذا فى صفين ، وفى ط : « لمصرعك » .

(٣) أشعرك ؛ أى خالطك بسنانه .

(٤) صفين : « ألا يزايلنى » .   (٥) صفين : ٥٢٠ .

رجع الحديث إلى حديث أبي مِخْنف : قال أبو مخنف. فاقتتل الناس تلك الليلة كلّها حتى الصباح ؛ وهي ليلة الهَرير ، حتى تقصّفت الرّماح ونفد النَّبْل ، وصار الناس إلى السيوف ، وأخذ عليّ يسير فيما بين الميمنة والميسرة ، ويأمر كلّ كتيبة من القرّاء أن تقدم على التي تليها ، فلم يزل يفعل ذلك بالناس ويقوم بهم حتى أصبح والمعركة كلّها خَلْف ظهره ، والأشتر في ميمنة الناس ، وابن عبّاس في الميسرة ، وعليّ في القلْب ، والناس يقتتلون من كلّ جانب ، وذلك يومَ الجمعة ، وأخذ الأشتر يزحف بالميمنة ويقاتل فيها ، وكان قد تولّاها عشيّة الخميس وليلة الجمعة إلى ارتفاع الضحى ، وأخذ يقول لأصحابه : ازحفوا قِيد هذا الرّمح ، وهو يزحف بهم نحو أهل الشام ، فإذا فعلوا قال : ازحفوا قادَ[1] هذا القوس ، فإذا فعلوا سألهم مثل ذلك ، حتى ملّ أكثر الناس الإقدام ، فلمّا رأى ذلك الأشتر قال : أعيذكم بالله أن ترضعوا الغنم سائرَ اليوم ، ثم دعا بفرسه ، وترك رايتَه مع حيّان بن هوذة النخعيّ ، وخرج يسير في الكتائب ويقول : من يشتري نفسَه من الله عزّ وجلّ ، ويقاتل مع الأشتر ، حتى يظهر أو يلحق بالله ! فلا يزال رجل من الناس قد خرج إليه ، وحيّان بن هوذة . ١/٣٣٢٨

قال أبو مخنف : عن أبي جناب الكلبيّ ، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْميّ ، قال : مرّ بي والله الأشترُ فأقبلتُ معه ، واجتمع إليه ناسٌ كثير ، فأقبل حتى رجع إلى المكان الذي كان به الميمنة ، فقام بأصحابه ، فقال : شدّوا شَدّةً ، فِدًى لكم عمّي وخالي — تُرضُون بها الربّ ، وتُعِزّون بها الدّين ، إذا شَدَدتُ فشُدّوا ، ثم نزل فضرب وجهَ دابّته ، ثم قال لصاحب رايته : قدّم بها ، ثم شَدّ على القوم ، وشَدّ معه أصحابُه ، فضرب أهل الشأم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم ؛ ثم إنهم قاتلوه عند العسكر قتالا شديداً ، فقتل صاحب رايته ، وأخَذ عليّ — لمّا رأى من الظفر من قِبَله — يَمُدّه بالرّجال[2] .

* * *

حدّثني عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان

(١) النويري : « قيد قوس » ، وقاد وقيد ، معناهما قدر .
(٢) صفين: ٤٤٥ .

قال حدّثني عبد الله ، عن جويرية ، قال : قال عمرو بن العاص يومَ صفين لورْدان : "١ تدرى ما مَثلي ومَثلك ! مثل الأشقر١" إنْ تقدّم عُقِر ، وان تأخّر نُحِر ، لئن تأخّرتَ لأضربنّ عنقك، ائتوني بقيد ، فوضعه في رجليه فقال: أما والله يا أبا عبدِ الله لأوردَنّك حياضَ الموت ، ضع يدك على عاتقي، ثم جعل يتقدم وينظر إليه أحيانًا، ويقول : لأوردِنّك: حياضَ الموت . ١/٣٣٢٩

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . فلما رأى عمرو بن العاص أنّ أمر أهل العراق قد اشتدّ ، وخاف في ذلك الهلاك، قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعًا، ولا يزيدهم إلا فُرقة ؟قال: نعم ؛ قال: نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حَكَمٌ بيننا وبينكم، فإن أبى بعضُهم أن يقبلها وجدت فيهم مَن يقول : بلى ، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم، وإن قالوا: بلى، نقبل ما فيها ،رفعنا هذا القتال عنّا وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين . فرفعوا المصاحفَ بالرّماح وقالوا: هذا كتاب الله عزّ وجلّ بيننا وبينكم، مَن لثغور أهل الشام بعد أهل الشام! ومَن لثغور أهلِ العراق بعدَ أهل العراق! فلما رأى الناس المصاحفَ قد رفعتْ، قالوا : نجيب إلى كتاب الله عزّ وجلّ وننيب إليه .

* * *

ما روى من رفعهم المصاحف ودعائهم إلى الحكومة

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جُندَب الأزديّ ، عن أبيه أنّ عليًّا قال : عبادَ الله، امضُوا على حقكم وصِدقكم قتالَ[٢] عدوّكم، فإنّ معاوية وعمرَو بن العاص وابنَ أبي مُعيط وحبيب بن مَسلمة وابن أبي سرْح

(١ – ١) ابن الأثير والنويرى : « تدرى ما مثله ومثلك ومثل الأشتر ؟ قال : لا ، قال : كالأشقر » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « وقتال » .

والضحّاك بن قيس، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرَف بهم منكم؛ قد صحبتُهم أطفالا، وصحبتهم رجالا، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال؛ ويْحَكم! (١إنهم ما رفعوها، ثم لا يرفعونها ولا يعلمون بما فيها١)، وما رفعوها لكم إلا خديعةً ودَهْنًا(٢) ومَكيدة، فقالوا له: ما يسعنا أن نُدْعَى إلى كتاب الله عزّ وجلّ فنأبى أن نَقبله؛ فقال لهم: فإنّى إنما قاتلتُهم ليدينوا بحكم هذا الكتاب، فإنّهم قد عصَوا الله عز وجلّ فيما أمَرَهم ونسُوا عهدَه، ونبذُوا كتابه. فقال له مِسْعر بن فَدَكىّ التميمىّ وزيد بن حصين الطائىّ ثم السِّنْبِسىّ، فى عصابة معهما من القرّاء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علىّ، أجِب إلى كتاب الله عزّ وجلّ إذْ دعيتَ إليه، وإلاّ ندفعك برُمّتك إلى القوم، أو نفعل كما فعلنا بابن عفان(٣)؛ إنه علينا أن نعمل بما فى كتاب الله عزّ وجلّ فقبلناه؛ والله لتفعلنّها أو لنفعلنّها بك. قال: فاحفظوا عنّى نهيى إياكم، واحفظوا مقالتَكم لى، أمّا أنا فإن تطيعونى تقاتلوا، وإن تعصونى فاصنعوا ما بدا لكم! قالوا له: إمّا لاَ فابعث إلى الأشتر فليأتك(٤).

١/٣٣٣٠

قال أبو مخنف: حدّثنى فضَيل بن خَديج الكندىّ، عن رجل من النَّخَع، أنه رأى إبراهيم بن الأشتر دخل على مصعب بن الزبير، قال: كنت عند علىّ حين أكرَهه الناس على الحكومة، وقالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك، قال: فأرسل علىّ إلى الأشتر يزيدَ بن هانئ السَّبيعىّ: أن ائتنى؛ فأتاه فبلّغه، فقال: قل له ليس هذه الساعة التى ينبغى لك أن تُزيلنى فيها عن موقفى، إنى قد رجوت أن يُفتَح لى، فلا تعجلنى. فرجع يزيد بن هانئ إلى علىّ فأخبره، فما هو إلا أن انتهى إلينا، فارتفع الرّهَج، وعلَت الأصوات من قِبَل الأشتر، فقال له القوم: والله ما نراك إلا أمرتَه أن يقاتل؛ قال: من أين ينبغى أن ترَوا ذلك! رأيتمونى سارَرْته؟ أليس إنما كلمته على رءوسكم

١/

(١-١) كذا وردت العبارة فى ط، وفى صفين: «إنهم والله ما رفعوها. إنهم يعرفونها ويعلمون بها».
(٢) يقال: دهن الرجل؛ إذا نافق. فى ابن الأثير: «ووهنا».
(٣) صفين: «وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان».
(٤) صفين: ٥٦٠، ٥٦١ مع تصرف واختصار.

علانية ، وأنتم تسمعوننى ! قالوا : فابعث إليه فليأتك ، وإلا والله[١] اعتزلناك . قال له : ويحك يا يزيد ! قل له : أقبل إلىّ فإنّ الفتنة قد وقعتْ ، فأبلغه ذلك ، فقال له : ألِرفع المصاحف ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لقد ظننت حين رُفعتْ أنّها ستوقع اختلافًا وفُرقة ، إنها مشورة ابن العاهرة[٢] ، ألا ترى ما صنع الله لنا ! أينبغى أن أدعَ هؤلاء وأنصرفَ عنهم ! وقال يزيد بن هانئ : فقلت له : أتحب أنك ظفرتَ ها هنا ، وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يُفرج عنه أو يُسْلَم ؟ قال : لا والله ، سبحان الله ! قال : فإنهم قد قالوا : لَتُرسلنّ إلى الأشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك كما قتلْنا ابن عفّان . فأقبل حتى انتهى إليهم فقال : يا أهلَ العراق ، يا أهل الذّلّ والوَهَن ، أحين علوتم القوم ظهرًا ، وظنّوا أنكم لهم قاهرون ، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ! وقد والله تركوا ما أمر الله عزّ وجلّ به فيها ، وسنّةَ من أنزلتْ عليه صلى الله عليه وسلم ، فلا تجيبوهم ، أمهلونى[٣] عَدْوَ الفرس ، فإنى قد طمعت فى النصر[٣] ؛ قالوا : إذاً ندخل معك فى خطيئتك ؛ قال : فحدّثونى عنكم ، وقد قُتِل أماثلُكم ، وبقىَ أراذلكم ، متى كنتم محقّين ! أحين كنتم تقاتلون وخياركم يُقتلون ! فأنتم الآن إذ أمسكتم عن القتال مبطلون ، أم الآن أنتم محقّون ، فقتلاكم الذين لاتنكرون فضلَهم فكانوا خيرًا منكم فى النار إذاً ! قالوا : دعنا منك يا أشتر ، قاتلْناهم فى الله عزّ وجلّ ، ونَدَع قتالهم لله سبحانه ، إنا لسنا مُطيعيك ولا صاحبيك ، فاجتنِبْنا ، فقال : خُدِعتم والله فانخدعتم ، ودُعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم . يا أصحابَ الجباه السود ، كنا نظنّ صلواتِكم زَهادةً فى الدنيا وشوقًا إلى لقاء الله عزّ وجلّ ، فلا أرى فِراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت ، ألا قبحًا يا أشباهَ النِّيب الجَلاّلة ! وما أنتم برائين بعدَها عزًّا أبدًا ، فابعَدوا كما بَعِدَ القوم الظالمون ! فسبّوه ، فسبّهم ، فضربوا وجه دابّته بسياطهم ، وأقبل يضرب بسوطه وجوهَ دوابّهم ، وصاح بهم علىّ

١/٣٣٣٢

---

(١) صفين : « فوالله » .

(٢) صفين : « إنها من مشورة ابن النابغة — يعنى عمرو بن العاص » .

(٣—٣) صفين : « أمهلونى فواقاً فإنى قد أحسست بالفتح » . « والفواق : ما بين الحلبتين » .

فكَفّوا ؛ وقال للناس : قد قبلنا أن نجعلَ القرآن بيننا وبينهم حكَماً ، فجاء الأشعث بن قيس إلى عليّ فقال له : ما أرى الناسَ إلا قد رضُوا ، وسرّهم أن يجيبوا القومَ إلى ما دعَوْهم إليه من حكم القرآن، فإن شئتَ أتيتُ معاوية فسألتُه ما يريد، فنظرتَ ما يسأل ؛ قال : ائته إن شئتَ فسَلْه ، فأتاه ١/٣٣٣٣ فقال : يا معاوية ، لأىّ شيء رفعتم هذه المصاحف ؟ قال : لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله عزّ وجلّ به فى كتابه ، تبعثون منكم رجلا ترضَوْن به ، ونبعث منّا رجلا ، ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما فى كتاب الله لا يعدُوانه ، ثم نتبع ما اتّفقا عليه ، فقال له الأشعث بنُ قيس : هذا الحقّ ، فانصرف إلى علىّ فأخبرَه بالذى قال معاوية ؛ فقال الناس : فإنا قد رضينا وقبلنا ، فقال أهل الشأم : فإنا قد اخترنا عمرَو بن العاص ؛ فقال الأشعث وأولئك الذين صاروا خوارجَ بعد : فإنا قد رضينا بأبى موسى الأشعرىّ ، قال علىّ : فإنكم قد عصيتمونى فى أول الأمر ، فلا تعصُونى الآن، إنى لا أرى أن أولّيَ أبا موسى . فقال الأشعث وزيد بن حُصين الطائىّ ومسعر بن فدكىّ : لا نرضى إلاّ به ، فإنه ما كان يحذّرنا منه وقعنا فيه ؛ قال علىّ : فإنه ليس لى بثقة، قد فارقنى ، وخذّل الناسَ عنى ثم هرب منى حتى آمنتُه بعد أشهر ، ولكن هذا ابن عباس نولّيه ذلك، قالوا : ما نبالى أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلاّ رجلاً هو منك ومن معاوية سواء ، ليس إلى واحد منكما بأدنى منه إلى الآخر ، فقال علىّ : فإنّى أجعل الأشتر [1] .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جناب الكلبىّ ، أن الأشعث قال : وهل سعّر الأرضَ غيرُ الأشتر ؟ !

* * *

قال أبو مخنف ؛ عن عبد الرحمن بن جُندَب ، عن أبيه : إنّ الأشعث قال : وهل نحن إلا فى حكم الأشتر ! قال علىّ : وما حُكمُه ؟ قال : حكمه أن يَضرب بعضُنا بعضاً بالسيوف حتى يكون ما أردتَ وما أراد ؛ قال : فقد أبَيتم إلا أبا موسى ! قالوا : نعم ؛ قال : فاصنعوا ما أردتم ؛ فبعثوا إليه

(١) صفين: ٥٦١ – ٥٦٣ .

وقد اعتزل القتال ، وهو بعُرْض ، فأتاه مولًى له ؛ فقال : إنّ الناس قد اصطلحوا ؛ فقال : الحمد لله ربّ العالمين ! قال : قد جعلوك حَكَما ؟ قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر ، وجاء الأشتر حتى أتى عليًّا فقال : ألزّنى بعمرو بن العاص ، فوالله الذى لا إله إلا هو ، لئن ملأتُ عينى منه لأقتلنّه ؛ وجاء الأحنف فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنك قد رُميتَ بحجَر الأرض ، وبمَنْ حارب اللهَ ورسوله أنْفَ الإسلام ، وإنّى قد عجمتُ هذا الرجلَ وحلبتُ أشطُرَه فوجدتُه كَليلَ الشَّفرة ، قريبَ القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلاّ رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفّهم ، ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيتَ أن تجعلَنى حَكَماً ، فاجعلنى ثانياً أو ثالثًا ، فإنه لن يعقد عقدةً إلا حللتُها ، ولن يحلّ عقدة أعقدها إلا عقدت لك أخرى أحكَمَ منها . فأبى الناسُ إلا أبا موسى والرِّضا بالكتاب ؛ فقال الأحنف : فإنْ أبيتم إلا أبا موسى فأدفئوا ظهرَه بالرجال . فكتبوا : بسم الله الرحمن الرّحيم ؛ هذا ما تقاضَى عليه علىٌّ أميرُ المؤمنين .... فقال عمرو : اكتب اسمه واسم أبيه ، هو أميرُكم فأما أميرُنا فلا ، وقال له الأحنف : لا تمح اسم « إمارة المؤمنين » ، فإنى أتخوّف إنْ محوتَها ألاّ ترجع إليك أبداً ، لا تَمحُها وإن قتل الناسُ بعضهم بعضًا ؛ فأبى ذلك علىٌّ مليًّا من النهار ، ثم إنّ الأشعث بنَ قيس قال : امحُ هذا الاسم برّحه الله ! فمُحِيَ وقال علىّ : الله أكبر ، سنّة بسنّة ، ومثَل بمثَل ، والله إنى لكاتب بين يدىْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الحُديبية إذ قالوا : لستَ رسول الله ، ولا نشهد لك به ، ولكن اكتب اسمك واسمَ أبيك ، فكتبه ، فقال عمرو بن العاص : سبحان الله ! ومثَلُ هذا أن نشبّه بالكفّار ونحن مؤمنون ! فقال علىّ : يابن النابغة ، ومتى لم تكن للفاسقين وليًّا ، وللمسلمين عدوًّا ! وهل تشبه إلا أمك التى وضعت بك ! فقام فقال : لا يجمع بينى وبينَك مجلسٌ أبداً بعد هذا اليوم ؛ فقال له علىّ : وإنى لأرجو أن يطهّر الله عزّ وجلّ مجلسى منك ومن أشباهك . وكتب الكتاب[١] .

١/٣٣٣٥

---

(١) صفين من ٥٨١ – ٥٨٣ مع تصرف واختصار .

حدثنى علىّ بن مسلم الطوسىّ ، قال : حدّثنا حَبّان ، قال : حدّثنا مُبارك ، عن الحسن ، قال : أخبرنى الأحنف ، أنّ معاوية كتب إلى علىّ أن امحُ هذا الاسمَ إن أردتَ أن يكون صلح ؛ فاستشار — وكانت له قبّة يأذن لبنى هاشم فيها ، ويأذن لى معهم — قال : ما ترون فيما كتب به معاوية أن امح هذا الاسم ؟ — قال مبارك : يعنى أميرَ المؤمنين — قال : برّحه الله ! فإنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وادع أهل مكة كتب : «محمّد رسول الله» ، فأبوا ذلك حتى كتب : هذا ما قاضى عليه محمد بنُ عبد الله ؛ فقلت له : أيّها الرجل مالَكَ وما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ! إنا والله ما حابَيْناك ببيعتنا ، وإنا لو علمنا أحداً من الناس أحقّ بهذا الأمر منك لبايعناه ، ثم قاتلناك ، وإنى أقسم بالله لئن محوتَ هذا الاسم الذى بايعتَ عليه وقاتلتهم لا يعود إليك أبداً . ١/٣٣٣٦

قال : وكان والله كما قال . قال : قلّما وُزِن رأيه برأيِ رجل إلا رَجَح عليه .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث أبى مخنف . وكتب الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تقاضى عليه علىّ بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سُفيان ، قاضَى علىّ على أهل الكوفة[1] ومَن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضَى معاوية على أهل الشأم ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين ، إنا ننزل عند حُكم الله عزّ وجلّ وكتابه ، ولا يجمع[2] بيننا غيره ، وإن كتاب الله عزّ وجلّ بيننا من فاتحته إلى خاتمته ، نُحيي ما أحيا ، ونُميت ما أمات ، فما وجد الحكَمان فى كتاب الله عزّ وجلّ — وهما أبو موسى الأشعرىّ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص القرشى — عَمِلا به ، وما لم يجدا فى كتاب الله عزّ وجلّ فالسنة العادلة الجامعة غير المفرّقة . وأخذ الحكَمان من علىّ ومعاوية ومن الجندين من العهود والميثاق[3] والثقة من الناس ، أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما ، والأمّة لهما أنصار على الذى يتقاضيَان عليه ، وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين كلتيهما عهدُ الله وميثاقُه أنّا على

(١) صفين : « العراق » .
(٢) ابن الأثير والنويرى : « وألا يجمع » .
(٣) ابن الأثير والنويرى : « والمواثيق » .

١/٣٣٣٧ ما فى هذه الصحيفة ، وأن قدوجبتْقضيّتهما على المؤمنين ، فإنّ الأمن والاستقامة ووضع السلاح بينهم أينما ساروا على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ، وشاهدهم وغائبهم ، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يحكُما بين هذه الأمة ، ولا يَرُدّاها فى حرب ولا فُرقة حتى يُعصيا ، وأجَلُ القضاء إلى رَمضان. وإن أحبّا أن يؤخّرا ذلك أخّراه على تراضٍ منهما ، وإن تُوفّى أحد الحكَمين فإنّ أمير الشيعة يختار مكانه ، ولا يألو من أهل المَعدلة والقسط ، وإنّ مكان قضيّتهما الذى يقضيان فيه مكان عدلٌ بين أهل الكوفة وأهل الشأم ؛ وإن رضيا وأحبّا فلا يَحضرهما فيه إلا من أرادا ، ويأخذ الحكَمان من أرادا من الشهود ، ثم يكتبان شهادتهما على ما فى هذه الصحيفة ، وهم أنصارٌ على مَن ترك ما فى هذه الصحيفة ، وأراد فيه إلحاداً وظُلماً . اللهم إنا نستنصرك على من تَرَك ما فى هذه الصحيفة[١] .

شَهد من أصحاب علىّ الأشعثُ بن قُيس الكندىّ ، وعبدُ الله بن عباس ، وسعيد بن قيس الهمدانىّ ، وورقاء بن سُمَىّ البَجَلىّ ، وعبد الله بن مُحِلّ العِجلىّ ، وحُجْر بن عدىّ الكِندىّ ، وعبد الله بن الطفيل العامرىّ ، وعقبة ابن زياد الحَضْرمىّ ، ويزيد بن حجيّة التيمىّ ، ومالك بن كعب الهمدانىّ . ومن أصحاب معاوية أبو الأعور السلمىّ عمرو بن سفيان ، وحبيب مسلمة الفِهرىّ ، ١/٣٣٣٨ والمخارق بن الحارث الزُّبيدىّ ، وزِمْل بن عمرو العذرِىّ ، وحمزة بن مالك الهمْدانىّ ، وعبد الرحمن بن خالد المخزومىّ ، وسُبيع بن يزيد الأنصارىّ ، وعلقمة بن يزيد الأنصارىّ ، وعُتبة بن أبى سُفيان ، ويزيد بن الحرّ العبسىّ[٢] .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جناب الكلبىّ ، عن عُمارة بن ربيعة الجَرْمىّ ، قال : لما كُتبت الصحيفة دُعِىَ لها الأشتر فقال : لا صحِبتْنى يمينى ، ولا نفعتْنى بعدَها شمالى[٣] ، إن خُطّ لى فى هذه الصحيفة اسم على صلح

(١) بعدها فى صفين : « وأراد فيها إلحاداً وظلماً » .

(٢) صفين: ٥٨٤ — ٥٨٦ .

(٣) صفين : « الشمال » .

ولا موادَعة. أوَلستُ على بيّنة من ربّى ، ومن ضلال عدوّى[١]! أوَ لستم قد رأيتم الظَّفَر لو لم تُجمِعوا على الجَوْر[٢] ! فقال له الأشعث بن قيس : إنك والله ما رأيت ظَفَرا ولا جَوْرًا[٣] ، هلمّ إلينا فإنه لا رغبة بك عنّا ؛ فقال : بلى والله لرغبة بى عنك فى الدّنيا للدّنيا والآخرة للآخرة ، ولقد سفَكَ الله عزّ وجلّ بسيفى هذا دماءَ رجال ما أنت عندى خيرٌ منهم ، ولا أحرَم دماً ؛ قال عُمارة: فنظرتُ إلى ذلك الرجل وكأنما قُصع على أنفه الحُمم[٤] — يعنى الأشعث[٥] .

قال أبو مخنف ، عن أبى جَنَاب ، قال : خرج الأشعث بذلك الكتاب يقرؤه على الناس ، ويَعرِضه عليهم ، فيقرءونه ، حتى مرّ به على طائفة من ٣٣٣٩/١ بنى تميم فيهم عروة بن أدَيّة ، وهو أخو أبى بلال ، فقرأه عليهم ، فقال عروة ابن أدَيَّة : تحكّمون فى أمر الله عزّ وجلّ الرجال ! لا حكم إلا لله ؛ ثم شدّ بسيفه فضرب به عجُز دابته ضربةً خفيفة ، واندفعت الدّابة ، وصاح به أصحابه ، أن املك يَدك ، فرجع ، فغضب للأشعث قومُه وناس كثير من أهل اليمن ، فمشى الأحنف بنُ قيس السعدىّ ومعقِل بن قيس الرّياحىّ ، ومِسْعر بن فَدَكِى ، وناس كثيرٌ من بنى تميم ، فتنصّلوا إليه واعتذروا ؛ فقَبِل وصَفَح .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو زيد عبدالله الأودىّ ، أن رجلاً من أوْد كان يقال له عمرو بن أوس ، قاتَلَ مع علىّ يومَ صِفين ، فأسره معاوية فى أسارَى كثيرين ، فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم ، فقال له عمرو بن أوس : إنك خالى ، فلا تقتلْنى ، وقامت إليه بنو أوْد فقالوا : هب لنا أخانا ؛ فقال : دعوه ، لعمرى لئن كان صادقًا فلنستغنينّ عن شفاعتكم ، ولئن كان كاذبًا لتأتينّ

---

(١) صفين : « ويقين من ضلال عدوّى » .
(٢) صفين : « الخور » .
(٣) صفين : « خوراً » .
(٤) القصع : الضرب الدلك ، والحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق ؛ واحدته حممة .
(٥) صفين : ٥٨٧ .

شفاعتكم من ورائه ، فقال له : من أين أنا خالك ! فوالله ما كان بيننا وبين أوْد مصاهَرة ؛ قال : فإن أخبرتُك فعرفتَه فهو أمانى عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : ألستَ تعلم أن أمّ حبيبة ابنة أبى سفيان زوجُ النبىّ صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى ، قال : فإنّى ابنُها ، وأنتَ أخوها ، فأنت خالى ؛ فقال معاوية : لله أبوك ! ما كان فى هؤلاء واحد يفطُن لها غيره . ثم قال للأوْديّين : أيستغنى عن شفاعتكم ! خلُّوا سبيله[1] .

قال أبو مخنف : حدّثنى نُمَير بن وَعْلة الهمْدانىّ ، عن الشعبىّ ، أن أسارى كان أسرهم علىٌّ يومَ صِفّين كثير ، فخلّى سبيلهم ، فأتوْا معاوية ، وإنّ عمرًا ليقول — وقد أسر أيضًا أسارى كثيرة : اقتلهم ، فما شعروا إلا بأسرائهم قد خُلّىَ سبيلهم ، فقال معاوية : يا عمرو ، لو أطعناك فى هؤلاء الأسرى وقعْنا فى قبيح من الأمر ؛ ألا ترى قد خُلّىَ سبيل أسارانا ! وأمر بتخلية سبيل من فى يديه من الأسارى[2] . ١/٣٣٤٠

قال أبو مِخنف : حدّثنى إسماعيل بن يزيد ، عن حُميد بن مسلم ، عن جندب بن عبد الله ، أن عليًّا قال للناس يومَ صِفّين : لقد فعلتم فَعلةً ضَعضعتْ قوّة ، وأسقطتْ مُنّة ، وأوهنت وأورثت وَهْنًا وذلّة ، ولمّا كنتم الأعلَيْن ، وخاف عدوّكم الاجتياح ، واستحرّ بهم القتل ووجدوا ألم الجراح ، رفعوا المصاحف ، ودعوْكم إلى ما فيها ليفثئوكم عنهم ، ويقطعوا الحرب فيما بينكم وبينهم ، ويتربّصوا [بكم][3] ريبَ المنون خديعة ومكيدة ، فأعطيتموهم ما سألوا ، وأبيتم إلا أن تُدْهِنوا وتجوّزوا[4] ! وايم الله ما أظنّكم بعدها توافقون رَشَدًا ، ولا تصيبون بابَ حزم .

* * *

قال أبو جعفر : فكُتِب كتاب القضيّة بين علىّ ومعاوية — فيما قيل — يوم

(١) صفين: ٥٩٤ ، ٥٩٥ .

(٢) صفين: ٥٩٥

(٣) من ابن الأثير .

(٤) ابن الأثير : « تدهنوا وتجيروا » .

الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين من الهجرة ، على أن يوافى علىّ ومعاوية موضع الحكمين بدُومة الجندل فى شهر رمضان ، مع كلّ واحد منهما أربعمائة من أصحابه وأتباعه .

فحدّثنى عبد الله بن أحمد، قال : حدّثنى أبى ، قال: حدّثنى سليمان بن يونس بن يزيدَ ، عن الزّهرىّ، قال : قال صعصعة بن صُوحان يومَ صِفّين حين رأى الناس يتبارون: ألا اسمعوا واعقلوا، تعلمُنّ والله لئن ظهر علىّ ليكوننّ مثل أبى بكر وعمرَ رضى الله عنهما، وإن ظهر معاوية لايُقِرّ لقائل بقول حقّ . ١/٣٣٤١

قال الزّهرىّ : فأصبح أهل الشأم قد نشروا مصاحفَهم ، ودَعَوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراقين ، فعند ذلك حكّموا الحَكَمين ، فاختار أهلُ العراق أبا موسى الأشعرىّ ، واختار أهلُ الشأم عمرَو بن العاص ، فتفرّق أهلُ صِفّين حين حُكِّمَ الحكَمان ، فاشترطا أن يرفعا ما رفع القرآن ، ويخفِضا ما خفض القرآن، وأن يختارا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، [1]وأنّهما يجتمعان بدُومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرُح[1] .

فلما انصرف علىّ خالفت الحرورية وخرجت — وكان ذلك أول ماظهرت — فآذنوه بالحرب، وردّوا عليه : إنّ حكم بنى آدم فى حكم الله عزّ وجلّ ، وقالوا : لا حكمَ إلا لله سبحانه ! وقاتلوا ، فلما اجتمع الحكمان بأذرُح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكَمان إلى عبد الله بن عمرَ ابن الخطاب وعبد الله بن الزّبير فى إقبالهم فى رجال كثير ، ووافى معاويةُ بأهل الشأم ،وأبى علىّ وأهل العراق أن يوافُوا؛ فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوى الرأى من قريش : أترونْ أحداً من الناس برأى يبتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكَمان أم يتفرّقان ؟ قالوا : لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال: فوالله إنّى لأظنّ أنّى سأعلمه منهما حين أخلُو بهما وأراجعهما . فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عمّا أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزِلة ، فإنا قد شككْنا فى الأمر الذى تبيّن لكم من هذا القتال ، ورأيْنا ١/٣٣٤٢

(١ — ١) ابن الأثير : « واتفقوا على أن يوافى أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة جندل أو بأذرح فى شهر رمضان » .

أن نستأنىَ ونتثبَّت حتى تجتمع الأمة ! قال : أراكم معشرَ المعتزلة خلْفَ الأبرار ، وأمامَ الفُجّار ! فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك، حتى دخل على أبى موسى فقال له مثلَ ما قال لعمرو ، فقال أبو موسى : أراكم أثبتَ الناس رأيًا ، فيكم بقيّة المسلمين ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، فلقى الذين قال لهم ما قال من ذوى الرّأى من قريش ، فقال : لا يجتمع هذان على أمر واحد، فلما اجتمع الحكمان وتكلّما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، رأيت أوّل ما تقضى به من الحقّ أن تقضىَ لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغَدرهم ؛ قال أبو موسى : وما ذاك ؟ قال : ألستَ تعلم أنّ معاوية وأهل الشأم قد وَفَوا ، وقَدِموا للموعد الذى واعدْناهم إيّاه ؟ قال : بلى ، قال عمرو : اكتُبها ؛ فكتَبها أبو موسى ؛ قال عمرو : يا أبا موسى ، أأنتَ على أن نسمّىَ رجلاً يلى أمرَ هذه الأمة ؟ فسمِّه لى، فإن أقدر على أن أتابعَك فلك علىّ أن أتابعك ، وإلا فلى عليك أن تتابعنى ! قال أبو موسى : أسمّى لك عبدَ الله بنَ عمر ، وكان ابن عمر فيمن اعتزل ؛ قال عمرو : إنى اسمّى لك معاويةَ بن أبى سفيان ، فلم يبرحا مجلسهما حتى استبّا ، ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى : إنّى وجدت مثَلَ عمرو مثَل الّذين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾،[1] فلمّا سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال : أيّها الناس وجدت مثَلَ أبى موسى كمثَل الذى قال عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾،[2] وكتب كلٌّ واحد منهما مثَلَه الذى ضرب لصاحبه إلى الأمصار .

١/٣٣٤٣

قال ابن شهاب : فقام معاوية عشيّةً فى الناس ، فأثنى على الله جلّ ثناؤه بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد، فمن كان متكلّمًا فى الأمر فليطلع لنا قَرْنَه ، قال ابن عمر : فأطلقتَ حُبْوَتى ، فأردت أن أقول قولا يتكلّم فيه رجالٌ قاتلوا أباك على الإسلام ، ثم خشيت أن أقول كلمة تفرّق الجماعة ، أو يُسفك فيها دم ، أو أحمَل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ

(١) سورة الأعراف: ١٧٥ . (٢) سورة الجمعة: ٥ .

فى الجنان أحبّ إلىّ من ذلك . فلما انصرف[1] إلى المنزل جاءنى حبيب بن مَسْلمة فقال : ما منعك أن تتكلم حين سمعت الرجل يتكلّم ؟ قلت : أردت ذلك ، ثم خشيت أن أقول كلمةً تُفرِّق بين جميع ، أو يُسفَك فيها دم ، أو أحمَل فيها على غير رأى ، فكان ما وعد الله عزّ وجلّ من الجنان أحبّ إلىّ من ذلك . قال : قال حبيب : فقد عُصِمْتَ .

* * *

* رجع الحديث إلى حديث أبى مِخْنف : قال أبو مخنف : حدثنى فُضيل بن خَدِيج الكندىّ ، قال : قيل لعلىّ بعد ما كُتبت الصحيفة : إن الأشتر لا يُقرّ بما فى الصحيفة ، ولا يرى إلا قتال القوم ؛ قال علىّ : وأنا والله ما رضيتُ ولا أحببتُ أن ترضَوْا ، فإذْ أبيتم إلا أن ترضَوا فقد رضيتُ ، فإذ رضيتُ فلا يصلح الرجوع بعد الرّضا ، ولا التبديل بعد الإقرار ، إلا أن يُعصَى الله عزّ وجلّ ويُتعدّى كتابُه ، فقاتِلوا مَن ترَك أمرَ الله عزّ وجلّ . وأمّا الذى ذكرتم من تركه أمرى وما أنا عليه فليس من أولئك ، ولستُ أخافه على ذلك ، ياليت فيكم مثله اثنين ! ياليت فيكم مثله واحداً يرى فى عدوّى ما أرَى ، إذاً لخفّتْ علىّ مئونتكم ، ورجوتُ أن يستقيم لى بعض أوَدكم ؛ وقد نهيتكم عما أتيتم فعصيتمونى ، وكنت أنا وأنتم كما قال أخو هَوازن[2] : ١/٣٣٤٤

وهل أنا إلاّ مِنْ غَزِيّة إن غوَتْ غَوَيتُ وإن تَرْشُدْ غزيّةُ أرْشُدِ

فقالت طائفة ممّن معه : ونحن مافعلْنا يا أمير المؤمنين إلا ما فعلت ؛ قال : نعم ، فلِمَ كانت إجابتكم إياهم إلى وضع الحرب عنّا ! وأما القضيّة فقد استوثقنا لكم فيها ، وقد طمعت ألّا تَضِلّوا إن شاء الله ربّ العالمين .

فكان الكتاب فى صَفَر والأجل رمضان إلى ثمانية أشهر ، إلى أن يلتقى الحكَمان . ثم إنّ الناس دفنوا قتلاهم ، وأمر علىّ الأعورَ فنادى فى الناس بالرّحيل .

(١) ابن الأثير : « انصرفت » .

(٢) هو دريد بن الصمّة ؛ من أبيات أوردها صاحب الحماسة — ٢ : ٣٠٤ — ٣٠٩ بشرح التبريزى .

١/٣٣٤٥ قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: لما انصرفنا من صفّين أخذنا غير طريقنا الذى أقبلنا فيه؛ أخذنا على طريق البرّ على شاطئ الفرات، حتى انتهينا إلى هيتَ، ثم أخذنا على صَنْدوداء، فخرج الأنصاريّون بنو سعد بن حرام، فاستقبلوا عليًّا، فعرضوا عليه النزول، فبات فيهم ثم غدا، وأقبلنا معه، حتى إذا جُزْنا النُّخَيلة، ورأينا بيوت الكوفة، إذا نحن بشيخ جالس فى ظلّ بيت على وجهه أثر المرض، فأقبل إليه علىّ ونحن معه حتى سلم عليه وسلمنا معه، فردّ ردًّا حسنًا ظننا أن قد عرفه، قال له علىّ: أرى وجهك منكفتًا فمِنْ مَهْ؟ أمِن مرض؟ قال: نعم؛ قال: فلعلّك كرهتَه، قال: ما أحبّ أنه بغيرى، قال: أليس احتسابًا للخير فيما أصابك منه؟ قال: بلى، قال: فأبشر برحمة ربّك وغفران ذنبك. مَن أنت يا عبدَ الله؟ قال: أنا صالح بن سُلَيم، قال: ممَّن؟ قال: أمّا الأصل فمن سَلامَان طيِّئ، وأما الجوار والدّعوة فى بنى سُلَيم بن منصور؛ فقال: سبحان الله! ما أحسنَ اسمَك واسمَ أبيك واسمَ أدْعيائك واسمَ من اعتزيتَ إليه! هل شهدتَ معنا غزاتنا هذه؟ قال: لا، والله ما شهدتُها، ولقد أردتها ولكن ما ترى من أثر لحَب[1] الحمَّى خزلنى عنها؛ فقال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2].

١/٣٣٤٦ خبِّرنى ما تقول الناس فيما كان بيننا وبين أهل الشام؟ قال: فيهم المسرور فيما كان بينك وبينهم — وأولئك أغشّاء الناس — وفيهم المكبوت الآسف بما كان من ذلك — وأولئك نُصحاء الناس لك — فذهب لينصرف فقال: قد صدقت، جعل الله ما كان من شكواك حطًّا لسيّئاتك، فإنّ المرض لا أجرَ فيه، ولكنه لا يدَع على العبد ذنبًا إلا حطّه، وإنما أجرٌ فى القول باللسان والعمل باليد والرِّجل، وإنّ الله جلّ ثناؤه ليُدخل بصدق النيّة والسريرة الصالحة عالَمًا جمًّا من عباده الجنة. قال: ثم

(١) لحب الحمى: هزالها.
(٢) سورة التوبة: ٩١.

مضى عليٌّ غير بعيد ، فلقيه عبد الله بن وَدِيعة الأنصاريّ ، فدنا منه ، وسلّم عليه وسايره ، فقال له : ما سمعتَ الناس يقولون في أمرنا ؟ قال : منهم المعجَب به ، ومنهم الكاره له ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾[1] . فقال له : فما قول ذَوِى الرّأى فيه ؟ قال : أما قولهم فيه فيقولون إنّ عليًّا كان له جمع عظيم ففرّقه ، وكان له حِصن حَصين فهدّمه ، فحتى متى يبنى ما هدم ، وحتى متى يجمع مافرّق ! فلو أنه كان مضى بمن أطاعه — إذ عصاه من عصاه — فقاتل حتى يظفر أو يهلك إذاً كان ذلك الحزم . فقال عليٌّ : أنا هدمت أم هم هدموا ! أنا فرّقت أم هم فرّقوا ! أما قولهم : إنه لو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يَظفرَ أو يهلك ، إذاً كان ذلك الحزم ، فوالله ما غَبِيَ عن رأيى[2] ذلك ، وإن كنتُ لسخيًّا بنفسى عن الدنيا ، طيّبَ النفس بالموت ، ولقد هممتُ بالإقدام على القوم ، فنظرت إلى هذين قد ابتدَرَانى — يعنى الحسن والحسين — ونظرتُ إلى هذين قد استقدمانى — يعنى عبدَ الله بنَ جعفر ومحمد بنَ علىّ — فعلمت أن هذين إنْ هلكا انقطع نسلُ محمد صلى الله عليه وسلم من هذه الأمّة ، فكرهت ذلك ، وأشفقتُ على هذين أن يَهلِكا ، وقد علمتُ أن لولا مكانى لم يستقدما — يعنى محمد بن على وعبدَ الله بن جعفر — وايمُ الله لئن لقيتُهم بعد يومى هذا لألقينّهم وليسوا معى فى عسكر ولا دار . ثم مضى حتى إذا جُزْنا بنى عوف إذا نحن عن أيماننا بقبور سبعة أو ثمانية ، فقال عليٌّ : ما هذه القبور ؟ فقال قُدامة بن العجلان الأزدىّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ خبّاب ابن الأرتّ توفِّى بعد مخرجك ، فأوصى بأن يُدفَن فى الظَّهر ، وكان الناس إنما يُدفنون فى دُورهم وأفنيَتهم ، فدفن بالظَّهر رحمه الله ، ودفَن الناس إلى جنبه ، فقال عليٌّ : رحم الله خبّاباً ، فقد[3] أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتُلِىَ فى جسمه أحوالا ! وإنّ الله لا يُضيع أجرَ من أحسن

١ / ٣٣٤٧

(١) سورة هود: ١١٨ ، ١١٩ .
(٢) ابن الأثير : « ما خفى عنى هذا » .
(٣) ابن الأثير « فلقد » .

عملاً . ثم جاء حتى وقف عليهم فقال : السّلام عليكم يا أهلَ الدّيار الموحِشة ، والمحالّ المقفِرة ، من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات . أنتم لنا سَلَف فارط ، ونحن لكم تَبَعٌ ، بكم عمّا قليل لاحقون. اللهمّ اغفر لنا ولهم، وتجاوَز بعفوك عنّا وعنهم ! وقال : الحمد لله الذى جعل منها خلقكم ، وفيها معادَكم ، منها يبعثكم ، وعليها يحشركم ، طوبَى لمن ذكر المَعاد ، وعمِل للحساب ، وقنع بالكَفاف ، ورضىَ عن الله عزّ وجلّ ! ثم أقبل حتى حاذَى سكّة الثوريّين ، ثم قال : خُشّوا ، ادخُلوا بين هذه الأبيات[1] . ٣٣٤٨/١

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم الفائشىّ ، قال : مرّ علىٌّ بالثوريّين[2]، فسمع البكاء ، فقال : ما هذه الأصوات ؟ فقيل له : هذا البكاء على قتلَى صِفّين ، فقال : أما إنّى أشهد لمن قُتل منهم صابراً محتسِباً بالشهادة . ثم مرّ بالفائشيّين ، فسمع الأصوات ، فقال مِثلَ ذلك ، ثم مضى حتى مرّ بالشّباميّين ، فسمعَ رجّة شديدة[3]، فوقف ، فخرج إليه حرب بن شُرحبيل الشّبامىّ، فقال علىٌّ : أيغلبكم نساؤكم ! ألا تنهونهنّ عن هذا الرّنين ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كانت داراً أو دارين أو ثلاثاً قدَرنا على ذلك ، ولكن قُتِل من هذا الحىّ ثمانون ومائة قتيل ، فليس دار إلا وفيها بكاء ، فأمّا نحن معشرَ الرجال فإنا لا نبكى ، ولكن نفرح لهم ، ألا نفرح لهم بالشهادة ! قال علىٌّ : رحم الله قَتلاكم وموتاكم ! وأقبل يمشى معه وعلىٌّ راكب ، فقال له علىّ : ارجع ، ووقف ثم قال له : ارجع ، فإن مَشْىَ مِثلِك مع مثلى فتنةٌ للوالى، ومذَلة للمؤمن . ثم مضى حتى مرّ بالناعطيّين — وكان جُلُّهم عثمانية — فسمع رجلاً منهم يقال له عبد الرحمن بن يزيد، من بنى عُبيد من الناعِطيّين يقول: والله ما صنع علىّ شيئاً ، ذهب ثم انصرف فى غير شىء ! فلما نظروا إلى علىّ أبلَسوا[4]، فقال : وجوه قوم ما رأوا الشأمَ ٣٣٤٩/١

(١) صفين: ٦١٠ ، ٦١١ .
(٢) بعدها فى صفين : « يعنى ثور همدان » .
(٣) صفين : « ثم مر بالشباميين فسمع رنة شديدة » .
(٤) أبلسوا : انقطعت حجتهم وسكتوا . وفى صفين : « فلما نظر أمير المؤمنين أبلس ».

العامَ . ثم قال لأصحابه : قومٌ فارقْناهم آنفًا خير من هؤلاء ، ثم أنشأ يقول :

أخوك الذى إنْ أَجْرَضَتْكَ مُلِمَّةٌ ... مِنَ الدَّهْرِ لمْ يَبْرَحْ لِبَثِّكَ واجِمَا[1]

وليس أخوك بالّذى إنْ تَشَعَّبَتْ[2] ... عليك الأُمورُ ظَلَّ يلحَاك لائما

ثم مضى ، فلم يزل يذكر الله عزّ وجلّ حتى دخل القصر[3] .

* * *

قال أبو مخنف : حدّثنا أبو جنّاب الكلبيّ ، عن عُمارة بن ربيعة ، قال : خرجوا مع علىّ إلى صفّين وهم متوادُّون أحبّاء ، فرجعوا متباغضين أعداء ، ما برحوا من عسكرهم بصِفّين حتى فشا فيهم التحكيم ، ولقد أقبلوا يتدافعون الطريقَ كله ويتشاتمون ويضطربون بالسياط ، يقول الخوارج : يا أعداء الله ، أدهنتم فى أمر الله عزّ وجلّ وحكّمتم ! وقال الآخرون : فارقتم إمامَنا . وفرّقتم جماعتَنا . فلمّا دخل علىّ الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوْا حَرُوراء ، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفًا ، ونادى مناديهم : إنّ أمير القتال شَبَث بن رِبعىّ التميمىّ . وأمير الصلاة عبد الله بن الكوّاء اليَشْكُرىّ ، والأمر شُورَى بعد الفتح ، والبيعة لله عزّ وجلّ ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

* * *

بعثة علىّ جعدةَ بن هُبيرة إلى خراسان

وفى هذه السنة بعث علىٌّ جَعدة بن هبيرةَ فيما قيلَ إلى خُراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

١/٣٣٥٠

ذكر علىُّ بن محمد ، قال : أخبرنا عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : بعث علىٌّ بعد ما رجع من صِفّين

(١) أجرضتك : أغصّتك ، وفى صفّين : « أحرضتك » ؛ أى أشفت بك على الهلاك .

(٢) صفين : « إن تمنّعت » .

(٣) صفين : ٦١١ ، ٦١٢ .

جَعْدة بن هُبَيْرة المخزومىّ إلى خُراسان، فانتهى إلى أبْرَشَهْر ، وقد كفروا وامتنعوا ، فقدم على علىّ . فبعث خُليد بن قُرّة اليربوعىّ ، فحاصر أهلَ نيسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مَرْو ، وأصاب جاريتين من أبناء الملوك نزلتا بأمان ، فبعث بهما إلى علىّ ، فعرض عليهما الإسلام وأن يزوّجهما ، قالتا : زوّجْنا ابنيك ، فأبى ، فقال له بعض الدّهاقين : ادفعهما إلىّ ، فإنه كرامة تُكرِمُنى بها ، فدفعهما إليه ، فكانتا عنده ، يفرش لهما الديباج ، ويُطعمهما فى آنية الذهب ، ثمّ رجعتا إلى خُراسان .

* * *

اعتزال الخوارج عليًّا وأصحابه ورجوعهم بعد ذلك

وفى هذه السنة اعتزل الخوارج عليًّا وأصحابه، وحكّموا، ثم كلّمهم علىٌّ فرجعوا ودخلوا الكوفة .

* ذكر الخبر عن اعتزالهم عليًّا :

قال أبو مخنف فى حديثه عن أبى جَناب، عن عُمارة بن ربيعة ، قال : ولما قدم علىٌّ الكوفة وفارقتْه الخوارج ، وثبتْ إليه الشيعة فقالوا : فى أعناقنا بَيعة ثانية ، نحن أولياء من والَيت ، وأعداءُ من عادَيت ؛ فقالت الخوارج : استبقتم أنتم وأهلُ الشأم إلى الكُفْر كفرَسَىْ رِهان، بايع أهلُ الشأم معاوية على ما أحبّوا وكرهوا ، وبايعتم أنتم عليًّا على أنكم أولياء مَن والى وأعداءُ مَن عادَى ؛ فقال لهم زياد بن النَّضْر : والله ما بسط علىٌّ يدَه فبايعناه قطّ إلا على كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، ولكنكم لما خالفتموه جاءته شيعتُه ، فقالوا[1] : نحن أولياء مَن والَيت ، وأعداءُ مَن عاديت ؛ ونحن كذلك ، وهو على الحقّ والهدى ، ومن خالفه ضالٌّ مُضِلّ . وبعث علىّ ابن عبّاس إليهم ، فقال : لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك . فخرج إليهم حتى أتاهم ، فأقبلوا يكلّمونه ، فلم يصبر حتى راجعهم ، فقال : ما نقَمتم من الحكَمين ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إنْ يُرِيدَا إصْلَاحًا يُوَفِّقِ

٣٣٥١/١

(١) ابن الأثير : « فقالوا له » .

اللهُ بَيْنَهُمَا ﴾(١) ! فكيف بأمّة محمد صلى الله عليه وسلم ! فقالت الخوارج : قلنا : أمّا ما جعل حكمَه إلى الناس ، وأمر بالنّظر فيه والإصلاح له فهو إليهم كما أمر به ، وما حَكَم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه ؛ حَكَم فى الزانى مائة جلدة ، وفى السارق بقطع يده ، فليس للعباد أن ينظروا فى هذا . قال ابن عبّاس : فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾(٢) ، فقالوا : أوَ تجعل الحكم فى الصَّيْد ، والحدَث يكون بين المرأة وزوجها كالحكم فى دماء المسلمين ! وقالت الخوارج : قلنا له : فهذه الآية بيننا وبينك ، أعَدْلٌ عندك ابن العاص وهو بالأمس يقاتلنا ويَسفك دماءنا ! فإن كان عَدْلاً فلسنا بعدُول ونحن أهلُ حربه . وقد حكّمتم فى أمر الله الرّجال ، وقد أمضى الله عزّ وجلّ حكمه فى معاوية وحزبه أن يُقتَلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله عزّ وجلّ فأبوْه ، ثم كتبتم بينكم وبينه(٣) كتابًا ، وجعلتم بينكم وبينه الموادَعة والاستفاضة ، وقد قطع عزّ وجلّ الاستفاضة والموادَعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلتْ براءة ، إلا من أقرّ بالجزية . ٣٣٥٢/١

وبعث علىّ زياد بن النّضر إليهم فقال : انظر بأىّ رءوسهم هم أشدّ إطافة ، فنظر فأخبره أنه لم يرهم عند رجل أكثر منهم عند يزيدَ بن قيس . فخرج علىّ فى الناس حتى دخل إليهم . فأتى فُسطاط يزيد بن قيس ، فدخله فتوضّأ فيه وصلى ركعتين ، وأمّره على إصبهان والرّىّ ، ثم خرج حتى انتهى إليهم وهم يخاصمون ابنَ عبّاس . فقال : انتهِ عن كلامهم ، ألم أنْهَكَ رحمك الله ! ثم تكلّم فحمد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال : اللهمّ إنّ هذا مقامٌ مَنْ أفلجَ فيه كان أولَى بالفَلْج يوم القيامة ، ومن نطق فيه وأوعث فهوَ فى الآخرة أعمَى وأضلّ سبيلاً . ثم قال لهم : مَن زعيمكم ؟ قالوا : ابن الكوّاء . قال علىّ : فما أخرجكم علينا ؟ قالوا : حكومتُكم يوم صِفّين . قال : أنشدُكم بالله ، أتعلمون أنهم حيث رفعُوا المصاحف فقلتم : نجيبهم إلى كتاب الله قلت لكم : إنى أعلم بالقوم منكم ؛ إنهم ليسوا بأصحاب دين

(١) سورة النساء : ٣٥ . (٢) سورة المائدة : ٩٥ .

(٣) ابن الأثير والنويرى : « وبينهم » .

ولا قرآن ، إنى صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالاً ، فكانوا شرَّ أطفال وشرَّ رجال . امضُوا على حقِّكم وصدقكم ، فإنما رفع القوم هذه المصاحفَ خديعةً ودَهْنًا ومكيدة . فرددتم علىَّ رأيى ، وقلتم : لا ، بل نقبل منهم . فقلت لكم : اذكروا قولى لكم ، ومعصيتكم إيَّاى ، فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطتُ على الحكمين أن يُحييا ما أحيا القرآن ، وأن يُميتا ما أماتَ القرآن ، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حُكمًا يحكم بما فى القرآن ، وإن أبيَا فنحن من حكمهما برآء . قالوا له : فخبِّرنا أتراه عدلا تحكيم الرِّجال فى الدماء ؟ فقال : إنا لسنا حكَّمنا الرجال ، إنما حكَّمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مسطور بين دفّتين ، لا ينطق، إنما يتكلَّم به الرجال ، قالوا : فخبِّرنا عن الأجل ، لم جعلته فيما بينك وبينهم ؟ قال : ليعلم الجاهل، ويتثبَّت العالم ، ولعل الله عزّ وجلّ يصلح فى هذه الهدنة هذه الأمّة . ادخلوا مصرَكم رحمكم الله ! فدخلوا من عند آخرهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جُنْدَب الأزدىّ ، عن أبيه بمثل هذا .

١/٣٣٥٣ وأما الخوارج فيقولون : قلنا : صدقتَ ، قد كنا كما ذكرت ، وفعلنا ما وصفْت ، ولكنّ ذلك كان منّا كفراً، فقد تُبْنا إلى الله عزّ وجلّ منه ، فتبْ كما تُبْنا نبايعْك ، وإلا فنحن مخالفون . فبايعَنا علىّ وقال : ادخلوا فلنمكث ستّة أشهر حتى يجبَى المال، ويَسمَن الكُراع ، ثم نخرج إلى عدوّنا . ولسنا نأخذ بقولهم ؛ وقد كذبوا[١] .

وقدم معن بن يزيد بن الأخنس السلَمِىّ فى استبطاء إمضاء الحكومة وقال لعلىّ : إنّ معاوية قد وفَى، فَفِ أنت لا يَلْفِتنّك عن رأيك أعاريبُ بكر وتميم . فأمر علىٌّ بإمضاء الحكومة ، وقد كانوا افترقوا من صِفّين على أن يقدم الحكَمان فى أربعمائة أربعمائة إلى دومة الجندَل .

١/٣٣٥٤ وزعم الواقدىّ أنّ سعداً قد شهد مع من شهد الحكمين ، وأن ابنه عمر لم يدَعْه حتى أحضره أذرُحَ، فندم ، فأحرم من بيت المقدس بعُمرة .

(١) ابن الأثير : « وقد كذب الخوارج فيما زعموا » .

اجتماع الحكمين بدُومة الجندل

وفى هذه السنة كان اجتماع الحكمين .

* ذكر الخبر عن اجتماعهما :

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد ، عن الشعبىّ ، عن زياد بن النّضر الحارثىّ ، أنّ عليًّا بعث أربعمائة رجل ، عليهم[1] شريح بن هانئ الحارثىّ ، وبعث معهم عبد الله بن عباس ، وهو يصلّى بهم ، ويلى أمورَهم ، وأبو موسى الأشعرىّ معهم . وبعث معاوية عمرَو بن العاص فى أربعمائة من أهل الشأم ، حتى توافَوْا بدُومة الجندل بأذْرح ، قال : فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدرى بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهلُ الشأم عن شىء ؛ وإذا جاء رسول علىّ جاءوا إلى ابن عبّاس فسألوه: ما كتب به إليك أمير المؤمنين ؟ فإن كتَمهم ظنوا به الظنون فقالوا : ما نُراه كتب إلا بكذا وكذا . فقال ابن عباس : أما تعقلون ! أما ترَوْن رسولَ معاوية يجىء لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يُسمع لهم صياح ولا لفظ ، وأنتم عندى كلّ يوم تظنُّون الظنون !

قال : وشهد جماعَتهم تلك عبدُ الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرّحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ وعبد الرحمن بن عبد يَغوث الزّهرىّ وأبوجَهْم بن حُذَيفة العدوىّ والمغيرة بن شُعبة الثّقَفِىّ ؛ وخرج عمر بن سعد حتى أتى أباه على ماء لبنى سُليم بالبادية ، فقال : يا أبتِ ، قد بلغك ما كان بين الناس بصِفّين ، وقد حكّم الناسُ أبا موسى الأشعرىّ وعمرَو بنَ العاص ، وقد شهدهم نفر من قريش ؛ فاشهدهم فإنك صاحبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الشورى ، ولم تدخل فى شىء كرهتْه هذه الأمة ، فاحضُر فإنك أحقّ الناس بالخلافة . فقال : لا أفعل ، إنى سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه تكون فتنةٌ ؛ خيرُ الناس فيها الخفىّ التقىّ » ، (٢ والله لا أشهد شيئًا من هذا الأمر أبدًا٢) . ١ / ٣٣٥٥

(١) صفّين : « وبعث عليهم » .

(٢ – ٢) صفين : « وهذا أمر لم أشهد أوّله فلا أشهد آخره » .

والتقى الحكمان ، فقال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، ألستَ تعلم أنّ عثمانَ رضى الله عنه قتل مظلومًا ؟ قال : أشهد ، قال : ألستَ تعلم أنّ معاوية وآل معاوية أولياؤه ؟ قال : بلى ؛ قال : فإن الله عزّ وجلّ قال : ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [١]، فما يمنعك من معاوية ولىِّ عثمانَ يا أبا موسى ، وبيتُه فى قريش كما قد علمت؟ فإن تخوّفت أن يقول الناس : ولِىَ معاوية وليست له سابقة ؛ فإن لك بذلك حُجّة ؛ تقول : إنى وجدته ولىّ عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة ، الحسن التدبير ، وهو أخو أمّ حبيبة زوجة النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وقد صحبه ، فهو أحد الصحابة . ثم عرّض له بالسلطان ، فقال : إن ولِىَ أكرمك كرامةً لم يُكرمها خليفة. فقال أبو موسى : يا عمرو ، اتّق الله عزّ وجلّ ! فأما ما ذكرت من شرَف معاوية فإنّ هذا ١/٣٣٥٦ ليس على الشرف يولاه أهلُه ، ولو كان على الشرف لكان هذا الأمر لآل أبْرَهة بن الصّبّاح ، إنما هو لأهل الدين والفضل ، مع أنى لو كنت معطيَه أفضلَ قريش شرفًا أعطيتُه علىَّ بنَ أبى طالب . وأما قولك: إنّ معاوية ولىّ دم عثمان فولّه هذا الأمر ، فإنى لم أكن لأولِّيَه معاوية وأدَعَ المهاجرين الأوّلين . وأما تعريضُك لى بالسلطان ، فوالله لو خرج لى من سلطانه كلِّه ما ولّيتُه ، وما كنت لأرتشىَ فى حكم الله عزّ وجلّ ، ولكنك إن شئت أحيينا اسم عمر بن الخطّاب [٢] .

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى أبو جَناب الكلبىّ ، أنه كان يقول : قال أبو موسى : أما والله لئن استطعتُ لأحيينّ اسمَ عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فقال له عمرو : إن كنت تحبّ بَيعة ابن عمر فما يمنعك من ابنى وأنت تعرف فضلَه وصلاحَه ! فقال : إنّ ابنك رجل صدْق ، ولكنّك قد غمستَه فى هذه الفتنة [٣] .

---

(١) سورة الإسراء: ٣٣ .

(٢) صفين: ٦١٣ – ٦٢٣ مع تصرف واختصار .

(٣) صفين: ٦٢٣ .

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن إسحاق ، عن نافع مولى ابن عمر ، قال : قال عمرو بن العاص : إنّ هذا الأمر لا يُصلحه إلاّ رجل له ضِرْس[1] يأكل ويطعم ، وكانت فى ابن عمرَ غفلة ، فقال له عبد الله بن الزبير : افطن ، فانتبه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئًا أبداً ، وقال : يابن العاص ، إنّ العرب أسندتْ إليك أمرَها بعد ما تقارعتْ بالسيوف ، وتناجزتْ بالرّماح ، فلا تُردَّنّهم فى فتنة[2] . ٣٣٥٧/١

قال أبو مخنف : حدّثنى النّضر بن صالح العبسيّ ، قال : كنت مع شريح بن هانئ فى غزوة سجِسْتان ، فحدّثنى أنّ عليًّا أوصاه بكلمات إلى عمرو بن العاص ، قال : قل له إذا أنت لقيتَه : إنّ عليًّا يقول لك : [3] إنّ أفضلَ الناس عند الله عزّ وجلّ من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه وإن نقصَه وكرثه ، من الباطل وإن حنّ إليه وزاده[3] ، يا عمرو ، والله إنك لتعلم أينَ موضع الحقّ ، فلم تَتجاهل[4] ؟ إن أوتيت طمعًا يسيراً كنتَ به لله وأوليائه عدوًّا ، فكأنْ والله ما أوتيتَ قد زال عنك ؛ وَيْحك ! فلا تكن للخائنين خصيماً ، ولا للظالمين ظهيراً . أمّا إنى أعلم بيومك الذى أنت فيه نادم ، وهو يوم وَفاتك ، تَمنّى أنك لم تُظهِرْ لمسلم عداوةً ، ولم تأخذ على حُكم رِشْوة . قال : فبلغتُه ذلك ، فتمعّرَ وجهه[5] ، ثم قال : متى كنت أقبل مشورة علىّ أو أنتهى إلى أمره ، أو أعتدّ برأيه ! فقلت له : وما يمنعك يابن النابغة أن

---

(١) الضرس : الرجل المجرب ؛ مثل المضرس .

(٢) كذا ورد الخبر هنا مبتوراً ؛ وفى صفين:٦٢٣ بروايته عن نافع عن ابن عمر ، قال : « قال أبو موسى لعمرو : إن شئنا ولينا هذا الأمر الطيب ابن الطيب عبد الله بن عمر ، فقال عمرو : إن هذا الأمر لا يصلح له إلا رجل له ضرس ، يأكل ويطعم ؛ وإن عبد الله ليس هناك – وكانت فى أبى موسى غفلة . فقال ابن الزبير لعبد الله بن عمر : اذهب إلى عمرو بن العاص فارشه ، فقال عبد الله بن عمر : لا والله ما أرشو عليها أبداً ما عشت ؛ ولكنه قال له : ويلك يابن العاص ! إن العرب قد أسندت إليك أمرها بعد ما تضاربت بالسيوف ، وتشاجرت بالرماح ؛ فلا تردهم فى فتنة واتق الله» .

(٣ – ٣) صفين : « إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه ، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده » .

(٤) صفين : « تتجاهل » .

(٥) صفّين : « قال شريح : فأبلغته ذلك فتمعر وجه عمرو » ؛ وتمعر وجهه ، أى تغير .

تقبل من مولاك وسيّد المسلمين بعد نبيّهم مشورته ! فقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمَر يستشيرانه ، ويعمَلان برأيه ، فقال : إنّ مِثلى لا يكلّم مثلك ، فقلت له : وبأىّ أبويك ترغب عنّى ! بأبيك الوَشيظ أم بأمّك النابغة[1] ! قال : فقام عن مكانه وقمت معه[2] .

١/٣٣٥٨

قال أبو مِخْنَف : حدّثنى أبو جَناب الكلبىّ أنّ عَمراً وأبا موسى حيث التقيا بدُومة الجندل ، أخذ عَمرو يقدّم أبا موسى فى الكلام ، يقول : إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت أسنّ منى ، فتكلّم وأتكلّم . فكان عمرو قد عوّد أبا موسى أن يقدّمه فى كلّ شىء ، اغتزى[3] بذلك كله أن يقدّمه فيبدأ بخلع علىّ . قال : فنظر فى أمرهما وما اجتَمَعا عليه ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وأراده على ابنه فأبى ، وأراد أبو موسى عمرًا على عبد الله ابن عمر فأبى عليه ، فقال له عمرو : خبّرْنى ما رأيك ؟ قال : رأيى أن نخلع هذين الرّجلين ، ونجعل الأمر شورى بين المسلمين ، فيختار المسلمون لأنفسهم مَن أحبّوا . فقال له عمرو : فإنّ الرأى ما رأيتَ ، فأقبَلا إلى الناس وهم مجتمعون ، فقال : يا أبا موسى ، أعلِمْهم بأنّ رأينا قد اجتمع واتّفق ، فتكلم أبو موسى فقال : إنّ رأيى ورأى عَمرو قد اتّفق على أمر نرجو أن يُصلِح الله عزّ وجلّ به أمرَ هذه الأمة . فقال عمرو : صدق وبرّ ، يا أبا موسى ، تقدّم فتكلّم . فتقدّم أبو موسى ليتكلم ، فقال له ابنُ عباس : وَيْحك ! والله إنى لأظنّه قد خدعك . إن كنتما قد اتّفقتما على أمر ، فقدّمه فليتكلمْ بذلك الأمر قبلك ، ثم تكلّمْ أنتَ بعده ، فإنّ عمراً رجل غادر ، ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرّضا فيما بينك وبينه ، فإذا قمتَ فى الناس خالفَك — وكان أبو موسى مغفّلاً — فقال له : إنّا قد اتفقنا . فتقدّم أبو موسى فحمِد الله عزّ وجلّ وأثنى عليه ثم قال : أيّها الناس ، إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الأمّة فلم نَرَ أصلح

١/٣٣٥٩

---

(١) الوشيظ : الخسيس والتابع . والنابغة لقب أم عمرو بن العاص ؛ واسمها سلمى بنت حرملة سبية من بنى جلان بن عنزة .

(٢) صفين : ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

(٣) اغتزى : قصد ؛ وفى صفين : « وإنما اغتره بذلك ليقدمه » ، وفى ابن الأثير : « أراد » .

لأمرها ، ولا ألمَّ لشَعَثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ؛ وهو أن نخلع عليًّا ومعاوية ، وتستقبل هذه الأمة هذا الأمر فيولّوا منهم مَنْ أحبوا عليهم ، وإني قد خلعت عليًّا ومعاوية ، فاستقبلوا أمركم ، وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ؛ ثم تنحّى . وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه ، فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال : إنّ هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبَه ، وأنا أخلع صاحبَه كما خلعه ، وأثبتُ صاحبي معاوية ، فإنّه وليّ عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وأحقّ الناس بمقامه . فقال أبو موسى : ما لك لا وفّقك الله ، غدرتَ وفجرتَ ! إنما مَثَلك كمثل الكلب إن تَحمِل عليه يَلْهَثْ أو تتركْه يَلْهث . قال عمرو : إنما مَثَلك كمثل الحمار يحمل أسفارًا . وحَمَل شُرَيح بن هانئ على عمرو فقنّعه بالسوط ، وحَمَل على شُرَيح ابنٌ لعَمرو فضربه بالسوط ، وقام الناس فحجزوا بينهم . وكان شُريح بعد ذلك يقول : ما ندمتُ على شيء ندامتي على ضرب عمرو بالسوط ألّا أكون ضربته بالسيف آتيًا به الدّهرُ ما أتى . والتمس أهلُ الشأم أبا موسى ، فركب راحلتَه ولحق بمكّة .

قال ابن عباس : قبَح الله رأيَ أبي موسى ! حذّرته وأمرْته بالرأي فما عَقَل . فكان أبو موسى يقول : حذّرني ابنُ عباس غَدْرة الفاسق ، ولكني اطمأننت إليه ، وظننت أنه لن يؤثِر شيئًا على نصيحة الأمة . ثم انصرف عمرو وأهل الشأم إلى معاوية ، وسلموا عليه بالخلافة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانئ إلى عليّ ، وكان إذا صلى الغداة يَقنُت فيقول : اللهمّ العن معاويةَ وعَمراً وأبا الأعوَر السُّلَميّ وحبيبًا وعبد الرحمن بن خالد والضحّاك بن قيس والوليد . فبلغ ذلك معاوية ، فكان إذا قَنَت لعَنَ عليًّا وابن عباس والأشتر وحَسَنًا وحُسينًا [1] . ١ / ٣٣٦٠

وزعم الواقديّ أن اجتماع الحَكَمين كان في شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة .

* * *

(١) صفين: ٦٢٥ — ٦٢٨ .

ذكر ما كان من خبر الخوارج عند توجيه على الحَكَم للحكومة وخبر يوم النَّهر

قال أبو مخنف : عن أبي المغفّل ، عن عون بن أبي جُحَيفة ، أنّ عليًّا لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة ، أتاه رجلان من الخوارج : زُرْعة بن البُرْج الطائىّ وحُرْقوص بن زُهير السعدىّ ، فدخلا عليه ، فقالا له : لا حكمَ إلا لله ، فقال علىّ : لا حكم إلا لله ، فقال له حُرْقوص : تُبْ من خطيئتك ، وارجع عن قضيّتك ، واخرج بنا إلى عدّونا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا . فقال لهم علىّ : قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى ، وقد كتبنا بيننا وبينهم كتابًا ، وشرطنا شروطًا ، وأعطينا عليها عهودَنا ومواثيقنا ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1] . فقال له حُرقوص : ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه ؛ فقال علىّ : ما هو ذنب ، ولكنه عَجْز من الرأى ، وضعفٌ من الفعل ، وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ، ونهيتُكم عنه . فقال له زُرعة بن البُرْج : أما والله يا علىّ ، لئن لم تَدَع تحكيمَ الرجال فى كتاب الله عزّ وجل قاتلتُك ؛ أطلبُ بذلك وجهَ الله ورضوانَه ، فقال له علىّ : بؤسًا لك ، ما أشقاك ! كأنى بك قتيلاً تَسفِى عليك الريح ؛ قال : وددتُ أن قد كان ذلك ؛ فقال له علىّ : لو كنت محقًّا كان فى الموت على الحقّ تعزية عن الدنيا ، إنّ الشيطان قد استهواكم ، فاتّقوا الله عزّ وجلّ ؛ إنه لا خيرَ لكم فى دُنيا تقاتلون عليها ؛ فخرجا من عنده يحكّمان .

١/٣٣٦١

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الملك بن أبي حُرّة الحنفىّ ، أنّ عليًّا خرج ذات يوم يخطب ، فإنه لفى خطبته إذْ حكّمت المحكّمة فى جوانب المسجد ، فقال علىّ : الله أكبر ! كلمةُ حقّ يراد بها باطل ! إن سكتوا عممناهم ، وإن تكلّموا حَجَجْناهم ، وإن خرجوا علينا قاتلناهم . فوثب يزيد بن عاصم

(١) سورة النحل ٩١ .

المحاربى ، فقال : الحمد لله غير مودَّع ربّنا ولا مستغنًى عنه . اللهمّ إنا نعوذ بك من إعطاء الدنيَّة فى ديننا ، فإنّ إعطاء الدنيّة فى الدّين إدْهانٌ فى أمر الله عزّ وجلّ ، وذلّ راجع بأهله إلى سخط الله . يا علىّ ، أبالقتل تخوّفنا ! ١/٣٣٦٢ أما والله إنى لأرجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفَّحات ، ثم لتعلمُنّ أيّنا أولى بها صِلِيًّا . ثم خرج بهم هو وإخوة له ثلاثة هو رابعهم ، فأصيبوا مع الخوارج بالنّهر ، وأصيب أحدهم بعد ذلك بالنُّخَيْلة .

قال أبو مخنف : حدثنى الأجلح بن عبد الله ، عن سلمة بن كُهَيل ، عن كثير بن بَهْز الحضرمىّ ، قال : قام علىّ فى الناس يخطبهم ذات يوم ، فقال رجلٌ من جانب المسجد : لا حكمَ إلا لله ، فقام آخرُ فقال مثلَ ذلك ، ثم توالَى عدّة رجال يحكّمون ، فقال علىّ : الله أكبر ؛ كلمة حقّ يلتمس بها باطل ! أما إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا : لا نمنعكم مساجدَ الله أن تذكروا فيها اسمَه ، ولا نمنعكم الفىءَ ما دامت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تبدءونا ؛ ثم رجع إلى مكانه الذى كان فيه من خطبته .

قال أبو مخنف : وحُدّثنا عن القاسم بن الوليد ، أن حكيم بن عبد الرحمن بن سعيد البكائىّ كان يرى رأىَ الخوارج ، فأتى عليًّا ذات يوم وهو يخطب ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] ، فقال على : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[2] .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل ابن سميع الحنفىّ ، عن أبى رَزين ، قال : لما وقع التحكيم ورجع علىّ من صفّين رجعوا مُباينين له ، فلمّا انتهوْا إلى النّهر أقاموا به ، فدخل علىّ فى الناس الكوفة ، ونزلوا بحَرُوراء ، فبعث إليهم عبدَ الله بن عباس ، فرجع ولم ١/٣٣٦٣ يصنع شيئًا ، فخرج إليهم علىّ فكلّمهم حتى وقع الرِّضا بينه وبينهم ، فدخلوا

---

(١) سورة الزمر : ٦٥ .

(٢) سورة الروم : ٦٠ .

الكوفة ، فأتاه رجل فقال : إنّ الناس قد تحدّثوا أنك رجعتَ لهم عن كُفرك . فخطب النّاس فى صلاة الظهر ، فذكر أمرَهم فعابه ؛ فوثبوا من نواحِى المسجد يقولون : لا حُكمَ إلا لله . واستقبله رجل منهم واضع إصبعيه فِى أذنيه ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ، فقال علىّ : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ .

حدّثنا أبو كُرَيب ، قال : حدّثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثَ بن أبي سُليم يذكر عن أصحابه ، قال : جعل علىّ يقلّب يديه يقول يديه هكذا وهو على المنبر ، فقال : حُكْمُ الله عزّ وجلّ يُنتَظر فيكم مرّتين ، إنّ لكم عندنا ثلاثًا : لا نمنعكم صلاةً فى هذا المسجد ، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفىْء ما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا .

قال أبو مِخْنَف عن عبد الملك بن أبى حُرّة : إنّ عليًّا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومة لقيت الخوارج بعضُها بعضًا ، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الرّاسبىّ ، فحمِد الله عبدُ الله بن وهب وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، فوالله ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن ، وينيبون إلى حُكم القرآن ، أن تكون هذه الدنيا ، التى الرّضا بها والرّكون بها والإيثار إياها عناء وتَبار ، آثرَ عندهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحقّ ، وإنْ مُنَّ وضُرَّ فإنه مَن يُمنّ ويُضرّ فى هذه الدنيا فإنّ ثوابه يوم القيامة رضوان الله عزّ وجلّ والخلود فى جنّاته . فاخرجوا بنا إخوانَنا من هذه القرية الظالِم أهلُها إلى بعض كُوَر الجبال أو إلى بعض هذه المدائن ، منكِرين لهذه البدع المضلّة . فقال له حُرْقوص بن زهير : إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإنّ الفراق لها وشيك ، فلا تدعوَنّكم زينتها وبهجتها إلى المقام بها ، ولا تلفتنّكم عن طلب الحقّ ، وإنكار الظلم ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فقال حمزة

١ / ٣٣٦٤

ابن سنان الأسدىّ : يا قوم، إنّ الرأى ما رأيتم ، فولّوا أمركم رجلاً منكم ، ١/٣٣٦٥
فإنه لا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها ، وترجعون إليها . فعرضوها
على زيد بن حصين الطائىّ فأبَى ، وعرضوها على حُرقوص بن زهير فأبى ،
وعلى حمزة بن سنان وشُريح بن أوفَى العبسىّ فأبَيَا ، وعرضوها على عبد الله
ابن وهب ، فقال : هاتوها ، أما والله لا آخذها رغبةً فى الدنيا ، ولا أدَعها فَرَقاً
من الموت . فبايعوه لعشر خلوْن من شوال — وكان يقال له ذو الثَّفِنات[1] —
ثم اجتمعوا فى منزل شُريح بن أوفى العبسىّ ، فقال ابن وهب : اشخَصُوا بنا
إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكمِ الله ، فإنكم أهل الحق . قال شريح :
نخرج إلى المدائن فننزلها ، ونأخذ بأبوابها ، ونخرج منها سكّانها، ونبعث
إلى إخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا . فقال زيد بن حصين : إنكم إن
خرجتم مجتمعين اتُّبِعتُم، ولكن اخرجوا وُحْدانًا مستَخْفِين ، فأمّا المدائن
فإنّ بها مَنْ يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسرَ النّهروان ، وتكاتبوا
إخوانكم من أهل البصرة . قالوا : هذا الرّأى .

وكتب عبد الله بن وهب إلى مَن بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ،
ويحثّهم على اللحاق بهم ، وسيّر الكتاب إليهم ، فأجابوه أنهم على اللحاق به .
فلما عزموا على المسيرِ تعبّدوا ليلتَهم — وكانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة — ١/٣٣٦٦
وساروا يومَ السبت ، فخرج شُريح بن أوْفى العبسىّ وهو يتلو قول الله تعالى :
﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا
تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[2] .
وخرج معهم طَرَفة بن عدىّ بن حاتم الطائىّ ، فاتّبعه أبوه فلم يقدر عليه ، فانتهى
إلى المدائن ثم رجع ، فلما بلغ ساباطَ لقيَه عبدُ الله بن وهب الراسبى فى نحو عشرين
فارسًا ، فأراد عبد الله قتلَه ، فمنعه عمرو بن مالك النّبْهانىّ وبشر بن زيد
البَوْلانىّ . وأرسل عدىّ إلى سعد بن مسعود عامل علىّ على المدائن يحذّره

---

(١) فى اللسان : « الثفنة ركبة البعير ؛ وقيل لعبد الله بن وهب الراسبى رئيس الخوارج : ذو الثفنات ؛ لأن طول السجود كان أثر فى ثفناته » .

(٢) سورة القصص: ٢١ ، ٢٢ .

أمرَهم ، فحذِر ، وأخذ أبوابَ المدائن ، وخرج فى الخيل واستخلف بها ابن أخيه المختار بن أبى عبيد ، وسار فى طلبهم ، فأخبر عبد الله بن وهب خبرَه فرابأ طريقه[1] ، وسار على بغداذ ، ولحقهم سعد بن مسعود بالكَرْخ فى خمسمائة فارس عند المساء ، فانصرف إليهم عبدُ الله فى ثلاثين فارساً ، فاقتتلوا ساعة ، وامتنع القومُ منهم ؛ وقال أصحاب سعد لسعد : ما تريد من قتال هؤلاء ولم يأتك فيهم أمر ! خلّهم فليذهبوا ، واكتب إلى أمير المؤمنين ، فإنْ أمَرَك باتّباعهم اتّبعتَهم ، وإن كَفاكَهم غيرُك كان فى ذلك عافية لك . فأبى عليهم ، فلما جَنّ عليهم الليلُ خرج عبد الله بن وهب فعَبَر دِجلة إلى أرض جُوخَى ، وسار إلى النّهروان ، فوصل إلى أصحابه وقد أيِسُوا منه ، وقالوا : إن كان هلك ولّينا الأمرَ زَيدَ بن حصين أو حُرقوص بن زهير ، وسار جماعة من أهل الكوفة يريدون الخوارج ليكونوا معهم ، فردّهم أهاوهم كَرْهاً ؛ منهم القعقاع بن قيس الطائىّ عمّ الطِّرِمّاح بن حكيم ، وعبد الله بن حكيم بن عبد الرحمن البكّائىّ ، وبلغ عليّاً أن سالم بن ربيعة العبسىّ يريد الخروج ، فأحضره عنده ، ونهاه فانتهى . ٣٣٦٧/١

ولما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليّاً أصحابُه وشيعتُه فبايعوه وقالوا : نحن أولياء مَن واليتَ ، وأعداءُ مَن عادَيْت ، فشرط لهم فيه سنّة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه ربيعة بن أبى شدّاد الخثعمى — وكان شهد معه الجمل وصِفّين ، ومعه راية خَثْعَم — فقال له : بايِع على كتاب الله وسنّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال ربيعة : على سُنّة أبى بكر وعمر ؛ قال له علىّ : ويلك! لو أن أبا بكر وعمَر عَمِلا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شىء من الحقّ ، فبايعه ، فنظر إليه علىّ وقال : أما والله لكأنى بك وقد نفرتَ مع هذه الخوارج فقُتلتَ ، وكأنى بك وقد وطئتْك الخيل بحوافرها ، فقُتِل يوم النّهر مع خَوارج البصرة .

وأما خوارج البصرة فإنهم اجتمعوا فى خمسمائة رجل ، وجعلوا عليهم مِسعر ابن فَدَكىّ التميمىّ ، فعلم بهم ابن عباس ، فأتبعهم أبا الأسود الدُّؤَلىّ ،

(١) يقال : رابأت فلاناً ؛ حذرته واتقيته .

فلحقهم بالجسر الأكبر ، فتواقفوا حتى حجز بينهم الليل ، وأدلجَ مِسعر بأصحابه ، وأقبل يعترض الناس وعلى مقدّمته الأشرسُ بنُ عوف الشيبانيّ ، وسار حتى لحق بعبد الله بن وهب بالنّهر . فلما خرجت الخوارجُ وهرَب أبو موسى إلى مكة ، وردّ عليٌّ ابنَ عباس إلى البصرة ، قام فى الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدّهرُ بالخَطْب الفادح ، والحدَثان الجليل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله ؛ أما بعد ، فإن المعصية تورِث الحسرة ، وتُعقِب الندم ، وقد كنت أمرتُكم فى هذين الرّجلين وفى هذه الحكومة أمرى ، ونَحلتُكم رأيى ، لو كان لقصيرٍ أمر ! ولكن أبيتم إلا ما أردتم ، فكنتُ أنا وأنتم كما قال أخو هوازن : ١/٣٣٦٨

أَمَرْتُهُمُ أَمرى بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فلم يَسْتَبِينوا الرُّشْدَ إلاّ ضُحَى الغَدِ[1]

ألا إنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حَكَمين قد نَبذا حكمَ القرآن وراء ظهورهما ، وأحييَا ما أماتَ القرآن ، واتّبع كل واحد منهما هَواه بغير هدًى من الله ، فحكَما بغير حجّة بيّنة ، ولا سُنّة ماضية ، واختلَفا فى حكمهما ، وكلاهما لم يرشد ، فبرئ اللهُ منهما ورسولُه وصالحُ[2] المؤمنين . استعِدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشأم ، وأصبِحوا فى معسكركم إن شاء الله يوم الاثنين . ثم نزل .

وكتب إلى الخوارج بالنهر : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله علىّ أمير المؤمنين ، إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس . أمّا بعد ، فإن هذين الرجلين اللذَين ارتضْينا حكمَهما قد خالفا كتابَ الله ، واتّبعا أهواءهما بغير هدًى من الله ، فلم يَعمَلا بالسنّة ، ولم ينفّذا للقرآن حُكماً ، فبرئ الله ورسولُه منهما والمؤمنون ! فإذا بلغكم كتابى هذا فأقبلوا فإنا سائرون إلى عدوّنا وعدوّكم ، ونحن على الأمر الأوّل الذى كنا عليه . والسلام . ١/٣٣٦٩

---

(١) لدريد بن الصمة ؛ وبعده :

فلمّا عَصَوْنى كنت منهم وقد أرى ... غَوايتَهُمْ وأنّنِى غيرُ مُهْتَدِ
وَمَا أنَا إلاّ من غَزِيّة إنْ غَوَتْ ... غَوَيتُ وإن تَرشُدْ غزيّةُ أَرْشُد

(٢) النويرى : « وصالحو المؤمنين » .

وكتبوا إليه : أمّا بعد، فإنّك لم تغضب لربّك، إنما غضبتَ لنفسك ، فإن شهدتَ على نفسك بالكفر ، واستقبلتَ التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابَذْناك على سواء إنّ الله لا يحبّ الخائنين . فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدَعَهم ويمضيَ بالناس إلى أهل الشأم حتى يلقاهم فيناجزهم .

قال أبو مخنف ، عن المعلّى بن كُليب الهمْدانيّ ، عن جبر بن نَوْف أبي الودّاك الهمْدانيّ : إنّ عليًّا لما نزل بالنُّخَيلة وأيِس من الخوارج ، قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه من ترك الجهاد في الله وأدْهن في أمره كان على شَفَا هُلْكه[1] إلا أن يتداركَه الله بنعمة؛ فاتقوا الله، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاولَ أن يطفِئ نورَ الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين ، القاسطين المجرمين، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن[2] ، ولا فقهاءَ في الدين ، ولا علماءَ في التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل سابقة في الإسلام ، والله لو ولُوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسْرى وهِرَقل ، تيسّروا وتهيّؤا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب ، وقد بعثنا إلى إخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم ، فإذا قَدِموا فاجتمعتم شخصْنا إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله . ١/٣٣٧٠

وكتب عليّ إلى عبد الله بن عباس مع عتبة بن الأخنس بن قيس، من بني سعد بن بكر: أمّا بعد ، فإنا قد خرجنا إلى معسكرنا بالنُّخيلة ، وقد أجمعْنا على المسير إلى عدوّنا من أهل المغرب ، فاشخص بالناس حتى يأتيَك رسولي ، وأقم حتى يأتيك أمري . والسلام .

فلما قدم عليه الكتاب قرأه على الناس ، وأمرهم بالشخوص مع الأحنف ابن قيس ، فشخص معه منهم ألفٌ وخمسمائة رجل ، فاستقلّهم عبد الله بن عبّاس ، فقام في الناس ، فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : أما بعد يا أهل البصرة ، فإنه جاءني أمرُ أميرِ المؤمنين يأمرني بإشخاصكم ، فأمرتُكم بالنّفير إليه مع الأحنف بن قيس ، ولم يَشْخَص معه منكم إلا ألف وخمسمائة ،

---

(١) ابن الأثير : « هلكة » .

(٢) النويري وابن الأثير : « القرآن » .

وأنتم ستون ألفًا سوى أبنائكم وعبدانكم ومواليكم ! ألا انفِروا مع جارية بن قدامة السعديّ ، ولا يجعلَنّ رجلٌ على نفسه سبيلا ، فإني مُوقِع بكلّ من وجدتُه متخلِّفًا عن مكتبه ، عاصيًا لإمامه، وقد أمرت أبا الأسود الدُّؤَليّ بحشْركم ، فلا يَلُمْ رجل جعل السبيل على نفسه إلا نفسَه .

فخرج جارية فعسكر ، وخرج أبو الأسود فحشر الناس ، فاجتمع إلى جارية ألف وسبعمائة، ثم أقبل حتى وافاه عليّ بالنُّخَيلة ، فلم يزل بالنُّخَيلة حتى وافاه هذان الجيشان من البَصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فجمع إليه رءوس أهل الكوفة ، ورءوس الأسباع ، ورءوس القبائل ، ووجوه الناس . فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : يا أهلَ الكوفة ، أنتم إخواني وأنصاري ، وأعواني على الحق، وصَحابتِي على جهاد عدوّي المحلِّين بكم ، أضرب المدْبِر ، وأرجو تمام طاعة المقْبِل ، وقد بعثتُ إلى أهل البصرة فاستنفرتُهم إليكم ، فلم يأتني منهم إلا ثلاثة آلاف ومائتا رجل ، فأعينوني بمناصحة جليّة خليّة من الغشّ، إنكم . . . . .[1] مَخرَجنا إلى صفّين ، بل استجمعوا بأجمعكم ، وإني أسألكم أن يكتب لي رئيس كلّ قوم ما في عشيرته من المقاتلة وأبناء المقاتلة الذين أدركوا القتال وعبدان عشيرته ومواليهم ، ثم يرفع ذلك إلينا .

فقام سعيد بن قيس الهمْدانيّ، فقال : يا أمير المؤمنين، سمعًا وطاعة ، وودًّا ونصيحة ، أنا أوّل الناس جاء بما سألت ، وبما طلبت . وقام معقل بن قيس الرّياحيّ فقال له نحواً من ذلك ، وقام عديّ بن حاتم وزياد بن خَصَفة وحُجْر بن عديّ وأشراف الناس والقبائل فقالوا مثلَ ذلك .

ثمّ إن الرءوس كتَبوا مَن فيهم، ثم رفعوهم إليه، وأمروا أبناءهم وعبيدهم ومواليَهم أن يخرجوا معهم ، وألّا يتخلّف منهم عنهم أحد ، فرفعوا إليه أربعين ألف مقاتل، وسبعة عشر ألفًا من الأبناء ممن أدرك، وثمانية آلاف من مواليهم وعبيدهم، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أمّا مَن عندنا من المقاتلة وأبناء المقاتلة ممّن قد بلغ الحُلُم، وأطاق القتال ، فقد رفعنا إليك منهم ذوِي القوّة والجَلَد ، وأمرْناهم بالشّخوص معنا ، ومنهم ضعفاء ، وهم في ضِياعنا وأشياءَ مما يُصلحنا .

١/٣٣٧١ — ١/٣٣٧٢

(١) هنا سقطت كلمات من أصول ط ، وأغفلها ابن الأثير والنويري .

وكانت العرب سبعةً وخمسين ألفًا من أهل الكوفة ، ومن مواليهم ومماليكهم ثمانية آلاف ، وكان جميع أهل الكوفة خمسةً وستين ألفًا ، وثلاثة آلاف ومائتى رجل من أهل البصرة ، وكان جميع من معه ثمانيةً وستّين ألفًا ومائتى رجل .

قال أبو مِخْنَف ، عن أبى الصَّلْت التيمىّ : إن عليًّا كتب إلى سعد ابن مسعود الثَّقَفِى — وهو عامله على المدائن : أما بعد ، فإنى قد بعثتُ إليك زيادَ ابنَ خَصَفة فأشخِص معه مَن قِبَلك من مقاتلة أهل الكوفة ، وعجّل ذلك إن شاء الله ولا قوّة إلا بالله .

قال : وبلغ عليًّا أنّ الناس يقولون : لو سارَ بنا إلى هذه الحروريّة[١] فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجّهنا من وجّهنا ذلك إلى المُحلّين[٢] ! فقام فى الناس فحمِد الله وأثْنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنه قد بلغنى قولُكم : لو أنّ أمير المؤمنين سار بنا إلى هذه الخارجة التى خرجتْ عليه فبدأنا بهم ، فإذا فرغنا منهم وجهنا إلى المحلّين ؛ وإن غير هذه الخارجة أهمّ إلينا منهم ، فدعوا ذكرَهم ، وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبّارين ملوكًا ، ويتّخذوا عباد الله خَوَلا .

فتنادَى الناسُ من كلّ جانب : سرْ بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت .

٣٣٧٣/١ قال : فقام إليه صيفىّ بن فَسيل[٣] الشيبانىّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، نحن حِزبُك وأنصارُك ، نعادى من عاديت[٤] ، ونشايع من أناب إلى طاعتك ، فسِر بنا إلى عدوّك ؛ من كانوا وأينما كانوا ؛ فإنك إن شاء الله لن تُؤتَى من قلّة عَدَد ، ولا ضعف نيّة أتباع . وقام إليه مُحرِز بن شهاب التميمىّ من بنى سعد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، شيعتك كقلْبِ رجل واحد فى الإجماع[٥]

(١) الحرورية من الخوارج ، منسوبون إلى حروراء : موضع بظاهر الكوفة ؛ نسبوا إليه لأنه كان أول اجتماعهم به .

(٢) المحل : الذى نقض عهده . وفى ابن الأثير والنويرى : « إلى قتال المحلين » .

(٣) ابن الأثير : « قسيل » ، النويرى : « نشيل » .

(٤) ابن الأثير والنويرى : « عاداك » .

(٥) النويرى : « الاجتماع » .

على نُصْرتك ، والجدّ فى جهاد عدوّك ، فأبْشِر بالنصر ،وسِرْ بنا إلى أىّ الفريقين أحببت ، فإنّا شيعتك الذين نرجو فى طاعتك وجهاد من خالَفَك صالحَ الثواب ، ونَخاف فى خذلانك والتخلّف عنك شدّةَ الوبال .

حدّثنى يعقوب ، قال : حدّثنى إسماعيل ، قال : أخبرَنا أيُّوب ، عن حُميد بن هلال ، عن رجل من عبد القيس كان من الخوارج ثم فارقهم ، قال : دخلوا قريةً ، فخرج عبدالله بن خبّاب صاحب رسول الله ذَعِراً يجرّ رداءه ، فقالوا : لمَ تُرَعْ ؟ فقال : والله لقد ذَعَرْتمونى! قالوا : أأنت عبد الله بن خبّاب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ؛ قالوا : فهل سمعتَ من أبيك حديثاً يحدّث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر فتنةً ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ؟ قال : فإن أدركتم ذلك فكن يا عبدَ الله المقتول — قال أيوب : ولا أعلمه إلا قال : « ولا تكن يا عبد الله القاتل » — قال : نعم ؛ قال : فقدّموه على ضِفّة النهر ، فضربوا عنقَه ، فسال دمُه كأنه شِراكُ نعل ، وبَقَروا بطنَ أمّ ولده عمّا فى بطنها . ١ / ٣٣٧٤

قال أبو مخنف عن عطاء بن عجلان ، عن حُميد بن هلال : إنّ الخارجة التى أقبلتْ من البصرة جاءت حتى دنتْ من إخوانها بالنّهر ، فخرجتْ عِصابة منهم ، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار ، فعبروا إليه ، فدعوه فتهدّدوه وأفزعوه ، وقالوا له : مَن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن خبّاب صاحبُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أهوَى إلى ثوبه يتناوله من الأرض — وكان سقط عنه لما أفزعوه — فقالوا له : أفزعناك ؟ قال : نعم ؛ قالوا له : لا رَوْع عليك ! فحدّثنا عن أبيك بحديث سمعَه من النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لعلّ الله ينفعنا به! قال : حدّثنى أبى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «أنّ فتنةً تكون ، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ فيها بدنُه ، يمسِى فيها مؤمناً ويصبحُ فيها كافراً ، ويصبح فيها كافراً ويمسِى فيها مؤمناً » ، فقالوا : لهذا الحديث سألناك ، [فما تقول فى أبى بكر وعمر ؟ فأثنَى عليهما خيراً ، قالوا : ما تقول

فى عثمانَ فى أوّل خلافته وفى آخرها ؟ قال : إنه كان محقًّا فى أوّلها وفى آخرها ؛ قالوا : فما تقول فى علىّ قبل التحكيم وبعده ؟ قال : إنه أعلم بالله منكم ، وأشدّ توقِّيًا على دينه ، وأنفذ بصيرةً . فقالوا : إنك تتّبع الهوى ، وتُوالى الرّجال على أسمائها لا على أفعالها[(١)] ، والله لنقتلنّك قِتلة ما قتلناها أحداً ، فأخذوه فكتّفوه ثم أقبلوا به وبامرأته وهى حُبْلى مُتِمٌّ[(٢)] حتى نزلوا تحت نخلٍ مَواقر[(٣)] ، فسقطتْ منه رطبةٌ ، فأخذها أحدهم فقذف بها فى فمه ، فقال ١/٣٣٧٥ أحدهم : بغير حلّها ، وبغير ثمن ! فلَفظها وألقاها من فمه ، ثم أخذ سيفه فأخذ يمينه ، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربه بسيفه ، فقالوا : هذا فسادٌ فى الأرض ، فأتى صاحبَ الخنزير فأرضاه من خنزيره ، فلما رأى ذلك منهم ابن خبّاب قال : لئن كنتم صادقين فيما أرى فما علىّ منكم بأس ، إنى لمُسلِم ؛ ما أحدثتُ فى الإسلام حدَثًا ، ولقد أمّنتمونى ، قلتم : لا رَوْعَ عليك ! فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه ، وسالَ دمه فى الماء ، وأقبلوا إلى المرأة ، فقالت : إنى إنما أنا امرأة ، ألّا تتقون الله ! فبقروا بطنها ، وقتلوا ثلاثَ نسوةٍ من طيِّئ ، وقتلوا أمّ سنان الصّيداويّة ، فبلغ ذلك عليًّا ومن معه من المسلمين مِن قتلهم عبد الله بن خبّاب ، واعتراضهم الناس ، فبعث إليهم الحارثَ بن مرّة العبدىّ ليأتيهم فينظر فيما بلغه عنهم ، ويكتبَ به إليه على وجهه ، ولا يكتمه . فخرج حتى انتهى إلى النهر ليُسائلهم ، فخرج القومُ إليه فقتلوه ، وأتى الخبرُ أميرَ المؤمنين والناس ، فقام إليه الناس ، فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ، علامَ تدَعُ هؤلاء وراءنا يخلفوننا فى أموالنا وعيالنا ! سِرْ بنا إلى القوم فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرْنا إلى عدوّنا من أهل الشأم . وقام إليه الأشعث بن قيس الكِنْدىّ فكلّمه بمثل ذلك . وكان الناس يَرَوْن أن الأشعث يَرَى رأيَهم لأنه كان يقول يومَ صِفّين : أنصفَنا قوم يدعون إلى كتاب الله ، فلما أمر عليًّا بالمسير إليهم علم الناس أنه لم يكن يَرَى رأيهم . فأجمع على ذلك ، فنادى بالرحيل ، ١/٣٣٧٦

---

(١) ما بين العلامتين زيادة من ابن الأثير والنويرى .

(٢) يقال : امرأة متم ، للحامل إذا شارفت الوضع .

(٣) أوقرت النخلة ؛ إذا كثر حملها ، ونخلة موقر والجمع مواقر .

وخرج فعَبَر الجسر فصلّى ركعتين بالقنطرة ، ثم نزل ديرَ عبد الرحمن ، ثم دير أبي موسى ، ثم أخذ على قرية شاهي ، ثم على دَباها ، ثم على شاطئ الفرات ، فلقيَه في مسيره ذلك منجّم ، أشار عليه بسير[1] وقت من النهار ، وقال له : إن سرتَ في غير ذلك الوقت لقيت أنت وأصحابك ضرًّا شديداً . فخالفه ، وسار في الوقت الذي نهاه عن السير فيه . فلما فرغ من النهر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها المنجّم لقال الجهّال الذين لا يعلمون : سار في الساعة التي أمره بها المنجّم فظفر .

قال أبو مخنف : حدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما أراد عليّ المسيرَ إلى أهل النهر من الأنبار ، قدّم قيس بن سعد بن عُبادة وأمره أن يأتيَ المدائنَ فينزلَها حتى يأمرَه بأمره ، ثم جاء مقبلا إليهم ، ووافاه قيس وسعد بن مسعود الثقفيّ بالنّهر ، وبعث إلى أهل النّهر : ادفعوا إلينا قَتَلَة إخواننا منكم نقتلهم بهم ، ثم أنا تارككم وكافٌّ عنكم حتى ألقى أهلَ الشأم ؛ فلعلّ الله يقلّب قلوبَكم ، ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم . فبعثوا إليه ، فقالوا : كلنا قَتَلَتُهم ، وكلنا نستحلّ دماءهم ودماءَكم .

٣٣٧٧/١ قال أبو مِخْنف : فحدّثني الحارث بن حَصِيرة ، عن عبد الرحمن بن عبيد[2] أبي الكنود ، أن قيس بن سعد بن عبادة قال لهم : عباد الله ، أخرِجوا إلينا طَلِبَتَنا منكم ، وادخلوا في هذا الأمر الذي منه خرجتم ، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم ، فإنكم ركبتُم عظيماً من الأمر ، تشهدون علينا بالشِّرْك ، والشِّرْك ظلمٌ عظيم ، وتسفكون دماءَ المسلمين ، وتعدّونهم مشركين ! فقال عبد الله بن شجرة السُّلَمِيّ : إنّ الحقّ قد أضاء لنا ، فلسنا نتابعكم[3] أو تأتونا بمثلِ عمر ، فقال : ما نعلمه فينا غير صاحبنا ، فهل تعلمونه فيكم ؟ وقال : نشدتكم بالله في أنفسكم أن تُهلكوها ، فإني لأرى الفتنةَ قد غلبتْ عليكم !

---

(١) ابن الأثير : « أن يسير » . .
(٢) ساقطة من ط .
(٣) ابن الأثير : « متابعيكم » .

وخطبهم أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاريّ؛ فقال: عبادَ الله، إنّا وإيّاكم على الحال الأولى التي كنا عليها، ليست بيننا وبينكم فُرْقة، فعلام تقاتلوننا؟ فقالوا: إنا لو بايعناكم اليوم حكّمتم غداً. قال: فإنّي أنشُدكم الله أن تعجّلوا فتنة العام مخافةَ ما يأتي في قابل.

قال أبو مخنف: حدّثني مالك بن أعيَن، عن زيد بن وهب، أن عليًّا أتى أهلَ النّهر فوقف عليهم فقال: أيّتها العصابة التي أخرجتْها عداوةُ المراء واللّجاجة، وصدّها عن الحقّ الهَوَى، وطمح بها النَّزَق، وأصبحتْ في اللّبس والخَطْب العظيم. إني نذيرٌ لكم أن تُصبِحوا تُلفيكم الأمّة غداً صَرْعَى بأثناء هذا النّهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بيّنة من ربّكم، ولا برهان بيّن. ألم تعلموا أنيّ نهيتُكم عن الحكومة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم دَهْن ومكيدة لكم! ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحابِ دين ولا قرآن، وأني أعرَفُ بهم منكم، عرفتُهم أطفالا ورجالا، فهم أهلُ المكر والغَدْر، وأنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم! فعصيتموني، حتى أقررت بأن حكّمْتُ، فلما فعلت شرطت واستوثقت، فأخذت على الحكَمين أن يُحييا ما أحيا القرآن، وأن يُميتا ما أماتَ القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة، فنبذنا أمرَهما، ونحن على أمرنا الأوّل، فما الذي بكم؟ ومن أين أتيتم! قالوا: إنا حكّمنا، فلمّا حكّمنا أثمنا، وكنا بذلك كافرين، وقد تُبْنا فإن تبتَ كما تبنا فنحنُ منك ومعك، وإن أبيتَ فاعتزِلْنا فإنا منابِذُوك على سَواء إن الله لا يحبّ الخائنين. فقال عليّ: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم وابر[1]! أبعْدَ إيماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكُفر! لقد ضللتُ إذًا وما أنا من المهتدين. ثم انصرف عنهم.

١/٣٣٧٨

قال أبو مخنف: حدّثني أبو سلَمة الزُّهريّ — وكانت أمّه بنت أنس ابن مالك — أنّ عليًّا قال لأهل النّهر: يا هؤلاء، إنّ أنفسكم قد سوّلت

---

(١) يقال: ما بالدار وابر؛ أي ما بها أحد.

لكم فراقَ هذه الحكومة التى أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كارهٌ ، وأنبأتكم أنّ القوم سألوكمُوها مكيدةً ودَهنًا[1] ، فأبيتم علىّ إباءَ المخالفين ، وعدلتم عنّى عدولَ النّكَداء العاصين ، حتى صرفت رأيى إلى رأيكم ؛ وأنتم والله معاشر أخفّاء الهام ، سُفَهاء الأحلام ، فلم آتِ — لا أبا لكم — حرامًا . والله ما خبلتُكم عن أموركم ، ولا أخفيتُ شيئًا من هذا الأمر عنكم ، ولا أوطأتكم عَشْوَة ، ولا دَنّيتُ لكم الضَّرّاء ، وإن كان أمرُنا لأمرِ المسلمين ظاهرًا ؛ فأجمَعَ رأىُ مَلَئِكم على أن اختاروا رجلين ، فأخذْنا عليهما أن يَحكما بما فى القرآن ولا يَعدُواه ، فتَاها وتركا الحقّ وهما يُبصرانه ، وكان الجوْر هَواهما ، وقد سبق استيثاقُنا عليهما فى الحكم بالعدل ، والصدّ للحق سوءَ[2] رأيهما ، وجَوْر حكمهما . والثقة فى أيدينا لأنفسنا حين خالفا سبيلَ الحق ، وأتيا بما لا يعرف ؛ فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا ، والخروجَ من[3] جماعتنا ؛ إن اختار الناس رجلين أن تضعوا أسيافَكم على عواتقكم ، ثم تَستعرضوا الناس ، تضربون رقابَهم ، وتَسفِكون دماءهم ! إنّ هذا لهو الخسران المبين . والله لو قتلتم على هذا دجاجة لَعَظُم عند الله قتلها ، فكيف بالنفس التى قتلُها عند الله حرامٌ !

١/٣٣٧٩

فتنادَوا : لا تُخاطبوهم ، ولا تكلّموهم ، وتهيئوا للقاء الربّ ، الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنّة ! فخرج علىٌّ فعبّأ الناس ، فجعل على ميمنته حُجْر بن عدىّ ، وعلى ميسرته شَبَث بن رِبْعىّ — أو معقِل بن قيس الرّياحىّ — وعلى الخيل أبا أيوب الأنصارىّ ، وعلى الرّجالة أبا قَتادة الأنصارىّ ، وعلى أهل المدينة — وهم سبعمائة أو ثمانمائة رجل — قيس بن سعد بن عُبادة .

١/٣٣٨٠

قال : وعبّأت الخوارج ، فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حُصَين الطائىّ ، وعلى الميسرة شُريح بن أوفَى العبسىّ ، وعلى خيلهم حمزة بن سنان الأسَدىّ ، وعلى الرّجالة حُرقوص بن زُهير السعدىّ .

(١) دهنًا : خداعًا ، وفى ابن الأثير : « ووهنًا » .

(٢) ط : « بسوء » ، والصواب ما أثبته من نهج البلاغة ١ : ٤٢٢ .

(٣) ابن الأثير : « عن جماعتنا » .

قال : وبعث عليّ الأسود بن يزيد المُرادىّ فى ألفى فارس ، حتى أتى حمزة بن سنان وهو فى ثلثمائة فارس من خيلهم ، ورفع عليٌّ رايةَ أمان مع أبى أيوب ، فناداهم أبو أيوب : مَن جاء هذه الرّاية منكم ممّن لم يقتل ولم يستعرض فهو آمِن ؛ ومَن انصرف منكم إلى الكُوفة أو إلى المدائن وخرج من هذه الجماعة فهو آمِن ؛ إنّه لا حاجة لنا بعد أن نصيب قَتَلةَ إخواننا منكم فى سفك دمائكم . فقال فَرْوة بن نوفل الأشجعىّ : والله ما أدرى على أىّ شىء نقاتل عليّاً ! لا أرى إلا أن أنصرف حتى تنفذ لى بصيرتى فى قتاله أو اتّباعه. وانصرف فى خمسمائة فارس ، حتى نزل البَنْدَنيجَيْن والدَّسْكرة ، وخرجت طائفةٌ أخرى متفرّقين فنزلت الكوفة ، وخرج إلى علىّ منهم نحو من مائة ، وكانوا أربعة آلاف ، فكان الذين بقُوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين وثمانمائة ، وزحفوا إلى علىّ ، وقدّم علىّ الخيلَ دون الرجال ، وصفّ الناس وراء الخيل صَفّين ، وصَفّ المرامية أمامَ الصفّ الأوّل ، وقال لأصحابه : كفّوا عنهم حتى يبدءوكم ، فإنهم لو قد شدّوا عليكم — وجُلّهم رجال — لم ينتهوا إليكم إلا لاغبين وأنتم رادّون حامُون . وأقبلت الخوارج ، فلما أن دنَوا من الناس نادَوا يزيد بن قيس ، فكان يزيد بن قيس على إصبهان . فقالوا : يا يزيد بن قيس ، لا حُكْمَ إلاّ لله ، وإن كرهتْ إصبهان ! فناداهم عباس ابن شريك وقَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّان : يا أعداء الله ، أليس فيكم شُرَيح ابن أوفى المسرِف على نفسه؟ هل أنتم إلا أشباهه ! قالوا : وما حجّتكم على رجل كانت فيه فتنة ، وفينا توبة ! ثمّ تنادَوا : الرّواحَ الرّواحَ إلى الجنّة ! فشدّوا على الناس والخيل أمام الرجال ، فلم تثبت خيل المسلمين لشدّتهم ، وافترقتْ الخيل فرقتين : فِرقة نحو الميمنة ، وأخرى نحو الميسرة ، وأقبلوا نحو الرجال ، فاستقبلتْ المرامية وجوهَهم بالنَّبْل ، وعطفتْ عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرّجال بالرّماح والسيوف ، فوالله ما لَبّثوهم أن أناموهم .

١/٣٣٨١

ثم إنّ حمزة بن سنان صاحبَ خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه أن انزِلوا ، فذهبوا لينزِلوا فلم يتقارّوا حتى حمل عليهم الأسود بن قيس المرادىّ ، وجاءتهم الخيل من نحو علىّ ، فأهمِدوا فى الساعة .

٢٣٨٢/١ قال أبو مخنف : فحدّثني عبد الملك بن مسلم بن سلام بن ثُمامة الحنفيّ ، عن حكيم بن سعد ، قال : ما هو إلاّ أنْ لقينا أهلَ البصرة ، فما لبّثناهم ، فكأنما قيل لهم : موتوا ؛ فماتوا قبل أن تشتدّ شوكتهم ، وتعظمَ نكايتُهم .

قال أبو مخنف : فحدّثني أبو جنَاب ؛ أنّ أبا أيّوبَ أتى عليًّا ، فقال : يا أميرالمؤمنين ، قتلتُ زيدَ بن حُصين ، قال : فما قلتَ له وما قال لك ؟ قال : طعنتُه بالرّمح في صدره حتى نجمَ من ظهره ؛ قال : وقلتُ له : أبشر يا عدوّ الله بالنار ! قال : ستعلم أيُّنا أولَى بِها صِليًّا ؛ فسكت عليٌّ عليها .

قال أبو مِخنف ، عن أبي جنَاب : إنّ عليًّا قال له : هو أوْلى لها صِليًّا . قال : وجاء عائذ بن حملة التميميّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، قتلتُ كلابًا ، قال : أحسنت ! أنت محقّ قتلتَ مُبطِلا . وجاء هانئ بن خطاب الأرْحَبيّ وزياد بن خَصَفة يحتجّان في قتل عبدِ الله بن وهب الراسبيّ ، فقال لهما : كيف صنعتما ؟ فقالا : يا أمير المؤمنين ، لما رأيناه عرفناه ، وابتدرناه فطعنّاه برمْحَيْنا ، فقال عليّ : لا تختلفا ، كلاكُما قاتِل . وشدّ جيش بن ربيعة أبو المعتمر الكنانيّ على حُرقوص بن زهير فقَتلَه ، وشدّ عبد الله بن زَحْر الخَوْلانيّ على عبدِ الله بن شَجرَة السُّلَميّ فقتله ، ووقع شُريح بن أوفَى إلى جانب جدار ، فقاتل على ثُلْمة فيه طويلا من نَهار ، وكان قَتَل ثلاثةً من هَمْدان ، فأخذ يرتجز ويقول :

قد عَلِمَتْ جارِيَةٌ عَبْسِيَّهْ ناعِمَةٌ في أَهلِها مَكْفِيَّهْ

٢٣٨٣/١ * أَنِّي سَأَحْمِي ثُلْمَتِي العَشِيَّهْ *

فشدّ عليه قيسُ بن معاوية الدُّهنيّ فقطع رجلَه ، فجعل يقاتلهم ، ويقول :

* القَرْمُ يَحْمي شَوْلَهُ مَعْقولَا *

ثم شدّ عليه قيس بن معاوية فقتله ، فقال الناس :

اقتَتَلَتْ هَمْدانُ يَوْمًا ورَجُلْ اقتَتَلوا مِنْ غُدْوة حتى الأَصُلْ

* فَفتحَ اللهُ لَهمْدانَ الرَّجُلْ

وقال شُريح :

أَضْربُهُمْ وَلَوْ أَرَى أَبا حَسَنْ ضَرَبْتُهُ بالسيفِ حتى يَطْمَئِنّْ

وقال :

أَضْرِبُهُمْ ولو أَرَى عَلِيًّا أَلْبَسْتُهُ أَبْيَضَ مَشْرَفِيًّا

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الملك بن أبي حرّة ، أنّ عليًّا خرج في طلب ذي الثُّدَيّة ومعه سليمان[1] بن ثُمامة الحنفيّ أبو جَبْرة ، والرّيان بن صبرة ابن هَوْذة ، فوجده الرّيان بن صبرة بن هَوْذة في حُفْرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلاً . قال : فلما استُخرِج نظر إلى عَضُدِه ، فإذا لحم مجتمع على منكبه كثَدْي المرأة ، له حَلَمة عليها شَعَرات سُود ، فإذا مُدّت امتدّت حتى تحاذي طول يده الأخرى ، ثم تُترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة ، فلما استُخرِج قال عليّ : الله أكبر ! والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت ، أما والله لولا أن تنكلوا عن العمل ، لأخبرتُكم بما قضى الله على لسان نبيّه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم ، عارفًا للحقّ الذي نحن عليه . قال : ثم مرّ وهم صرعَى فقال : بؤسًا لكم ! لقد ضرّكم مَن غرّكم ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، مَن غرّهم ؟ قال : الشيطان ، وأنفسٌ بالسوء أمّارة ، غرّتهم بالأمانيّ ، وزيّنتْ لهم المعاصي ، ونبّأتهم أنهم ظاهرون . قال : وطلب مَن به رَمَق منهم فوجدناهم أربعمائة رجل ، فأمر بهم عليّ فدُفِعوا إلى عشائرهم ، وقال : احملوهم معكم فداوُوهم ، فإذا بَرِئوا فوافُوا بهم الكوفة ، وخذوا ما في عسكرهم من شيء .

قال : وأما السلاح والدّوابّ وما شهدوا به عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين ، وأما المتاع والعبيد والإماء فإنه حين قدم ردّه على أهله . وطلب عديّ بن حاتم ابنه طَرَفة فوجده ، فدَفَنه ، ثم قال : الحمد لله الذي ابتلاني بيومك على حاجتي إليك . ودَفَن رجالٌ من الناس قتلاهم ،

١ / ٣٣٨٤

(١) ابن الأثير : « سليم » .

فقال أمير المؤمنين حين بلغه ذلك : ارتحلوا إذاً ، أتقتلونهم ثم تدفنونهم ! فارتحل الناس .

قال أبو مخنف عن مجاهد ، عن المحل بن خليفة : أن رجلا منهم من بنى سدوس يقال له العيزار بن الأخنس كان يرى رأى الخوارج ، خرج إليهم ، فاستقبل وراء المدائن عدىّ بن حاتم ومعه الأسود بن قيس والأسود بن يزيد المراديان ، فقال له العيزار حين استقبله : أسالمٌ غانم ، أم ظالمٌ آثم ؟ فقال عدىّ : لا ، بل سالمٌ غانم ، فقال له المراديان : ما قلت هذا إلا لشرّ فى نفسك ، وإنك لنعرفك يا عيزار برأى القوم ، فلا تفارقنا حتى نذهب بك إلى أمير المؤمنين فنخبره خبرك . فلم يكن بأوشك أن جاء علىّ فأخبراه خبره ، وقالا : يا أميرَ المؤمنين ، إنه يرى رأىَ القوم ، قد عرفناه بذلك ، فقال : ما يحل لنا دمه ، ولكنا نحبسه ، فقال عدىّ بن حاتم : يا أميرَ المؤمنين ، ادفعه إلىّ وأنا أضمن ألّا يأتيك من قبله مكروه. فدفعه إليه . ٣٣٨٥/١

قال أبو مخنف : حدّثنى عمران بن حدير ، عن أبى مجلز ، عن عبد الرحمن بن جندب بن عبد الله ، أنه لم يقتل من أصحاب علىّ إلا سبعة .

قال أبو مخنف ، عن نمير بن وعلة اليناعى[1] ، عن أبى درداء ، قال : كان علىّ لما فرغ من أهل النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنّ الله قد أحسن بكم ، وأعزّ نصركم ، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم . قالوا : يا أمير المؤمنين ، نفدتْ نبالنا ، وكلّت سيوفنا ، ونصلتْ أسنّة رماحنا ، وعاد أكثرها قصداً[2] ، فارجع إلى مصرنا ، فلنستعدّ بأحسن عدّتنا ، ولعلّ أمير المؤمنين يزيد فى عدّتنا عدّة من هلك منا ، فإنه أوفى[3] لنا على عدوّنا . وكان الذى تولى ذلك الكلام الأشعث بن قيس ، فأقبل حتى نزل النخيلة ، فأمر الناسَ أن يلزموا عسكرهم ، ويوطّنوا على الجهاد أنفسهم ، وأن يقلّوا زيارةَ نسائهم وأبنائهم حتّى يسيروا إلى عدوّهم ، فأقاموا فيه أياماً ، ثم

(١) ط : « الساعى » ، وانظر المشتبه : ١٠٥

(٢) قصداً ؛ أى قطعاً منكسرة ؛ الواحدة قصدة . (٣) ابن الأثير والنويرى : « أقوى ».

تسلّلوا من معسكرهم ، فدخلوا إلا رجالا من وجوه الناس قليلاً ، وتُرك العسكر خاليًا ، فلما رأى ذلك دخل الكوفة ، وانكسر عليه رأيُه فى المسير . ٣٣٨٦/١

قال أبو مخنف عمّن ذكره ، عن زيد بن وهب : إنّ عليًّا قال للناس — وهو أوّل كلام قاله لهم بعد النّهر :

أيّها الناس ، استعدّوا للمسير إلى عدوّ[1] فى جهاده القُربة إلى الله ودرَك الوسيلة عنده . حيارَى فى الحقّ ، جُفاة عن الكتاب ، نُكُبٌ عن الدّين ، يَعمَهون فى الطّغيان ، ويُعكَسون فى غَمْرة الضلال ، فأعِدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ، وتوكّلوا على الله ، وكفى بالله وكيلا ، وكفى بالله نصيراً !

قال : فلا هم نفروا ولا تيسّروا ، فتركهم أيامًا حتى إذا أيس من أن يفعلوا ، دعا رؤساءهم ووجوهَهم ، فسألهم عن رأيهم ، وما الذى يُنظرهم[2] ، فمنهم المعتلّ ، ومنهم المكرَه ، وأقلّهم من نَشِط . فقام فيهم خطيبًا ، فقال :

عبادَ الله ، ما لكم إذا أمرتُكم أن تنفِروا اثّاقلتم إلى الأرض ! أرَضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، وبالذّل والهوان من العزّ ! أوَ كلّما ندبتُكم إلى الجهاد دارت أعينُكم كأنكم من الموت فى سَكْرة ، وكأنّ قلوبكم مألوسة[3] فأنتم لا تعقلون ! وكأن أبصاركم كُمْه فأنتم لا تُبصِرون . لله أنتم ! ما أنتم إلا أُسُود الشرَى فى الدّعة ، وثعالبُ رَوّاغة حين تُدْعَوْن إلى البأس . ما أنتم لى بثقة سَجيسَ الليالى[4] ، ما أنتم بركْب يُصالُ بكم ، ولا ذى عِزّ يُعتصَم إليه . لَعمرُ الله ، لبئس حُشّاش الحرب أنتم[5] ! إنكم تُكادون ولا تَكيدون ، ويتنقّص أطرافكم ولا تتحاشوْن ، ولا يُنام عنكم وأنتم فى غفلة ساهون ؛ إن أخا الحرب اليَقْظان ذو عقل ، وبات لذلّ مَن وادَع ، وغلبَ المتجادلون ، والمغلوب مقهور ومسلوب . ثم قال : أما بعد ، فإنّ لى عليكم ٣٣٨٧/١

---

(١) ابن الأثير : « عدوكم » . (٢) ابن الأثير : « يبطىء بهم » .
(٣) مألوسة ؛ من الألس وهو ذهاب العقل . (٤) سجيس الليالى ؛ أى الدهر كلّه .
(٥) حشاش حرب ، من حش النار ، إذا أشعلها .

حقًّا ، وإن لكم علىّ حقًّا ، فأمّا حقكم علىّ فالنّصيحة لكم ما صحبتُكم ، وتوفيرُ فَيْئكم عليكم ، وتعليمُكم كيما لا تجهلوا ، وتأديبُكم كى تَعلَّموا ؛ وأما حقى عليكم فالوفاء بالبيعة ، والنصح لى فى الغيب والمشهد ، والإجابة حين أدعوكم ، والطاعة حين آمركم ، فإن يُرِد اللهُ بكم خيراً انتزعتم عما أكره ، وتَراجَعوا إلى ما أحِبّ ، تنالوا ما تَطلُبون ، وتُدرِكوا ما تأمُلون .

وكان غير أبى مخنف يقول: كانت الوقعة بين علىّ وأهل النّهر سنة ثمان وثلاثين ، وهذا القول عليه أكثرُ أهل السِّيَر .

ومِمّا يصحّحه أيضًا ما حدّثنى به عُمارة الأسدىّ، قال: حدّثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا نعيم، قال: حدّثنى أبو مريم أن شَبَث بنَ رِبْعىّ وابن الكوّاء خرَجا من الكُوفة إلى حَروراء، فأمر علىٌّ الناسَ أن يخرجوا بسلاحهم ، فخرجوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم ، فأرسل إليهم : بئسَ ما صنعتمْ حين تدخلون المسجدَ بسلاحكم ! اذهَبوا إلى جبّانة مُراد حتى يأتيَكم أمرى . ٣٣٨٨/١

قال أبو مريم: فانطلقْنا إلى جبانة مُراد فكنّا بها ساعة من نهار، ثم بلغَنا أن القوم قد رجعوا وهم زاحفون. قال: فقلت: أنطلق أنا حتى أنظرَ إليهم، فانطلقت حتى أتخلّل صفوفَهم ، حتى انتهيت إلى شَبَث بن رِبعىّ وابن الكوّاء وهما واقفان متورّكان على دابّتيهما ، وعندهما رسل علىٍّ وهم يناشدونَهما اللهَ لمّا رجعا بالناس ! ويقولون لهم : نعيذكم بالله أن تعجَلوا بفتنة العام خشية عام قابل. فقام رجل إلى بعض رسل علىّ فعقر دابته ، فنزل الرجل وهو يسترجع ، فحمل سرجَه، فانطلق به وهم يقولون : ما طلبُنا إلا منابذتهم، وهم يناشدونهم اللهَ، فمكثْنا ساعة ، ثم انصرفوا إلى الكُوفة كأنه يوم فِطْر أو أضحَى .

قال: وكان علىٌّ يحدّثنا قبل ذلك أنّ قومًا يَخرُجون من الإسلام يَمرُقون من الدين كما يَمرُق السهم من الرميّة، علامتهم رجل مخْدَج اليد . قال : وسمعتُ ذلك منه مرارًا كثيرة ، قال : وسمعه نافع « المخدج » أيضًا — حتى رأيته يتكرّه طعامه من كثرة ما سمعه، يقول: وكان نافع معنا يصلى فى المسجد بالنهار ويبيت فيه بالليل ، وقد كنت كسوتُه بُرْنُسًا ، فلقيته من الغد ، فسألتُه: هل كان

خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حَرُوراء ؟ فقال : خرجت أريدُهم حتى إذا بلغت إلى بنى سعد ، لقيَنى صبيان فنزَعوا سلاحى ، وتلعّبوا بى ، فرجعت حتى إذا كان الحوْل أو نحوه خرج أهل النّهر ، وسار علىّ إليهم ، فلم أخرج معه وخرج أخى أبو عبد الله . قال : فأخبرنى أبو عبد الله أنّ عليًّا سار إليهم حتى إذا كان حذاءَهم على شطّ النّهروان أرسل إليهم يناشدُهم اللهَ ويأمرهم أن يرجعوا ، فلم تزل رسُلُه تختلف إليهم ، حتى قتَلوا رسولَه ، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتَلهم حتى فرغ منهم ، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدَج ، فالتمَسوه ، فقال بعضهم : ما نجدُه ، حتى قال بعضهم : لا ، ما هو فيهم . ثم إنه جاء رجل فبشّره وقال : يا أمير المؤمنين ، قد وجدناه تحت قتيلين فى ساقية . فقال : اقطَعوا يدَه المخدَجة ، وأتونى بها ، فلما أُتِى بها أخَذها ثم رَفَعها ، وقال : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبتُ .

١/٣٣٨٩

قال أبو جعفر : فقد أنبأ أبو مريم بقوله : « فرجعت حتى إذا كان الحول أو نحوه ، خرج أهل النهر » ، أنّ الحرب التى كانت بين علىّ وأهل حَرُوراء كانت فى السنة التى بعد السنة التى كان فيها إنكار أهل حَروراءَ على علىّ التحكيم ، وكان ابتداء ذلك فى سنة سبع وثلاثين على ما قد ثبت قبلُ ، وإذا كان كذلك ، وكان الأمر على ما روينا من الخبر عن أبى مريم ، كان معلومًا أنّ الوقعة كانت بينه وبينهم فى سنة ثمان وثلاثين .

وذكر علىّ بن محمد ، عن عبد الله بن ميمون ، عن عمرو بن شُجَيرة ، عن جابر ، عن الشعبىّ ، قال : بعث علىّ بعد ما رجع من صِفّين جَعْدة ابن هبيرة المخزومىّ ، وأمّ جعدة أمّ هانئ بنت أبى طالب ــ إلى خُراسان ، فانتهى إلى أبْرشهر وقد كفَروا وامتنعوا ، فقدم على علىّ ، فبعث خُليد بن قرّة اليربوعىّ فحاصر أهل نَيْسابور حتى صالحوه ، وصالحه أهلُ مرْو .

١/٣٣٩٠

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة ــ أعنى سنة سبع وثلاثين ــ عبيد الله بن عبّاس ، وكان عامل علىّ على اليَمن ومخاليفها . وكان على مكة والطائف قُثَم بن

العبّاس ، وعلى المدينة سهل بن حُنَيف الأنصاريّ ، وقيل : كان عليها تمّام ابن العباس . وكان على البصرة عبد الله بن العباس ، وعلى قضائها أبو الأسود الدُّؤَلِيّ ، وعلى مصر محمد بن أبي بكر ، وعلى خُراسانَ خليد بن قرّة اليربوعيّ .

وقيل : إن عليًّا لما شخص إلى صِفّين استَخلَف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ ؛ حدّثني أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيّ ، قال : حدّثنا عبدُ الله بن إدريس ، قال : سمعتُ ليثًا ذكر عن عبد العزيز بن رُفَيع ، أنه لما خرج عليّ إلى صِفّين استخلف على الكوفة أبا مسعود الأنصاريّ عقبة بن عمرو . وأمّا الشام فكان بها معاوية بن أبي سُفْيان .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها مَقتَل محمّد بن أبى بكر بمصر، وهو عاملٌ عليها، وقد ذكرنا سببَ تولية علىٍّ إياه مصر، وعزل قيس بن سعد عنها، ونذكر الآن سببَ قتله، وأين قتل؟ وكيف كان أمره؟ ونبدأ بذكر من تتمّة حديث الزّهرىّ الذى قد ذكرنا أوّله قبلُ، وذلك ما حدّثنا عبد الله، عن يونس، عن الزّهرىّ، قال: لما حُدّث قيس بن سعد بمجىء محمد بن أبى بكر، وأنه قادم عليه أميراً، تلقّاه وخلاَ به وناجاه، فقال: إنك جئت من عند امرئ لا رأىَ له، وليس عزْلُكم إيّاىَ بمانعى أن أنصح لكم، وأنا مِن أمرِكم هذا على بصيرة، وإنى فى ذلك على الذى كنت أكايد به معاوية وعمراً وأهل خِرِبْتا، فكايدْهم به، فإنك إن تكايدْهم بغيره تَهلِك. ووصف قيس ابن سعد المكايدة التى كان يكايدهم بها، واغتشّه محمد بن أبى بكر، وخالف كلّ شىء أمره به. فلما قدم محمد بن أبى بكر وخرج قيس قِبَل المدينة بعث محمد أهلَ مصر إلى خِرِبْتا، فاقتتلوا، فهزِم محمد بن أبى بكر، فبلغ ذلك معاوية وعمرًا، فسارا بأهل الشام حتى افتتحا مصر، وقَتَلا محمد بن أبى بكر، ولم تزل فى حيّز معاوية، حتى ظهر. وقدم قيس بن سعد المدينة، فأخافه مروان والأسود بن أبى البَخْترىّ، حتى إذا خاف أن يؤخذ أو يُقتَل ركب راحلته، وظهر إلى علىّ. فكتب معاوية إلى مرْوان والأسود يتغيّظ عليهما ويقول: أمددتُما عليًّا بقيس بن سعد ورأيه ومكايَدته، فوالله لو أنّكما أمددتُماه بمائة ألفِ مقاتل ما كان بأغيظَ إلىّ من إخراجِكما قيسَ بن سعد إلى علىّ. فقدم قيس بن سعد على علىّ، فلما باثّه الحديثَ، وجاءهم قتلُ محمد بن أبى بكر، عرف أنّ قيس بن سعد كان يوازى أمورًا عظامًا من المكايدة، وأنّ مَن كان يشير عليه بعزل قيس بن سعد لم يَنصَح له.

وأمّا ما قال فى ابتداء أمرِ محمد بن أبى بكر فى مصيرِه إلى مصر وولايته

إياها أبو مخنف ، فقد تقدّم ذكرُنا له ، ونذكر الآن بقيّة خبره فى روايته ما روى من ذلك عن يزيد بن ظَبْيان الهَمْدانىّ، قال: ولما قتل أهل خِرْبتا ابنَ مضاهم الكلبىّ الذى وجّهه إليهم محمد بن أبى بكر، خرج معاوية بن حُديج الكندىّ ثم السَّكُونىّ ، فدعا إلى الطلب بدم عثمانَ ، فأجابه ناس آخَرون ، وفسدتْ مصر على محمد بن أبى بكر ، فبلغ عليًّا وثوبُ أهل مصرَ على محمد بن أبى بكر ، واعتمادُهم إياه ، فقال : ما لمصرَ إلا أحد الرَّجُلين ! صاحبنا الّذى عزلْناه عنها — يعنى قيسًا — أو مالك بن الحارث — يعنى الأشتر . قال : وكان علىّ حين انصرف من صِفّين ردّ الأشترَ على عمله بالجزيرة ، وقد كان قال لقيس بن سعد : أقم معى على شُرَطِى حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة، ثم اخرج إلى أذْرَبيجان؛ فإنّ قيسًا مقيم مع علىّ على شُرْطته . فلما انقضى أمرُ الحكومة كتب علىّ إلى مالك بن الحارث الأشتر ، وهو يومئذ بنَصيبين : أمّا بعد، فإنك ممّن استظهرتُه على إقامة الدين، وأقمعُ به نخوةَ الأثيم ، وأشُدّ به الثّغر المَخُوف . وكنت ولّيت محمد بن أبى بكر مصر ، فخرجتْ عليه بها خوارج، وهو غلامٌ حدَث ليس بذى تجربة للحَرْب ، ولا بمجرّب للأشياء ، فاقدم علىّ لننظر فى ذلك فيما ينبغى ، واستخلِفْ على عَملك أهلَ الثقة والنصيحة من أصحابك . والسلام . ٣٣٩٣/١

فأقبَل مالكٌ إلى علىٍّ حتى دخل عليه ، فحدّثه حديثَ أهل مصرَ، وخبّره خبرَ أهلها ، وقال : ليس لها غيرك ، اخرج رحمَك الله ! فإنى إن لم أوصك اكتفيتُ برأيك. واستعِن بالله على ما أهمّك، فاخلِط الشدّة باللِّين، وارفق ما كان الرفق أبلَغ ، واعتزِم بالشدّة حين لا يغنى عنك إلا الشدّة .

قال : فخرج الأشتر من عند علىّ فأتى رحله ، فتهيّأ للخروج إلى مصر ، وأتت معاويةَ عيونُه ، فأخبروه بولاية علىّ الأشتر ، فعظُم ذلك عليه ، وقد كان طمع فى مصر ، فعلم أن الأشتر إنْ قدمها كان أشدّ عليه من محمد ابن أبى بكر ، فبعث معاوية إلى الجايستار — رجل من أهل الخراج — فقال له : إنّ الأشتر قد وُلِّىَ مصر ، فإن أنت كفَيْتَنيه لم آخذْ منك خراجًا ما بقيتَ ، فاحتلْ له بما قدرتَ عليه . فخرج الجايستار حتى أتى القُلْزم

وأقام به ، وخرج الأشتر من العراق إلى مصرَ ، فلما انتهى إلى القلزُم استقبله الجايستار، فقال: هذا منزل، وهذا طعامٌ وعلَف، وأنا رجلٌ من أهل الخراج، فنزل به الأشتر ، فأتاه الدِّهقان بعلَف وطعام ، حتى إذا طعِم أتاه بشربة من عسَل قد جعل فيها سُمًّا فسقاه إيّاه ، فلما شربها مات . وأقبل معاوية يقول لأهل الشأم : إنّ عليًّا وجّه الأشتر إلى مصرَ ، فادعوا اللهَ أن يكفيكُموه . قال : فكانوا كلّ يوم يدْعون الله على الأشتر ، وأقبل الذى سقاه إلى معاوية فأخبرَه بمَهلِك الأشتر ، فقام معاوية فى الناس خطيبًا ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه وقال : أمّا بعد ، فإنه كانت لعلىّ بن أبى طالب يدان يمينان، قُطعتْ إحداهما يومَ صِفِّين — يعنى عمّار بن ياسر — وقُطِعت الأخرى اليوم — يعنى الأشتر . ٣٣٩٤/١

قال أبو مخنف: حدّثنى فُضَيل بن خَدِيج، عن مولًى للأشتر، قال: لما هلك الأشتر وجدْنا فى ثَقَله رسالة علىّ إلى أهل مصر :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من عبدِ الله علىّ أمير المؤمنين إلىّ أمّة المسلمين الذين غَضِبوا لله حين عُصِىَ فى الأرض،وضرَب الجورُ بأرواقه على البَرّ والفاجر ، فلا حقّ يُستَراح إليه ، ولا منكَر يُتناهَى عنه . سلام عليكم ، فإنى أحمَد اللهَ إليكم الذى لا إله إلا هو . أما بعد فقد بعثتُ إليكم عبدًا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ، ولا يَنكل عن الأعادى حِذارَ الدّوائر، أشدّ على الكفّار من حريقِ النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذحِج ، فاسمَعوا له وأطيعوا ، فإنه سيفٌ من سيوف الله ، لا نابى الضّريبة ، ولا كَليل الحدّ ، فإن أمرَكم أن تَقدموا فأقدموا، وإن أمرَكم أن تَنفِروا فانفروا ، فإنه لا يُقدم ولا يُحجم إلا بأمرى ، وقد آثرتكم به على نفسى لنُصحِه لكم،وشدّة شكيمته على عدوّكم،عصمَكم الله بالهدى، وثبّتكم على اليقين. والسلام.

٣٣٩٥/١ قال : ولما بلغ محمّد بن أبى بكر أنّ عليًّا قد بعث الأشتر شقّ عليه ، فكتب علىّ إلى محمد بن أبى بكر عند مَهلِك الأشتر ، وذلك حين بلغه مَوْجِدةُ محمد بن أبى بكر لقُدوم الأشتر عليه : بسم الله الرحمن الرّحيم ،

من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر ، سلامٌ عليك ، أما بعد ؛ فقد بلغني موجِدَتُك من تسريحي الأشترَ إلى عَمَلِك ، وإني لم أفعل ذلك استبطاءً لك في الجهاد ، ولا ازدياداً مني لك في الجِدّ ، ولو نزعتُ ما تحتَ يدك من سلطانك لولّيتُك ما هو أيسرُ عليكَ في المئونة ، وأعجب إليك ولايةً منه . إنّ الرجل الذي كنتُ وليته مصرَ كان لنا نصيحاً ، وعلى عدوّنا شديداً ، وقد استكمَل أيّامَه ، ولاقَى حِمامَه ، ونحن عنه راضُون ، فرضي الله عنه ، وضاعَفَ له الثواب ، وأحسَنَ له المآب . اصبر لعدوّك ، وشمِّر للحرب ، وادعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأكثِرْ ذكرَ الله ، والاستعانةَ به ، والخوفَ منه ، يَكفِك ما أهمّك ، ويُعِنْك على ما ولّاك ، أعاننا الله وإيّاك على ما لا يُنال إلا برحمته . والسلام عليك .

فكتب إليه محمد بن أبي بكر جوابَ كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله عليٍّ أمير المؤمنين من محمد بن أبي بكر ، سلامٌ عليك ، فإنّي أحمد الله إليك الذي لا إلهَ غيره ، أما بعد ، فإنّي قد انتهى إليّ كتابُ أمير المؤمنين ، ففهِمْته وعرفتُ ما فيه ، وليس أحد من الناس بأرضَى مني برأي أميرِ المؤمنين ، ولا أجهَد على عدوّه ، ولا أرأف بوليّه مني ، وقد خرجتُ فعسكرتُ ، وأمّنتُ الناس إلا من نَصَب لنا حرباً ، وأظهَر لنا خلافاً ، وأنا متّبع أمرَ أمير المؤمنين وحافظُه ، وملتجئ إليه ، وقائمٌ به ، والله المستعان على كلّ حال ؛ والسلام عليك .

١ / ٣٣٩٦

قال أبو مخنف : حدّثني أبو جَهضم الأزديّ — رجل من أهل الشأم — عن عبد الله بن حَوالة الأزديّ ، أنّ أهل الشأم لما انصرفوا من صفّين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحَكَمان ، فلما انصرفا وتفرّقا بايع أهلُ الشأم معاويةَ بالخلافة ، ولم يزدد إلا قوّة ، واختلف الناسُ بالعراق على عليّ ، فما كان لمعاوية همٌّ إلا مصر ، وكان لأهلها هائباً خائفاً ، لقربهم منه ، وشدّتهم على من كان على رأيِ عثمان ، وقد كان عَلَى ذلك عالِم أن بها قوماً قد ساءهم قتلُ عثمانَ ، وخالفوا عليّاً ؛ وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهَر عليها ظهر على حرب عليّ ، لعظم خَراجها . قال : فدعا معاوية من كان معه من قريش :

عمرَو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبُسْرَ بن أبى أرطاة والضحّاك بن قيس وعبدَ الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ ومن غيرهم أبا الأعور عَمرَو بن سُفيان السُّلَمىّ وحمزةَ بن مالك الهَمْدانىّ ، وشُرَحبيل بن السِّمْط الكِندىّ فقال لهم : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ إنّى قد دعوتُكم لأمر مُهِمّ أحبّ أن يكون اللهُ قد أعانَ عليه ، فقال القوم كلهم — أو من قال منهم : إنّ الله لم يُطلِع على الغيب أحداً ، وما يُدرينا ما تُريد ! فقال عمرو بن العاص :

٣٣٩٧/١ أرى والله أمرَ هذه البلاد الكثير خراجُها ، والكثير عَدَدُها وعدد أهلها ، أهمّك أمرُها ، فدعوتَنا إذاً لتسألَنا عن رأينا فى ذلك ، فإن كنتَ لذلك دعوتَنا ، وله جمعتَنا ، فاعزم وأقدِم ، ونِعمَ الرأى رأيتَ ! فى افتتاحها عِزُّك وعزّ أصحابك ، وكَبْتُ عدوّك ، وذلّ أهل الخلاف عليك. قال له معاوية مجيباً : أهمّك يا بن العاصِ ما أهمّك — وذلك لأنّ عمرو بنَ العاص كان صالَح معاويةَ حين بايعه على قتال علىّ بن أبى طالب ، على أنّ له مصرَ طُعْمةً ما بقِىَ — فأقبل معاوية على أصحابه فقال : إنّ هذا — يعنى عَمراً — قد ظنّ ثم حقّق ظنّه ، قالوا له : لكنا لا ندرِى ؛ قال معاوية : فإنّ أبا عبد الله قد أصاب ، قال عمرو : وأنا أبو عبد الله ؛ قال : إنّ أفضل الظُّنون ما أشبه اليقين .

ثمّ إنّ معاوية حمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فقد رأيتم كيف صنع اللهُ بكم فى حربكم عدوّكم ، جاءوكم وهم لا يَرَوْن إلّا أنهم سيقيضون بَيضتَكم ، ويُخربون بلادَكم ، ما كانوا يرَون إلّا أنكم فى أيديهم ، فردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً مما أحبّوا ، وحاكَمْناهم إلى الله، فحكم لنا عليهم . ثم جمع لنا كلمتَنا ، وأصلح ذاتَ بينِنا ، وجعلهم أعداء متفرّقين يشهدُ بعضُهم على بعض بالكُفْر ، ويسفِك بعضهم دَم بعض . واللهِ إنّى لأرجو أن يتمّ لنا هذا الأمر ، وقد رأيت أن نُحاول أهلَ مصرَ ، فكيف ترَوْن ارتئاءنا لها ! فقال عمرو : قد أخبرتُك عمّا سألتَنى عنه ، وقد أشرتُ عليك بما سمعت ؛ فقال معاوية : إنّ عَمراً قد عزم وصَرَم ، ولم يفسّر . فكيف لى

٣٣٩٨/١ أن أصنع ! قال له عمرو : فإنّى أشير عليك كيف تصنع ، أرى أن تَبعث

جيشاً كثيفاً ، عليهم رجلٌ حازم صارم تأمَنُه وتثق به ، فيأتي مصرَ حتى يدخلَها ، فإنه سيأتيه مَن كان من أهلها على رأينا فيظاهرُه على مَن بها من عدوّنا ، فإذا اجتمع بها جندُك ومَن بها من شيعتك على مَن بها من أهل حربك، رجوتُ أن يعين الله بنصرك ، ويُظهِر فَلْجَك . قال له معاوية : هل عندك شيء دون هذا يُعمَل به فيما بيننا وبينهم ؟ قال : ما أعلمه . قال : بلى ، فإنّ غير هذا عندي، أرى أن نكاتب مَن بها من شيعتنا ،ومَن بها من أهل عدوّنا ، فأمّا شيعتنا فآمُرُهم بالثبات على أمرهم، ثم أمنّيهم قدومَنا عليهم ، وأما مَن بها من عدوّنا فندعوهم إلى صُلْحنا، ونمنّيهم شكرَنا ، ونخوّفهم حرْبنا ، فإن صلَح لنا ما قِبَلهم بغير قتال فذاك ما أحببنا ؛ وإلاّ كان حربُهم من وراء ذلك كلّه . إنك يابن العاص امرؤ بُورِك لك في العَجَلة ، وأنا امرؤٌ بورك لي في التُّؤَدة ، قال : فاعمل بما أراك الله ، فوالله ما أرى أمرَك وأمرَهم يصير إلاّ إلى الحرب العَوان . قال : فكتب معاوية عند ذلك إلى مسلمة بن مخلّد الأنصاريّ وإلى معاوية بن حُدَيج الكِنديّ — وكانا قد خالفا عليًّا : بسم الله الرّحمن الرّحيم . أمّا بعد، فإنّ الله قد ابتعثكما لأمر عظيم أعظمَ به أجرَكما ، ورفع به ذِكرَكما ، وزيّنكما به في المسلمين ؛ طَلَبكما بدم الخليفةِ المظلوم، وغضبكما لله إذ تُرِك حكم الكتاب، وجاهدتما أهلَ البغي والعُدوان . فأبشروا برضوان الله ، وعاجل نصرِ أولياءِ الله، والمواساة لكما في الدنيا وسلطاننا حتى يَنْتَهِيَ في ذلك ما يرْضيكما، ونؤدّي به حقّكما إلى ما يصير أمرُكما إليه. فاصبروا وصابروا عدوّكما ، وادعوا المدبر إلى هُداكما وحفظِكما . فإنّ الجيش قد أظلّ عليكما . فانقشع كلّ ما تكرهان . وكان كلّ ما تهوَيان ، والسلام عليكما . ١ : ٣٣٩٩

وكَتب هذا الكتابَ وبَعث به مع مولًى له يقال له سُبَيع .

فخرج الرسول بكتابه حتى قدم عليهما مصر ومحمد بن أبي بكر أميرها ، وقد ناصَب هؤلاء الحربَ بها ، وهو غير متخوّن بها يوم الإقدام عليه . فدفع كتابَه إلى مسلمة بن مخلّد وكتابَ معاوية بن حُدَيج ، فقال مسلمة : امضِ بكتاب معاوية إليه حتى يقرأه . ثم القني به حتى أجيبه عني وعنه ، فانطلق

الرسول بكتاب معاويةَ بن حُدَيج إليه، فأقرأه إيّاه، فلما قرأه قال: إنّ مسلمة ابن مخلّد قد أمرني أن أردّ إليه الكتاب إذا قرأتَه لكي يجيبَ معاوية عنك وعنه. قال: قل له فليفعل؛ ودفع إليه الكتاب، فأتاه. ثم كتب مسلمة عن نفسه وعن معاوية بن حُدَيج: أما بعد، فإنّ هذا الأمر الذي بذلنا له نفسَنا، واتّبعْنا أمرَ الله فيه، أمرٌ نرجو به ثوابَ ربّنا، والنصرَ ممن خالفنا، وتعجيلَ النِّقمة لمن سعَى على إمامنا، وطأطأ الرّكض في جهادنا، ونحن بهذا الحيِّز من الأرض قد نَفَينا مَن كان به من أهل البغي، وأنهضْنا من كان به من أهل القِسْط والعدل، وقد ذكرتَ المواساة في سلطانك ودنياك، وبالله إنّ ذلك لأمرٌ ما لَه نهضْنا، ولا إيّاه أردْنا، فإنْ يجمع الله لنا ما نطلب، ويؤتنا ما تمنّينا، فإنّ الدنيا والآخرةَ لله ربِّ العالمين، وقد يؤتيهما الله معًا عالمًا من خلقه، كما قال في كتابه، ولا خلفَ لموعوده، قال: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، عجّل علينا خيلَك ورَجْلك، فإنّ عدوّنا قد كان علينا حربًا، وكنا فيهم قليلا، فقد أصبحوا لنا هائبين، وأصبحْنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمَدَد من قِبَلك يفتح الله عليكم، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ والسلام عليك.

١/٣٤٠٠

قال: فجاءه هذا الكتاب وهو يومئذ بفلَسطين، فدعا النّفرَ الذين سمّاهم في الكتاب فقال: ماذا ترون؟ قالوا: الرّأي أن تبعث جُنداً من قِبَلك، فإنك تفتتحها بإذن الله. قال معاوية: فتجهّز يا أبا عبد الله إليها — يعني عمرَو بنَ العاص — قال: فبعثه في ستة آلاف رجل، وخرج معاوية وودّعه وقال له عند وداعه إيّاه: أوصيك يا عَمرو بتقوَى الله والرفق فإنه يُمْن، وبالمهَل والتّؤدَة، فإنّ العَجَلَة من الشيطان، وبأن تقبلَ ممن أقبَل، وأن تعفوَ عمّن أدبرَ، فإن قَبل فَبِها ونِعمتْ، وإن أبَى فإنّ السطوة بعد المعذرة أبلَغ في الحجّة، وأحسَن في العاقبة، وادعُ الناسَ إلى الصلح والجماعة،

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٨.

٣٤٠١/١ فإذا أنت ظهرتَ فليكن أنصارُك آثرَ الناس عندك، وكلّ الناس فأولِ حُسْناً. قال: فخرج عمرٌو يسير حتى نزل أدانىَ أرض مصرَ، فاجتمعت العثمانية إليه، فأقام بهم، وكتب إلى محمد بن أبى بكر:

أما بعد، فتنحّ عنى بدمك يابن أبى بكر، فإنّى لا أحبّ أن يصيبَك منى ظَفَر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك، ورفضِ أمرِك، وندِموا على اتّباعك، فهم مُسلِموك لو قد التقت حَلْقتا البِطان، فاخرج منها، فإنى لك من الناصحين؛ والسلام.

وبعث إليه عمرو أيضًا بكتاب معاوية إليه:

أما بعد، فإنّ غبَّ البغى والظلمِ عظيم الوَبال، وإنّ سَفْك الدم الحرام لا يَسلَم صاحبه من النّقمة فى الدنيا، ومن التَّبِعة الموبِقة فى الآخرة، وإنا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمانَ بغيًا، ولا أسوأ له عيبًا، ولا أشدّ عليه خلافًا منك؛ سعيتَ عليه فى الساعين، وسفكتَ دَمه فى السافكين، ثم أنت تظنّ أنى عنك نائمٌ أو ناسٍ لك، حتى تأتى فتأمّر على بلاد أنتَ فيها جارى، وجُلّ أهلِها أنصارى، يرَون رأيى، ويَرْقُبون قولى، ويَستصرخونى عليك. وقد بعثتُ إليك قومًا حِناقًا عليك، يستسقون دمَك، ويتقرّبون إلى الله بجهادك، وقد أعطَوا الله عهداً ليمثّلُنّ بك، ولو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذّرتك ولا أنذرتك، ولأحببتُ أن يقتلوك بظُلمك وقطيعتك وعَدْوِك على عثمان يوم يُطعَن بمشاقِصك بين خُشَشائه وأوداجه[1]، ولكن أكرَه أن أمثّل بقرَشىّ، ولن يُسلِمك اللهُ من القصاص أبداً أينما كنت. والسلام.

٣٤٠٢/١ قال: فطوى محمد كتابيْهما، وبعث بهما إلى علىّ، وكتب معهما:

أما بعد، فإنّ ابن العاص قد نزل أدانىَ أرضِ مصرَ، واجتمع إليه أهلُ البلد جلُّهم ممن كان يَرى رأيَهم، وقد جاء فى جيش لجِبٍ خَرّاب، وقد رأيت ممن قِبَلى بعضَ الفشل، فإن كان لك فى أرض مصرَ حاجة فأمدّنى بالرجال والأموال؛ والسّلام عليك.

فكتب إليه علىّ:

---

(١) المشقص: نصل عريض. والخششاء: العظم الناتئ خلف الأذن. والأوداج: عروق العنق.

أمّا بعد ، فقد جاءنى كتابُك تذكُر أنّ ابن العاص قد نزل بأدانى أرض مصرَ فى لجِبٍ من جيشه خَرّاب ، وإنّ مَن كان بها على مِثل رأيه قد خرج إليه ، وخروجُ مَن يرى رأيه إليه خيرٌ لك من إقامتهم عندَك . وذكرتَ أنك قد رأيتَ فى بعض مَن قِبَلك فَشَلا . فلا تَفشَل ، وإن فشلوا فحصِّنْ قريتَك ، واضمُم إليك شيعتَك ، واندُب إلى القوم كنانةَ بنَ بِشر المعروفَ بالنصيحة والنّجدة والبأس . فإنى نادبٌ إليك الناسَ على الصَّعب والذّلول ، فاصبر لعدوّك ، وامض على بصيرتك ، وقاتلْهم على نيّتك ، وجاهِدْهم صابراً محتسباً ، وإن كانت فئتُك أقلّ الفئتين ؛ فإنّ الله قد يُعزّ القليل ، ويَخذُل الكثير . وقد قرأتُ كتابَ الفاجر ابن الفاجر معاوية ، والفاجر ابن الكافر عَمرو ، المتحابَّيْن فى عمل المعصية ، والمتوافقَين المرتَشِيَيْن فى الحكومة ، المنكَرَين فى الدنيا ، قد استَمتَعوا بخَلاقهم كما استمتَع الذين من قبلهم بخَلاقهم ، فلا يَهُلْك إرعادُهما وإبراقُهما ، وأجبْهما إن كنتَ لم تجبْهما بما هما أهله ، فإنك تجد مقالا ما شئت ؛ والسلام .

٣٤٠٢/١ قال أبو مخنف : فحدّثنى محمد بن يوسف بن ثابت الأنصارىّ ، عن شيخ من أهل المدينة ، قال : كتب محمد بن أبى بكر إلى معاوية بن أبى سُفيان جوابَ كتابه :

أما بعد ، فقد أتانى كتابُك تذكّرنى من أمرِ عثمانَ أمراً لا أعتذِر إليك منه ، وتأمُرنى بالتنحّى عنك كأنك لى ناصح ، وتُخوّفنى المُثْلَة كأنك شفيق ، وأنا أرجو أن تكون لىَ الدائرةُ عليكم ، فأجتاحَكم فى الوقعة ، وإن تُؤتَوا النصرَ ويكن لكم الأمر فى الدّنيا ، فكَم لَعمرِى من ظالم قد نَصرْتم ، وكم من مؤمن قَتلتم ومثّلتم به ! وإلى الله مصيرُكم ومصيرُهم ، وإلى الله مَرَدّ الأمور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون . والسلام .

وكتب محمد إلى عَمرو بن العاص :

أمّا بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ فى كتابك يابنَ العاص ، زعمتَ أنك تَكره أن يصيبَنى منك ظَفَر ، وأشهدُ أنك من المبطِلين . وتَزعم أنك لى

نصيح، وأقسم أنك عندى ظَنين. وتزعم أنّ أهل البلد قد رفضوا رأبى وأمرى، وندموا على اتّباعى. فأولئك لك وللشيطان الرجيم أولياء. فحسبُنا الله ربّ العالمين، وتوكّلنا على الله ربّ العرش العظيم؛ والسلام.

قال: أقبل عمرو بن العاص حتّى قصد مصرَ. فقام محمد بن أبى بكر فى الناس. فحمِد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد معاشرَ المسلمين والمؤمنين. فإنّ القوم الذين كانوا ينتهكون الحُرمة، وينعَشُون الضّلال، ويَشُبّون نارَ الفتنة، ويتسلّطون بالجبَرِيّة، قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود. عبادَ الله! فمن أراد الجنّة والمغفرة فلْيخرج إلى هؤلاء القوم فلْيجاهدْهم فى الله؛ انتدِبوا إلى هؤلاء القوم رحمكم الله مع كنانة ابن بشر. ٣٤٠٤/١

قال: فانتدب معه نحو من ألفَى رجل، وخرج محمد فى ألفَىْ رجل. واستقبل عمرو بن العاص كنانةَ وهو على مقدّمة محمد. فأقبل عمرو نحو كنانةَ، فلما دنا من كنانة سرّح الكتائبَ كتيبةً بعد كتيبة. فجعل كنانةُ لا تأتيه كتيبةٌ من كتائب أهلِ الشام إلا شدّ عليها بمن معه، فيضربها حتّى يقرّبها لعمرو بن العاص. ففعل ذلك مراراً؛ فلما رأى ذلك عمرو بعث إلى معاوية بن حُدَيج السَّكونىّ، فأتاه فى مثل الدّهْم، فأحاط بكنانةَ وأصحابه، واجتمع أهلُ الشأم عليهم من كلّ جانب. فلما رأى ذلك كنانةُ بن بشر نزل عن فرسه، ونزل أصحابُه وكنانة يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشَّاكِرِينَ﴾[1]. فضاربَهم بسيفه حتّى استُشهد رحمه الله.

وأقبل عمرو بن العاص نحوَ محمد بن أبى بكر؛ وقد تفرّق عنه أصحابُه لمّا بلغهم قتل كنانة. حتّى بقى وما معه أحد من أصحابه. فلما رأى ذلك محمد خرج يمشى فى الطريق حتّى انتهى إلى خَرِبة فى ناحية الطريق، فأوَى إليها. وجاء عمرو بن العاص حتّى دخل الفُسطاط، وخرج معاوية بن حُدَيج فى

(١) سورة آل عمران: ١٤٥.

طلب محمد حتى انتهى إلى عُلوج فى قارعة الطريق ، فسألهم : هل مرّ بكم أحد تنكرونه ؟ فقال أحدهم : لا والله ، إلا أنى دخلت تلك الخربة ، فإذا أنا برجل فيها جالس . فقال ابن حُدَيج : هو هو وربّ الكعبة ؛ فانطلقوا يركُضون حتى دخلوا عليه ، فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشًا ؛ فأقبلوا به نحو فسطاط مصرَ . قال : ووثب أخوه عبدُ الرحمن بن أبى بكر إلى عمرو بن العاص ــ وكان فى جنده فقال : أتقتل أخى صبرًا ! ابعث إلى معاويةَ بن حُدَيج فانهَه ، فبعث إليه عمرو بن العاص يأمره أن يأتيَه بمحمد بن أبى بكر ، فقال معاوية : أكذاك ! قتلتم كنانةَ بنَ بشر وأخلّى أنا عن محمد بن أبى بكر ! هيهات ، ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾[1] .

١/٣٤٠٥

فقال لهم محمد : اسقُونى من الماء . قال له معاوية بن حُدَيج : لاسقاه الله إن سقاك قطرةً أبدًا ! إنكم منعتم عثمانَ أن يشرب الماءَ حتى قتلتموه صائمًا مُحرِمًا ، فتلقّاه الله بالرّحيق المختوم ، والله لأقتلنّك يابن أبى بكر فيسقيك الله الحميمَ والغسّاق ! قال له محمد : يابن اليهوديّة النسّاجة ، ليس ذلك إليك وإلى من ذكرت ، إنما ذلك إلى الله عزّ وجلّ يَسقى أولياءَه ، ويُظمِئ أعداءَه ؛ أنتَ وضُرَباؤك ومَن تولّاه . أما والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم منى هذا ؛ قال له معاوية : أتدرى ما أصنعُ بك ؟ أدخلك فى جوف حمار ، ثم أحرقُه عليك بالنار ؛ فقال له محمد : إن فعلتم بى ذلك ، فطالما فُعِل ذلك بأولياء الله ! وإنى لأرجو هذه النارَ التى تُحرقنى بها أن يجعلَها الله علىّ بردًا وسلامًا كما جعلها على خليله إبراهيمَ ، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمروذَ وأوليائه ، إنّ الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامكَ ــ يعنى معاوية ، وهذا ــ وأشار إلى عمرو بن العاص ــ بنار تَلَظّى عليكم ؛ كلّما خَبَتْ زادها الله سعيرًا . قال له معاوية : إنى إنما أقتلك بعثمان ؛ قال له محمد : وما أنتَ وعثمان ! إنّ عثمانَ عمِل بالجور ، ونبذ حكمَ القرآن ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2] ، فنقَمنا ذلك عليه فقتلناه ، وحسّنت

١/٣٤٠٦

---

(١) سورة القمر : ٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ٤٧ .

أنت له ذلك ونظراؤك ، فقد برّأنا الله إن شاء الله من ذنبه ، وأنت شريكُه في إثمه وعظم ذنبه ، وجاعلك على مثاله . قال : فغضب معاوية فقدّمه فقتله ، ثم ألقاه في جيفة حمار ، ثم أحرقه بالنار ؛ فلما بلغ ذلك عائشةَ جزعت عليه جزعًا شديداً . وقَنَتت عليه في دُبُر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ، ثم قبضتْ عيالَ محمّد إليها . فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر في عيالها .

وأما الواقديّ فإنه ذكر لي أنّ سُوَيد بن عبد العزيز حدّثه عن ثابت ابن عجلان ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، أنّ عمرو بن العاص خرج في أربعة آلاف ، فيهم معاوية بن حُدَيج ، وأبو الأعور السلَمي ، فالتقوا بالمسنّاة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، حتى قتِل كنانة بن بشر بن عتّاب التُّجيبي ، ولم يجد محمد بن أبي بكر مقاتلا ، فانهزم ، فاختبأ عند جَبَلة بن مسروق ، فدلّ عليه معاوية بن حُدَيج ، فأحاط به ، فخرج محمد فقاتل حتى قُتِل . ٣٤٠٧/١

قال الواقديّ : وكانت المسنّاة في صفرَ سنة ثمان وثلاثين ، وأذْرُح في شعبانَ منها في عام واحد .

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . وكتب عمرو بنُ العاص إلى معاوية عند قتله محمد بن أبي بكر وكنانة بن بشر :

أما بعد ، فإنا لقينا محمد بن أبي بكر وكنانةَ بن بشر في جموع جمّة من أهل مصرَ ، فدعوْناهم إلى الهدى والسنّة وحكم الكتاب ، فرفضوا الحقّ ، وتورّكوا في الضلال ، فجاهدْناهم ، واستنصرْنا اللهَ عليهم ، فضرب الله وجوهَهم وأدبارَهم ، ومنحونا أكتافهم ، فقتل الله محمد بن أبي بكر وكنانةَ ابن بشر وأماثلَ القوم ، والحمد لله رب العالمين ، والسّلام عليك .

* * *

وفيها قُتِل محمد بن أبي حُذَيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

* ذكر الخبر عن مقتله :

اختلف أهلُ السيَر في وقت مقتله ؛ فقال الواقديّ : قُتل في سنة

ست وثلاثين . قال : وكان سبب قتله أنّ معاوية وعمرًا سارا إليه وهو بمصر قد ضبطها . فنزلا بعَيْن شمس . فعالجا الدّخول ، فلم يقدرا عليه ، فخدعا محمد بن أبي حُذَيفة على أن يخرج في ألف رجل إلى العَرِيش ، فخرج وخلّف الحَكَم بن الصلت على مصرَ . فلما خرج محمد بن أبي حُذَيفة إلى العريش تحصّن ، وجاء عمرو فنصب المجانيقَ حتى نزل في ثلاثينَ من أصحابه ، فأخذوا فقُتلوا . قال : وذاك قبل أن يَبعث عليٌّ إلى مصرَ قيسَ بنَ سعد . ٣٤٠٨/١

وأما هشام بن محمد الكلبيّ فإنه ذكر أنّ محمد بن أبي حُذَيفة إنما أخذ بعد أن قتل محمد بن أبي بكر ودخل عمرو بن العاص مصرَ وغلَب عليها ، وزعم أنّ عمرًا لما دخل هو وأصحابه مصرَ أصابوا محمد بن أبي حُذَيفة ، فبعثوا به إلى معاوية وهو بفلسطين ، فحبسه في سجن له . فمكث فيه غيرَ كثير ، ثم إنه هرب من السجن — وكان ابنَ خال معاوية — فأرَى معاويةُ الناسَ أنه قد كره انفلاته ، فقال لأهل الشأم : مَنْ يطلبه ؟ قال : وقد كان معاوية يحبّ فيما يرون أن ينجوَ ، فقال رجل من خَثْعم — يقال له عبدُالله ابن عمرو بن ظلام ، وكان رجلاً شجاعًا ، وكان عثمانيًّا : أنا أطلبه . فخرج في خيله حتى لحقه بأرض البَلْقاء بحَوْران وقد دخل في غار هناك . فجاءت حُمُرٌ تدخله ، وقد أصابها المطر . فلما رأت الحُمُر الرجلَ في الغار فزعت . فنفرتْ ، فقالَ حصّادون كانوا قريبًا من الغار : والله إنّ لنَفْرِ هذه الحُمُر من الغار لشأنًا . فذهبوا لينظروا ، فإذا هم به ، فخرجوا . ويوافقهم عبدُالله بن عمرو بن ظلام الخَثْعميّ ، فسألهم عنه ، ووصفَه لهم . فقالوا له : ها هو ذا في الغار ؛ قال : فجاء حتى استخرجه ، وكره أن يُرجعه إلى معاوية فيخلّيَ سبيله . فضرب عنقه .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال : وحدّثني الحارث بن كعب بن فُقَيم ، عن جُندَب ، عن عبد الله بن فقيم ، عمّ الحارث بن كعب . . . [1] يستصرخ من قبَل محمد بن أبي بكر إلى عليّ — ومحمّد يومئذ أميرُهم — فقام عليّ في ٣٤٠٩/١

---

(١) سقط في أصول ط .

الناس وقد أمر فنُودىَ : الصّلاةَ جامعة ! فاجتمع الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمّا بعد، فإنّ هذا صريخُ محمد بن أبى بكر وإخوانكم من أهل مصر ، قد سار إليهم ابن النّابغة عدوّ الله ، وولىّ من عادَى الله، فلا يكوننّ أهل الضّلال إلى باطلهم والرّكون إلى سبيل الطاغوت أشدّ اجتماعًا منكم على حقّكم هذا، فإنهم قد بدءوكم وإخوانكم بالغزْو ، فاعجلوا إليهم بالمؤاساة والنصر . عباد الله ، إنّ مصرَ أعظم من الشأم ، أكثر خيراً ، وخيرٌ أهلاً ، فلا تغلَبوا على مصر ، فإنّ بقاءَ مصر فى أيديكم عزٌّ لكم ، وكَبْتٌ لعدوّكم ، اخرجوا إلى الجَرَعة بين الحيرة والكُوفة ، فوافُونى بها هناك غداً إن شاء الله . قال : فلمّا كان من الغد خرج يمشى ، فنزلها بُكرَةً ، فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك ، فلم يوافه منهم رجل واحد ؛ فرجع . فلما كان من العشىّ بعث إلى أشراف الناس ، فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب ، فقال : الحمد لله على ما قضَى من أمرى ، وقدّر من فعلى ، وابتلانى بكم أيتّها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرتُ ، ولا يُجيب إذا دَعوتُ ، لا أبا لغيركم ! ما تنتظرون بصبركم ، والجهاد على حقكم ! الموت والذلّ لكم فى هذه الدنيا على غير الحقّ، فوالله لئن جاء الموت — وليأتينّ [1] — ليفرّقنّ بينى وبينكم ، وأنا لصحبتكم قالٍ ؛ وبكم غيرُ ضَنين ، لله أنتم ! لا دينَ يجمعكم ، ولا حميّة تحميكم ؛ إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يَرِدُ بلادَكم ، ويشنّ الغارة عليكم . أوَ ليس عجبًا أنّ معاوية يدعو الجفاةَ الطّغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ! ويجيبونه فى السنة المرّتين والثلاث إلى أىّ وجه شاء ، وأنا أدعوكم — وأنتم أولو النّهىَ وبقيّة الناس — على المعونة وطائفةً منكم على العطاء ، فتقومون عنّى وتعصَوْنى ، وتختلفون علىّ ! فقام إليه مالكُ بن كعب الهمْدانىّ ثم الأرحبىّ ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، اندب الناسَ فإنه لا عطرَ بعد عروس ؛ لمثل هذا اليوم كنتُ أدّخر نفسى ، والأجر لا يأتى إلا بالكرّة . اتقوا الله وأجيبوا إمامكم ، وانصروا دعوتَه ،

٣٤١٠/١

(١) ابن الأثير : « وليأتينى » .

وقاتلوا عدوّه ، أنا أسير إليها يا أميرَ المؤمنين ؛ قال : فأمر علىّ مناديَه سعداً، فنادى فى الناس: ألا انتدبوا إلى مصرَمع مالك بن كعب .

ثمّ إنه خرج وخرج معه علىّ ، فنظر فإذا جميعُ من خرج نحو ألفى رجل ، فقال : سِرْ فوالله ما إخالك تُدرِك القوم حتى ينقضىَ أمرهم ؛ قال : فخرج بهم ، فسار خمساً . ثمّ إن الحجاج بن غَزِيّة الأنصارىّ ، ثم النّجّارىّ قَدِم على علىّ من مصر ، وقَدِم عبدُ الرحمن بن شَبِيب الفَزارىّ ، فأمّا الفَزارىّ فكان عينَه بالشأم ، وأما الأنصارىّ فكان مع محمد بن أبى بكر ، فحدّثه الأنصارىّ بما رأى وعايَن وبهلاك محمد ، وحدّثه الفزارىّ أنه لم يخرج من الشأم حتى قَدِمت البُشَراء من قِبَل عمرو بن العاص تَتْرى ، يتبعُ بعضُها بعضًا بفتح مصر وقَتْل محمد بن أبى بكر ، وحتى أذّنَ بقتله على المنبر ، وقال : يا أميرَ المؤمنين ، قلّما رأيت قومًا قطّ أسرّ ، ولا سروراً قطّ أظهرَ من سرور رأيته بالشأم حين أتاهم هلاكُ محمد بن أبى بكر . فقال علىّ : أما إنّ حُزْننا عليه على قدر سرورهم به ، لا بل يزيد أضعافًا . قال : وسرّح علىٌّ عبدَ الرحمن بن شُريح الشِّبامىّ[1] إلى مالك بن كعب ، فردّه من الطريق . قال : وحَزِن علىّ على محمد بن أبى بكر حتى رُئىَ ذلك فى وجهه ، وتبيّن فيه ، وقام فى الناس خطيبًا ، فحمِد الله وأثنى عليه ، وصلّى على رسولِه صلى الله عليه وسلم ، وقال : ألا إنّ مصر قد افتتحها الفَجَرة أولو الجَوْر والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله ، وبغَوا الإسلام عِوَجا . ألا وإنّ محمد بن أبى بكر قد استُشهِد رحمه الله ، فعند الله نَحتسبه . أما والله إنْ كان ما علمت لممّن ينتظر القضاء ، ويعمل للجزاء ، ويُبغض شكل الفاجر ، ويحبّ هدى المؤمن ، إنى والله ما ألوم نفسى على التقصير ، وإنى لمُقاساة الحرب لجدّ خبير ، وإنى لأقدِم على الأمر وأعرِف وجهَ الحزم ، وأقومُ فيكم بالرأى المصيب ، فأستصرخكم معلنًا ، وأناديكم نداءَ المستغيث مُعربًا ، فلا تسمعون لى قولا ، ولا تطيعون لى أمراً ، حتى تصير بىَ الأمور إلى عواقب المساءة ، فأنتم القومُ لا يُدرَك بكم الثأر ، ولا تُنقَض بكم الأوتار ؛ دعوتُكم إلى غِياث إخوانكم

١/٣٤١١

١/٣٤١٢

---

(١) ط : « اليامىّ » ، وانظر الفهرس .

منذ بضع وخمسين ليلةً فتجرجرتم جَرجرةَ الجَمَلِ الأشدق[1] ، وتثاقلتم إلى الأرض تثاقُلَ من ليس له نيّة فى جهاد العدوّ ، ولا اكتساب الأجر ، ثم خرج إلىّ منكم جُنَيْد متذانب كأنّما[2] يُساقون إلى الموت وهم يَنظرون . فأفٍّ لكم ! ثم نزل . وكتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبَصرة :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من عبد الله علىّ أميرِ المؤمنين إلى عبد الله بن عبّاس ، سلامٌ عليك ، فإنّى أحمد اللهَ إليك الذى لا إله إلا هو ، أمّا بعد ، فإنّ مصر قد افتتِحت ، ومحمد بن أبى بكر قد استُشهِد ، فعند الله نَحتسبه وندّخره ، وقد كنت قمتُ فى الناس فى بدئه ، وأمرْتهم بغياثه قبل الوقعة ، ودعوتهم سرًّا وجهراً ، وعَوداً وبدءًا ، فمنهم من أتى كارهًا ، ومنهم من اعتلّ كاذبًا ، ومنهم القاعد حالا ، أسأل الله أن يجعل لى منهم فَرَجا ومَخرَجا ، وأن يُريحَنى منهم عاجلاً . والله لولا طمعى عند لقاء عدوّى فى الشهادة لأحببتُ ألّا أبقى مع هؤلاء يومًا واحداً . عَزَم الله لنا ولك على الرُّشد ، وعلى تقواه وهداه ، إنه على كلّ شىء قدير . والسلام . ٣٤١٣/١

فكتب إليه ابنُ عبّاس :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ لعبد الله على بن أبى طالب أمير المؤمنين ، من عبدِ الله بنِ عباس . سلامٌ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه افتتاحَ مصر ، وهلاكَ محمد بن أبى بكر ، فالله المستعان على كلّ حال ، ورحم الله محمد بن أبى بكر وآجَرَكَ يا أميرَ المؤمنين ! وقد سألت الله أن يجعل لك من رعيّتك التى ابتليت بها فرَجاً ومخرجًا ، وأن يُعزّك بالملائكة عاجلاً بالنصرة ، فإنّ الله صانعٌ لك ذلك ، ومعزّك ومجيب دعوتك ، وكابتٌ عدوّك . أخبرك يا أميرَ المؤمنين أنّ الناس ربما تثاقلوا ثم ينشَطون ، فارفق بهم يا أميرَ المؤمنين ، وداجِنْهم ومَنِّهم ، واستعِن بالله عليهم ، كفاك الله ألَمَّهم . والسلام .

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خَديج ، عن مالك بن الجون ،

---

(١) الأشدق : الواسع الشدق . (٢) كذا فى ابن الأثير والنويرى وفى ط : « كثيرة »

أنّ عليًّا قال : رحِم الله محمداً ! كان غلامًا حَدَثًا ، أما والله لقد كنتُ على أن أولّيَ المِرْقال هاشم بن عُتْبة مصرَ ؛ أما والله لو أنه وليَها ما خلّى لعمرو بن العاص وأعوانه العَجَرة العَرْصة ، ولمّا قُتِل إلا وسيفه في يده ؛ لا بلا دمٍ كمحمد . فرحم الله محمداً ، فقد اجتهد نفسَه ، وقضَى ما عليه .

* * *

وفي هذه السنة وجّه معاوية بعد مَقتل محمد بن أبي بكرعبدَالله بن عمرو ابن الحضرميّ إلى البصرة للدعاء إلى الإقرار بحُكم عمرو بن العاص فيه . ٣٤١٤/١

وفيها قُتل أعيَن بن ضبيعة المُجاشعيّ ، وكان عليّ وجّهه لإخراج ابن الحضرميّ من البَصرة .

* * *

ذكر الخبر عن أمر ابن الحضرميّ وزياد وأعين وسبب قتل من قتل منهم

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو الذّيال ، عن أبي نَعامة ، قال : لما قُتِل محمد بن أبي بكر بمصرَ ، خرج ابنُ عباس من البَصرة إلى عليّ بالكوفة ، واستَخلف زياداً ، وقدم ابنُ الحضرميّ من قِبَل معاوية ، فنزل في بني تميم ، فأرسل زياد إلى حُضَين بن المنذر ومالك بن مِسمَع ، فقال : أنتم يا معشر بَكْر بن وائل من أنصار أمير المؤمنين وثِقاته ، وقد نزل ابن الحَضْرميّ حيث ترون ، وأتاه مَنْ أتاه ، فامنعوني حتى يأتيَني رأيُ أميرِ المؤمنين . فقال حُضَين : نعم ، وقال مالك — وكان رأيه مائلاً إلى بني أميّة ، وكان مروانُ لجأ إليه يومَ الجمل : هذا أمرٌ لي فيه شركاء ، أستشير وأنظر . فلما رأى زياد تَثاقُلَ مالك خاف أن تختلف ربيعة ، فأرسل إلى نافع أن أشِرْ عليّ ؛ فأشار عليه نافع بصَبِرة بن شَيْمان الحُدّانيّ ، فأرسل إليه زياد ، فقال : ألاّ تجيرني ! وبيت مالِ المسلمين فإنه فَيْئُكم ، وأنا أمينُ أمير المؤمنين . قال : بلى إن حملتَه إليّ ونزلتَ داري . قال : فإني حامله ، فحَمَله ، وخرج زياد حتى أتى الحُدّان ، ونزل في دار

١ /٣٤١٥ صَبِرة بن شَيْمان ، وحوّل بيت المال والمنبر ، فوضعه فى مسجد الُحدّان ، وتحوّل مع زياد خمسون رجلاً ،منهم أبو أبى حاضر — وكان زياد يصلى الجمعة فى مسجد الحُدّان ، ويطعم الطعام — فقال زياد لجابر بن وهب الرّاسبيّ : يا أبا محمد ، إنى لا أرى ابنَ الحضرمىّ يكفّ ، لا أراه إلا سيقاتلكم ، ولا أدرى ما عند أصحابك فآمِرْهم ، وانظر ما عندهم . فلما صلى زياد جلس فى المسجد ، واجتمع الناس إليه ، فقال جابر : يا معشرَ الأزد ، تميم تَزعم أنهم هم الناس ، وأنهم أصبرُ منكم عند البأس ، وقد بلغنى أنهم يريدون أن يسيروا إليكم حتى يأخذوا جارَكم ، ويخرجوه من المِصر قسْراً ، فكيف أنتم إذا فعلوا ذلك وقد أجَرْتموه وبيت مال المسلمين ! فقال صَبِرة بن شَيْمان — وكان مفخّماً : إن جاء الأحنف جئت ، وإن جاء الُحتَات جئت ، وإن جاء شُبّان ففينا شُبّان . فكان زياد يقول : إننى استضحكت ونهضت ، وما كدتُ مكيدةً قطّ كنتُ إلى الفضيحة بها أقربَ منى للفضيحة يومئذ ؛ لِما غلبنى من الضّحك . قال : ثم كتب زياد إلى علىّ : إنّ ابن الحضرمىّ أقبل من الشأم فنزل فى دار بنى تميم ، ونَعَى عثمان ، ودعا إلى الحرب ، وبايعتْه تميم وجُلّ أهل البصرة ، ولم يبقَ معى مَن أمتنع به ، فاستجرت لنفسى ولبيت المال

١ /٣٤١٦ صَبِرة بن شَيْمان ، وتحوّلت فنزلت معهم ، فشيعةُ عثمان يختلفون إلى ابن الحضرمىّ ، فوجّه علىّ أعين بن ضُبَيعة المجاشعىّ ليفرّق قومَه عن ابن الحضْرمىّ ، فانظر ما يكون منه ، فإن فُرّق جمعُ ابن الحضرمىّ فذلك ما تُريد ، وإن ترقّت بهم الأمور إلى التمادى فى العصيان فانهض إليهم فجاهدْهم ، فإنْ رأيتَ ممن قِبَلك تثاقلاً ، وخِفتَ ألّا تبلغ ما تريد ، فدارِهمْ وطاوِلْهم ، ثم تسمّع وأبصر ، فكأنّ جنود الله قد أظلّتك ، تقتل الظالمين . فقَدِم أعيَن فأتى زياداً ، فنزل عنده ، ثم أتى قومَه ، وجمع رجالا ونهض إلى ابن الحضرمىّ ، فدعاهم ، فشتموه وناوشوه ، فانصرف عنهم ، ودخل عليه قوم فقتلوه ، فلما قتِل أعيَن ابن ضُبيعة ، أراد زياد قتالَهم ، فأرسلتْ بنو تميم إلى الأزْد : إنّا لم نَعرِض لجاركم ، ولا لأحد من أصحابه ، فماذا تريدون إلى جارنا وحربنا ! فكرِهَت الأزد القتالَ ، وقالوا : إن عَرَضوا لجارنا منعناهم ، وإن يكفّوا عن جارنا كففْنا عن جارهم . فأمسكوا . وكتب زيادٌ إلى علىّ : أن أعيَن بن ضُبَيعة

قَدِم فجمعَ مَن أطاعه من عشيرته ، ثم نهض بهم بجدّ وصدق نيّة إلى ابن الحضرمىّ ، فحثّهم على الطاعة ، ودعاهم إلى الكفّ والرجوع عن شِقاقهم ، ووافقتْهم عامّة[1] قوم ، فهالَهم ذلك ، وتصدّع عنهم كثير ممن كان معهم ، يمنّيهم نُصرَته ، وكانت بينهم مناوشة. ثم انصرف إلى أهله ، فدخلوا عليه فاغتالوه فأصيب ، رحم الله أعيَن ! فأردت قتالَهم عند ذلك ، فلم يخفّ معى مَن أقوَى به عليهم ، وتَراسَل الحيّان ، فأمسك بعضُهم عن بعض .

١/٣٤١٧ فلما قرأ علىّ كتابَه دعا جارية بن قدامة السعدىّ ، فوجّهه فى خمسين رجلا من بنى تميم ، وبعث معه شريك بن الأعور — ويقال بعث جارية خمسمائة رجل — وكَتَب إلى زياد كتابًا يصوّب رأيه فيما صنع ، وأمَرَه بمعونة جارية ابن قُدامة والإشارةِ عليه ، فقدِم جارية البصرة ، فأتى زياداً فقال له : احتفِزْ[2] واحذر أن يصيبَك ما أصاب صاحبَك ، ولا تثقنّ بأحد من القوم . فسار جارية إلى قومه فقرأ عليهم كتابَ علىّ ، ووعدهم ، فأجابه أكثرُهم ، فسار إلى ابن الحضرمىّ فحصره فى دار سُنْبيل ، ثم أحرَق عليه الدار وعلى من معه ، وكان معه سبعون رجلاً — ويقال أربعون — وتفرّق الناس ، ورجع زياد إلى دار الإمارة ، وكتب إلى علىّ مع ظَبْيان بن عُمارة ، وكان ممن قَدِم مع جارية ......[3] وأنّ جارية قَدِم علينا فسار إلى ابن الحضرمىّ فقَتَله حتى اضطرّه إلى دار من دُور بنى تميم ، فى عدّة رجال من أصحابه بعد الإعذار والإنذار ، والدعاء إلى الطاعة ، فلم يُنيبوا ولم يَرجِعوا ، فأضرَم عليهم الدّار فأحرَقَهم فيها ، وهُدّمتْ عليهم ، فبعُداً لمن طغى وعَصَى ! فقال عمرو بن العَرَنْدَس العَوْدىّ :

رَدَدْنا زِيادًا إلى دارِهِ ... وجارُ تَميمٍ دخاناً ذَهَبْ
لحَى ٱللهُ قَوْمًا شَوَوْا جارَهُمْ ... ولِلشّاءِ بالدِّرْهَمَيْنِ الشَّصَبْ

(١) ابن الأثير : « ووافقهم نهاره » .
(٢) احتفز ، أى تهيأ .
(٣) سقط فى أصول ط .

يُنادي الخِناقُ وخُمّانُها وقد سَمَطوا رأسَهُ باللَّهَبْ ١/٣٤١٨

ونحْنُ أُناسٌ لنا عادَةٌ نحامِي عَن الجارِ أنْ يُغْتَصبْ

حمَيْناهُ إذْ حَلَّ أبياتَنا ولا يَمْنَعُ الجارَ إلا الحَسَبْ

ولَمْ يَعْرِفوا حُرْمَةً لِلْجوا رِإذْ أعْظَم الجارَ قَوْمٌ نُجُبْ

كفِعْلِهِمُ قبلَنا بالزُّبَيْر عَشِيَّةَ إذْ بَزُّهُ يُسْتَلَبْ

وقال جرير بن عطيّة بن الخَطَفَى :

غَدَرْتمْ بالزُّبَيْرِ فما وَفَيْتمْ وَفاءَ الأَزْدِ إذ مَنَعوا زِيادَا(١)

فأَصْبَح جارهُمْ بنجاةِ عِزٍّ وجارُ مُجاشعٍ أمسَى رَمادا

فلوْ عاقَدتَ حَبْلَ أبي سعيدٍ لذادَ القَوْمَ ماحَمَلَ النِّجادا(٢)

وأدْنى الخَيْلَ مِنْ رَهَجِ المنايا وأَغْشَاها الأَسِنَّةَ والصِّعادا

* * *

[الخرِّيت بن راشد و إظهاره الخلاف على عليّ(٣)]

ومما كان فى هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثلاثين — إظهار الخِرّيت بن راشد فى بنى ناجية الخلاف على علىّ وفراقُه إياه ؛ كالذى ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، عن الحارث الأزدىّ، عن عمّه عبدِ الله بن فُقَيم ، قال : جاء الخِرِّيت بن راشد إلى علىّ — وكان مع الخرّيت ثلثمائة رجل من بنى ناجية مقيمين مع علىّ بالكوفة ، قَدِموا معه من البصرة، وكانوا قد خرجوا إليه يومَ الجمل، وشَهِدوا معه صفّينَ والنّهروان — فجاء إلى علىّ فى ثلاثين راكبًا من أصحابه يسير بينهم حتى قام بين يَدَيْ علىّ ، فقال له : والله يا علىّ لا أطيع أمرَك، ولا أصلّى خلفَك، وإنّى غداً لمُفارِقك . وذلك بعد ١/٣٤١٩

(١) ديوانه:١٤٢ .

(٢) الديوان : « ولو عاقدت » ؛ وهو أبو سعيد المهلب بن أبى صفرة .

(٣) انظر قصة الخريت بن راشد فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد فى ٣ : ١٢٨–١٤٨.

تحكيمَ الحكَمين. فقال له عليّ: ثكلتْك أمّك! إذًا تعصى ربّك، وتَنكُث عهدَك، ولا تضرّ إلا نفسك. خبِّرنى لِمَ تفعل ذلك؟ قال: لأنك حكّمتَ فى الكتاب[1]. وضعُفتَ عن الحقّ إذ جدّ الجدّ، وركَنتَ إلى القوم الذين ظلموا أنفسَهم، فأنا عليك زارٍ، وعليهم ناقِم، ولكم جميعًا مُبايِن. فقال له عليّ: هلمّ أدارِسْك الكتاب، وأناظِرْك فى السنن، وأفاتحْك أمورًا من الحقّ أنا أعلَم بها منك، فلعلك تعرف ما أنت له الآن مُنكِر، وتَستبصِر ما أنت عنه الآن جاهل. قال: فإنى عائد إليك؛ قال: لا يستهوينّك الشيطان، ولا يستخفّنك الجهل، وواللهِ لئن استرشدْتنى واستنصحتنى وقبلتَ منّى لأهدينّك سبيلَ الرشاد.

فخرج من عنده منصرفًا إلى أهله، فعجِلْتُ فى أثره مسرِعًا. وكان لى من بنى عمّه صديق، فأردت أن ألقى ابنَ عمّه ذلك فأعلمه بشأنه، ويأمره بطاعة أميرِ المؤمنين ومناصحته، ويخبره أنّ ذلك خير له فى عاجل الدنيا وآجلِ الآخرة. فخرجت حتى انتهيت إلى منزله وقد سبقنى، فقمت عند باب داره، وفى داره رجال من أصحابه لم يكونوا شهدوا معه دخولَه على عليّ. قال: فوالله ما جزم شيئًا مما قال، ومما ردّ عليه، ثم قال لهم: يا هؤلاء، إنى قد رأيت أن أفارقَ هذا الرجل، وقد فارقتُه على أن أرجعَ إليه من غد، ولا أرانى إلاّ مُفارِقه من غد. فقال له أكثر أصحابه: لا تفعل حتى تأتيَه، فإنْ أتاك بأمرٍ تعرفه قبلتَ منه، وإن كانت الأخرى فما أقدَرَك على فراقه. فقال لهم: فنِعم ما رأيتم. قال: ثم إنى استأذنت عليه، فأذنوا لى، فدخلتُ فقلت: أنشُدك اللهَ أن تفارق أمير المؤمنين، وجماعةَ المسلمين، وأن تجعل على نفسك سبيلا، وأن تقتل مَنْ أرى من عشيرتك! إنّ عليًّا لَعلى الحقّ. قال: فأنا أغدو إليه فأسمع منه حجّته، وأنظر ما يعرض عليّ به ويذكر، فإن رأيتُ حقًّا ورُشْدًا قبلتُ، وإن رأيتُ غيًّا وجَورًا تركتُ. قال: فخلوت بابن عمّه ذلك — قال: وكان أحد نفره الأدنين، وهو مدرك بن الرّيان، وكان من رجال العرب — فقلت له: إنّ لك علىّ حقًّا لإخائك وودّك ذلك على

١ / ٣٤٢٠

(١) النويرى: «حكّمت الرجال».

بعد حقّ المسلم على المسلم . إنّ ابنَ عمّك كان منه ما قد ذكرلك،فأجدّ به، فاردد عليه رأيَه ، وعظّم عليه ما أتى ، فإنى خائف إن فارق أمير المؤمنين أن يقتله نفسه وعشيرته . فقال : جزاك الله خيراً من أخ ! فقد نصحتَ وأشفقتَ ، إن أراد صاحبي فراقَ أمير المؤمنين فارقتُه وخالفته ، وكنتُ أشدّ الناس عليه . وأنا بعدُ فإنى خال به ، ومشيرٌ عليه بطاعة أمير المؤمنين ومناصحته والإقامة معه ، وفى ذلك حظّه ورشْدُه .

فقمت من عنده ، وأردتُ الرُّجوعَ إلى أمير المؤمنين لأعلمَه بالذى كان، ثم اطمأننت إلى قول صاحبي ، فرجعتُ إلى منزلى فبتّ به ثم أصبحت ، فلما ارتفع الضحى أتيتُ أميرَ المؤمنين ، فجلستُ عنده ساعةً وأنا أريد أن أحدّثه بالذى كان من قوله لى على خَلوة ، فأطلت الجلوس ، فلم يزدد الناسُ إلا كثرةً ، فدنوت منه ، فجلستُ وراءه ، فأصغى إلىّ بأذنيه ، فخبّرته بما سمعتُ من الخِرّيت بن راشد ، وبما قلتُ له ، وبما ردّ على ، وبما كان من مقالتى لابن عمّه، وبما ردّ علىّ ، فقال : دَعْه ، فإن عَرَف الحقّ وأقبلَ إليه عرفْنا ذلك وقَبِلْنا منه ، وإن أبى طلبناه . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ولِمَ لا تأخذه الآن وتستوثقُ منه وتحبسه ؟ فقال : إنا لو فعلنا هذا بكلّ مَنْ نتّهمه من الناس ملأنا سجننا منهم ، ولا أراه — يعنى الوثوبَ على الناس والحبس والعقوبة — حتى يُظهروا لنا الخلاف . قال : فسكتّ عنه ، وتنحّيت ، فجلست مع القوم .

ثم مكث ما شاء الله . ثم إنه قال : ادنُ منّى ؛ فدنوتُ منه ، فقال لى مسرًّا : اذهب إلى منزل الرجل فاعلَم لى ما فعل ، فإنه كلّ يوم لم يكن يأتينى فيه إلا قبل هذه الساعة . فأتيتُ منزلَه ، فإذا ليس فى منزله منهم دَيّار ، فدعوتُ على أبواب دور أخرى كان فيها طائفة من أصحابه ، فإذا ليس فيها داعٍ ولا مجيب ، فرجعت. فقال لى حين رآنى : وطنوا[1] فأمِنوا ، أم جبنوا فظَعَنوا ! فقلت : بل ظعنوا فأعلنوا ، فقال : قد فعلوها ! بُعداً لهم كما بَعِدتْ ثمود! أما لو قد أشرِعَتْ لهم الأسنّة وصبّبتْ على هامهم السيوف،

٣٤٢١/١

---

(١) وطن بالمكان : أقام .

لقد ندموا . إنّ الشيطان اليومَ قد استهواهم وأضلّهم ، وهو غداً متبرّئ منهم ، ومخلٍّ عنهم .

فقام إليه زياد بن خَصَفَة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه لو لم يكن من مضرّة هؤلاء إلا فراقهم إيّانا لم يعظم فقدُهم فنَأسَى عليهم ، فإنّهم قلّما يزيدون فى عددنا لو أقاموا معنا ، وقلّما ينقصون من عددنا بخروجهم عنّا ، ولكنا نخاف أن يفسدوا علينا جماعةً كثيرة ممن يقدمون عليه [1] من أهل طاعتك ، فأذَنْ لى فى اتّباعهم حتى أردّهم عليك إن شاء الله . فقال له علىّ : وهل تدرى أين توجّه القوم ؟ فقال : لا ، ولكنى أخرج فأسأل وأتبع الأثر . فقال له : اخرُج رحمك الله حتى تنزل ديرَ أبى موسى ، ثم لا تتوجّه حتى يأتيَك أمرى ، فإنهم إن كانوا خرجوا ظاهرين للناس فى جماعة ، فإنّ عمّالى ستكتب إلىّ بذلك ، وإن كانوا متفرّقين مستخفين فذلك أخفَى لهم ، وسأكتب إلى عمّالى فيهم . فكتب نسخةً واحدةً فأخرجها إلى العمّال :

٣٤٢٢/١

أما بعد ، فإنّ رجالاً خرجوا هُرّاباً ونظنّهم وجّهوا نحوَ بلاد البَصرة ، فسلْ عنهم أهلَ بلادك ، واجعل عليهم العيونَ فى كلّ ناحية من أرضك ، واكتب إلىّ بما ينتهى إليك عنهم ؛ والسلام .

فخرج زياد بن خَصَفَة حتى أتى دارَه ، وجمع أصحابه ، فحمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد يا معشرَ بكر بن وائل ، فإنّ أمير المؤمنين ندَبنى لأمر من أمره مُهِمّ له ، وأمرنى بالانكماش [2] فيه ، وأنتم شيعتُه وأنصارُه ، وأوثقُ حىٍّ من الأحياء فى نفسه ، فانتدِبوا معى الساعة ، واعجلوا . قال : فوالله ما كان إلا ساعةً حتى اجتمع له منهم مائة وعشرون رجلاً أو ثلاثون ؛ فقال : اكتفينا ، لا نريد أكثرَ من هذا ، فخرجوا حتى قطعوا الجسر ، ثم دير أبى موسى ، فنزله ، فأقام فيه بقيّة يومه ذلك ينتظر أمرَ أمير المؤمنين .

---

(١) ابن الأثير : « عليك » .
(٢) الانكماش فى الأمر : الجدّ فيه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو الصَّلْت الأعوَر التيمىّ ، عن أبى سعيد العُقَيلىّ ، عن عبد الله بن وأل التيمىّ ، قال : والله إنى لَعندَ أمير المؤمنين إذ جاءه فَيْج[1] ، كتابٌ بيديْه ، من قِبَل قَرَظة بن كعب الأنصارىّ : ٣٤٢٣/١

بسم الله الرحمن الرحيم . أمّا بعد فإنّى أخبر أميرَ المؤمنين أنّ خيلاً مرّت بنا من قِبَل الكوفة متوجِّهةً نحوَ نِفّر ، وإنّ رجلا من دَهاقِين أسفل الفرات قد صلّى يقال له : زاذان فرّوخ ، أقبل من قِبَل أخواله بناحية نِفّر ، فعرَضوا له ، فقالوا : أمسلِم أنت أم كافر ؟ فقال : بل أنا مسلم ، قالوا : فما قولُك فى علىّ ؟ قال : أقول فيه خيراً ، أقول : إنه أميرُ المؤمنين ، وسيِّد البَشَر ، فقالوا له : كفرت يا عدوّ الله ! ثم حَمَلتْ عليه عصابةٌ منهم فقطّعوه ، ووجدوا معه رجلاً من أهل الذمّة ، فقالوا : ما أنت ؟ قال : رجل من أهل الذّمة ، قالوا : أمّا هذا فلا سبيلَ عليه ، فأقبل إلينا ذلك الذّمىّ فأخبرَنا هذا الخبر ، وقد سألتُ عنهم فلم يخبرْنى أحدٌ عنهم بشىء ، فليكتب إلىّ أميرُ المؤمنين برأيه فيهم أنْتَهِ إليه . والسّلام .

فكتب إليه :

أما بعد ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ من العصابة التى مرّت بك فقتلت البَرَّ المُسلِم ، وأمِن عندهم المخالِف الكافر ، وإنّ أولئك قومٌ استهواهم الشيطان فضلّوا وكانوا كالذين حسبوا ألاّ تكونَ فتنةٌ فعَموا وصَمُّوا ، فأسمِع بهم وأبصِر يوم تُخبَر أعمالهم . والزم عملَك ، وأقبِل على خَراجِك فإنك كما ذكرتَ فى طاعتك ونصيحتك ؛ والسلام .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصّلت الأعوَر التيْمىّ عن أبى سعيد العُقَيْلىّ ، عن عبد الله بن وأل ، قال : كتب علىٌّ عليه السلام معى كتاباً إلى زياد بن خَصَفة ، وأنا يومئذ شابٌّ حَدَث : ٣٤٢٤/١

أما بعد ، فإنّى كنت أمرتك أن تنزل ديرَ أبى موسى حتى يأتيَك أمرى وذلك لأنّى لم أكن علمت إلى أىّ وجه توجّه القوم ، وقد بلغنى أنهم أخذوا نحو قرية يقال لها نِفّر ، فاتّبع آثارَهم ، وسلْ عنهم ، فإنهم قد قتلوا رجلاً من أهل

---

(١) الفيج : رسول السلطان على رجله ، فارسى معرّب .

السواد مصلّيًا ، فإذا أنت لحقتهم فارددْهم إلىّ ، فإن أبوْا فناجزْهم ، واستعن بالله عليهم ، فإنهم قد فارقوا الحقّ ، وسفكوا الدم الحرام ، وأخافوا السبيل . والسلام .

قال : فأخذتُ الكتاب منه ، فمضيتُ به غيرَ بعيد ، ثم رجعتُ به ، فقلت : يا أميرَ المؤمنين ، ألا أمضى مع زياد بن خصَفة إذا دفعتُ إليه كتابك إلى عدوّك ؟ فقال : يابنَ أخى ، افعل ، فوالله إنى أرجو أن تكون من أعوانى على الحقّ ، وأنصارى على القوم الظالمين ؛ فقلت له : أنا والله يا أميرَ المؤمنين كذلك ومن أولئك ، وإنا حيث تحبّ .

قال ابن وأل : فوالله ما أحبّ أنّ لى بمقالة علىّ تلك حُمْر النَّعَم .

قال : ثمّ مضيت إلى زياد بن خصَفة بكتاب علىّ وأنا على فرس لى رائع كريم ، وعلىّ السلاح ، فقال لى زياد : يابن أخى ، والله ما لى عنك من غَناء ، وإنّى لأحبّ أن تكون معى فى وجهى هذا ؛ فقلت له : قد استأذنتُ فى ذلك أميرَ المؤمنين فأذِن لى ، فسرّ بذلك .

قال : ثمّ خرجنا حتى أتينا نِفّر ، فسألنا عنهم ، فقيل لنا : قد ارتفعوا نحو جَرْجَرايا ، فاتّبعناهم ، فقيل لنا : قد أخذوا نحو المذار ، فلحقناهم وهم نزول بالمذار ، وقد أقاموا به يومًا وليلة ، وقد استراحوا وأعلفوا وهم جامّون ، فأتيناهم وقد تقطّعنا ولَغِبنا وشَقِينا ونَصِبنا ، فلما رأوْنا وثبوا على خيولهم فاستووْا عليها ، وجئنا حتى انتهينا إليهم ، فواقفْناهم ، ونادانا صاحبهم الخِرّيتُ بن راشد : يا عميانَ القلوب والأبصار ، أمع الله أنتم وكتابه وسنّة نبيه ، أم مع الظالمين ؟ فقال له زياد بن خصَفة : بل نحن مع الله ومَن اللهُ وكتابه ورسوله آثرُ عنده ثوابًا من الدّنيا منذ خلقت إلى يوم تفنى ، أيّها العُمْى الأبصار ، الصمُّ القلوب والأسماع . فقال لنا : أخبرونى ما تريدون؟ فقال له زياد — وكان مجرّبًا رفيقًا : قد ترى ما بنا من اللُّغوب والسغوب[1] ، والذى جئنا له لا يُصلحه الكلامُ علانيةً على رءوس أصحابى وأصحابك ، ولكن أنزل وتنزل ، ثم نخلو جميعًا فنتذاكر أمرَنا هذا جميعًا وننظر ، فإن

١/٣٤٢٥

(١) السغوب : الجوع ، مثل السغب .

رأيتَ ما جئناك فيه حظّاً لنفسك قبلتَه، وإن رأيتَ فيما أسمعه منك أمراً أرجو فيه العافية لنا ولك لم أردُدْه عليك. قال: فانزل بنا؛ قال: فأقبل إلينا زياد فقال: انزلوا بنا على هذا الماء؛ قال: فأقبلْنا حتى إذا انتهينا إلى الماء، نزلناه فما هو إلا أن نزلْنا فتفرّقنا، ثم تحلّقنا من عشرة وتسعة وثمانية وسبعة، يضعون طعامَهم بين أيديهم فيأكلون، ثم يقومون إلى ذلك الماء فيشربون. وقال لنا زياد: علّقوا على خيولكم، فعلّقنا عليها مخاليَها، ووقف زياد بيننا وبين القوم، وانطلق القوم فتنحّوا ناحية، ثم نزلوا، وأقبل إلينا زياد، فلما رأى تفرّقنا وتحلُّقَنا قال: سُبحان الله، أنتم أهلُ حرب؟ والله لو أنّ هؤلاء جاءوكم الساعةَ على هذه الحال ما أرادوا من غيركم أفضل من حالكم التي أنتم عليها. ٣٤٢٦/١ اعجَلوا، قوموا إلى خيلكم، فأسرعْنا، فتحشحشْنا[1] فمنّا من يتنفّض، ثم يتوّضأ، ومنّا من يشرب، ومنا من يسقي فرسَه، حتى إذا فرغنا من ذلك كله، أتانا زياد وفي يده عرق ينهشه، فنهش منه نهشتيْن أو ثلاثاً، وأتى بأداوة فيها ماءٌ، فشرب منه، ثم ألقى العَرْق[2] من يده. ثم قال: يا هؤلاء، إنا قد لقينا القومَ، ووالله إن عدّتكم كعدّتهم، ولقد حَزَرْتكم وإيّاهم فما أظنّ أحدَ الفريقين يزيدُ على الآخر بخمسة نفر، وإنّي والله ما أرى أمرَهم وأمرَكم إلا يرجع إلى القتال، فإن كان إلى ذلك ما يصيِّر بكم وبهم الأمور فلا تكونوا أعجزَ الفريقين. ثم قال لنا: ليأخذْ كلّ امرئٍ منكم بعِنان فرسه حتى أدنوَ منهم، وادعوا إليّ صاحبَهم فأكلّمه، فإن بايعَني على ما أريد وإلا فإذا دعوتكم فاستَوُوا على متون الخيل، ثم أقبِلوا إليّ معاً غيرَ متفرِّقين.

قال: فاستقدم أمامنا وأنا معه، فأسمع رجلا من القوم يقول: جاءكم القوم وهم كالُّون معيُون، وأنتم جامُّون مستريحون، فتركتموهم حتى نزلوا وأكلوا وشربوا واستراحوا؛ هذا والله سوءُ الرأى! والله لا يرجع الأمرُ بكم وبهمْ إلا إلى القتال. فسكتوا، وانتهينا إليهم، فدعا زياد بن خَصَفة صاحبهم، فقال: اعتزل بنا فلننظرْ في أمرنا هذا، فوالله لقد أقبل إليّ زياد في خمسة، فقلت لزياد: ادع ثلاثةً من أصحابنا حتى نلقاهم في عدّتهم؛ فقال لي: ادُع مَن

(١) التحشحش: التحرك. (٢) العَرْق، بفتح فسكون: العظم بلحمه.

أحببت منهم ، فدعوت من أصحابنا ثلاثاً ، فكنّا خمسةً وخمسةً . فقال له
زياد : ما الذى نقمْتَ على أمير المؤمنين وعلينا إذ فارقْتَنا ؟ فقال : لم أرضَ ١/٣٤٢٧
صاحبكم إمامًا ، ولم أرضَ سيرتَكم سيرة ، فرأيتُ أن أعتزل وأكونَ مع مَن
يدعو إلى الشورى من الناس ، فإذا اجتمع الناسُ على رجل لجميع الأمة
رضًا كنت مع الناس . فقال له زياد : وَيْحك ! وهل يجتمع الناسُ على
رجلٍ منهم يدانى صاحبَك الذى فارقته علمًا بالله وبسُنن الله وكتابه ،
مع قرابته من الرّسول صلى الله عليه وسلم وسابقتِه فى الإسلام ! فقال له :
ذلك ما أقول لك ؛ فقال له زياد : ففيم قتلتَ ذلك الرجل المسلم ؟ قال : ما أنا
قتلتُه ، إنما قتلتْه طائفةٌ من أصحابى ، قال : فادفعهم إلينا ؛ قال : ما إلى
ذلك سبيل ؛ قال : كذلك أنت فاعل ؟ قال : هو ما تسمع ؛ قال : فدعَوْنا
أصحابَنا ودعا أصحابه ، ثم أقبلنا ؛ فوالله ما رأينا قتالاً مثلَه منذ خلقنى
ربّى ، قال : اطّعنّا والله بالرماح حتى لم يبقَ فى أيدينا رُمح ، ثم اضطربنا
بالسيوف حتى انحنتْ وعقِر عامّة خيلنا وخيلهم ، وكثرت الجراح فيما بيننا
وبينهم ، وقُتِل منّا رجلان : مولًى زياد كانت معه رايتُه يدعى سُوَيداً ،
ورجلٌ من الأبناء يدعَى وافد بن بكر ، وصرَعْنا منهم خمسةً ، وجاء الليل
يحجز بيننا وبينهم ، وقد والله كرهونا وكرِهناهم ، وقد جرح زياد وجرحت .

قال : ثمّ إنّ القوم تنحّوا وبتْنا فى جانب ، فمكثوا ساعةً من الليل ، ثم
إنهم ذهبوا واتّبعناهم حتى أتينا البصرة ، وبلَغَنا أنهم أتوا الأهواز ، فنزلوا
بجانب منها ، وتلاحق بهم أناس من أصحابهم نحو من مائتين كانوا معهم
بالكوفة ، ولم يكن لهم من القوّة ما يُنهضهم معهم حتى نهضوا فاتبعوهم فلحقوهم ١/٣٤٢٨
بأرض الأهواز ، فأقاموا معهم .وكتب زياد بن خَصَفة إلى على :

أمّا بعد ، فإنا لقينا عدوّ الله الناجىّ بالمذار ، فدعَوْناهم إلى الهدى
والحقّ وإلى كلمة السَّواء ، فلم ينزلوا على الحقّ ، وأخذتْهم العزّة بالإثم ،
وزَيّن لهم الشيطان أعمالَهم فصدّهم عن السبيل ، فقَصَدوا لنا ، وصَمدْنا
صمدَهم ، فاقتتلْنا قتالاً شديداً ما بين قائم الظّهيرة إلى دُلُوك الشمس ،
فاستشهِد منّا رجلان صالحان ، وأصيب منهم خمسةُ نفَر ، وخلّوا لنا المعركة ،

وقد فشت فينا وفيهم الجراح . ثم إنّ القوم لما لبسهم الليل خرجوا من تحته متنكّبين إلى أرض الأهواز ، فبلَغَنا أنهم نزلوا منها جانبًا ونحن بالبصرة نُداوِى جراحَنا ، ونَنتظِر أمرَك رحمك الله ؛ والسّلام عليك .

فلما أتيتُه بكتابه قرأه على الناس ، فقام إليه معقِل بن قيس، فقال : أصلَحك الله يا أميرَ المؤمنين ! إنما كان ينبغى أن يكون مع من يطلب هؤلاء مكان كلّ رجل منهم عشرة من المسلمين ، فإذا لَحِقوهم استأصَلوهم وقطعوا دابرَهم، فأمّا أن يلقاهم أعدادُهم فلعَمْرى ليصبرُنّ لهم ، هم قومٌ عرب ، والعدّة تصبر للعدّة ، وتنتصف منها . فقال : تجهّز يا معقلَ بنَ قيس إليهم . وندب معه ألفين من أهل الكُوفة منهم يزيد بن المغفّل (١) الأزدىّ . وكتب إلى ابن عباس :

أما بعد ، فابعث رجلاً من قِبَلك صليبًا شجاعًا معروفًا بالصّلاح فى ألفى رجل ، فليتبع معقِلاً ، فإذا مرّ ببلاد البصرة فهو أمير أصحابه حتى يلقى معقِلا ، فإذا لقى معقلا فمعقلٌ أميرُ الفريقين ، وليسمع من معقل وليُطِعه ، ولا يخالفه، ومُر زيادَ بن خَصَفَة فليُقبل، فنعم المرءُ زياد ، ونعم القبيل قبيله ! ١/٣٤٢٩

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصّلت الأعور ، عن أبى سعيد العُقيلىّ ، قال : كتب علىّ إلى زياد بن خَصَفَة :

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك ، وفهمتُ ما ذكرت من أمر الناجىّ وإخوانه الذين طبع الله على قلوبهم ، وزيّن لهم الشيطانُ أعمالَهم فهم يعمَهون ، ويَحسَبون أنهم يُحسِنون صُنْعًا ، ووصفتَ ما بلغ بك وبهم الأمر ، فأمّا أنت وأصحابك فلله سعيُكم ، وعلى الله تعالى جزاؤكم ! فأبشرْ بثواب الله خيرٌ من الدنيا التى يقتل الجهّال أنفسَهم عليها ، فإنّ ما عندكم ينفَد وما عندَ الله باقٍ ولنجزينّ الذين صبروا أجرَهم بأحسن ما كانوا يعملون . وأما عدوّكم الذين لقيتموهم فحسْبهم بخروجهم من الهدى إلى الضّلال ، وارتكابهم فيه ، وردّهم الحق ، وبجاجهم فى الفتنة ، فذرْهم وما يفترون ، ودَعْهم فى طغيانهم يَعمَهون، فتسمّع وتبصّر ، كأنك

(١) ابن الأثير : « المعقل » .

بهم عن قليل بين أسير وقتيل . أقبِل إلينا أنت وأصحابك مأجورين ، فقد أطعتم وسمعتم ، وأحسنتم البلاء ؛ والسلام .

ونزل الناجيّ جانبًا من الأهواز ، واجتمع إليه عُلوجٌ من أهلها كثير أرادوا كسر الخَراج ، ولصوصٌ كثيرة ، وطائفة أخرى من العرب ترَى رأيَه .

* * *

١/٣٤٣٠ حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن علىّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبىّ : لما قتل علىٌّ عليه السلام أهلَ النّهروان ، خالفَه قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالفَه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمىّ البصرة ، وانتقض أهلُ الأهواز ، وطَمِع أهلُ الخراج فى كسرِه ، ثم أخرجوا سهل بن حُنَيف من فارس ، وكان عامل علىٍّ عليها ، فقال ابن عبّاس لعلىّ : أكفيك فارسَ بزياد ، فأمره علىٌّ أن يوجّهه إليها ، فقدِم ابن عباس البَصرةَ ، ووجّهه إلى فارسَ فى جمع كثير ، فوطئ بهم أهل فارس ، فأدّوا الخراج .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مِخْنف . قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فُقَيم الأزدىّ ، قال : كنت أنا وأخى كعب فى ذلك الجيش مع مَعْقل بن قيس ، فلما أراد الخروج أقبل إلى علىّ فودّعه فقال : يا معقِل ، اتّق الله ما استطعت ، فإنّها وصية الله للمؤمنين ، لاتَبغِ على أهل القبلة ، ولا تظلم أهلَ الذّمّة ، ولاتتكبّر فإن الله لا يحبّ المتكبّرين . فقال : الله المستعان ؛ فقال له علىّ : خيرُ مستعان ؛ قال : فخرج وخرجنا معه حتى نزلنا الأهواز ، فأقمنا ننتظر أهلَ البصرة ، وقد أبطئوا علينا ، فقام فينا معقلُ بن قيس فقال : يأيّها الناس ، إنا قد انتظرنا أهلَ البصرة ، وقد أبطئوا علينا ، وليس بحمد الله بنا قِلّةٌ ولا وَحْشة إلى الناس ، فسيروا بنا إلى هذا العدوّ القليل الذّليل ، فإنى أرجو أن ينصركم الله وأن يهلِكهم .

قال : فقام إليه أخى كعب بن فُقَيم ، فقال : أصبتَ ــ أرشَدَك اللهــ رأيَك!
فوالله إنى لأرجو أن يَنصرَنا الله عليهم ، وإن كانت الأخرى فإنّ فى الموت ١/٣٤٣١
على الحقّ تعزيةً عن الدنيا . فقال : سيروا على بَرَكة الله؛ قال : فسرْنا
ووالله ما زال معقِل لى مُكرِمًا وَادًّا ، ما يَعدل بى من الجند أحداً ؛ قال
ولا يزال يقول : وكيف قلت : إنّ فى الموت على الحقّ تعزية عن الدّنيا ؟
صدقت والله وأحسنت ووُفِّقت ! فوالله ما سِرْنا يومًا حتى أدركَنا فيْج
يشتدّ بصحيفة فى يده من عند عبد الله بن عباس : أما بعد ، فإن أدركَك
رسولى بالمكان الذى كنت فيه مقيمًا ، أو أدركَك وقد شخصْتَ منه ، فلا
تبرحْ المكانَ الذى ينتهى فيه إليك رسولى ، واثبتْ فيه حتى يقدم عليك بعثُنا
الذى وجّهناه إليك ، فإنى قد بعثتُ إليك خالدَ بن معدان الطائىّ ، وهو من
أهل الإصلاح والدِّين والبأس والنجدة ، فاسمع منه ، واعرف ذلك له ؛ والسلام .

فقرأ معقل الكتابَ على الناس ، وحَمِد الله ، وقد كان ذلك الوجه هالهم .
قال : فأقمنا حتى قدم الطائىّ علينا ، وجاء حتى دخل على صاحبنا ، فسلّم
عليه بالإمْرة ، واجتمعا جميعاً فى عسكر واحد . قال : ثم إنا خرجْنا فسرنا
إليهم ، فأخذوا يرتفعون نحو جبال رامَهُرْمُز يريدون قَلعةً بها حصينة
وجاءنا أهلُ البلد فأخبرونا بذلك ، فخرجْنا فى آثارهم نَتبعهم ، فلحقناهم
وقد دنَوا من الجبل ، فصففْنا لهم ، ثم أقبلْنا إليهم ، فجعل معقِل على
ميمنته يزيدَ بن المغْفِل ، وعلى ميسرته مِنجاب بن راشد الضبىّ من أهل
البَصرة ، وصَفّ الخِرّيت بن راشد الناجىّ مَنْ معه من العرب ، فكانوا ميمنةً ، ١/٣٤٣٢
وجعل أهل البلد والعُلوج ومَنْ أراد كسرَ الخراج وأتباعهم من الأكراد ميسَرة .
قال : وسار فينا مَعْقِل بن قيس يحرّضنا ويقول لنا : عبادَ الله ! لا تَعدِلوا
القومَ بأبصاركم ، غُضّوا الأبصار ، وأقلّوا الكلام ، ووطّنوا أنفسَكم على
الطعن والضرب ، وأبشِروا فى قتالهم بالأجر العظيم ، إنما تقاتلون مارقةً مرقتْ
من الدين ، وعُلوجًا منَعوا الخَراج وأكراداً . انظرونى فإذا حملتُ فشدّوا
شَدّة رجل واحد . فمرّ فى الصفّ كله يقول لهم هذه المقالة ، حتى إذا مرّ
بالناس كلّهم أقبل حتى وقف وسط الصفّ فى القلب ، ونظرنا إليه ما يصنع !

فحرّك رايته تحريكتين ، فوالله ما صبروا لنا ساعةً حتى ولّوا ، وشدَخْنا منهم سبعين عربيًّا من بنى ناجية ، ومن بعض من اتّبعهم من العرب ، وقتلْنا نحوًا من ثلثمائة من العُلوج والأكراد . قال كعب بن فُقَيم: ونظرتُ فيمن قُتِل من العرب ، فإذا أنا بصديقى مدرك بن الرّيان قتيلاً ، وخرج الخِرّيت ابن راشد وهو منهزِم حتى لحق بأسياف البحر ، وبها جماعة من قومه كثير ، فما زال بهم يسير فيهم ويدعوهم إلى خلاف علىّ ، ويبيّن لهم فراقَه ، ويخبرهم أنّ الهدى فى حربه ، حتى اتبعه منهم ناس كثير ، وأقام معقل بن قيس بأرض الأهواز ، وكتب إلى علىّ معى بالفتح ، وكنت أنا الذى قدمتُ عليه ، فكتب إليـــه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، لعبد الله علىّ أمير المؤمنين ، من معقِل بن قيس . سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليكَ اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنا لقِينا المارقين ، وقد استظهَروا علينا بالمشركين ، فقتَلْناهم قتلَ عاد وإرَم ، مع أنا لم نَعْدُ فيهم سيرتَك ، ولم نقتل من المارقين مدبراً ولا أسيراً ، ولم نذفّف منهم على جريح ، وقد نصرك الله والمسلمين ، والحمد لله رب العالمين.

٣٤٣٣/١

قال : فقدمتُ عليه بهذا الكتاب ، فقرأه على أصحابه ، واستشارهم فى الرأى ، فاجتمع رأىُ عامّتهم على قول واحد ، فقالوا له : نرى أن تكتب إلى معقل ابن قيس فيتبع أثرَ الفاسق ، فلا يزال فى طلبه حتى يقتلَه أو ينفيَه ، فإنا لا نأمن أن يُفسد عليك الناس . قال : فردّنى إليه ، وكتب معى :

أمّا بعد ، فالحمد لله على تأييد أوليائه ، وخِذلانِ أعدائه ، جزاك الله والمسلمين خيراً ، فقد أحسنتم البلاء ، وقضيتم ما عليكم ، وسَلْ عن أخى بنى ناجية ، فإنْ بلغك أنه قد استقرّ ببلد من البُلدان فسرْ إليه حتى تقتلَه أو تنفيَه ، فإنه لن يزال للمسلمين عدوًّا ، وللقاسطِين وليًّا ، ما بقى ؛ والسلام عليك .

فسأل معقِل عن مستقرّه ، والمكان الذى انتهَى اليه ، فنبِّئَ بمكانه بالأسياف ، وأنّه قد ردّ قومه عن طاعة علىّ ، وأفسد مَنْ قِبَله من عبد القيس ومَن والاهم من سائر العرب ، وكان قومُه قد منعوا الصَّدَقة عام صِفّين ومنعوها

فى ذلك العام أيضًا ، فكان عليهم عِقالان ، فسار إليهم معقِل بن قيس فى ذلك الجيش من أهل الكوفة وأهل البصرة ، فأخذ على فارسَ حتى انتهى إلى أسْياف البحر ، فلما سمع الخِرّيت بن راشد بمسيره إليه أقبل على مَن كان معه من أصحابه ممن يَرَى رأىَ الخوارج ، فأسرَّ لهم : إنى أرى رأيَكم ، فإنّ عليًّا لن ينبغى له أن يُحكّم الرجالَ فى أمر الله ، وقال للآخرين منددًا لهم : إنّ عليًّا حَكّم حَكَمًا ورَضِىَ به ، فخلَعه حَكَمُه الذى ارتضاه لنفسه ، فقد رضيتُ أنا من قضائه وحكمه ما ارتضاه لنفسه ، وهذا كان الرأى الذى خرج عليه من الكوفة . وقال سرًّا لمن يرى رأىَ عثمان : أنا والله على رأيكم ، قد واللهِ قُتل عثمان مظلومًا ، فأرضى كلّ صنف منهم ، وأراهم أنه معهم ، وقال لمن منع الصدقة : شدّوا أيديَكم على صدقاتكم ، وصِلُوا بها أرحامَكم ، وعودوا بها إن شئتم على فقرائكم ، وقد كان فيهم نصارى كثير قد أسلموا ، فلمّا اختلف الناسُ بينهم قالوا : واللهِ لَدينُنا الذى خرجْنا منه خيرٌ وأهدى من دين هؤلاء الذى هم عليه ؛ ما ينهاهم دينهُم عن سفك الدماء ، وإخافةِ السبيل ، وأخذِ الأموال . فرجعوا إلى دينهم ، فلقِىَ الخِرّيت أولئك ، فقال لهم : وَيْحَكم ! أتدرون حُكمَ علىّ فيمن أسلم من النصارى ، ثم رجع إلى نصرانيّته؟ لا والله ما يسمع لهم قولاً ، ولا يرى لهم عذراً ، ولا يقبل منهم توبة ولا يدعوهم إليها ، وإنّ حكمه فيهم لضربُ العنق ساعةَ يستمكِن منهم . ١/٣٤٣٤

فما زال حتى جمعهم وخدَعَهم ، وجاء من كان من بنى ناجية ومن كان فى تلك الناحية من غيرهم ، واجتمع إليهم ناسٌ كثير .

* * *

فحدّثنى علىّ بن الحسن الأزدىّ ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن سليمان ، عن عبدِ الملك بن سعيد بن حاب ، عن الحرّ ، عن عمار الدّهنىّ ، قال : حدّثنى أبو الطُّفَيل ، قال : كنت فى الجيش الذين بعثهم علىّ بن أبى طالب إلى بنى نَاجِية ، فقال : فانتهينا إليهم ، فوجدناهم على ثلاثِ فِرَق ، فقال أميرنا لفرقة منهم : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ نصارى ، لم نر دينًا أفضلَ ١/٣٤٣٥

من ديننا ، فثبتْنا عليه ، فقال لهم : اعتزِلوا ، وقال للفرقة الأخرى : ما أنتم ؟ قالوا : نحن كنّا نصارى فأسلَمْنا ، فثبتْنا على إسلامنا ، فقال لهم : اعتزِلوا ؛ ثم قال للفرقة الأخرى الثالثة : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قومٌ كنّا نصارى ، فأسلَمْنا ، فلم نَرَ دينًا هو أفضلُ من ديننا الأوّل ؛ فقال لهم : أسلِموا ، فأبَوا ؛ فقال لأصحابه : إذا مسحتُ رأسي ثلاثَ مرّاتَ فشدّوا عليهم ، فاقتلوا المُقاتِلة ، واسبُوا الذرّية . فجيء بالذرّية إلى عليّ ، فجاء مَصقَلة بن هُبيرة ، فاشتراهم بمائتي ألف ، فجاء بمائةِ ألف فلم يقبلها عليّ ، فانطلق بالدراهم ، وعمَد إليهم مصقلة فأعتقَهم ولحق بمعاوية . فقيل لعليّ : ألا تأخذ الذرّية ؟ فقال : لا ، فلم يَعرِض لهم .

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبي مخنف . قال أبو مِخْنف : وحدّثني الحارث ابن كعب ، قال : لما رجع إلينا معقل بن قيس قرأ علينا كتابًا من عليّ :

بسمِ الله الرّحمن الرّحيم . من عبد الله عليّ أميرِ المؤمنين إلى من يُقرَأ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين ، والنّصارى والمرتدّين . سلامٌ عليكم وعلى من اتّبع الهدى وآمَن بالله ورسوله وكتابه والبعثِ بعد الموت وأوفى بعهد الله ولم يكن من الخائنين . أمّا بعد ، فإني أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنّة نبيّه ، والعملِ بالحقّ ، وبما أمر الله في الكتاب ، فمن رجع إلى أهله منكم وكفّ يَده واعتَزَل هذا الهالكَ الحاربَ الذي جاء يحارب الله ورسولَه والمسلمين ، وسعَى في الأرض فساداً ، فله الأمان على مالِه ودمه ، ومَن تابعَه على حربنا والخروج من طاعتنا ، استعنّا بالله عليه ، وجعلْنا اللهَ بيننا وبينه ، وكفى بالله نصيرًا ! ٣٤٣٦/١

وأخرج معقل رايةَ أمانٍ فنصبَها ، وقال : مَن أتاها من الناس فهو آمن ، إلا الخِرّيت وأصحابه الذين حاربونا وبدءونا أوّل مرّة . فتفرّق عن الخِرّيت جُلّ مَن كان معه من غير قومه ، وعبّأ معقِل بن قيس أصحابَه ، فجعل

على ميمنته يزيد بن المُغَفِّل الأزدىّ، وعلى ميسرته المِنْجاب بن راشد الضبىّ، ثم زحف بهم نحو الخِرِّيت ، وحضر معه قومُه مسلموهم ونصاراهم ومانعةُ الصدقة منهم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن كعب ، عن أبى الصّدّيق النّاجىّ ، أنّ الخِرّيت يومئذ كان يقول لقومه : امنعوا حريمَكم ، وقاتِلوا عن نسائكم وأولادكم ، فوالله لئن ظهروا عليكم ليقتلُنّكم وليسبُنّكم .

فقال له رجل من قومه : هذا والله ما جَنَتْه علينا يَداك ولسانُك . فقال : قاتِلوا لله أنتم ! سَبَق السيفُ العَذَل ، إيهًا والله لقد أصابت قومى داهية !

قال أبو مخنف : وحدّثنى الحارث بن كعب ، عن عبد الله بن فُقَيْم ، قال : سار فينا معقِل فحرّض الناسَ فيما بين الميمنة والميسرة يقول : أيّها الناس المسلمون ، ما تزيدون أفضلَ مما سِيق لكم فى هذا الموقف من الأجر العظيم ؛ إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقة ، وارتدّوا عن الإسلام، ونكثوا البيعة ظُلمًا وعدوانًا ، فأشهد لمن قُتِل منكم بالجنة ، ومَنْ عاش فإنّ الله مُقِرٌّ عينَه بالفتح والغنيمة . ففعل ذلك حتى مرّ بالناس كلّهم . ثم إنه جاء حتى وقف فى القلْب برايته، ثم إنه بعث إلى يزيد بن المغفل وهو فى الميمنة : أنِ احملْ عليهم ، فَحمَل عليهم ، فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً . ثمّ إنه انصرف حتى وقف موقفه الذى كان به فى الميمنة ، ثم إنه بعث إلى مِنْجاب ابن راشد الضّبىّ وهو فى الميسرة. ثم إنّ مِنجاباً حَمَل عليهم فثَبَتُوا وقاتَلوا قتالاً شديداً طويلاً ، ثم إنه رجع حتى وقف فى الميسرة ، ثم إنّ معقلا بعث إلى الميمنة والميسرة : إذا حملتُ فاحملوا بأجمعكم. فحرّك رايتَه وهَزّها ، ثم إنه حمل وحمل أصحابُه جميعًا ، فصبروا ساعةً لهم . ثم إنّ النعمان بن صُهْبان الراسبىّ من جَرْم بصُرَ بالخِرّيت بن راشد فحَمَل عليه ، فطَعَنه فصرعه عن دابّته، ثم نزل وقد جَرَحه فأثْخنه ، فاختَلَفا ضربتين ، فقتله النعمان بن صُهْبان ، وقُتِل معه فى المعركة سبعون ومائة ، وذهبوا يمينًا وشمالاً ، وبعث معقل بن قيس الخيلَ إلى رحالهم ، فسبَى مَن أدرك منهم ، فسبى رجالا

٣٤٣٧/١

كثيراً ونساءً وصبياناً . ثم نظر فيهم ؛ فأمّا من كان مسلماً فخلاّه وأخذ بيعته وترك له عيالَه ، وأما من كان ارتدّ فعرض عليهم الإسلام . فرجعوا وخلّى سبيلهم وسبيلَ عيالهم إلاّ شيخاً منهم نصرانياً يقال له : الرُّمَاحِس[1] بن منصور ؛ قال : والله ما زَلَلْتُ منذ عقلتُ إلا في خروجي من ديني ، دينِ الصِّدق إلى دينكم دينِ السوء ، لا والله لا أدع ديني ، ولا أقرب دينَكم ما حييت . فقدّمه فضرَب عنقَه ، وجمع معقل الناسَ فقال : أدّوا ما عليكم في هذه السنين من الصدقة . فأخذ من المسلمين عِقالَين ، وعَمَد إلى النصارى وعيالِهم فاحتملهم مقبلا بهم ، وأقبل المسلمون معهم يشيّعونهم ، فأمر معقل بردّهم ، فلما انصرفوا تصافحوا فبكوا ، وبكى الرجالُ والنساء بعضهم إلى بعض . قال : فأشهد أنّي رحمتُهم رحمةً ما رحمتُها أحداً قبلَهم ولا بعدَهم . ١ / ٣٤٣٨

قال : وكتب معقل بن قيس إلى عليّ : أما بعد ، فإنّي أخبر أميرَ المؤمنين عن جُنْده وعدوّه ؛ إنا دفعنا إلى عدونا بالأسياف فوجدنا بها قبائلَ ذات عِدّة وحِدّة وجِدّ ، وقد جُمعت لنا ، وتحزّبتْ علينا ، فدعَوْناهم إلى الطاعة والجماعة ، وإلى حُكم الكتاب والسنة ، وقرأنا عليهم كتابَ أمير المؤمنين ، ورفعنا لهم رايةَ أمان ، فمالَتْ إلينا منهم طائفة ، وبقيتْ طائفةٌ أخرى مُنابِذة ، فقبلنا من التي أقبلت ، وصَمدْنا صَمْداً للتي أدبرتْ ، فضرب الله وجوهَهم ونُصِرنا عليهم ؛ فأمّا من كان مسلماً فإنا مننّا عليه وأخذنا بيعتَه لأمير المؤمنين ، وأخذنا منهم الصدقة التي كانت عليهم ، وأما من ارتدّ فإنا عرضنا عليه الرجوع إلى الإسلام وإلا قتلناه . فرجعوا غير رجل واحد ، فقتلناه ؛ وأما النصارى فإنا سبيْناهم ، وقد أقبلْنا بهم ليكونوا نَكالا لمن بعدهم من أهل الذمة ، لكيلا يمنعوا الجزية ، ولكيلا يجترئوا على قتال أهلِ القبلة ، وهم أهل الصَّغار والذلّ ، رحمك الله يا أميرَ المؤمنين ، وأوجَبَ لك جنّات النعيم ؛ والسلام عليك ! ١ / ٣٤٣٩

ثم أقبل بهم حتى مرّ بهم على مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ ، وهو عاملُ عليّ على أردشير خُرّه ، وهم خمسمائة إنسان ، فبكى النساء والصبيانُ ، وصاحَ

---

(١) النويري : « الرماعس » .

الرجال : يا أبا الفضل ، يا حاميَ الرجال[١]، وفكّاك العُناة ، امنن علينا فاشترِنا وأعتِقنا ؛ فقال مصقلة : أقسم بالله لأتصدّقنّ عليهم ، إنّ الله يَجزِى المتصدّقين . فبلَغها عنه معقِل ، فقال : والله لو أعلم أنه قاله توجّعًا لهم ، وزراءً عليكم ، لضربتُ عنقَه ، ولو كان فى ذلك تفانِى تميم وبكْر بن وائل . ثم إن مصقلة بعث ذُهل بن الحارث الذّهلىّ إلى معقِل بن قيس فقال له : بِعنِى بنى ناجية ؛ فقال : نعم ، أبيعكم بألف ألف ، ودفَعَهم إليه ، وقال له : عجّل بالمال إلى أمير المؤمنين ؛ فقال : أنا باعث الآن بصدْر ، ثم أبعثُ بصَدْر آخر كذلك ؛ حتى لا يبقى منه شىء إن شاء الله تعالى . وأقبل معقِل بن قيس إلى أمير المؤمنين ، وأخبره بما كان منه فى ذلك ، فقال له : أحسنتَ وأصبتَ ، وانتظَرَ علىٌّ مصقلة أن يبعث إليه بالمال ، وبلغ عليًّا أنّ مصقلة خلّى سبيلَ الأسارى ولم يسألهم أن يُعينوه فى فكاك أنفسِهم بشىء ، فقال : ما أظنّ مصقلة إلا قد تحمّل حَمالةً ؛ ألا أراكم سترَوْنه عن قريب ملبّداً . ثم إنه كتب إليه : أمّا بعد ، فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة ، وأعظم الغِش على أهل المصر غشّ الإمام ، وعندَك من حق المسلمين خمسمائة ألف ، فابعث بها إلىّ ساعةَ يأتيك رسولى ، وإلا فأقبِل حين تنظرُ فى كتابى ، فإنى قد تقدّمت إلى رسولى إليك ألّا يَدَعَك أن تقيمَ ساعة واحدة بعدقدومه عليك إلا أن تبعث بالمال ؛ والسلام عليك . ٣٤٤٠/١

وكان الرسول أبو جُرّة الحنفىّ ، فقال له أبو جُرّة : إن يبعث بالمال الساعة وإلا فاشْخَصْ إلى أمير المؤمنين . فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل البَصرة ، فمكث بها أيامًا . ثم إنّ ابنَ عباس سأله المال ، وكان عمّال البصرة يَحملون من كُوَر البصرة إلى ابن عباس ، ويكون ابنُ عباس هو الذى يبعث به إلى علىّ ؛ فقال له : نعم ، أنظِرنى أياماً ، ثم أقبل حتى أتى عليًّا فأقرّه أيامًا ، ثم سأله المال ، فأدّى إليه مائتى ألف ، ثم إنه عجز فلم يَقدِر عليه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو الصّلت الأعور ، عن ذُهل بن الحارث ،

---

(١) بعدها فى ابن الأثير : « ومأوى المعضب » .

قال : دعانى مَصْقلة إلى رَحْلِه فقَدَّم عشاؤه ، فطَعِمْنا منه ، ثم قال : والله إن أميرَ المؤمنين يسألنى هذا المال ، ولا أقدِر عليه ، فقلت : والله لو شئتَ ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميعَ المال ؛ فقال : والله ما كنت لأحمّلها قومى ، ولا أطلب فيها إلى أحد . ثم قال : أما والله لو أن ابنَ هند هو طالبنى بها أو ابن عفان لتركها لى ؛ ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعمَ الأشعثَ من خراج أذْرَبيجانَ مائة ألف فى كلّ سنة ! فقلت له : إنّ هذا لا يرى هذا الرأى ، لا والله ما هو بباذل شيئًا كنتَ أخذته ، فسكت ساعةً ، وسكت عنه ، فلا والله ما مكث إلا ليلةً واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية . ١/٣٤٤١

وبلغ ذلك عليًّا فقال : ما له برّحه اللهَ ؛ فعَل فِعلَ السيّد ، وفرّ فِرارَ العبد ، وخان خيانة الفاجر ! أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه ، فإن وجدْنا له شيئًا أخذناه ، وإن لم نقدر على مال تركناه . ثم سار إلى داره فنقضها وهدّمها ، وكان أخوه نعيم بن هبيرة شيعيًّا ، ولعلىٍّ مناصحًا ، فكتب إليه مصقلة من الشأم مع رجل من النصارى من بنى تَغلِب يقال له حُلْوان :

أما بعد ، فإنى كلّمتُ معاويةَ فيك ، فوعَدَك الإمارة ، ومنّاك الكرامة ، فأقبِل إلىّ ساعةَ يلقاك رسولى إن شاء الله ؛ والسلام .

فأخذه مالك بن كعب الأرحبىّ ، فسرّح به إلى علىّ ، فأخذ كتابه فقرأه ، فقطع يَدَ النصرانىّ ، فمات ، وكتب نُعيم إلى أخيه مَصْقَلة :

لا ترْمِيَنَّ هَداكَ اللهُ مُعْتَرِضاً ... بالظَّنّ مِنْك فما بالى وحُلوانا!

ذاك الحَرِيصُ على ما نالَ مِن طَمَعٍ ... وَهْوَ البَعيدُ فلا يُحزِنْكَ إذْ خانا

ماذا أَرَدْتَ إلى إرْسالِهِ سَفَهاً ... تَرْجو سِقاطَ امْرِئٍ لم يُلْفَ وَسْنانا

عَرَّضْتَهُ لِعَلِيٍّ إنَّهُ أَسَدٌ ... يمشى العِرَضْنَةَ مِنْ آسادِ خَفّانا[1]

قد كنْتَ فى مَنْظَرٍ عن ذا ومُسْتَمَعٍ ... تحْمِى العراقَ وتُدْعى خَيْرَ شيْبانا ١/٣٤٤٢

---

(١) يمشى العرضنة : يعدو ليسبق غيره .

حَتَّى تَقَحَّمْتَ أَمْرًا كُنْتَ تَكْرَهُهُ   لِلرّاكبين لَهُ سِرًّا وإعلانا
لو كُنْتَ أَدَّيْتَ ما للقَوْم مُصْطَبِرًا   لِلْحَقِّ أَحْيَيْتَ أَحيانًا ومَوْتانا[1]
لكن لَحِقْتَ بأَهْلِ الشأمِ مُلْتمِساً   فَضلَ ابن هِنْدٍ وذاك الرأىُ أَشجانا
فاليَوْمَ تَقْرَعُ سِنَّ الغُرْمِ من ندَمٍ[2]   ماذا تَقولُ وقَدْ كان الذى كانا !
أَصْبحْتَ تُبْغِضُكَ الأَحياءُ قاطِبةً   لم يَرْفَعِ ٱللّٰهُ بالبَغْضاءِ إنسانا

فلما وَقَع الكتاب إليه عَلِم أنّ رسوله قد هلك ، ولم يلبث التغلبيّون إلا قليلاً حتى بلغهم هلاكُ صاحبهم حُلْوان ، فأتوا مصقلةَ فقالوا : إنك بعثتَ صاحبَنا فأهلكتَه ، فإما أن تُحييَه وإما أن تَدِيَه ، فقال : أمّا أن أحيِيَه فلا أستطيع ، ولكنّى سأدِيه ؛ فوَاداه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندَب ، قال : حدّثنى أبى ، قال : لما بلغ عليًّا مصابُ بنى ناجية وقتلُ صاحبهم قال : هوتْ أمّه! ما كان أنقَصَ عقلَه ، وأجرَأه على ربّه ! فإنّ جائيًا جاءنى مرّة فقال لى : فى أصحابك رجالٌ قد خشيتُ أن يفارقوك ، فما ترى فيهم ؟ فقلت له : إنّى لا آخذ على التهمة ، ولا أعاقب على الظنّ ، ولا أقاتل إلا من خالَفنى وناصَبَنى وأظهر لى العداوة ، ولست مُقاتِلَه حتى أدعوَه وأعذرَ إليه ، فإن تاب ورجع إلينا قبلْنا منه ، وهو أخونا ، وإن أبى إلا الاعتزامَ على حربنا استعنّا عليه اللهَ ، وناجَزْناه . فكفّ عنى ما شاء الله . ثم جاءنى مرّة أخرى فقال لى : قد خشيت أن يَفسد عليك عبدُالله بنُ وهب الراسبيّ وزيدُ بن حصين ، إنى سمعتُهما يذكرانك بأشياء لو سمعتَها لم تُفارِقْهما عليها حتى تقتلهما أو توبِقهما ، فلا تفارقْهما من حبسك أبداً ، فقلت : إنّى مستشيرك فيهما ، فماذا تأمرنى به ؟ قال : فإنّى آمرك أن تدعوَ بهما ، فتضربَ رقابهما ، فعلمت أنه لاَ ورِعٌ ولا عاقل ، فقلت : واللهِ ما أظنّك ورِعًا ولا عاقلاً

١/٣٤٤٣

(١) ابن الأثير : « مال القوم » ، بإضافة « مال » إلى ما بعده . وخفّف «أحيانا» للشعر ، والأصل فيه « أحياءنا » بالهمز .
(٢) ابن الأثير : « سنّ العجز » .

نافعًا ، والله لقد كان ينبغي لك لو أردت قتلهم أن تقول : اتّق الله ، لم تستحلّ قتلهم ولم يقتلوا أحداً ، ولم ينابذوك ، ولم يخرجوا من طاعتك !

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة قُثَم بن العبّاس من قِبَل عليّ عليه السلام. حدّثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكان قُثَم يومئذ عامل عليّ على مكة ، وكان على اليمن عبيد الله بن العباس ، وعلى البصرة عبد الله بن العباس .

واختُلف في عامله على خُراسان فقيل : كان خليد بن قرّة اليربوعيّ ، وقيل : كان ابن أبزَى ؛ وأما الشأم ومصرَ فإنه كان بهما معاوية وعمّاله .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين

٣٤٤٤/١

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فمما كان فيها من الأحداث المذكورة :

تفريق معاوية جيوشه فى أطراف علىّ

فوجّه النعمانَ بن بشير — فيما ذكر على بن محمد بن عوانة — فى ألفى[1] رجل إلى عين التّمْر ، وبها مالك بن كعب مَسلَحةٌ لعلىّ فى ألف رجل ، فأذن لهم ، فأتَوا الكوفة ، وأتاه النعمان ، ولم يبق معه إلاّ مائة رجل ، فكتب مالكٌ إلى علىّ يخبرُه بأمرِ النعمان ومن معه ، فخطب علىٌّ النّاس ، وأمَرَهم بالخُروج ، فتثاقلُوا ، وواقع مالك النعمان ، والنّعمان فى ألفىْ رجل ومالك فى مائة رجل ، وأمر مالك أصحابَه أن يجعلوا جَدْرَ[2] القرية فى ظهورهم ، واقتتلوا . وكتب إلى مِخْنف بن سُلَيْم يسأله أن يُمدّه وهو قريب منه ، فقاتلهم مالك ابن كعب فى العِصابة التى معه كأشدّ القتال ، ووجّه إليه مخنَف ابنَه عبد الرحمن فى خمسين رجلاً ، فانتهوْا إلى مالك وأصحابه ، وقد كسروا جفونَ سيوفهم ، واستقتَلوا ، فلما رآهم أهلُ الشأم وذلك عند المساء ، ظنّوا أنّ لهم مدداً وانهزموا ، وتبِعهم مالك ، فقتل منهم ثلاثة نفر ، ومضَوْا على وجوههم .

* * *

حدّثنى عبدُالله بن أحمدَ بن شبّوَيه المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، عن عبد الله ، قال : حدّثنى عبد الله بن أبى معاوية ، عن عمرو بن حسّان ، عن شيخ من بنى فَزارة ، قال : بعث معاوية النعمانَ بن بشير فى ألفين ، فأتوا عينَ التَّمْر ، فأغاروا عليها ، وبها عامل لعلىّ يقال له ابن فلان الأرحبىّ فى ثلثمائة ، فكتب إلى علىّ يستمِدّه ، فأمر الناسَ أن ينهضوا إليه ، فتثاقلوا ، فصعِد المنبر ، فانتهيت إليه وقد سبَقَنى بالتشهّد وهو يقول :

٣٤٤٥/١

(١) ابن الأثير والنويرى : « ألف » . (٢) الجدر : الحائط .

يا أهلَ الكُوفة ، كلّما سمعتم بمنسر من مناسر(١) أهل الشأم أظلّكم وأغلقَ بابَه انجحَر كلّ امرئ منكم فى بيته انجحارَ الضبّ فى جُحْره والضّبع فى وِجارها ؛ المغرورُ من غررتموه ، ولَمَنْ فازَ بكم فاز بالسهم الأخيَب. لا أحرارٌ عند النداء ، ولا إخوانُ ثقة عند النّجاء ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! ماذا مُنيتُ به منكم ! عميٌ لا تُبصِرون ، وبُكْمٌ لا تنطقون ، وصُمٌّ لا تَستَمعون(٢) إنا لله وإنا إليه راجعون .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . قال : ووجّه معاوية فى هذه السنة سُفيانَ بن عوف فى ستة آلاف رجل ، وأمره أن يأتىَ هِيت فيقطعها ، وأن يُغيرَ عليها ، ثم يمضى حتى يأتى الأنبار والمدائن فيوقعَ بأهلها ، فسار حتى أتى هِيت فلم يَجِد بها أحداً ، ثم أتى الأنبارَ وبها مَسلَحة لعلىّ تكون خمسمائة رجل ، وقد تفرّقوا فلم يبق َمنهم إلا مائة رجل ، فقاتَلَهم ، فصبر لهم أصحابُ علىّ مع قلّتهم ، ثم حملت عليهم الخيلُ والرَّجالة ، فقتلوا صاحبَ المسلحة ، وهو أشرَس بن حسّان البكرىّ فى ثلاثين رجلا ، واحتملوا ما كان فى الأنبار من الأموال وأموال أهلها ، ورجعوا إلى معاوية . وبلغ الخبر عليًّا ، فخرج حتى أتى النُّخَيلة ، فقال له الناس : نحن نكفيك ؛ قال : ما تكفوننى ولا أنفسكم ؛ وسرّح سعيد ابن قيس فى أثر القوم ، فخرج فى طلبهم حتى جاز هِيت ، فلم يلحقهم فرجع .

١/٣٤٤٦

* * *

قال : وفيها وجّه معاوية أيضًا عبدَالله بن مسعدة الفَزَارىّ فى ألف وسبعمائة رجل إلى تَيْماء ، وأمره أن يُصَدِّق(٣) مَن مرّ به من أهل البوادى ، وأن يقتل مَن امتنع من عطائه صدقة ماله ، ثم يأتى مكة والمدينة والحجاز ،

---

(١) المنسر : قطعة من الجيش تكون قدام الجيش الكبير .

(٢) ابن الأثير : « يبصرون . ينطقون . يسمعون »

(٣) المصدق : هو الذى يجمع الصدقات .

يفعل ذلك ، واجتمع إليه بشرٌ كثير من قومه ، فلما بلغ ذلك عليًّا وجه المسيَّب ابن نَجَبَة الفَزَاري[1] ، فسار حتى لحق ابن مسعدة بتَيْماء ، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالاً شديداً ، وحمل المسيَّب على ابن مسعدة فضربه ثلاثَ ضَرَبات ، كلّ ذلك لا يلتمس قتله ويقول له : النَّجاء النَّجاء ! فدخل ابن مسعدة وعامة مَن معه الحصن ، وهرَب الباقون نحو الشأم ، وانتهب الأعراب إبلَ الصّدقة التي كانت مع ابن مسعدة ، وحَصَره ومَن كان معه المسيَّب ثلاثة أيام ، ثم ألقى الحطَب على الباب ، وألقى النيرانَ فيه ، حتى احترق ، فلما أحسوا بالهلاك أشرَفوا على المسيّب فقالوا : يا مسيّب ، قومك ! فرقّ لهم ، وكره هلاكَهم ، فأمر بالنار فأطفئتْ ، وقال لأصحابه : قد جاءتني عيون فأخبرُوني أنّ جنداً قد أقبل إليكم من الشأم ، فانضمّوا في مكان واحد . فخرج ابنُ مسعدة في أصحابه ليلاً حتى لحقوا بالشأم ، فقال له عبد الرحمن بن شبيب : سِرْ بنا في طلبهم ، فأبى ذلك عليه ، فقال له : غششتَ أميرَ المؤمنين وداهنتَ في أمرهم .

١/٣٤٤٧

* * *

وفيها أيضًا وجّه معاويةُ الضحّاكَ بنَ قيس ، وأمره أن يمرّ بأسفل واقِصة ، وأن يُغير على كلّ مَن مرّ به ممن هو في طاعة عليّ من الأعراب ، ووَجّه معه ثلاثة آلاف رجل ، فسار فأخذ أموالَ الناس ، وقتل من لقيَ من الأعراب ، ومرّ بالثّعلبيّة فأغار على مسالح عليّ ، وأخذ أمتِعتهم ، ومضى حتى انتهى إلى القُطْقُطانة ، فأتى عَمرو بن عُميس بن مسعود ، وكان في خيل لعليّ وأمامه أهله ، وهو يريد الحجّ ، فأغار على من كان معه ، وحبسه عن المسير ، فلما بلغ ذلك عليًّا سرّح حُجْر بن عديّ الكنديّ في أربعة آلاف ، وأعطاهم خمسين خمسين ، فلحق الضحّاك بتَدْمُر فقتل منهم تسعةَ عشرَ رجلاً ، وقتِل من أصحابه رجلان ، وحال بينهم الليل ، فهرب الضحاك وأصحابه ، ورجع حُجْر ومن معه .

* * *

---

(١) بعدها في ابن الأثير والنويري : « في ألف رجل » .

وفيها سار معاوية بنفسه إلى دِجْلة حتى شارَفَها ، ثم نكص راجعًا ، ذكر ذلك ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنى ابن جريج ، عن ابن أبى مُلَيكة قال : لما كانت سنة تسع وثلاثين أشرَف عليها معاوية .

وحدثنى أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر مثله .

* * *

١/٣٤٤٨ واختلف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بالناس فيها عبيد الله بن عبّاس من قِبَل علىّ . وقال بعضُهم : حجّ بهم عبد الله ابن عباس ؛ فحدّثنى أبو زيد عمر بن شبّة ، قال : يقال إنّ عليًّا وجّه ابنَ عباس ليشهد الموسم ويصلى بالناس فى سنة تسع وثلاثين ، وبعث معاوية يزيد ابن شجرة الرّهاوىّ .

قال : وزعم أبو الحسن أن ذلك باطل ، وأن ابنَ عباس لم يشهد المَوْسِم فى عمل حتى قُتِل علىّ عليه السلام ؛ قال : والذى نازعه يزيد بن شجرة قُثَم ابن العباس ، حتى إنهما اصطلحا على شيبة بن عثمان ، فصلى بالناس سنة تسع وثلاثين .

وكالذى حكيت عن أبى زيد عن أبى الحسن ، قال أبو معشر فى ذلك : حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت الرازىّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى عنه .

وقال الواقدىّ : بعث علىّ على الموسم فى سنة تسع وثلاثين عُبيد الله بن عباس ، وبعث معاوية يزيدَ بن شجرة الرهاوىّ ليقيمَ للناس الحجّ ، فلما اجتمعا بمكّة تَنازَعا ، وأبَى كلٌّ واحد منهما أن يسلّم لصاحبه ، فاصطلَحا على شيبة بن عثمانَ بن أبى طلحة .

* * *

وكانت عمّال علىٍّ فى هذه السنة على الأمصار الذين ذكرْنا أنهم كانوا عمّالَه فى سنة ثمان وثلاثين غير ابن عباس ، كان شَخَصَ فى هذه السنة عن عمله بالبَصرة ، واستخلف زياداً — الذى كان يقال له : زياد بنُ أبيه — على الخَراج ، وأبا الأسوَد الدُّؤَلىّ على القضاء .

[ذكر توجيه ابن عباس زيادًا إلى فارس وكرمان]

وفى هذه السنة وجّه ابنُ عباس زياداً عن أمر علىّ إلى فارسَ وكِرْمان عند منصرَفه من عند علىّ من الكُوفة إلى البَصرة .

* ذكر سبب توجيهه إياه إلى فارس : ١/٣٤٤٩

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ؛ قال : لما قتل ابن الحَضْرمىّ واختلف الناسُ على علىّ ، طَمِع أهلُ فارسَ وأهلُ كَرمانَ فى كسْر الخراج ، فغلب أهلُ كل ناحية على ما يليهم ، وأخرجوا عمّالَهم .

حدّثنى عمر ، قال : حدثنا أبو القاسم ، عن سَلَمة بن عثمان ، عن علىّ بن كثير ، أنّ عليًّا استشار الناسَ فى رجُل يولّيه فارسَ حين امتنعوا من أداء الخراج ، فقال له جارية بن قدامة : ألا أدلّك يا أميرَ المؤمنين على رجل صليبِ الرأى ، عالم بالسياسة ، كافٍ لِمَا وَلِىَ ؟ قال : مَن هو ؟ قال : زياد ؛ قال : هو لها ؛ فولّاه فارسَ وكِرْمان ، ووجّهه فى أربعة آلاف ، فدوّخ تلك البلادَ حتى استقاموا .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن علىّ بن مجاهد ، قال : قال الشعبىّ : لما انتقَض أهلُ الجبال وطمع أهلُ الخراج فى كسره ، وأخرَجوا سهلَ بن حنيف من فارسَ — وكان عاملا عليها لعلىّ — قال ابن عباس لعلىّ : أكفيكَ فارسَ ؛ فقدِم ابنُ عباس البَصرة ، ووجّه زياداً إلى فارسَ فى جمع كثير ، فوطِئ بهم أهلَ فارس ، فأدّوا الخَراج .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى أبو الحسن ، عن أيّوب بن موسى ، قال : حدّثنى شيخٌ من أهل إصْطَخْر قال : سمعتُ أبى يقول : أدركتُ زياداً وهو أميرٌ على فارسَ وهى تَضطَرِم ناراً ، فلم يزل بالمُداراة حتى عادوا إلى ما كانوا عليه من الطّاعة والاستقامة ، لم يقفْ موقفًا للحرب . وكان أهل فارسَ يقولون : ما رأيْنا سيرةً أشبه بسيرة كِسرَى أنو شِرْوان من سيرة هذا العربىّ فى اللين والمُداراة والعلم بما يأتى .

٣٤٥٠/١ قال : ولما قدِم زياد فارسَ بعث إلى رؤسائها ، فوعد مَن نَصرَه ومنّاه ، وخوّفَ قومًا وتوعّدهم ، وضرب بعضَهم ببعض ، ودلّ بعضَهم على عورةِ بعض ، وهربتْ طائفة ، وأقامت طائفة ، فقتل بعضُهم بعضًا ، وصفَتْ له فارس ، فلم يَلْقَ فيها جمعًا ولا حَرْبًا ، وفعل مِثلَ ذلك بكَرْمان ، ثم رجع إلى فارسَ ، فسار في كُوَرها ومنّاهم ، فسكَنَ الناسُ إلى ذلك ، فاستقامت له البلاد ، وأتى إصْطَخْرَ فنزلها وحصّن قلعةً بها ما بين بيضاء إصْطَخْر وإصْطَخْر ، فكانت تسمَّى قلعةَ زياد ، فحمل إليها الأموال ، ثم تحصّن فيها بعد ذلك منصور اليشكريّ ، فهي اليومَ تُسمَّى قلعةَ منصور.

ثم دخلت سنة أربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك توجيه معاوية بُسر بن أبى أرطاة فى ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز .

فذُكر عن زياد بن عبد الله البكّائىّ ، عن عوانة ، قال : أرسل معاويةُ ابنُ أبى سفيان بعد تحكيم الحكمين بُسرَ بنَ أبى أرطاة — وهو رجلٌ من بنى عامر بن لؤىّ فى جيش — فساروا من الشأم حتى قدموا المدينة ، وعاملُ ١/٣٤٥١ علىّ على المدينة يومئذ أبو أيوبَ الأنصارىّ ، ففرّ منهم أبو أيوب ، فأتى عليًّا بالكوفة ، ودخل بُسر المدينة ؛ قال : فصَعِد منبرَها ولم يقاتلْه بها أحد ، فنادى على المنبر : يا دينار ، ويا نجّار ، ويا زُريق ، شيْخى شيْخى ! عهدى به بالأمس ، فأين هو ! يعنى عثمانَ ، ثمّ قال : يا أهل المدينة ، والله لولا ما عهد إلىّ معاويةُ ما تركتُ بها محتلِماً إلاّ قتلته . ثم بايعَ أهل المدينة ، وأرسل إلى بنى سلِمة ، فقال : والله ما لكم عندى من أمان ولا مبايَعة حتى تأتونى بجابر بنِ عبد الله ، فانطلق جابر إلى أمّ سلَمة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال لها : ماذا تَرَيْن ؟ إنّى قد خشيتُ أن أقتل ، وهذه بيْعة ضلالة ، قالت : أرى أن تبايعَ ، فإنّى قد أمرت ابنى عمر بن أبى سلَمة أن يبايِع ، وأمرتُ ختَنى عبد الله بن زَمْعة — وكانت ابنتها زينب ابنة أبى سلَمة عند عبدالله بن زمعة — فأتاه جابرٌ فبايعه ، وهدّم بُسْر دُورًا بالمدينة ، ثم مضى حتى أتى مكة ، فخافه أبو موسى أن يقتلَه ، فقال له بُسر : ما كنتُ لأفعلَ بصاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؛ فخلّى عنه ، وكتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن : إنّ خيلاً مبعوثةً من عند معاوية تَقتُل الناس ، تَقتُل مَن أبَى أن يقرّ بالحكومة . ثم مضى بُسر إلى اليَمَن ، وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملاً لعلىّ ، فلما بلغه مسيرُه فرّ إلى الكوفة حتى ١/٣٤٥٢ أتى عليًّا ، واستخلف عبدَ الله بن عبد المَدان الحارثىّ على اليَمَن ، فأتاه بُسر

فقتله وقتل ابنَه ، ولقِى بُسر ثُقَل عبيد الله بن عباس . وفيه ابنان له صغيران ، فذبَحهما . وقد قال بعض الناس : إنه وجد ابنى عبيد الله بن عباس عند رجل من بنى كنانةَ من أهل البادية ، فلما أراد قتلَهما قال الكنانىّ : علامَ تَقتُل هذين ولا ذنب لهما ! فإن كنتَ قاتلَهما فاقتلنى ، قال : أفعل ؛ فبدأ بالكنانىّ فقتله ، ثم قتلَهما ثمّ رجع بُسْر إلى الشأم . وقد قيل : إنّ الكنانىّ قاتل عن الطفلين حتى قُتِل ، وكان اسمُ أحدِ الطفلين اللذَين قتلَهما بُسْر : عبد الرحمن ، والآخر قُثَم . وقَتل بُسر فى مسيره ذلك جماعةً كثيرةً من شيعة علىّ باليمن . وبلغ عليًّا خبرُ بُسر ، فوجّه جارية بن قُدامة فى ألفين ، ووهْب بن مسعود فى ألفين ، فسار جارية حتى أتى نَجْرانَ فحرّق بها ، وأخذ ناسًا من شيعة عثمانَ فقتلهم ، وهَرَب بُسْر وأصحابُه منه ، وأتبعهم حتى بلغ مكة ، فقال لهم جارية : بايعونا ؛ فقالوا : قد هلك أميرُ المؤمنين ، فلِمَن نبايع ؟ قال : لمن بايعَ له أصحابُ علىّ ، فتثاقلوا ، ثمّ بايعوا . ثمّ سار حتى أتى المدينة وأبو هريرة يصلّى بهم ، فهرب منه ، فقال جارية : واللهِ لو أخذتُ أبا سِنَّوْر لضربتُ عنقَه ، ثم قال لأهل المدينة : بايِعوا الحسنَ بن علىّ ؛ فبايَعوه وأقام يومَه ، ثم خرج منصرِفًا إلى الكوفة ، وعاد أبو هريرة فصلّى بهم .

* * *

٣٤٥٣/١ وفى هذه السنة — فيما ذكر — جرتْ بين علىّ وبين معاويةَ المهادنة — بعد مكاتبات جرتْ بينهما يطول بذكرها الكتاب — على وَضْعِ الحرب بينهما ، ويكون لعلىّ العراق ولمعاويةَ الشأم ، فلا يدخل أحدُهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غَزْو .

قال زياد بنُ عبد الله ؛ عن أبى إسحاق : لما لم يعطِ أحدُ الفريقين صاحبَه الطاعةَ كتب معاويةُ إلى علىّ : أما إذا شئتَ فلك العراق ولى الشأم ، وتكفّ السيف عن هذه الأمة ، ولا تُهَرِيق دماءَ المسلمين ؛ ففعل ذلك ، وتراضَيَا على ذلك ، فأقام معاوية بالشأم بجنوده يَجْبيها وما حولها ، وعلىّ بالعراق يَجبيها ويقسمها بين جنوده .

* * *

[خروج ابن عباس من البصرة إلى مكة]

وفيها خرج عبدُ الله بن العباس من البَصرة ولحق مكة فى قول عامة أهل السِّيَر ، وقد أنكر ذلك بعضُهم ، وزعَم أنه لم يَزلْ بالبصرة عاملاً عليها من قِبَل أمير المؤمنين علىٍّ عليه السلام حتى قُتِل ، وبعد مَقتَل علىّ حتى صالح الحسن معاوية ، ثمّ خرج حينئذ إلى مكة .

* ذكر الخبر عن سبب شخوصه إلى مكة وتركه العراق :

حدّثنى عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثنى جماعة عن أبى مخنف ، عن سليمان ابن أبى[1] راشد ، عن عبد الرحمن بن عُبيد أبى الكَنود ، قال : مرّ عبدُ الله بنُ عباس على أبى الأسود الدّؤلىّ ، فقال : لو كنتَ من البهائم كنتَ جَمَلا ، ولو كنتَ راعيًا ما بلغتَ من المرعى ، ولا أحسنتَ مهنته فى المشْى . قال : فكتب أبو الأسود إلى علىّ :

أما بعد ، فإنّ الله جلّ وعلا جعلك واليًا مؤتمنًا ، وراعيًا مستوليًا ، وقد بلوناك فوجدْناك عظيمَ الأمانة ، ناصحًا للرعية ، توفر لهم فَيْئهم ، وتَظْلَف[2] نفسَك عن دنياهم ، فلا تأكل أموالَهم ، ولا ترتشى فى أحكامهم . وإنّ ابنَ عمّك قد أكل ما تحت يديه بغير علمك ، فلَم يَسعْنى كِتمانُك ذلك ، فانظر رحمك الله فيما هناك ، واكتب إلىّ برأيك فيما أحببتَ أنتهِ إليك . والسلام . ١ / ٣٤٥٤

فكتب إليه علىّ : أما بعْد ، فمثلك نصح الإمامَ والأمة ، وأدّى الأمانة ، ودلّ على الحقّ ، وقد كتبتُ إلى صاحبك فيما كتبتَ إلىّ فيه من أمرِه ، ولم أعلِمه أنك كتبتَ ، فلا تَدَع إعلامى بما يكون بحضرتك مما النظر فيه للأمة صلاحٌ ، فإنك بذلك جدير ، وهو حقٌّ واجب عليك ؛ والسلام[3].

وكتبَ إلى ابن عباس فى ذلك ، فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فإن الذى بلغك باطل ، وإنى لِمَا تحت يدى ضابط قائم له وله حافظ ، فلا تصدِّق الظُّنون ؛ والسلام .

قال : فكتب إليه علىّ : أما بعد ، فأعلِمنى ما أخذتَ من الجزية ،

---

(١) ساقطة من ط . (٢) ابن الأثير : « وتكف » ، وتظلف : تمنع .

(٣) الخبر فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى : ١٦ .

ومِن أين أخذت ؟ وفيم وضعت ؟

قال : فكتب إليه ابنُ عباس : أما بعد ، فقد فهمتُ تعظيمَك مَرْزَأة ما بلغك أنّى رزَأتُه[1] من مال أهلِ هذا البلد، فابعث إلى عملك مَنْ أحببت ، فإنّى ظاعنٌ عنه . والسلام .

ثم دعا ابن عباس أخوالَه بني هلال بن عامر ، فجاءه الضحّاك بن عبد الله وعبد الله بن رَزين بن أبي عمرو الهلاليّان ، ثم اجتمعت معه قيس كلُّها فحمل مالا .

١/٣٤٥٥ قال أبو زيد : قال أبو عبيدة : كانت أرزاقًا قد اجتمعتْ ، فحمل معه مقدار ما اجتمع له ، فبعث الأخماس كلها ، فلحقوه بالطَّفّ ، فتواقفوا يريدون أخذَ المال ، فقالت قيس : والله لا يُوصَل إلى ذلك وفينا عينٌ تَطرِف . وقال صبرة بن شيمان الحُدّانىّ : يا معشر الأَزْد ، والله إنّ قيسًا لإخوانُنا في الإسلام ، وجيرانُنا في الدار ، وأعوانُنا على العدوّ ، وإنّ الذى يصيبكم من هذا المال لو رُدّ عليكم لقليل ، وهم غداً خيرٌ لكم من المال . قالوا : فما ترى ؟ قال : انصرِفوا عنهم ودَعُوهم ، فأطاعوه فانصرفوا ؛ فقالت بكر وعبد القيس : نعم الرأىُ رأىُ صَبِرة لقومه ، فاعتزَلوا أيضًا ، فقالت بنو تميم : والله لا نفارقهم ؛ نقاتلهم عليه . فقال الأحنف : قد ترك قتالَهم من هو أبعدُ منكم رَحِما ؛ فقالوا : والله لنقاتلنّهم ؛ فقال : إذاً لا أساعدكم عليهم ، فاعتزلَهم ؛ قال : فرأّسوا عليهم ابن المُجّاعة من بنى تميم ، فقاتلوهم ، وحمل الضحّاك على ابن المُجّاعة فطعنه ، واعتنَقه عبد الله بن رَزين ، فسقَطا إلى الأرض يعتَرِكان ، وكثرت الجراح فيهم ، ولم يكن بينهم قتيل ؛ فقالت الأخماس : ما صنعْنا شيئًا ، اعتزلْناهم وتركْناهم يتحاربون ، فضربوا وجوهَ بعضِهم عن بعض ، وقالوا لبنى تميم : لنحن أسخَى منكم أنفسًا حين تركْنا هذا المال لبنى عمّكم ، وأنتم تقاتلونهم عليه ، إن القومَ قد حَمَلوا وحُموا ، فخَلّوهم ، وإنْ أحببتم فانصرِفوا . ومضى ابنُ عباس ومعه نحو من عشرين رجلاً حتى قدِم مكّة .

---

(١) رزأت المال : أصبته .

وحدّثني أبو زيد، قال : زعم أبو عبيدةَ — ولم أسمعه منه — أنّ ابن عباس لم يبرحْ من البَصرة حتى قُتل عليّ عليه السلام ، فشخص إلى الحسن ، فشهد الصّلحَ بينه وبين معاوية ، ثم رجع إلى البصرة وثَقَلُه بها ، فحمَلَه ومالاً من بيت المال قليلا ؛ وقال : هى أرزاقى .

١/٣٤٥٦

قال أبو زيد : ذكرتُ ذلك لأبى الحسن فأنكَره، وزعَم أنّ عليًّا قُتل وابن عباس بمكة ، وأنّ الذى شهد الصلح بين الحسن ومعاوية عبيدُ الله بن عباس .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل عليّ بن أبي طالب]

وفى هذه السنة قُتِل علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، واختُلف فى وقت قتلِه ، فقال أبو معشر ما حدّثنى به أحمد بن ثابت، قال: حُدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : قُتل علىّ فى شهر رمضانَ يوم الجمعة لسبعِ عشرة خلتْ منه سنة أربعين ،

وكذلك قال الواقدىّ ، حدّثنى بذلك الحارث ، عن ابن سعد عنه ، وأما أبو زيد فحدّثنى عن علىّ بن محمد أنه قال: قُتِل علىٌّ بنُ أبى طالب بالكُوفة يومَ الجمعة لإحدى عشرة . قال : ويقال : لثلاث عشرة بقيتْ من شهر رمضان سنة أربعين. قال : وقد قيل فى شهر ربيع الآخر سنةأربعين.

* ذكر الخبر عن سبب قتله ومقتله :

حدّثنى موسى بن عثمان[1] بن عبدالرحمن المسروقىّ، قال: حدّثنا عبد الرحمن الحرّانىّ أبو عبد الرحمن ، قال: أخبرَنا إسماعيل بن راشد ، قال: كان من حديث ابن مُلجَم وأصحابه أنّ ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمىّ اجتمعوا ، فتذاكَروا أمرَ الناس ، وعابوا على وُلاتهم[2] ، ثم ذكروا أهلَ النّهر ، فترحّموا عليهم ، وقالوا : ما نصنع بالبقاء بعدَهم شيئًا ! إخوانُنا الذين كانوا دُعاةَ الناس لعبادة ربّهم ، والذين كانوا لا يخافون فى الله لومةَ لائم ، فلو شَرَيْنا أنفسَنا فأتينا أئمّة الضلالة فالتمسْنا قتلَهم ، فأرحْنا منهم

١/٣٤٥٧

(١) ساقط من ط . (٢) ابن الأثير : « عمل ولاتهم » .

البلاد ، وثأرْنا بهم إخوانَنا ! فقال ابن مُلجَم : أنا أكفيكم عليّ بنَ أبي طالب — وكان من أهل مصرَ — وقال البُرَك بن عبد الله : أنا أكفيكم معاويةَ بنَ أبي سُفْيان ؛ وقال عمرو بن بكر : أنا أكفيكم عَمرَو بنَ العاص . فتعاهَدوا وتواثَقوا بالله لا يَنكُص رجل منّا عن صاحبه الذى توجّه إليه حتى يَقتلَه أو يموت دونَه . فأخذوا أسيافَهم ، فسمُّوها ، واتّعَدوا لسبع عشرة تخلو من رمضانَ أن يثبَ كلٌّ واحد منهم على صاحبه الذى توجّه إليه ، وأقبل كلّ رجل منهم إلى المِصْرِ الذى فيه صاحبُه الذى يَطلب .

فأما ابنُ ملجَم المُرادىّ فكان عِداده فى كِنْدة، فخرج فلقىَ أصحابَه بالكوفة ، وكاتَمهم أمرَه كراهة أن يُظهروا شيئًا من أمره ، فإنه رأى ذاتَ يوم أصحابًا من تَيْم الرِّباب — وكان علىٌّ قَتَل منهم يوم النهر عشرةً — فذكروا قَتْلاهم ، ولقِىَ من يومه ذلك امرأةً من تيم الرِّباب يقال لها : قَطَام ابنة الشِّجْنَة — وقد قَتَل أباها وأخاها يوم النهر ، وكانت فائقةَ الجمال — فلما رآها التبستْ بعقله ، ونسى حاجتَه التى جاء لها ؛ ثم خطبها ، فقالت : لا أتزوّجك حتى تَشفى لى قال : وما يشفيك ؟ قالت : ثلاثة آلاف وعبد وقينة وقتل علىّ بن أبى طالب ، قال : هو مهرٌ لك ، فأمّا قتل علىٍّ فلا أراكِ ذكرتِه لى وأنت تريدينى[1] ! قالت : بلَى ، التمس غرّته ، فإن أصبت شفيتَ نفسك ونفسِى ، ويَهنئك العيشُ معى ، وإن قُتِلت فما عندَ الله خيرٌ من الدنيا وزينتها وزينة أهلها ؛ قال : فوالله ما جاء بى إلى هذا المِصْر إلا قتلُ علىّ ، فلكِ ما سألتِ . قالت : إنّى أطلب لك من يُسند ظهرَك ، ويساعدُك على أمرك ، فبعثتْ إلى رجل من قومها من تَيْم الرِّباب يقال له : وَرْدان فكلّمته فأجابها ، وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع يقال له شبيب بن بَجرَة فقال له : هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : قتلُ علىّ بن أبى طالب ؛ قال : ثكلتْك أمُّك ! لقد جئتَ شيئًا إدًّا ، كيف تقدر على علىّ ! قال : أكمُن له فى المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شدَدْنا عليه فقَتلْناه ، فإن نجونْا شفَيْنا أنفسَنا ، وأدركْنا ثأرَنا ، وإن قُتِلنا فما

١/٣٤٥٨

(١) ابن الأثير : « تريدينى » .

عند الله خيرٌ من الدنيا وما فيها . قال : وَيحكَ ! لو كان غير عليٍّ لكان أهوَن عليّ ، قد عرفتَ بلاءَه في الإسلام ، وسابقتَه مع النبيّ صلى الله عليه وسلم وما أجدنى أنشرح لقتله . قال : أما تعلم أنه قتل أهلَ النهر العبّاد الصالحين ! قال : بلى ، قال : فنقتله بمن قَتل من إخواننا ، فأجابه ـــ فجاءوا قَطامِ ـــ وهى فى المسجد الأعظم معتكِفة ـــ فقالوا لها : قد أجمع رأينا على قتل عليّ ؛ قالت : فإذا أردتم ذلك فأتونى ، ثم عاد إليها ابن ملجَم فى ليلة الجمعة التى قُتل فى صبيحتها عليّ سنة أربعين ـــ فقال : هذه الليلة التى واعدتُ فيها صاحبيّ أن يقتل كلّ منا صاحبه ، فدعت لهم بالحرير فعصَبتْهم به ، وأخذوا أسيافَهم وجلسوا مقابل السدّة التى يَخرج منها عليّ ، فلما خرج ضربه شبيبٌ بالسيف . فوقع سيفُه بعِضادة[1] الباب أو الطّاق ، وضَرَبه ابنُ ملجَم فى قَرْنه بالسيف ، وَهرَب وَرْدان حتى دخل منزلَه ، فدخل عليه رجل من بنى أبيه[2] وهو ينزع الحريرَ عن صدره ، فقال : ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف فجاء بسيفه فعلا به وَرْدانَ حتى قَتَله ، وخرج شبيب نحو أبواب كِنْدة فى الغَلَس ، وصاح الناس ، فلحقه رجل من حضرموتَ يقال له عُوَيْمر ، وفى يد شبيب السيف ، فأخذه ، وجثم عليه الحضرميّ ، فلما رأى الناسَ قد أقبلوا فى طلبه ، وسيفُ شبيب فى يده ، خشيَ على نفسه ، فتركه ، ونجا شبيب فى غُمار الناس ، فشدّوا على ابن ملجم فأخذوه ، إلاّ أنّ رجلاً من هَمْدان يُكنَى أبا أدْماء أخذَ سيفه فضرب رجله ، فصرَعه ، وتأخّر عليّ ، ورفع فى ظهره جَعْدة بن هبيرة بن أبى وَهْب ، فصلّى بالناس الغَدَاة ، ثم قال عليّ : عليّ بالرجل ، فأُدْخِل عليه ، ثم قال : أى عدوّ الله ، ألم أحسِن إليك ! قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذتُه أربعين صباحًا ، وسألتُ الله أن يقتل به شرّ خلقه ؛ فقال عليه السلام : لا أراك إلا مقتولا به ، ولا أراك إلا من شرّ خلقه .

٣٤٥٩/١

وذكروا أن ابن مُلجَم قال قبل أن يَضرِب عليًّا ـــ وكان جالسًا فى بنى بكْر ابن وائل إذ مُرّ عليه بجنازة أبجر بن جابر العجليّ أبى حجّار ، وكان نصرانيًّا ،

٣٤٦٠/١

(١) عضادة الباب : الخشبة المنصوبة عن يمين الداخل أو شماله .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « من أهله » .

والنصارى حولَه ، وأناس مع حجّار لمنزلته فيهم يمشون فى جانب وفيهم شقيق ابن ثور — فقال ابن ملجم : ما هؤلاء ؟ فأُخبِر الخبر ، فأنشأ يقول :

لئن كان حَجّارُ بنُ أَبْجَرَ مُسْلِمًا لقد بُوعِدَتْ منه جنازةُ أَبْجَرِ
وإن كان حجّارُ بنُ أَبجرَ كافرًا فما مِثْلُ هذا من كَفُورٍ بمُنْكَرِ
أَتَرْضَوْنَ هذا أَنَّ قَيْسًا ومُسلِمًا جميعاً لدى نَعشٍ ،فَياقُبْحَ مَنْظَرِ!
فلولا الَّذى أَنوِى لَفَرَّقْتُ جَمْعَهمْ بأَبْيَضَ مَصْقولِ الدِّياسِ مُشَهَّرِ
ولكنّنى أَنوِى بِذاك وسيلَةً إلى الله أَو هذا فخُذ ذاك أَو ذَرِ

وذكر أنّ محمد بن الحنفيَّة ، قال : كنتُ والله إنى لأصلّى تلك الليلةَ التى ضُرب فيها علىّ فى المسجد الأعظم ، فى رجال كثير من أهل المِصْر ، يصلون قريباً من السدّة ، ما هم إلاّ قيام وركوعٌ وسجود ، وما يسأمون من أوّل الليل إلى آخره ، إذ خرج علىّ لصلاة الغَداة ، فجعل ينادى : أيُّها الناس ، الصلاةَ الصلاة ! فما أدرى أخرج من السُّدّة فتكلّم بهذه الكلمات أم لا! فنظرتُ إلى بريق ، وسمعتُ : الحكْم لله يا علىّ لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفًا ، ثم رأيت ثانيًا ، ثم سمعتُ عليًّا يقول : لا يفوتنَّكم الرجل ، وشدّ الناس عليه من كلّ جانب . قال : فلم أبرح حتى أُخذ ابنُ مُلجَم وأدخِل على علىّ ، فدخلت فيمن دخل من الناس ، فسمعتُ عليًّا يقول : النَّفْس بالنفس ، إن أنا مِتّ فاقتلوه كما قتَلَنى ، وإن بقيتُ رأيت فيه رأيى . ٣٤٦١/١

وذكر أنّ الناس دخلوا على الحسن فَزِعين لِما حدث من أمر علىّ ، فبينما هم عنده وابن ملجَم مكتوفٌ بين يديه ، إذ نادته أمُّ كُلثوم بنت علىّ وهى تبكى : أى عدوّ الله ، لا بأسَ على أبى ، والله مخزِيك ! قال : فعلى مَن تبكين ؟ والله لقد اشتريتُه بألف ، وسَمَمْته بألف ، ولو كانت هذه الضّربة على جميع أهلِ المِصْر ما بقىَ منهم أحد .

وذكر أن جُندَب بن عبد الله دخل على علىّ فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنْ فَقَدناك — ولا نَفْقِدك — فنُبايع الحسن ؟ فقال : ما آمركم

ولا أنهاكم ، أنتمْ أبصر . فردّ عليه مثلَها ، فدعا حسنًا وحسينًا ، فقال : أوصيكما بتقوى الله ، وألّا تبغيا الدنيا وإن بغتْكما ، ولا تبكيا على شيء زُوِى عنكما ، وقولَا الحقّ ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنَعا للآخرة ، وكونا للظالم خصْمًا ، وللمظلوم ناصراً ، واعْمَلا بما في الكتاب[1] ، ولا تأخذْكما في الله لومةُ لائم . ثم نظر إلى محمد بن الحنفيّة ، فقال : هل حفظتَ ما أوصيتُ به أخويْك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويْك ، لعظيم حقّهما عليك ، فاتبع أمرَهما ، ولا تقطع أمراً دونَهما. ثم قال : أوصيكُما به ، فإنه شقيقكما ، وابنُ أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّه . وقال للحسن : أوصيك أي بُنَيَّ بتقوى الله ، وإقامِ الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلّها ، وحسنِ الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور ، ولا تُقبَل صلاة من مانع زكاة ، وأوصيكَ بغفْر الذنب ، وكظْم الغيظ ، وصلة الرَّحِم ، والحلم عند الجهل ، والتفقّه في الدين ، والتثبّت في الأمر ، والتعاهُد للقرآن ، وحسن الجوار ، والأمرِ بالمعروف ، والنهيِ عن المنكر ، واجتناب الفواحش . ١/٣٤٦٢

فلما حضرتْه الوفاة أوصَى ، فكانت وصيّته :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصَى به عليّ بن أبي طالب ، أوصَى أنه يشْهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسلَه بالهدى ودينِ الحق ليظهرَه على الدّين كله ولو كره المشركون . ثم إنّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي لله رب العالمين ، لا شريكَ له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ؛ ثمّ أوصيك يا حسن وجميعَ ولدي وأهلي بتقوى الله ربّكم ، ولا تموتُنّ إلاّ وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا ، فإنّي سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « إن صلاحَ ذات البين أفضلُ من عامّة الصلاةِ والصيام » ! انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلُوهم يهوّن الله عليكم الحساب ، اللهَ اللهَ في الأيتام ، فلا تُعنوا أفواهَهم ، ولا يضيعُنّ بحضرتكم . واللهَ اللهَ في جيرانكم ، فإنّهم وصية نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، ما زال يُوصي

(١) ابن الأثير : « كتاب الله » .

١/٣٤٦٣ به حتى ظننّا أنه سيورّثه .والله َ اللهَ فى القرآن ؛ فلا يسبقنّكم إلى العمل به غيرُكم ، والله َ الله فى الصّلاة ، فإنّها عمود دِينكم. واللهَ الله فى بيتِ ربّكم فلا تُخلّوه ما بقيتم ، فإنه إن تُرِك لم يناظر ، والله َ الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله فى الزّكاة ، فإنها تطفىء غضبَ الربّ ، واللهَ الله فى ذمّة نبيكم ، فلا يُظْلمُنّ بين أظهركم ، واللهَ الله فى أصحاب نبيّكم ، فإنّ رسول الله أوصَى بهم ، واللهَ الله فى الفقراء والمساكين فأشرِكوهم فى معايشكم ، واللهَ الله فيما ملكتْ أيمانكم . الصلاةَ الصلاةَ لا تخافُنّ فى الله لومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبَغَى عليكم . وقولُوا للنّاس حُسْناً كما أمركم الله ، ولا تَتْركُوا الأمرَ بالمعروف والنهىَ عن المنكر فيولّى الأمر شِراركم ، ثم تَدْعُون فلا يُستجاب لكم . وعليكم بالتواصل والتباذُل ، وإيّاكم والتدابر والتقاطُع والتفرّق ، وتعاونوا على البِرّ والتقوى ، ولا تَعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إنّ الله شديد العقاب . حفظكم الله من أهلِ بيت ، وحفظ فيكم نبيّكم . أستودِعكم الله ، وأقرأ عليكم السلامَ ورحمةَ الله .

ثم لم ينطق إلا «بلا إله إلا الله» حتى قُبِض رضىَ الله عنه ، وذلك فى شهر رمضانَ سنة أربعين ، وغسّله ابناه الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر ، وكُفّن

١/٣٤٦٤ فى ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وكبّر عليه الحسن تسع تكبيرات[1] ، ثم ولِىَ الحسن ستة أشهر .

وقد كان علىّ نهى الحسَن عن المُثْلة ، وقال : يابنى عبدالمطلب ، لاألفينّكم تخوضون دماءَ المسلمين ، تقولون : قُتِل أميرالمؤمنين ، قُتِل أمير المؤمنين ! ألا لا يقتلَنّ إلا قاتلى . انظر ياحسن ، إنْ أنامتّ من ضربته هذه فاضربه ضربةً بضربة ، ولا تمثل بالرّجل ، فإنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إياكم والمُثْلة ، ولو أنها بالكلب العقور » . فلمّا قُبض عليه السلام بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك فى خصلة؟ إنى والله ما أعطيتُ اللهَ عهداً إلا وفيتُ به ، إنى كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم أن أقتل عليّاً ومعاويةَ أو أموتَ دونهما ، فإن شئتَ خلّيتَ بينى وبينه ، ولك الله علىّ إن لم أقتله ــ أو قتلته ثم بقيت ــ أن آتيَك

(١) ابن الأثير والنويرى : « سبع » .

حتى أضعَ يدى فى يدك . فقال له الحسن : أما والله حتى تعاين النارَ فلا . ثم قدّمه فقتَلَه ، ثم أخذه الناسُ فأدرجوه فى بوارىّ ، ثم أحرقوه بالنار .

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه فى تلك الليلة التى ضرِب فيها علىّ قعد لمعاوية ، فلما خرج ليصلّى الغداةَ شدّ عليه بسيفه ، فوقع السيف فى ألْيَته، فأخِذ ، فقال : إنّ عندى خيراً أسرُّك به ، فإن أخبرتُك فنافعى ذلك عندك ؟ قال : نعم ؛ قال : إنّ أخاً لى قتَل عليًّا فى مثل هذه الليلة ، قال : فلعله لم يقدر على ذلك ! قال : بلى، إنّ عليًّا يخرج ليس[1] معه من يحرُسه ؛ فأمر به معاوية فقُتل . وبعث معاويةُ إلى الساعدىّ — وكان طبيبًا — فلما نظر إليه قال : اختَر إحدى خَصلتين : إما أن أحمِىَ حديدةً فأضعها موضعَ السيف ، وإمّا أن أسقيَك شربةً تقطَع منك الولَد، وتبرأ منها ، فإنّ ضَرْبتك مسمومة ، فقال معاوية : أمّا النار فلا صبرَ لى عليها ، وأما انقطاع الولد فإنّ فى يزيد وعبد الله ما تقَرّ به عينى . فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولَد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرَس الليل وقيام الشُّرْطة على رأسه إذا سجَد . ٣٤٦٥/١

وأما عمرو بن بكر فجلس لعَمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنَه ، فأمر خارجة بن حُذافة ، وكان صاحب شُرطَته ، وكان من بنى عامر بن لؤىّ ، فخرج ليصلّى ، فشدّ عليه وهو يرى أنه عمرو ، فضرَبه فقتله ، فأخذه الناس ، فانطلَقوا به إلى عَمرو يسلّمون عليه بالإمْرة ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : عمرو ؛ قال : فمن قتلتُ ؟ قالوا : خارجة بن حُذافة ، قال : أمَا والله يا فاسق ما ظننتُه غيرَك ، فقال عَمرو : أردتَنى وأراد الله خارجة ، فقدّمه عمرو فقتَله ، فبلغ ذلك معاوية ، فكتب إليه :

وقَتْلٌ وأسبابُ المَنايا كثيرةٌ ... مَنيّةُ شيخٍ من لؤىّ بنِ غالِبِ ٣٤٦٦/١
فيا عمرُو مَهلاً إنما أنت عَمُّهُ ... وصاحبُهُ دون الرجالِ الأقاربِ
نجَوْتَ وقد بَلَّ المُرادىُّ سَيْفَهُ ... مِنِ ابن أبى شيخِ الأباطِح طالِبِ

---

(١) ف : « وليس » .

ويضربُنى بالسيفِ آخَرُ مِثْلهُ فكانَتْ علينا تلك ضربَةَ لازِبِ

وأنتَ تُناغى كلَّ يوم وليلـةٍ بمِصْرِكَ بيضاً كالظِّباءِ السَّوارِبِ

ولما انتهى إلى عائشةَ قتلُ علىّ – رضى الله عنه – قالت :

فألقتْ عَصاهَا واستقرَّتْ بها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المُسافِرُ[1]

فمن قتله ؟ فقيل : رجل من مُراد ؛ فقالت :

فإن يَكُ نائياً فلقد نَعاهُ غُلامٌ ليس فى فيهِ التُّرابُ

فقالت زينب ابنة أبى سلَمة : ألِعلىّ تقولين هذا ؟ فقالت : إنى أنسَى ، فإذا نسيتُ فذكِّرونى . وكان الذى ذهب بنعيه سُفيان بنُ عبدِ شمس بن أبى وقّاص الزُّهرِىّ . وقال ابن أبى ميّاس المرادىّ فى قتل علىّ :

ونحن ضربْنا يا لكَ الخيرُ حَيْدَرًا أبا حَسَنٍ مأمومَةً فتفَطَّرَا[2]

ونحن خلعْنا مُلكَهُ من نِظامِهِ بضربةِ سيفٍ إذْ عَلاَ وتَجبَّرَا

ونحن كِرامٌ فى الصَّباح أَعِـزَّةٌ إذا الموتُ بالموتِ ارْتَدَى وتأزَّرا

٣٤٦٧/١ وقال أيضًا :

ولم أرَ مَهْرًا ساقَهُ ذو سَماحَةٍ كمَهْرِ قَطامٍ من فصيحٍ وأعجَم

ثلاثةُ آلافٍ وعبـدٌ وقَيْنَـةٌ وضرْبُ علىّ بالحُسام المُصَمّم

فلا مَهْرَ أَغلَى من علىٍّ وإن غَلاَ ولا قَتْلَ إلاَّ دون قَتْلِ ابْنِ مُلْجَمِ

وقال أبو الأسوَد الدّؤلىّ :

ألا أَبْلِغْ معاويَةَ بنَ حَرْبٍ فلا قَرَّتْ عيونُ الشامِتِينا[3]

أفى شهرِ الصِّيـامِ فَجَعْتُمُـونا بخيْرِ الناس طُرًّا أجْمَعينا!

---

(١) اللسان (عصا) ، ونسب لعبد ربه السلمى ؛ ويقال لسليم بن ثمامة الحنفى ، أو معقر بن حمار البارقى . (٢) المأمومة : الشجة التى تبلغ أم الرأس . (٣) ديوانه : ٣٢ .

قَتلتُمْ خيرَ مَن رَكِبَ المَطايا ورحَّلَها ومن ركب السَّفينا[١]
ومن لبِسَ النِّعالَ ومن حَذاها ومن قرأَ المَثانِيَ والمُبينا[٢]
إذا اسْتقْبَلْتَ وجْهَ أَبِي حُسيْنٍ رأَيتَ البــدرَ راعَ الناظِرينا
لقد علِمَتْ قريشٌ حيثُ كانَتْ بأَنَّكَ خيْرُها حَسَباً ودِينا[٣]

واختُلِف في سنّه يومَ قُتل ، فقال بعضهم : قُتل وهو ابن تسع وخمسين سنة .

١/٣٤٦٨

وحدّثت عن مصعب بن عبد الله، قال : كان الحسن بن عليّ يقول : قُتل أبي وهو ابن ثمان وخمسين سنة .

وحدّثنا عن بعضهم، قال : قُتل وهو ابن خمس وستين سنة .

وحدّثني أبو زيد، قال : حدّثني أبو الحسن، قال : حدّثني أيوب بن عمر بن أبي عمرو[٤] ، عن جعفر بن محمد، قال : قُتل عليٌّ وهو ابنُ ثلاث وستين سنة . قال : وذلك أصحّ ما قيل فيه.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحِمّانيّ، قال : حدّثنا شريك، عن أبي إسحاق، قال: قتل على عليه السلام وهو ابنُ ثلاث وستين سنة.
وقال هشام : وليَ عليٌّ وهو ابنُ ثمان وخمسين سنة وأشهر ؛ وكانت خلافتُه خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر، ثم قتَله ابنُ ملجَم — واسمُه عبدالرحمن ابن عمرو — في رمضانَ لسبع عشرة مضتْ منه، وكانت ولايتُه أربعَ سنين وتسعة أشهر ، وقُتل سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستّين سنة .

وحدّثني الحارث، قال : حدّثني ابن سعد، عن محمّد بن عمر ، قال : قُتل عليّ عليه السلام وهو ابن ثلاث وستين سنة صبيحةَ ليلة الجمعة لسبع

(١) الديوان : « وخيّسها » ؛ أي ذللها وراضها . (٢) الديوان : « والمثينا » .
(٣) الديوان : « خيرهم » .
(٤) ط : « عمر » ، وانظر التصويبات.

١/٣٤٦٩ عشرة ليلة خلتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين ، ودُفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة[١] .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : ضُرِب عليّ عليه السلام ليلة[٢] الجمعة ، فمكث يومَ الجمعة وليلةَ السبت ، وتوفّي ليلةَ الأحد لإحدَى عشرةَ ليلة بقيتْ من شهر رمضانَ سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا محمد بن عمرَ ، قال : حدّثنا عليّ بن عمر وأبو بكر السَّبْرِيّ ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعتُ محمد بنَ الحنفيّة يقول سنة الجحاف [حين][٣] دخلت سنة إحدى وثمانين هذه ولي خمسٌ وستون سنة ، قد جاوزتُ سنّ أبي ؛ قيل : وكم كانت سنُّه يوم قُتِل ؟ قال : قُتِل وهو ابن ثلاث وستين سنة[٤] .

وقال الحارث : قال ابن سعد : قال محمد بن عمر كذلك ، وهو الثَّبَت عندنا[٤] .

* * *

ذكر الخبر عن قدر مدّة خلافته

حدّثني أحمد بن ثابت ، قال : حُدِّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي مَعْشر ، قال : كانت خلافةُ عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر .

١/٣٤٧٠ وحدّثني الحارث ، قال : حدّثني ابن سعد قال : قال محمّد بن عمر : كانت خلافة عليّ خمسَ سنين إلا ثلاثة أشهر[٥] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٦ : ١٢ .
(٢) ف : « يوم » .
(٣) من طبقات ابن سعد .
(٤) طبقات ابن سعد ٣ : ٣٨ .
(٥) ف : « خلافته أربع سنين وتسعة أشهر » .

حدّثني أبو زيد، قال : قال أبو الحسن : كانت ولايةُ على أربعَ سنين وتسعة أشهر ، ويومًا أو غيرَ يوم .

* * *

ذكر الخبر عن صفته

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبَرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة ، عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي فَرْوة ، قال : سألت أبا جعفر محمد بن عليّ ، قلت : ما كانت صفة عليّ عليه السلام ؟ قال : رجلٌ آدَم شديد الأُدْمة ثقيلُ العَيْنين عظيمُهما ، ذو بطن ، أصلَع ، هو إلى القِصَر أقرَب[1] .

* * *

ذكر نسبه عليه السلام

هو عليُّ بنُ أبي طالب ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبدِ المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة بنت أسد بنِ هاشم بن عبدِ مناف .

* * *

ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده

فأوّل زوجة تزوّجها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتزوّج عليها حتّى توفِّيتْ عنده ، وكان لها منه من الولد : الحسنُ والحسين ، ويُذْكر أنه كان لها منه ابنٌ آخر يسمى مُحْسِنا توفى صغيراً ، وزينب الكبرى ، وأم كلثوم الكبرى .

١/ ٣٤٧١ ثم تزوج بعدُ أمّ البنين بنت حزام — وهو أبو المجْل بن خالد بن ربيعة ابن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب — فولد لها منه العباس ، وجعفر ، وعبد الله ، وعثمان ، قُتِلوا مع الحسين عليه السلام بكَرْبَلاء ، ولا بقيّة لهم غير العباس .

وتزوّج ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبعيّ بن سَلْمى بن جَنْدل

---

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٧ .

ابن نَهشَل بن دارِم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، فولدتْ له عُبَيد الله وأبا بكر . فزعم هشام بنُ محمد أنهما قُتِلا مع الحسين بالطّفّ . وأما محمد بن عمرَ فإنه زعم أن عبيد الله بن علىّ قتله المختار بن أبى عُبيد بالمذار ، وزعم أنه لا بقيّة لعبيد الله ولا لأبى بكر ابنى علىّ عليه السلام .

وتزوّج أسماءَ ابنة عُميس الخثعميّة ، فولدتْ له — فيما حُدّثت عن هشام بن محمد — يحيى ومحمداً الأصغر ، وقال : لا عَقِب لهما .

وأما الواقدىّ فإنه قال فيما حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرَنا الواقدىّ أن أسماء ولدتْ لعلىٍّ يحيى وعوناً ابنى علىّ . ويقول بعضهم : محمّد الأصغر لأمّ ولد ، وكذلك قال الواقدىّ فى ذلك ؛ وقال : قتل محمد الأصغر مع الحسين .

٣٤٧٢/١ وله من الصّهباء — وهى أمّ حبيب بنت ربيعة بن بُجَير بن العبد بن علقمة ابن الحارث بن عُتْبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غَنْم بن تغلب بن وائل ، وهى أمّ ولد من السبى الذين أصابهم خالدُ ابن الوليد حين أغار على عين التَّمْر على بنى تغلب بها — عمر بن علىّ ، ورقية ابنة علىّ ، فعُمِّر عمر بن علىّ حتى بلغ خمساً وثمانين سنة ، فحاز نصفَ ميراث علىّ عليه السلام ، ومات بيَنْبُع .

وتزوّج أمامة بنت أبى العاصى بن الربيع بن عبد العُزّى بن عبد شمس ابن عبد مناف ، وأمها زينب بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فولدت له محمداً الأوسط .

وله محمد بن على الأكبر ، الذى يقال له : محمد بن الحنفيّة ، أمه خَوْلة ابنة جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يَربوع بن ثعلبة بن الدُّول ابن حَنيفة بن لُجيم بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل ، توفّىَ بالطائف فصلّى عليه ابنُ عبّاس .

وتزوّج أمّ سعيد بنت عروة بن مسعود بن معتّب بن مالك الثّقفىّ ، فولدت له أمّ الحسن ورملة الكبرى .

وكان له بنات من أمهات شتّى لم يسمّ لنا أسماء أمهاتهنّ ؛ منهنّ أم هانئ ، وميمونة ، وزينب الصغرى ، ورملة الصغرى ، وأمّ كلثوم الصغرى وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأمّ الكرام ، وأمّ سلمة ، وأمّ جعفر ، وجُمانة ، ونفيسة بنات علىّ عليه السلام ؛ أمهاتهنّ أمهات أولادٍ شتى . ٣٤٧٣/١

وتزوّج محيّاة ابنة امرئ القيس بن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب ابن عُلَيم من كلب ، فولدتْ له جارية ، هلكتْ وهى صغيرة . قال الواقدىّ : كانت تخرج إلى المسجد وهى جارية فيقال لها : مَن أخوالُكِ ؟ فتقول وه ، وه — تعنى كَلْبًا .

فجميع ولدِ علىّ لصلبه أربعة عشر ذَكَرًا ، وسبعَ عشرةَ امرأة .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد عن الواقدىّ ، قال : كان النسل من ولد علىّ لخمسة : الحسَن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفيّة ، والعباس بن الكلابيّة ، وعمر بن التغلبيّة .

* * *

ذكر وُلاته

وكان واليه على البَصرة فى هذه السنة عبدُ الله بن العباس ، وقد ذكرْنا اختلافَ المختلفين فى ذلك[1] ، وإليه كانت الصَّدَقات والجند والمعاون أيّام ولايته كلّها ، وكان يستخلف بها إذا شخص عنها على ما قد بيّنْتُ قبلُ .

وكان على قضائها من قِبَل علىّ أبو الأسود الدّؤلىّ ، وقد ذكرت ما كان من توليته زيادًا عليها ، ثم إشخاصه إياه إلى فارسَ لحربها وخَرَاجِها ، فقتل وهو بفارسَ ، وعلى ما كان وجّهه عليه . ٣٤٧٤/١

وكان عامله على البحرين وما يليها واليَمَن ومخاليفها عُبيد الله بن العباس ، حتى كان من أمره وأمر بُسر بن أبى أرطاةَ ما قد مضى ذكرُه .

وكان عامله على الطائف ومكّة وما اتصل بذلك قُثَم بن العباس .

---

(١) ف « فى أمره » .

وكان عامله على المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ ، وقيل : سهل بن حُنيف ، حتى كان من أمره عند قدوم بُسْر ما قد ذُكِر قبل .

* * *

ذكر بعض سيَره عليه السلام

حدّثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرَنا وَهْب ، قال : أخبرني ابن أبي ذِئْب ، عن عباس بن الفَضْل مولَى بني هاشم ، عن أبيه ، عن جدّه ابن أبي رافع ، أنه كان خازنًا لعليّ عليه السلام على بيت المال ، قال : فدخل يومًا وقد زُيّنت ابنته ، فرأى عليها لؤلؤةً من بيت المال قد كان عرفها ، فقال : من أين لها هذه ؟ لله عليّ أن أقطع يَدَها ؛ قال : فلما رأيتُ جِدّه في ذلك قلتُ : أنا والله يا أميرَ المؤمنين زَيّنتُ بها ابنةَ أخي ، ومن أين كانت تَقدر عليها لو لم أعطِها ! فسَكَت . ٣٤٧٥/١

حدّثني إسماعيل بن موسى الفَزاريّ ، قال : حدّثنا عبد السلام بن حرب ، عن ناجية القرشيّ ، عن عمّه يزيد بن عديّ بن عثمان ، قال : رأيت عليًّا عليه السلام خارجًا من هَمْدان ، فرأى فئتين[١] يقتتلان ، ففرّق بينهما ، ثم مضى فسمع صوتًا . ياغوثا بالله[٢]! فخرج يُحضِر[٣] نحوَه حتى سمعتُ خَفْقَ نعلِه وهو يقول : أتاك الغَوْث ؛ فإذا رجل يلازم رجلا ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، بعتُ[٤] هذا ثوبًا بتسعةِ[٥] دراهم ، وشرطتُ عليه ألّا يعطيَني مغموزًا ولا مقطوعًا — وكان شرطهم يومئذ — فأتيتُه بهذه الدراهم ليبدّلها[٦] لي فأبَى ، فلَزِمته فلَطَمني ، فقال : أبدِلْه ؛ فقال : بيّنتَك على اللّطمة ؛ فأتاه بالبينة ، فأقعده ثم قال : دونَك فاقتصّ ؛ فقال : إني

(١) ف : « قينتين » ؛ ابن الأثير : « رجلين » .
(٢) ف : « ياغوثاه ياغوثاه » .
(٣) يحضر : يسرع .
(٤) ف : « بعت من هذا » .
(٥) ف وابن الأثير : « بسبعة » .
(٦) ف : « ليبدل لي » .

قد عفوتُ يا أميرَ المؤمنين ، قال : إنما أردتُ أن أحتاط فى حقّك، ثم ضرب الرجلَ تسعَ دِرّات ، وقال : هذا حقّ السلطان .

حدّثنى محمد بن عمارة الأسدىّ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن الأصبهانىّ، قال : حدّثنا المسعودىّ ، عن ناجية ، عن أبيه، قال : كنا قياماً على باب القصر ، إذ خرج علىٌّ علينا ، فلما رأيناه تنحّينا عن وجهه هيبةً له ، فلما جاز صِرْنا خلفَه ، فبينا هو كذلك إذ نادى رجل ياغوثا بالله ! فإذا رجلان يقتتلان[1] ، فلكز صدرَ هذا وصدرَ هذا ، ثم قال لهما : تنحّيا ، فقال أحدهما : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا اشترى منى شاةً ، وقد شرطتُ عليه ألّا يعطينى مغموزاً ولا محذّفاً ، فأعطانى دِرْهماً مغموزاً ، فرددتُه عليه فلطمنى ؛ فقال للآخر : ما تقول ؟ قال : صَدَقَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : فأعطه شرطَه ، ثم قال لِلّاطِم : اجلس ، وقال للملطوم : اقتصّ . قال : أوَ أعفو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ذاك إليك ؛ قال : فلما جاز الرجل قال علىّ : يا معشر المسلمين ، خذوه ؛ قال : فأخذوه ، فحُمِل على ظهرِ رجل كما يُحمَل صبيان الكتّاب ، ثم ضربه خمسَ عشرةَ دِرّة ، ثم قال : هذا نكالٌ لِما انتهكتَ من حرمتِه .

١/٣٤٧٦

حدّثنى ابن سنان القزّاز ، قال : حدّثنا أبو عاصم، قال : حدّثنا سُكَين ابن عبد العزيز ، قال : أخبرَنا حفص بن خالد، قال : حدّثنى أبى خالد بن جابر قال : سمعتُ الحسن يقول : لما قُتِل علىّ عليه السلام وقد قام خطيباً ، فقال : لقد قتلتم الليلةَ رجلا فى ليلة فيها نزل القرآن ، وفيها رُفع عيسى بن مريمَ عليه السلام ، وفيها قُتل يوشع بن نون فتَى موسى عليهما السلام . والله ماسبَقه أحد كان قبله ، ولا يدركُه أحد يكون بعدَه ، والله إن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليبعثه فى السرّية وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره ، والله ما ترك صَفراءَ ولا بيضاءَ إلا ثمانمائة — أو سبعمائة — أرصَدَها لخادمه .

---

(١) ف : « مثل الهرتين يلكز ذا صدر ذا وذا صدر ذا ».

ذكر بيعة الحسن بن علىّ

وفى هذه السنة — أعنى سنة أربعين — بويع للحسن بن علىّ عليه السلام بالخلافة ؛ وقيل : إنّ أوّل مَن بايعه قيس بن سعد ، قال له : ابسُط يَدك أبايعْك على كتاب الله عزّ وجلّ ، وسنّة نبيّه ، وقتال [١] المُحِلّين ؛ فقال له الحسن رضى الله عنه : على كتاب الله وسنّة نبيّه ؛ فإنّ [٢] ذلك يأتى من وراء كلّ شَرْط [٢] ؛ فبايَعه وسَكَت ، وبايَعه الناس .

وحدّثنى عبد الله بن أحمد بن شبّويه المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى قال : حدّثنا سليمان ، قال : حدّثنا عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : جعل علىّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمته من أهل العراق إلى قِبَل أذْرَبيجان ، وعلى أرضها وشُرْطة الخميس [٣] الذى ابتدعه من [٤] العرب ، وكانوا أربعين ألفًا ، بايعوا عليًّا عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يدارئ [٥] ذلك البعثَ حتى قُتل علىّ عليه السلام ؛ واستَخلَف أهل العراق الحسنَ بن علىّ عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى [٦] القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ، ثم يدخل فى الجماعة ، وعرف الحسن أنّ قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه ، فنزعه وأمّر عبيد الله [٧] بنَ عبّاس ، فلما علم عبد الله بن عباس بالذى يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه [٨] لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها ، فشرط ذلك له معاوية .

٢/٢

---

(١) س : « وقتل » .
(٢ — ٢) ابن الأثير : « فإنهما يأتيان على كل شرط » .
(٣) س : « الجيش » .
(٤) ط : « التى ابتدعتها العرب » .
(٥) يدارئ : يدافع ، وفى ف : « يوارى » .
(٦) س : « يريد » .
(٧) ط : « عبد الله » .
(٨) س : « يأخذ » .

وحدّثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبدالرحمن الحرّانيّ الخزاعيّ أبوعبد الرحمن ، قال : حدّثنا إسماعيل بن راشد، قال : بايع الناسُ الحسنَ بن عليّ عليه السلام بالخلافة ، ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن[١] ، وبعث قيسَ بن سعد على مقدّمته فى اثنى عشر ألفًا ، وأقبل معاويةُ فى أهل الشأم حتى نزل مَسكِن ، فبينا[٢] الحسن فى المدائن[٣] إذ نادى منادٍ فى العسكر : ألا إنّ قيسَ بنَ سعد قد قُتِل ، فانفِرُوا ، فنفروا ونَهبُوا سُرادِق الحسن عليه السلام حتى نازَعوه بِساطًا كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورةَ[٤] البيضاء بالمدائن ، وكان عمّ المختار بن أبى عُبيد عاملاً على المدائن ،وكان اسمه سعد بن مسعود، فقال له المختار وهو غلام شابّ : هل لك فى الغِنَى والشرف ؟ قال : وما ذاك؟ قال : تُوثِق الحسن ، وتَستأمِن[٥] به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنةُ الله ، أثِبُ على ابن بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثِقه ! بئس الرجل أنت ! فلما رأى الحسنُ عليه السلام تفرُّقَ الأمر عنه[٦] بَعَث إلى معاوية يطلب الصّلحَ ، وبعث معاويةُ إليه عبدَالله بن عامر وعبد الرحمن ابن سمُرة بن حبيب[٧] بن عبد شمس ، فقَدِما على الحسن بالمدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالَحاه على أن يأخذ من بيت مالِ الكوفة[٨] خمسةَ آلاف ألف فى أشياءَ اشترطها . ثم قام الحسن فى أهل العراق فقال : يا أهلَ العراق، إنه سَخَّى[٩] بنفسى عنكم ثلاث : قتلُكم أبى ، وطعنُكم إيايّ ، وانتهابُكم متاعى .

٣/٢

(١) س : «بالمدائن» .
(٢) س : « فبينا » .
(٣) س : « بالمدائن » .
(٤) س : « بالمقصورة » .
(٥) ف : «وتصير » .
(٦) ف : « عليه » .
(٧) ف : « جندب » .
(٨) ف : « المال بالكوفة » .
(٩) ف : « يسخى » .

ودخل الناس فى طاعة معاوية ، ودخل معاوية الكوفة ، فبايعه الناس

قال زياد بن عبد الله ، عن عوانة ؛ وذكر نحوَ حديث المسروقىّ ، عن عثمان بن عبد الرحمن هذا ، وزاد فيه : وكتب الحسن إلى معاوية فى الصلح ، وطلب الأمان ، وقال الحسن للحسين ولعبد الله بن جعفر : إنى قد كتبتُ إلى معاوية فى الصلح وطلب الأمان ؛ فقال له الحسين : نشدتُك اللهَ أن تصدّق أحدوثةَ معاوية ، وتكذّب أحدوثةَ علىّ ! فقال له الحسن : اسكُت ، فأنا أعلم بالأمر منك . فلمّا انتهى كتابُ الحسن بن علىّ عليه السلام إلى معاوية ، أرسل معاويةُ عبدَالله بن عامر وعبد الرحمن بن سَمُرة ، فقدِما المدائن ، وأعطيا[1] الحسن ما أرادَ ، فكتب الحسن إلى قيس بن سعد وهو على مقدّمته فى اثنى عشر ألفًا يأمره بالدّخول فى طاعة معاوية ، فقام قيس بن سعد فى الناس فقال : يأيّها الناس ، اختاروا الدخولَ فى طاعة إمامِ ضلالة ، أو القتال مع غير إمام ؛ قالوا : لا ، بل نختار أن ندخل فى طاعة إمام ضلالة . فبايَعوا لمعاوية ،وانصرف عنهمْ قيس بن سعد[2] ، وقد كان صالَح الحسنُ معاويه[2] على أن جعل له ما فى بيت ماله وخراج دارا بجرد على ألاّ يُشتَمَ علىٌّ[3] وهو يسمَع . فأخذ ما فى بيت مالِه بالكوفة ، وكان فيه خمسة آلاف ألف .

٤/٢

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة المغيرةُ بن شُعْبة . حدثنى موسى بن عبدالرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبدالرحمن الحُزاعىّ أبو عبدالرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل بن راشد قال : لماحضر الموسم — يعنى فى العام الذى قُتِل فيه علىّ عليه السلام — كتب المغيرهُ بنُ شعبة كتابًا افتعلهُ على لسان معاوية ، فأقام للناس الحجّ سنة أربعين ، ويقال : إنّه عرّف يوم التروية ، ونحر يوم عرفة ، خوفاً أن يفطن بمكانه . وقد قيل : إنه إنما فعل ذلك المغيرة لأنه بلغه أن عُتبة بن أبى سُفيان مصبّحه واليًا على

(١) ف : « فأعطيا » .
(٢—٢) ف : « وكان الحسن صالح معاوية » .
(٣) س : « على ألا يشتم « عليا » .

الموسم ، فعجل الحجّ من أجل ذلك .

* * *

وفى هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء ؛ حدّثنى بذلك موسى بن عبد الرحمن ، قال : حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن راشد — وكان قبل يدعَى بالشأم أميراً — وحُدّثت عن أبى مسهر ، عن سعيد بن عبد العزيز ، قال : كان علىّ عليه السلام يُدعَى بالعراق أميرَ المؤمنين ، وكان معاوية يدعَى بالشأم : الأمير ، فلما قُتل علىّ عليه السلام دُعِىَ معاوية : أمير المؤمنين . ٣٤٥٢/٢

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك تسليم الحسن بن على عليه السلام الأمرَ إلى معاوية ودخول معاويةَ الكوفة ، وبيعة أهل الكوفة معاويةَ بالخلافة .

* ذكر الخبر بذلك :

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : أخبرنى أبى ، قال : حدّثنا سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن يونس ، عن الزّهرىّ ، قال : بايع أهلُ العراق الحسنَ بنَ علىّ بالخلافة[1] ، فطفِق يشترط عليهم الحسن : إنكم سامعون مطيعون ، تُسالِمون مَن سالمتُ ، وتحاربون مَن حاربت ، فارتاب أهلُ العراق فى أمرِهم حين اشترط عليهم هذا الشرط ، وقالوا: ما هذا لكم بصاحب ، وما يريد هذا القتال ؛ فلم يلبث الحسنُ عليه السلام بعدَ ما بايعوه إلا قليلا حتى طُعِن طعنةً أشوَتْه[2] ، فازداد لهم بُغْضًا ، وازداد منهم ذُعْرًا ، فكاتب معاوية ، وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتَنى هذا فأنا سامع مطيع ، وعليك أن تفِىَ لى به . ووقَعت صحيفةُ الحسن فى يد معاوية، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء ، مختوم على أسفلها ، وكتب إليه أن اشترِط فى هذه الصحيفة التى ختمتُ أسفلَها ما شئت فهو لك .

٦/٢ فلما أتت الحسنَ اشترط أضعافَ الشروط التى سأل معاوية قبل ذلك ، وأمسكها عنده ، وأمسك معاويةُ صحيفةَ الحسن عليه السلام التى كتب إليه يسأله ما فيها ، فلما التقى معاويةُ والحسن عليه السلام، سأله الحسن أن يعطيَه الشروط التى شرَط فى السجلّ الذى ختم معاوية فى أسفله، فأبى معاوية أن يعطيَه ذلك ، فقال : لك ما كنتَ كتبتَ إلىّ أوّلا تسألنى أن أعطيَكَه[3] ، فإنى قد أعطيتُك حين جاءنى كتابك . قال الحسن عليه السلام : وأنا قد

---

(١) س : « على الخلافة » .

(٢) أشوته : نالت منه ولم تصب مقتله .

(٣) س : « أعطيك » .

اشترطتُ حين جاءنى كتابُك ، وأعطيتنى العهد على الوفاء بما فيه . فاختلفا فى ذلك ، فلم يُنفِذ للحسن عليه السلام من الشروط شيئًا ، وكان عَمرو بنُ العاص حين اجتمعوا بالكُوفة قد كلّم معاوية ، وأمره أن يأمر الحسن أن يقوم ويخطب الناس ، فكره ذلك معاوية ،وقال : ما تريد إلى أن يَخْطُب[1] الناس ! فقال عَمرو : لكنى أريد أن يَبدُوَ عِيُّه للناس ؛ فلم يزل عَمرو بمعاوية حتى أطاعه ، فخرج معاوية فخطب الناس ، ثم أمر رجلا فنادى الحسنَ بن علىّ عليه السلام ؛ فقال : قم يا حَسَن فكلّم الناس ، فتَشهّد فى بديهةِ أمرٍلم يروّ فيه ، ثم قال : أما بعد ، يأيّها الناس ، فإن الله قد هداكم بأوّلنا ، وحَقَن دماءَكم بآخِرنا ، وإن لهذا الأمر مدّة ، والدنيا دُوَل ، وإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَإنْ أدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلَى حِينٍ﴾ ؛[2] فلمّا قالها قال معاوية : اجلس ، فلم يزل ضَرِماً على عَمرو ، وقال : هذا من رأيك . ولحق الحسن عليه السلام بالمدينة .

٧/٢ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : سلّم الحسن بن علىّ عليه السلام إلى معاوية الكوفة ، ودخلها معاويةُ لخمس بقين من ربيع الأوّل ، ويقال من جُمادَى الأولى سنة إحدى وأربعين .

* * *

[ذكر خبر الصلح بين معاوية وقيس بن سعد]

وفى هذه السنة جرى الصّلحُ بين معاويةَ وقيس بن سعد بعد امتناع قيس من بيعته .

* ذكر الخبر بذلك :

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ابن الفَضْل ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن يونس ، عن الزُّهرىّ ، قال : لما كتب عبيدُالله بنُ عباس حين علم ما يريد الحسن من معاوية من طلب الأمان لنفسه[3] إلى معاوية يسأله الأمان ، ويشترط لنفسه على الأموال التى قد أصاب ،

(١) كذا فى س ، وفى ط : « أخطب » . (٢) سورة الأنبياء : ١١١ .
(٣) ف : « من طلب الأمان من معاوية » .

فشَرَط ذلك له معاوية ، بعث إليه معاوية ابنَ عامر فى خيلٍ عظيمة ، فخرج إليهم عبيد الله ليلا حتى لحِق بهم ، ونزل وترك جندَه الذى هو عليه[1] لا أمير لهم ، فيهم قيسُ بن سعد ، واشترط الحسنُ عليه السلام لنفسه ، ثم بايع معاوية ، وأمّرت شُرْطةُ الخميس قيسَ بنَ سعد على أنفسهم ، وتعاهدوا هو وهم على قتالِ معاوية حتى يشترط لشيعة علىّ عليه السلام ولمن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم . وما أصابوا فى الفتنة ؛ فتخلّص معاويةُ حين فرغ من عبيد الله ابن عباس والحسن عليه السلام إلى مكايدة رجل هو أهمّ الناس عنده مكايدةً ، ومعه أربعون ألفًا ، وقد نزل معاوية بهم وعمرو وأهل الشأم ، وأرسل معاوية إلى قيس بن سعد يذكّره اللهَ ويقول : على طاعةِ مَن تقاتل ، وقد بايَعنى الذى أعطيتَه طاعتك ؟ فأبى قيس أن يَلينَ له ، حتى أرسل إليه معاوية بسِجلٍّ قد ختم عليه فى أسفله ، فقال : اكتب فى هذا السجلّ ما شئتَ ، فهو لك . قال عمرو لمعاوية : لا تُعطِه هذا ، وقاتِلْه ، فقال معاوية : على رِسْلِك ! فإنا لا نَخلُص إلى قتل هؤلاء حتى يقتلوا أعدادَهم من أهل الشأم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! وإنى والله لا أقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بدًّا . فلما بعث إليه معاوية بذلك السجلّ اشترط قيس فيه له ولشيعة علىّ الأمان على ما أصابوا من الدّماء والأموال ، ولم يسأل معاوية فى سجلّه ذلك مالاً[2] ، وأعطاه معاوية ما سأل ، فدخل قيس ومَن معه فى طاعته ، وكانوا يَعُدّون دهاةَ الناس حين ثارت الفتنة خمسةَ رهْط ، فقالوا : ذوو رأى العرب ومكيدتهم : معاوية بن أبى سُفْيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد ؛ ومن المهاجرين عبد الله بن بُدَيل الخُزاعىّ ؛ وكان قيس وابن بُدَيل مع علىّ عليه السلام ، وكان المغيرة بن شعبة وعمرو مع معاوية ، إلا أنّ المغيرة كان معتزلا بالطائف حتى حُكّم الحكَمان ، فاجتمعوا بأذرُح .

٨/٢

وقيل : إنّ الصلح تمّ بين الحسَن عليه السلام ومعاوية فى هذه السنة فى شهر ربيع الآخر ، ودخل معاوية الكوفة فى غرّة جمادى الأولى من هذه

٩/٢

---

(١) ف : « عليهم » .

(٢ – ٢) س : « شيئاً إلا أعطاه من مال » .

السنة ، وقيل : دَخلَها فى شهر ربيع الآخر ، وهذا قول الواقدىّ .

* * *

[دخول الحسن والحسين المدينة منصرفين من الكوفة]

وفى هذه السنة دخل الحسنُ والحسين ابنا علىّ عليه السلام منصرِفَين من الكوفة إلى المدينة .

* ذكر الخبر بذلك :

ولما وقع الصلح بين الحسن عليه السلام وبين معاوية بمسكِن ، قام — فيما حُدّثت عن زياد البَكّائىّ ، عن عوانة — خطيبًا فى الناس فقال : يا أهلَ العراق ، إنه سَخّى بنفسى عنكم ثلاث : قتلُكم أبى ، وطعنُكم إيّاى ، وانتهابُكم مَتاعى . قال : ثم إن الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر خرجوا بحَشَمهم [1] وأثقالهم حتى أتَوا الكوفة ، فلما قَدِمها الحسن وبَرَأ من جِراحته ، خرج إلى مسجد الكوفة فقال : يا أهل الكوفة ، اتقوا الله فى جِيرانكم وضِيفانكم ، وفى أهل بيتِ نبيِّكم صلى الله عليه وسلم الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهّرهم تطهيراً. فجعل الناسُ يَبكون ، ثم تحمّلوا إلى المدينة . قال : وحال أهلُ البصرة بينه وبين خَراج دارا بجرد ؛ وقالوا : فيئنا ، فلما خرج إلى المدينة تلقّاه ناسٌ بالقادسيّة فقالوا : يا مُذِلّ العَرَب !

* * *

[ذكر خروج الخوارج على معاوية]

وفيها خرجت الخوارجُ[2] التى اعتزلتْ أيام علىّ عليه السلام بشَهْرَزور على معاوية .

* ذكر خبرهم :

حدّثت عن زياد ، عن عَوانة ، قال : قدم معاوية قبل أن يَبرَح الحسن من الكوفة حتى نزل النُّخَيلة ، فقالت الحَرُوريّة الخمسمائة التى كانت اعتزلتْ ١٠/٢

(١) س : « بجيشهم » .
(٢) س : « الخارجة » .

بشَهْرَزور مع فَرْوة بن نوفل الأشجعيّ : قد جاء الآن ما لا شكّ[١] فيه ، فسيروا إلى معاوية فجاهدوه . فأقبلوا وعليهم فَروة بن نوفل حتى دخلوا الكُوفة ، فأرسل إليهم معاويةُ خيلاً من خيل أهل الشأم ، فكشفوا أهلَ الشأم ، فقال معاوية لأهل الكوفة : لا أمانَ لكم والله عندى حتى تكفّوا بوائقكم ؛ فخرج أهلُ الكوفة إلى الخوارج فقاتلوهم ، فقالت لهم الخوارج : ويلكم ! ما تبغُون منّا ! أليس معاوية عدوّنا وعدوّكم ! دعُونا حتى نُقاتله ، وإن أصبْناه كنا قد كفيناكم عدوّكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا ، قالوا : لا والله حتى نقاتلكم ؛ فقالوا[٢] : رحم[٣] اللهُ إخواننا من أهل النّهر ، هم كانوا أعلمَ بكم يا أهلَ الكوفة . وأخذتْ أشجعُ صاحبَهم فَرْوة بن نوفل—وكان سيّد القوم— واستعملوا عليهم عبدَ الله بن أبى الحُرّ — رجلا من طيّئ — فقاتلوهم ، فقتِلوا ، واستعمل معاوية عبدَ الله بن عمرو بن العاص على الكُوفة ، فأتاه المغيرةُ بن شُعبة وقال لمعاوية : استعملتَ عبد الله بن عمرو على الكوفة وعمرًا على مصر ، فتكون أنت بين لَحيَى الأسد! فعزلَ عبدالله[٤] ، واستعملَ المغيرةَ بن شعبة على الكوفة ، وبلغ عمراً ما قال المغيرة لمعاوية ، فدخل عمرو على معاوية فقال : استعملتَ المغيرةَ على الكوفة ؟ فقال : نعم ؛ فقال : أجعلتَه على الخراج ؟ فقال : نعم ؛ قال : تستعمل المغيرةَ على الخراج فيغتال المالَ ، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئًا ؛ استعمل على الخراج مَن يخافك ويهابُك[٥] ويتّقيك . فعزل المغيرةَ عن الخراج ، واستعمله على الصّلاة ، فلقيَ المغيرةُ عمراً فقال : أنت المشيرُ على أمير المؤمنين بما أشرتَ به فى عبد الله ؟ قال : نعم ؛ قال : هذه بتلك ؛ ولم يكن عبدُ الله بنُ عمرو بن العاص مضى فيما بلغنى إلى الكوفة ولا أتاها .

١١/٢

* * *

(١) س : « يشك » .
(٢) ف : « قالوا » .
(٣) س : « يرحم » .
(٤) كذا فى س ، وفى ط : « فعزله عنها » .
(٥) س : « رجلا يهابك ويخافك » .

[ذكر ولاية بسر بن أبى أرطاة على البصرة]

وفى هذه السنة[١] غلب حُمران بن أبان على البَصْرة ، فوجّه إليه معاوية بُسراً ، أمره بقتل بنى زياد .

* ذكر الخبر عمّا كان من أمره فى ذلك[٢] :

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : لما صالح الحسن بن علىّ عليه السلام معاويةَ أوّل سنة إحدى وأربعين ، وثَب حُمران ابن أبان على البصرة فأخذها ، وغلب عليها ، فأراد معاوية أن يَبعث رجلا من بنى القَيْن إليها ، فكلّمه عبيدُ الله بن عباس ألّا يَفعل ويبعث غيره ، فبعث بُسر بن أبى أرطاة ، وزعم أنه أمرَه بقتل بنى زياد .

فحدّثنى مَسلمة بن مُحارب ، قال : أخذ بعض بنى زياد فحبسه — وزياد يومئذ بفارس ، كان علىّ عليه السلام بعثَه إليها إلى أكراد خرجوا بها ، فظَفر بهم زياد ، وأقام بإصْطَخْر — قال : فركب أبو بكْرة إلى معاوية وهو بالكوفة ، فاستأجَل بُسرًا ، فأجّله أسبوعًا ذاهبًا وراجعًا ، فسار سبعة أيام ، فقتل تحته دابّتين ، فكلّمه ، فكتب معاوية بالكفّ عنهم .

قال : وحدّثنى بعضُ علمائنا ؛ أنّ أبا بكْرة أقبل فى اليوم السابع وقد طلعت الشمس ، وأخرج بُسْر بنى زياد ينتظر بهم غروبَ الشمس ليقتلَهم ١٢/٢ إذا وجبتْ ، فاجتمع الناس لذلك وأعينُهم طامحة ينتظرون أبا بكْرة ، إذ رُفع علم على نَجيب أو برْذَون يكُدّه ويجهده ، فقام عليه ، فنزل عنه ، وألاح بثوبه ، وكبّر وكبّر الناسُ ، فأقبل يسعى على رجليه[٣] حتى أدرك بُسْرًا قبل أن يقتلَهم ، فدفع إليه كتابَ معاوية ، فأطلقهم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : خطب بُسْر على مِنبر

---

(١) س : « وفيها » .
(٢) س : « ذكر الخبر عن الكائن من أمرهم » .
(٣) ف : « يسير على راحلته » .

البَصرة ، فَشتَم عليًّا عليه السلام ، ثم قال: نشدتُ[1] الله رجلا علِم أنى صادق إلا صَدّقنى ، أو كاذب إلا كذّبنى! قال : فقال أبو بكْرة : اللهمّ إنا لا نعلمك إلا كاذباً ؛ قال : فأمَر به فخُنِق ، قال : فقام أبو لؤلؤة الضّبىّ فرمى بنفسه عليه ، فمنعه ، فأقطعه أبو بكْرة بعد ذلك مائةَ جَريب. قال : وقيل لأبى بكْرة : ما أردتَ إلى ما صنعت ! قال : أيُناشِدُنا بالله ثم لا نصدّقه ! قال : فأقام بُسْر بالبَصرة ستّة أشهر ، ثم شَخَص لا نَعلَمه ولّى شرطتَه أحـــداً .

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : أخبرنى سليمان بن بِلال ، عن الجارود بن أبى سَبْرة ، قال : صالح الحسنُ عليه السلام معاوية ، وشَخَص إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسْر بن أبى أرطاةَ إلى البصرة فى رجب سنة إحدى وأربعين وزياد متحصّن بفارسَ ، فكتب معاوية إلى زياد: إنّ فى يديْك مالاً من مال الله ، وقد ولِّيت ولاية فأدِّ ما عندَك من المال . فكتب إليه زياد : إنه لم يَبقَ عندى شىء من المال ، وقد صرفتُ ما كان عندى فى وجهه ، واستودعتُ بعضَه قومًا لنازلة إنْ نزلت ، وحملتُ ما فَضَل إلى أمير المؤمنين رحمةُ الله عليه . فكتب إليه معاوية : أن أقبِل إلىّ ننظر فيما ولِّيت ، وجرى على يديْك ، فإن استقام بيننا أمرٌ فهو ذاك ، وإلا رجعتَ إلى مأمَنِك؛ فلم يأته زياد ، فأخذ بُسْر بنى زياد الأكابر منهم ، فحبسهم : عبد الرحمن ، وعبيد الله ، وعبّاداً ، وكتب إلى زياد: لتقدمنّ على أمير المؤمنين أو لأقتلنّ بنيك .فكتب إليه زياد: لستُ بارحًا من مكانى الذى أنا به حتى يحكم الله بينى وبين صاحبك ، فإن قتلتَ مَن فى يديك مِن ولَدى فالمصير إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا وورائكم الحساب ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. فهمّ بقتلهم ، فأتاه أبو بَكْرة فقال : أخذتَ ولدى وولدَ أخى غلمانًا بلا ذَنْب ،وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب علىّ حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أبيهم سبيل ؛ قال : إنّ على أخيك أموالاً قد أخذها فامتنع من أدائها ؛ قال : ما عليه شىء ، فاكفف

١٣/٢

(١) ف : «أنشد» .

عن بنى أخى حتى آتيَك بكتاب من معاوية َ بتخليتهم . فأجّله أيامًا ، قال له : إن أتيتنى بكتاب معاوية بتخليتهم وإلا قتلتُهم أو يُقبل زيادٌ إلى أمير المؤمنين ؛ قال : فأتى أبو بَكرة معاوية َ فكلّمه فى زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بُسر بالكفّ عنه وتخلية سبيلهم ، فخلاّهم .

حدّثنى أحمد بن زهير[1] ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : أخبرنى شيخٌ من ثقيف ، عن بُسر بن عُبيد الله ، قال : خرج أبو بكْرة إلى معاوية َ بالكوفة فقال له معاوية : يا أبا بَكْرة ، أزائراً جئتَ أم دعتْك إلينا حاجة ؟ قال : لا أقول باطلا ، ما أتيتُ إلا فى حاجة ! قال : تُشفّع يا أبا بَكْرة ونرى لك بذلك فضلاً ، وأنت لذلك أهل ، فما هو ؟ قال : تؤمّن أخى زياداً ، وتكتب إلى بُسر بتخْلية ولده وبترك التعرّض لهم ؛ فقال : أما بنو زياد فنكتب لك فيهم ما سألت ؛ وأما زياد ففى يده مالٌ للمسلمين ، فإذا أدّاه فلا سبيل لنا عليه ؛ قال : يا أميرَ المؤمنين ، إن يكن عنده شىء فليس يحبسه عنك إن شاء الله . فكتب معاوية لأبى بكْرة إلى بُسْر ألّا يتعرّض لأحد من ولد زياد ، فقال معاوية لأبى بكْرة : أتعهد إلينا عهداً يا أبا بكرة ؟ قال : نعم ، أعهد إليك يا أميرَ المؤمنين أن تنظرَ لنفسك ورعيّتك ، وتعمل صالحًا فإنك قد تقلدت عظيماً ، خلافةَ الله فى خلقه ، فاتّق اللهَ فإنّ لك غاية لا تعدوها ، ومن ورائك طالب حثيث ، فأوشك أن تبلغ المدَى ، فيلحق الطالب ، فتصير إلى من يسألك عمّا كنتَ فيه ، وهو أعلم به منك ، وإنما هى محاسبة وتوقيف ، فلا تؤثرنّ على رضا الله عزّ وجلّ شيئًا .

٢ / ١٤

حدّثنى أحمد ، قال : حدّثنا علىّ ، عن سلَمة بن عثمان ، قال : كتب بُسر إلى زياد : لئن لم تُقدِم لأصلبنّ بنيك . فكتب إليه : إن تفعل فأهل ذلك أنتَ ، إنما بعث بك ابنُ آكلة الأكباد . فركب أبو بكْرة إلى معاوية ، فقال : يا معاوية ، إنّ الناس لم يُعطوك بيعتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بَكْرة ؟ قال : بُسر يريد قتلَ أولاد زياد ، فكتب معاوية إلى

(١) ط : « على » ؛ وانظر الصفحة السابقة س ٨

بُسر : أن خلّ مَن بيدك من ولد زياد .

وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل علىّ عليه السلام يتوعّده .
فحدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ ، عن حبّان بن موسى ،
عن المجالد ، عن الشعبىّ ، قال : كتب معاوية حين قتل علىّ عليه السلام
إلى زياد يتهدده ، فقام خطيباً فقال : العجبُ من ابن آكلة الأكباد ، ١٥/٢
وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب ؛ كتب إلىّ يتهدّدنى وبينى وبينه ابنا عمّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ابن عباس والحسنَ بن علىّ — فى تسعين
ألفاً ، واضعى سيوفهم على عواتقهم ، لا ينثنون ، لئن خلَص إلىّ الأمرُ
ليجدنّى أحمزَ[1] ضرّاباً بالسيف . فلم يزل زياد بفارسَ والياً حتى صالح
الحسن عليه السلام معاوية ، وقدم معاويةُ الكوفة ، فتحصّن زيادٌ فى القلعة
التى يقال لها قلعةُ زياد .

* * *

[ولاية عبد الله بن عامر البصرة وحرب سِجِستان وخُراسان]

وفى هذه السنة ولّى معاويةُ عبدَالله بنَ عامر البَصرة وحربَ سجستان
وخُراسان .

* ذكر الخبر عن سبب ولاية ذلك وبعض الكائن
فى أيام عمله لمعاوية بها :

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ قال : أراد معاوية توجيهَ عتبة
ابن أبى سُفيان على البَصرة ، فكلمه ابن عامر وقال : إنّ لى بها أموالاً
وودائع ، فإنْ لم توجّهنى عليها ذهبتْ . فولّاه البصرة ، فقدِمها فى آخر
سنة إحدى وأربعين وإليه خُراسان وسجِستان ، فأراد زيدَ بن جبَلة على
ولاية شرطته فأبى ، فولّى حبيبَ بن شهاب الشامىّ شُرْطته — وقد قيل : قيس
ابن الهيثم السُّلمىّ — واستقضى عميرة بن يثربىّ الضَّبّىّ ، أخا عمرو بن يثربىّ
الضّبّىّ .

حدّثنى أبو زيد ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : خرج فى ولاية

(١) الأحمز : الشديد .

١٦/٢ ابن عامر لمعاوية يزيدُ مالك الباهلىّ ، وهو الحَطيم — وإنما سمّى الحَطيم لضربة أصابتْه على وجهه — فخرج هو وسهمُ بن غالب الهجيمىّ فأصبحوا عند الجِسر ، فوجدوا عبادة بن قرص الليثىّ أحد بنى بُجير — وكانت له صحبة — يصلى عند الجسر ، فأنكروه فقتلوه ، ثم سألوه الأمان بعد ذلك ، فآمنهم ابنُ عامر ، وكتب إلى معاوية : قد جعلت لهم ذمّتك . فكتب إليه معاوية : تلك ذمّةٌ لو أخفرتَها لا سئلتَ عنها ، فلم يزالوا آمنين حتى عُزل ابن عامر .

* * *

وفى هذه السنة ولد علىّ بن عبد الله بن عباس — وقيل : وُلد فى سنة أربعين قبل أن يُقتل علىّ عليه السلام ، وهذا قول الواقدىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة عُتبة بن أبى سُفيان فى قول أبى معشر ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وأما الواقدىّ فإنه ذكر عنه أنه كان يقول : حجّ بالناس فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى وأربعين — عَنْبَسة بن أبى سُفْيان .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها غزا المسلمون اللّان ، وغزَوْا أيضًا الرّوم ، فهزموهم هزيمةً منكَرَة — فيما ذكروا — وقتَلوا جماعةً من بَطارقتهم .

وقيل : فى هذه السنة وُلِد الحجّاج بن يوسف .

وولّى معاوية فى هذه السنة مَرْوانَ بن الحكم المدينة ، فاستقضَى مَرْوانُ عبدَ الله بن الحارث بن نوفل . وعلى مكّة خالد بن العاص بن هشام ، وكان على الكوفة من قِبَله المغيرةُ بن شُعبة ، وعلى القضاء شُرَيح ، وعلى البَصْرة عبدَ الله بن عامر ، وعلى قضائها [1] عمرو بن يثْربىّ ، وعلى خُراسان قيس بن الهيثم من قِبَل عبدِ الله بن عامر .

١٧/٢

وذكر علىّ بن محمد ، عن محمد بن الفضل العبسىّ ، عن أبيه ، قال : بعث عبد الله بن عامر قيسَ بن الهيثم على خُراسان حين ولّاه معاوية البَصرة وخُراسان ، فأقام قيس بخُراسان سنتين .

وقد قيل فى أمر ولاية قيس ما ذكره حمزة بن أبى [2] صالح السُّلَمىّ ، عن زياد بن صالح ، قال : بعث معاوية حين استقامت له الأمور قيسَ ابنَ الهيثم إلى خُراسان ، ثم ضمَّها إلى ابن عامر ، فترك [3] قيسًا عليها .

* * *

[ذكر الخبر عن تحرّك الخوارج]

وفى هذه السنة تحرّكت الخوارجُ الذين انحازوا عمّن قُتل منهم بالنَّهرَوان ومن كان ارتُثّ من جَرْحاهم بالنَّهروان ، فبرَءوا ، وعفا عنهم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

---

(١) س : « القضاء بها » .
(٢) ساقطة من ط .
(٣) س : « فأثبت » .

* ذكر الخبر عمّا كان منهم فى هذه السنة :

ذكر هشام بن محمد ، عن أبى مِخْنف ، قال : حدّثنى النّضْر بن صالح ابن حبيب ، عن جَرير بن مالك بن زُهير بن جَذيمة العبسىّ ، عن أبىّ بن عُمارة العبسىّ ، أن حيّان بن ظَبيان السُّلَمىّ كان يرى رأىَ الخوارج ، وكان ممن ارتُثّ يومَ النّهروان ، فعفا عنه علىّ عليه السلام فى الأربعمائة الذين كان عفا عنهم من المرتثّين يوم النّهر ، فكان فى أهله وعشيرته ، فلبث[1] شهراً أو نحوَه . ثم إنه خرج إلى الرّىّ فى رجال كانوا يَرَوْن ذلك الرأى ، فلم يزالوا مقيمين بالرّىّ حتى بلغهم قتلُ علىّ كرّم الله وجهه ، فدعا أصحابه أولئك — وكانوا بضعةَ عشر رجلاً ، أحدهم سالم بن ربيعة العبسىّ — فأتَوْه ، فحمِدَ الله وأثنَى عليه ثم قال : أيّها الإخوان من المسلمين ، إنه قد بلغنى أنّ أخاكم ابن ملجم أخا مُراد قَعَد لقتل علىّ بن أبى طالب عند أغباش[2] الصُّبح مقابل السُّدّة التى فى المسجد مسجدِ الجماعة ، فلم يبرح راكداً ينتظر خروجَه حتى خرج عليه حين أقام المقيمُ الصّلاة صلاة الصبح ، فشدّ عليه فضرب رأسَه بالسيف ، فلم يَبق إلاّ ليلتين حتى مات ، فقال سالم بن ربيعة العبسىّ : لا يقطع الله يميناً علتْ قَذالَه بالسّيف ؛ قال : فأخذ[3] القومُ يحمَدون الله على قتلِه عليه السلام ورضى الله عنه ولا رضىَ عنهم ولا رحمهم !

قال النّضْر بن صالح : فسألت بعد ذلك سالمَ بن ربيعة فى إمارة مُصعب ابن الزبير عن قوله ذلك فى علىّ عليه السلام ، فأقرّ لى به ، وقال : كنت أرى رأيهم حيناً ، ولكن قد تركتُه ؛ قال : فكان فى أنفسنا أنه قد تركه ؛ قال : فكان إذا ذكروا له ذلك يُرْمضه . قال : ثمّ إنّ حيّان بن ظَبيان قال لأصحابه : إنه والله ما يَبقى على الدّهر باقٍ ، وما تَلبث الليالى والأيام والسنُون والشهور على ابن آدم حتى تُذيقَه الموتَ ، فيفارق الإخوان الصالحين ، ويدَع الدّنيا التى لا يَبكى عليها إلا العَجَزة ، ولم تزل ضارّةً لمن كانت

---

(١) س : « فكث » .

(٢) الأغباش : جمع غبش ؛ وهو بقية الظلمة يخالطها بياض الفجر .

(٣) سل : « وأخذ » .

له همًّا وشَجَنًا ؛ فانصرفوا بنا رحمكم الله إلى مصرِنا ، فلنأتِ إخوانَنا فلندْعُهم
١٩/٢ إلى الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر ، وإلى جهاد الأحزاب ، فإنه لا عذرَ لنا فى القعود ، ووُلاتُنا ظَلَمة ، وسنّة الهدى متروكة ، وثأرنا الّذين قتلوا إخواننا فى المجالس آمنون ، فإن يُظفرنا الله بهم نعمِد بعد إلى التى هى أهدَى وأرضَى وأقوَم ، ويَشفى الله بذلك صدورَ قوم مؤمنين ، وإن نُقتل فإنّ فى مفارقة الظالمين راحةً لنا ، ولنا بأسلافنا أسوة . فقالوا له : كلّنا قائل ما ذكرتَ ، وحامدٌ رأيَك الذى رأيت ، فرِدْ بنا المِصرَ فإنا معك راضون بهُداك وأمرك ؛ فخرج وخرجوا معه مقبِلين إلى الكُوفة ، فذلك حين يقول :

خليلَيَّ ما بى من عَزاءٍ ولا صَبْرِ ولا إرْبَةٍ بعد المُصابِينَ بالنَّهْرِ
سِوَى نَهَضاتٍ فى كتائِبَ جَمَّةٍ إلى الله ما تَدْعُو وفى الله ما تَفرِى
إذا جاوزَتْ قُسْطانَةَ الرَّىِّ بَغلَتى فلستُ بسارٍ نحْوَها آخِرَ الدَّهرِ
ولكنَّنِى سارٍ وإنْ قلّ ناصِرِى قريباً فلا أُخزِيكما مَع مَنْ يَسْرِى

قال : وأقبل حتى نزل الكوفة ، فلم يزل بها حتى قَدِم معاوية ، وبعث المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة ، فأحبّ العافية ، وأحسن فى الناس السيرة ،
٢٠/٢ ولم يفتِّش أهلَ الأهواء عن أهوائهم ، وكان يؤتَى فيقال له : إنّ فلانًا يرَى رأىَ الشِّيعة ، وإنّ فلانًا يرى رأىَ الخوارج . وكان يقول : قضى الله ألّا تزالون مختلِفين ، وسيَحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . فأمِنه الناس ، وكانت الخوارج يَلقَى بعضهم بعضًا ، ويتذاكرون مكانَ إخوانهم بالنَّهْروان ويَروْن أن فى الإقامة الغَبْن والوكَف ، وأنّ فى جهادِ أهل القبلة الفضل والأجر .

قال أبو مخنف : فحدّثنى النَّضْر بن صالح ، عن أبىّ بن عُمارة ، أنّ الخوارج فى أيام المُغيرة بن شُعبة فَزِعوا إلى ثلاثةِ نفر ؛ منهم المستورِد بن عُلّفة ، فخرج فى ثلاثة رجل مقبلاً نحو جَرْجَرَايا على شاطئ دِجْلة .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى جعفر بن حُذَيفة الطائىّ من آل عامر بن

جُوَيْن ، عن المحلّ بن خليفة ، أنّ الخوارج فى أيام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر ؛ منهم المستورِد بن عُلَّفة التَّيمىّ من تَيْمِ الرِّباب ، وإلى حيّان بن ظَبْيان السُّلَمىّ ، وإلى معاذ بن جُوَيْن بن حُصين الطائىّ السِّنْبِسىّ — وهو ابن عمّ زيد بن حُصَين ، وكان زيد ممن قتله علىّ عليه السلام يوم النَّهْروان ، وكان معاذ بن جُوَيْن هذا فى الأربعمائة الذين ارتُثُّوا من قَتْلَى الخوارج ، فعفا عنهم علىّ عليه السلام — فاجتمعوا فى منزل حيّان بن ظَبْيان السُّلَمِىّ ، فتشاوروا فيمن يولّون عليهم . قال : فقال لهم المستورِد : يأيُّها المسلمون والمؤمنون ، أراكم الله ما تحبّون ، وعزلَ عنكم ما تكرَهون ، ولُّوا عليكم مَنْ أحببتم ، فوالّذى يَعلَم خائنةَ الأعين وما تُخفِى الصّدور ما أبالى مَن كان الوالى علىّ منكم ! وما شرفَ الدنيا نريد ، وما إلى البقاء فيها من سبيل ، وما نريد إلا الخلود فى دار الخلود . فقال حيّان بن ظَبْيان : أمّا أنا فلا حاجة لى فيها وأنا بك وبكلّ امرئٍ من إخوانى راضٍ ، فانظروا مَن شئتم منكم فسمّوه ، فأنا أوّل من يُبايعه . فقال لهم معاذ بن جُوَيْن بن حصين : إذا قلتما أنتما هذا وأنتما سيِّدا المسلمين وذَوَا أنسابهم فى صَلاحِكما ودِينكما وقَدْرِكما ، فمن يرئس المسلمين ، وليس كلّكم يصلح لهذا الأمر ! وإنما ينبغى أن يلىَ على المسلمين إذا كانوا سواء فى الفضل أبصرهم بالحرب ، وأفقَهُهم فى الدين ، وأشدُّهم اضطلاعًا بما حُمِّل ، وأنتما بحمد الله ممن يرضى بهذا الأمر ، فليتولّه أحدكما . قالا : فتولّه أنت ، فقد رضيناك ، فأنتَ والحمدُ لله الكامل فى دينك ورأيك ، فقال لهما : أنتما أسنّ منى ، فليتولّه أحدكما ، فقال حينئذ جماعة مَن حضرهما من الخوارج : قد رضينا بكم أيّها الثلاثة ، فولوا أيّكم أحببتم ؛ فليس فى الثلاثة رجل إلا قال لصاحبه : تولّها أنت ، فإنى بك راضٍ ، وإنى فيها غيرُ ذى رغبة .

٢١/٢

فلما كثر ذلك بينهم قال حيّان بن ظَبْيان ، فإنّ معاذ بن جُوَيْن قال : إنّى لا ألى عليكما وأنتما أسنّ منى ، وأنا أقول لك مثلَ ما قال لى ولك ، لا ألى عليك وأنت أسنّ منى ، ابسُط يدك أبايعْك . فبَسَط يده فبايعه ، ثم بايعه معاذ بن جوين ، ثم بايعه القومُ جميعًا ، وذلك فى جُمادى الآخرة . فاتّعد القوم أن يتجهّزوا ويتيسرُوا ويستعدّوا ، ثم يخرجوا فى غرّة الهلال هلالِ

شعبانَ سنة ثلاث وأربعين ، فكانوا فى جهازهم وعدّتهم .

* * *

٢/٢٢ وقيل : فى هذه السنة سار بُسر بن أبى أرطاة العامرىّ إلى المدينة ومكة واليَمن ، وقَتل من قَتله فى مسيره ذلك من المسلمين .

وذلك قول الواقدىّ ، وقد ذكرتُ مَن خالفه فى وقت مسيره هذا السير .

وزعم الواقدىّ أن داودَ بن حيّان حدّثه ، عن عطاء بن أبى مروان ، قال : أقام بسر بن أبى أرطاةَ بالمدينة شهراً يَستعرض الناسَ ، ليس أحدٌ ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قَتَله .

وقال عطاء بن أبى مَرْوان : أخبرنى حَنْظلة بن علىّ الأسلمىّ ، قال : وجد قومًا من بنى كعب وغِلمانهم على بئرٍ لهم فألقاهم فى البئر .

* * *

[ذكر قدوم زياد على معاوية]

وفى هذه السنة قَدِم زيادٌ — فيما حدّثنى عمر — قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن سليمان بن أرقم ، قدم على معاوية من فارسَ ، فصالحه على مال يحمله إليه .

وكان سبب قدومه بعد امتناعه بقلعة من قلاع فارس ، ما حدّثنى عمر قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن مسلمة بن محارب ، قال : كان عبد الرحمن بن أبى بكْرة يلِى ما كان لزياد بالبصْرة ، فبلغ معاوية أنّ لزياد أموالاً عند عبد الرحمن ، وخاف زيادٌ على أشياءَ كانت فى يد عبد الرحمن لزياد ، فكتب إليه يأمره بإحرازها ، وبعث معاوية إلى المغيرة بن شُعبة لينظرَ فى أموال زياد ، فقدم المغيرة ، فأخذ عبد الرحمن ، فقال : لئن كان أساء إلىّ أبوك لقد أحسن زياد . وكتب إلى معاوية : إنى لم أصِب فى يد عبد الرحمن شيئًا يَحِلّ لى أخْذُه . فكتب معاويةُ إلى المغيرة أنْ عَذّبه . قال : وقال بعض المشيخة : إنه عَذّب عبد الرحمن بن أبى بكْرة إذْ كتب إليه معاوية ، وأراد أن يُعْذِر ٢/٢٣ ويبلغَ معاوية ذلك ، فقال : احتفِظ بما أمرك به عمُّك ، فألقَى على وجهه حريرةً ونضَحَها بالماء ، فكانت تَلتزِق بوجهه ، فغُشى عليه ، ففعل ذلك

ثلاث مرّات ، ثم خلاّه ، وكتب إلى معاوية : إنى عذّبته ، فلم أصب عنده شيئًا ، فحفظ لزياد يدَه عنده .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو الحسن ، عن عبد الملك بن عبد الله الثّقفىّ ، عن أشياخ من ثقيف ، قالوا : دخل المغيرة بن شُعبة على معاوية ، فقال معاوية حين نظر إليه :

إنّما موضعُ سِرّ المرءِ إن باحَ بالسِّرّ أخوه لمُنْتَصِحْ
فـإذا بُحْتَ بسِرٍّ فـإلى ناصحٍ يَسْتُرُه أوْ لا تَبُحْ

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن تستودعْنى تستودعْ ناصحًا شفيقًا[1] وَرِعًا وثيقًا ، فما ذاك يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : ذكرتُ زيادًا واعتصامه بأرض فارسَ ، وامتناعَه بها ، فلم أنم ليلتى ؛ فأراد المغيرة أن يطأطئ من زياد ، فقال : ما زياد هناك يا أمير المؤمنين! فقال معاوية : بئس الوطْء العجزُ ، داهية العرب معه الأموال ، متحصّن بقلاع فارسَ ، يدبّر ويربّص الحيَل ، ما يؤمنني أن يبايع لرجل من أهل هذا البيت ، فإذا هو قد أعاد علىّ الحرب خُدَعة. فقال المغيرة : أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى إتيانه ! قال : نعم ، فأته وتلطف له ، فأتى المغيرة زيادًا ، فقال زياد حين بلغه قدوم المغيرة : ما قَدِم إلا لأمر ، ثم أذن له ، فدخل عليه وهو فى بَهْو له مستقبل الشمس ، فقال زياد : أفلح رائد ! فقال : إليك ينتهى الخبَر أبا المغيرة[2] ، إنّ معاوية استخفّه الوَجَل حتى بعثنى إليك ، ولم يكن يعلم أحدًا يمدّ يده إلى هذا الأمر غير الحسن ، وقد بايع معاوية ، فخذْ لنفسك قبل التّوطين ، فيستغنى عنك معاوية ، قال : أشِرْ علىّ ، وارمِ الغرضَ الأقصى ، ودعْ عنك الفُضول ، فإنّ المستشارَ مؤتَمن ؛ فقال المغيرة : فى مَحْض الرأى بَشاعة ، ولا خيرَ فى المَذيق[3] ، أرى أن تصلَ حبلَك بحبله ، وتَشخَص إليه ؛ قال : أرَى ويقضى الله . ٢٤/٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مَسلمة بن محارب ، قال :

---

(١) ف : « مشفقا » . (٢) أبو المغيرة ، كنية زياد ، وانظر الاستيعاب .
(٣) المذيق : اللبن الممزوج بالماء . والمحض : الخالص ؛ والكلام على الاستعارة .

أقام زياد فى القلعة أكثرَ من سنة ، فكتب إليه معاوية : علامَ تُهلِك نفسَك؟ إلىّ فأعلِمْنى علمَ ما صار إليك مما اجتبيتَ من الأموال ، وما خرج من يديك ، وما بقى عندك ، وأنت آمِن ، فإن أحببتَ المُقام عندنا أقمتَ ، وإن أحببتَ أن تَرجِع إلى مأمَنك[1] رجعتَ . فخرج زياد من فارسَ ، وبلغ المغيرة بن شعبة أن زياداً قد أجمع على إتيان معاوية ، فشَخَص المغيرة إلى معاوية قبل شخوص زياد من فارسَ ، وأخذ زياد من إصْطَخْرَ إلى أرّجان ، فأتى ماه بَهْزاذان ، ثم أخذ طريق حُلْوان حتى قدم المَدائن ، فخرج عبدالرحمن إلى معاوية يخبره بقدوم زياد ، ثمّ قدِم زياد الشأم ، وقدم المغيرة بعد شهر ، فقال له معاوية : يا مغيرة ، زياد أبعدُ منك بمسيرة شهر[2] ، وخرجتَ قبلَه وسبَقَك . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الأريب إذا كلّم الأريب أفحَمَه ؛ قال : خذ حِذْرَك ، واطوِ عنّى سِرّك ، فقال : إنّ زياداً قدم يرجو الزّيادة ، وقدمت أتخوّف النقصان ، فكان سيرنا على حسب ذلك ؛ قال : فسأل معاوية زياداً عمّا صار إليه من أموال فارسَ ، فأخبره بما حمل منها إلى علىّ رضى الله عنه ، وما أنفق منها فى الوجوه التى يحتاج فيها إلى النفقة ، فصدّقه معاوية على ما أنفق ، وما بقىَ عنده ، وقبضَه منه ، وقال : قد كنت أمينَ خلفائنا .

٢/٢٥

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو مِخْنف وأبو عبد الرحمن الأصبهَانىّ وسَلَمة بن عثمان وشيخ من بنى تميم وغيرهم ممّن يوثَق بهم ، قال : كتب معاوية إلى زياد وهو بفارسَ يسأله القدومَ عليه ، فخرج زيادٌ من فارسَ مع المِنجاب بن راشد الضّبّىّ وحارثة بن بدر الغُدانىّ ، وسرّح عبدَالله بن خازم فى جماعة إلى فارس ، فقال : لعلك تَلْقَى زياداً فى طريقك فتأخذه . فسار ابنُ خازم إلى فارسَ ، فقال بعضُهم : لقيَه بسوق الأهواز ، وقال بعضهم : لقيَه بأرّجان ، فأخذ ابن خازم بعِنان زياد ، فقال : انزِل يا زياد ، فصاح به المِنجاب بن راشد : تنحّ يا بن سَوْداء ، وإلاّ علّقتُ يدَك بالعِنان . قال : ويقال : انتهى إليهم ابن خازم وزياد

(١) س : « مقامك » .
(٢) ف : « أبعدنا بشهر » .

جالس ، فأغلظ له ابن خازم ، فشتَم المنجاب بن خازم ، فقال له زياد : ٢٦/٢
ما تريد يا بن خازم ؟ قال : أريد أن تجيء إلى البصرة ؛ قال : فإنى آتيها ؛
فانصرف ابن خازم استحياءً من زياد .

وقال بعضهم : التقى زياد وابن خازم بأرّجان، فكانت بينهم منازعة،
فقال زياد لابن خازم قد أتانى أمان مُعاوية ، فأنا أريده ، وهذا كتابه إلىّ .
قال : فإن كنتَ تريد أميرَ المؤمنين فلا سبيل عليك ، فمضى ابن خازم إلى
سابورَ ، ومضى زياد إلى ماه بَهزَاذان ، وقدِم على معاوية ، فسأله عن
أموال فارسَ ، فقال : دفعتُها يا أميرَ المؤمنين فى أرزاق وأعطيات وحمالات ،
وبقيتْ بقيّة أودعتها قومًا ، فمكث بذلك يردّده ، وكتب زياد كتبًا إلى قوم
منهم شعبة بن القلْعم : قد علمتم ما لى عندكم من الأمانة ، فتدبّروا كتابَ
الله عزّ وجلّ ؛ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ...﴾[1]
الآية ، فاحتفظوا بما قبَلكم . وسمّى فى الكتب بالمبلغ الذى أقرّبه لمعاوية ؛
ودسّ الكتب مع رسوله ، وأمره أن يعرض لبعض من يُبْلغ ذلك معاوية ،
فتعرّض رسولُه حتى انتشر ذلك ، وأخذ فأتىَ به معاوية ، فقال معاوية لزياد :
لئن لم تكنْ مكرتَ بى إنّ هذه الكتب من حاجتى . فقرأها ، فإذا هى بمثل
ما أقرّ به ؛ فقال معاوية : أخاف أن تكون قد مكرتَ بى ، فصالحْنى على
ما شئت ، فصالَحه على شىء مما ذكره أنه عنده ، فحمله ، وقال زياد :
يا أميرَ المؤمنين ، قد كان لى مال قبل الولاية ، فوددتُ أنّ ذلك المالَ بقىَ ،
وذهب ما أخذت من الولاية . ثم سأل زياد معاوية أن يأذن له فى نزول الكوفة
فأذن له ، فشخَص إلى الكوفة ، فكان المغيرة يكرمه ويعظّمه ، فكتب معاوية ٢٧/٢
إلى المغيرة : خذ زياداً وسليمانَ بن صُرَد وحُجْرَ بنَ عدىّ وشَبَث بن رِبْعىّ
وابن الكوّاء وعَمرو بن الحمِق بالصّلاة فى الجماعة ؛ فكانوا يحضُرون معه
فى الصلاة .

حدّثنى عمر بن شبّة، قال : حدّثنا علىّ ،عن سليمان بن أرقم ، قال :
بلغنى أنّ زياداً قدم الكوفة ، فحضرتِ الصلاة ، فقال له المغيرة : تقدّم

(١) سورة الأحزاب: ٨٢ .

فصلّ ؛ فقال : لا أفعل ، أنت أحقّ منّي بالصّلاة فى سلطانك . قال :
ودخل عليه زياد وعند المغيرة أمّ أيوبَ بنت عُمَارة بن عقبة بن أبى مُعيط ،
فأجلَسها بين يديه ، وقال : لا تستتِرى من أبى المغيرة ، فلما مات المغيرة
تزوّجها زياد وهى حَدَثة ، فكان زياد يأمر بفِيل كان عنده ، فيُوقَف ،
فتَنظر إليه أمّ أيّوب ، فسمّىَ بابَ الفيل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عَنْبسة بن أبى سُفْيان ، كذلك حدّثنى
أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غَزْوة بُسر بن أبى أرطاةَ الرّوم ومشتاه بأرضهم حتى بلغ القُسْطَنْطينيّة — فيما زعم الواقديّ — وقد أنكر ذاك قومٌ من أهل الأخبار، فقالوا: لم يكن لبُسْر بأرض الروم مَشتًى قطّ.

وفيها مات عَمرو بن العاص بمصرَ يومَ الفِطْر، وقبْلُ كان عمل عليها لعمرَ ابن الخطاب رضى الله عنه أربعَ سنينَ، ولعثمان أربعَ سنين إلا شهرين، ولمعاوية سنتين إلا شهراً. ٢/ ٢٨

وفيها ولّى معاويةُ عبدَالله بنَ عمرو بن العاص مصرَ بعد موت أبيه، فوَلِيها له — فيما زعم الواقديّ — نحواً من سنتين.

وفيها مات محمد بن مَسلَمة فى صفر بالمدينة، وصلّى عليه مروانُ بن الحكَم.

* * *

[خبر قتل المستورد بن علّفة الخارجىّ]

وفيها قُتِل المستورِد بن عُلَفة الخارجيّ، فيما زعم هشام بن محمد. وقد زعم بعضهم أنه قتل فى سنة اثنتين وأربعين.

* ذكر الخبر عن مقتله:

قد ذكرْنا ما كان من اجتماع بقايا الخوارج الذين كانوا ارتُثّوا يومَ النّهر، ومن كان منهم انحاز إلى الرّيّ وغيرهم إلى النفر الثلاثة الذين سمّيت قبلُ، الذين أحدُهم المستورِد بن عُلّفة، وذكرْنا بيعتهم المستورد، واجتماعهم على الخروج فى غرّة هلال شعبان من سنة ثلاث وأربعين.

فذكر هشام، عن أبى مِخْنف؛ أنّ جعفر بنَ حذيفة الطائىّ حدّثه عن المحلّ بن خليفة، أنّ قُبيصة بن الدّمّون أتى المغيرة بن شُعبة — وكان على شُرطته — فقال: إن شمرّ بن جَعْوَنة الكِلابىّ جاءنى فخبّرنى أنّ الخوارج قد اجتمعوا فى منزل حيّان بن ظَبيان السُّلَمىّ، وقد اتّعدوا أن يخرجوا إليك

فى غرة شعبان ، فقال المغيرة بن شعبة لقبيصة بن الدمّون — وهو حليف لثقيف ، وزعموا أنّ أصله كان من حضرموت من الصّدف : سِرْ بالشُّرْطة حتى تحيط بدار حيّان بن ظبيان فأْتِنى به ، وهم لا يرون إلا أنه أمير تلك الخوارج . فسار قبيصة فى الشُّرْطة وفى كثير من الناس ، فلم يشعر حيّان بن ظبيان إلا والرّجال معه فى داره نصفَ النهار ، وإذا معه معاذ بن جُوَين ونحوٌ من عشرين رجلاً من أصحابهما ، وثارت امرأته ؛ أمُّ ولد[1] له ، فأخذتْ سيوفًا كانت لهم ، فألقتْها تحتَ الفراش ، وفزِع بعضُ القوم إلى سيوفهم فلم يجدوها ، فاستسلموا ، فانطلق بهم إلى المُغيرة ابن شعبة ، فقال لهم المغيرة : ما حمَلكم على ما أردتم من شقّ عصا المسلمين ؟ فقالوا : ما أرْدنا من ذلك شيئًا ؛ قال : بلى ، قد بلغنى ذلك عنكم ، ثم قد صدّق ذلك عندى جماعتكم ؛ قالوا له : أمّا اجتماعنا[2] فى هذا المنزل فإنّ حيّان ابن ظبيان أقرأنا القرآن ، فنحن نجتمع عندَه فى منزله فنقرأ القرآنَ عليه . فقال : اذهبوا بهمْ إلى السجن ، فلم يزالوا فيه نحوًا من سنة ، وسمع إخوانُهم بأخذهم فحذِروا ، وخرج صاحبهم المستورِد بن عُلّفة فنزل داراً بالحيرة إلى جنب قصر العدسيّين من كلْب ، فبعث إلى إخوانه ، وكانوا يختلفون إليه ويتجهّزون ، فلما كثر اختلاف أصحابه إليه قال لهم صاحبهم المستورِد بنُ عُلّفة التيمىّ : تحوّلُوا بنا عن هذا المكان ، فإنّى لا آمَن أن يُطّلع عليكم . فإنهم فى ذلكَ يقول بعضهم لبعض : نأتى مكانَ كذا وكذا ، ويقول بعضهم : نأتى مكانَ كذا وكذا ؛ إذْ أشرَف عليهم حجّار بن أبْجَر من دار كان هو فيها وطائفة من أهله ، فإذا هم بفارسيْن قد أقبلا حتى دخلا تلك الدار التى فيها القوم ، ثم لم يكن بأسرعَ من أن جاء آخران فدخلا ، ثمّ لم يكن إلا قليل حتى جاء آخر فدخل ، ثم آخرُ فدخل ، وكان[3] ذلك يعنيه ، وكان خروجُهم قد اقترب ، فقال حجّار لصاحبة الدار التى كان فيها نازلاً وهى تُرضِع صبيًّا لها : وَيْحكِ ! ما هذه الخيل التى أراها تدخُل هذه الدار ؟ قالت : والله

(١) س : « وأم ولد » . (٢) ف : « أما جماعتنا » .
(٣) س : « وكل » .

ما أدرى ما همْ ! إلاّ أنّ الرجال يختلفون إلى هذه الدار رُجّالا وفُرسانًا لا ينقطعون ، ولقد أنكرْنا ذلك منذ أيام ، ولا ندرى مَنْ هم ! فركب حجّار فرسَه ، وخرج معه غلام له ، فأقبل حتى انتهى إلى باب دارِهم ، فإذا عليه رجلٌ منهم ، فكلّما أتى إنسان منهم إلى الباب دخل إلى صاحبه فأعلمه ، فأذن له ، فإن جاءه رجل من معروفيهم دَخَل ولم يَستأذن ، فلمّا انتهى إليه حجّار لم يعرفه الرجل ، فقال : مَنْ أنت رحمك الله ؟ وما تريد ؟ قال : أردت لقاءَ صاحبى ، قال له : وما اسمك ؟ قال له : حجّار بن أبجر ؛ قال : فكما أنت حتى أوذِنهم بك . ثم أخرج إليك . فقال له حَجّار : ادخُل راشدًا ! فدخل الرجل ، واتّبعه حجار مسرعًا ، فانتهى إلى باب صُفّة عظيمة هم فيها ، وقد دخل إليهم الرّجل فقال : هذا رجل يستأذن عليك أنكرتُه فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا حجّار بن أبجر ، فسمعهم يتفزّعون ويقولون : حَجّار بنُ أبجر ! واللهِ ما جاء حجّار بن أبجر بخير . فلما سمع القول منهم أراد أن ينصرف ويكتفىَ بذلك من الاسترابة بأمرهم ، ثم أبت نفسُه أن ينصرف حتى يعاينَهم ، فتقدّم حتى قام بين سِجْفَىْ باب الصُّفّة وقال : السلام عليكم ، فنظر فإذا هو بجماعة كثيرة ، وإذا سلاحٌ ظاهر ودروع ، فقال حَجّار : اللهمّ اجمعْهم على خير ، مَن أنتم عافاكم الله ؟ فعرفه علىّ بن أبى شمر ابن الحصين ، من تيم الرّباب — وكان أحدَ الثمانية الذين انهزَموا من الخوارج يومَ النهر ، وكان من فُرسان العرب ونُسّاكهم وخيارهم — فقال له : يا حجّار ابن أبجر ، إن كنتَ إنما جاء بك التماس الخبر فقد وجدتَه ، وإن كنتَ إنما جاء بك أمرٌ غير ذلك فادخل ، وأخبِرنا ما أتى بك ؛ فقال : لا حاجة لى فى الدخول ، فانصرف ، فقال بعضهم لبعض : أدركوا هذا فاحبِسوه ، فإنه مؤذنٌ بكم ، فخرجتْ منهم جماعةٌ فى أثره — وذلك عند تطفيل الشمس للإياب — فانتهَوْا إليه وقد ركب فرسَه ، فقالوا له : أخبِرنا خبَرَك ، وما جاء بك ؟ قال : لم آت لشىء يروعُكم ولا يَهُولكم ، فقالوا له : انتظر حتى ندنوَ منك ونكلّمَك ، أو تدنوَ منا ؛ أخبرنا فنعلمك أمرَنا ، ونذكر حاجتَنا ؛ فقال لهم : ما أنا بدانٍ منكم ، ولا أريد أن يدنوَ منى منكم أحد ؛ فقال له

٢/ ٣١

مصرِنا ، فأتتْك كلّ قبيلة بسفهائها ، فقال : ما سُمّيَ لى أحد منهم ، ولكن قد قيل لى : إنّ جماعةً يريدون أن يخرجوا بالمِصر ؛ فقال له معقِل : أصلحك الله ! فإنى أسير فى قومى ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفك كلّ امرئ من الرؤساء قومَه . فنزل المغيرةُ بنُ شعبة ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتم ، فليكفنى كلّ امرئ من الرؤساء قومَه ، وإلاّ فوالذى لا إله غيره لأتحوّلنّ عما كنتم تَعرِفون إلى ما تُنكِرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تَكرَهون ، فلا يَلُم لائمٌ إلا نفسَه ، وقد أعذَر من أنذر . فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشَدوهم اللهَ والإسلامَ إلا دلّوهم على مَن يروْن أنه يريد أن يهيج فتنةً[1] ، أو يفارِق جماعةً ؛ وجاء صَعْصعة بن صُوحان فقام فى عبد القيس .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى الأسوَد بن قيس العبدىّ ، عن مرّة بن النعمان ، قال : قام فينا صَعْصعة بن صُوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التّيمىّ وأصحابه فى دار سليم بن محدوج ، ولكنه كَرِه على فِراقه إيّاهم وبغضِه لرأيهم ، أن يؤخذوا[2] فى عشيرته ، وكره مَساءة أهل بيت من قومه ، فقال : قَوْلاً حسنًا ، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا ، حسنٌ عددُنا ، قال : فقام فينا بعد ما صلّى العصر ، فقال : يا معشرَ عباد الله ، إنّ الله — وله الحمد كثيراً — لمّا قسم الفضلَ بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القِسْم ، فأجبتم إلى دين الله الذى اختاره الله لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورُسله ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسولَه صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعدَه فثبتت طائفة ، وارتدّت طائفة ، وأدهنَتْ طائفة ، وتربّصت طائفة ، فلزمتم دينَ الله إيمانًا به وبرسوله ، وقاتلتم المرتدّين حتى قام الدّين ، وأهلَك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً فى كلّ شىء ، وعلى كلّ حال ، حتى اختلفتْ الأمّة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحةَ والزبير وعائشة ، وقالت طائفة :

٣٤/٢

(١) ف : « الفتنة » .

(٢) ف : « أن يوجدوا » .

مصرِنا ، فأتتْكَ كلّ قبيلة بسفهائها ، فقال : ما سُمِّيَ لى أحد منهم ، ولكن قد قيل لى : إنّ جماعةً يريدون أن يخرجوا بالمِصر ؛ فقال له معقِل : أصلحك الله ! فإنى أسير فى قومى ، وأكفيك ما هم فيه ، فليكفِك كلّ امرئ من الرؤساء قومَه . فنزل المغيرةُ بنُ شعبة ، وبعث إلى رؤساء الناس فدعاهم ، ثم قال لهم : إنه قد كان من الأمر ما قد علمتم ، وقد قلت ما قد سمعتْم ، فليكفنى كلّ امرئ من الرؤساء قومَه ، وإلّا فوالذى لا إله غيره لأتحوّلنّ عما كنتم تَعرِفون إلى ما تُنكِرون ، وعمّا تحبّون إلى ما تَكرَهون ، فلا يَلُم لائمٌ إلا نفسَه ، وقد أعذَرَ من أنذر . فخرجت الرؤساء إلى عشائرهم ، فناشَدوهم اللهَ والإسلامَ إلا دلُّوهم على مَن يروْن أنه يريد أن يهيج فتنةً[1] ، أو يفارِق جماعةً ؛ وجاء صَعْصعة بن صُوحان فقام فى عبد القيس .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى الأسوَد بن قيس العبدىّ ، عن مرّة بن النعمان ، قال : قام فينا صَعْصعة بن صُوحان وقد والله جاءه من الخبر بمنزل التَّيمىّ وأصحابه فى دار سليم بن محدوج ، ولكنه كَرِه على فراقه إيّاهم وبغضه لرأيهم ، أن يؤخذوا[2] فى عشيرته ، وكره مَساءة أهل بيت من قومه ، فقال : قَوْلاً حسنًا ، ونحن يومئذ كثيرٌ أشرافنا ، حسنٌ عددُنا ، قال : فقام فينا بعد ما صلّى العصر ، فقال : يا معشرَ عبادالله ، إنّ الله — وله الحمد كثيراً — لمّا قسم الفضلَ بين المسلمين خصّكم منه بأحسن القِسْم ، فأجبتم إلى دين الله الذى اختاره الله لنفسه ، وارتضاه لملائكته ورُسله ، ثم أقمتم عليه حتى قبض الله رسولَه صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلف الناس بعدَه فثبتت طائفة ، وارتدّت طائفة ، وأدهنَتْ طائفة ، وتربّصت طائفة ، فلزمْتم دينَ الله إيمانًا به وبرسوله ، وقاتلتم المرتدّين حتى قام الدّين ، وأهلَك الله الظالمين ، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيراً فى كلّ شىء ، وعلى كلّ حال ، حتى اختلفتْ الأمّة بينها ، فقالت طائفة : نريد طلحةَ والزبير وعائشة ، وقالت طائفة :

٣٤/٢

(١) ف : « الفتنة » .

(٢) ف : « أن يوجدوا » .

نريد أهلَ المغرب ، وقالت طائفة : نريد عبد الله بنَ وهب الراسبيّ ، راسب الأزْد ،وقلتم أنتم : لا نريد إلا أهلَ البيت الذين ابتدأنا الله من قِبَلهم بالكرامة ، تسديداً من اللهِ لكم وتوفيقاً ، فلم تزالوا على الحقّ لازمين له ، آخذين به ، حتى أهلك الله بكم وبمن كان على مِثل هداكم ورأيكم الناكِثين يومَ الجمل ، والمارِقين يومَ النّهر — وسكت عن ذكر أهل الشأم ، لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم — ولا قومَ أعدَى لله ولكم ولأهل بيت نبيِّكم ولجماعة المسلمين من هذه المارقة الخاطئة ، الذين فارَقوا إمامَنا ، واستحلُّوا دماءَنا ، وشهدوا علينا بالكُفْر ؛ فإياكم أن تُؤْووهم فى دُوركم ، أو تكتموا عليهم ، فإنه ليس ينبغى لحيّ من أحياء العرب أن يكون أعدَى لهذه المارقة منكم ، وقد والله ذُكِر لى أنّ بعضهم فى جانب من الحيّ ، وأنا باحثٌ عن ذلك وسائل ، فإن كان حُكِيَ لى ذلك حقًّا تقرّبت إلى الله تعالى بدمائهم ، فإنّ دماءهم حلال . ثم قال : يا معشرَ عبدِ القيس ، إنّ وُلاتنا هؤلاء هم أعرَف شيء بكم وبرأيكم ، فلا تجعلوا لهم عليكم سبيلا ، فإنهم أسرَع شيء إليكم وإلى أمثالكم[١] . ثم تنحّى فجلس ، فكلّ قومه قال : لَعنَهم الله ! وقال : برئ الله منهم ، فلا والله[٢] فلا نُؤْويهم ، ولئن عَلِمنا بمكانهم لنطلعنّك عليهم ؛ غير سُليم بن محدوج ، فإنه لم يقل شيئاً ، فرجع[٣] إلى قومه كئيباً واجماً ، يكرَه[٤] أن يخرجَ أصحابه من منزله فيَلومُوه ، وقد كانت بينهم مصاهَرة ، وكان لهم ثقة ، ويكره أن يُطلَبوا فى داره فيَهلِكوا ويَهلِك . وجاء فدخل رحلَه ، وأقبل أصحابُ المستورِد يأتونه ، فليس منهم رجلٌ إلا يخبره بما قام به المغيرة بنُ شُعبة فى الناس وبما جاءهم رؤساؤهم ، وقاموا فيهم ، وقالوا له : اخرُج بنا ، فوالله ما نأمن أن نؤخذ فى عشائرنا . قال : فقال لهم : أما ترَوْن رأسَ عبد القيس قام فيهم كما قامت رؤساءُ العشائر فى عشائرهم ؟ قالوا :

٢/٣٥

(١) س : « قتلكم » .

(٢) س : « فوالله » .

(٣) ف : « ورجع » .

(٤) ف : « فكره » .

بلى والله نرى . قال : فإنّ صاحب منزلى لم يذكر لى شيئًا ؛ قالوا : نرى والله أنه استحيا منك ، فدعاه فأتاه ، فقال : يابن محدوج ؛ إنه قد بلغنى أن رؤساء العشائر قاموا إليهم ، وتقدّموا إليهم فىّ وفى أصحابى ، فهل قام فيكم أحدٌ يذكر لكم شيئًا من ذلك ؟ قال : فقال : نعم ؛ قد قام فينا صعصعة ابن صُوحان ، فتقدّم إلينا فى ألّا نؤوىَ أحداً من طلبتهم ، وقالوا أقاويلَ كثيرةً كرهتُ أن أذكرَها لكم فتحسبوا أنه ثَقُل علىّ شىء من أمركم ؛ فقال له المستورد : قد أكرمْتَ المثوَى ، وأحسنت الفعل ، ونحن إن شاء الله مُرتحلون عنك[1] ؛ ثم قال : أمَا والله لو أرادوك فى رَحْلى ما وَصلوا إليك ولا إلى أحد من أصحابك حتى أموتَ دونكم ، قال : أعاذك الله من ذلك ! ٣٦/٢

وبلغ الذين فى مَحبس المغيرة ما أجمع عليه أهلُ المصر من الرأى فى نفى من كان بينهم من الخوارج وأخذِهم ، فقال معاذ بن جُوَين بن حصين فى ذلك :

ألا أيّها الشارُون قد حان لامرئٍ ... شَرَى نفسَه لله أن يتَرَحَّلَا

أقَمتمْ بدار الخاطئين جَهالةً ... وكلُّ امرئٍ منكم يُصادُ لِيُقْتَلَا

فشُدُّوا على القومِ العُداةِ فإنّما ... أقامَتُكُمُ للذبْح رأيًا مُضَلَّلَا

ألا فاقصِدُوا يا قومِ للغايةِ التى ... إذا ذُكِرَتْ كانت أبَرَّ وأعْدَلَا

فياليتنى فيكم على ظهر سابِحٍ ... شديدِ القُصَيْرَى دارِعاً غيرَ أعْزَلَا

وياليتنى فيكم أعادى عدوَّكمْ ... فَيسقيَنى كأْسَ المَنِيَّـةِ أوَّلا

يعزّ علىَّ أن تُخافوا وتطْرَدُوا ... ولمّا أُجَرِّدْ فى المُحِلِّين مُنْصُلا

ولمّا يُفرّقْ جَمْعَهم كلُّ ماجِـدٍ ... إذا قلتَ قد وَلَّى وأدْبَرَ أقبَلَا

مُشِيحًا بنَصْلِ السيفِ فى حَمَسِ الوَغَى ... يرى الصبْرَ فى بعضِ المواطِنِ أمثَلا

وعزَّ علىّ أن تُضاموا وتُنْقَصوا ... وأصْبحَ ذا بثٍّ أسيرًا مُكَبَّـلا

---

(١) س : « عنكم » .

ولو أنني فيكمْ وقد قصـــدوا لكمْ أثَرْتُ إذًا بين الفريقيْنِ قَسْطَلا
فيا رُبَّ جَمْعٍ قد فَللتُ وغارةٍ شَهِدْتُ وقِرْنٍ قد تركْتُ مُجَدَّلا

٢/٣٧ فبعث المستورد إلى أصحابه فقال لهم : اخرُجوا من هذه القبيلة لا يُصيب امرأً[1] مسلمًا فى سببنا بغير علمٍ معرّةٌ . وكان فيهم بعضُ من يرى رأيهم ، فاتّعدوا سورًا ، فخرجوا إليها متقطعين من أربعة وخمسة وعشرة، فتتامّوا بها ثلثمائة رجل ، ثم ساروا إلى الصَّراة ، فباتوا بها ليلةً .

ثم إنّ المغيرة بن شُعبة أخبِر خبرَهم ، فدعا رؤساء الناس ، فقال : إنّ هؤلاء الأشقياء قد أخرجهم الحيْن وسوءُ الرأى، فمن تَرَوْن أبعثُ إليهم ؟ قال: فقام إليه عدىّ بن حاتم، فقال: كلُّنا لهم عدوّ، ولرأيهم مسفِّه[2]، وبطاعتك مستمسِك، فأيُّنا شئت سار إليهم .

فقام معقل بن قيس، فقال : إنك لا تبعث إليهم أحداً ممن ترى حولَك من أشراف المصر إلا وجدتَه سامعًا مطيعًا ، ولهم مفارقًا ، ولهلاكهم محبًّا، ولا أرى أصلَحَك الله أن تَبعَث إليهم أحداً من الناس أعدَى لهم ولاأشدّ عليهم منّى ، فابعثْنى إليهم فإنى أكفيكَهم بإذن الله ؛ فقال : اخرج على اسم الله ؛ فجهّز معه ثلاثة آلاف رجل .

وقال المغيرة لقَبِيصة بن الدمُّون : الصق لى بشيعة علىٍّ ، فأخرجهم مع مَعقِل بن قيس ، فإنه كان من رءوس أصحابه ، فإذا بعثت بشيعته الذين كانوا يعرَفون فاجتمعوا جميعًا ، استأنس بعضهُم ببعض وتناصَحوا، وهم أشدّ استحلالا لدماءِ هذه المارقة ، وأجرأ عليهم من غيرهم ، وقد قاتلوا قبلَ هذه المرّة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الأسود بن قيس ، عن مرّة بن منقذ بن النعمان، قال : كنتُ أنا فيمن نُدِب معه يومئذ ؛ قال : لقد كان صعصعة ٢/٣٨ ابن صُوحان قامَ بعد معقِل بن قيس وقال : ابعثْنى إليهم أيّها الأمير ،

---

(١) س : « لا يهلك امرؤ » . (٢) س : « مبغض » .

فأنا والله لدمائهم مستحلّ ، وبحملها مستقلّ ؛ فقال : اجلس ؛ فإنما أنت خطيب ، فكان أحفظَه ذلك ، وإنما قال ذلك لأنه بلغه أنّه يعيب عثمانَ بنَ عفّان رضى الله عنه ، ويُكثر ذكرَ علىّ ويفضّله ، وقد كان دعاه ، فقال : إيّاك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمانَ عند أحد من الناس ، وإيّاك أن يبلغنى عنك أنك تُظهر شيئًا من فضل علىٍّ علانيةً ، فإنك لست بذاكر من فضل علىٍّ شيئًا أجهلُه ، بل أنا أعلَم بذلك ، ولكن هذا السلطان قد ظهر ، وقد أخذْنا بإظهار عيبه للناس ، فنحن نَدع كثيراً مما أمِرنا به ، ونذكر الشىءَ الذى لا نجد منه بدًّا ، ندفع به هؤلاء القومَ عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنتَ ذاكراً فضلَه فاذكره[1] بينك وبين أصحابك وفى منازلِكم سرًّا ، وأما علانيةً فى المسجد فإنّ هذا لا يحتمله الخليفةُ لنا ، ولا يعذرنا به ، فكان يقول له : نعم أفعل ، ثم يبلُغه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه ، فلما قام إليه وقال له : ابعثْنى إليهم ، وجد المغيرة قد حقَد عليه خلافه إياه ، فقال : اجلس فإنما أنت خطيب ، فأحفظَه ، فقال له : أوَما أنا إلا خطيب فقط ! أجل والله ، إنّى للخطيب الصّليب الرئيس ، أما والله لو شهدتَنى تحت راية عبد القَيْس يومَ الجمل حيث اختلفت القنا ، فشئون تُفْرَى ، وهامةٌ تُختلَى ، لعلمتَ أنى أنا الليث الهِزَبْر ؛ فقال : حَسْبُك الآن ، لعمرى لقد أوتيتَ لسانًا فصيحًا ، ولم يلبَث قبيصة بن الدمّون أن أخرج الجيشَ مع معقل ، وهم ثلاثة آلاف نُقاوة الشيعة وفُرسانهم . ٣٩/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النّضر بن صالح ، عن سالم بن ربيعة ، قال : إنى جالس عند المغيرة بن شُعْبة حين أتاه معقل بن قيس يسلّم عليه ويودّعه ، فقال له المغيرة : يا معقِل بن قيس ، إنّى قد بعثت معك فُرسانَ أهلِ المصْر ، أمرت بهم فانتُخبوا انتخابًا ، فسرْ إلى هذه العصابة المارقة الذين فارَقوا جماعتَنا ، وشهدوا علينا بالكُفْر ، فادعهم إلى التَّوْبة ، وإلى الدّخول فى الجمَاعة ، فإن فعلوا فاقبل منهم ، واكفُفْ عنهم ، وإن هم لم يفعلوا فناجِزْهم ، واستعِن بالله عليهم .

---

(١) س : « فاذكر ذلك » .

فقال معقل بن قيس : سندعوهم ونعذر ، وايمُ الله ما أرَى أن يقبلوا ، ولئن لم يقبلوا الحقّ لا نَقبل منهم الباطل ، هل بلغكَ -أصلحكَ الله- أين منزل القوم ؟ قال : نعم ، كتب إلىّ سماك بن عُبَيْد العبسى - وكان عاملاً له على المدائن - يُخبرنى أنهم ارتحلوا من الصَّراة ، فأقبلوا حتى نزلوا بَهُرَسير ، وأنهم أرادوا أن يَعْبروا[1] إلى المدينة العتيقة التى بها منازل[2] كسرى وأبيَض المدائن ، فمنعهم سماك أن يجوزوا ، فنزلوا بمدينة بَهُرَسير مقيمين ، فاخرج إليهم ، وانكمِش[3] فى آثارهم حتى تَلحقَهم ، ولا تَدَعهم والإقامةَ فى بلد ينتهى إليهم فيه أكثر من الساعة التى تدعوهم فيها ، فإن قبلوا وإلا فناهِضْهم ، فإنهم لن يقيموا ببلد يومين إلا أفسدوا كلّ من خالَطَهم . ٢/٤٠ فخرج من يومه فبات بسورا ، فأمر[4] المغيرة مولاه ورّاداً ، فخرج إلى الناس فى مسجد الجماعة ، فقال : أيّها الناس ، إنّ معقل بن قيس قد سار إلى هذه المارقة ، وقد بات الليلةَ بسورا ، فلا يتخلّفنّ[5] عنه أحد من أصحابه . ألا وإنّ الأمير يَخرج على كلّ رجل من المسلمين منهم ، ويَعزم عليهم أن يبيتوا بالكوفة ، ألا وأيّما رجل من هذا البعث وَجَدناه بعد يَومِنا بالكوفة فقد أحلّ بنفسه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب[6] ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : كنت فيمن خرج مع المستورِد بن عُلّفة ، وكنت أحدثَ رجلٍ فيهم . قال : فخرجنا حتى أتينا الصَّراة ، فأقمنا بها حتى تتامّت جماعتُنا ، ثم خرجْنا حتى انتهينا إلى بَهُرسير ، فدخلناها ونذِر بنا سماك بن عبيد العبسىّ ، وكان فى المدينة العتيقة ، فلما ذهبنا لنعبر الجسرَ إليهم قاتلْنا عليه ، ثم قطعه علينا ، فأقمنا ببَهُرسير . قال : فدعانى المستورِد بن عُلّفة ، فقال : أتكتب يابن أخى ؟ قلت : نعم ، فدعا لى برَقّ ودَواة ، وقال : اكتب : مِن عبد الله

---

(١) ف : « يصيروا » .
(٢) ف : « منار » .
(٣) س : « وانكمن » .
(٤) ف : « وأمر » .
(٥) ف : « فلا يتخلف » . (٦) ط : « حبيب » . وانظر التصويبات .

المستورِد أميرِ المؤمنين إلى سماك بن عبيد ، أمّا بعد ، فقد نقمْنا على قومنا الجَوْر فى الأحكام ، وتعطيلَ الحدود ، والاستئثارَ بالفىء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وولاية أبى بكر وعمرَ رضوان الله عليهما ، والبراءة من عثمانَ وعلىّ ، لإحداثهما فى الدّين ، وتركهما حكمَ الكتاب ، فإنْ تَقبَل فقد أدركت رُشْدَك ، وإلا تَقبَل فقد بالغنا[1] فى الإعذار[2] إليك ، وقد آذنّاك بحرب ، فنَبذْنا إليك على سواء ، إنّ الله لا يحبّ الخائنين . قال : فقال المستورِد : انطلق إلى سِماك بهذا الكتاب فادفعْه إليه ، واحفظ ما يقول لك ، والقَنى . ٤١/٢

قال : وكنت فتًى حَدَثا حين أدركتَ ، لم أجرّب الأمور ، ولا علمَ لى بكثير منها ، فقلت : أصلحك الله ! لو أمرتَنى أن أستعرضَ دِجلة فألقىَ نفسى فيها ما عصيتُك ، ولكن تأمن علىّ سماكًا أن يتعلق بى ، فيَحبِسنى عنك ، فإذا أنا قد فاتنى ما أترجّاه من الجِهاد ! فتبسّم وقال : يابن أخى ، إنما أنت رسولٌ ، والرسول لا يُعرَض له ، ولو خشيتُ ذلك عليك لم أبعثْك ، وما أنت على نفسك[3] بأشفَق منى عليك . قال : فخرجتُ حتى عبرتُ إليهم فى مَعْبَر ، فأتيت سِماك بن عبيد ، وإذا الناس حولَه كثير . قال : فلما أقبلتُ نحوَهم أبَدُّونى أبصارَهم ، فلما دنوتُ منهم ابتدرَنى نحوٌ من عشرة ، وظننتُ والله أنّ القومَ يريدون أخذى ، وأنّ الأمرَ عندهم ليس كما ذكر لى صاحبى ، فانتضَيْت سَيفى ، وقلتُ : كلاّ ، والذى نفسى بيَده ، لا تَصلون إلىّ حتى أعذِر إلى الله فيكم ، قالوا لى : يا عبدَ الله ، من أنت ؟ قلت : أنا رسولُ أميرِ المؤمنين المستورِد بن عُلّفة ، ؛ قالوا : فلِمَ انتضيتَ سيفَك ؟ قلت : لابتداركم إلىّ ، فخفت أن توثِقونى وتَغدُروا بى . قالوا : فأنت آمِن ، وإنما أتيناك لنقوم إلى جَنْبِك ، ونُمسِكَ بقائم سيفك ، وننظرَ ما جئت له ، وما تسأل ؛ قال : فقلت لهم : ألست آمِنًا حتى تردّونى إلى أصحابى ؟ قالوا : بلى ، فشِمْتُ سيفى ، ثم أتيت حتى قمت على رأسِ سماك بن عُبَيْد وأصحابه ٤٢/٢

---

(١) ط : « أبلغنا » .
(٢) س : « الإغدار » .
(٣) س : « بأشفق على نفسك » .

قد اتتشبوا بى[١] ، فمنهم مُمسِك بقائم سيفى ، ومنهم ممسكٌ بعَضُدِى ، فدفعتُ إليه كتابَ صاحبى ، فلما قرأه رفع رأسه إلىّ ، فقال : ما كان المستورِد عندى خليقًا لِما كنت أرَى من إخباته وتَواضُعه أن يخرج على المسلمين بسَيْفه، يَعْرِض على المستورِد البراءة من علىّ وعثمان ، ويدعونى إلى ولايته ! فبئسَ واللهِ الشيخ أنا إذًا ! قال : ثم نظر إلىّ فقال : يا بُنىّ ، اذهبْ إلى صاحبك فقل له : اتّق اللهَ وارجع عن رأيك ، وادخُل فى جماعةِ المسلمين ، فإن أردتَ أن أكتبَ لك فى طلب الأمان إلى المغيرة فعلت ، فإنك ستجده سريعًا إلى الإصلاح ، محبًّا للعافية : قال : قلت له ، وإنّ لى فيهم يومئذ بصيرة ، هيهات ! إنما طلبْنا بهذا الأمر الذى أخافنا فيكم فى عاجل الدنيا الأمن عند الله يوم القيامة ؛ فقال لى : بؤسًا لك ! كيف أرحمُك ! ثم قال لأصحابه : إنهم خلَوْا بهذا . ثم جعلوا يقرءون عليه القرآن ويتخضّعون ويتباكون ، فظنّ بهذا أنهم على شىء من الحقّ ، إن هم إلاّ كالأنعام ، بل هم أضلّ سبيلاً ، والله ما رأيتُ قومًا كانوا أظهرَ ضلالة ، ولا أبينَ شؤمًا ، من هؤلاء الذين ترَوْن !

قلت : يا هذا إننى لَمْ آتِك لأشاتِمك ولا أسمع حديثك وحديثَ أصحابك ، حدِّثنى ، أنت تجيبنى إلى ما فى هذا الكتاب أم لا تفعل فأرجع إلى صاحبى ؟ فنظر إلىّ ثم قال لأصحابه : ألا تَعجَبون إلى هذا الصبىّ ! والله إنّى لأرانى أكبر من أبيه ، وهو يقول لى : أتجيبنى إلى ما فى هذا الكتاب ! انطلِق يا بُنىَّ إلى صاحبك ، إنما تَندَم لو قد اكتنفتْكم الخيلُ ، وأشرِعت فى صدوركم الرِّماح ، هناك تَمنّى لو كنتَ فى بيت أمِّك ! قال : فانصرفتُ من عنده فعبرتُ إلى أصحابى ، فلما دنوتُ من صاحبى قال : ما ردّ عليك ؟ قلت : ما ردّ خيراً ؛ قلت له : كذا وقال لى : كذا ، فقصصتُ عليه القصّة ؛ قال : فقال المستورِد : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

٤٣/٢

---

(١) ف : « أنشبوا بى » ، س : « اكتنفونى »

(٢) سورة البقرة ٦ ، ٧ .

قال : فلبثنا بمكاننا ذاك يومين أو ثلاثة أيام ، ثم استبان لنا مسير معقل ابن قيس إلينا . قال : فجمعنا المستورد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإن هذا الخرق معقل بن قيس قد وجّه إليكم وهو من السبئية المفترين الكاذبين ، وهو لله ولكم عدوّ ، فأشيروا عليّ برأيكم . قال : فقال له بعضنا : والله ما خرجنا نريد إلا الله ، وجهاد من عادى الله ، وقد جاءونا فأين نذهب عنهم ! بل نقيم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين . وقالت طائفة أخرى : بل نعتزل ونتنحّى ، ندعو الناس ونحتجّ عليهم بالدعاء .

٤٤/٢

فقال : يا معشر المسلمين ، إني والله ما خرجتُ ألتمس الدنيا ولا ذكرها ولا فخرها[١] ولا البقاء ، وما أحبّ أنها لي بحذافيرها ، وأضعاف ما يُتنافس فيه منها بقبال[٢] نعلي! وما خرجتُ إلا التماس الشهادة ، وأن يهديني الله إلى الكرامة بهوان بعض أهل الضلالة ، وإني قد نظرت فيما استشرتكم فيه فرأيت ألّا أقيم لهم حتى يَقدموا عليّ وهم جامّون[٣] متوافرون ، ولكن رأيت أن أسير حتى أمعن ، فإنهم إذا بلغهم ذلك خرجوا في طلبنا ، فتقطّعوا وتبدّدوا ، فعلى تلك الحال ينبغي لنا قتالهم ، فاخرجوا بنا على اسم الله عزّ وجلّ .

قال : فخرجنا فمضينا على شاطئ دجلة حتى انتهينا إلى جرجرايا ، فعبرنا دجلة ، فمضينا كما نحن في أرض جوخى حتى بلغنا المذار ، فأقمنا فيها ، وبلغ عبد الله بن عامر مكاننا الذي كنا فيه ، فسأل عن المغيرة بن شعبة ، كيف صنع في الجيش الذي بعث إلى الخوارج ؟ وكم عدّتهم ؟ فأخبر بعدّتهم ، وقيل له : إنّ المغيرة نظر إلى رجل شريف رئيس قد كان قاتل الخوارج مع عليّ عليه السلام ، وكان من أصحابه ، فبعثه وبعث معه شيعة عليّ لعداوتهم لهم ، فقال : أصاب الرأي ، فبعث إلى شريك بن الأعور الحارثيّ — وكان يرى رأي عليّ عليه السلام — فقال له : اخرج إلى هذه المارقة فانتخب ثلاثة آلاف رجل[٤] من الناس ، ثم أتبعهم حتى تخرجهم

---

(١) س : « فخراً فيها » .
(٢) قبال النعل : زمامها .
(٣) ط : « حامون » تحريف .
(٤) س : « فارس » .

٢/٤٥ من أرض البَصْرة أو تقتلهم . وقال له بينه وبينه : اخرج إلى أعداءِ الله بمن يستحلّ قتالَهم من أهل البصرة ، فظَنّ شريك به إنما يعنى شيعَة علىّ عليه السلام ، ولكنه يكره أن يسمّيَهم، فانتخب الناس ، وألحّ على فُرسان ربيعة الذين كان رأيهم فى الشيعة ، وكان تجيبه العظماء منهم . ثمّ إنه خرج فيهم مقبلاً إلى المستورِد بن عُلّفة بالمذار .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى حُصيرة بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : كنت فى الذين خرجوا مع معقِل بن قيس ، فأقبلتُ معه ، فوالله ما فارقتُه ساعةً من نهار منذ خرجتُ ، فكان أوّل منزل نزلْناه سُورا .

قال : فمكثْنا يومًا حتى اجتمع إليه جُلُّ أصحابه ، ثمّ خرجنا مسرِعين مبادِرين لعدوّنا أن يفوتَنا ، فبعثْنا طليعةً ، فارتحلنا فنزلنا كُوثَى ، فأقمْنا بها يومًا حتى لحق بنا مَنْ تخلّف ، ثم أدلَج بنا من كُوثَى ، وقد مَضَى من الليل هزيع ، فأقبلْنا حتى دنوْنا من المدائن ، فاستقبلَنا الناسُ فأخبَرونا أنهم قد ارتحلوا ، فشقّ علينا واللهِ ذلك ، وأيقَنّا بالعنَاء وطولِ الطَّلَب .

قال : وجاء معقلُ بنُ قيس حتى نزل باب مدينة بَهُرَسير ، ولم يدخلْها ، فخرج إليه سِماك بن عبيد ، فسلّم عليه ، وأمر غلمانَه ومواليه فأتَوْه بالجَزَر والشعير والقَتّ ، فجاءوه من ذلك بكلّ ما كفاه وكفى الجُنْد الذين كانوا معه .

ثم إن معقل بن قيس بعد أن أقام بالمدائن ثلاثًا جمَعَ أصحابَه فقال :

٢/٤٦ إن هؤلاء المارقة الضُّلّال إنما خرجوا فذهبوا على وجوههم إرادةَ أن تتعجّلوا فى آثارهم ، فتقطّعوا وتبدّدوا[1] ، ولا تلحقوا بهم إلا وقد تَعِبتم ونَصِبْتم ، وأنه ليس شىء يدخل عليكم من ذلك إلا وقد يدخل عليهم مثله ، فخرج بنا من المدائن ، فقدم بين يديه أبو الروّاغ الشاكرىّ فى ثلثمائة فارس ، فأتبع آثارَهم ، فخرج معقل فى أثره ، فأخذ أبو الروّاغ يسأل عنهم ، ويَركب الوجه الذى أخذوا فيه ، حتى عبَروا جَرْجرايا فى آثارهم ، ثم سلك الوجه

---

(١) ف : « فيتقطعوا ويتبدّدوا » .

الذى أخذوا فيه ، فاتّبعهم ، فلم يزل ذلك دأبه[١] حتى لحقهم بالمذار مقيمين ، فلما دنا منهم استشار[٢] أصحابه فى لقائهم وقِتالهم قبل قدومِ معقل عليه ، فقال له بعضهم : أقدم بنا عليهم فلنقاتلْهم ، وقال بعضهم : واللهِ ما نرى أن تَعجَل إلى قتالهم حتى يأتيَنا أميرُنا ، ونلقاهم بجماعتِنا .

قال أبو مخنف : فحدّثنى تليد بن زيد بن راشد الفائشىّ أنّ أباه كان معه يومئذ . قال : فقال لنا أبو الروّاغ : إنّ معقل بن قيس حين سرّحنى أمامَه أمرنى أن أتبع آثارَهم ، فإذا لحقتُهم لم أعْجَل إلى قتالهم حتى يأتيَنى.

قال : فقال له جميع أصحابه : فالرأىالآن بيِّن ، تنحَّ بنا فلنكن قريبًا منهم حتى يقدم علينا صاحبُنا ، فتنحّينا — وذلك عند المساء — قال : فبتنا ليلتَنا كلها متحارسين حتى أصبحنا ، فارتفع الضُّحَى ، وخرجوا علينا ، قال : فخرجنا إليهم وعِدّتهم ثلثمائة ونحن ثلثمائة ، فلما اقتربوا[٣] شدّوا علينا ، فلاوالله ما ثبت لهم منا إنسان؛ قال : فانهزمنا ساعة ، ثم إن أبا الرّواغ صاح بنا وقال : يا فُرسان السوء ، قبّحكم الله سائر اليوم ! الكرّة الكرّة ! قال : فحمَل وحملْنا معه ، حتى إذا دنوْنا من القوم كرّ بنا ، فانصرفنا وكرّوا علينا ، وكَشَفونا[٤] طويلاً ، ونحن على خيل مُعلَمة جيادٍ ، ولم يُصَب منا أحد ، وقد كانت جِراحات[٥] يسيرة ، فقال لنا أبو الرّواغ : ثكلتْكم أمهاتكم! انصرِفوا بنا فلنكرّ قريبًا منهم ، لا نزايلهم حتى يقدَم علينا أميرُنا ، فما أقبح بنا أن نرجع إلى الجيش ، وقد انهزمنا من عدوّنا ولم نصبر لهم حتى يشتد القتال وتكرّ القتلى . قال : فقال رجل منا يجيبه : إنّ الله لا يستحيى من الحقّ ، قد والله هزمونا ، قال أبوالروّاغ : لا أكثر الله فينا ضرَبك ! إنّا ما لم ندع المعركةَ فلم نهزَم[٦] ، وإنا متى عطفنا عليهم وكنا قريبًا منهم فنحن على حال حسنة حتى يقدم علينا الجيش ، ولم نرجع عن وَجْهنا ، إنه والله لو كان يقال : انهزم أبو حمران حُمَيِّر بن بجيْر الهمْدانىّ ، ما باليت ، إنما

٢/٤٧

---

(١) س : « شأنهم » .

(٢) س : « أشار » .

(٣) س : « قربوا » .

(٤) س : « فكشفونا » .

(٥) س : « جراحة » .

(٦) س : « نهزم » .

يقال : انهزم أبو الروّاغ ؛ فقفوا قريبًا ، فإن أتـَوْكم فعجـَزْتم عن قِتالـِهم فانحازوا[١] ، فإن حملوا عليكم فعجزْتم عن قتالهم فتأخـّروا وانحازوا إلى حامِيـَة ، فإذا رجعوا عنكم فاعطِفوا عليهم، وكونوا قريبًا منهم، فإنّ الجيش آتـِيكم إلى ساعة . قال : فأخذت الخوارجُ كلـّما حملتْ عليهم انحازوا وهم كانوا[٢] حامية ، وإذا أخذوا فى الكرّة عليهم فتفرّق جماعتـُهم قرب أبو الرّواغ وأصحابه على خيلهم فى آثارهم ، فلما رأوا أنهم لا يفارقونهم، وقد طاردوهم هكذا من ارتفاع الضحى إلى الأولى . فلما حضَرت صلاةُ الظهر نزل المستورِد للصّلاة ، واعتزل أبو الرّواغ وأصحابه على رأس مِيل منهم أو ميلين ، ونزل أصحابـُه فصلـّوُا الظهر ، وأقاموا رجلين رَبيئةً ، وأقاموا مكانـَهم حتى صلـّوا العصر . ثم إنّ فتًى جاءهم بكتاب معقِل بن قيس إلى أبى الرّواغ ، وكان أهل القرى وعابرو السبيل يمرّون عليهم ويرونهم يقتتلون ، فمن مَضَى منهم على الطريق نحو الوَجْه الذى يأتى من قِبله مَعقل استقبل معقلا فأخبـَره بالْتِقاء أصحابه والخوارج ، فيقول : كيف رأيتموهم يصنعون ؟ فيقولون : رأينا الحَرُوريّة تطرد أصحابَك ، فيقول : أما رأيتم أصحابى يَعطِفون عليهم ويقاتلونهم ؟ فيقولون: بلى، يعطفون عليهم وينهزمون : فقال: إن كان ظنىّ بأبى الروّاغ صادقًا لا يقدم عليكم منهزمًا أبداً . ثم وقف عليهم ، فدعا مُحرِز بن شهاب بن بجير بن سُفْيان بن خالد بن مِنقَر التميمىّ فقال له : تخلـّف فى ضَعَفة الناس ، ثم سِرْ بهم على مَهَل ، حتى تقدم بهم علىّ، ثم نادِ فى أهل القوّة : ليتعجل كلّ ذى قوّة معى، اعجَلوا إلى إخوانكم ، فإنهم قد لاقـَوْا عدوّهم ، وإنى لأرجو[٣] أن يُهلِكَهم الله قبل أن تصلوا إليهم .

قال : فاستجمـَع من أهل القوّة والشجاعة وأهلِ[٤] الخيل الجياد نحو من سبعمائة ، وسار فأسرع ، فلما دنا من أبى الرّواغ قال أبو الروّاغ : هذه

(١) س : « فتأخروا » .
(٢) س : « كأنهم » .
(٣) ف : « أرجو » .
(٤) ف : « والخيل » .

غَبَرَة الخيل ، تقدَّموا بنا إلى عدوّنا حتّى يقدم علينا الجند ، ونحن منهم قريب ، فلا يَرَوْن أننا تنحّينا عنهم ولاهِبْناهم . قال : فاستقدم أبو الرّواغ حتّى وقف مقابل المستورِد وأصحابه ، وغشيَهم معقل فى أصحابه ، فلما دنا منهم غَرَبت الشمس ، فنزل فصلّى بأصحابه ، ونزل أبو الرّواغ فصلّى بأصحابه فى جانب آخر ، وصلّى الخوارج أيضًا . ثم إنّ معقل بن قيس أقبل بأصحابه حتى إذا دنا من أبى الرّواغ دعاه فأتاه ، فقال له : أحسنت أبا الرّواغ ! هكذا الظنّ بك ، الصبر والمحافظة . فقال : أصلحك الله! إنّ لهم شدّات منكرات ، فلا تكن أنت تَلِيها بنفسك ، ولكن قدّم بين يديك من يقاتلهم ، وكن أنت مِن وراء الناس رِدءًا لهم ؛ فقال : نِعمَ ما رأيت ! فوالله ما كان إلا رَيْثَما قالها حتى شدّوا عليه وعلى أصحابه ، فلما غَشوه انجفَل عنه عامّةُ أصحابه ، وثَبتَ ونزل ، وقال : الأرضَ الأرضَ يا أهلَ الإسلام ! ونزل معه أبوالروّاغ الشاكرىّ وناسٌ كثيرٌ من الفُرْسان وأهلِ الحفاظ نحو مائتى رجل ، فلما غشيَهم المستورِد وأصحابُه استقبلوهم بالرّماح والسيوف ، وانجفلتْ خيلُ معقل عنه ساعة ، ثم ناداهم مسكين بن عامر بن أنَيْف بن شُريح بن عمرو بن عُدُس — وكان يومئذ من أشجع الناس وأشدّهم بأسًا — فقال : يا أهلَ الإسلام ، أين الفِرار ، وقد نَزَل أميركم ! ألا تَستحيُون ! إنّ الفرار مَخزاةٌ وعار ولؤم ، ثمّ كرّ راجعًا ، ورجعتْ معه خيلٌ عظيمة ، فشدّوا عليهم ومعقل بن قيس يُضاربهم تحتَ رايته[1] مع ناس نَزَلوا معه من أهل الصّبر ، فضرَبوهم حتى اضطرّوهم إلى البيوت ، ثمّ لم يلبثوا إلا قليلاً حتى جاءهم مُحرِز بن شهاب فيمن تخلّف من الناس ، فلما أتوهم أنزلَهم ثم صفّ لهم ، وجعل ميمنةً وميسَرة ، فجعل أبا الرّواغ على ميمنته ومحرزَ بن بُجير بن سُفيان على مَيسرته ومسكينَ بن عامر على الخيل ، ثم قال لهم : لا تَبرَحوا مَصافّكم حتى تصبحوا ، فإذا أصبَحتم ثُرْنا إليهم فناجزْناهم ، فوقف الناس مواقفهم على مَصافّهم .

٥٠/٢

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن

---

(١) ف : « راياته » .

عُقْبة الغَنَوِيّ ، قال : لما انتهى إلينا معقل بن قيس قال لنا المستورد : لا تَدَعُوا مَعقِلاً حتى يعبّئَ لكم الخيل والرَّجْل ، شُدّوا عليهم شَدّةً صادقةً ، لعلّ الله يَصرَعه فيها . قال : فشددْنا عليهم شَدّة صادقة ، فانكشفوا فانفضّوا ثم انجفلوا ووثب مَعقِل عن فرسه حين رأى إدبارَ أصحابه عنه . فرفع رايتَه ، ونزل معه ناس من أصحابه ، فقاتَلوا طويلاً ، فصبَروا لنا ، ثم إنهم تداعَوا علينا ، فعطفوا علينا من كلّ جانب ، فانحَزْنا حتى جعلنا البيوتَ فى ظهورنا ، وقد قاتلْناهم طويلاً ، وكانت بيننا جِراحةٌ وقتلٌ يسير .

قال أبو مخنف : حدّثني حصيرة بن عبد الله ، عن أبيه أنّ عُمَير بن أبى أشاءة الأزديّ قُتِل يومئذ ، وكان فيمن نزل مع معقِل بن قيس ، وكان رئيساً. قال : وكنتُ أنا فيمن نَزَل معه ، فواللهِ ما أنسَى قولَ عُمَيْر بن أبى أشاءة ونحن نَقتتِل وهو يضارِبهُم بسيفه قُدُماً : ٥١/٢

قد عَلِمتْ أنّى إذا ما أقْشَعُوا عنّيَ والتاثَ اللئامُ الوُضَّعُ[1]

* أَحْوَسُ عند الرَّوْعِ نَدْبٌ أرْوَعُ [2] *

وقاتل قتالاً شديداً ما رأيت أحداً قاتَلَ مثلَه ، فَجرَح رجالاً كثيراً ، وقَتَل وما أدرى أنه قتل ، ما عدا واحداً وقد علمت أنه اعتنقه ، فخرّ على صدره فذبحه ، فما حزّ رأسَه حتى حمل عليه رجلٌ منهم فطَعنَه بالرمح فى ثُغْرة نَحرِه ، فخرّ عن صدره ، وانجَدَل ميتّاً ، وشددْنا عليهم، وحُزْناهم إلى القَرْية ، ثم انصرفْنا إلى معركتنا ، فأتيتُه وأنا أرجو أن يكون به رَمَق ، فإذا هو قد فَاظ [3] ، فرجعتُ إلى أصحابى فوقفتُ فيهم .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عقبة

---

(١) س : « الرضّع » : جمع راضع ؛ وهو اللئيم .

(٢) الأحوس : الرجل الجرىء . والندب : الخفيف إلى الأمر . والأروع : الرجل الكريم ذو الجسم والجهارة .

(٣) فاظت نفسه ؛ هلك ، مثل « فاضت » .

الغنوىّ ، قال : إنا لمتواقِفون[1] أوّلَ الليل إذ أتانا رجل كنا بعثْناه أوّلَ الليل ، وكان بعضَ من يمرّ الطريق قد أخبَرَنا أنّ جيشًا قد أقبل إلينا من البَصرة ، فلم نَكترِث ، وقُلْنا لرجل من أهل الأرض وجعلْنا له جُعْلا : اذهبْ فاعلم هل أتانا من قِبل البصرة جيش ؟ فجاء ونحن مواقفو أهل الكوفة ، وقال لنا : نعم ، قد جاءكم شريكُ بن الأعور ، وقد استقبلت طائفة على رأس فرسخ عند الأولى ، ولا أرى القومَ إلا نازلين بكم الليلة ، أو مُصبِّحيكم غُدْوة . فأسقِط فى أيدينا .

٥٢/٢

وقال المستورد لأصحابه : ماذا ترون ؟

قلنا : نرى ما رأيت ، قال : فإنى لا أرى أن أقيمَ لهؤلاء جميعًا ، ولكن[2] نرجع إلى الوجه الذى جئنا منه ، فإنّ أهلَ البَصْرة لا يتبعونا إلى أرض الكوفة ، ولايتبعنا حينئذ إلا أهلُ مِصْرنا ، فقلنا له : ولِمَ ذاك ؟ فقال : قتال أهلِ مصرٍ واحد أهوَن علينا من قتال أهلِ المِصْرَين ؛ قالوا : سِرْ بنا حيثأحببتَ ، قال : فانزلوا عن ظهور دوابّكم فأريحوا ساعة ، وأقضموها ، ثم انظروا ما آمُركم به ؛ قال : فنزلْنا عنها ، فأقضمْنَاها ؛ قال : وبيننا وبينهم حينئذ ساعة قد ارتفعوا عن القرية مخافة أن نبيِّتهم ؛ قال : فلما أرحْناها وأقْضَمْناها أمَرَنا فاستوَيْنا على مُتونها ، ثم قال : ادخُلوا القرية ، ثم اخرجوا من ورائها ، وانطلِقوا معكم بعِلْجٍ يأخذ بكم من ورائها ، ثم يعود بكم حتى يَرُدّكم إلى الطريق الذى منه أقبلْتم ، ودَعُوا هؤلاء مكانَهم ، فإنهم لم يشعُروا بكم عامة الليل ، أو حتى تصبحوا . قال : فدخلْنا القرية وأخذْنا عِلْجا ، ثمّ خرجْنا به أمامنا ، فقلنا : خذْ بنا من وراء هذا الصّفّ حتى نعودَ إلى الطريق الذى منه أقبلْنا . ففعل ذلك ، فجاء بنا حتى أقامَنا على الطريق الذى منه أقبَلْنا ، فلزِمناه راجِعين ، ثم أقبلْنا حتى نزلنْا جرْجرَايا .

قال أبو مخنف : حدّثنى حُصَيرة[3] بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث ، قال : إنّى أوّل من فَطِن لذَهابهم[4] ؛ قال : فقلت : أصلحك

(١) ف : « لمتوقفون » ، س : « لمتوافقون » . (٢) س : « ولكنا » .
(٣) ف : « حصين » . (٤) ف : « لدهائهم » .

٢/٥٣ الله ! لقد رابنى أمر هذا العدوّ منذ ساعة طويلة ، إنهم كانوا مواقفين نرى سوادَهم ، ثمّ لقد خَفِيَ علىّ ذلك السوادُ منذ ساعة ، وإنى لخائف أن يكونوا زالوا من مكانهم ليَكيدوا الناسَ ؛ فقال : وما تخاف أن يكونَ من كيدهم ؟ قلت : أخاف أن يبيّتوا الناسَ ، قال ، والله ما آمَن ذلك ؛ قال : فقلتُ له : فاستعدّ لذلك ، قال : كما أنت حتى أنظر . يا عتّاب ، انطلِق فيمن أحببتَ حتى تدنوَ من القرية فتنظرَ هل ترى منهم أحداً أو تَسمَع لهم رِكزا ! وسَلْ أهلَ القرية عنهم .

فخرج فى خُمُس الغُزاة يَركض حتى نظر القرية فأخذ لا يرى أحداً يكلّمه ، وصاح بأهل القرية ، فخرج إليه منهم ناسٌ ، فسألهم عنهم ، فقالوا : خرجوا فلا ندرى كيف ذَهبوا ! فرجع إليه عتّاب فأخبره الخبر ، فقال معقِل : لا آمن البَيات ، فأين مُضَر ؟ فجاءت مضر فقال : قفوا ها هنا ، وقال : أين ربيعة ؟ فجعل ربيعة فى وجه وتميماً فى وجه وهمْدان فى وجه ، وبقيّة أهل اليَمَن فى وجه آخر ، وكان كلّ ربع من هؤلاء فى وجه وظهره مما يلى ظهر الرّبع الآخر ، وجالَ فيهم معقل حتى لم يدَع ربعًا إلا وقف عليه ، وقال : أيّها الناس ، لو أتوكم فبدَوْا بغيركم فقاتَلوهم فلا تَبرَحوا[1] أنتم مكانَكم أبداً حتى يأتيَكم أمرى ، وليُغْنِ كلّ رجل منكم الوجهَ الذى هو فيه ، حتى نُصبحَ فنرى رأيَنا . فمكثوا متحارِسين يخافون بياتَهم حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا نزلوا فصلّوا ، وأُتُوا فأُخبِروا أنّ القوم قد رجعوا فى الطريق الذى أقبلوا منه عودَهم على بدئهم ، وجاء شَريك بن الأعور فى جيش من أهل البَصرة حتى نزلوا بمعقل بن قيس فلقيه ، فتساءَلا ساعة ، ثم إنّ معقلا قال لشريك : أنا متّبع آثارَهم حتى ألحقَهم لعلّ الله أن يُهلِكهم ، فإنى

٢/٥٤ لا آمن إن قصّرتُ فى طلبهم أن يكثُروا . فقام شريك فجمع رجالاً من وجوه أصحابه ، فيهم خالد بنُ مَعْدان الطائىّ وَبيْهَس بن صُهَيب الجَرْمىّ ، فقال لهم : يا هؤلاء ، هل لكم فى خير ؟ هل لكم فى أن تسيروا مع إخواننا من أهل الكوفة فى طلب هذا العدوّ الذى هو عدّو لنا ولهم حتى يستأصلَهم

(١) س : « تتركوا » .

الله ثم نرجع ؟ فقال خالد بن مَعْدان وَبيهس الجَرْميّ : لا والله ، لا نفعل ، إنما أقبلْنا نحوَهم لننفيَهم عن أرضنا ، ونمنعَهم من دخولها ، فإنْ كفانا الله مئونتَهم فإنا منصرِفون إلى مِصْرِنا ، وفى أهل الكوفة من يَمنعون بلادَهم من هؤلاء الأكلب ؛ فقال لهم : وَيْحكم ! أطيعونى فيهم ، فإنهم قومُ سُوء ، لكم فى قتالِهم أجرٌ وحُظْوة عند السلطان ، فقال له بَيْهس الجَرْميّ: نحن والله إذاً كما قال أخو بنى كنانة[1] :

كَمُرْضِعَةٍ أَوْلادَ أُخْرَى وضيّعتْ بَنِيها فَلَمْ ترْقَعْ بذَلك مَرْقَعَا

أما بَلَغك أنّ الأكراد قد كفروا بجبال فارسَ ! قال: قد بلغنى ، قال : فتأمرنا أن ننطلِق معك نحمِى[2] بلادَ أهل الكوفة ، ونقاتل عدوّهم ، ونترك بلادَنا ، فقال له : وما الأكراد ! إنما يكفيهم طائفة منكم ؛ فقال له : وهذا العدوّ الذى تَندُبنا إليه إنما يكفيه طائفة من أهل الكوفة ، إنهم لَعَمرى لو اضطُرّوا إلى نُصْرتنا لكان علينا نُصرتَهم ،ولكنهم لم يحتاجوا إلينا بعد، وفى بلادنا فتقٌ مثل الفَتْق الذى فى بلادهم ، فليُغنوا ما قِبَلهم، وعلينا أن نغنىَ ما قِبَلنا ، ولَعَمرى لو أنا أطعناك فى اتباعهم فاتّبعتَهم كنتَ قد اجترأتَ على أميرك ،وفعلتَ ما كان ينبغى لك أن تطلع فيه رأيه ، ما كان ليحتمِلها[3] لك . فلما رأى ذلك قال لأصحابه : سيروا فارتحِلوا ، وجاء حتى لقى معقلا — وكانا متحابَّيْن على رأىِ الشيعة متوادّين عليه — فقال: أما والله لقد جهَدت بمن معى أن يتبعونى حتى أسير معكم إلى عدوكم فغلبونى ، فقال له معقل : جزاك الله من أخ خيراً[4] ! إنا لم نحتجْ إلى ذلك ، أما واللهِ إنّى أرجو أن لو قد جهدوا لا يُفلت[5] منهم مُخبر . ٥٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى الصَّقْعَب بن زُهير ، عن أبى أمامة عُبيد الله

(١) هو ابن جذل الطعان الكنانى ، الحيوان : ١٩٧١ ، حماسة البحترى:١٧٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى:٧٣٦ .

(٢) س : « ونحمى » .

(٣) ف : « يحتملها » .

(٤) س : « جزاك الله خيراً من أخ » .

(٥) س : « لو قد اجتهدوا لا ينفلت » .

ابن جُنادة ، عن شريك بن الأعور ، قال : حدّثنا بهذا الحديث شَريك ابن الأعور . قال : فلمّا قال : والله إنى لأرجو أن لو جهَدوا لا يُفلت منهم مَخبر[1] ، كرهتُها والله له ، وأشفقتُ عليه ، وحسبت أن يكون شبهَ كلام البَغْى ؛ قال : وايمُ اللهِ ما كان من أهلِ البَغْى .

قال أبو مخنف : حدّثنى حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه عبد الله بن الحارث الأزدىّ ، قال : لما أتانا أنّ المستورِدَ بن عُلّفة وأصحابه قد رجعوا عن[2] طريقهم سُرِرْنا بذلك ، وقلنا : نتبعهم ونستقبلهم بالمدائن ، وإن دنوا من الكُوفة كان أهلَكَ لهم ؛ ودَعا معقلُ بن قيس أبا الروّاغ فقال له : اتّبعه فى أصحابك الذين كانوا معك حتى تحبسه علىّ حتى ألحَقك ؛ فقال له : زدنى منهم فإنه أقوَى لى عليهم إن هم أرادوا مناجَزتى[3] قبل قدومك ، فإنا كنا قد لقِينا منهم بَرْحا[4] ، فزاده ثلثمائة ، فاتّبعهم فى ستمائة ، وأقبلوا سِراعًا حتى نزلوا جَرْجَرايا ، وأقبل أبو الرّواغ فى إثرهم مسرعًا حتى لحقهم بجَرْجَرايا ، وقد نزلوا ، فنزل بهم عند طلوع الشمس ، فلما نظروا إذا هم بأبى الرّواغ فى المقدّمة ، فقال بعضهم لبعض : إنّ قتالكم هؤلاء أهونُ من قتال من يأتى بعدَهم .

٥٦/٢

قال : فخرجوا إلينا ، فأخذوا يُخرُجون لنا العَشَرَة فُرسان منهم والعشرين فارسًا ، فنخرِج لهم مثلهم ، فتطارد الخَيْلان ساعةً يَنتصِف بعضُنا من بعض ، فلما رأوا ذلك اجتمعوا فشدّوا علينا شَدّةً واحدة صَدَقوا فيها الحملــة .

قال : فصرَفونا حتى تركْنا لهم العَرْصة . ثم إنّ أبا الروّاغ نادى فيهم ، فقال : يا فُرسان السوء ، يا حُماة السوء ، بئس ما قاتلتم القوم ! إلىّ إلىّ !

---

(١) س : « لو اجتهدوا ألا ينفلت » .
(٢) س : « فى » .
(٣) ف : « أرادوا منا حربا » .
(٤) ف : « ترحا » .

فعالجَ نحواً من مائةِ فارس ، فعطف عليهم ، وهو يقول :

إنَّ الفَتى كلَّ الفَتى من لم يُهَلْ ... إذا الجَبانُ حادَ عن وَقْعِ الأَسَلْ

قد عَلِمَتْ أَنِّى إذا البأْسُ نزلْ ... أَروَعُ يَومَ الهَيْجِ مِقدامٌ بَطَلْ

ثم عطف عليهم فقاتلَهم طويلا ، ثم عطف أصحابُه من كلِّ جانب ، فصدَقوهم القتال حتى ردّوهم إلى مكانهم الذى كانوا فيه ، فلما رأى ذلك المستورِد وأصحابه ظنوا أنّ معقلا إن جاءهم على تفِئة[1] ذلك لم يكن دونَ قتله لهم شيء ؛ فمضى هو وأصحابُه حتى قطَعوا دجلة ، ووقَعوا فى أرض بَهُرَسير ، ٢/ ٥٧ وقطع أبو الروّاغ فى آثارهم فاتّبَعهم ، وجاء معقل بن قيس فاتّبع إثْرَ أبى الروّاغ ، فقطع فى إثره دِجْلة ، ومضى المستورِد نحوَ المدينة العتيقة ، وبلغ ذلك سِماك بن عُبيد ، فخرج حتى عبر إليها ، ثم خرج بأصحابه وبأهل المَدائن ، فصفّ على بابها ، وأجلس رجالاً رُماةً على السُّور ، فبلغهم ذلك ، فانصرفوا حتى نزلوا سابَاطَ ، وأقبل أبو الرّوّاغ فى طلبِ القوم حتى مرّ بسماك ابن عبيد بالمدائن ، فخبّره بوَجْههم[2] الذى أخذوا فيه ، فاتبعهم حتى نزل بهم سابَاط .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : لمّا نزل بنا أبو الروّاغ دعا المستورِد أصحابَه ، فقال : إنّ هؤلاء الذين نزلوا بكم مع أبى الروّاغ هم حُرّ أصحاب معقل ، ولا والله ما قَدِم إليكم إلا حُماتُه وفُرسانُه ، والله لو أعلم أنى إذا بادرت أصحابه هؤلاء إليه أدركته قبل أن يفارقوه بساعة لبادرتهم إليه ، فليخرج منكم خارج فيسأل عن معقل أين هو ؟ وأين بلغ ؟ قال : فخرجتُ أنا فاستقبلت عُلُوجاً أقبَلوا من المدائن ، فقلت لهم : ما بلغكم عن معقِل بن قيس ؟ قالوا : جاء فَيْج[3] لسماك بن عبيد من قبَله كان سرّحه ليستقبلَ معقلاً فينظر أين انتهى ؟ وأين يريد أن ينزل ؟ فجاءه فقال : تركته نزل ديلمايا — وهى قرية من قرى

---

(١) على تفئة ذلك ، أى على حينه .

(٢) س : « توجههم » .

(٣) الفيج : الرسول .

إسْتان بَـهُرَسير إلى جانب دِجْلة ، كانت لقُدامة بن العجلان الأزدىّ — قال : له : : كم بيننا وبينهم من هذا المكان ؟ قالوا : ثلاثة فراسخ ،[1] أو نحو ذلك .

٢/٥٨

قال : فرجعتُ إلى صاحبى فأخبرتُه[2] الخبر ، فقال لأصحابه : اركبوا ، فركِبوا ، فأقبل حتى انتهى بهم إلى جسر سابَاط — وهو جسر نهرِ الملك ، وهو من جانبه الذى يلى الكوفة — وأبو الروّاغ وأصحابه مما يلى المدائن ، قال : فجئْنا حتى وقفْنا على الجسر ، قال : ثم قال لنا : لتنزل طائفةٌ منكم[3] : قال : فنزل منا نحوٌ من خمسين رجلاً ، فقال : اقطَعوا هذا الجسر، فنزَلْنا فقطعناه ، قال : فلما رأوْنا وُقوفًا على الخيل ظنّوا أنا نريد أن نَعبُرَ إليهم ؛ قال : فصفّوا لنا ، وتعبّوْا ، واشتغلوا بذلك عنا فى قَطْعنا الجسر . ثمّ إنا أخَذْنا من أهل ساباطَ دليلاً فقلنا له : احضُر بين أيدينا حتى ننتهى إلى ديلمايا ، فخرج بين أيدينا يسعى ، وخرجنا تلمع بنا خيلنُا[4] ، فكان الخَبَب والوَجيف ، فما كان إلا ساعة حتى أطللْنا على معقل وأصحابه وهم يتحمّلون ، فما هو إلا أن بَصُر بنا وقد تفرّق أصحابُه عنه ، ومقدّمته ليست عنده ، وأصحابه قد استَقْدَم طائفةً منهم ، وطائفة تَرَحَّل ، وهم غارّون لا يَشعُرون . فلما رآنا نَصَب رايتَه ، ونزل ونادى : يا عباد الله ، الأرضَ الأرضَ ! فنزل معه نحو من مائتى رجل ؛ قال : فأخَذْنا نحمل عليهم فيَستقبلونا بأطراف الرّماح جُثاةً على الرُّكَب فلا نَقدِر عليهم . فقال لنا المستورد : دَعُوا هؤلاء إذا نزلوا وشُدّوا على خَيْلهم حتى تَحُولوا بينها وبينهم[5] ، فإنكم إن أصبتم خيلَهم فإنهم لكم عن ساعة جُزُرٌ ؛ قال : فشَدَدْنا على خيلهم ، فحُلْنَا بينهم وبينها ، وقطعْنا أعنّتها ، وقد كانوا قَرَنوها ، فذهبتْ فى كلّ جانب ؛ قال : ثمّ مِلْنا على الناس المترحّلين[6] والمتقدّمين ، فَحمَلْنا عليهم حتى فرقنا

٢/٥٩

(١) س : « فراسخ ثلاثة » .

(٢) ف : « فخبرته » .

(٣) س : « لينزل طائفة منكم » .

(٤) س : « حتى بلغ بنا خيلنا » .

(٥) ف : « تحولوا بينهم » .

(٦) ف : « المترجّلين » .

بينهم، ثم أقبلْنا إلى معقل بن قيس وأصحابه جُثاة على الرُّكب على حالهم التى كانوا عليها ، فحمَلْنا عليهم ، فلم يتحلحلوا ، ثم حمَلْنا عليهم أخرى ، ففعلوا مثلها ، فقال لنا المستورد : نازِلوهم ، ليَنزِل إليهم نصفُكم ، فنزل نصفُنا ، وبقى نصفُنا معه على الخيل ، وكنتُ فى أصحاب الخيل . قال : فلما نزل إليهم رجّالتنا قاتلتْهم ، وأخذنا نَحمِل عليهم بالخيل ، وطمِعنا واللهِ فيهم . قال : فوالله إنا لَنقاتلهم ونحن نُرَى أن قد علَوناهم إذْ طلعتْ علينا مقدّمة أصحاب أبى الروّاغ ، وهم حُرّ أصحابه وفُرسانُهم ، فلما دنَوا منّا حملوا علينا ، فعند ذلك نزلنا بأجمعنا فقاتلناهم حتى أصيب صاحبنا وصاحبُهم . قال : فما علمتُه نجا منهم يومئذ أحدٌ غيرى . قال : وإنى أحدَثُهم رَجُلا فيما أرَى .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوىّ ، قال : وحدّثنا بهذا الحديث مرّتين من الزمن ، مرّة فى إمارة مصعب ابن الزبير بباجُمَيْرَا ، ومرّةً ونحن مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بدَيْر الجماجم . قال : فقُتِل والله يومئذ بدَيْر الجماجم[1] يومَ الهزيمة ، وإنه لمقْبِل عليهم يضاربهم بسيفه وأنا أراه ؛ قال : فقلت له بدير الجماجم : إنك قد حدّثتنى بهذا الحديث بباجُمَيرا مع مصعب بن الزبير ، فلم أسألك كيف نجوتَ من بين أصحابك ؟ قال : أحدّثك ، والله إنّ صاحبنا لما أصيب قُتِل أصحابُه إلا خمسة نفر أو ستة ؛ قال : فشدَدْنا على جماعة من أصحابه نحو من عشرين رجلاً ، فانكشَفوا .

٦٠/٢

قال : وانتهيت إلى فرس واقف عليه سَرْجُه ولجامه ، وما أدرى ما قصّة صاحبه أقُتِل أم نزَل عنه صاحبُه يقاتل وتركه ! قال : فأقبلتُ حتى أخذتُ بلجامه ، وأضع رِجلى فى الرّكاب وأستوِى عليه . قال : وشدّ والله أصحابُه علىّ ، فانتهَوْا إلىّ ، وغمزتُ فى جَنْب[2] الفرس ، فإذا هو والله أجوَد ما سُخِّر ، وركَض منهم ناس فى أثَرى فلم يعلَقُوا[3] بى ، فأقبلتُ

(١) ف : « يوم الجماجم » .
(٢) ف : « جانب » .
(٣) س : « يتعلقوا » .

أركُض الفرسَ ، وذلك عند المساء ، فلما علمتُ أنى قد فتُّهم وأمنت ، أخذت أسيرُ عليه خَبَبًا وتقريبًا[1] . ثمّ إنى سرتُ عليه بذلك من سيره ، ولقيت عالْجًا فقلت له : اسعَ بين يدىّ حتى تُخرِجنى الطريق الأعظم ، طريقَ الكوفة ؛ ففعل ، فوالله ما كانت إلاّ ساعة حتى انتهيت إلى كُوثَى ، فجئت حتى انتهيت إلى مكان من النّهر واسع عريض ، فأقحمتُ الفرسَ فيه ، فعبرْتُه ، ثم أقبلتُ عليه حتى آتى ديرَ كعب ، فنزلتُ فعقلتُ فرسى وأرحته وهوّمت تهويمة ، ثم إنى هببت سريعًا ، فحلُلْت فى ظهر الفرس ، ثم سرتْ فى قِطْع من الليل فاتّخذت بقيّة الليل جَمَلا ، فصلّيت الغداةَ بالمزاحميّة على رأس فرسخين من قُبِّين ، ثمّ أقبلتُ حتى أدخلَ الكوفة حينَ متَع الضّحى[2] ، فآتى من ساعتى شريك بن نملة المحاربىّ ، فأخبرته خبرى وخبرَ أصحابه ، وسألته أن يَلقَى المغيرةَ بن شُعبة فيأخذَ لى منه أمانًا ، فقال لى : قد أصبتَ الأمان إن شاء الله ، وقد جئتَ ببشارة ، والله لقد بتّ الليلة وإنّ أمر الناس ليَهمّنى .

٢/٦١

قال : فخرج شريك بن نملة المحاربىّ حتى أتى المُغيرة مسرعًا فاستأذَن عليه ، فأذن له ، فقال : إن عندى بُشرَى ، ولى حاجة ، فاقض حاجتى حتّى أبشّرك ببشارتى ، فقال له : قُضيتْ حاجتُك ، فهاتِ بُشْرَاك ؛ قال : تؤمِّن عبدَالله بن عُقبة الغَنَوِىّ ، فإنه كان مع القوم ، قال : قد آمنته ، والله لَوددْت أنك أتيتنى بهم كلهم فآمنتهم . قال : فأبشِر ، فإنّ القوم كلهم قد قُتلوا ، كان صاحبى مع القوم ، ولم ينجُ منهم فيما حدّثنى غيره . قال : فما فعل معقل بن قيس ؟ قال : أصلحك الله ! ليس له بأصحابنا علِم . قال : فما فرغ من منطقة حتى قدم عليه أبو الروّاغ ومسكين بن عامر بن أنيف مبشّريْن بالفتْح ، فأخبروا أن معقل بن قيس والمستورِد بن عُلّفة مَشَى كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، بيَدِ المستورِد الرّمح وبيَد معقل السيف ، فالتَقَيَا ، فأشرَع المستورد الرّمح فى صدرِ معقل حتى خرج السنان من

---

(١) الخبب والتقريب : ضربان من العدو .

(٢) متع الضحى ، أى كان فى أوله .

ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيفُ أمّ الدماغ ، فخرّا ميتَيْن .

قال أبو مخنف : حدّثني حُصَيرة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما رأينا المستورِد بن عُلّفة وقد نزلْنا به ساباط أقبل إلى الجِسْر فقطعه ، كنا نظنّ أنه يريد أن يَعبُر إلينا . قال : فارتفعْنا عن مظلِم ساباط إلى الصَّحْراء التي بين المدائن وساباط فتعبّأنا وتهيّأنا ، فطال علينا أن نراهم يخرجون إلينا . ٢/٦٢ قال : فقال أبو الروّاغ : إن لهؤلاء لشأناً ، ألا رجل يَعلَم لنا عِلمَ هؤلاء ؟ فقلت : أنا ووهيب بن أبي أشاءة الأزديّ : نحن نَعلَمُ لك عِلمَ ذلك ، ونأتيك بخبرهم ، فقربنا على فرَسيْنا إلى الجسر فوجَدْناه مقطوعاً ، فظننّا القوَم لم يقطعوه إلا هيبةً لنا ورُعْباً منا ، فرجَعْنا نَركُض سراعاً حتى انتهينا إلى صاحبنا ، فأخبرناه بما رأينا ، فقال : ما ظنّكم ؟ قال : فقلنا : لم يَقطَعوا الجسرَ إلا لهيبتنا ولِما أدخل اللهُ في قلوبهم من الرّعب منّا . قال : لعمري ما خرج القومُ وهم يريدون الفِرار ، ولكنّ القوم قد كادوكم ، أتسمعون ! والله ما أراهم إلا قالوا : إنّ معقلا لم يبعث إليكم أبا الروّاغ إلا في حرّ أصحابه ، فإن استطعتم فاتركوا هؤلاء بمكانهم هذا ، وجِدّوا في[1] السير نحو معقل وأصحابه ، فإنكم تجدُونهم غارّين آمنين إن تأتوهم ؛ فقطعوا الجسرَ لكيما يشغلوكم به عن لَحاقكم إياهم حتى يأتوا أميرَكم على غرّة ، النّجاءَ النّجاء في الطلب ! قال : فوقع في أنفسنا أنّ الذى قال لنا كما قال . قال : فصِحْنا بأهل القرية ؛ قال : فجاءوا سراعاً : فقلنا لهم : عجّلوا عقد الجسر ، واستحثَثْناهم فما لَبِثوا أن فرغوا منه ، ثم عَبَرْنا عليه ، فاتّبعناهم سِراعاً ما نلوِي على شيء ، فلزمنا آثارَهم ، فوالله ما زلْنا نسأل عنهم ، فيقال : هم الآن أمامَكم ، لحقتموهم ، ما أقربَكم منهم ، فوالله ما زلنا في طلبهم حِرْصا على لَحاقهم حتى كان أوّل من استقبلنا مَن الناس فلّهم وهم منهزمون لا ٢/٦٣ يلوى أحدٌ على أحد . فاستقبلهم أبو الرّواغ ، ثمّ صاح بالناس : إليّ إليّ ؛ فأقبَل الناس إليه ، فلاذوا به ، فقال : ويْلَكم ! ما وراءكم ؟ فقالوا : لا ندرى ، لَم يَرُعْنا إلاّ والقوم معنا في عسكرنا ونحن متفرّقون ، فشدّوا علينا ،

(١) س : « وخذوا السير » .

ففرّقوا[١] بيننا ، قال : فما فعل الأمير ؟ فقائل يقول : نزل وهو يقاتل ؛ وقائل يقول : ما نراه إلا قُتل ؛ فقال لهم : أيّها الناس ، ارجعوا معى ، فإنْ نُدْرِكْ أميرَنا حيًّا نقاتل معه ، وإن نجدْه قد هلك قاتلْناهم ، فنحن فُرسانُ أهلِ المصْر المنتخَبون لهذا العدوّ ، فلا يفسدنّ فيكم رأى أميركم بالمصْر ، ولا رأى أهل المصْر ، وايمُ الله لا ينبغى لكم إن عاينتموه وقد قتلوا معقلا أن تفارقوهم حتى تُبيروهم أو تباروا ، سيروا على بركة الله . فساروا وسرْنا ، فأخذ لايستقبل أحداً من الناس إلا صاح به وردّه ، ونادى وجوهَ أصحابه وقال : اضربوا وجوهَ الناس وردّوهم . قال : فأقبلْنا نردّ الناس حتى انتهيْنا إلى العسكر ، فإذا نحن براية معقل بن قيس منصوبة ، فإذا معه مائتا رجل أو أكثر فُرسان الناس ووجوههم ليس فيهم إلا راجل ، وإذا هم يقتتلون أشدّ قتال سَمع الناس به ، فلما طلعنا عليهم إذا نحن بالخوارج قد كادوا يعلُون أصحابَنا ، وإذا أصحابُنا على ذلك صابرون يجالدونهم[٢] ، فلما رأوْنا كرّوا ثم شدّوا على الخوارج ، فارتفعتْ الخوارج عنهم غيرَ بعيد ، وانتهينا إليهم ، فنظر أبو الروّاغ إلى معقل فإذا هو مستقدم يذمّر أصحابه ويحرّضهم ، فقال له : أحيٌّ أنت فداك عمىّ وخالى ! قال : نعم ؛ فشدّ القوم ، فنادى أبو الرّوّاغ أصحابه : ألا ترَون أميرَكم حيًّا ، ! شُدّوا على القوم ، قال : فحمل وحملْنا[٣] على القوم بأجمعنا ؛ قال : فصدَمْنا خيلَهم صدمةً منكَرة ، وشدّ عليهم معقل وأصحابه ، فنزل المستورِد ، وصاح بأصحابه : يا معشر الشُّراة ، الأرضَ الأرضَ ، فإنها والله الجنّة ! والذى لا إله غيره لمن قتل صادق النيّة فى جهاد هؤلاء الظَّلَمة وجِلاحِهم[٤] ، فتنازَلوا من عند آخرهم ، فنزلنا من عند آخرنا ، ثم مضَيْنا إليه منصلتين بالسيوف ، فاضطربْنا بها طويلا من النهار كأشدّ قتال اقتتلَه الناس قطّ ، غير أن المستورِد نادى معقلا

٢/٦٤

---

(١) ف : « فتفرقوا » .

(٢) ف : « يجالدون » .

(٣) س : « وحملنا معه » .

(٤) جلاحهم : مكاشفتهم بالعداوة .

فقال : يا معقل ، ابرُز لى ، فخرج إليه معقل ، فقلنا له : نَنشُدك[١] أن تَخرُج إلى هذا الكلب الذى قد آيَسه الله من نفسه[٢] ! قال : لا والله لايدعونى رجل إلى مبارَزة أبداً فأكونَ أنا النّاكل؛ فمشى إليه بالسيف، وخرج الآخَر إليه بالرمح ، فناديناه أنْ الْقه برمح مِثل رمحه ، فأبَى ، وأقبل عليه المستورد فطعنه حتى خرج سنان الرمح من ظهره ، وضربه معقلٌ بالسيف حتى خالط سيفُه أمَّ الدّماغ ، فوقع ميّتًا ، وقتل معقل، وقال لنا حين برز إليه : إن هلكتُ فأميرُكم عمرو بن محرز بن شهاب السعدىّ ثم المِنقَرىّ : قال : فلما هلك معقل أخذ الراية عَمرو بن محرز ، وقال عمرو : إن قتِلت فعليكم أبوالرّواغ ، فإن قتِل أبو الرّواغ فأميرُكم مسكين بن عامر بن أنَيف ، وإنه يومئذ لفتًى حدَث ، ثم شدّ برايته ، وأمر الناس أن يشدّوا عليهم ، فما لبثوهم أن قتلوهم . ٢/ ٦٥

* * *

[ذكر ولاية عبد الله بن خازم خراسان]

ومما كان فى هذه السنة[٣] تولية عبد الله بن عامر عبدَ الله بن خازم[٣] بن ظَبْيان خُراسان وانصراف قيس بن الهيثم عنه ، وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر أبو مِخْنف عن مقاتل بن حيّان — أن ابنَ عامر استبطأ قيسَ بن الهيثم بالخراج ، فأراد أن يَعزِله ، فقال له ابن خازم : ولّنى خُراسانَ فأكفيكَها وأكفيكَ قيسَ بن الهيثم . فكتب له عهدَه أو همَّ بذلك ، فبلغ قيسًا أن ابن عامر وَجَد عليه لاستخفافه به ، وإمساكه عن الهديّة ، وأنه قد ولّى ابن خازم ، فخاف ابن خازم أن يشاغبه ويحاسبه ، فترك خُراسان ، وأقبل فازداد عليه ابن عامر غضبًا ، وقال : ضيّعت الثَّغْر ! فضرَبه وحبَسه ، وبعث رجلا من بنى يَشكُرَ على خُراسان .

قال أبو مخنف : بعث ابن عامر أسلم بن زُرْعة الكلابىّ حين عزَل قيسَ

(١) ف : « فقلت له : نشدتك » .

(٢) س : « رحمته » .

(٣ — ٣) س : « تمام الخبر عن الكائن من الأحداث الجليلة فى سنة ثلاث وأربعين » .

ابن الهيثم ؛ قال عليّ بن محمد : أخبرَنا أبو عبد الرحمن الثّقَفيّ ، عن أشياخه ، أنّ ابن عامر استعمل قيسَ بنَ الهيثم على خُراسان أيام معاوية ، فقال له ابن خازم : إنك وجّهت إلى خُراسانَ رجلاً ضعيفاً ، وإنى أخاف إنْ لقِيَ حرباً أن ينهزم بالناس ، فتَهلْك خُراسان ، وتَفتضح أخوالك . قال ابن عامر : فما الرأى ؟ قال : تكتب لى عهداً : إن هو انصرف عن عدوّك قمت مقامه . فكتب له ، فجاشت جماعةٌ من طُخَارِستان ، فشاور قيس ابن الهيثم فأشارَ عليه ابن خازم أن ينصرفَ حتى يجتمعَ إليه أطرافه ؛ فانصرف ، فلما سار من مكانه مرحلةً أو مرحلتين أخرج ابنُ خازم عهدَه ، وقام بأمر الناس ، ولقِى العدوّ فهزمهم ، وبلغ الخبر المصرَيْن والشأم فغضب القيسيّة[1] وقالوا : خدَع قيساً وابن عامر ؛ فأكثروا فى ذلك حتى شكَوْا إلى معاوية ، فبعث إليه فقَدِم ، فاعتذر مما قيل فيه ؛ فقال له معاوية : قم فاعتذر إلى الناس غداً ؛ فرجع ابن خازم إلى أصحابه فقال : إنى قد أمرت بالخطبة ، ولست بصاحب كلام ، فاجلسوا حولَ المنبر ، فإذا تكلّمت فصدّقونى ، فقام من الغد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : إنما يتكلّف الخُطبة إمامٌ لا يجد منها بدّاً ، أو أحمقُ يهمر[2] من رأسه لا يبالى ما خرج منه ، ولست بواحد منهما ؛ وقد علم من عرفنى أنى بصير بالفُرَص ، وثّاب عليها ، وقّاف عند المهالك ، أنفَذُ بالسريّة ، وأقسم بالسويّة ؛ أنشدكم بالله مَن كان يعرف ذلك منّى لما صدّقنى ! قال أصحابه حولَ المنبر : صدقت ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك ممّن نشدتُ فقل بما تعلم ؛ قال : صدقت .

قال عليّ : أخبرَنا شيخٌ من بنى تميم يقال له مَعمر ، عن بعض أهل العلم أن قيسَ بنَ الهيثمِ قَدِم على ابن عامر من خُراسان مراغماً لابن خازم ، قال : فضربه ابن عامر مائةً وحلَقه وحبسه ، قال : فطلبتْ إليه أمُّه ، فأخرجه .

---

(١) س : « القيسيون » .

(٢) يقال : همر الكلام يهمره ؛ إذا أكثر فيه .

٦٧/٢ وحجَّ بالناس في هذه السنة – فيما قيل – مروانُ بن الحَكَم ، وكان على المدينة ، وكان على مكّة خالدُ بن العاص بن هشام ، وعلى الكوفة المغيرةُ بن شُعبة ، وعلى قضائها شُريح ، وعلى البَصرة وفارسَ وسِجِسْتان وخُراسانَ عبد الله بن عامر ، وعلى قضائها[1] عُمَيْر بن يثربيّ .

(١) س : « قضاء البصرة » .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين

ذكر الخبر عمّا كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها من ذلك دخولُ المسلمين مع عبد الرحمن بن خالد بن[1] الوليد بلادَ الرّوم ومَشتاهم[2] بها ، وغزو بُسْر بن أبى أرطاةَ البحر .

* * *

[عزل عبد الله بن عامر عن البصرة]

وفى هذه السنة عزَل معاويةُ عبدَ الله بن عامر عن البصرة .

* ذكر الخبر عن سبب عزله :

كان سبب ذلك أن ابن عامر كان رجلا ليّنًا كريمًا ، لا يأخذ على أيدى السفهاء ، ففسَدتِ البصرةُ بسبب ذلك أيّامَ عمله بها لمعاوية فحدّثنى عُمر بن شبّة ، قال : أخبرنا يزيد الباهلىّ ، قال : شكا ابنُ عامر إلى زياد فسادَ الناس وظهور الخُبث ، فقال : جرِّد فيهم السيف ، فقال : إنى أكرَه أن أصلِحهم بفسادِ نفسى .

حدّثنى عمر ، قال : قال أبو الحسن : كان ابن عامر ليّنًا سهلا ، سهلَ الوِلاية ، لا يعاقِب فى سلطانه ، ولا يقطع لصًّا ، فقيل له فى ذلك ؛ فقال : أنا أتألّف الناس ، فكيف أنظر إلى رجل قد قطعتُ أباه وأخاه !

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا مَسلَمة بن محارب ، قال : وفد ابن الكوّاء ، واسم ابن الكوّاء عبد الله بن أبى[1] أوفَى إلى معاوية ، فسأله عن الناس ، فقال ابن الكَوّاء : أمّا أهل البَصرة فقد غلب عليها سُفهاؤها ، وعاملُها ضعيف ، فبلغ[3] ابن عامر قولُ ابن الكَوّاء ، فاستعمل طُفيل ٢/٦٨

(١) ساقط من ط .
(٢) ف : « مشاتيهم » .
(٣) س : « وبلغ » .

ابن عوف اليشكريّ على خُراسان، وكان الذى بينه وبين ابن الكوّاء متباعداً، فقال ابن الكَوّاء: إنّ ابن دَجاجة(١) لقليلُ العلم فىّ، أظَنّ أنّ ولاية طُفَيل خُراسانَ تسوءنى! لَوددت أنه لم يبق فى الأرض يشكرىٌّ إلا عادانى، وأنه ولّاهم. فعزل معاوية ابن عامر، وبعث الحارث بن عبد الله الأزدىّ. قال: وقال القَحذمىّ: قال ابن عامر: أىّ الناس أشدّ عداوةً لابن الكوّاء؟ قالوا: عبد الله بن أبى شيخ، فولّاه خُراسان؛ فقال ابن الكوّاء ما قال.

وذكر عن عمر، عن أبى الحسن، عن شيخ من ثقيف وأبى عبد الرحمن الإصبهانىّ، أنّ ابن عامر أوفد إلى معاوية وَفداً، فوافقوا عنده وفدَ أهل الكوفة، وفيهم ابن الكوّاء اليشكرىّ، فسألهم معاوية عن العراق وعن أهل البصرة خاصّة؛ فقال له ابن الكَوّاء: يا أميرَ المؤمنين، إنّ أهل البَصرة أكَلَتهم سفهاؤهم، وضَعُف عنهم سلطانُهم، وعَجّز ابنَ عامر وضعّفه. فقال له معاوية: تَكلّمُ عن أهل البصرة وهم حضور! فلما انصرف الوفد إلى البَصرة بلّغوا ابنَ عامر ذلك، فَغضِب، فقال: أىّ أهلِ العراق أشَدّ عداوةً لابن الكَوّاء! فقيل له: عبد الله بن أبى شيخ اليشكرىّ، فولّاه خُراسان، وبلغ ابنَ الكوّاء ذلك فقال ما قال.

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: لما ضعف ابن عامر عن عمله، وانتشر الأمر بالبصرة عليه، كتب إليه معاوية يستزيره، قال عمر: فحدّثنى أبو الحسن أنّ ذلك كان فى سنة أربع وأربعين، وأنه استخلف على البَصرة قيسَ ابن الهيثم، فقَدِم على معاوية، فردّه على عمله، فلما ودّعه قال له معاوية: إنى سائلك ثلاثًا، فقل: هنّ لك. قال: هُنّ لك وأنا ابن أمّ حكيم، قال: تردّ علىّ عملى. ولا تَغضَب، قال: قد فعلت؛ قال: وتهب لى مالَكَ بعَرَفة؛ قال: قد فعلت. قال: وتهب لى دُورَك بمكة؛ قال: قد فعلتُ، قال: وصلَتْك رَحِم! قال: فقال ابن عامر: يا أميرَ المؤمنين، إنى سائلك ثلاثاً فقل: هنّ لك؛ قال: هُنّ لك وأنا ابن هند؛ قال: تردّ علىّ مالى

٦٩/٢

(١) ف: «الزجاجة»، وانظر أسد الغابة.

بعَرَّفة ، قال : قد فعلت ، قال : ولا تُحاسِب لى عاملاً ، ولا تتبّع لى أثراً .
قال : قد فعلت ، قال : وتُنكِحنى ابنتك هنداً ؛ قال : قد فعلت .

قال : ويقال : إنّ معاوية قال له : اِختَرْ بين أن أتتبّع أثرك وأحاسبَك بما صار إليك ، وأردّك إلى عمَلك ، وبين أن أسوّغك ما أصبت ، وتعتزل ؛ فاختار أن يسوّغه ذلك ويَعتزل

* * *

[استلحاق معاوية نسب زياد ابن سميّة بأبيه]

وفى هذه السنة استلحق معاويةُ نسبَ زياد بن سميّة بأبيه أبى سُفيان فيما قيل .

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : زعموا أنّ رجلاً من عبد القيس كان مع زياد لمّا[1] وفد على[2] معاوية ، فقال لزياد : إنّ لابن عامر عندى يداً ، فإن أذنتَ لى أتيتُه ، قال : على أن تحدّثنى ما يجرى بينَك وبينَه ؛ قال : نعم ، فأذن له فأتاه ، فقال له ابن عامر : هيه هيه ! وابن سميّة يقبّحُ آثارى ، ويعرّض بعُمّالى ! لقد هممتُ أن آتىَ بقَسامة[3] من قريش يَحلِفون أنّ أبا سُفْيان لم يرَ سُمية ؛ قال : فلما رجع سأله زياد ، فأبى أن يُخبره ، فلم يَدَعْه حتى أخبره ، فأخبر ذلك زيادٌ معاويةَ ، فقال معاوية لحاجبه : ٢/٧٠ إذا جاء ابن عامر فاضرب وجهَ دابّته عن أقصى الأبواب ، ففعل ذلك به ، فأتى ابن عامر يزيد ، فشكا إليه ذلك[4] ، فقال له : هل ذكرتَ زياداً ؟ قال : نعم ، فركب معه يزيدُ حتى أدخلَه ، فلما نظر إليه معاوية قام فدخل ، فقال يزيد لابن عامر : اِجلِس فكم عسى أن تَقعُد فى البيت عن مجلسه ! فلما أطالا خرج معاويةُ وفى[5] يده قَضيبٌ يَضرِب به الأبواب ، ويتمثّل :

---

(١) س : « حين » .
(٢) س : « إلى » .
(٣) القسامة : الجماعة يقسمون على الشىء أو يشهدون به .
(٤) س : « ذلك إليه » .
(٥) ف : « فى يده » بدون واو .

لنــا سِياقٌ ولكمْ سِيــاقُ قد عَلِمَت ذِلكمُ الرِّفاقُ

ثم قعد فقال: يا بن عامر ، أنت القائل فى زياد ما قلت ! أما والله لقد علمَت العربُ أنى كنت أعزَّها فى الجاهليَّة ، وإنّ الإسلام لم يزدنى إلا عزًّا ، وأنّى لم أتكثّر بزيادٍ من قلّة، ولم أتعزّز به من ذِلّة، ولكن عرفتُ حقًّا له فوضعتهُ موضعَه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نرجع إلى ما يحبّ زياد ، قال : إذاً نرجع إلى ما تحبّ ؛ فخرج ابن عامر إلى زياد فترضّاه .

حدّثنى أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : حدّثنا عمرو بن هاشم ، عن عُمر بن بشير الهمْدانىّ ، عن أبى إسحاق ، أنّ زياداً لما قدم الكُوفة ، قال : قد جئتُكم فى أمرٍ ما طلبتُه إلا إليكم ، قالوا : ادعنا إلى ما شئتَ ، قال : تُلحِقون نسبى بمعاوية ؛ قالوا : أمّا بشهادة الزُّور فلا ؛ فأتى البَصرة ، فشهد له رجل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة معاوية .

وفيها عَمِل مروانُ المقصورةَ ، وعَمِلها –أيضًا فيما ذكر– معاوية بالشأم . وكانت العمّالُ فى الأمصار فيها العُمّال الذين ذكرْنا قبلُ أنهم كانوا العمّال فى سنة ثلاث وأربعين . ٢/٧١

ثم دخلت سنة خمس وأربعين

ذكر الأحداث المذكورة التي كانت فيها

فمن ذلك استعمال معاويةَ الحارث بن عبد الله الأزديّ فيها على البصرة .

فحدّثني عمرُ ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، قال : عزل معاويةُ ابنَ عامر وولّى الحارثَ بنَ عبدالله الأزديّ البَصرة في أوّل سنة خمس وأربعين ، فأقام بالبصرة أربعةَ أشهر ، ثم عزَله . قال : وقد قيل : هو الحارث بن عَمرو وابن عَبْد عَمْرو ، وكان من أهل الشأم ، وكان معاوية عزل ابنَ عامر ليوليَ زياداً ، فولّى الحارثَ كالفرس المحلِّل ، فولّى الحارثُ شُرْطَته عبدَالله بن عمرو بن غيلان الثّقَفيّ ، ثم عزَله معاوية وولاّها زياداً .

* * *

ذكر الخبر عن ولاية زياد البصرة

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا عليّ ، قال : حدّثنا بعضُ أهلِ العلم أنّ زياداً لما قدِم الكوفة ظَنّ المغيرة أنه قدم والياً على الكوفة ، فأقام زياد في دار سَلْمان بن ربيعة الباهليّ ، فأرسل إليه المغيرة وائلَ بنَ حُجر الحضرميّ أبا هُنَيدة ، وقال له : اعلم لي عِلمَه . فأتاه فلم يَقدر منه على شيء ، فخرج من عنده يريد المغيرة ، وكان زاجراً ، فرأى غُراباً يَنعَق ، فرجع إلى زياد فقال : يا أبا المغيرة ، هذا الغراب يرحِّلك[1] عن الكوفة . ثم رجع إلى المغيرة ، وقدم[2] رسولُ معاويةَ على زياد من يومه : أن سِرْ إلى البَصْرة . ٧٢/٢

وأما عبد الله بن أحمد المَروَزيّ فحدّثني ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : حدّثني عبد الله ، عن إسحاق — يعني ابن يحيى —

---

(١) ف : « يرجلك » . (٢) ف : « وقد قدم » .

عن معبد بن خالد الجدلىّ ، قال : قَدِم علينا زيادٌ ـ الذى يقال له ابنُ أبى سُفْيان ـ من عندِ معاوية ، فنزل دارَ سلمان بن ربيعة الباهلىّ ينتظر أمرَ معاوية. قال : فبلغ المغيرةَ بن شعبة ـ وهو أميرٌ على الكوفة ـ أنّ زياداً ينتظر أن تجىءَ إمارتُه على الكوفة ، فدعا قطَن بن عبد الله الحارثىّ فقال : هل فيك من خير؟ تكفينى الكُوفة حتّى آتيَك من عندِ أمير المؤمنين؛ قال : ما أنا بصاحِب ذا ، فدعا عتيبة[1] بن النهّاس العِجْلىّ ، فعرض عليه فقبِل ، فخرج المغيرة إلى معاوية ، فلما قدم عليه سأله أن يَعزِله ، وأن يَقطَع له منازلَ بقَرْقيسيَا بين ظهرىْ قيس ، فلما سمع بذلك معاوية خاف بائقتَه ، وقال : والله لترجعنّ إلى عملكَ يا أبا عبد الله . فأبى عليه ، فلم يزدْه ذلك إلا تُهمة ، فردّه إلى عمله ، فطرقَنا ليلا ، وإنى لفَوْق القَصْر أحرُسه ، فلما قرع البابَ أنكرْناه ، فلما خاف أن ندلّىَ عليه حَجَراً تسمّى لنا ، فنزلتُ إليه فرحّبت له وسلّمت ، فتمثّل :

بمثلى فافْزعى يا أمَّ عَمْرٍو إذا ما هاجَنِى السَّفَرُ النُّعُورُ[2]

اذهب إلى ابن سُميّة فرحِّله حتّى لا يصبح إلا من وراء الجسر. فخرجْنا[3] فأتينا زياداً ، فأخرجْناه حتّى طرحناه من وراء الجِسر قبل أن يصبح . ٢/٧٣

* * *

فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا مسلمةَ والهُذَلىّ وغيرُهما أنّ معاوية استَعمل زياداً على البصرة وخراسان وسِجسْتان ، ثم جمع له الهند والبحرَيْن وعُمان ، وقَدِم البصرة فى آخر شهر ربيع الآخر ـ أو غرّة جُمادَى الأولى ـ سنة خمس ، والفِسْق بالبَصرة ظاهر ، فاشٍ ، فخطب خُطبةً بَتْراءَ[4] لم يَحمَد الله فيها ، وقيل : بل حَمِد الله فقال :

---

(١) ط : «عينينة» ، وانظر الفهرس .

(٢) البيت لطرفة ، ديوانه: ٦٥ ؛ وروايته فيه :

ومثْلِى فاعلمى يا أمَّ عمرٍو إذا ما اعتادَهُ السّفهُ النُّعُورُ

(٣) ت : «فخرجت» .

(٤) قال الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ٦ : «وعلى أن خطباء السلف الطيب وأهل البيان والتابعين لهم بإحسان ؛ ما زالوا يسمون الخطبة التى لم تبتدأ بالتحميد ، وتستفتح بالتمجيد : البتراء =

الحمدُ لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيدَ من نِعَمه ، اللهمّ كما رزقْتنا نعمًا ، فألهِمْنا شكرًا على نعمتك علينا .

أمّا بعد ، فإنّ الجهالة الجَهْلاء ، والضّلالة العَمْياء ، والفَجْر المُوقِد لأهله[1] النارَ ، الباقىَ عليهم سعيرُها ، ما يأتى سفهاؤكم[2] ، ويشتَمِل عليه حُلَماؤكم ، من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ، ولا يتحاشى منها[3] الكبير ، كأن لم تَسمعوا بآى[4] الله ، ولم تقرءوا كتابَ الله ، ولم تَسمَعوا ما أعدّ[5] اللهُ من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذابِ الأليم لأهل معصيته ، فى الزمن السّرمد[6] الذى لا يزول . أتكونون كمن طرفتْ عينه الدنيا ، وسدّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانيةَ على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسْبَقوا به[7] ؛ [8] من ترككم هذه المَواخير المنصوبة [8] ، والضعيفة المسلوبة ، فى النهار المبصر ، والعدد غير قليل ! ألم تكن منكم نُهاةٌ تَمنع الغُواةَ عن دَلَجِ[9] الليل وغارةِ النهار ! قرّبتم القرابة ، وباعدتم الدّين ، تعتذرون بغير العذر ، وتُغَطّون على المختلس[10] ، كلّ امرئ منكم يذبّ عن سفيهه[11] ، صنيعُ من لا يخاف عقابًا[12] ،

٧٤/٢

= ويسمون التى لم توشح بالقرآن ، وتزين بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : الشوهاء » . وقد أورد الجاحظ هذه الخطبة فى البيان والتبيين ٢ : ٦١ — ٦٦ ، بروايته عن مسلمة بن محارب وأبى بكر الهذلى أيضاً ، وكذلك أوردها صاحب العقد فى ٤ : ١١٠ — ١١٣ بهذه الرواية أيضا .

(١) البيان : « الغى المدنى بأهله على النار » .

(٢) البيان والعقد : « ما فيه سفهاؤكم » .

(٣) كذا فى الطبرى والعقد ، وفى البيان : « ولا ينحاش عنها الكبير » ؛ وينحاش : ينفر .

(٤) س : « آيات الله » .

(٥) ط : « عد » .

(٦) العقد : « السرمدى » .

(٧) البيان والعقد : « إليه » .

(٨ — ٨) البيان : « من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله ، وهذه المواخير المنصوبة » .

(٩) الدلج : السير من أول الليل .

(١٠) البيان والعقد : « وتغضون على المختلس » .

(١١) ف : « سفيه » .

(١٢) س والبيان والعقد وابن الأثير : « عاقبة » .

ولا يرجو مَعاداً . ما أنتم بالحُلَماء[١] ، ولقد اتّبعتم السفهاء ، ولم يزل[٢] بهم ما ترَوْن من قيامكم دونَهم ، حتى انتهكوا حُرَم[٣] الإسلام ، ثم أطرَقوا وراءكم كُنوساً[٤] فى مَكانس الرِّيَب . حُرِّم[٥] علىّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوِّيَها بالأرض هَدْماً وإحراقاً . إنّى رأيت آخرَ هذا الأمرِ لا يَصلُح إلاّ بما صلَح [به][٦] أوّلُه ، لينٌ فى غير ضَعْف ، وشدّة فى غير جَبريّة وعُنْف[٧] . وإنّى أقسم بالله لآخذنّ الولىّ بالولى[٨] ، والمقيمَ بالظاعن ، والمقْبِل بالمدبِر ، والصحيحَ منكم بالسقيم ، حتى يَلقَى الرجلُ منكم أخاه فيقول : انجُ سَعْد فقد هَلَك سُعيد[٩] ، أو تستقيم لى قَناتُكم . إنّ كَذبة المِنبر تَبقَى مشهورة[١٠] ، فإذا تعلّقتم علىّ بكذبة فقد حلّت لكم معصيتى ، [وإذا سمعتموها منى فاغتمزوها فىّ واعلموا أن عندى أمثالها] مَن[١١] بُيِّت منكم[١٢] فأنا ضامنٌ لما ذهب له . إيّاى ودَلَجَ الليل ، فإنى لا أوتَى بمدلِج إلا سفكْتُ دَمَه ، وقد أجّلتكم فى ذلك بقدْر[١٣] ما يأتى الخبر الكوفة ويرجعُ إلىّ . وإيّاى ودعوَى[١٤]

---

(١) ف : « حلماء » .

(٢) البيان : « فلم يزال » .

(٣) حرم الإسلام : ما لا يحل انتهاكه ؛ وروى الشعبى قال : « لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصرة ونزل سمع تلك الليلة أصوات الناس يتحارسون ، فقال : ما هذا ؟ ، قالوا : إن البلد مفتون ، وإن المرأة من أهل المصر لتأخذها الفتيان الفسّاق ، فيقال لها : نادى ثلاثة أصوات ، فإن أجابك أحد ، وإلا فلا لوم علينا فيما نصنع » .

(٤) الكنوس : جمع كانس ؛ أى مستتر ، وأصله من الظبى إذا دخل فى كناسه .

(٥) البيان : « حرام » .

(٦) البيان « صلح به أوله » .

(٧) البيان : « وشدة فى غير عنف » .

(٨) العقد : « الولى بالمولى » .

(٩) سعد وسعيد : ابنا ضبة بن أد ؛ خرجا فى طلب إبل لأبيهما ، فوجدها سعد فردها ؛ فكان ضبة إذا رأى سواداً تحت الليل قال : سعد أم سعيد !

(١٠) البيان والعقد : « بلقاء مشهورة » .

(١١) من البيان والتبيين .

(١٢) البيان : « من نقب منكم عليه » .

(١٣) البيان : « المقدار » .

(١٤) فى اللسان : « وفى الحديث . ما بال دعوى الجاهلية ! هى قولهم : يالفلان ، كانوا يدعون =

الجاهليّة ، فإنّى لا أجد أحداً ادعا بها إلا قطعت لسانه[1] . وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثْنا لكلّ ذنب عقوبة ، فمن غرّق قوماً غرّقناه ، ومن حرّق[2] على قوم حرّقناه ، ومن نقّب بيتاً نقبتُ عن قلبه ، ومن نبّش قبراً دفنتُه [فيه][3] حيًّا ؛ فكفّوا عنّى أيديكم وألسنتكم أكفُفْ يدى وأذاىَ ، لا يظهر[4] من أحد منكم خلافُ ما عليه عامّتكم إلاّ ضربتُ عنقه . ٧٥/٢

وقد كانت بينى وبين أقوام إحَن ، فجعلتُ ذلك دبْرَ أذُنى وتحتَ قدمى ، فمن كان منكم محسناً فليزدَدْ إحساناً ، ومن كان مسيئاً فلينزِع عن إساءته . إنى لو علمت أنّ أحدكم قد قتله السُّلّ من بغضى لم أكشِف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يُبدىَ لى صفحته ، فإذا فعل لم أناظرْه ؛ فاستأنِفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم ، فربّ مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ، ومسرور بقدومنا سيَبْتئس[5] .

أيّها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة ، نسوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود[6] عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببْنا ، ولكم علينا العدلُ فيما وُلّينا ، فاستوجبوا عدلَنا وفيئنا بمناصَحتكم . واعلَموا أنى مهما قصّرت عنه فإنى لا أقصّر عن ثلاث : لستُ محتجباً عن طالبِ حاجة منكم ولو أتانى طارقاً بليل ؛ ولا حابساً رِزْقاً ولا عطاءً عن إبّانه ، ولا مجمّراً[7] لكم بعْثاً . فادعوا الله بالصّلاح لأئمّتكم ، فإنهم ساستُكم المؤدِّبون لكم ، وكهفُكم الذى إليه تأوون ، ومتى تَصلحوا يصلحوا . ولا تُشرِبوا قلوبَكم بغضَهم ، فيشتدّ لذلك غيظُكم ، ويطولَ

= بعضهم بعضاً ؛ عند الأمر الحادث الشديد ؛ ومنه حديث زيد بن أرقم : فقال قوم : يا للأنصار ! وقال قوم : يا للمهاجرين ! فقال عليه السلام : دعوها فإنها منتنة » .

(١) البيان : « فإنى لا آخذ داعياً بها إلا قطعت لسانه » .

(٢) البيان : « ومن أحرق قوماً » .

(٣) من البيان والتبيين .

(٤) ف : « لا يظهرن » .

(٥) البيان : « سنسوءه » .

(٦) س : « ونذودكم بتقوى الله » .

(٧) تجمير الجند : أن يحبسهم فى أرض العدو ، وأن يمنعهم عن العودة إلى أهليهم .

له حُزنكم ، ولا تُدرِكوا حاجتَكم ، مع أنه لو استجيبَ لكم كان شرًّا لكم .
أسأل الله أن يعين كلاًّ على كلّ ، وإذا رأيتمونى أنفِذ فيكم الأمرَ فأنفِذوه على أذلاله[1] ، وايمُ الله إنّ لى فيكم لصرعَى كثيرة ، فليحذر كلّ امرئٍ منكم أن يكون من صَرْعاى .

٧٦/٢

قال : فقام عبد الله بن الأهتم[2] فقال : أشهد أيّها الأمير أنك قد أُوتيتَ الحكمةَ وفَصْلَ الخِطاب ، فقال : كذبتَ ، ذاك نبيّ الله داود عليه السلام .

قال الأحنف : قد قلتَ فأحسَنت أيّها الأمير ، والثناء بعد البلاء ، والحمدُ بعدَ العطاء ، وإنا لن نُثْنِيَ حتى نُبتلَى ؛ فقال زياد : صَدقت .

فقام أبو بلال مِرْداس بن أديَّة يَهمِس وهو يقول : أنبأ الله بغير ماقلت ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[3] ؛ فأوعَدَنا الله خيراً مما واعدت[4] يا زياد ، فقال زياد : إنا لا نَجِد إلى ما تريد أنتَ وأصحابُك سبيلاً حتى نخوضَ إليها الدماء[5] .

حدّثنى عمرُ ، قال : حدّثنا خلاّد بن يزيد ، قال : سمعتُ من يخبر عن الشعبيّ ، قال : ما سمعتُ متكلّماً قطّ تكلَّم فأحسن إلا أحببتُ أن يَسكُت[6] خوفاً أن يسيء إلاّ زياداً ، فإنه كان كلّما أكثر كان أجوَد كلاماً .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مسلمة ، قال : استعمل زيادٌ

---

(١) على أذلاله ، أى على طرق وجوهه ، واحده ذل ؛ بكسر الذال ؛ وهو ما مهد وذلل من الطريق .
(٢) نوادر القالى ١٨٥ : « صفوان بن الأهتم » .
(٣) سورة النجم : ٣٧ – ٣٩ .
(٤) س : « واعدتنا » .
(٥) فى البيان بعد الآيات : « وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالعاصى ، والمقبل بالمدبر ؛ فسمعه زياد ، فقال : إنا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً » .
(٦) س : « تخوفا من أن يسىء » .

على شُرْطته عبدَ الله بن حصن ، فأمهَل الناس حتى بلغ الخبرُ الكوفةَ ، وعاد إليه وصولُ الخبر إلى الكوفة ، وكان يؤخر العِشاء حتى يكون آخر مَن يصلى ثم يصلّى ؛ يأمر رجلاً فيقرأ سورةَ البقرة ومثلها ، يرتّل القرآن ، فإذا فرغ أمهل بقدر ما يَرَى أنّ إنسانًا يبلغ الخُرَيْبة ، ثم يأمر صاحبَ شُرطته بالخروج ، فيخرج ولا يرى إنسانًا إلا قتله . قال : فأخذ ليلةً أعرابيًّا ، فأتى به زيادًا فقال : هل سمعتَ النداء ؟ قال : لا والله ، قدمتُ بحَلوبة لى ، وغشَيَنى الليلُ ، فاضطررْتها إلى موضع ، فأقمتُ لأصبِح ، ولاعلمَ لى بما كان من الأمير . قال : أظنك واللهِ صادقًا ، ولكن فى قتلك صلاحُ هذه الأمّة ؛ ثم أمر به فضُربتْ عُنقُه .

٧٧/٢

وكان زياد أوّلَ من شدّ أمرَ السلطان ، وأكّد الملك لمعاوية ، وألزَم الناسَ الطاعة ، وتقدّم فى العقوبة ، وجرّد السيف ، وأخذ بالظِّنّة ، وعاقب على الشبهة ، وخافه الناسُ فى سُلطانه خوفًا شديداً ، حتى أمِن الناسُ بعضُهم بعضاً ، حتى كان الشىء يَسقُط من الرجل أو المرأة[١] فلا يَعرِض له أحد حتى يأتيَه صاحبه فيأخذه ، وتَبيت المرأة فلا تُغلِق عليها بابها ، وساس الناسَ سياسةً لم يُرَ مِثلُها ، وهابه الناس هَيْبةً لم يهابوها أحداً قبلَه ، وأدرّ العطاءَ ، وبنى مدينَة الرّزق[٢] .

قال : وسمع زياد جَرَساً من دارِ عُمَيْر ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : محترس[٣] . قال : فليكفّ عن هذا ، أنا[٤] ضامنٌ لما ذهب له ، ما أصاب من إصْطَخْر .

قال : وجعَل زياد الشُّرَطَ أربعةَ آلاف ، عليهم عبد الله بن حِصْن ، أحد بنى عُبيد بن ثعلبة صاحب مقبرة ابن حصن ، والجَعْد بن قيس النميرىّ[٥]

---

(١) س : « والمرأة » .

(٢) س : « الرق » ، وفى ياقوت : « الرزق ، بكسر الراء وسكون الزاى — كذا ذكره ابن الفرات فى تاريخ البصرة — مدينة الرزق ، إحدى مسالح العجم بالبصرة قبل أن يختطها المسلمون » .

(٣) ف : « يحترس » .

(٤) س : « وأنا » .

(٥) ط : « التيمى » ، وانظر الفهرس .

صاحب طاقِ الجَعْد ، وكانا جميعًا على شُرَطه ، فبينا زياد يومًا يسير وهما بين يديه يسيران بحَرْبتيْن ، تَنازَعا بين يديه ، فقال زياد : يا جَعد ، ألقِ الحربة ، فألقاها ، وثبت ابن حصن على شُرَطه حتّى مات زياد .

وقيل : إنه ولّى الجعْد أمرَ الفُسّاق ، وكان يتتبّعهم [1] ؛ وقيل [2] لزياد: إن السُّبُل مَخُوفة ؛ فقال: لا أعانى شيئًا سوى المِصْر [3] حتّى أغلب على المِصر وأُصلِحه ، فإنْ غلبَنى المِصر فغيره أشدّ غلبة ؛ فلما ضبط المِصْر تكلف ما سوى ذلك [4] فأحكَمَه . وكان يقول : لو ضاع حَبْلٌ بينى وبين خُراسانَ علمتُ مَن أخَذَه . ٧٨/٢

وكتب خمسمائة من مشيخة أهلِ البَصرة فى صحابته ، فرزقهم ما بين الثلثمائة إلى الخمسمائة ، فقال فيه حارثةُ بن بدر الغُدانىّ [5] :

ألا منْ مُبْلغٌ عنّى زِيادًا	فنعْم أخو الخليفة والأميرُ !
فأنتَ إمامُ مَعْدَلةٍ وقَصْدٍ	وحَزْمٍ حين تَحضُرك الأُمورُ
أخوكَ خليفةُ الله ابْنُ حَرْبٍ	وأنْتَ وزيرُهُ ، نِعْمَ الوزيرُ !
تُصيب على الهَوَى منه وتأْتى	مُحِبّك ما يُجِنُّ لنا الضّميرُ
بأمر الله مَنْصُورٌ مُعانٌ	إذا جارَ الرعِيــةُ لا تَجُورُ
يَدِرُّ على يَدَيْك لما أرادوا	من الدُّنيا لهم حَلَبٌ غزِيرُ
وتقسم بالسّواء فلا غَنِىٌّ	لضَيْمٍ يَشْتَكيكَ ولا فقيرُ
وكنتَ حيًا وجئتَ على زمانٍ	خَبيثٍ ، ظاهرٌ فيه شُرُورُ
تَقاسَمَتِ الرّجالُ بهواهــا	فما تُخْفِى ضَغائِنَها الصُّدُورُ

(١) س : « يتبعهم » .
(٢) س : « فقيل » .
(٣) س : « وراء هذا المصر » .
(٤) س : « وراء ذلك » .
(٥) س : « العبدىّ » .

وخافَ الحاضرون وكلّ بـادٍ يُقيمُ على المخافة أو يَسِيرُ
فلمّا قام سيْفُ الله فيهم زيادٌ قام أبْلَجُ مُسْتَنيرُ
قويٌّ لا مِنَ الحَدَثانِ غِرٌّ ولا جزِعٌ ولا فانٍ كبيرُ

٧٩/٢ حدّثني عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: استعان زيادٌ بعدّة من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم، منهم عِمران بن الحصين الخُزاعيّ ولّاه قضاءَ البصرة، والحكَم بن عمرو الغِفاريّ ولّاه خُراسان، وسَمُرة ابن جُندب، وأنَس بن مالك، وعبد الرحمن بن سَمُرة؛ فاستعفاه عِمران فأعفاه. واستقضى عبدَالله بن فضالة الليثيّ، ثم أخاه عاصمَ بن فَضالة، ثم زُرارة بن أوفَى الحرَشيّ، وكانت أختُه لُبابة عند زياد.

وقيل: إنّ زياداً أوّل مَن سير بين يَديه بالحراب، ومُشِيَ بين يديه بالعُمُد، واتّخذ الحرس رابطة خمسمائة، واستعمل عليهم شَيْبان صاحب مَقبُرة شيبان، من بني سعد، فكانوا لا يَبرَحون المسجد.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: جعل زيادٌ خُراسانَ أرباعًا، واستعمل على مَرْوَ أمَيْر بن أحمر اليشكريّ، وعلى أبْرَشهر خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ، وعلى مَرْوَ الرُّوذ والفارياب والطالَقان قيسَ بن الهيثم، وعلى هَراةَ وباذغيس وقادس وبوشَنْج نافع بن خالد الطاحيّ.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ، قال: حدّثنا مسلمة بن محارب وابن أبي عمرو؛ شيخ من الأزْد، أنّ زياداً عَتَب على نافع بن خالد الطاحيّ، فحبسه، وكتب عليه كتابًا بمائة ألف، وقال بعضهم: ثمانمائة ألف، وكان سبب مَوْجِدته عليه أنه بعث بِخُوان بازهر[1] قوائمه منه، فأخذ نافع قائمة، وجعل مكانها[2] قائمة من ذهب، وبعث بالخُوان إلى زياد مع غلام
٨٠/٢ له يقال له زيد، كان قيِّمَه على أمره كلّه، فسعى زيدٌ بنافع، وقال لزياد:

---

(١) ابن الأثير: «باذذهر» (٢) ط: «مكانه».

إنه قد خانك ، وأخذ قائمة من قوائم الخِوان ، وجعل مكانها[1] قائمة من ذهب ، قال : فمشى رجال من وجوه الأزد إلى زياد ، فيهم سَيْف بن وهب المَعْوَلىّ ، وكان شريفًا ، وله يقول الشاعر :

اعْمِدْ بسَيْفٍ للسماحة والنَّدَى واعْمِدْ بِصَبْرَةَ للفعال الأعظمِ

قال : فدخلوا على زياد وهو يَسْتَاك ، فتمثّل زيادٌ حين رآهم :

اذكر بنـا مَوْقِفَ أَفْراسِنا بالحِنْوِ إذ أنت إلينا فَقِيرْ

قال : وأمّا الأزد فيقولون : بل تمثّل سيفُ بن وهب أبو طلحة المَعْوَلىّ بهذا البيت حين دخل على زياد ، فقال : نعم . قال : وإنما ذكّره أيّام أجارَه صَبْرة ، فدعا زياد بالكتاب فمحاه بسِواكه وأخرج نافعًا .

حدّثني عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنا علىّ ، عن مَسلَمة ، أنّ زيادًا عزل نافعَ بن خالد الطاحيّ وخُلَيد بنَ عبد الله الحنفىّ وأمَيْر بن أحمر اليشكُرىّ ، فاستعمل الحكَم بن عمرو بن مجدّع[2] بن حِذْيَم بن الحارث بن نُعيلة بن مُليك — ونُعيلة أخو غِفار بن مُليك — ولكنهم قليل ، فصاروا إلى غِفار .

قال مسلمة[3] : أمَرَ زيادٌ حاجبَه فقال : ادعُ لى الحكَم — وهو يريد الحكم ابنَ أبى العاص الثّقَفىّ — فخرج الحاجبُ فرأى الحكَم بن عمرو الغِفارىّ فأدخلَه ، فقال : زيادٌ : رجل له شَرَف وله صحبةٌ[4] مِن رسول الله[5] صلى الله عليه وسلم ، فعَقَد له على خُراسان ، ثم قال له : ما أردْتُك ، ولكنّ الله عزّ وجلّ أرادَك . ٨١/٢

حدّثني عمر قال : حدّثنا علىّ قال : أخبرَنا أبو عبد الرحمن الثّقَفىّ ومحمد بن الفضل[6] ، عن أبيه ؛ أنّ زيادًا لمّا ولى العراقَ استعمل الحكَم بنَ

(١) ط : « مكانه » .
(٢) س : « محدج » ، ف : « مخدوج » .
(٣) ف : « سلمة » .
(٤) ف : « وصحبة » .
(٥) س : « برسول الله » .
(٦) ط : « الفضيل » ، وانظر الفهرس .

عَمرو الغِفاريّ على خُراسان ، وجعل معه رجالا على كُوَرٍ ، وأمرَهم بطاعته ، فكانوا على جِباية الخَراج ، وهم أسلم بن زُرعة ، وخُلَيد بن عبد الله الحنفيّ ، ونافع بنُ خالد الطاحيّ ، وربيعةُ بن عَسَل اليربوعيّ ، وأميرُ بن أحمَر اليشكريّ ، وحاتمُ بن النعمان الباهليّ ؛ فمات الحكَم بن عمرو ، وكان قد غزا طُخارِسْتان ، فغَنم غنائمَ كثيرة ، واستَخلف أنسَ بنَ أبى أناس بن زُنَيم ، وكان كَتَب إلى زياد : إنى قد رضيتُه لله وللمسلمين ولك ، فقال زياد : اللهمّ إنّى لا أرضاه لدِينك ولا للمسلمين ولا لِي . وكتب زيادٌ إلى خُلَيد بن عبدِ الله الحنفيّ بوِلاية خُراسان ، ثم بعث الربيعَ بنَ زياد الحارثيّ إلى خُراسان فى خمسين ألفًا ؛ من البَصرة خمسة وعشرين ألفًا ، ومن الكوفة خمسةً وعشرين ألفًا ، على أهلِ البَصرة الربيع ، وعلى أهل الكُوفة عبدُ الله ابن أبى عَقِيل ، وعلى الجماعة الرَّبيع بن زِياد .

* * *

وقيل : حجّ بالناس فى هذه السنة مَرْوانُ بن الحكَم وهو على المدينة ، وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار فى هذه السنة من تقدم ذكره قبل ؛ المُغيرة ابن شُعْبة على الكُوفة ، وشُريح على القضاء[1] بها ، وزياد على البَصرة ، والعُمّال من قد سميّتُ قبلُ .

* * *

وفى هذه السنة كان مَشتَى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بأرضِ الرُّوم .

---

(١) س : « قضائها » .

ثم دخلت سنة ست وأربعين

٨٢/٢

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشْتَى مالك بن عبدالله[1] بأرضِ الرّوم، وقيل : بل كان ذلك عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وقيل بل كان مالك بن هُبيرة السّكونيّ .

* * *

[خبر انصراف عبد الرحمن بن خالد إلى حمص وهلاكه]

وفيها انصرف عبدُ الرحمن بن خالد بنِ الوليد من بلاد الرُّوم إلى حِمْص ، فدَسّ ابن أثال النّصرانيّ إليه شَرْبةً مسمومةً — فيما قيل — فشرِبها فقتَلَتْه .

ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

وكان السبب فى ذلك ما حدّثنى عمر ، قال: حدثنى علىّ ، عن مسلمة ابن محارب ؛ أنّ عبدَالرحمن بن خالد بن الوليد كان قد عَظُم شأنُه بالشأم ، ومالَ إليه أهلُها ، لما كان عندَهم من آثار أبيه خالد بنِ الوليد ، ولغَنائه عن المسلمين فى أرض الرُّوم وبأسِه ، حتى خافه معاويةُ ، وخشىَ على نفسه منه ، لميل الناس إليه ، فأمر ابن أثال أن يحتالَ فى قتله ، وضَمِن له إنْ هو فعل ذلك أن يضع عنه خَراجَه ما عاش ، وأن يولّيَه جِبايةَ خَراج حِمْصَ ، فلمّا قدم عبد الرحمن بن خالد حِمْصَ منصرفًا من بلاد الروم دَسّ إليه ابن أثال شربةً مسمومةً مع بعض مماليكه ، فشَرِبها فمات بحِمْص ، فوفّى له معاويةُ بما ضَمِن له ، وولّاه خراجَ حِمْص ، ووضع عنه خراجَه .

قال : وقَدِم خالد بنُ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المدينةَ ، فجلس يومًا إلى عُرْوة بن الزُّبير ، فسلّم عليه ، فقال له عُروة : مَن أنت؟ قال : أنا خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ؛ فقال له عُرْوة : ما فعل ابن أثال؟ فقام خالد من عنده ، وشخص متوجِّهًا إلى حمصَ ، ثم رَصَد بها

٨٣/٢

(١) ط : «عبيد الله» ، وانظر الفهرس .

ابنَ أثال ، فرآه يومًا راكبًا ، فاعترض له خالدُ بن عبد الرحمن ، فضرَبه بالسيف ، فقتَله ، فرفِع إلى معاوية ، فحبسه أيامًا ، وأغرَمَه دِيتَه ، ولم يقِدْه منه . ورجع خالدٌ إلى المدينة ، فلمّا رجع إليها أتَى عروةَ فسلم عليه ، فقال له عُرْوة : ما فعل ابن أثال ؟ فقال : قد كفيتُك ابنَ أثال ، ولكن ما فعَل ابن جُرْموز ؟ فسكت عروةُ . وقال خالدُ بن عبد الرحمن حين ضرب ابن أثال :

أنا ابنُ سيْفِ الله فاعْرِفُونِى لم يبْقَ إلا حَسَبِى ودينى

* وصارِمٌ صَلّ به يَمينِى *

* * *

[ذكر خروج سهم والخُطيم]

وفيها خرج الخَطيم وسهم بن غالبٍ الهُجَيمىّ ، فحكّما ، وكان من أمرهما ما حدّثنى به عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : لمّا وُلّىَ زياد خافه سهم ابنُ غالب الهُجيمىّ والخَطيم — وهو يزيد بن مالك الباهلىّ — فأما سهم فخرج إلى الأهواز فأحدَث وحكّم ، ثم رَجَع فاختفى وطلب الأمانَ ، فلم يؤمّنه زياد ، وطلبه حتى أخذه وقتَله وصلبه على بابه . وأما الخَطيم فإنّ زيادًا سيّره إلى البحرين ، ثم أذِن له فقدِم ، فقال له : الزَم مِصرَك ؛ وقال لمسلم ابن عمرو : اضمنْه ؛ فأبَى وقال : إن بات عن بيته أعلمتُك . ثم أتاه مسلم فقال : لم يبت الخَطيم الليلةَ فى بيته ، فأمر به فقُتل ، وألقِى فى باهلة . ٨٤/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عُتبةُ بن أبى سُفْيان . وكان العمّال والوُلاة فيها العمّالَ والوُلاةَ فى السنة التى قبلها .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

ففيها كان مَشتَى مالك بن هُبيرة بأرض الرّوم ، ومشتَى أبي عبد الرحمن القينيّ بأنطاكيَة .

* * *

[ذكر عزل عبد الله بن عمرو عن مصر وولاية ابن حُدَيج]

وفيها عُزِل عبدُالله بنُ عمرِو بنِ العاص عن مصر ، وَوَلِيَها معاويةُ ابن حُدَيج[1] ، وسار — فيما ذكر الواقديّ — في المغرب ، وكان عثمانيًّا . قال : ومرّ به عبد الرحمن بن أبي بكر وقد جاء من الإسكَندرِيّة ، فقال له : يا معاوية ، قد لَعَمرى أخذتَ من معاوية جزاءَك ، قتلت محمد بن أبي بكر لأنْ تليَ مصرَ ، فقد وليتَها . قال : ما قتلتُ محمد بنَ أبي بكر إلا بما صنع بعُثمان ؛ فقال عبد الرحمن : فلو كنتَ إنما تَطلب بدم عثمان لم تشرك معاوية فيما صنع حيث صَنَع عَمرو بن العاص بالأشعريّ ما صَنع ، فوثبتَ أوّلَ الناس فبايعتَه .

* * *

[ذكر غزو الغَوْر]

وقال بعضُ أهلِ السيَر : وفي هذه السنة وجّه زياد الحكَم بن عمرو الغِفاريّ إلى خُراسان أميرًا ، فغزا جبالَ الغَور وفراونده ، فقهرهم بالسيف عَنْوةً ففتحها ، وأصاب فيها مغانمَ[2] كثيرة وسبايا ؛ وسأذكر من خالَف هذا القولَ بعدُ إنْ شاء الله تعالى .

وذَكَر قائل هذا القول أن الحكَم بن عمرو قَفَل مِن غَزْوته هذه ، ٢/٨٥

(١) ضبطه ابن الأثير « بضم الحاء المهملة وفتح الدال المهملة وبالجيم » .

(٢) ف : « غنائم » .

فمات بمَرْوَ .

واختلفوا فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال الواقدىّ : أقام الحجّ فى هذه السنة عُتبةُ بن أبى سُفْيان . وقال غيره : بل الذى حجّ فى هذه السنة عَنْبسة بن أبى سُفْيان .

وكانت الوُلاة والعُمّال على الأمصار الذين ذكرت أنهم كانوا العمّال والولاةَ فى السنة التى قبلها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم دخلت سنة ثمان وأربعين

ذكر الأحداث التي كانت فيها

وكان فيها مَشْتَى أبي عبد الرحمن القَيْنى أنطاكية ، وصائفة عبد الله ابن قيس الفزاريّ وغزوة[1] مالك بن هُبيرة السَّكونيّ البحر[2] ، وغزوة[1] عُقبة بن عامر الجهنيّ بأهل مصرَ البحر[2] ، وبأهل المدينة ، وعلى أهل المدينة المنذرُ بنُ الزّهير ، وعلى جميعهم خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

وقال بعضهم : فيها وجّه زيادٌ غالبَ بن فَضالة الليثيّ على خُراسان ، وكانت له صحبةٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحجّ بالناس في هذه السنة مَرْوانُ بن الحكَم في قول عامة أهل السِّيَر ، وهو يتوقع العزلَ لمَوْجِدة كانت من معاويةَ عليه ، وارتجاعه منه فَدَك ، وقد كان وهبَها له .

وكانت وُلاة الأمصار وعمّالُها في هذه السنة الذين كانوا في السنة التي قبلَها .

---

(١) س : « وغزاة » .

(٢) س : « اليمن » .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين

[ذكر ما كان فيها من الأحداث]

فكان فيها مَشتَى مالك بن هُبيرة السَّكونىّ بأرض الروم .

وفيها كانت غَزوةُ فَضالة بن عبيد جَربّة ، وشتا بجَربّة ، وفتِحتْ على يديه ، وأصاب فيها سبْيًا كثيراً .

وفيها كانت صائفةُ عبدِ الله بن كُرْز البَجَلىّ .

وفيها كانت غزوة يزيد بن شَجَرة الرّهاوىّ فى البحر ، فَشتَا بأهل الشأم .

وفيها كانت غزوةُ عقبةَ بن نافع البحر ، فشتا بأهلِ مصرَ .

وفيها كانت غَزوةُ يزيدَ بن معاوية الرّوم حتى بلغ قُسْطَنطينيّة ، ومعه ابن عباس وابن عمروابن الزّبير وأبو أيوبَ الأنصارىّ .

وفيها عَزَل معاويةُ مروانَ بن الحكَم عن المدينة فى شهر ربيع الأوّل .

وأمَّرَ فيها سعيدَ بن العاص على المدينة فى شهر ربيع الآخر ؛ وقيل فى شهر ربيع الأوّل .

وكانت ولايةُ مروانَ كلّها بالمدينة لمعاويةَ ثمان سنينَ وشهرين .

وكان على قضاء المدينة لمرْوان — فيما زعم الواقدىّ — حين عُزِل عبد الله بن الحارث بن نوفل ، فلما ولى سعيد بن العاص عزَلَه عن القضاء ، واستَقضى أبا سلَمة بن عبد الرّحمن بن عوف .

وقيل : فى هذه السنة وقع الطاعون بالكُوفة ، فهرب المغيرةُ بن شُعبة من الطاعون ، فلما ارتفع الطاعون قيل له : لو رجعتَ إلى الكُوفة ! فقَدِمها فطُعِن فمات ؛ وقد قيل : مات المغيرة سنة خمسين ، وضمّ معاويةُ الكوفَة إلى زياد ، فكان أوّل من جمِع له الكُوفة والبَصرة .

* * *

٢/٨٧

وحجّ بالناس فى هذه السنة سعيدُ بن العاص .

وكانت الوُلاة والعُمّال فى هذه السنة الذين كانوا فى السنة التى قبلها ، إلاّ عامل الكُوفة فإنّ فى تاريخ هلاك المُغيرة اختلافًا ، فقال : بعض أهلِ السِّير : كان هلاكُه فى سنة تسع وأربعين ؛ وقال بعضهم : فى سنة خمسين.

ثم دخلت سنة خمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة بُسر بن أبى أرطاةَ وسُفْيان بن عوف الأزدىّ أرضَ الرُّوم .

وقيل : كانت فيها غَزْوة فَضالَة بن عبيد الأنصارىّ البحرَ .

* * *

[ذكر وفاة المغيرة بن شعبة وولاية زياد الكوفة]

وفيها — فى قول الواقدىّ والمدائنىّ — كانت وفاةُ المُغيرة بن شعْبة . قال محمد بن عمر : حدّثنى محمد بن أبى موسى الثقفىّ ، عن أبيه ، قال : كان المغيرة بنُ شُعبةَ رجلاً طُوالاً ، مصابَ العَين ، أصيب باليَرْمُوك ، توفِّىَ فى شعبان سنة خمسين وهو ابن سبعين سنة .

وأما عَوانة فإنه قال — فيما حدّثت عن هشام بن محمد ، عنه : هَلَكَ المغيرةُ سنة إحدى وخمسين .

وقال بعضهم : بل هلك سنة تسع وأربعين .

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : كان زيادٌ على البَصرة وأعمالِها إلى سنة خمسين ، فمات المغيرة بنُ شعبةَ بالكُوفة وهو أميرُها ، فكتب معاويةُ إلى زياد بعَهْده على الكُوفة والبَصْرة ، فكان أوّل من جمع له الكُوفة والبَصْرة ، فاستخلف على البصرة سَمُرة بن جُنْدَب ، وشَخَصَ إلى الكُوفة ، فكان زياد يقيم ستة أشهر بالكُوفة ، وستة أشهُر بالبَصْرة .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، عن مسلمة بن محارب ، قال : لما مات المغيرة جُمِعت العراقُ لزياد ، فأتى الكوفةَ فصَعِد المنبرَ ، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ، ثم قال : إن هذا الأمرَ أتانى وأنا بالبَصْرة ، فأردت أن أشخص ٨٨/٢

إليكم[١] فى ألفين من شُرْطة البَصْرة ، ثمّ ذكرتُ أنكم أهلُ حقّ ، وأنّ حقّكم طالما دفَع الباطل، فأتيتُكم فى أهل بيتى ، فالحمد لله الذى رَفَع منى ما وَضَع الناس، وحَفِظ منى ما ضيّعوا ... حتى فرَغ من الخطبة ، فحُصِب على المنبر ، فجلس حتى أمسكُوا ، ثم دعا قومًا من خاصّته ، وأمرَهم[٢] ، فأخذوا أبوابَ المسجد ، ثم قال : ليأخذْ كلّ رجل منكم جليسَه ، ولا يقولنّ : لا أدْرِى مَن جليسى ؟ ثم أمر بكرسىّ فوضع له على باب المسجد ، فدعاهم أربعةً أربعةً يحلفون بالله ما مِنّا مَنْ حَصَبك، فمن حَلَف خلاّه ، ومن لم يَحلِف حبَسه وعزَله ، حتى صار إلى ثلاثين ، ويقال : بل كانوا ثمانين ، فقطَع أيديَهم على المكان .

قال الشعبىّ : فوالله ما تعلّقنا عليه بكذْبة ، وما وعدنا خيراً ولا شرًّا إلا أنفذَه .

حدّثنى عمر قال : حدّثنا علىّ ، عن سلمة بن عثمان ، قال : بلغنى عن الشعبىّ أنه قال: أوّل رجل قتَلَه زيادٌ بالكوفة أوفَى بن حصن، بلغه عنه شىء فطلبه فهرب ، فعرض الناسَ زياد ، فمرّ به، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : أوفَى بن حصن الطائىّ ؛ فقال زياد : أتتك بحائن رِجْلاه[٣] ، فقال أوْفَى :

إنَّ زيادًا أَبا المغـيرة لا ... يَعجَلُ والناسُ فيهِمُ عَجَلَهْ

خِفتُكَ والله فاعْلَمَنْ حَلِفِى ... خَوفَ الحَفافِيثِ صَولَةَ الأَصَلهْ[٤] ٢/٨٩

فجِئتُ إذْ ضاقَتِ البلاد فَلم ... يكنْ عليها لخائِفٍ وَأْلَهْ[٥]

قال : ما رأيُك فى عثمان ؟ قال ختَن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ابنتَيه ، ولم أنكِره ، ولى محصولُ رأى ، قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال :

(١) س : « أن آتيكم » .

(٢) س : « فأمرهم » .

(٣) مثل ؛ وأوّل من قاله الحارث بن جبلة الغسانى قاله للحارث بن عيف العبدى ؛ وقيل أول من قاله عبيد بن الأبرص . وانظر الميدانى ١ : ١٤ .

(٤) الحفافيث : جمع حفاث ؛ وهو حية ضخم عظيم الرأس أرقش أحمر ، والأصلة جنس من الحيات هو أخبثها .

(٥) الوألة بسكون الهمز وخففها للشعر : الملجأ .

جَوَاد حليم ؛ قال : فما تقول فيّ ؟ قال : بلغني أنك قلتَ بالبَصرة : والله لآخذنّ البريء بالسقيم ، والمقبلَ بالمدبر ؛ قال : قد قلتُ ذاك ، قال : خبطتَها عَشْواء[1] ؛ قال زياد : ليس النفاخ بشَرّ الزّمَرة ، فقتَلَه ؛ فقال عبد الله بن همّام السَّلوليّ :

خَيَّبَ اللهُ سَعْيَ أوفَى بنِ حِصنٍ ... حين أضْحَى فَرُّوجَةَ الرَّقّاءِ

قادَهُ الحَيْنُ والشقاءُ إلى لَيْـ ... ـثٍ عَرِينٍ وحَيَّـةٍ صَمّاءِ

قال : ولما قدم زياد الكوفةَ أتاه عُمَارة بن عُقبة بن أبي مُعَيط ، فقال : إنّ عمرو بن الحَمِق يجتمع إليه من شيعة أبي تُراب ، فقال له عمرو بن حُرَيث : ما يدعوك إلى رفع ما لا تيقّنُه ولا تدرى ما عاقبتُه ! فقال زياد : كلا كما لم يُصِب ، أنت حيث تكلمني فى هذا علانيةً وعمرو حينَ يردّك عن كلامك ، قُومَا إلى عَمرو بنِ الحَمِق فقولا له : ما هذه الزّرافات التى تجتمع عندك ! مَن أرادك أو أردتَ كلامَه[2] ففى المسجد .

قال : ويقال : إنّ الذى رفع على عمرو بن الحَمِق وقال له : قد أنْغَل[3] المِصرَيْن ، يزيد بن رُوَيْم ، فقال عمرو بن الحريث : ما كان قطّ أقبل على ما يَنفَعه منه اليوم ؛ فقال زياد ليزيدَ بن رُوَيم : أما أنت فقد أشطْت[4] بدَمه ، وأما عمرو فقد حقَن دمه ، ولو علمت أن مخّ ساقه قد سال من بغضى ما هِجْته حتى يخرج علىّ .

واتخذ زيادٌ المقصورةَ حين حَصَبه[5] أهلُ الكوفة . ٢/٩٠

وولّى زياد حين شَخَص من البصرة إلى الكُوفة سَمُرة بن جُنْدب . فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنى إسحاق بن إدريس ، قال : حدّثنى محمد ابن سليم قال : سألت أنسَ بن سيرينَ : هل كان سَمُرة قَتَل أحداً ؟ قال :

---

(١) فى ابن الأثير : « خبطتها خبط عشواء » .

(٢) س : « وأراد كلامك » .

(٣) أنغل المصرين ، أى أفسدهم .

(٤) أشطت بدمه ، أى أهلكته .

(٥) س : « خصم » .

وهل يُحصَى مَن قَتَل سَمُرة بن جندب ! استخلفَه زيادٌ على البصرة ، وأتى[1] الكوفة ، فجاء وقد قتل ثمانيةَ آلافٍ من الناس ، فقال له : هل تخاف أن تكون قد قتلتَ أحداً بريئاً ؟ قال : لو قتلتُ إليهم مثلهم ما خشيتُ - أو كما قال .

حدّثني عمر ، قال : حدّثني موسى بن إسماعيل ، قال : حدّثنا نوح بن قيس ، عن أشعث الحُدّانيّ ، عن أبي سوّار العدويّ ، قال : قتل سَمُرة من قومي في غَداةٍ سبعة وأربعين رجلاً قد جَمَع القرآن .

* * *

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ بن محمد ، عن جعفر الصّدَفيّ ، عن عوف ، قال : أقبل سَمُرة من المدينة ، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقّتهم ، ففجأ أوائلَ الخيل ، فحمل عليه رجلٌ من القوم فأوْجَرَه الحرْبةَ . قال : ثم مضت الخيل ، فأتى عليه[2] سَمُرة بن جندب ، وهو متشحّط في دمه ، فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابتْه أوائلُ خيل الأمير ؛ قال : إذا سمعتم بنا قد ركبْنا فاتّقوا أسنّتنا .

* * *

[خروج قريب وزحّاف]

حدّثني عمر قال : حدّثني زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جَرير ، قال : حدّثنا غسّان بن مضرَ ، عن سعيد بن زيد ، قال : خرج قَريب وزحّاف ، وزياد بالكُوفة ، وسَمُرة بالبصرة ، فخرجا[3] ليلا ، فنزلا[4] بني يَشكر ، وهم سبعون رجلا ، وذلك في رمضان ، فأتوا بني ضُبَيعة وهم سبعون رجلاً ، فمرّوا بشيخ منهم يقال له حكّاك ، فقال حين رآهم : مرحباً بأبي الشّعْثاء ! فرآه ابن حُصين[5] فقَتَلوه ، وتفرّقوا في مساجد الأزْد ، وأتت فرقةٌ ٩١/٢

---

(١) ف : « فأتى » . (٢) س : « فأتى على » . (٣) ط : « فخرجنا » .
(٤) ط : « فنزلنا » . (٥) ط : « حصن » ؛ وانظر الفهرس .

منهم رَحْبَةَ بنى علىّ ، وفرقة مسجدَ المعادل ، فخرج عليهم سيفُ بن وَهْب فى أصحاب له ، فقَتَل مَنْ أتاه ، وخرج على قَريب وزحّاف شَبَابٌ من بنى علىّ وشبابٌ من بنى راسب ، فرمَوْهم بالنَّبل . قال قَريب : هل فى القوم عبدُالله بنُ أوس الطاحىّ ؟ وكان يناضله ؛ قيل : نعم ؛ قال : فهلمّ إلى البراز ؛ فقتله عبدُالله وجاء برأسه ، وأقبل زيادٌ من الكوفة فجعل يؤنّبه ، ثم قال : يا معشر طاحيةَ ، لولا أنكم أصبتم فى القوم لنفيتُكم إلى السجن . قال : وكان قَريب من إياد ، وزحّاف من طَيّئ ، وكانا ابنَىْ خالة ، وكانا أوّلَ من خرج بعد أهل النَّهر .

قال غسّان : سمعت سعيداً يقول : إنّ أبا بلال قال : قريب لاقرّبه الله ، وايمُ الله لأن أقع من السماء أحبّ إلىّ من أن أصنع ما صنع — يعنى الاستعراض .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا زهير ، قال : حدّثنى وهب ، قال : حدّثنى أبى أن زياداً اشتدّ فى أمر الحروريّة بعد قَريب وزحّاف ، فقتلهم وأمر سَمُرة بذلك ، وكان يستخلفه على البَصرة إذا خرج إلى الكوفة ، فقتل سَمُرة منهم بشَراً كثيراً .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا أبو عبيدة ، قال : قال زياد يومئذ على المِنبر : يا أهل البصرة ، والله لتَكفُنِّى هؤلاء أو لأبْدأنّ بكم ، والله لئن أفلتَ منهم رجلٌ لا تأخذون العامَ من عطائكم درهمًا ، قال : فثار الناسُ بهم فقتلوهم .

* * *

[ذكر إرادة معاوية نقل المنبر من المدينة]

٢/٩٢ قال محمد بن عمر : وفى هذه السنة[١] أمر معاوية بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] ، أن يُحمَل إلى الشأم ، فحُرّك ، فكُسِفت الشمس حتى رُئيت النجوم باديةً يومئذ ، فأعظم الناس ذلك ، فقال : لم أرِدْ حملَه ، إنما خفت أن يكون قد أرِضَ[٢] ، فنظرت إليه . ثم كساه يومئذ .

(١ – ١) س : « أراد معاوية قلع منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم » .
(٢) يقال : أرضت الخشبة ، فهى مأروضة ، إذا وقعت فيها الأرضة وأكلتها . والأرضة : دودة بيضاء شبه النملة تظهر فى أيام الربيع .

وذكر محمد بن عمرَ، أنه حدّثه بذلك خالد بن القاسم، عن شعيب بن عمرو الأمويّ.

قال محمد بن عمر: حدّثني يحيى بن سعيد[1] بن دينار، عن أبيه، قال: قال معاوية: إني رأيتُ أنّ منبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصاه لا يُترَكان بالمدينة، وهم قَتَلة أميرِ المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلمّا قدم طلب العصا وهي عند سعد القَرَظ، فجاءه أبو هريرة وجابرُ بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين؛ نذكّرك اللهَ عزّ وجلّ أن تفعلَ هذا، فإنّ هذا لا يصلح، تُخرِج منبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من موضع وضعه، وتُخرِج عصاه إلى الشأم؛ فانقل المسجد؛ فأقصر وزاد فيه ستّ درجات، فهو اليوم ثماني درجات، واعتذر إلى الناس مما صنع.

قال محمد بن عمر: وحدّثني سُويد بن عبد العزيز، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فَرْوة، عن أبان بن صالح، عن قَبيصة بن ذُؤَيب، قال: كان عبد الملك قد همّ بالمنبر، فقال له قَبيصة بن ذؤيب: أذكّرك اللهَ عزّ وجلّ أن تفعل هذا، وأن تحوّله! إنّ أمير المؤمنين معاوية حرّكه فكُسفت الشمس، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على منبري آثمًا فليتبوّأ مَقعَده من النار»، فتخرجه من المدينة وهو مقطّع الحقوق بينهم بالمدينة! فأقصَر عبدُ الملك عن ذلك، وكفّ عن أن يذكره. فلما كان الوليد وحجّ همّ بذلك وقال: خبّراني عنه، وما أراني إلا سأفعل: فأرسل سعيد بن المسيّب إلى عمرَ بن عبد العزيز، فقال: كلّم صاحبَك يتّق الله عزّ وجلّ ولا يتعرّض لله سبحانه ولسُخْطه، فكلّمه عمر بن عبد العزيز، فأقصَر وكفّ عن ذِكره، فلّما حجّ سليمان بن عبد الملك أخبَرَه عمر بن عبد العزيز بما كان الوليد همّ به وإرسال سعيد بن المسيّب إليه، فقال سليمان: ما كنت أحبّ أن يذكر هذا عن أمير المؤمنين عبد الملك ولا عن الوليد، هذا مكابَرة، وما لَنا ولهذا! أخذنا الدنيا فهي في أيدينا، ونريد أن نَعمد إلى عَلَم من أعلام الإسلام يوفَد ٢/٩٣

---

(١) ابن كثير: «محمد بن سعيد».

إليه ، فنحمله إلى ما قِبَلنا ! هذا ما لا يَصلُح .

* * *

وفيها عُزِلَ معاوية بن حُدَيْج عن مصرَ ووُلِّيَ مسلمة بن مخلَّد مصر وإفريقيَة ، وكان معاويةُ بن أبى سُفيان قد بعث قبل أن يولّى مسلمة مصر وإفريقيَة عُقْبةَ بن نافع الفِهرىّ إلى إفريقيَة ، فافتتحها ، واختطّ قَيْروانَها ، وكان موضعُه غَيْضةً — فيما زعم محمد بن عمر — لا تُرام من السباع والحيّات وغير ذلك من الدّوابّ . فدعا الله عزّ وجلّ عليها فلم يَبْقَ منها شىء إلا خرج هاربًا ، حتى إنّ السباع كانت تَحمِل أولادها .

قال محمد بن عمر : حدّثنى موسى بن على ، عن أبيه ، قال : نادى عُقبة بن نافع :

* إنّا نازلونا فاظْعَنوا عِزينا *

فخرجن من جِحَرتهنّ هوارب .

قال : وحدّثنى المفضّل بن فَضالة ، عن زيد بن أبى حبيب ، عن رجل من جند مصر ، قال : قَدِمنا مع عُقْبة بن نافع ، وهو أوّل الناس اختطّها وأقطعها للناس مساكن ودوراً ، وبنى مسجدها . فأقمْنا معه حتى عُزِل ، وهو خير والٍ وخير أمير . ٢/٩٤

ثم عَزَل معاويةُ فى هذه السنة — أعنى سنة خمسين — معاويةَ بن حُدَيج عن مصر ، وعُقْبة بن نافع عن إفريقيَة ، وولّى مسلَمة بن مخلّد مصر والمغرب كلّه ، فهو أوّل من جُمِع له المغرب كله ومصر وبَرْقة وإفريقيَة وطرابلُس ، فولّى مسلمة بن مخلّد مولًى له يقال له : أبو المهاجِر أفريقيَة ، وعزل عُقبة ابن نافع ، وكشَفَه عن أشياءَ ، فلم يزل واليًا على مصر والمغرب ، وأبو المهاجر على إفريقيَة مِن قِبَله حتى هلك معاوية بنُ أبى سُفْيان .

* * *

وفى هذه السنة مات أبو موسى الأشعرىّ ، وقد قيل : كانت وفاة أبى موسى سنة اثنتين وخمسين .

واختُلِف فيمن حجّ بالناس فى هذه السنة ، فقال بعضهم : حجّ بهم معاوية ، وقال بعضهم : بل حجّ بهم ابنه يزيد ، وكان الوالى فى هذه السنة

على المدينة سعيد بن العاص ، وعلى البَصْرة والكوفة والمشرق وسِجِسْتان وفارس والسِّند والهند زياد .

* * *

[ذكر هرب الفرزدق من زياد]

وفى هذه السنة طَلَب زيادٌ الفرزدقَ ، واستَعْدت عليه بنو نَهْشل وفُقَيم ، فهرب منه إلى سعيد بن العاص — وهو يومئذ والى المدينة من قِبَل معاوية — مستجيراً به ، فأجاره .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثنى عمرُ بن شبّة ، قال : حدّثنا أبو عبيدة وأبو الحسن المدائنىّ وغيرهما ، أنّ الفرزدق لما هجا بنى نهشل وبنى فُقَيم . لم يزد أبو زيد فى إسناد خبره على ما ذكرت ؛ وأما محمد بن علىّ فإنه حدّثنى عن محمد بن سعد[1] ، عن أبى عبيدة ، قال : حدّثنى أعيَن بن لبَطَة بن الفرزدق ، قال : حدّثنى أبى عن أبيه ، قال : لما هاجَيْتُ الأشهبَ بنَ رُمَيْلة والبَعيث فسَقَطا ، استعدَتْ علىّ بنو نَهْشل وبنو فُقَيم زيادَ بن أبى سُفيان . وزعم غيرُه أنّ يزيد بن مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سلمى بن جندل بن نهشل استعدى أيضًا عليه . فقال أعين : فلم يعرفه زياد حتى قيل له : الغلام الأعرابىّ الذى أنهبَ ورقه وألقى ثيابه ؛ فعرفه . ٢/٩٥

قال أبو عبيدة : أخبرَنى أعين بن لَبَطة ، قال : أخبرَنى أبى ، عن أبيه ، قال : بعثنى أبى غالبٌ فى عِير له وجَلَب أبيعُه وأمتار له وأشترى لأهله كُسًا ، فقدمتُ البصرة ، فبعتُ الجَلَب ، فأخذتُ ثمنَه فجعلتهُ فى ثوبى أزاوله ، إذ عَرَض لى رجل أراه كأنه شيطان ، فقال : لَشَدّ ما تستوثق منها ! فقلت : وما يمنعنى ! قال : أما لو كان مكانَك رجل أعرفه ما صبر عليها ؛ فقلت : ومَن هو ؟ قال : غالب بن صَعْصعة ؛ قال : فدعوتُ أهل المِرْبد

(١) ف : « سعدان » .

فقلت: دُونَكموها – ونثرتُها عليهم – فقال لى قائل: ألقِ رداءك يابن غالب، فألقيتُه. وقال آخر: ألقِ قميصَك؛ فألقيتُه، وقال آخر: ألقِ عمامتك فألقيتُها حتى بقيتُ فى إزارٍ، فقالوا: ألقِ إزارَك، فقلت: لن ألقيَه وأمشى مجرّداً، إنّى لست بمجنون. فبلغ الخبرُ زياداً، فأرسل خيلا إلى المِرْبد ليأتوه بى، فجاء رجل من بنى الهُجَيم على فرس؛ قال: أتيتَ فالنّجاء! وأرْدَفنى خلفَه، وركَض حتى تغيّب، وجاءت الخيلُ وقد سبقت، فأخذ زياد عمّين لى: ذهيلا[1] والزحّاف ابنى صعصعة – وكانا فى الدّيوان على ألفين ألفين، وكانا معه – فحبسهما فأرسلتُ إليهما: إن شئتما أتيتُكما، فبعثا إلىّ: لاتَقرَبْنا، إنّه زياد! وما عسى أن يَصنَع بنا، ولم نُذنب ذنبًا! فكثنا[2] أيامًا. ثم كُلّم زياد فيهما، فقالوا: شيخان سامعان مطيعان، ليس لهما ذنب مما صنع غلام أعرابىّ من أهل البادية؛ فخلّى عنهما؛ فقالا لى: أخْبِرنا بجميع ما أمَرَك أبوك من مِيرةٍ أو كسوة؛ فخبّرتهما به أجمع، فاشتر ياه وانطلقتُ حتى لحقت بغالب، وحملتُ ذلك[3] معى أجمع، فأتيتُه وقد بلغه خبرى، فسألنى: كيف صنعتَ؟ فأخبرتُه بما كان؛ قال: وإنك لتُحسن مثلَ هذا! ومَسَح رأسى. ولم يكن يومئذ يقول الشّعر، وإنما قال الشعر بعد ذلك، فكانت[4] فى نفس زياد عليه.

٢/٩٦

ثمّ وَفد الأحنفُ بنُ قيس وجاريةُ بنُ قدامة، من بنى ربيعة بن كعب ابن سعد والجوْن بن قَتادة العَبْشَمىّ والُحتات بن يزيد أبو منازل، أحد بنى حُوىّ[5] بن سُفيان بن مجاشع إلى معاوية بن أبى سُفْيان، فأعطى كلّ رجل منهم مائة ألف، وأعطى الُحتات سبعين ألفًا، فلما كانوا فى الطريق سأل بعضهم بعضًا، فأخبروه بجوائزهم، فكان الُحتات أخذ سبعين ألفًا، فرجع إلى معاوية، فقال: ما ردّك يا أبا منازل؟ قال: فضَحْتَنى فى بنى تميم،

---

(١) ف: «زنبيلا».
(٢) س: «فكثنا».
(٣) س: «وحملته».
(٤) ف: «وكانت».
(٥) س: «جون».

أما حسبى بصحيح ! أوَلَسْتُ ذا سِنّ ! أوَلَسْتُ مطاعًا فى عشيرتى ! فقال معاوية : بلى ؛ قال : فما بالك خَسَسْتَ بى دون القوم ! فقال : إنى اشتريت من القوم دينَهم ووكَلْتُك إلى دينك ورأيك فى عثمان بن عفان ٢/٩٧ — وكان عثمانيًّا — فقال : وأنا فاشترِ منّى دِينى ، فأمر له بتمام جائزة القوم . وطعن فى جائزته ، فحبسها معاوية ، فقال الفرزدق فى ذلك :

أَبوك وعمى يا معاوِيَ أَوْرثا ... تُراثاً فيحْتازُ التُّراثَ أَقاربُهْ[1]

فما بالُ ميراث الحُتات أَخذتَه ... وميراثُ حرْبٍ جامدٌ لك ذائبُهْ !

فلو كَانَ هذا الأَمر فى جاهليَّةٍ ... عَلِمْتَ منِ المرءُ القليلُ حَلائبُهْ

ولو كان فى دينٍ سوى ذا شنِئْتُمُ ... لنا حقّنا أَو غَصَّ بالماء شاربُهْ

ولو كان إذ كنَّا وفى الكفِّ بسطةٌ ... لَصمّم عَضْبٌ فيك ماضٍ مَضارِبُهْ

—وأنشد محمد بن علىّ « وفى الكفّ مبسط » —

وقد رُمْتَ شيئاً يا معاوِيَ دونَهُ ... خياطِف عِلْوَدٌ صعاب مراتبُهْ

وما كنتُ أُعطى النّصفَ من غير قدرةٍ ... سواكَ ، ولو مالتْ علىَّ كتائبه

أَلَستُ أَعزَّ الناس قوماً وأسرةً ... وأَمنعَهُمْ جارًا إذا ضِيمَ جانبُهْ ٢/٩٨

ومــا ولدَتْ بعدَ النبيِّ وآلِهِ ... كمِثْــلِى حَصانٌ فى الرجالِ يقارِبهْ

أَبِى غالبٌ والمرءُ ناجيةُ الَّذى[2] ... إلى صعصعٍ يُنمَى ،فمن ذا يناسبه ![3]

وبيْتِى إلى جنب الثريّا فِنــاؤه ... ومِن دونِه البدْرُ المضِيءُ كواكبُه

أَنا ابنُ الجبالِ الصُّمِّ فى عددِ الحَصَى[4] ... وعرْقُ الثّرَى عِرقى ،فمن ذا يُحاسبه !

---

(١) ديوانه:٤٩ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات ، وانظر النقائض:٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(٢) النقائض : « صعصعة الذى » .

(٣) النقائض : « دارم ينمى » .

(٤) النقائض : « الجبال الشم » .

أنا ابنُ الّذى أحيا الوئيدَ وضامِنٌ على الدهرِ إذْ عَزّتْ لِدهرٍ مكاسبُهْ

وكم من أَبٍ لى يا معاوِىَ لم يَزَل أَغَرَّ يبارِى الريح ما ٱزْوَرَّ جانبُهْ

نمتْهُ فروعُ المالكيْنِ ولم يكُن أَبوكَ الذى من عبدِ شمسٍ يقارِبُهْ

تراهُ كنَصْلِ السَّيف يهتَزُّ للندى كريمـاً يُلاقى المجدَ ما طَرَّ شاربه

طويلِ نِجادِ السيفِ مذ كان لم يكنْ قصىٌّ وعبدُ الشمس ممَّنْ يخاطبُهْ

٢/٩٩ فردّ ثلاثين ألفًا على أهله ، وكانت أيضًا قد أغضبت زياداً عليه . قال : فلما استعدتْ عليه نهشل وفُقيم ازدادَ عليه غضبًا ، فطلبه فهرب ، فأتى عيسى بنَ خُصَيلة بن معتِّب بن نصر بن خالد البَهْزىّ ، ثم أحد بنى سُلَيم ، والحجّاج بن عِلاط بن خالد السُّلَمىّ .

قال ابن سعد : قال أبو عبيدةَ : فحدّثنى أبو موسى الفضل بن موسى ابن خُصَيلة ، قال : لما طرد زياد الفرزدقَ جاء إلى عمِّى عيسى بن خُصَيلة ليلا فقال : يا أبا خُصَيلة ، إنّ هذا الرجل قد أخافنى ، وإنّ صديقى وجميع مَن كنت أرجو قد لفظونى ، وإنى قد أتيتك لتغيِّبَنِى عندك ؛ قال : مَرْحبًا بك! فكان عنده ثلاثَ ليالٍ ، ثم قال : إنه قد بدا لى أن ألحق بالشام ، فقال : ما أحببتَ ؛ إنْ أقمتَ معى ففى الرّحب والسعة ؛ وإن شَخَصتَ فهذه ناقة أرحبيّة أمتِّعُك بها . قال : فركب بعدَ ليل ، وبعث عيسى معه حتى جاوز البيوت ، فأصبح وقد جاوز مسيرة ثلاث ليالٍ ، فقال الفرزدق فى ذلك :

حَبانى بها البَهزىُّ حُمْلانَ مَنْ أَبى من الناس والجانى تُخافُ جرائمهْ[1]

ومنْ كان يا عيسى يونّبُ ضيْفَهُ فَضَيْفُكَ محْبُورٌ هنىٌّ مطاعِمُهْ

٢/١٠٠ وقال تعلَّمْ أنَّها أَرْحَبِيّــةٌ وأَنَّ لها الليلَ الذى أنت جاشمُهْ

فأَصبحتُ والملقَى ورائى وحَنْبَلٌ وما صَدَرَتْ حتى علا النَّجمَ عاتِمُهْ[2]

---

(١) ديوانه : ٧٦٣ والنقائض : ٦١٠ .

(٢) النقائض : « علا الليل » .

تَزاوَرُ عن أهلِ الحُفَيرِ كأنّها ظَليمٌ تبارَى جنحَ ليلٍ نَعائمُهْ
رأتْ بين عينيها دُويَّةَ وانجلى لها الصّبح عن صَعْلٍ أسيلٍ مَخاطِمُهْ
كأن شراعاً فيه مَجْرَى زمامها بدِجْلَةَ إلاَّ خَطمُهُ وملاغمُهْ
إذا أنتِ جاوَزتِ الغَرِيَّيْنِ فاسلَمِي وأعرَضَ مِن فَلْجٍ ورائِى مخارِمُهْ

وقال أيضًا :

تداركَنى أسبابُ عيسى من الرَّدَى ومن يَكُ مَولاهُ فليْسَ بواحِدِ[1]

وهى قصيدة طويلة .

قال : وبلغ زياداً أنه قد شَخَص، فأرسل علىّ بن زَهْدم، أحد بنى نَوْلة بن فُقَيم فى طلبه .

قال أعيَن : فطلبه فى بيت نصرانيّة يقال لها ابنة مرّار، من بنى قيس ابن ثعلبة تنزل قَصيمة كاظمة ؛ قال: فسلّتْه[2] مِن كِسْرِ بيتها ، فلم يقدر عليه ؛ فقال فى ذلك الفرزدق : ١٠١/٢

أتيت ابنَةَ المَرّار أهبلتَ تبتغى وما يُبْتَغَى تحت السَّويَّةِ أمثالى[3]
ولكِنْ بُغائى لو أردتَ لقاءنا فضاءُ الصّحارى لا ابتغاءٌ بأدغال

وقيل : إنها ربيعة بنت المرّار بن سلامة العِجلىّ أمّ أبى النجم الرّاجز .

قال أبو عُبيدة : قال مِسمَع بن عبد الملك : فأتى الرَّوحاء ، فنزل فى بكر بن وائل ، فأمِن ، فقال يمدحهم :

وقد مثَلتْ أين المسيرُ فلم تجِدْ لفَوْرتها كالحَىِّ بكْر بن وائل[4]
أعفَّ وأوفى ذِمةً يعْقِدونها إذا وازَنَت شُمَّ الذُّرا بالكواهِلِ

---

(١) ديوانه: ١٩٧ ، ١٩٨ ، النقائض: ٦١٠ .
(٢) س : « فسالته» .
(٣) ديوانه: ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، النقائض: ٦١١ .
(٤) ديوانه: ٦٥٠ ، ٦٥١ ، النقائض: ٦١٢ ، وفيها : « وقد ميلت » .

وهى قصيدة طويلة . ومدحهم بقصائدَ أُخَر غيرها .

قال : فكان الفرزدق إذا نزل زياد البَصرة نزل الكوفة ، وإذا نزل زيادٌ الكوفة نزل الفرزدق البَصرة ، وكان زياد ينزل البصرة ستّة أشهر والكوفة ستّة أشهر ، فبلغ زياداً ما صنع الفرزدق ، فكتب إلى عامله على الكوفة عبد الرحمن ابن عُبيد : إنّما الفرزدق فحلُ الوحوش يَرعَى القِفار ، فإذا ورد عليه الناس ذُعِر ففارقهم إلى أرض أخرى فرتع ؛ فاطلبه حتى تظفرَ به . قال الفرزدق : فطُلبت أشدّ طلب[1] ، حتى جعل مَن كان يُؤْوينى يُخرجنى من عنده ، فضاقت علىّ الأرض ، فبينا أنا ملفِّف رأسى فى كِسائى على ظهر الطريق[2] ، إذ مرّ بى الذى جاء فى طلبى ، فلمّا كان الليل أتيتُ بعضَ أخوالى من بنى ضَبّة وعندهم عُرْس — ولم أكن طعمتُ قبلَ ذلك طعاماً ، فقلت : آتيهم فأصيبَ من الطعام — قال : فبينا أنا قاعد إذ نظرت إلى هادِى[3] فرسٍ وصدرِ رُمح قد جاوَز بابَ الدار داخلاً إلينا ، فقاموا إلى حائط قصب فرفعوه ، فخرجت منه ، وألقَوا الحائط فعاد مكانَه ، ثم قالوا : ما رأيناه ، وبحثوا ساعةً ثم خرجوا ، فلمّا أصبحنا جاءونى فقالوا : اخرُج إلى الحجاز عن جوار زياد لا يظفر بك ، فلو ظفر بك البارحةَ أهلكتَنا ؛ وجمعوا ثمن راحلتين ، وكلّموا لى مقاعِساً أحد بنى تَيْم الله ابن ثعلبة — وكان دليلا يسافر للتجار — قال : فخرجْنا إلى بانِقْيا حتى انتهينا إلى بعض القصور التى تُنزَل ، فلم يُفتح لنا الباب ، فألقينا رحالَنا إلى جنب الحائط والليلة مُقمِرة ، فقلت : يا مقاعس ، أرأيت إن بعث زياد بعد ما نصبح إلى العتيق رجالاً ، أيقدرون علينا ؟ قال : نعم ، يَرصُدوننا — ولم يكونوا جاوزوا العتيق وهو خَنْدق كان للعَجَم — قال : فقلت : ما تقول العرب ؟ قال : يقولون : أمهِلْه يوماً وليلة ثم خذه . فارتحل ؛ فقال إنى أخاف السباعَ ، فقلت : السباعُ أهوَن من زياد ، فارتحلْنا لا نرى شيئاً إلا خلّفناه ، ولزِمَنا شخصٌ لا يُفارقنا ، فقلت : يا مُقاعس ، أترى هذا الشخص ! لم نمرُرْ

(١) س : « الطلب » .

(٢) س : « طريق » .

(٣) الهادى : العنق ؛ سمى بذلك لتقدمه .

بشيء إلاّ جاوزناه غيره ، فإنه يسايرنا منذ الليلة . قال : هذا السَّبُع ، قال : فكأنه فهِمَ كلامَنا ، فتقدّم حتى رَبَض على مَتْن الطريق ، فلما رأينا ذلك نزلْنا فشددْنا أيدى ناقتَيْنا بثِنايَيْن وأخذتُ قوسى . وقال مقاعس : يا ثعلب ، أتدرى ممّن فرْرنا إليك ؟ من زياد ، فأحْصَبَ بذَنَبه حتى غشيَنا غبارُه وغشيَ ناقتيْنا ، قال : فقلت : أرميه ، فقال : لا تَهِجْه ، فإنه إذا أصبح ذهب ؛ قال : فجعل يُرعِد ويُبرِق ويزئِر ، ومُقاعس يتوعّده حتى انشقّ الصبح ، فلما رآه ولّى ، وأنشأ الفرزدق يقول :

ما كنتُ أَحْسِبُنى جَباناً بعد ما ... لاقَيْتُ ليلةَ جانِبِ الأنهارِ[(١)]

ليْثاً كأنّ على يَدَيْه رِحالةً ... شَثْنَ البراثِنِ مُؤْجَدَ الأظفارِ

لما سَمِعْتُ له زَمازِمَ أَجْهَشَتْ ... نَفْسى إلىّ وقلتُ أينَ فِرارى ![(٢)]

ورَبَطْتُ جِرْوتَها وقلتُ لها اصْبِرِى ... وشَدَدْتُ فى ضِيقِ المَقامِ إزارِى

فلأَنتَ أَهْوَنُ من زِيادٍ جانِباً[(٣)] ... اذْهَبْ إليك مُخرِّمِ الأَسفارِ

قال ابن سعد : قال أبو عُبيدة : فحدّثنى أعيَن بن لَبطة ، قال : حدّثنى أبى ، عن شَبَث بن رِبعىّ الرياحىّ ، قال : فأنشدتُ زياداً هذه الأبيات فكأنه رقّ له ، وقال : لو أتانى لآمنته وأعطيتُه ، فبلغ ذلك الفرزدق ؛ فقال : ٢/ ١٠٤

تَذَكَّرَ هذا القلبُ من شَوْقِهِ ذِكْرَا ... تَذَكَّرَ شَوْقاً ليس ناسيَهُ عَصْرَا[(٤)]

تَذَكَّرَ ظَمياءَ الّتى ليس ناسِيـا ... وإن كان أَدْنَى عَهْدِها حِجَجًا عَشْرا

وما مُغْزِلٌ بالغَوْرِ غَوْرِ تِهامةٍ ... تَرَعَّى أَراكاً فى منابتِهِ نضْرا[(٥)]

من الأُدْمِ حَوّاءِ المدامعِ تَرْعَوِى ... إلى رَشأٍ طِفلٍ تخالُ به فَتْرا

---

(١) النقائض : ٦١٧ .

(٢) النقائض : « فقلت » .

(٣) النقائض : « من زياد عندنا » .

(٤) ديوانه : ٢٢٥ ، النقائض : ٦١٨ .

(٥) ف والنقائض : « تراعى » .

أصابَتْ بِوادى الوَلْوَلان حِبالةً فما اسْتَمْسَكَتْ حتى حسِبْنَ بها نفْرا

بأَحْسَنَ من ظَمْياءَ يومَ تَعَرَّضَتْ ولا مُزْنةٌ راحَتْ غمامتها قصْرا

وكم دونها من عاطفٍ فى صريمة وأعداءِ قومٍ يَنْذُرُونَ دمى نَذْرَا!

١٠٥/٢ إذا أوْعَدُونى عند ظمياءَ ساءَها وعيدى وقالت لا تقولوا له هُجرا

دعانى زيادٌ للعطاء ولم أكنْ لآتِيَهُ ما ساقَ ذو حَسَبٍ وَفرا

وعند زيادٍ لو يُرِيدُ عطاءَهُمْ رجالٌ كثيرٌ قد يرَى بهِم فقرا

قُعُودٌ لدى الأبواب طُلّابُ حاجةٍ غَوانٍ من الحاجاتِ أو حاجةً بِكْرا

فلمّا خشيت أن يكون عطاؤه أداهِمَ سودًا أو مُحَدْرَجَةً سُمْرا

نميَتُ إلى حَرْفٍ أضَرَّ بِنِيِّها سُرَى الليل واستعراضُها البلدَ القَفْرا

تَنَفَّس فى بهوٍ من الجوف واسعٍ إذا مَدَّ حيزومًا شَراسيفِها الضُّفْرا

تَراها إذا صامَ النَّهارُ كأنَّما تسامِى فَنيقاً أو تُخالسُهُ خَطْرا

تخُوضُ إذا صاح الصَّدى بعد هَجعةٍ من الليل مُلتجًّا غياطلهُ خُضرا

١٠٦/٢ فإن أعرَضَتْ زَوراءُ أو شَمَّرَتْ بها فلاةٌ ترَى منها مخارِمَها غُبْرا

تعاديْنَ عن صُهبِ الحَصى وكأنما طحنَّ به من كلّ رَضراضةٍ جَمْرا

وكم من عَدُوٍّ كاشحٍ قد تجاوَزَتْ مخافتَهُ حتى تكون لها جِسْرا

يَؤُمُّ بها المَوماةَ منْ لا يرى له إلى ابن أبى سُفيان جاهاً ولا عُذْرا

ولا تُعجِلانى صاحِبيَّ فربّما[1] سَبَقتُ بوِرد الماء غاديةً كُدْرا

وحِضْنين من ظلماءِ ليلٍ سَرَيتُهُ بأَغيَدَ قد كان النعاس له سُكْرا

رَماه الكرى فى الرأس حتى كأنه أميمُ جلاميدٍ تركنَ به وَقْرا

من السَّيْرِ والإدلاج تحْسِبُ أنما سقاهُ الكرى فى كلّ منزلة خَمْرا

جَرَرنا وفَدَّيناه حتى كأنما يرى بهوادِى الصُّبْح قَنبلةً شُقرا

---

(١) النقائض : « فلا تعجلانى » .

١٠٧/٢ قال: فمضينا وقدِمنا المدينة وسعيد بن العاص بن أميّة عليها ، فكان فى جنازة ، فتبعتُه فوجدتُه قاعداً والميّت يُدفَن حتى قمت بين يديه، فقلت : هذا مَقامُ العائذ من رجل لم يُصِب دمًا ولا مالا ! فقال : قد أجرْتُ إن لم تكن أصبتَ دمًا ولامالاً ؛ وقال : مَن أنت ؟ قلت : أنا همّام بن غالب بن صعصعة ، وقد أثنيتُ على الأمير ، فإنْ رأى أن يأذن لى فأسمِعَه فليفعل ؛ قال : هاتِ ، فأنشدتُه :

وكُومٍ تُنْعِمُ الأضيافَ عَينًا وتصْبِحُ فى مَباركهـا ثِقالاَ[1]

حتّى أتيتُ إلى آخرِها ؛ قال : فقال مروان :

* قُعُودًا ينظرون إلى سَعيد *

قلتُ : والله إنك لقائم يا أبا عبد الملك .

قال : وقال كعب بن جُعَيل : هذه واللهِ الرّؤيا التى رأيت البارحة ؛ قال سعيد : وما رأيتَ ؟ قال :رأيتُ كأنى أمشى فى سكّة من سكك المدينة، فإذا أنا بابن قِتْرة فى جُحْر ، فكأنه أراد أن يتناولنى، فاتّقيته ، قال : فقام الحطيئة فشقّ ما بين رجلين حتى تجاوز إلىّ ، فقال : قل ما شئت فقد أدركتَ من مضى ، ولا يدركك مَن بقى . وقال لسعيد: هذا والله الشّعر ، لا يعلّل به منذ اليوم. قال : فلم نزل بالمدينة مرّة وبمكة مرّة . وقال الفرزدق فى ذلك :

ألا مَن مُبلغٌ عنّى زيادًا مُغَلْغَلةً يَخُبُّ بها البَرِيدُ[2]
بأنّى قد فَررتُ إلى سَعيدٍ ولا يُسْطاعُ ما يَحْمِى سَعيدُ
١٠٨/٢ فَررتُ إليه من لَيْثٍ هِزَبْرٍ تَفادَى عن فرِيسَتِهِ الأُسُودُ
فإن شئتَ انتسبتُ إلى النّصارى وإن شئتَ انتسبتُ إلى اليهود

(١) ديوانه: ٦١٥ ، النقائض: ٦١٩ ؛ والبيت من شواهد اللسان (نعم) ، على جواز رفع كلمة « الأضياف » ، ونصبها .

(٢) ديوانه: ١٧١ والنقائض: ٦١٩ ، مع اختلاف فى الرواية .

وإن شئت انتسبتُ إلى فُقَيمٍ ... وناسبنى وناسبتُ القُرودُ

ويُروَى:

* وناسبنى وناسبت اليهودُ *

وأبغَضُهم إلىّ بنو فُقيمٍ ... ولكنْ سوف آتى ما تريدُ

وقال أيضًا:

أتانى وَعيدٌ من زيادٍ فلم أنمْ ... وسَيْلُ اللِّوَى دونى فَهضْبُ التّهائمِ[1]

فبتُّ كأنّى مُشعَرٌ خَيبَرِيّةٌ ... سَرَت فى عظامى أو سِمامَ الأراقمِ

زيادَ بن حَربٍ لن أظُنَّكَ تاركى ... وذا الضِّغْنِ قد خشَّمْتُهُ غيرَ ظالمِ

قال: وأنشدَنيه عمرو:

* وبالضّغن قد خشّمتَنى غير ظالم *

وقد كافَحت منّى العراقَ قَصيدةٌ[2] ... رَجُومٌ مع الماضى رءوسَ المخارِمِ

خَفيفةٌ أفواهِ الرُّواةِ ثقيلةٌ ... على قِرْنها نَزّالةٌ بالمَواسمِ

وهى طويلة. فلم نزل بين مكة والمدينة حتى هلك زياد.

* * *

١٠٩/٢ وفى هذه السنة كانت وفاةُ الحكَم بن عمرو الغِفارىّ بمَرْوَ منصرفَه من غزوة أهلِ جبل الأشلّ.

* * *

ذكر الخبر
عن غزوة الحكم بن عمرو جبل الأشل وسبب هلاكه

حدّثنى عمرُ بن شبّة، قال: حدّثنى حاتم بن قَبيصة، قال: حدّثنا غالب بن سليمان، عن عبد الرحمن بن صبح، قال: كنتُ مع الحكَم بن عمرو بخُراسان، فكتب زيادٌ إلى عمرو: إنّ أهلَ جبل الأشلّ سلاحُهم

---

(١) ديوانه: ٧٧٢، والنقائض: ٦٢٠. (٢) النقائض: «جاحفت».

اللُّبود، وآنيتهم الذّهب. فغزاهم حتّى توسّطوا، فأخذوا بالشّعاب والطرق، فأحدقوا به، فعيّ بالأمر، فولّى المهلّب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتّى أخذ عظيماً من عظمائهم، فقال له: اختَرْ بين أن أقتلَك، وبين أن تُخرجَنا من هذا المَضيق؛ فقال له: أوْقِد النارَ حيالَ الطريق من هذه الطُّرُق، ومر بالأثقال فلتُوجَّه نحوه، حتى إذا ظنّ القوم أنكم قد دخلتم الطريق لتسلكوه فإنّهم يستجمعون لكم، ويُعَرُّون ما سواه من الطرق، فبادِرْهم إلى غيره فإنهم لا يدركونك حتّى تخرج منه. ففعلوا ذلك، فنجا وغَنِموا غنيمةً عظيمة.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا عليّ بن محمد؛ قال: لما قفل الحكَم بن عمرو من غَزْوة جبل الأشلّ ولّى المهلّب ساقتَه، فسلكوا في شِعاب ضيّقة، فعارَضَه التُّرك فأخذوا عليهم بالطُّرق، فوجدوا في بعض تلك الشّعاب رجلا يتغنّى من وراء حائط ببيتين:

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَدِّكَ لا تَرَى سَنام الحِمَى أُخرى اللّيالي الغوابر ٢/١١٠

كأنَّ فؤادي من تذكُّرِيَ الحِمَى وأهلَ الحمى يهفُو به ريشُ طائرِ[1]

فأتى به الحكَمَ، فسأله عن أمره، فقال: غايرتُ ابنَ عمّ لي، فخرجتُ تَرفَعُني أرض وتَخفِضني[2] أخرى، حتّى هَبَطتُ هذه البلاد. فحمله الحكمُ إلى زياد بالعراق.

قال: وتخلّص الحكَم من وجهه حتى أتى هَراةَ، ثم رجع إلى مَرْو.

حدّثني عمر، قال: حدّثني حاتم بن قَبيصة، قال: حدّثنا غالب ابن سليمانَ، عن عبد الرحمن بن صُبْح، قال: كتب إليه زياد: والله لئن بقيتُ لك لأقطعنّ منك طابَقًا سحتا[3]، وذلك أنّ زياداً كتب إليه لما وَرَد بالخبر عليه بما غنم: إنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفِيَ له صفراءَ وبيضاء والروائع[4] فلا تحرّكنّ شيئًا حتى تخرج ذلك.

---

(١) ط: «الطائر». (٢) س: «وتضعني».
(٣) س: «طابقاً سمتا». (٤) س: «والروابع».

فكتب إليه الحكم : أما بعد ، فإنّ كتابَك ورد ، تَذكُر أنّ أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصطفيَ له كلّ صفراءَ وبيضاء والروائع ، ولا تحرّكَنّ شيئًا ؛ فإن[1] كتاب الله عزّ وجلّ قبل كتاب أميرِ المؤمنين ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رَتْقًا على عبدٍ اتّقى اللهَ عزّ وجلّ جعل الله سبحانه وتعالى له مَخرَجًا .

وقال للناس : اغدوا على غنائمكم ؛ فغدَا الناس ، وقد عزَل الخُمْس ، فقسم بينهم تلك الغنائم ؛ قال : فقال الحكَم : اللهمّ إن كان لى عندَك خير فاقبضنى ؛ فمات بخُراسان بمَرْو[2] .

١١١/٢

قال عمر : قال علىّ بن محمد : لما حَضَرت الحكمَ الوفاةُ بمرْو ، استخلفَ أنس بن أبى أناس ، وذلك فى سنة خمسين .

(١) س : « وإن » .
(٢) ف : « بمرو من خراسان » .

ثم دخلت سنة إحدى وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فممّا كان فيها مَشتَى فضالة بن عُبيد بأرض الروم ، وغزوة بُسْر بن أبى أرطاةَ الصائفة ، ومَقتَل حُجْر بن عَدِىّ وأصحابه .

[ذكر مقتل حُجْر بن عدىّ وأصحابه]

* ذكر سبب مقتله :

قال هشام بن محمد ؛ عن أبى مخنف ، عن المجالد بن سعيد ، والصقْعب ابن زهير ، وفضيل بن خَديج ، والحسين بن عُقْبة المرادىّ، قال : كلٌّ قد حدّثنى بعضَ هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث حُجْر ابن عدىّ الكِنْدىّ وأصحابه : إنّ معاوية بن أبى سُفْيان لما ولّى المغيرة بن شُعبة الكوفة فى جمادى سنة إحدى وأربعين دَعاه ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد فإن لذى الحِلْم قبل اليوم ما تُقرَع العَصَا ، وقد قال المتلمّس:

لِذِى الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقْرَعُ العصا   وما عُلِّمَ الإنسانُ إلاَّ ليعْلَما[1]

وقد يجزى عنك الحكيم بغير التعليم[2] ، وقد أردت إيصاءك[3] بأشياءَ كثيرة ، فأنا تاركُها اعتماداً على بَصرك بما يرضينى ويُسعِد[4] سلطانى ، ويُصْلَحُ به رعيّتى، ولست تاركًا إيصاءك بخَصْلة : لا تتحمّ[5] عن شتم علىّ وذمّه ، والترحّم على عثمانَ والاستغفار له ، والعيب على أصحاب علىّ ، والإقصاء لهم ، وترك الاستماع منهم ؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه ، والإدناء لهم ،

١١٢/٢

---

(١) من المفضلية ٩٨ .

(٢) ف : « تعليم » .

(٣) ف : « أن أوصيك ».

(٤) س : « ويسدد » .

(٥) لا تتحم : لا تتورع .

والاستماع منهم . فقال المغيرة : قد جَرَّبْتُ وجُرِّبْتُ ، وعملتُ قَبْلك لغيرك ، فلم يُذمَّ بى دَفْع ولا رفع ولا وَضْع ، فستبلو فتُحمد أو تُذم . قال[1] : بل نحمد إن شاء الله .

قال أبو مخنف : قال الصقعب بن زهير : سمعتُ الشعبيّ يقول : ما وَلِيَنا والٍ بعده مثله ، وإن كان لاحقًا بصالح مَن كان قبله من العمّال .

وأقام المغيرةُ على الكوفة عاملا لمعاوية سبعَ سنين وأشهراً ، وهو من أحسن شىء سيرةً ، وأشدّه حبًّا للعافية ، غير أنه لا يدَع ذمّ علىّ والوقوعَ فيه والعيبَ لقتَلة عثمان ، واللّعن لهم ، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له ، والتزكيةَ لأصحابه ، فكان حُجْر بن عدىّ إذا سمع ذلك قال : بل إيّاكم فذمّم الله ولعن ! ثم قام فقال : إنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾[2] ، وأنا أشهد أن من تذمّون وتعيّرون لأحقّ بالفضل ، وأنّ من تزكّون وتُطْرُون أوْلى بالذمّ فيقول المغيرة : يا حُجْر ، لقد رُمِىَ بسهمك ، إذ كنتُ أنا الوالى عليك ، يا حُجْر وَيْحك ! اتّق السلطان ، اتق غضبَه وسطوتَه ، فإنّ غضْبةَ السلطان أحيانًا مما يُهلك أمثالَك كثيرًا . ثم يكفّ عنه ويصفح.

١١٣/٢

فلم يزل حتى كان فى آخر إمارته قام المغيرة فقال فى علىّ وعثمان كما كان يقول ، وكانت مقالته : اللهمّ ارحم عثمانَ بنَ عفان وتجاوزْ عنه ، وأجزه بأحسن عمله ، فإنه عَمِل بكتابك ، واتّبع سنة نبيّك صلى الله عليه وسلم ، وجمعَ كلمتنا ، وحقَن دماءَنا ، وقُتل مظلومًا ؛ اللهم فارحم أنصارَه وأولياءه ومحبّيه والطالبين بدمه ! ويدعو على قتَلته . فقام حُجْر بن عدىّ فنَعَر نعرةً[3] بالمغيرة سمعَها كلّ مَن كان فى المسجد وخارجًا منه ، وقال : إنك لا تدرى بمن تولع من هرَمك ! أيها الإنسان ، مُرْ لنا بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنك قد حبستَها عنا ، وليس ذلك لك ، ولم يكن يطمع فى ذلك مَن كان قبلَك ، وقد أصبحت مولَعًا بذمّ أمير المؤمنين ، وتقريظ المجرمين . قال : فقام معه أكثر من ثُلُثَى الناس يقولون : صَدَق والله حُجْر وبَرّ ، مُرْ لنا

(١) كذا فى س ، وفى ط : « ثم قال » .

(٢) سورة النساء : ١٣٥ .

(٣) نعر : صاح صيحة شديدة .

بأرزاقنا وأعطياتنا ، فإنا لا ننتفع بقولك هذا ، ولا يجدى علينا شيئاً ؛ وأكثروا فى مثل هذا القول ونحوه . فنزل المغيرة ، فدخل واستأذن عليه قومُه ، فأذن لهم ، فقالوا : علامَ تترك هذا الرجلَ يقول هذه المقالة ، ويجترئ عليك فى سلطانك هذه الجرأة ! إنّك تجمع على نفسك بهذا خصلتين : أما أوّلهما فتهوين سلطانك ، وأما الأخرى فإنّ ذلك إن بلغ معاوية كان أسخَطَ[1] له عليه — ١١٤/٢ وكان أشدّهم له قولا فى أمر حُجْر والتعظيم عليه عبد الله أبى عقيل الثَّقَفِىّ — فقال لهم المغيرة : إنّى قد قتلته ؛ إنه سيأتى أميرٌ بعدى فيحسَبه مثلى فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بى ، فيأخذه عند أوّل وهلة فيقتله شرّ قتلة ؛ إنه قد اقترب أجلى ، وضَعُف عملى ، ولا أحبّ أنْ أبتدئ أهلَ هذا المصر بقتل خيارهم ، وسَفْك دمائهم ، فيسعدوا بذلك وأشقى ، ويعزّ فى الدنيا معاوية ، ويذلّ يوم القيامة المغيرة ؛ ولكنى قابلٌ من محسنهم ، وعافٍ عن مسيئهم ، وحامدٌ حليمَهم ، وواعظٌ سفيهَهم ، حتى يفرّق بينى وبينهم الموت ، وسيذكروننى لو قد جرّبوا العمّالَ بعدى[2] .

قال أبو مخنف : سمعتُ عثمان بنَ عقبة الكندىّ ، يقول : سمعت شيخاً للحىّ يذكر هذا الحديث يقول : قد والله جرّبناهم فوجدناه خيرَهم ، أحمدَهم للبرئ ، وأغفرَهم للمسىء ، وأقبلَهم للعذر .

قال هشام : قال عَوانة : فولِىَ المغيرة الكوفة سنة إحدى وأربعين فى جُمادى ، وهلك سنة إحدى وخمسين ، فجُمِعت الكوفة والبَصرة لزياد بن أبى سُفْيان ، فأقبل زياد حتى دخل القصر بالكوفة ، ثم صعِد المنبر فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّا قد جرّبنا وجُرّبنا ، وسُسْنا وساسَنا السائسون ، فوجدْنا هذا الأمر لا يَصلُح آخره إلا بما صَلَح أوّله ، بالطاعة الليّنة المشبّه سرّها بعلانيتها ، وغيْب أهلها بشاهدهم ، وقلوبهم بألسنتهم ، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين فى غير ضَعْف ، وشدّة فى غير عُنْف ، وإنى والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله[3] ، وليس من كذبة ١١٥/٢

(١) س : « إسخاط » .
(٢) الخبر فى الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .
(٣) أذلاله : طرقه .

الشاهد عليها من الله والناس أكبر[١] من كِذْبة إمام على المنبر. ثم ذكر عثمانَ وأصحابَه فقرّظهم ، وذَكَر[٢] قَتَلَته ولَعنَهم[٣] . فقام[٤] حُجر ففعل مثل الذى كان يفعل بالمغيرة ، وقد كان زيادٌ قد رجع إلى البصرة وولّى الكوفة[٤] عَمرَو بن الحريث ، ورَجَع إلى البصرة فبلغه أنّ حُجرًا يجتمع إليه شيعة علىّ ، ويُظهرون لعنَ معاوية والبراءة منه[٥] ، وأنهم حصَبوا عمرَو بن الحريث ، فشخَص إلى الكوفة حتى دخلها ، فأتى القصر فدخله ، ثم خرج فصعِد المنبر وعليه قَباء سُنْدس ومُطرَف خزّ أخضر ، قد فرق شعره ، وحُجْر جالسٌ فى المسجد حولَه أصحابُه أكثر ما كانوا ، فحمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنّ غِبَّ البَغْى والغىّ وخيم ، إنّ هؤلاء جمّوا[٦] فأشِروا ، وأمنونى فاجترءوا علىّ ، وايمُ الله لئن لم تستقيموا لأداوينّكم بدوائكم ؛ وقال : ما أنا بشىء إن لم أمنع باحةَ الكوفة من حُجْر وأدَعْه نكالا لمن بعدَه ! ويلُ امّك يا حُجر ! سقَط العَشاء بك على سِرْحان ، ثم قال :

أبلغْ نُصَيحَةَ أنّ راعِى إبْلِها سَقَط العَشاءُ به على سِرْحان[٧]

وأما غيرُ عوانة ، فإنه قال فى سبب أمر حُجْر ما حدّثنى علىّ بن حسن قال : حدّثنا مسلم الجَرْمىّ ، قال : حدّثنا مخلَد بن الحسن ، عن هشام ، عن محمد بن سيرين ، قال : خطب زياد يومًا فى الجمعة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة ، فقال له حُجْر بن عدىّ : الصلاة ! فمضى فى خطبته ، ثم قال : الصلاة ! فمضى فى خطبته ، فلما خشى حُجر فَوْتَ الصلاة ضرب بيده إلى كفٍّ من الحصا ، وثارَ إلى الصلاة وثار الناسُ معه ، فلما رأى ذلك زياد نزل فصلّى بالنّاس ، فلما فرغ من صلاته كتب إلى معاوية فى أمره ، وكثّر عليه . ١١٦/٢

فكتب إليه معاوية أن شُدَّه فى الحديد ، ثم احمله إلىّ . فلما أن جاء كتاب معاوية أراد قومُ حُجر أن يَمنَعوه ، فقال : لا ، ولكن سمعٌ وطاعة ، فشدّ

---

(١) س : « أكثر » . (٢) س : « فذكر » . (٣) ف : « فلعنهم » .
(٤ – ٤) س : « وأقام بالكوفة ستة أشهر ثم ولاها » . (٥) س : « منهم » .
(٦) جموا : اجتمعوا . (٧) مثل ، وأصله أن رجلا خرج يلتمس العشاء ، فوقع على ذئب فأكله ، يضرب فى طلب الحاجة يؤدى بصاحبها إلى التلف .

فى الحديد ، ثم حُمل إلى معاوية ، فلما دخل عليه قال : السّلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ، فقال له معاوية : أمير المؤمنين ! أما والله لا أقيلك ولا أستقيلك ، أخرجوه فاضربوا عنقَه ، فأخرج من عنده ، فقال حُجر للذين يلُون أمرَه : دعونى حتى أصلّى ركعتين ؛ فقالوا : صلّ ؛ فصلّى ركعتين خفّفَ فيهما ، ثم قال : لولا أن تظنّوا بى غيرَ الذى أنا عليه لأحببتُ أن تكونا أطولَ مما كانتا ، ولئن لم يكن فيما مضى من الصلاة خيرٌ فما فى هاتين خير ؛ ثم قال لمن حضره من أهله : لا تُطلِقوا عنى حديداً ، ولا تغسلوا عنى دماً ، فإنى ألاقى معاوية غداً على الجادّة . ثم قُدّم فضربتْ عنقُه .

قال مخلد : قال هشام : كان محمد إذا سئل عن الشهيد يُغسَّل ، حدّثهم حديثَ حُجْر .

قال محمد : فلقيَتْ عائشة أمّ المؤمنين معاوية — قال مخلد : أظنّه بمكة — فقالت : يا معاوية ، أين كان حِلمُك عن حُجْر ! فقال لها : يا أمّ المؤمنين ، لم يحضرنى رشيد !

قال ابن سيرين : فبلغنا أنه لما حضرتْه الوفاة جعل يُغرغر بالصوت ويقول : يومى منك يا حُجْر يومٌ طويل ! ٢ / ١١٧

قال هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى إسماعيل بن نُعَيم النَّمَرىّ ، عن حسين بن عبد الله الهمْدانىّ ، قال : كنت فى شُرَط زياد ، فقال زياد : لينطلقْ بعضُكم إلى حُجْر فليدْعُه ؛ قال : فقال لى أمير الشُّرْطة — وهو شدّاد ابن الهيثم الهلالىّ : اذهب إليه فادْعه ؛ قال : فأتيتُه ، فقلت : أجبِ الأميرَ ؛ فقال أصحابه : لا يأتيه ولا كرامة ! قال : فرجعت إليه فأخبرته ، فأمر صاحبَ الشُّرْطة أن يبعث معى رجالا ، قال : فبعث نفراً ؛ قال : فأتيناه فقلنا : أجب الأمير ، قال : فسبّونا وشتَموناه ، فرجعنا إليه فأخبرناه الخبر ، قال : فوثب زياد بأشراف أهلِ الكوفة ، فقال : يا أهل الكوفة ، أتشجّون بيد وتأسُون بأخرى ! أبدانكم معى وأهواؤكم مع حُجْر ! هذا الهَجهاجة الأحمق المذبوب[1]

(١) الهجهاجة : الأحمق الذى لا يؤامر أحداً ويركب رأيه ، والمذبوب : المجنون .

أنتم معى وإخوانُكم وأبناؤكم وعشائركم مع حُجر! هذا والله من دَحْسكم[١] وغِشّكم ! والله لتظهرَنّ لى براءتُكم أو لآتينّكم بقوم أقيم بهم أوَدكم وصَعَرَكم!
فوثَبوا إلى زياد ، فقالوا : معاذ الله سبحانه أن يكون لنا فيما ها هنا رأى إلا طاعتك وطاعة أمير المؤمنين ، وكلّ ما ظننا أنّ فيه رضاك ، وما يَستبين به طاعتَنا وخلافنا لحُجر فمُرْنا به ، قال : فليقم كلّ امرئ منكم إلى هذه الجماعة حولَ حُجر فليدْعُ كلّ رجل منكم أخاه وابنه وذا قرابته ومن يطيعه من عشيرته ، حتى تقيموا عنه كلّ مَن استطعتم أن تقيموه . ففعلوا ذلك ، فأقاموا جُلّ من كان مع حُجْر بن عدىّ ، فلما رأى زياد أنّ جُلّ مَن كان مع حُجْر أقيم عنه ، قال لشدّاد بن الهيثم الهلالىّ — ويقال : هيثم بن شدّاد أمير شرطته — : انْطلِق إلى حُجْر ، فإن تَبِعك فأتِنى به ، وإلا فمُرْ مَن معك فلينتزعوا عُمُد السوق ، ثم يشدّوا بها عليهم حتى يأتونى به ويضربوا مَن حال دونَه . فأتاه الهلالىّ فقال : أجب الأميرَ ؛ قال : فقال أصحاب حُجْر : لا ولا نُعمةَ عين ! لا نجيبه . فقال لأصحابه : شُدّوا على عُمُد السوق ، فاشتدّوا إليها ، فأقبلوا بها قد انتزعوها ، فقال عمير بن يزيدَ الكندىّ من بنى هند — وهو أبو العَمَرَّطة : إنه ليس معك رجل معه سيفٌ غيرى ، وما يغنى عنك ! قال : فما ترى ؟ قال : قُمْ من هذا المكان فالحق بأهلك يَمنَعْك قومُك . فقام زياد ينظر إليهم وهو على المنبر ، فغشوا بالعُمُد ، فضرب رجل من الحمراء — يقال له بكر ابن عبيد — رأس عَمرو بن الحَمِق بعمود فوقع ، وأتاه أبو سُفْيان بن عُوَيمر والعَجْلان بن ربيعة — وهما رجلان من الأزْد — فحمَلاه ؛ فأتيَا به دار رَجل من الأزْد — يقال له عبيد الله بن مالك — فخبّآه بها ، فلم يزل بها متواريًا حتى خرج منها[٢].

١١٨/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، قال : لما انصرفنا من غزوة باجُمَيرا قبل مَقتل مُصعب بعام ، فإذا أنا بأحمرىّ يسايرنى — ووالله ما رأيتُه من ذلك اليوم الذى ضرب فيه عمرو بن الحَمِق ، وما كنت أرى لو رأيتُه أن أعرفَه — فلما رأيته ظننتُ

(١) الدحس : التدسيس للأمور . (٢) الأغانى ١٦ : ٣ ، ٤ (ساسى) .

أنه هوهو ؛ وذاك حين نظرْنا إلى أبيات الكوفة ، فكرهتُ أن أسألَه : أنت الضارب عمرو بن الحَمِق ؟ فيُكابرني ؛ فقلت له : ما رأيتُك من اليوم الذى ضربتَ فيه رأسَ عمرو بن الحمق بالعمود فى المسجد إلى يومى هذا ، ولقد عرفتُك الآن حين رأيتُك ؛ فقال لى : لا تَعْدم بصرَك ، ما أثبتَ نظرَك ! كان ذلك أمرُ الشيطان ، أما إنه قد بلغنى أنه كان امرأً صالحًا ، ولقد ندمتُ على تلك الضربة ، فأستغفر الله . فقلت له : ألا ترى والله لاأفترق أنا وأنت حتى أضربَك على رأسك مثلَ الضَّربة التى ضربتَها عمرَو بن الحمق أوأموت أو تموت ! فناشدَنى الله وسألنى الله ، فأبيْتُ عليه ، ودعوتُ غلامًا لى يُدعَى رشيداً من سَبْى أصبهان معه قَناة له صُلْبة ، فأخذتُها منه ، ثم أحمل عليه بها ، فنزل عن دابّته ، وألحقه حين استوت قدَماه بالأرض ، فأصفع بها هامتَه ، فخرّ لوجهه ، ومضيتُ وتركته ، فبرَأ بعدُ ؛ فلقيتُه مرّتين من الدهر ، كلّ ذلك يقول : الله بينى وبينك ! وأقول : الله عزّ وجلّ بينك وبين عمرو بن الحَمِق[1] ! ١١٩/٢

* * *

ثم رجع إلى أوّل الحديث . قال : فلما ضرب عمرًا تلك الضربة وحملَه ذانك الرّجلان ، انحاز أصحابُ حُجْر إلى أبواب كِنْدة ، ويَضرب رجلٌ من جُذام كان فى الشُّرْطة رجلاً يقال له عبدُالله بن خليفة الطائىّ بعمود ، فضرَبه ضربةً فصرعه ، فقال وهو يرتجز :

قد علِمَتْ يَوْمَ الهِياج خُلّتى ... أَنى إذا ما فِئتِى تَولّتِ

وكَثُرَتْ عُداتُها أَو قلّتِ ... أَنّىَ قتّالٌ غداةَ بَلّتِ ١٢٠/٢

وضُرِبتْ يد عائذ بن حملة التميمىّ وكُسرتْ نابه ، فقال :

إنْ تَكْسِروا نابى وعَظْمَ ساعِدِى ... فإنَّ فىَّ سَوْرَةَ المُناجِدِ

* وبعْضَ شَغْبِ البَطَلِ المُبالِدِ *

وينتزع عموداً من بعض الشُّرْطة ، فقاتل به وحَمَى حُجْرًا وأصحابه ؛ حتى خرجوا من تِلقاء أبواب كِنْدة ، وبغلة حُجْر موقوفة ، فأتى بها أبوالعمرّطة إليه ، ثم قال : اركبْ لا أبَ لغيرك! فوالله ما أراك إلاّ قد قتلتَ نفسك ،

(١) الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .

وقتلتنا معك ؛ فوضع حُجْر رجلَه فى الرِّكاب ؛ فلم يستطع أن ينهض ، فحمله أبو العمرّطة على بغلته ، ووثب أبو العمرّطة على فرسه ؛ فما هو إلا أن استوى عليه حتى انتهى إليه يزيد بن طريف المُسْليّ — وكان يغْمِز[1] — فضرب أبا العمرّطة بالعمود على فخذه ، ويخترط أبو العمرّطة سيفه ، فضرب به رأس يزيد بن طريف ، فخرّ لوجهه. ثم إنه برأ بعدُ ، فله يقول عبد الله بن همّام السّلولىّ :

أَلُوْمَ ابْنَ لُوْمٍ ما عدا بك حاسِرًا ... إلى بَطَـلٍ ذى جُرْأَةٍ وشَكِيمٍ!

معاودِ ضَرْبِ الدَّارعين بسَيْفِهِ ... على الهام عند الرَّوْعِ غَيْرَ لئيمِ

٢/١٢١ إلى فارسِ الغارَيْنِ يومَ تـلاقَيا ... بصِفِّينَ قَرْمٍ خَيْرِ نَجل قُرُومِ[2]

حَسِبْتَ ابنَ بَرْصاءِ الحِتار قِتالَهُ ... قِتالَكَ زَيْدًا يَوْمَ دارِ حَكِيمِ[3]

وكان ذلك السيف أوّل سيف ضُرب به فى الكوفة فى الاختلاف بين الناس . ومضى حُجْر وأبو العَمرّطة حتى انتهيا إلى دار حُجْر ، واجتمع إلى حُجْر ناس كثير من أصحابه ، وخرج قيس بن فهدان الكِندىّ على حمار له يسير فى مجالس كِنْدة ، يقول :

يا قَوْمَ حُجْرٍ دافِعُوا وصاوِلوا ... وعَنْ أخيكمْ ساعَةً فقاتِلوا

لا يُلْفَيَا مِنكمْ لحُجْـرٍ خاذِلُ ... أَلَيْسَ فيكُمْ رامِحٌ ونابلُ

وفارِسٌ مُسْتَلْئِمٌ وراجِـلُ ... وضارِبٌ بالسَّيْفِ لا يُزايلُ!

فلم يأته من كِنْدة كثير أحد. وقال زياد وهو على المنبر : ليقم همْدان وتميم وهَوازن وأبناء أعصُر[4] ومذحِج وأسد وغَطَفان فليأتوا جبّانةَ كِنْدة ، فليمْضوا من ثَمّ إلى حُجْر فليأتونى به. ثم إنه كره أن يسيّرَ طائفةً من مضرَ مع طائفة من أهل اليَمَن فيقع بينهم شَغَب واختلاف ، وتَفسُد ما بينهم

٢/١٢٢ الحميّة ، فقال : لتقُم تميم وهَوازنُ وأبناء أعصُر وأسَد وغَطَفان ، ولتمضِ

(١) الغمز : الظلع الخفيف ؛ وأصله فى الدابة .

(٢) الغاران هنا : الجيشان ؛ واحده غار .

(٣) برصاء الحتار : يعنى حلقة الدبر .

(٤) ف : «وبنو يعصر» .

مَذحِج وهَمْدان إلى جبّانة كِنْدة ، ثم لينهضوا إلى حُجْر فليأتونى به ، وليَسِر سائر أهلِ اليمن حتى ينزلوا جبّانة الصائديّين[١] فليمضوا إلى صاحبهم ، فليأتونى به . فخرجتِ الأزدُ وبَجيلةُ وخثعم والأنصار وخُزاعة وقضاعة ، فنزلوا جبّانة الصائديّين ، ولم تخرج حضرموت مع أهل اليَمَن لمكانهم من كِنْدة ، وذلك أنّ دعوة حضرموتَ مع كِنْدة ، فكرهوا الخروجَ فى طلب حجر[٢] .

قال أبو مخنف : حدّثنى يحيى بن سعيد بن مخنف ، عن محمد بن مخنف ، قال : إنى لمع أهل اليَمَن فى جبّانة الصائديّين إذ اجتمع رءوس أهلِ اليَمَن يتشاورون فى أمر حُجْر ، فقال لهم عبد الرحمن بن مِخنف : أنا مشير عليكم برأيٍ إن قبلتموه رجوتُ أن تسلموا من اللائمة والإثم ، أرى لكم أن[٣] تَلَبثوا قليلا فإنّ سُرْعان شباب هَمْدان ومذحِج يَكفُونكم ما تكرهون أن تلُوا من مساءة قومكم فى صاحبكم[٣] قال : فأجمع رأيهم على ذلك ، قال : فوالله ما كان إلاّ كلا ولا[٤] حتى أتينا ، فقيل لنا : إن مذحِج[٥] وهَمْدانَ قد دخلوا فأخذوا كلّ مَن وجدوا من بنى جَبَلَة[٦] .قال : فرّ أهل اليمن فى نواحى دون كِندة معذِّرة[٧] ، فبلغ ذلك زياداً ، فأثنى على مذحِج وهَمْدانَ وذمّ سائرَ أهل اليمن . وإنّ حُجرا لما انتهى إلى داره فنظر إلى قلّة مَنْ معه من قومه ، وبلغه[٨] أنّ مذحِج وهَمْدان نزلوا[٨] جبّانة كندة وسائر أهل اليمن جبّانة الصائديّين قال لأصحابه : انصرفوا فوالله مالكم طاقةٌ بمن قد اجتمع عليكم من قومكم ، وما أحبّ أن أعرِّضكم للهلاك ؛ فذهبوا لينصرفوا ، فلحقتْهم

١٢٣/٢

(١) ابن الأثير : « الصائدين » ، الأغانى : « الصيداويين » .
(٢) الأغانى ١٦ : ٤ (ساسى) .
(٣ — ٣) الأغانى : « أن تلبثوا قليلا حتى تكفيكم عجلة فى شباب مذحج وهمدان ما تكرهون أن يكون من مساءة قومكم فى صاحبكم » .
(٤) أى قصر الوقت الذى يتسع للفظ « لا » ، و « لا » .
(٥) الأغانى : « شباب مذحج » .
(٦) الأغانى : « فى بنى بجيلة » .
(٧) الأغانى : « معذرين » .
(٨ — ٨) س : « نزل مذحج وهمدان » .

أوائلُ خيل مذحِج وهَمْدان . فعطف عليهم عمير بن يزيد وقيس بن يزيد وعبيدة بن عمرو البدِىّ وعبد الرحمن بن مُحرِز الطَّمحىّ وقيس ابن شِمر ، فتقاتلوا معهم ، فقاتلوا عنه ساعة فجرحوا ، وأسِر قيس بن يزيد ، وأفلت سائر القوم ، فقال لهم حجر : لا أبًا لكم ! تفرّقوا لا تقاتلوا[1] فإنى آخُذُ فى بعض السِّكك[2] . ثم آخذ طريقًا نحوَ بنى حرب ، فسار حتى انتهى إلى دارِ رجل منهم يقال له سليم بن يزيد ، فدخل دارَه ، وجاء القومُ فى طلبه حتى انتهوا إلى تلك الدار ، فأخذ سليم بن يزيد سيفَه ، ثم ذهب ليخرج إليهم ، فبكتْ بناتُه ؛ فقال له حُجْر : ما تريد ؟ قال : أريد والله أسألهم أن ينصرفوا عنك ، فإن فعلوا وإلا ضاربتُهم بسيفى هذا ما ثبتَ قائمُه فى يدى دونك ؛ فقال حُجر : لا أبا لغيرك ! بئس ما دخلتَ به إذاً على بناتك ! قال : إنّى والله ما أمُونُهن ، ولا رزقُهنّ إلا على الحىّ الذى لا يموت ؛ ولا أشترى العارَ بشىء أبداً ، ولا تخرج من دارى أسيراً أبداً وأنا حىّ أملك قائمَ سيفى ، فإنْ قتِلتُ دونك فاصنع ما بدا لك . قال حُجر : أما فى دارك هذه حائط أقتحمه ، أو خَوْخة[3] أخرج منها ، عسى أن يسلمنى الله عزّ وجلّ منهم ويسلّمك ، فإذا القوم لم يَقدِروا علىّ عندك لم يضروك ! قال : بلى هذه خَوْخة تخرجك إلى دور بنى العنبر وإلى غيرهم من قومك ، فخرج حتى مرّ ببنى ذُهْل ، فقالوا له : مرّ القومُ آنفًا فى طلبك يقفُون أثرَك . فقال : منهم أهرُب ؛ قال : فخرج ومعه فِتْية منهم يتقصَّوْن[4] به الطريق ، ويسلُكون به الأزقّة حتى أفضَى إلى النَّخَع ، فقال لهم عند ذلك : انصرِفوا رحمكم الله ! فانصرَفوا عنه ، وأقبل إلى دار عبد الله بن الحارث أخى الأشتر فدخلها ، فإنّه لكذلك قد ألقِى له الفُرُش عبدُ الله ، وبسط له البُسُط ، وتلقّاه ببَسْط الوجه ، وحُسن البِشْر ، إذ أتى فقيل له : إنّ الشُّرَط تسأل عنك فى النَّخَع — وذلك أنّ أمةً سوداء يقال لها : أدماء ، لقيتْهم ، فقالت : مَنْ تطلبون ؟

١٢٤/٢

(١) الأغانى : « لا تقتتلوا » .

(٢) الأغانى : « الطرق » .

(٣) الخوخة : باب صغير فى باب كبير .

(٤) الأغانى : « يقصون » .

قالوا : نطلب حُجْراً ؛ قالت : ها هو ذا قد رأيتُه فى النَّخَع ، فانصرَفوا نحو النَّخَع – فخرج من عند عبد الله متنكِّراً ، ورَكِب معه عبدُ الله بنُ الحارث ليلا حتى أتى دارَ ربيعة بن ناجد الأزدىّ فى الأزْد ، فنزلها يوماً وليلة ، فلما أعجزَهم أن يقدروا عليه دعا زياد بمحمد بن الأشعث فقال له : يا أبا مَيْثاء ، أما والله لتأتينّى بحُجْر أو لا أدَع لك نخلةً إلا قطعتُها ، ولا داراً إلا هدمتها ثم لا تسلَم منى حتى أقطِّعَك إرْباً إرْباً ؛ قال : أمهِلنى حتى أطلبه ؛ قال : قد أمهلتك ثلاثاً ، فإن جئتَ به وإلا عُدّ نفسك مع الهَلْكَى . وأخرِج محمد نحو السجن منتقع اللون يُتَلّ تلاًّ عنيفاً[1] ، فقال حُجر بن يزيد الكندىّ لزياد : ضَمِّنّيه وخلّ سبيلَه يطلب صاحبه ؛ فإنه مخلًّى سَرْبُه أحْرى أن يقدر عليه منه إذا كان محبوساً . فقال أتضْمنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أما والله لئن حاصَ عنك لأزيرنّك شَعوب[2] ، وإن كنت الآن علىّ كريماً . قال : إنه لا يفعل ، فخلّى سبيله .

١٢٥/٢

ثمّ إن حُجر بن يزيد كلمه فى قيس بن يزيد ، وقد أُتِىَ به أسيراً ، فقال لهم : ما على قيس بأس ، قد عرفْنا رأيَه فى عثمان ، وبلاءَه يومَ صفّين مع أمير المؤمنين ، ثم أرسل إليه فأتِىَ به ، فقال له : إنى قد علمتُ أنك لم تقاتل مع حُجْر ؛ أنك ترى رأيَه ، ولكن قاتلتَ معه حميّة قد غفرتُها لك لما أعلَم من حُسن رأيك ، وحُسن بلائك ؛ ولكن لن أدعَك حتى تأتيَنى بأخيك عمير ؛ قال : أجيئك به إن شاء الله ؛ قال : فهاتِ من يضْمَنُه لى معك ، قال : هذا حُجر بن يزيد يضْمنه لك معى ؛ قال حُجْر بن يزيد : نعم أضمنه لك ، على أن تؤمّنه على ماله ودمه ، قال : ذلك لك ، فانطلَقا فأتيا به وهو جريح ، فأمرَ به فأوقِر حديداً ، ثم أخذتْه الرجال ترفعه ، حتى إذا بلغ سُرَرَها ألقَوْه ، فوقع على الأرض ، ثم رفعوه وألقوه ، ففعلوا به ذلك مِراراً ، فقام إليه حُجر بن يزيدَ فقال : ألم تؤمّنه على ماله ودمه أصلحك الله ! قال : بلى ، قد آمنته على ماله ودمه ، ولست أهريق له دماً ، ولا آخذ

---

(١) يتل : يشد .

(٢) حاص : عدل وعاد ، وشعوب اسم المنية .

له مالاً . قال : أصلحك الله ! يُشفَى به على الموت ؛ ودنا منه وقامَ من كان عنده من أهل اليمن ، فدنَوا منه وكلّموه ، فقال : أتضمنونه لى بنفسه ، فمتى ما أحدث[1] حدثًا أتيتمونى به ؟ قالوا : نعم ؛ قال : وتضمنون لى أرْش[2] ضربة المسلىّ ، قالوا : ونضمنها ؛ فخلّى سبيلَه .

١٢٦/٢

ومكث حُجر بن عدىّ فى منزل ربيعة بن ناجد الأزدىّ يومًا وليلة ، ثم بعث حُجر إلى محمد بن الأشعث غلامًا له يدعى رشيداً من أهل إصبهان : إنه قد بلغنى ما استقبلك به هذا الجبّار العنيد ، فلا يهولنّك شىء من أمره ، فإنّى خارج إليك ، أجمع نفراً من قومك ثم أدخل عليه فأسأله أن يؤمّنَنى حتى يبعث بى إلى معاوية فيرى فىّ رأيه .

فخرج ابن الأشعث إلى حُجْر بن يزيد وإلى جرير بن عبد الله وإلى عبد الله بن الحارث أخى الأشتر ، فأتاهم فدخلوا إلى زياد فكلّموه وطلبوا إليه أن يؤمّنه حتى يبعث به إلى معاوية فيرى فيه رأيه ، ففعل ، فبعثوا إليه رسوله ذلك يعلمونه أن قد أخذْنا الذى تسأل ، وأمروه أن يأتى ؛ فأقبل حتى دخل على زياد فقال زياد : مرحبًا بك أبا عبد الرحمن ! حرب فى أيام الحرب ، وحربٌ وقد سالم الناس ! على أهلها تَجنِى بَراقِش[3] . قال : ما خالعت[4] طاعة ، ولا فارقت جماعة ، وإنى لَعلى بيعتى ؛ فقال : هيهات هيهات يا حُجر ! تَشُجّ بيد وتأسو بأخرى ، وتريد إذ أمكنَن الله منك أن نرضى ! كلاّ والله . قال : ألم تؤمّنّى حتى آتىَ معاوية فيرى فىّ رأيه ! قال : بلى قد فعلْنا ، انطلقوا به إلى السجن ، فلما قُفّىَ به من عنده قال زياد : أما والله لولا أمانُه[5] ما برح أو يلفظ مهجة نفسه[6] .

١٢٧/٢

قال هشام بنُ عروة : حدّثنى عوانة ، قال : قال زياد : والله لأحرِصنّ على قطع خيط رقبته .

قال هشام بن محمد ؛ عن أبى مخنف ، وحدثنى المجالد بن سعيد ، عن

---

(١) الأغانى : « متى أحدث » . (٢) الأرش : دية الجراحات .
(٣) براقش : اسم كلبة دلت بنباحها قوماً على أربابها فهلكوا .
(٤) الأغانى : « خالعت » . (٥) فى الأغانى : « الأمانة » .
(٦) الأغانى : « ما برح حتى يلقى عصبه » ؛ والخبر فى ١٦ : ٤ ، ٥ (ساسى) .

الشعبيّ وزكرياء بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق؛ أنّ حُجرًا لما قُفِّيَ به من عند زياد نادَى بأعلى صوْته: اللهمّ إنّي على بيْعتي، لا أقيلُها ولا أستقيلُها، سماعَ اللهِ والناس. وكان عليه بُرنُس في غداة باردة، فحبس عشرَ ليال، وزيادٌ ليس له عمل[1] إلا طلب رؤساء أصحاب حُجر، فخرج عَمرو بن الحَمِق ورفاعة بن شدّاد حتى نزلا المدائن، ثم ارتَحلا حتى أتيا أرضَ الموصل، فأتيا جبلا فكَمَنا فيه، وبلغ عاملَ ذلك الرّستاق[2] أنّ رجلين قد كَمِنا في جانب الجبل، فاستنكر شأنهما - وهو رجل من هَمْدان يقال له عبد الله بن أبي بَلْتعة - فسار إليهما في الخيل نحو الجبل ومعه أهل البلد، فلما انتهى إليهما خرجا، فأما عمرو بن الحَمِق فكان مريضًا، وكان بطنُه قد سَقَى[3]، فلم يكن عنده امتناع؛ وأما رفاعة بن شدّاد -وكان شابًّا قويًّا- فوثب على فرس له جواد، فقال له: أقاتل عنك؟ قال: وما ينفعني أن تقاتل! انجُ بنفسك إن استطعتَ، فحمل عليهم، فأفرجوا له، فخرج تنفِر[4] به فرسُه، وخرجت الخيلُ في طلبه - وكان راميًا - فأخذ لا يلحقه فارسٌ إلا رماه فجرحه أو عقَره، فانصرفوا عنه، وأخذ عمرو بن الحَمِق، فسألوه: مَن أنت؟ فقال: مَن إن تركتموه كان أسلَم لكم، وإن قتلتموه كان أضرَّ لكم؛ فسألوه: فأبَى أن يخبرهم، فبعث به ابن أبي بَلْتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفيّ - فلما رأى عَمرو بن الحَمِق عرَفه، وكتب إلى معاوية بخبره، فكتب إليه معاوية: إنه زعم أنه طعن عثمانَ ابن عفّان تسع طعَنات بمَشاقصَ كانت معه، وإنا لا نريد أن نعتدىَ عليه، فاطعنه تسعَ طعَنات كما طعن عثمان، فأُخرِج فطُعِن تسعَ طعَنات، فمات في الأولى منهنّ أو الثانية[5].

١٢٨/٢

---

(١) الأغانى: «ما له عمل».

(٢) الرستاق؛ يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن.

(٣) الأغانى: «استسقى»، والسقى والاستسقاء: ماء أصفر يقع في البطن عن مرض.

(٤) س: «تنقر».

(٥) الأغانى ١٦: ٥؛ وزاد في آخره: «وبعث برأسه إلى معاوية؛ فكان رأسه أول رأس حمل في الإسلام.

قال أبو مخنف : وحدّثنى المجالد ، عن الشعبىّ وزكرياء بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق[١] . قال : وجّه زياد فى طلب أصحاب حُجر، فأخذوا يَهرُبون منه ، ويأخذ من قَدَر عليه منهم ، فبعث إلى قَبيصة بن ضُبَيعة بن حَرْملة العبسىّ صاحب الشُّرْطة — وهو شدّاد بن الهيثم — فدعا قَبيصة فى قومه ، وأخذ سيفَه ، فأتاه رِبعىّ بن خِراش بن جَحْش العبسىّ ورجال من قومه ليسوا بالكثير ، فأراد أن يقاتل ، فقال له صاحب الشُّرْطة : أنت آمن على دمك ومالك ، فلِمَ تقتل نفسك ؟ فقال له أصحابُه : قد أومِنتَ ، فعَلام تقتل نفسَك وتقتلنا معك! قال : ويحكم ! إنّ هذا الدَّعِىَّ ابنَ العاهرة ، والله لئن وقعتُ فى يده لا أفلت منه أبداً أو يقتلنى ؛ قالوا : كلاّ ، فوضع يَده فى أيديهم ، فأقبَلوا به إلى زياد ، فلما دخلوا عليه قال زياد : وحىّ عَبْس تُعِزّونى على الدّين ، أما والله لأجعلنّ لك شاغلاً عن[٢] تلقيح الفِتَن ، والتوثُّب على الأمراء ؛ قال : إنى لم آتك إلا على الأمان ؛ قال : انطلقوا به إلى السجن ، وجاء قيس بن عباد الشيبانىّ إلى زياد فقال له : إنّ امرأً منّا من بنى همام يقال له : صيفىّ بن فَسيل[٣] من رءوس أصحاب حُجْر ، وهو أشدّ الناس عليك ، فبعث إليه زياد ، فأتِىَ به ، فقال له زياد : يا عدوّ الله ، ما تقول فى أبى تراب ؟ قال : ما أعرف أبا تراب ؛ قال : ما أعرَفَك به ! قال : ما أعرفه ، قال : أما تعرف علىّ بنَ أبى طالب ؟ قال : بلى ، قال : فذاك أبو تراب ، قال : كلاّ ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشُّرْطة : يقول لك الأمير : هو أبو تُراب ، وتقول أنتَ : لا! قال : وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهدَ له على باطل كما شهد! قال له زياد : وهذا أيضًا مع ذنبك ! علىَّ بالعصا ، فأتِى بها ، فقال : ما قولك [فى علىّ ؟][٤] ، قال : أحسن قول أنا قائله فى عبد من عباد[٥] الله [أقوله فى] المؤمنين ، قال : اضربوا عاتِقه بالعصا

١٢٩/٢

---

(١) ط : « ابن إسحاق »
(٢) س ، ف : « من » .
(٣) س ، ف : « فسل » .
(٤) من الأغانى .
(٥) الأغانى : « عبيد » .

حتّى يلصق بالأرض ، فضرب حتّى لزمَ الأرض . ثمّ قال : أقلِعوا عنه ، إيهٍ ، ما قولُك فى علىّ[1] ؟ قال : والله لو شرّحتَنى بالمواسى[2] والمُدَى ما قلتُ إلاّ ما سمعتَ[3] منّى ؛ قال لتلعَننّه أو لأضربنّ عنقكَ ؛ قال : إذاً تضربها والله قبل ذلك ،[4] فإن أبيتَ إلا أن تضربَها رضيتُ بالله ، وشقيتَ أنت[4] ؛ قال : ادفعوا فى رقبته ، ثم قال : أوقِروه حديداً ، وألقُوه فى السجن .

ثم بعث إلى عبد الله بن خليفة الطائىّ — وكان شهد مع حُجْر وقاتَلهم قتالاً شديداً — فبعث إليه زيادٌ بُكَيرَ بن حُمران الأحمرىّ — وكان تبيعَ العمّال — فبعثه فى أناس من أصحابه ، فأقبلوا فى طلبه فوجدوه فى مسجد عدىّ بن حاتم ، فأخرجوه ، فلما أرادوا أن يذهبوا به — وكان عزيز النفس — امتنعَ منهم فحارَبهم وقاتلهم ، فشجّوه ورَمَوْه بالحجارة حتّى سقط ، فنادتْ مَيْثاء أخته : يامعشرَ طيّئ ، أتسلّمون ابنَ خليفة لِسانَكم وسِنانَكم[5] !

٢/١٢٠

فلما سمع الأحمرىّ نداءها خشىَ أن تجتمع طيّئ فيهلك ؛ فهرب وخرج نسوةٌ من طيّئ فأدخلنَه داراً ، وينطلق الأحمرىّ حتى أتى زياداً ، فقال : إنّ طيّئاً اجتمعتْ إلىّ فلم أطِقهم ، فأتيتك ، فبعث زيادٌ إلى عدىّ — وكان فى المسجد — فحبسه وقال : جئنى به — وقد أخبر عدىّ بخبر عبد الله — فقال عدىّ : كيف آتيك برجل قد قتَله القوم ؟ قال : جئْنى حتى أرى أن قد قتلوه ، فاعتلّ له وقال : لا أدرى أين هو ، ولا ما فعل ! فحبسه ، فلم يبق رجلٌ من أهل المِصْر من أهل اليَمَن وربيعة ومضرَ إلا فزع لعدىّ ، فأتَوا زياداً فكلّموه فيه ، وأخرج عبد الله فتغيّب فى بُحتُر ، فأرسل إلى عدىّ : إن شئتَ أن أخرجَ حتى أضع يَدى فى يدِك فعلتُ ؛ فبعث إليه عدىّ : والله لو كنت تحتَ قدمىَّ ما رفعتُهما عنك . فدعا زياد عديّاً ، فقال له : إنى أخلّى سبيلَك على أن تجعل

(١) الأغانى : « فيه » .
(٢) الأغانى : « بالمدى والمراس » .
(٣) الأغانى : « ما زلت عما سمعت » .
(٤ — ٤) الأغانى : « فأسعد وتشق إن شاء الله » .
(٥) الخبر إلى هنا فى الأغانى ١٦ : ٦ مع اختلاف فى الرواية .

لى لِتنفيَـه من الكوفة ، ولتسيرَ به إلى الجبلين ؛ قال : نعم ، فرجع وأرسل إلى عبد الله بن خليفة : اخـْرج ، فلو قد سكن غضبه لكلّمته فيك حتى ترجع إن شاء الله ؛ فخرج إلى الجبلين .

وأُتِيَ زياد بكريم بن عفيف الخثعميّ فقال: ما اسمك ؟ قال : أنا كريم ابن عفيف ؛ قال : وَيحْك ، أو وَيلك ! ما أحسن اسمَك واسمَ أبيك ، وأسوأ عَمَلَك ورأيَك! قال: أما والله إنّ عهدك برأيى لمنذ قريب[1]، ثم بعث ٢/١٣١ زيادٌ إلى أصحاب حُجْر حتى جمع اثنى عشر رجلاً فى السجن . ثم إنه دعا رءوسَ الأرباع ، فقال: اشهَدوا على حُجْر بما رأيتم منه — وكان رءوس الأرباع يومئذ: عَمرو بن حُرَيث على رُبْع أهل المدينة ، وخالد بن عُرْفطة على رُبْع تميم وهَمْدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على رُبع ربيعة وكِنْدة ، وأبو بُرْدة بن أبى موسى على مَذْحِج وأسد — فشهد هؤلاء الأربعةُ أنّ حُجْرًا جمع إليه الجموع ، وأظهر شتمَ الخليفة ، ودعا إلى حرب أمير المؤمنين ؛ وزعم أن هذا الأمر لا يَصلح إلا فى آل أبى طالب ، ووثب بالمصْر وأخرج عاملَ أمير المؤمنين ، وأظهر عذرَ أبى تراب والترحّم عليه ، والبراءة من عدوّه وأهل حربه ، وأنّ هؤلاء النفر الذين معه هم رءوس أصحابه ، وعلى مِثل رأيه وأمره . ثم أمر بهم ليخرجوا ، فأتاه قيس بن الوليد فقال : إنه قد بلغنى أنّ هؤلاء إذا خرِج بهم عَرَض لهم. فبعث زياد إلى الكُناسة فابتاع إبلاً صِعابًا ، فشدّ عليها المحامِل ، ثم حملهم عليها فى الرَّحَبة أوّل النهار ، حتى إذا كان العشاء قال زياد : مَن شاء فليعرِض ، فلم يتحرّك من الناس أحد ، ونظر زياد فى شهادة الشهود فقال : ما أظنّ هذه الشهادةَ قاطعة ، وإنى لأحبّ أن يكون الشهود أكثرَ من أربعة[2] .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحارث بن حُصَيرة ، عن أبى الكَنُود — وهو ٢/١٣٢ عبد الرحمن بن عبيد — وأبو مخنف ، عن عبد الرحمن بن جندب وسليمان بن أبى راشد ، عن أبى الكنود بأسماء هؤلاء الشهود :

---

(١) س : « لقريب » .
(٢) الأغانى ١٦ : ٧ (ساسى) .

بسمِ الله الرّحمن الرّحيم . هذا ما شَهِد عليه أبو بُرْدة بن أبى موسى لله ربّ العالمين ؛ شهد أنّ حُجرَ بنَ عدىّ خلعَ الطاعة ، وفارَق الجماعة ، ولعن الخليفة ، ودعا إلى الحرب والفتنة ، وجمع إليه الجموعَ يدعوهم إلى نَكْث البيعة وخَلْعِ أمير المؤمنين معاوية ، وكفرَ بالله عزّ وجلّ كَفْرةً صَلْعاء .

فقال زياد : على مِثل هذه الشهادة فاشهدوا ، أما والله لأجْهَدنّ على قطع خيط عنق الخائن الأحمق ، فشَهِد رءوس الأرباع [الثلاثة الآخرون][1] على مِثل شهادته — وكانوا أربعة — ثم إنّ زياداً دعا الناس فقال : اِشهَدوا على مثل شهادة رءوس الأرباع . فقرأ عليهم الكتاب ، فقام أوّل الناس عناق بن شُرَحبيل بن أبى دَهم التيمىّ تيم الله بن ثعلبة ، فقال : بيّنوا اسمى ، فقال زياد : ابدءوا بأسامى قريش ، ثمّ اكتبوا اسمَ عناق فى الشهود ، ومَنْ نعرفه ويعرفه أمير المؤمنين بالنّصيحة والاستقامة . فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله ، وموسى بن طلحة ، وإسماعيل بن طلحة ابن عبيد الله ، والمنذر بن الزبير ، وعُمارة بن عُقْبة بن أبى مُعَيْط ، وعبدالرحمن ابن هنّاد ، وعمر بن سعد بن أبى وقّاص ، وعامر بن مسعود بن أميّة بن خلف ، ومحرز بن جارية بن ربيعة بن عبد العزّى بن عبد شمس ، وعبيد الله بن مسلم ابن شعبة الحضرمىّ ، وعناق بن شُرحبيل بن أبى دَهْم ، ووائل بن حُجْر الحضرمىّ ، وكَثير بن شهاب بن حصين الحارثىّ ، وقَطَن بن عبد الله بن حُصين ، والسرىّ بن وقّاص الحارثىّ — وكتب شهادَته وهو غائب فى عمله — والسائب بن الأقرع الثقفىّ ، وشَبث[2] بن رِبْعىّ ، وعبد الله بن أبى عقيل الثقفىّ ، ومَصقَلة بن هبيرة الشيبانىّ ، والقعقاع بن شور الذهلىّ ، وشدّاد بن المنذر بن الحارث بن وَعْلة الذّهلىّ — وكان يدعى ابن بُزَيعة ، فقال : ما لهذا أبٌ ينسب إليه ! ألقوا هذا من الشهود ، فقيل له : إنه أخو الحضَين ، وهو ابن المنذر ؛ قال : فانسبوه إلى أبيه ، فنُسب إلى أبيه ، فبلغتْ شدّاداً ، فقال : وَيْلى على ابن الزانية ! أوَليست أمّه أعرَفَ من أبيه ! واللهِ

١٢٣/٢

---

(١) من الأغانى . (٢) كذا فى الأغانى ، وفى ط : « شبيب » .

ما ينسب إلاّ إلى أمّه سميّة . وحَجّار بن أبجر العجليّ فغضبتْ ربيعة على هؤلاء الشهود الذين شهدوا من ربيعة وقالوا لهم : شهدتم على أوليائنا وحلفائنا ! فقالوا : ما نحن إلا من الناس ، وقد شهد عليهم ناس من قومهم كثير — وعمرو بن الحجاج الزّبيديّ ولبيد بن عُطارد التميميّ ، ومحمد بن عُمَيْر بن عطارد التّميميّ ، وسُوَيد بن عبد الرحمن التميميّ من بنى سعد ، وأسماء بن خارجة الفَزاريّ — كان يعتذر من أمره — وشمِر بن ذى الجَوْشن العامريّ ، وشدّاد ومَرْوان ابنا الهيثم الهلاليّان ، ومحفِّز بن ثعلبة من عائذة قريش ، والهيثم بن الأسود النخعيّ — وكان يعتذر إليهم — وعبد الرحمن بن قيس الأسديّ ، والحارث وشداد ابنا الأزمع الهَمْدانيّان ، ثم الوادعيّان ، وكُرَيب بن سلمة بن يزيد الجعفيّ ، وعبد الرحمن بن أبى سَبْرة الجُعفيّ ، وزَحْر بن قيس الجُعفيّ ، وقُدامة بن العَجْلان الأزْديّ وعَزْرة بن عَزْرة الأحمسيّ — ودعا المختار بن أبى عُبيد وعُرْوة بن المغيرة بن شعبة ليَشهَدوا عليه ، فراغَا — وعمر بن قيس ذى اللحية وهانئ بن أبى حية الوادعيّان .

٢/١٣٤

فشهد عليه سبعون رجلاً ، فقال زياد : ألقُوهم إلا من قد عُرِف بحسَب وصَلاح فى دِينه ، فألقَوا حتى صُيِّرُوا إلى هذه العدّة ، وألقيتْ شهادة عبد الله بن الحجّاج الثعلبيّ ، وكتِبتْ شهادة هؤلاء الشهود فى صحيفة ، ثم دفعها إلى وائل بن حُجْر الحضرميّ وكثير بن شهاب الحارثيّ ، وبعثهما عليهم ، وأمرهما أن يخرجا بهم . وكتب فى الشهود شُريح ابن الحارث القاضى وشُريح بن هانئ الحارثيّ ؛ فأما شريح فقال : سألنى عنه ، فأخبرتُه أنه كان صوّامًا قوّامًا ، وأما شريح بن هانئ الحارثيّ فكان يقول : ما شهدتُ ، ولقد بلغنى أن قد كتبتْ شهادتى ، فأكذبته ولُمْتُه ، وجاء وائل بن حُجْر وكَثِير بن شهاب فأخرج القوم عشيّة ، وسار معهم صاحبُ الشرطة حتى أخرجهم من الكوفة .

فلما انتَهوا إلى جبّانة عَرْزَم[1] نظر قَبيصة بن ضُبَيعة العبسيّ إلى داره وهى فى جبّانة عرْزم ، فإذا بناتُه مشرِفات ، فقال لوائل وكَثير : ائْذنَا لى فأوصِي أهلى ، فأذِنا له ، فلمّا دنا منهنّ وهنّ يبكين ، سكت عنهنّ ساعة ثم

(١) الأغانى ١٧ : ١٤٥ : « عزدم » .

قال : اسكتْنَ ؛ فسكتْن ، فقال : اتَّقين اللهَ عزّ وجلّ ، واصبرْن ، فإنى أرجو من ربىّ فى وجهى هذا إحدى الحُسْنَيَين : إمّا الشهادة ، وهى السعادة ؛ وإما الانصراف إليكنّ فى عافية ، وإن الذى كان يرزُقكُنّ ويكفينى مؤونتكُنّ هو الله تعالى — وهو حىّ لا يموت — أرجو ألّا يضيّعكُنّ وأن يحفظنى فيكنّ ثم انصرف فمرّ بقومه ، فجعل القومُ يدعون اللهَ له بالعافية ، فقال : إنه لمِمّا يعدل عندى خطرَ ما أنا فيه هلاكُ قومى . يقول : حيث لا ينصروننى ، وكان رجا أن يتخلّصوه . ١٣٥/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى النضر بن صالح العبسىّ ، عن عبيد الله بن الحرّ الجعفى ، قال : والله إنى لواقف عند باب السرىّ بن أبى وقّاص حين مرّوا بحُجر وأصحابه ، قال : فقلتُ : ألا عشرة رَهْط أستنقذ بهم هؤلاء ! ألاَ خمسة ! قال : فجعل يتلهّف ، قال : فلم يجبنى أحدٌ من الناس ؛ قال : فمضَوا بهم حتى انتهوا بهم إلى الغَريّيْن ، فلحقهم شُريح بن هانئ معه كتاب ، فقال لكثير : بلّغ كتابى هذا إلى أمير المؤمنين ، قال : ما فيه ؟ قال : لا تسألْنى فيه حاجتى ؛ فأبى كثير وقال : ما أحبّ أن آتىَ أميرَ المؤمنين بكتاب لا أدرى ما فيه ، وعسى ألّا يوافقه ! فأتى به وائلَ بن حُجْر فقبِله منه . ثم مضَوا بهم حتى انتهَوا بهم إلى مَرْج عَذْراء ، وبينها وبين دمشقَ اثنا عشر ميلاً .

* * *

تسمية الذين بعث بهم إلى معاوية

حُجر بن عدىّ بن جَبَلة الكندىّ ، والأرقم بن عبد الله الكندىّ من بنى الأرقم ، وشريك بن شدّاد الحضرمىّ ، وصيفىّ بن فسيل ، وقَبيصة بن ضبيعة بن حرملة العبسىّ ، وكريم بن عفيف الخثعمىّ ، من بنى عامر بن شهران ثم من قحافة ، وعاصم بن عوف البَجَلىّ ، وورقاء بن سُمَىّ البَجَلىّ ، وكدام بن حيّان ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزيّان من بنى هُمَيم ، ومحرز بن شهاب التميمىّ من بنى مِنْقَر ، وعبد الله بن حَوِيّة السعدىّ من ١٣٦/٢

بنى تميم ؛ فمضَوا بهم حتى نزلوا مرْجَ عذراء ، فحُبسوا بها . ثم إنّ زياداً أتبعهم برجلين آخرَين مع عامر بن الأسوَد العِجْلىّ ؛ بعتبة بن الأخنس من بنى سعد بن بكر بنِ هوازن ، وسعيد بن نمران الهمْدانىّ ثم الناعطىّ ، فتمّوا أربعة عشر رجلاً ، فبعث معاوية إلى وائل بن حُجر وكَثير بن شهاب فأدخلهما ، وفضّ كتابهما ، فقرأه على أهل الشام ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعبد الله معاويةَ أمير المؤمنين من زياد بن أبى سُفْيان . أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بَغَى عليه . إن طواغيتَ من هذه الترابيّة[1] السبئيّة ، رأسهم حُجْر بن عدىّ خالَفوا أميرَ المؤمنين ، وفارَقوا جماعةَ المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرَنا الله عليهم ، وأمكننا منهم ، وقد دعوتُ خيارَ أهل المِصر وأشرافهم وذوى السنّ والدين منهم ، فشهدوا عليهم بما رأوا وعملوا ، وقد بعثتُ بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادةَ صلحاء أهلِ المِصْر وخيارهم فى أسفل كتابى هذا .

١٣٧/٢

فلما قرأ الكتابَ وشهادةَ الشهود عليهم ،قال: ماذا ترَوْن فى هؤلاء النَّفر الذين شهد عليهم قومُهم بما تستمعون ؟ فقال له يزيد بن أسد البَجَلىّ : أرَى أن تفرّقهم فى قُرَى الشام فيكفيكَهم طواغيتُها .

ودفَع وائل بن حُجر كتابَ شُريح بن هانئ إلى معاوية ، فقرأه فإذا فيه :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، لعبد الله معاوية أميرِ المؤمنين منشُريح بن هانئ أما بعد ؛ فإنه بلغنى أنّ زياداً كتب إليك بشهادتى على حُجْر بن عدىّ ، وأن شهادتى على حُجْر أنه ممن يقيم الصلاة ، ويؤتى الزكاة ، ويديم الحجّ والعمرة ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، حرام الدّم والمال ، فإن شئتَ فاقتله ، وإن شئت فدَعْه . فقرأ كتابَه على وائل بن حُجْر وكَثير ، فقال : ما أرى هذا إلا قد أخرج نفسَه من شهادتكم .

فحبس القوم بمَرْج عذراء ، وكتب معاوية إلى زياد : أما بعد ، فقد فهمتُ ما اقتصصتَ به من أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قِبَلك عليهم ، فنظرتُ فى ذلك ، فأحياناً أرى قتلهم أفضل من تركهم ،

---

(١) الترابية ، أى المنتسبون إلى أبى تراب ، كنية أمير المؤمنين على بن أبى طالب .

وأحياناً أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم . والسلام .

فكتب إليه زيادٌ مع يزيد بن حُجيّة بن ربيعة التيميّ : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت رأيك فى حُجْر وأصحابه ، فعجبت لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شهد عليهم بما قد سمعت مَن هو أعلم بهم ، فإن كانت لك حاجةٌ فى هذا المِصْر فلا تَرُدَّنّ حجراً وأصحابه إلىّ .

فأقبل يزيد بن حُجَيّة حتى مرّ بهم بعذراء . فقال : يا هؤلاء ، أما والله ١٣٨/٢ ما أرى براءتكم ، ولقد جئتُ بكتاب فيه الذّبح ، فمُرُونى بما أحببتم مما ترون أنه لكم نافع أعمل به لكم وأنطِق به . فقال حُجر : أبلغ معاوية أنّا على بيعتنا ، لا نَستقيلها ولا نُقيلها ، وأنه إنما شهد علينا الأعداء والأظِنّاء . فقدم يزيدُ بالكتاب إلى معاويةَ فقرأه ، وبلّغه يزيد مقالةَ حُجْر ؛ فقال معاوية : زياد أصدق عندنا من حُجْر ؛ فقال عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفىّ – ويقال : عثمان بن عمير الثقفىّ : جُذاذها جُذاذها[1] ؛ فقال له معاوية : لا تَعَنّ أبْراً[2] . فخرج أهلُ الشأم ولا يدرون ما قال معاوية وعبد الرحمن ، فأتَوا النعمانَ بن بشير فقالوا له مقالة ابنِ أمّ الحكم ، فقال النّعمان : قتل القوم ، وأقبل عامر بن الأسوَد العجلىّ وهو بعذراء يريد معاويةَ ليُعلِمه عِلمَ الرجلين اللّذَين بعَث بهما زياد ، فلما ولّى ليمضى قام إليه حُجر بن عدىّ يَرْسُف فى القيود ، فقال : يا عامر ، اسمع منى ، أبلِغْ معاويةَ أنّ دماءنا عليه حرام ، وأخبره أنا قد أومِنّا وصالَحناه ، فليتق الله ، ولينظر فى أمرنا . فقال له نحواً من هذا الكلام ، فأعاد عليه حُجْر مراراً ، فكان الآخر عرّض ، فقال قد فهمت لك – أكثرت ، فقال له حُجْر : إنّى ما سمعْت بعيب ، وعلى أيّةٍ تلوم ! إنك والله تُحبَى وتُعطَى ، وإن حُجراً يُقَدّمُ ويقتل ، فلا ألومك أن تستثقل كلامى ، اذهب عنك ، فكأنه استحيا ، فقال : لا والله ما ذلك بى ، ولأبلغنّ ولأجهَدنّ ، وكأنه يزعم أنه ١٣٩/٢ قد فعل ، وأنّ الآخر أبى .

---

(١) الجذاذ بالفتح : فصل الشىء عن الشىء . والجذاذ بالضمّ : المقطّع والمكسّر . قال تعالى : ﴿ فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم ﴾ .

(٢) يريد : لا تتجشم إصلاحاً . والأبر : إصلاح النخل . (٣) ط : « على أنه يلوم » .

فدخل عامر على معاوية فأخبره بأمر الرّجلين . قال : وقام يزيد بن أسد البجَلى فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لى ابنَىْ عمّى — وقد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما : إنّ امرأيْن من قومى من أهل الجماعة والرأى الحسن ، سعَى بهما ساعٍ ظَنين إلى زياد ، فبعث بهما فى النّفر الكوفيّين الذين وجّه بهم زياد إلى أمير المؤمنين وهما ممن لا يُحدِث حدَثًا فى الإسلام ولا بغيًا على الخليفة ، فلينفعهما ذلك عند أمير المؤمنين — فلما سألهما يزيدُ ذكرَ معاوية كتاب جرير ، فقال : قد كتب إلىّ ابنُ عمّك فيهما جرير ، محسنًا عليهما الثناء ، وهو أهلٌ أن يصدَّق قولُه ، وتُقبل نصيحتُه ، وقد سألتَنى ابنَىْ عمك ، فهُما لك. وطلب وائل بن حُجْر فى الأرقم فتركه له ، وطلب أبو الأعور السُّلمىّ فى عُتْبة بن الأخنس فوهبه له ، وطلب حُمرة[1] بن مالك الهمْدانىّ فى سعيد ابن نمران الهمْدانىّ فوهبه له ، وكلّمه حبيب بن مسلمة فى ابن حَويّة ، فخلّى سبيله .

وقام مالك بن هُبيرة السَّكونىّ ، فقال لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، دَعْ لى ابنَ عمّى حُجْرا ، فقال : إنّ ابن ابن عمّك حُجْرا رأس القوم ، وأخاف إنْ خلّيت سبيلَه أن يُفسد علىّ مِصْرى ، فيضطرنا غداً إلى أن نُشخِصك وأصحابك إليه بالعراق . فقال له : والله ما أنصفتَنى يا معاوية ، قاتلتُ معك ابن عمك فتلقّانى منهم يومٌ كيوم صِفّين ، حتى ظفرتْ كفّك ، وعلا كعبُك ولم تَخَف الدوائر ، ثم سألتُك ابنَ عمى فسطوتَ وبسطت[2] من القول بما[3] لا أنتفع به ؛ وتخوّفت فيما زعمت عاقبة الدوائر ! ثم انصرف فجلس فى بيته ، فبعث معاويةُ هُدبةَ بنَ فيّاض القُضاعىّ من بنى سَلامان بن سعد والحُصين ابن عبد الله الكلابىّ وأبا شريف البدّىّ ، فأتَوْهم عند المساء ، فقال الخثعمىّ حين رأى الأعور مقبلاً : يُقتَل نصفُنا وينجو نصفُنا ؛ فقال سعيد بن نمران : اللهمّ اجعلنى ممّن ينجو وأنت عنى راضٍ ؛ فقال عبد الرحمن بن حسان العَنَزىّ : اللهمّ اجعلنى ممّنْ يُكْرَمُ بهوانِهم وأنت عنّى راضٍ ؛ فطالما

٢/١٤٠

(١) الأغانى : « حمزة » .
(٢) س : « ونشطت » .
(٣) س : « فيما » .

عرّضتُ نفسي للقتل ، فأبى اللهُ إلا ما أراه !

فجاء رسول معاوية إليهم بتخلية ستّة وبقتل ثمانية، فقال لهم رسول معاوية : إنّا قد أمرنا أن نعرض عليكم البراءة من علىّ واللعنَ له، فإن فعلتم تركناكم ، وإن أبيتم قتلناكم ،وإنّ أمير المؤمنين يزعم أنّ دماءكم قد حلّت له بشهادة أهلِ مصْركم عليكم ، غير أنه قد عفا عن ذلك ، فابرءوا من هذا الرجل نُخلِّ سبيلكم . قالوا : اللهمّ إنّا لسنا فاعلِي[1] ذلك . فأمر بقبورهم فحفرتْ ، وأدنيتْ أكفانُهم ، وقاموا الليلَ كلّه يصلّون ، فلما أصبحوا قال أصحاب معاوية : يا هؤلاء ، لقد رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة ، وأحسنتم الدعاء ، فأخبرونا ما قولكم فى عثمان ؟ قالوا : هو أوّل مَن جار فى الحكم ، وعَمِل بغير الحقّ ؛ فقال أصحاب معاوية : أميرُ المؤمنين كان أعلمَ بكم ؛ ثم قاموا إليهم فقالوا : تبرءون من هذا الرجل ! قالوا : بل نتولّاه ونتبرّأ ممن تبرّأ منه ؛ فأخذ كلّ رجل منهم رجلا ليقتله، ووقع قَبيصة بن ضبيعة فى يدىْ أبى شريف البدّى، فقال له قَبيصة : إنّ الشرّ بين قَومى وقومك[2] أمِنٌ ، فليقتلْنى سواك ؛ فقال له : برّتك رَحِم ! فأخذ الحضرمىّ فقتله ، وقتل القضاعىّ قَبيصة بن ضُبَيعة .

١٤١/٢

قال : ثم إنّ حُجراً قال لهم : دعونى أتوضّأ ، قالوا له : توضّأ ، فلما أن توضّأ قال لهم : دعونى أصلّ ركعتين فأيْمُنُ الله ما توضّأت قطّ إلا صلّيت ركعتين ؛ قالوا : لتُصلّ ؛ فصلّى ، ثم انصرف فقال : والله ما صليت صلاةً قطّ أقصرَ منها ، ولولا أن تروْا أن ما بى جَزَع من الموت لأحببتُ أن أستكثرَ منها . ثم قال : اللهمّ إنا نستعديك على أمّتنا ، فإنّ أهل الكوفة شهدوا علينا ، وإن أهل الشأم يقتلوننا ، أما والله لئن قتلتمونى بها إنى لأوّل فارس من المسلمين هلَك فى واديها ، وأوّل رجل من المسلمين نبحتْه كلابها . فمشى إليه الأعور[3] هُدْبة بن فيّاض بالسيف ،فأرعِدت خَصائله[4] ، فقال : كلاّ ، زعمتَ

(١) س : « فاعلين » . (٢) كذا فى س ، وفى ط : « وبين قومك » .

(٣) انظر الأغانى ١٧ : ١٥١ .

(٤) الخصائل : جمع خصيلة ؛ وهى كل عصبة فيها لحم غليظ . قال جرير :

* يَرْهَزُ رَهْزًا يُرعِدُ الخَصَائِلا *

أنك لا تجزع من الموت ؛ فأنا أدَعك فابرأ من صاحبك ، فقال : ما لى لا أجزعُ وأنا أرى قبراً محفوراً ، وكفناً منشوراً ، وسيفاً مشهوراً ؛ وإنى والله إنْ جزعتُ من القتل لا أقول ما يُسخط الرّب . فقتَله ؛ وأقبلوا يقتلونهم واحداً واحداً حتى قتلوا ستة . فقال عبد الرحمن بن حسّان العنَزى وكريم بن عفيف الخثعمىّ : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول فى هذا الرّجل مثلَ مقالته ؛ فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهما ، فبعث إليهم أن آئتونى بهما[1] . ١٤٢/٢

فلما دخلا عليه قال الخثعمىّ : اللهَ اللهَ يا معاوية ، فإنك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسئول عمّا أردت بقتلنا ، وفيمَ سفكت دماءَنا ؛ فقال معاوية : ما تقول فى علىّ ؟ قال : أقول فيه قولك ، قال : أتبرأ من دين علىّ الذى كان يَدينُ اللهَ به ؟ فسكَت ، وكرِه معاوية أن يجيبَه .

وقام شَمِر بن عبد الله من بنى قحافة ، فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هب لى ابن عمّى ؛ قال : هو لك ؛ غير أنى حابسُه شهْراً ، فكان يرسل إليه بين كلّ يومين فيكلمه ، وقال له : إنى لأنْفس بك على العراق أن يكون فيهم مثلك . ثمّ إنّ شَمِرًا عاوده فيه الكلام ؛ فقال : نُمِرُّك على هبة ابن عمك ، فدعاه فخلّى سبيله على ألّا يدخل إلى الكوفة ما كان له سلطان ، فقال : تخيّر أىّ بلاد العرب أحبّ إليك أن أسيّرك إليها ؛ فاختار المَوْصلَ ، فكان يقول : لو قد مات معاوية قدمتُ المِصْر ، فمات قبل معاوية بشهر .

ثم أقبل على عبد الرحمن العنَزىّ فقال : إيهٍ يا أخا ربيعة ! ما قولك فى علىّ ؟ قال ؛ دَعْنى ولا تسألْنى فإنه خيرٌ لك ؛ قال : والله لا أدَعك حتى تخبرَنى عنه ؛ قال : أشهد أنه كان من الذّاكرين اللهَ كثيرًا ، ومن الآمرين بالحقّ ، والقائمين بالقِسط ، والعافِين عن الناس ؛ قال : فما قولك

(١) بعدها فى الأغانى : « فالتفت إلى حجر ؛ فقال له العنزى : لا تبعد يا حجر ، ولا يبعد مثواك ؛ فنعم أخو الإسلام كنت ! وقال الخثعمى نحو ذلك ، ثم مضى بهما ، فالتفت العنزى فقال متمثلا :

كَفَى بشفاةِ القَبْر بُعْدًا لهالكٍ وبالْموتِ قَطّاعًا لحبْل القرائن

فى عثمان ؟ قال : هو أوّل مَن فتح باب الظلم ، وأرْتجَ أبواب الحقّ ؛ قال : قتلتَ نفسَك ؛ قال : بل إيّاك قتلتُ ؛ ولا ربيعة بالوادى — يقول حين كلّم شَمِر الخثعمىّ فى كريم بن عَفيف الخثعمىّ ، ولم يكن له أحدٌ من قومه يكلّمه فيه — فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : أما بعد ، فإنّ هذا العَنَزىّ شرّ مَن بَعثْت ، فعاقبْه عقُوبته التى هو أهلها ، واقتلْه شرّ قِتلة . فلما قَدِم به على زياد بعث به زياد إلى قُسّ الناطف ، فدُفِن به حيًّا . ١٤٣/٢

قال : ولما حُمِل العَنَزىّ والخثعمىّ إلى معاوية قال العَنَزى لحجْر : يا حُجْر ، لا يبعدَنْك الله ، فنِعم أخو الإسلام كنتَ ! وقال الخثعمىّ : لا تَبْعَدْ ولا تُفْقَد ، فقد كنتَ تأمر بالمعروف وتَنهى عن المنكر. ثم ذهب بهما وأتبعَهما بصرَه ، وقال : كَفَى بالموت قطّاعًا لحبل القرائن ! فذهب بعُتبة بن الأخنس وسعيد بن نَمِران بعد حُجْر بأيام ، فخلّى سبيلهما[1] .

* * *

تسمية مَن قتل من أصحاب حُجْر رحمه الله

حُجْر بن عدىّ ، وشريك بن شدّاد الحضرمىّ ، وصَيْفىّ بن فسيل الشيبانىّ ، وقَبيصة بن ضبيعة العبسىّ ، ومُحرِز بن شهاب السعدىّ ثم المِنْقَرىّ ، وكِدام بن حيّان العَنَزىّ ، وعبد الرحمن بن حسّان العَنَزىّ ؛ فبعث به إلى زياد فدُفن حيًّا بقسّ الناطف ، فهم سبعة قُتلوا وكُفنوا وصُلى عليهم .

قال : فزعموا أن الحسن لما بلغه قتل حُجْر وأصحابه ، قال : صلُّوا عليهم ، وكفّنوهم ، واستقبلوا بهم القبلة ، قالوا : نعم ؛ قال : حَجّوهم وربّ الكعبة !

* * *

تسمية من نجا منهم

كريم بن عفيف الخثعمىّ ، وعبد الله بن حويّة التميمىّ ، وعاصم بن ١٤٤/٢

(١) الأغانى ١٦ : ٩ (ساسى) .

عوف البَجَلِىّ ، وورقاء بن سُمَىّ البَجَلِىّ ، والأرقم بن عبد الله الكِنْدِىّ ، وعتبة بن الأخنس ، من بنى سعيد بن بكر ، وسعيد بن نمران الهمدانىّ فهم سبعة .

* * *

وقال مالك بن هُبيرة السَّكونى حين أبَى معاوية أن يهبَ له حُجْراً وقد اجتمع إليه قومُه من كِندةَ والسَّكون وناس من اليَمَن كثير ، فقال : والله لنحن أغنَى عن معاوية من معاوية عنّا ، وإنّا لنجِد فى قومه مِنه بدلاً ، ولايجد منّا فى الناس خَلَفًا ، سِيروا إلى هذا الرجل فلنُخلّه من أيديهم ؛ فأقبَلوا يسيرون ولم يشكّوا أنهم بَعذْراء لم يُقتلوا ، فاستقبلَتْهم قَتَلَتُهم قد خرجوا منها ، فلما رأوْه فى الناس ظنّوا أنما جاء بهم ليخلّص حُجْراً من أيديهم ، فقال لهم : ما وراءكم ؟ قال : تاب القوم ، وجئنا لنخبر معاوية . فسكت عنهم ، ومضى نحو عذراء ، فاستقبله بعضُ من جاء منها فأخبره أنّ القوم قد قُتلوا ، فقال : علىّ بالقوم ! وتبعتْهم الخيلُ وسبَقُوهم حتى دخلوا على معاوية فأخبروه خبرَ ما أتَى له مالكُ بنُ هبيرة ومن معه من الناس ، فقال لهم معاوية : اسكنُوا ، فإنما هى حرارةٌ يجدها فى نفسه ، وكأنها قد طفئتْ ، ورجع مالك حتى نزل فى منزله ، ولم يأتِ معاوية ، فأرسل إليه معاوية فأبَى أن يأتيه ، فلما كان الليل بعث إليه بمائة ألف درهم ، وقال له : إنّ أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفّعك فى ابن عمّك إلا شَفقةعليك وعلى أصحابك أن يُعيدوا لكم حَرْبًا أخرى ، وإن حُجْر بنَ عدىّ لو قد بقِى خشيت أن يكلّفك وأصحابك الشخوص إليه ، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين ما هو أعظم من قَتْل حُجْر ؛ فقَبِلها ، وطابت نفسُه ، وأقبل إليه من غده فى جموعِ قومه حتى دخل عليه ورضىَ عنه . ١٤٥/٢

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ عائشةَ رضى الله عنها بعثتْ عبدَالرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية فى حُجر

وأصحابه ، فقدِم عليه وقد قَتَلَهم ، فقال له عبد الرحمن : أين غاب عنك حلمُ أبي سُفْيان ؟ قال : غاب عنى حين غاب عنى مِثلُك من حُلَماء قومى ، وحَمّلنى ابن سُميّة فاحتملت .

قال أبو مخنف : قال عبد الملك بن نوفل : كانت عائشة تقول : لولا أنا لم تغيِّر شيئًا إلا آلت بنا الأمور إلى أشدّ مما كنا فيه لغيَّرنا قتل حُجْر ، أما والله إن كان ما علمتُ لمسلمًا حَجّاجاً معتمِراً .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل ، عن سعيد المقبرىّ[1] ، أنّ معاوية حين حجّ مرّ على عائشة — رِضوانُ الله عليها — فاستأذن عليها ، فأذِنتْ له ، فلما قعد قالت له : يا معاوية ، أ أمِنْتَ أن أخبأ لك من يقتلك ؟ قال : بيتَ الأمن دخلت ، قالت : يا معاوية ، أما خشيتَ الله فى قَتْل حُجْر وأصحابه ؟ قال : لستُ أنا قتلتُهم ، إنما قَتَلَهم مَن شهد عليهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى زكرياء بن أبى زائدة ، عن أبى إسحاق ، قال : أدركتُ الناسَ وهم يقولون: إن أوّل ذُلّ دخل الكوفة موتُ الحسن بن علىّ وقتلُ حُجْر بن عدىّ ، ودعوةُ زياد .

١٤٦/٢

قال أبو مخنف : وزعموا أنّ معاوية قال عند موته : يومٌ لى من ابن الأدبَرِ طويلٌ ! ثلاثَ مرّات — يعنى حُجراً .

قال أبو مخنف : عن الصقعب بن زهير ، عن الحسن ، قال : أربع خصال كنّ فى معاوية ؛ لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت مُوبِقة : انتزاؤُه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى ابْتزَّها أمرَها بغير مَشُورة منهم وفيهم بقايا الصّحابة وذو الفضيلة ؛ واستخلافُه ابنه بعده سِكّيراً خِمّيراً ، يلبس الحرير ويَضرِب بالطنابير ؛ وادّعاؤه زياداً ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الولد للفِراش ، وللعاهِر الحَجَرُ » ، وقتله حُجْرا ، ويْلاً له من حُجْرٍ ! مرّتين .

---

(١) هو سعيد بن أبى سعيد ؛ وفى ط : « أبو سعيد » ، وانظر الفهرس .

وقالت هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصاريّة، وكانت تَشَيَّع ترثى حُجْراً:

تَرَفَّعْ أيّها القمرُ المنيرُ تَبَصَّرْ هل ترى حُجْرًا يَسيرُ[1]

يسيرُ إلى معاويةَ بن حربٍ لِيقْتُلَهُ كما زعم الأَميرُ

تجبَّرَتِ الجَبابرُ بعد حُجْرٍ وطابَ لها الخَوَرْنَقُ والسَّدِيرُ[2]

وأَصبَحَتِ البلادُ بها مُحُولاً كأَن لم يُحْيِها مُزْنٌ مَطِيرُ

أَلا ياحُجْرَ حجْر بنى عَدِيٍّ تَلقَّتْكَ السلامةُ والسُّرُور

أَخافُ عليكَ ماأَرْدَى عَدِيًّا[3] وَشيخاً فى دِمشقَ له زئيرُ

يَرَى قَتلَ الخِيارِ عليه حقًّا له من شَرِّ أُمَّتِه وَزِير

أَلا ياليتَ حُجْرًا مات موْتاً ولم يُنحَرْ كما نُحِرَ البعيرُ!

فإِن تَهلِكْ فكلُّ زعيمِ قَومٍ من الدنيا إلى هُلْكٍ يَصِيرُ

وقالت الكنديّة ترثى حُجراً — ويقال: بل قائلها هذه الأنصاريّة:

١٤٧/٢

دُموعُ عيْنِى دِيمَةٌ تَقطُرُ تَبكِى على حُجْرٍ وما تَفتُرُ

لو كانت القوسُ على أسرِه ما حُمِّلَ السيفَ له الأعورُ

وقال الشاعر يحرّض بنى هند من بنى شَيْبانَ على قيس بن عُباد حين سعى بصيفىّ بن فسيل:

دَعا ابنُ فسيل يالَ مُرّةَ دعوةً ولاقَى ذبابَ السيف كَفًّا ومِعْصما

فحَرِّضْ بنى هِند إذا ما لَقِيتَهُمْ وقُلْ لِغياثٍ وابنِهِ يَتَكلّما

لِتَبْكِ بنى هِندٍ قُتَيْلَةُ مِثلَ ما بَكَتْ عِرْسُ صَيْفِىٍّ وتبعثُ مأْتما

غياث بن عمران بن مرّة بن الحارث بن دُبّ بن مرّة بن ذهل بن شَيْبان، وكان شريفًا، وقُتيلةُ أخت قيس بن عُباد، فعاش قيس بن عباد حتى

(١) الأغانى ١٦ : ١٠ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات.

(٢) الأغانى: «ترفعت الجبابر». (٣) الأغانى: «أخاف عليك سطوة آل حرب».

قاتل مع ابن الأشعث فى مواطنه ، فقال حَوْشب للحجّاج بن يوسف : إن منّا امرأ صاحب فتن ووثوب على السلطان ، لم تكن فتنةٌ فى العراق قطّ إلا وثب فيها ، وهو ترابىّ ، يلعن عثمان ، وقد خرج مع ابن الأشعث فشهد معه فى مواطنه كلها ، يحرّض الناسَ حتى إذا أهلكهم الله ، جاء فجلس فى بيته ، فبعث إليه الحجاجُ فضرب عنقَه ، فقال بنو أبيه لآل حوشب : إنما سعيتم بنا سعيًا ، فقالوا لهم : وأنتم إنما سعيتم بصاحبنا سعيًا .

٢/ ١٤٨ فقال أبو مخنف : وقد كان عبد الله بن خليفة الطائىّ شهد مع حُجْر ابن عدىّ ، فطلبه زياد فتوارَى ، فبعث إليه الشُّرَط ، وهم أهل الحمراء يومئذ ، فأخذوه ، فخرجتْ أخته النَّوار فقالت : يا معشر طيّئٍ ، أتسلمون سنانَكم ولسانَكم عبدَ الله بن خليفة! فشدّ الطائيّون على الشُّرَط فضربوهم وانتزَعوا منهم عبدَ الله بن خليفة ، فرجعوا إلى زياد ، فأخبروه ، فوثَب على عدىّ ابن حاتم وهو فى المسجد ، فقال : ائتنى بعبد الله بن خليفة ؛ قال : وما له ! فأخبره ، قال : فهذا شىء كان فى الحىّ لا علمَ لى به ؛ قال : والله لتأتينِّى به ؛ قال : لا ، والله لا آتيك به أبداً ، أجيئك بابن عمّى تقتلُه ! والله لو كان تحت قدمىّ ما رفعتُهما عنه . قال : فأمر به إلى السجن ؛ قال : فلم يبق بالكوفة يمانىٌّ ولا رَبَعىٌّ إلاّ أتاه وكلّمه ، وقالوا : تفعل هذا بعدىّ بن حاتم صاحبِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإنى أخرجه على شرط ، قالوا : ما هو ؟ قال : يخرج ابن عمّه عنى فلا يدخل الكوفة ما دام لى بها سلطان . فأتِىَ عدىّ فأخبِر بذلك ، فقال : نعم ، فبعث عدىّ إلى عبد الله ابن خليفة فقال : يابن أخى ، إنّ هذا قد لجّ فى أمرك ، وقد أبى إلا إخراجَك عن مِصْرك ما دام له سلطان ، فالحقْ بالجبلين ، فخرج ؛ فجعل عبد الله ابن خليفة يكتب إلى عدىّ ، وجعل عدىٌّ يُمنّيه ، فكتب إليه :

تذكّرتُ ليلى والشَّبيبةَ أعْصُرا ... وذِكْرُ الصِّبَا بَرْحٌ على من تذكّرا
وولّى الشَّبابُ فافتقدتُ غُضُونَه[1] ... فيالك من وَجْد به حين أدْبَرا !

---

(١) س : « وولى شبابى » .

١٤٩/٢ فدعْ عنكَ تذكارَ الشبابِ وفَقْدَهُ وآثارَهُ إذ بانَ منك فأَقْصَرا[١]
وبَكِّ على الخُلانِ لمّا تُخُرِّموا ولم يجدُوا عن مَنهَلِ الموتِ مَصدرا
دَعَتهمْ مَناياهمْ ومَنْ حانَ يَومُهُ من الناسِ فاعلمْ أنه لن يؤخَّرا
أُولئك كانوا شِيعةً لى ومَوْئلاً إذا اليومَ أُلفِى ذا احتِدَامٍ مُذَكَّرا
وما كنتُ أَهوى بعدهمْ مُتَعَلَّلاً بشىءٍ من الدنيا ولا أن أُعَمَّرا
أقولُ ولا واللهِ أنسى ادِّكارَهمْ سَجِيسَ اللَّيالى أو أموتَ فأُقْبَرا[٢]
على أهلِ عذراءَ السلامُ مُضاعَفاً من اللهِ ولْيُسْقَ الغمامَ الكَنَهْوَرا[٣]
ولاقَى بها حُجْرٌ من اللهِ رحمةً فقد كان أَرْضَى اللهَ حجرٌ وأعذَرا
ولا زالَ تَهْطال مُلِثٌّ وديمةٌ على قبرِ حُجْرٍ أوينادَى فَيُحْشَرا[٤]
فيا حُجْرُ مَنْ للخيلِ تُدْمَى نُحُورُها وللمَلِكِ المُغْزِى إذا ما تَغَشْمَرَا[٥]
١٥٠/٢ ومَنْ صادِعٌ بالحقّ بَعدكَ ناطِقٌ بتَقْوى ومَنْ إن قيلَ بالجَوْرِ غيّرا
فنِعْمَ أخو الإسلامِ كنتَ وإننى لأَطمَعُ أن تُؤْتَى الخلودَ وتُحْبَرا
وقد كنتَ تعطى السيفَ فى الحربِ حقَّه وتَعرِفُ مَعرُوفاً وتنكِرُ مُنكَرا
فيا أخَوَيْنا من هُمَيمٍ عُصِمتُما ويُسِّرْتُما للصالحاتِ فأَبْشِرا[٦]
ويا أَخَوَيَّ الخِندِفِيِّين أبْشِرا فقد كنتما حُيِّيتُما أن تُبَشَّرا
ويا إخْوَتا من حضر موتَ وغالبٍ وشيبانَ لُقِّيتُمْ حساباً مُيَسَّرا[٧]

---

(١) ابن الأثير : « وأسبابه ذبان منك فأجمرا » .

(٢) سجيس الليالى ، أى الدهر كله

(٣) مرج عذراء ؛ هو الموضع الذى قتل فيه حجر ؛ والكنهور ، كسفرجل : قطع من السحاب تشبه بالجبال .

(٤) الملث : المطر الدائم .

(٥) ابن الأثير : « المغرى » . والتغشمر : إتيان الأمر من غير تثبت ، أو الظلم .

(٦) ابن الأثير : « وبشرتما بالصالحات » .

(٧) ابن الأثير : « جناباً مبشراً » .

سَعِدْتُم فلم أسمع بأَصوَبَ مِنكُمُ حِجاجاً لَدَى الموتِ الجليل وأصبَرا

سأَبكِيكمُ ما لاح نجْم وغَرّدَ الـ حمامُ بِبَطْن الوادِيَيْنِ وقَرقَرا

فقلتُ ولم أظلم أَغَوْثَ بنَ طَيِّئٍ متى كنتُ أَخشَى بينكم أن أُسَيّرا![1]

هَبِلتُم أَلا قاتَلتُمُ عن أَخيكمُ وقد ذَبَّ حتى مال ثم تجَوَّرا[2] ١٥١/٢

ففَرَّجتُمُ عنى فغُودِرتُ مُسلَماً[3] كأَنّى غريب فى إِيادِ وأَعصُرا[4]

فمن لكمُ مِثلِي لدَى كلِّ غـارةٍ ومن لكمُ مثلى إذا البأْسُ أصحرا

ومن لكمُ مثلى إذا الحربُ قلَّصت[5] وأَوضعَ فيها المُسْتَمِيتُ وشَمَّرا

فَها أَنا ذا دارِى بأَجبال طَيّئٍ طَرِيدًا ولو شاءَ الإِلٰهُ لَغيَّرَا

نَفانى عَدُوِّى ظالمًا عن مُهاجَرِى رضيتُ بما شاءَ الإِلٰهُ وقَـدَّرا

وأَسلَمَنى قومى لغـيرِ جِنـايةٍ كأَن لم يكونوا لى قَبيلاً ومَعشَرا

فإِنْ أُلْفَ فى دارٍ بأَجبالِ طيّئٍ[6] وكان مَعاناً من عُصَيْر ومَحضَرا[7]

فما كنتُ أَخشى أَن أُرَى مُتَغَرِّبا لحَا اللهُ من لاحَى عليه وكثّرا

لحا اللهُ قتل الحضرميّين وائلاً[8] ولاَقى الفَنَا من السنان الموفَّرا ١٥٢/٢

ولاَقَى الرَّدَى القومُ الذين تحَزّبوا علينـا وقالوا قَولَ زُورٍ ومُنكَرا

فلا يَدْعُنِى قومٌ لغَوثِ بن طيّئٍ لأَنْ دَهرُهم أَشقَى بهم وتغيّرا

---

(١) س : « منكم » .

(٢) ابن الأثير : « دث » بالبناء للمجهول ؛ يقال : دث الرجل دثا ، وهو التواء فى جنبه أو بعض جسده من غير داء .

(٣) ابن الأثير : « تفرجتم » .

(٤) ابن الأثير : « من إباد » .

(٥) قلصت ؛ أى قامت واشتعلت ؛ وأصله فى الإبل ؛ يقال : قلصت الإبل فى سيرها ؛ أى شمرت وجدت .

(٦) س : « فإن ألق » .

(٧) المعان : المنزل والمباءة. وعصير ، تصغير عصر .

(٨) ابن الأثير : « قيل الحضرميين » .

فلم أَغزُهمْ فى المُعلَمِينَ ولم أُثِر ... عليهمْ عَجاجًا بالكُوَيفةِ أكدَرا
فبلِّغ خليلى إن رَحَلتَ مُشرِّقاً ... جَديلةَ والحَيَّيْن مَعْناً وبُحتُرا
ونَبْهانَ والأَفْناءَ من جِذْمِ طيِّئٍ ... أَلم آتِكُ فيكمْ ذا الغناءِ العشَنزَرا[1] !
أَلم تذكروا يومَ العُذَيبِ أَليَّتى ... أَمامكُمُ أَلاّ أَرَى الدّهرَ مُدبِرا !
وكَرِّى على مِهرانَ والجمعُ حاسر[2] ... وقَتلِى الهُمام المُستَميتَ المُسَوَّرا
٢/١٠٣ ويومَ جَلولاءِ الوَقيعة لم أُلَمْ[3] ... ويومَ نِهاوَنْدِ الفُتُوح وتُستَرا
وتَنسَونني يومَ الشَّريعةِ والقَنَا ... بصِفِّينَ فى أكتافهم قد تَكَسَّرَا
جَزَى رَبُّهُ عنى عَدىَّ بن حاتمٍ ... برَفضى وخِذلانى جزاءً مُوفَّرا
أَتَنسَى بَلائِى سادِرًا يا بنَ حاتمٍ ... عشيَّةَ ما أَغنَت عَدِيُّكَ حِزْمَرا[4] !
فدافَعتُ عنك القومَ حتى تخاذَلوا ... وكنتُ أَنا الخَصمَ الأَلَدَّ العَذَوَّرا[5]
فوَلَّوا وما قاموا مقامى كأنّما ... رأَونِىَ لَيثاً بالأَباءَة مُخدِرا[6]
نَصَرتُكمُ إذخامَ القَريبُ وأَبعَطَ الـ ... بَعيدُ وقد أُفرِدتُ نَصرًا مؤزّرا[7]
فكان جزائى أن أُجَرَّدَ بينكم ... سَجيناً وأَن أُولَى الهوانَ وأُوسَرا
وكم عِدَةٍ لى منك أنك راجعِى ... فلم تُغنِ بالميعادِ عنِّى حبتَرا[8]
٢/١٠٤ فأَصبحتُ أَرعَى النِّيبَ طَورًا وتارة ... أُهَرْهِرُ إن راعى الشُّوَيهات هرهَرا[9]
كأَنِّىَ لم أَركَب جَوادًا لغارةٍ ... ولم أَترُكِ القِرنَ الكَمىَّ مُقَطَّرا[10]

---

(١) العشنزر : العظيم الخلق .
(٢) ابن الأثير : « والجمع جالس » .
(٣) س : « لم أنم » .
(٤) كذا فى ابن الأثير : وفى ط: « حذمرا » .
(٥) العذور : القوى الشديد .
(٦) الأباءة : القصبة ؛ وتكون مأوى للأسود .
(٧) خام : نكص ، والإبعاط : الهرب ، وفى ابن الأثير : خام ، أى نكص .
(٨) الحبتر : الثعلب .
(٩) هرهر بالغنم : دعاها إلى الشرب .
(١٠) هذا البيت والتاليان له فى ياقوت ٦ : ٣٦ ، قال : « سجساس ، بكسر أوله وفتح ثانية وآخره سين مهملة : بلد بين همذان وأبهر » .

ولم أعترِض بالسَّيفِ خَيلاً مُغِيرةً إذا النّكسُ مَشَّى القَهقَرَى ثم جَرجَرا
ولم أستحِثَّ الركضَ فى إثرِ عُصْبةٍ مُيَمِّمةٍ عُليا سِجاسٍ وأبهرَا
ولم أذعرِ الأبْلامَ منى بغارةٍ كَوِرْدِ القَطا ثم انحدرتُ مُظَفَّرا
ولم أرَ فى خَيلٍ تُطاعِنُ بالقَنَا[1] بقَزوينَ أو شَروِينَ أو أغزُ كُندُرا
فذلك دهرٌ زال عنى حميدُهُ وأصبح لى معروفُهُ قد تَنكَّرا
فلا يَبعَدَنْ قومى وإن كنتُ غائباً[2] وكنتُ المُضاعَ فيهمُ والمُكَفَّرا
ولا خَيرَ فى الدنيا ولا العيشِ بعدهمْ وإن كنتُ عنهم نائِيَ الدار مُحصَرا

فمات بالجبَلين قبل موت زياد .

١٥٥/٢

وقال عُبَيدة الكِندىّ ثم البدّىّ ، وهو يعيّر محمد بن الأشعث بخِذْلانه حُجْراً :

أسلمتَ عمَّك لم تُقاتِلْ دونَهُ فَرَقاً ولولا أنتَ كان منِيعَا
وقتلتَ وافِدَ آلِ بَيت محمّدٍ وسَلَبتَ أسيافاً له ودُرُوعا
لو كنتَ من أسدٍ عرفتَ كرامتى ورأيتَ لى بيتَ الحُبابِ شفيعا

* * *

[ذكر استعمال الربيع بن زياد على خراسان]

وفى هذه السنة وجّه زيادٌ الربيعَ بن زياد الحارثىّ أميراً على خُراسان بعد موت الحكم بن عمرو الغفارىّ ، وكان الحكم قد استَخلف على عمله بعد موته أنسَ بن أبى أناس ، وأنس هو الذى صلى على الحكم حين مات فدُفن فى دار خالد بن عبد الله أخى خُليد بن عبد الله الحنفىّ ، وكتب بذلك الحكَم إلى زياد ، فعزَل زيادٌ أنسا ، وولّى مكانه خُلَيد بن عبد الله الحنفىّ .

---

(١) ابن الأثير : « تطاعن مثلها » .
(٢) ابن الأثير : « وإن كنت عاتباً » .

فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : لما عزل زيادٌ أنسًا وولى مكانَه خُليد بن عبد الله الحنفىّ قال أنسٌ :

أَلا مَن مُبلِغٌ عنى زِيادًا مُغَلغَلةً يَخُبُّ بها البَرِيدُ

أَتَعزِلنى وتطعِمُها خُليدًا لقد لاقت حَنيفَةُ ما تريدُ

عليكمْ باليامةِ فاحـرُثوها فأَوّلُكم وآخرُكم عَبيـدُ

١٥٦/٢

فولى خُليداً شهراً ثم عزله ، وولى خُراسانَ ربيع بن زياد الحارثى فى أول سنة إحدى وخمسين ، فنقل الناسُ عيالاتِهم إلى خُراسان ، ووطنوا بها ، ثم عزل الربيع .

فحدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، عن مسلمة بن محارب وعبد الرحمن ابن أبان القرشىّ ، قالا : قدم الربيع خُراسانَ ففتح بلخ صُلْحًا ، وكانوا قد أغلقوها بعد ما صالحهم الأحنف بن قيس ، وفتح قُهِسْتان عنوةً ، وكانت بناحيتها أتراك ، فقتلهم وهزمهم ، وكان ممّن بقى منهم نيزك طَرخان ، فقتله قُتيبةُ بن مسلم فى ولايته .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : غزا الربيع فقطع النهر ومعه غلامه فرّوخ وجاريته شريفةُ ، فغنم وسَلِم ، فأعتَقَ فرّوخا ، وكان قد قطع النّهر قبله الحَكَم بن عمرو فى ولايته ولم يفتح .

فحدّثنى عمر ، عن علىّ بن محمد ، قال : كان أوّل المسلمين شرب من النهر مولًى للحكم ، اغترف بتُرسه فشرب ، ثم ناولَ الحكم فشرب ، وتوضّأ وصلى من وراء النهر ركعتين ، وكان أوّل الناس فعلَ ذلك ، ثم قفَل .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة يزيدُ بن معاوية ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ .

وكان العاملَ فى هذه السنة على المدينة سعيدُ بن العاص ، وعلى الكوفة والبصرة والمشرق كله زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البصرة عميرة بن يثربىّ .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين

فزعم الواقدىّ أنّ فيها كانت غَزوة سُفْيان بن عوف الأزدىّ ، ومشتاه بأرض الرّوم ، وأنه توفّى بها ، واستخلف عبد الله بن مسعدة الفزارىّ .

وقال غيره : بل الذى شتا بأرض الروم فى هذه السنة بالناس بُسْر بن أبى أرْطاةَ ، ومعه سُفْيان بن عوف الأزدّى ، وغزا الصائفة فى هذه السنة محمد بن عبد الله الثّقَفىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة سعيدُ بنُ العاص فى قول أبى معشر والواقدىّ وغيرِهما .

وكانت عمّال الأمصار فى هذه السنة هم العمّال عليها كانوا فى سنة إحدى وخمسين .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشْتَى عبد الرحمن بن أمّ الحكَم الثقفىّ بأرض الرّوم .

وفيها فتحت رُودُس، جزيرة فى البحر ، ففتحها جُنادة بن أبى أميّة الأزْدىّ ، فنزلها المسلمون – فيما ذكر محمد بن عمر – وزَرَعوا واتّخذوا بها أموالاً ومواشىَ يَرْعَوْنها حولَها ، فإذا أمسَوْا أدخلوها الحصن ، ولهم ناطور[1] يحذّرهم ما فى البحر ممن يريدهم بكَيْد ، فكانوا على حَذَرٍ منهم ، وكانوا أشدّ شىء على الرّوم ، فيعترضونهم فى البحر فيقطعون سفنَهم ، وكان معاوية يُدِرّ لهم الأرزاق والعطاء ، وكان العدوّ قد خافهم ، فلما مات معاوية أقفلهم يزيدُ بن معاوية.

* * *

١٥٨/٢ وفيها كانت وفاةُ زياد بن سُميّة ؛ حدّثنى عمر، قال : حدّثنا زهير ، قال : حدّثنا وهيب ، قال : حدّثنى أبى ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن الزّبير ، عن فيل مولَى زياد ، قال : ملك زياد العراقَ خمسَ سنين ، ثم مات سنة ثلاث وخمسين .

حدّثنى عمر ، قال ، حدّثنا علىّ بن محمد ، قال : لما نزل زياد على العراق بقىَ إلى سنة ثلاث وخمسين ، ثم مات بالكوفة فى شهر رمضانَ وخليفته على البصرة سَمُرة بن جندَب .

* * *

ذكر سبب مهلك زياد بن سُمَيّة

حدّثنى عبد الله بن أحمدَ المروزىّ ، قال : حدّثنا أبى ، قال حدثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنى عبدُالله بن شَوْذب ، عن كثير بن زياد ، أنّ زياداً كتب إلى معاوية : إنى ضبطت العراقَ بشِمالى ،

(١) الناطور : حافظ الزرع والتمر والكرم .

ويمينى فارغة . فضمّ إليه معاوية العَرُوض — وهى اليمامة وما يليها — فدعا عليه ابن عمَر ، فطُعِن ومات. فقال ابن عمرَ حين بلغه الخبر : اذهبْ إليك ابنَ سُميّة ، فلا الدّنيا بقيتْ لك ، ولا الآخرةَ أدركتَ .

حدثني عمر ، قال : حدثنى علىّ ، قال : كتب زيادٌ إلى معاوية : قد ضبطتُ لكَ العراق بشمالى ويَمينى فارغة ، فاشغلها بالحجاز ، وبعث فى ذلك الهيثم بن الأسوَد النخعىّ ، وكتب له عهدَه مع الهيْثم ، فلما بلغ ذلك أهل الحجاز أتى نفر منهم عبدَالله بن عمَر بن الخطاب ، فذكروا ذلك له ، فقال : ادعوا الله عليه يَكفيكموه ، فاستقْبَل القبلةَ واستقبلوها فدَعوا ودعا ، فخرجت طاعونةٌ على أصبعه ، فأرسل إلى شريح — وكان قاضيَه — فقال : حَدَث بى ما تَرَى ، وقد أمِرْت بقطعها ، فأشِرْ علىّ ؛ فقال له شُريح : إنى أخشى أن يكون الجِراح على يدك ، والألمُ على قلبك ، وأن يكون الأجلُ قد دنا ، فتلقَى اللهَ عزّ وجلّ أجذَم ، وقد قطعْتَ يدَكَ كراهيةً للقائه[1] ، أو أن يكون فى الأجل تأخير وقد قطعتَ يدكَ فتعيش أجذَمَ وتُعيِّر ولدك . فتركها ؛ وخرج شريح فسألوه ، فأخبرَهم بما أشار به ، فلامُوه وقالوا : هلاّ أشرتَ عليه بقطعها ! فقال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « المستشار مؤتمَن » . ١٥٩/٢

حدّثنى عبد الله بن أحمد المروزىّ ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قال عبد الله : سمعتُ بعضَ مَن يحدّث أنه أرسل إلى شُريح يستشيره فى قطع يده ، فقال : لا تفعل ؛ إنك إن عشتَ صرتَ أجذَمَ ، وإن هلكتَ إيّاك جانيًا على نفسك ، قال : أنام والطاعون فى لحاف ! فعزم أن يفعل ، فلما نظر إلى النار والمَكاوى جَزِع وترك ذلك .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا عبد الملك بن قُرَيب الأصمعىّ ، قال : حدّثنى ابن أبى زياد ، قال : لما حضرتْ زياداً الوفاةُ قال له ابنه : يا أبتِ ، قد هيّأت لك ستين ثوبًا أكفّنك فيها ؛ قال : يا بنىّ ، قد دنا من أبيك

(١) ابن الأثير : «كراهية لقائه» .

لباسٌ خيرٌ من لباسه هذا، أو سلبٌ سريع ؛ فمات فدُفن بالثَّوِيَّة إلى جانب الكوفة ، وقد توجه يزيد إلى الحجاز واليًا عليها ، فقال مسكين بن عامر بن شُريح بن عَمرو بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم :

١٦٠/٢ رَأيتُ زيادَةَ الإسلامِ وَلَّتْ جِهارًا حينَ ودَّعَنا زيادُ

وقال الفرزدق لمسكين — ولم يكن هجا زياداً حتى مات :

أَمِسْكِينُ أَبكى اللهُ عينَك إنما جَرَى فى ضلالٍ دَمعُها فتَحَدَّرَا
بَكَيْتَ امرأً مِن آلِ مَيْسانَ كافِرًا ككِسرى على عِدّانه أو كقَيْصَرا
أقولُ له لمّا أتانى نَعِيُّهُ به لا بِظَبْيٍ بالصَّريمةِ أَعْفَرا

فأجابه مسكين ، فقال :

ألا أيُّها المرءُ الذى لَسْتُ ناطقاً ولا قاعِدًا فى القوم إلا انبَرَى لِيَا
فجِئنِى بِعَمٍّ مِثْلِ عمّىَ أو أبٍ كمثْلِ أَبى أو خالِ صدْقٍ كخاليا
كعَمْرِو بن عمرٍو أو زُرارةَ والدًا أَوِ البِشْرِ من كلٍّ فَرَعتُ الرَّوابيا
وما زال بى مِثلُ القَناةِ وسابحٍ وخَطَّارةٍ غِبَّ السُّرَى مِن عياليا
فهذا لأيّام الحِفاظِ وهذِهِ لِرَحْلِى وهذا عُدَّةٌ لارتحاليا !

١٦١/٢ وقال الفرزدق :

أَبلغ زِيادًا إذا لاقَيْتَ مَصْرَعَهُ أنَّ الحمامة قد طارت من الحَرَمِ
طارَت فما زال يَنْمِيهَا قَوادِمُها حتى ٱستَغاثتْ إلى الأنهار والأَجَمِ

حدّثنى عبدُالله بن أحمد، قال : حدّثنى أبى ، عن سليمان، قال : حدّثنى عبد الله ، عن جرير بن حازم ، عن جرير بن يزيد ، قال : رأيت زياداً فيه حُمرةٌ ، فى عينه اليمنى انكسار ، أبيض اللحية مخروطها ، عليه قميص مرقوع ، وهو على بغلة عليها بلجامُها قد أرسنها .

[ذكر الخبر عن وفاة الربيع بن زياد الحارثىّ]

وفى هذه السنة كانت وفاةُ الرّبيع بن زِياد الحارثىّ ، وهو عامل زِياد على خُراسان .

ذكر الخبر عن سبب وفاته :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : ولِىَ الربيعُ بنُ زياد خُراسانَ سنتين وأشهراً ، ومات فى العام الذى مات فيه زياد ، واستُخلف ابنُه عبدُالله بن الربيع ، فولِىَ شهرين ، ثم مات عبدُالله . قال : فقدم عهده من قِبل زياد على خُراسانَ وهو يُدفن ، واستَخلف عبدُالله بن الربيع على خُراسان خُليدَ بن عبد الله الحنفىّ .

قال علىّ : وأخبرنى محمد بن الفضل ، عن أبيه ، قال : بلغنى أنّ الرّبيع ابن زياد ذكر يوماً بخُراسان حُجْرَ بن عدىّ ، فقال : لا تزال العَرَب تُقتل صبراً بعدَه ، ولو نفرتْ عند قتله لم يُقتل رجل منهم صَبْراً ، ولكنها أقرّت فذلّت ، فمكث بعد هذا الكلام جمعةً ، ثم خرج فى ثياب بياض فى يوم جمعة ، فقال : أيّها الناس ، إنى قد مَلِلتُ الحياة ، وإنى داعٍ بدعوة فأمِّنوا. ثم رفع يده بعد الصلاة ، وقال : اللهمّ إنْ كان لى عندك خيرٌ فاقبِضنى إليك عاجلاً . وأمّن الناسُ فخرج ، فما توارتْ ثيابُه حتى سقط فحُمل إلى بيته ، واستُخلفَ ابنهُ عبدُالله ، ومات من يومه ، ثم مات ابنه ، فاستخلف خليدُ بن عبد الله الحنفىّ ، فأقره زياد ، فمات زياد وخُلَيد على خُراسان ، وهلك زياد وقد استَخلف على عمله على الكوفة عبدَالله بن خالد بن أسيد ، وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب الفَزارىّ .

فحدثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : مات زياد وعلى البصرة سَمُرة بن جُندب خليفة له ، وعلى الكُوفة عبدُالله بن خالد بن أسيد ، فأقرّ سَمُرَة على البصرة ثمانية عشر شهراً .

قال عمر : وبلَغنى عن جعفر بن سليمان الضبعىّ ، قال : أقرّ معاوية سَمُرة بعد زياد ستة أشهر ، ثم عزَله ، فقال سَمُرة : لعن الله معاوية! والله لو أطعتُ اللهَ كما أطعتُ معاوية ما عذّبنى أبداً .

حدّثني عمر، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثني سليمان ابن مسلم العِجليّ، قال: سمعتُ أبي يقول: مررت بالمسجد، فجاء رجلٌ إلى سَمُرة فأدّى زكاة ماله، ثم دخل فجعل يصلي في المسجد، فجاء رجل فضرب عنقَه، فاذا رأسُه في المسجد، وبدنُه ناحيةً، فمرّ أبو بكْرة، فقال: يقول الله سبحانه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾[1]، قال أبي: فشهدتُ ذاك، فما مات سَمُرة حتى أخذه الزَّمْهرير، فمات شرّ ميتة، قال: وشهدته وأُتِيَ بناس كثير وأناس بين يديه فيقول للرجل: ما دينُك؟ فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه وأني بريءٌ من الحَرورية، فيقدَّم فيُضرَب عنقه حتى مرّ بضعةٌ وعشرون.

١٦٣/٢

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة سعيدُ بن العاص في قول أبي معشر الواقديّ وغيرِهما.

وكان العامل فيها على المدينة سعيدَ بن العاص، وعلى الكوفة بعد موت زياد عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلى البصرة بعد موت زياد سَمُرة بن جندب، وعلى خُراسانَ خُلَيد بن عبد الله الحنفيّ.

(١) سورة الأعلى: ١٤، ١٥.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى محمد بن مالك أرضَ الرّوم ، وصائفة مَعْن بن يزيد السُّلَميّ .

وفيها — فيما زعم الواقديّ — فتَح جُنادةُ بن أبى أميّة جزيرةً فى البحر قريبةً من قُسْطنطينيّة يقال لها أرْواد[1] .

وذكر محمد بن عمرَ أنّ المسلمين أقاموا بها دهْرًا ، فيما يقال سبع سنين ، وكان فيها مجاهد بن جَبْر . قال : وقال تُبَيع ابنُ امرأةِ كعب : ترون هذه الدرجة ؟ إذا انقلعت جاءت قفْلتنا . قال : فهاجَتْ ريحٌ شديدة فقلعتْ الدرّجة ، وجاء نعيّ معاوية وكتاب يزيد بالقَفْل فقفَلْنا ، فلم تَعْمُرْ بعد ذلك وخَرِبت ، وأمِن الروم .

* * *

[ذكر عزل سعيد بن العاص عن المدينة واستعمال مروان]

وفيها عَزَل معاويةُ سعيدَ بن العاص عن المدينة ، واستَعملَ عليها مَرْوانَ بنَ الحكم. ٢/١٦٤

* ذكر سبب عزل معاوية سعيداً واستعمال مَرْوان :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ بن محمد ، عن جُويرة بن أسماء ، عن أشياخه ، أنّ معاوية كان يُغرِى بين مرْوان وسعيد بن العاص ، فكتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة : اهدِم دارَ مَرْوان ؛ فلم يَهدِمْها ، فأعاد عليه الكتابَ بهدمها ، فلم يَفعل ، فعزَلَه وولّى مروان .

* * *

وأما محمد بن عمر ؛ فإنه ذكر أنّ معاوية كتب إلى سعيد بن العاص يأمره بقبض أموالِ مروانَ كلّها فيجعلَها صافيةً ، ويقبضَ فدَكَ منه — وكان

---

(١) س : « أرواده » .

وهبها له ، فراجَعَه سعيد بن العاص فى ذلك ، وقال : قرابتُه قريبة . فكتب إليه ثانية يأمره باصطفاء أموال مَرْوان ، فأبى ، وأخذ سعيد بن العاص الكتابَيْن فوضعهما عند جارية ، فلما عُزِل سعيد عن المدينة فوليها مروان ، كتب معاويةُ إلى مَرْوانَ بن الحكم يأمره بقبض أموال سعيد بن العاص بالحجاز ، وأرسل إليه بالكتاب مع ابنه عبد الملك ، فخبّره أنه لو كان شيئًا غير كتاب أمير المؤمنين لتجافيتُ ، فدعا سعيدُ بن العاص بالكتابيْن اللذَيْن كتب بهما معاويةُ إليه فى أموال مَرْوانَ يأمره فيهما بقبض أمواله ، فذهب بهما إلى مَرْوان ، فقال : هوَ كان أوصَلَ لنا منّا له ! وكفّ عن قبض أموال سعيد .

وكتب سعيدُ بن العاص إلى معاوية : العَجَبُ مما صنع أمير المؤمنين بنا فى قَرابتنا ، أن يُضْغِن بعضَنا على بعض ! فأمير المؤمنين فى حِلمه وصبره على ما يكره من الأجنبييْن[1] ، وعفوه وإدخاله القطيعة بيننا والشحناء ، وتوارث الأولاد ذلك ، فوالله لو لم نكن بنى أب واحد إلاّ بما جمعنا الله عليه من نَصْر الخليفة المظلوم ، واجتماع كلمتنا ، لكان حقًّا علينا أنْ نَرعَى ذلك ، والذى أدركنا به خير . فكتب إليه يتنصّل من ذلك ، وأنه عائدٌ إلى أحسن ما يَعهَدُه.

٢/١٦٥

* * *

عاد الحديث إلى حديث عمر ، عن علىّ بن محمد ، قال : فلما ولّى مَرْوان كتب إليه : اهدِم دارَ سعيد ، فأرسل الفَعَلة ، ورَكِب ليهدمَها ، فقال له سعيد : يا أبا عبد الملك ، أتهدم دارى ! قال : نعم ، كتب إلىّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب فى هدم دارى لفعلتَ ؛ قال : ما كنتُ لأفعلَ ؛ قال : بلى ، والله لو كتب إليك لهدمتَها ، قال : كلاّ أبا عبد الملك . وقال لغلامه : انطلِق فجئنى بكتاب معاوية ؛ فجاء بكتاب معاوية إلى سعيد بن العاص فى هدم دار مَروانَ بن الحكم ، قال : مَروانُ كتَبَ إليك يا أبا عثمانَ فى هدم دارى ، فلم تَهدِم ولم تُعلمنى . قال : ما كنتُ لأهدمَ دارَك ، ولا أمُنّ[2] عليك ؛ وإنما أراد معاوية أن يحرّض بيننا ، فقال

---

(١) كذا فى س ، وفى ط : « الأجنبيين » .
(٢) س : « ولا آمن » .

مَرْوان : فِداك أبى وأمّى ! أنت والله أكثرُ منا ريشًا[١] وعَقَبًا . ورجع مروانُ ولم يَهدِم دارَ سعيد .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : حدّثنا أبو محمد بن ذَكْوان القرشىّ ، قال : قدم سعيد بن العاص على معاوية ، فقال له : يا أبا عثمان ، كيف تركتَ أبا عبد الملك ؟ قال : تركتُه ضابطًا لعَمَلك ، منفذاً لأمرك . ١٦٦/٢ قال : إنه كصاحب الخُبْزة كُفِىَ نُضجَها فأكلَها ، قال : كلاّ ، والله يا أمير المؤمنين ، إنه لمع قوم لا يُحمَل بهم السوط ، ولا يحلّ لهم السيف ، يتهادَوْن كوَقْع النَّبل ، سهمٌ لك وسهمٌ عليك ؛ قال : ما باعدَ بينك وبينه ؟ قال : خافنى على شرَفه ، وخِفْتُه على شرفى ، قال : فماذا له عندَك ؟ قال : أسُرّه غائبًا ، وأسُرّه شاهداً ؛ قال : تركتَنا يا أبا عثمان فى هذه الهَنات ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، فتحمّلتُ الثّقْل ، وكفيتُ الحزم ، وكنتُ قريبًا لو دعوتَ أجبتُ ، ولو ذهبتَ رفعتُ .

* * *

وفى هذه السنة كان عزل معاوية سَمُرة بن جُنْدب عن البصرة ، واستعمل عليها عبدَالله بن عمرو بن غيلان . فحدثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد قال : عزل معاويةُ سمرةَ وولى عبدَالله بن عمرو بن غيْلان ، فأقرّه ستة أشهر ، فولى عبدُ الله بن عمرو شرطتَه عبد الله بن حِصْن .

* * *

[ذكر تولية معاوية عبيدالله بن زياد على خراسان]

وفى هذه السنة ولى معاويةُ عبيدَالله بن زياد خُراسان .

* ذكر سبب ولاية ذلك :

حدّثنى عمر ؛ قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا مسلمة[٢] بن محارب ومحمد بن أبَان القرشىّ ، قالا : لما مات زيادٌ وفد عُبيد الله إلى معاوية فقال له : مَن استخلَفَ أخى على عمله بالكُوفة ؟ قال : عبدَالله بن خالد

(١) س : « نسبا » .

(٢) ط : « سلمة » ، وانظر الفهرس .

ابن أسيد ؛ قال : فمَن استعمل على البَصرة ؟ قال : سَمُرةَ بن جُندب الفَزارىّ ، فقال له معاوية : لو استعملك أبوك استعملتك ، فقال له عبيدالله : أنشُدك الله أن يقولها إلىّ أحدٌ بعدك : لو ولّاك أبوك وعمّك لولّيتك !

١٦٧/٢

قالا : وكان معاوية إذا أراد أن يولّى رجلاً من بنى حَرْب ولّاه الطائف ، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولّاه مكة معها ، فإن أحسن الولايةَ وقام بما وُلّىَ قياماً حسناً جمع له معهما المدينةَ ، فكان إذا ولى الطائف رجلا قيل : هو فى أبى جاد[1] ، فإذا ولّاه مكة قيل : هو فى القرآن ، فإذا ولّاه المدينة قيل : هو قد حَذَق .

قالا : فلما قال عبيد الله ما قال ولّاه خُراسان ، ثم قال له حين ولّاه : إنى قد عهدتُ إليك مثل عهدى إلى عمّالى ، ثم أوصيك وصيّة القرابة لخاصّتك عندى : لا تبيعنّ كثيرًا بقليل ، وخذْ لنفسك من نفسك ، واكتفِ فيما بينك وبين عدوّك بالوفاء تخفّ عليك المؤونة وعلينا منك ، وافتح بابَك للناس تكن فى العلم منهم أنت وهم سواء ، وإذا عزمتَ على أمر فأخرجه إلى الناس ، ولا يكن لأحد فيه مَطمَع ، ولا يرجعنّ عليك وأنت تستطيع ، وإذا لقيت عدوّك فغلَبوك على ظهر الأرض فلا يَغلبوك على بطنها ، وإن احتاج أصحابُك إلى أن تؤاسيَهم بنفسك فآسِهم .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : أخبرنا علىّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، قال : استعمل معاويةُ عبيدَالله بن زياد وقال :

* استمسك الفَسْفاسَ إن لم يقطع *

وقال له : اتقِ الله ولا تؤثرنّ على تقوى الله شيئاً ، فإن فى تقواه عوَضًا ، وقِ عِرْضَك[2] من أن تُدنّسه ، وإذا أعطيتَ عهداً فَفِ به ، ولا تبيعنّ كثيراً بقليل ، ولا تُخرِجنّ منك أمراً حتى تُبرِمَه ، فإذا خرج فلا يُردنّ عليك ، وإذا لقيت عدوّك فكن أكثرَ من معك ، وقاسمهم على كتاب الله ،

١٦٨/٢

---

(١) فى أبى جاد ، أى فى أول الأمر .

(٢) ابن الأثير : « ووفر عرضك » .

ولا تطمعنّ أحداً فى غير حقه، ولا تؤيسنّ أحداً من حقّ له . ثم ودّعه .

حدّثنى عمر، قال: حدّثنا علىّ، قال: حدّثنا مسلمة، قال: سار عبيد الله إلى خُراسانَ فى آخر سنة ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وعشرين سنة من الشأم وقدم إلى خُراسان أسلمُ بن زُرْعة الكلابىّ، فخرج، فخرج معه من الشأم الجعْد بن قيس النَّمَرىّ يرجُز بين يديه بمرثية زياد يقول فيها:

وحدّثنى عمرُ مرّة أخرى فى كتابه الذى سمّاه كتاب «أخبار أهل البصرة»، فقال: حدّثنى أبو الحسن المدائنىّ قال: لما عقد معاويةُ لعبيد الله بن زِياد على خُراسان خرج وعليه عِمامةٌ — وكان وَضيئا — والجعْد بن قيس يُنشِده مَرْثيَةَ زياد:

أَبْقِ علَىّ عاذِلِى من اللّوْمْ — فيما أُزِيلتْ نِعْمَتِى قبلَ اليوْمْ
قَدْ ذَهَبَ الكَرِيمُ والظِّلُّ الدّوْمْ — والنّعَمُ المُؤَثّلُ الدّثرُ الْحَوْمْ
والماشِياتُ مَشْيةً بعدَ النَّوْمْ — لَيْتَ الجيادَ كلَّها مع القوْمْ
سُقِينَ سُمَّ ساعةٍ قَبْلَ اليوْمْ — لأربَع مَضيْنَ من شهرِ الصَّوْمْ

٢/١٦٩

ومنها:

يَوْمُ الثلاثاءِ الذى كان مضَى — يَوْمٌ قَضَى فيه المَليك ما قَضَى
وفاةَ بَرٍّ ماجِدٍ جَلْدِ القوَى — حَرٍّ بِهِ نَوالُ جَعدٍ والتَظَى
كان زيادٌ جَبَلاً صعْبَ الذّرَى — شَهْمًا إذا شئتُمْ نقيصاتِ أَبَى

* لا يُبْعِدِ اللهُ زِيادًا إذْ ثَوَى *

وبكى عُبيد الله يومئذ حتى سقطتْ عمامته عن رأسه؛ قال: وقَدِم عُبيد الله خُراسانَ ثم قطع النهر إلى جبال بُخارَى على الإبل، فكان هو أوّل مَن قطع إليهم جبالَ بُخارَى فى جند، ففتح رامِيثَنْ[1] ونصف بَيْكَنْد — وهما من بخارى — فمِن ثَمّ أصاب البخاريّة.

قال علىّ: أخبرَنا الحسن بن رشيد، عن عمّه، قال: لَقِى عُبيد الله بن

(١) رامثين: قرية ببخارى.

زِياد التُّركَ ببُخارى ومع مَلِكهم امرأته قبج خاتون، فلما هزمهم الله أعجلوها عن لبس خُفَّيْها ، فلبست أحدهما وبقى الآخر ، فأصابه المسلمون، فقُوِّم[1] الجَوْرَبُ بمائتى ألف درهم .

٢/١٧٠ قال : وحدّثنى محمد بن حفص ، عن عُبيد الله بن زياد بن معمر ، عن عُبادة بن حصن، قال: ما رأيت أحداً أشدّ بأساً من عُبيد الله بن زياد ، لقينا زحفٌ من الترك بخُراسان ، فرأيته يقاتل فيَحمِل عليهم فيَطعن فيهم ويغيب عنا ، ثمّ يرفع رايته تَقطُر دماً .

قال علىّ : وأخبرَنا مَسلمة أن البخاريّة الذين قدم بهم عُبيد الله بن زياد البَصرةَ ألفان ، كلّهم جيّدُ الرّمىِ بالنُّشّاب .

قال مسلمة : كان زحفُ الترك ببُخارى أيامَ عُبيد الله بن زِياد من زُحوف خُراسان التى تُعَدّ ؛ قال : وأخبرَنا الهُذَلىُّ ، قال : كانت زُحوفُ خُراسانَ خمسةً: أربعة لقيَها الأحنف بن قيس؛ الذى لقيه بين قُهِسْتان وأبْرَشهر ، والزّحوف الثلاثة التى لقيَها بالمَرْغاب ، والزّحف الخامس زَحْف قارِن ، فَضّه عبد الله بنُ خازم .

قال علىّ : قال مسلمة : أقام عُبيد الله بنُ زياد بخُراسانَ سنتين .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة مَروانُ بن الحَكَم ، كذلك حدّثنى أحمد ابن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيرُه .

وكان على المدينة فى هذه السنة مَرْوانُ بن الحَكَم، وعلى الكوفة عبد الله خالد بن أسيد ؛ وقال بعضهم : كان عليها الضّحاك بن قيس ، وعلى البصرة عبدُالله بن عَمرو بن غَيْلان .

---

(١) س : « فقوموا » .

ثم دخلت سنة خمس وخمسين

ذكر الخبر عن الكائن فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك مَشتَى سُفْيان بن عوف الأزدىّ بأرض الرّوم في قول الواقدىّ . ١٧١/٢

وقال بعضهم : بل الذى كان شَتَا بأرض الرُّوم فى هذه السنة عَمرو ابنُ محرز .

وقال بعضهم : بل الذى شَتَا بها عبدُالله بن قيس الفَزارىّ .

وقال بعضهم : بل ذلك مالكُ بن عبد الله .

وفيها عزَل معاويةُ عبدَالله بن عَمرو بن غَيْلانَ عن البَصرة وولّاها عُبيد الله بنَ زياد .

* * *

ذكر الخبر عن سبب عزل معاوية عبد الله بن عمرو بن غيلان وتوليته عبيد الله البصرة

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا الوليد بن هشام وعلىّ بن محمد — قال : واختلفا فى بعض الحديث — قالا : خطب عبدُالله بنُ عَمرو بن غيْلاَن على منبر البَصرة ، فَحصَبه رجل من بنى ضَبّة — قال عمر : قال أبو الحسن : يُدعَى جُبيرَ بن الضحاك أحد بنى ضِرار — فأمَر به فقُطعتْ يده ، فقال :

السمعُ والطاعَةُ والتسليمْ خَيرٌ وأعفى لبنى تميمْ

فأتته بنو ضَبّة ، فقالوا : إنّ صاحبنا جَنَى ما جنى على نفسه ، وقد بالغَ الأميرُ فى عقوبته ، ونحن لا نأمن أن يَبلُغ خبرُه أميرَ المؤمنين ، فيأتى من قِبله عقوبة تخصّ أو تَعمّ ، فإنْ رأى الأميرُ أن يكتب لنا كتابًا يخرج

١٧٢/٢ به أحدنا إلى أمير المؤمنين يُخبره أنه قطعه على شُبْهة وأمر لم يَتَضِح[1] ، فكتب لهم بعد ذلك إلى معاوية ، فأمسكوا الكتاب حتى بلغ رأس السنة — وقال أبو الحسن : لم يَزِد على ستة أشهر — فوجّه إلى معاوية ، ووافاه الضَّبّيون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنه قطع صاحبنا ظلمًا ، وهذا كتابُه إليك ، وقرأ الكتاب ، فقال : أما القَوَد من عمّالى فلا يصحّ ، ولا سبيل إليه ، ولكن إن شئتم ودَيْتُ صاحبَكم ؛ قالوا : فَدِه ؛ فوَدَاه من بيت المال ، وعَزَل عبدَالله ، وقال لهم : اختاروا مَن تحبون أن أولّىَ بلدَكم ؛ قالوا : يتخيّر لنا أميرُ المؤمنين ، وقد علم رأىَ أهل البَصرة فى ابن عامر ؛ فقال : هل لكم فى ابن عامر ؟ فهو مَن قد عرفتم فى شرفه وعفافه وطهارته ، قالوا : أميرُ المؤمنين أعلمُ ، فجعل يُردّد ذلك عليهم ليَسْبُرَهم[2] ، ثم قال : قد ولّيت عليكم ابنَ أخى عُبيد الله بن زياد .

قال عمر : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : عَزَل معاويةُ عبدَالله بن عمرو وولّى عُبيدَالله بن زياد البصرة فى سنة خمس وخمسين وولى عبيد الله أسلم ابن زُرْعة خُراسان فلم يغزُ ولم يفتح بها شيئًا ، وولّى شُرَطه عبدَالله بن حصن ، والقَضاءَ زُرارةَ بن أوفى ثم عَزَله ، وولى القضاءَ ابن أذينة العبدىّ .

* * *

وفى هذه السنة عزل معاويةُ عبدَالله بن خالد بن أسيد عن الكُوفة وولّاها الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ .

وحجّ بالناس فى هذه السنة مَروانُ بنُ الحكَم ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ ابن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر .

---

(١) ابن الأثير : « يتفضح » .

(٢) س : « ليسيرهم » . ويسبرهم : يختبرهم ويمتحنهم .

ثم دخلت سنة ست وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشتَى جُنادة بن أبي أميّة بأرض الرّوم؛ وقيل : عبدالرحمن ابن مسعود .

وقيل غزا فيها في البحر يزيد بن شَجَرة الرّهاويّ ، وفي البرّ عياض ابن الحارث .

* * *

وحجّ بالناس — فيما حدّثني أحمد بن ثابت عمن حدّثه ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر — الوليد بن عُتبة بن أبي سُفْيان .

وفيها اعتَمَر معاوية في رجب .

* * *

[ذكر خبر البيعة ليزيد بولاية العهد]

وفيها دعا معاويةُ الناسَ إلى بيعة ابنه يزيدَ من بعده ، وجعله وليّ العهد[1] .

* ذكر السبب في ذلك :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو إسماعيل الهمْدانيّ وعليّ بن مجاهد ، قالا : قال الشعبيّ : قَدِم المغيرةُ على معاويةَ واستعفاه وشكا إليه الضَّعف ، فأعفاه ، وأراد أن يولّيَ سعيدَ بن العاص ، وبلغ كاتب المغيرة ذلك ، فأتى سعيدَ بن العاص فأخبرَه وعنده رجل من أهل الكوفة يقال له ربيعة — أو الربيع — من خُزاعة ، فأتى المغيرة فقال : يا مغيرة ، ما أرى أميرَ المؤمنين إلاّ قد قَلاك ، رأيتُ ابن خُنَيس كاتبَك عند سعيد ابن العاص يخبره أنّ أمير المؤمنين يولّيه الكوفَة ، قال المغيرة : أفلا يقول كما قال الأعشى :

(١) س : « عهده » .

٢/١٧٤ أَمْ غابَ رَبُّكَ فاعْتَرَتْكَ خَصاصةٌ ولعلّ ربَّك أن يعودَ مؤيَّدَا

رُوَيْداً ! ادخُل على يزيد ؛ فدخل عليه فعرّض له بالبيعة ، فأدّى ذلك يزيد إلى أبيه ، فردَّ معاوية المغيرة إلى الكوفة ، فأمره أن يعمل فى بيعة يزيد ، فشَخَص المغيرة إلى الكوفة ، فأتاه كاتبُه ابن خُنَيْس، فقال : والله ما غششْتك ولا خُنْتُك ، ولا كرهتُ ولايتَك ، ولكنّ سعيداً كانت له عندى يَدٌ وبلاء ، فشكرتُ ذلك له ، فرضىَ عنه وأعاده إلى كتابته ، وعَمِل المغيرةُ فى بيعة يزيد ، وأوفد فى ذلك وافداً إلى معاوية .

حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا علىّ ،عن مَسلَمة، قال: لما أراد معاوية أن يبايع ليزيدَ كتب إلى زياد يستشيره ، فبعث زياد إلى عبيد بن كعب النُّميرىّ ،فقال: إنّ لكلّ مستشير ثقة ، ولكلّ سرٍّ مستودَع ، وإنّ الناس قد أبدعت[1] بهم خَصْلتان : إذاعة السرّ ، وإخراج النصيحة إلى غير أهلها ، وليس موضع السرّ إلاّ أحد رجلين : رجلُ آخرة يرجو ثواباً ، ورجل دُنيا له شَرَف فى نفسه وعَقْل يصون حَسَبه ، وقد عجمْتُهما منك ، فأحمدت الذى قِبَلك، وقد دعوتُك لأمر اتّهمتُ عليه بطونَ الصّحُف ؛ إنّ أميرَ المؤمنين كتب إلىّ يزعم أنه قد عزم على بيعة يزيد ، وهو يتخوّف نَفْرةَ الناس ، ويرجو مطابقَتهم ، ويستشيرنى ، وعَلاقةُ أمرِ الإسلام وضمانُه عظيم ، ويزيد صاحبُ رَسْلَة وتهاون ، مع ما قد أولِع به من الصيد ، فالقَ أمير المؤمنين

٢/١٧٥ مؤدّياً عنى ؛ فأخبره عن فَعَلات يزيد ؛ فقال له : رُوَيْدَك بالأمر ، فأقْمَنُ[2] أن يتمّ لك ما تريد ، ولا تَعجَل فإنّ دَرَكاً فى تأخير خيرٌ من تعجيل عاقبتُه الفَوْت[3] . فقال عُبيد له : أفلا غير هذا ! قال : ما هو ؟ قال: لا تُفسِد على معاويةَ رأيَه ، ولا تمقّت إليه ابنَه ، وألقَى أنا يزيدَ سرًّا من معاوية فأخبِره عنك أنّ أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك فى بيعته ،

---

(١) أبدعت بهم خصلتان ، أى أضربهم .

(٢) س : « فلعل » .

(٣) س : « الموت » .

وأنك تخوّفُ خلاف الناس لهنَات ينقمونها عليه، وأنّك ترى له ترك ما يُنقَمُ عليه، فيستحكم لأمير المؤمنين الحجّة على الناس، ويسهل لك ما تريد، فتكونَ قد نصحت يزيد وأرضيتَ أميرَ المؤمنين ؛ فسلِمت مما تخاف من علاقة أمر الأمّة . فقال زياد : لقد رميتَ الأمر بحَجَره ، اشخَص على بركة الله ، فإن أصبت فما لا ينكر ، وإن يكن خطأ فغير مستغَشّ[1] وأبعَدَ بك إن شاء الله من الخطإ ، قال: تقول بما ترى ، ويقضي الله بغيب ما يَعلَم . فقدم على يزيدَ فذاكره ذلك . وكتب زياد إلى معاوية يأمره بالتؤدة، وألّا يَعجَل، فقبل ذلك معاوية ، وكفّ يزيد عن كثير مما كان يصنع ، ثم قدم عُبيد على زياد فأقطعه قطيعة .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا علي، قال : لما مات زياد دعا معاويةُ بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد ، إن حَدَث به حدثُ الموت فيزيد وليّ عهد ، فاستوسق[2] له الناس على البيعة ليزيدَ غير خمسة نفر[3] .

فحدّثني يعقوبُ بن إبراهيم ، قال : حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال : حدّثنا ابن عون ، قال : حدّثني رجل بنخلةَ ، قال : بايع الناسُ ليزيدَ بن معاوية غير الحسين بن عليّ وابن عمَر وابن الزّبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبّاس؛ فلما قدم معاوية أرسل إلى الحسين بن عليّ، فقال : يابن أخي، قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودُهم ؛ يابنَ أخي ، فما إرْبُك إلى الخلاف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ؛ قال : فأرسِلْ إليهم ، فإنْ بايعوا[4] كنتُ رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلتَ عليّ بأمر ؛ قال : وتفعل ؟ قال: نعم؛ قال: فأخذ عليه ألّا يُخبر بحديثهم[5] أحداً قال : فالتوى عليه ، ثم أعطاه ذلك، فخرج وقد أقعَد له ابنُ الزبير

١٧٦/٢

(١) س : « غير مستشعر وأعيذك » .
(٢) استوسق له الناس : اجتمعوا على رأيه .
(٣) س : « نفر خمسة » .
(٤) س : « بايعوك » .
(٥) س : « يخبرهم »

رجلاً بالطريق قال : يقول لك أخوك ابن الزبير : ما كان ؟ فلم يزل به حتى استخرج منه شيئًا .

ثم أرسل بعدَه إلى ابن الزّبير ، فقال له : قد استوسق الناسُ لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ؛ يابن أخى ! فما إرْبك إلى الخلاف ؟ قال : أنا أقودهم ! قال : نعم ، أنت تقودهم ؛ قال : فأرسِل إليهم فإن بايعوا كنتُ رجلاً منهم ، وإلا لم تكن عجلتَ علىّ بأمر ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : فأخذ عليه ألّا يخبر بحديثهم أحداً ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، نحن فى حرَم الله عزّ وجلّ ، وعهدُ الله سبحانه ثقيل ، فأبى عليه ، وخرج .

ثم أرسل بعدَه إلى ابن عمر فكلّمه بكلام هو ألين من كلام صاحبه ، فقال : إنّى أرهب[1] أن أدعَ أمة محمد بعدى كالضأن لا راعىَ لها ، وقد استوسق الناس لهذا الأمر غير خمسة نفر من قريش أنت تقودهم ، فما إرْبك إلى الخلاف ! قال : هل لك فى أمرٍ يُذهب الذمّ ، ويحقن الدم[2] ، وتُدرِك به حاجتك ؟ قال : وددتُ ! قال : تبرز سريرك ، ثم أجىء فأبايعك ، على أنّى أدخل بعدَك فيما تجتمع عليه الأمة ، فوالله لو أنّ الأمة اجتمعتْ بعدك على عبد حبشىّ لدخلتُ فيما تدخل فيه الأمة ؛ قال : وتفعل ؟ قال : نعم ، ثم خرج فأتى منزلَه فأطبق بابَه ، وجعل الناسُ يجيئون فلا يأذن لهم .

١٧٧/٢

فأرسل إلى عبد الرحمن بن أبى بكر ، فقال : يابن أبى بكر ، بأيّة يدٍ أو رِجل تُقدِم على معصيتى ! قال : أرجو أن يكون ذلك خيراً لى ؛ فقال : والله لقد هممتُ أن أقتلَك ؛ قال : لو فعلتَ لأتبعَك الله به لعنةً فى الدنيا ، وأدخلك به فى الآخرة النار .

قال : ولم يذكر ابن عباس .

* * *

[ذكر عزل ابن زياد عن خراسان واستعمال سعيد بن عثمان]

وكان العامل على المدينة فى هذه السنة مَرْوان بن الحكم ، وعلى الكوفة الضحّاك بن قيس ، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسان سعيد ابن عثمان .

---

(١) س : « كرهت » .
(٢) س « الدماء » .

وكان سبب ولايته خُراسانَ ما حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أخبرني محمد بن حفص ، قال : سأل سعيد بن عثمانَ معاوية أن يستعمله على خُراسان ، فقال : إنّ بها عبيد الله بن زياد ، فقال : أما لقد اصطنعك أبي ورَفاك حتى بلغتَ باصطناعه المَدَى الذى لا يُجارَى إليه ولا يُسامَى ، فما شكرتَ بلاءه ، ولا جازيته بآلائه ، وقدّمت عليّ هذا — يعني يزيد بن معاوية — وبايعتَ له ؛ والله لأنا خير منه أبًا وأمًّا ونفسًا ؛ فقال : فقال معاوية : أمّا بلاء أبيك فقد يحقّ عليّ الجزاء به ، وقد كان من شكرى لذلك أنى طلبتُ بدمه حتى تكشفت الأمور ، ولست بلائم لنفسى فى التّشمير[1] ؛ وأما فضل أبيك على أبيه فأبوك والله خيرٌ منى وأقربُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأما فضل أمّك على أمه فما يُنكَر ، امرأةٌ من قريش خير من امرأة من كلب ، وأما فضلُك عليه فوالله ما أحبّ أن الغُوطة دُحِسَتْ[2] ليزيدَ رجالاً مثلك. فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ، ابنُ عمّك ، وأنت أحقّ مَن نَظر فى أمره ، وقد عَتَب عليك فأعتبه[3] ، قال : فولّاه حربَ خُراسان ، وولى إسحاق ابنَ طلحة خَراجها ، وكان إسحاق ابن خالة معاوية ، أمّه أمّ أبان ابنة عُتبة ابن ربيعة ، فلما صار بالرّيّ مات إسحاق بن طلحة فولىَ سعيد خراجَ خُراسان وحربَها .

١٧٨/٢

حدّثني عمر ، قال : حدّثني عليّ ، قال : أخبرنا مسلمة ، قال : خرج سعيد إلى خُراسان وخرج معه أوس بن ثعلبة التّيميّ صاحب قصر أوس ؛ وطلحة ابن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ والمهلّب بن أبي صُفْرة وربيعة بن عِسْل أحدُ بني عمرو بن يَربوع ؛ قال : وكان قومٌ من الأعراب يقطعون الطريقَ على الحاجّ ببطن فَلْج ، فقيل لسعيد : إنّ ها هنا قومًا يقطعون

(١) س : « نفسي بالتشمير » .

(٢) دحست ، أى ملئت ، وفى اللسان : « وفى حديث جرير أنه جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت مدحوس من الناس » ، أى مملوء ؛ وكل شيء ملأته فقد دحسته . وفى ابن الأثير : « فوالله ما أحب أن الغوطة ملئت رجالا مثلك » ، والغوطة : اسم مكان واسع فى فضاء دمشق وهى إحدى متنزهات الدنيا الأربع.

(٣) أعتبه ، أى أرضاه .

الطريق على الحاجّ ويُخيفون السبيل ، فلو أخرجتَهم معك ! قال : فأخرج قومًا من بنى تميم ، منهم مالك بن الرَّيْب المازنىّ فى فتيان كانوا معه ، وفيهم يقول الراجز [١] :

١٧٩/٢

الله أنجاك من القصيم ومن أبى حَرْدبَةَ الأثيمِ [٢]
ومن غُوَيْثٍ فاتح العُكُومِ ومالِكٍ وسيفه المَسْمُومِ

قال علىّ : قال مَسلَمة : قدم سعيد بنُ عثمانَ ، فقطع النَّهر [٣] إلى سَمرْقَنْد ، فخرج إليه أهل الصُّغْد ، فتواقفوا يومًا إلى الليل ثم انصرفوا من غير قتال ، فقال مالكُ بن الرَّيْب يذمّ سعيداً :

ما زلتَ يومَ الصُّغْدِ تُرعَدُ واقفاً من الجُبن حتى خِفتُ أن تَتَنصَّرا
وما كان فى عثمانَ شىءٌ علِمتُه سوى نَسْلِهِ فى رهطِه حين أدبَرا
ولولا بنو حرب لَظلَّتْ دماؤُكُمْ بُطُونَ العَظايا من كسيرٍ وأعوَرَا

قال : فلما كان الغدُ خرج إليهم سعيدُ بنُ عثمانَ ، وناهَضَه الصُّغد ، فقاتلهم فهزَمهم وحصَرهم فى مدينتهم ، فصالحوه وأعطَوْه رُهُناً منهم خمسين غلامًا يكونون فى يده من أبناء عظمائهم ، وعَبَر فأقام بالتِّرْمِذ ، ولم يفِ لهم ، وجاء بالغِلْمان الرّهن معه إلى المدينة .

قال : وقدم سعيد بن عثمانَ خُراسان وأسلم بن زُرْعة الكِلابىّ بها من قِبَل عُبيد الله بن زياد ، فلم يزل أسلم بن زُرعة بها مقيماً حتى كتب إليه عُبيد الله بن زياد بعهده على خُراسان الثانية ، فلما قَدِم كتابُ عبيد الله على أسلم طرق سعيد بن عثمانَ ليلاً ، فأسقطتْ جاريةٌ له غلامًا ، فكان سعيد

١٨٠/٢

---

(١) الأغانى ١٩ : ١٦٣ (ساسى) .

(٢) قال صاحب الأغانى : « وكان السبب الذى من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان يقطع الطريق هو وأصحاب له ، منهم شظاظ ، وهو مولى لبنى تميم — وكان أخبثهم — وأبو حردبة أحد بنى أثالة بن مازن ، وغويث أحد بنى كعب بن مالك بن حنظلة » .

(٣) س : « الترمذ » .

يقول : لأقتلنّ به رجلاً من بنى حرب ؛ وقدم على معاوية فشكا أسلم إليه ، وغضبت القيسيّة ؛ قال : فدخل همّام بن قَبيصة النَّمَرىّ فنظر إليه معاوية محمرَّ العينين ، فقال : ياهمام ، إنّ عينيك لمحمرّتان ؛ قال همّام : كانتا يومَ صِفّين أشدّ حُمرة ؛ فغمّ معاوية ذلك ، فلما رأى ذلك سعيد كفّ عن أسلم ، فأقام أسلم بن زُرْعة على خُراسانَ واليًا لعُبيد الله بن زياد سنتين .

ثم دخلت سنة سبع وخمسين

وكان فيها مَشتَى عبدِ الله بن قيس بأرض الرّوم .

وفيها صُرِف مروانُ عن المدينة فى ذى القعدة فى قول الواقدىّ؛ وقال غيره : كان مروانُ إليه المدينة فى هذه السنة .

وقال الواقدىّ : استعمل معاويةُ على المدينة حين صرَف عنها مروانَ الوليدَ بن عُتْبة بن أبى سُفْيان .

وكالذى قال الواقدىّ قال أبو معشر ، حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت الرازىّ ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان العامل على الكوفة فى هذه السنة الضحّاك بنُ قيس، وعلى البصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى خُراسانَ سعيد بن عثمانَ بن عفّان .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها نزعَ معاويةُ مروانَ عن المدينة فى ذى القعدة فى قول أبى معشر ، وأمَّر الوليد بن عتبة بن أبى سُفْيان عليها ؛ حدّثنى بذلك أحمدُ بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . ١٨١/٢

وفيها غزا مالكُ بن عبد الله الخثعمىّ أرضَ الروم .

وفيها قتِل يزيد بن شجرة فى البحر فى السفن فى قول الواقدىّ . قال : ويقال عمرو بن يزيد الجُهَنِىّ ، وكان الذى شتا بأرض الروم ، وقد قيل : إنّ الذى غزا فى البحر فى هذه السنة جُنادة بن أبى أميّة .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

* * *

[عزل الضحّاك عن الكوفة واستعمال عبد الرحمن بن أمّ الحكم]

وفى هذه السنة ولى معاويةُ الكوفةَ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفىّ ، وهو ابن أمّ الحكَم أخت معاوية بن أبى سُفْيان ، وعزل عنها الضحّاك بن قيس ، ففى عمله فى هذه السنة خرجتْ الطائفة الذين كان المغيرةُ بن شعبة حبَسَهم فى السّجن من الخوارج الذين كانوا بايعوا المستورد بن عُلَّفة ، فظَفِر بهم فاستودَعَهم السجن ، فلما مات المغيرةُ خر[جوا] من السجن .

[ذ]كر هشام بن محمد أنّ أبا مخنف ، حدّثه عن عبد الرحمن بن جُندب ، [ع]ن عبد الله بن عُقْبة الغَنَوِىّ أنّ حيّان بن ظَبْيان السُّلَمىّ جمع إليه أصحابه ، ثم إنه حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال لهم : أمّا بعد ، فإنّ الله عزّ

وجلّ كتب علينا الجهاد ، فمنّا من قَضَى نَحْبَه ، ومنّا من يَنتظر ، وأولئك الأبرار الفائزون بفضلهم ، ومَنْ يكن منّا من ينتظر فهو مِن سَلَفنا القاضين نَحبَهم ، السابقين بإحسان ؛ فمن كان منكم يريد اللهَ وثوابَه فليَسلك سبيلَ أصحابه وإخوانه يؤتِه اللهُ ثوابَ الدنيا وحُسنَ ثوابِ الآخرة والله مع المحسنين .

١٨٢/٢

قال معاذ بن جُوَين الطائيّ : يا أهل الإسلام ، إنا والله لو علمْنا أنا إذا تركنا جهاد الظلمة وإنكار الجوْر ، كان لنا به عند الله عذر ، لكان تركه أيْسرَ علينا ، وأخفَّ من ركوبه ، ولكنّا قد علمنا واستيقنّا أنه لا عذر لنا ، وقد جعل لنا القلوب والأسماع حتى ننكر الظلم ، ونُغيّر الجوْر ، ونجاهد الظالمين ؛ ثم قال : ابسط يَدك نبايعك ، فبايعه وبايَعَه القومُ ، فضربوا على يد حيّان بن ظَبْيان ، فبايعوه ، وذلك فى إمارة عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفىّ ، وهو ابن أمّ الحَكَم ، وكان على شرطته زائدة بن قُدامة الثقفىّ .

ثم إن القوم اجتمعوا بعد ذلك بأيام إلى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائىّ . فقال لهم حيّان بن ظَبْيان : عبادَ الله، أشيروا برأيكم ، أين تأمرونى أن أخرج ؟ فقال له معاذ : إنى أرى أن تسير بنا إلى حُلوان حتى ننزلها ، فإنها كورةٌ بين السهل والجبل ، وبين المِصر والثّغر — يعنى بالثغر الرىّ — فمن كان يرى رأيَنا من أهل المِصْر والثّغر والجبال والسواد لحق بنا . فقال له حيّان : عدوُّك مُعاجلك قبل اجتماع الناس إليك ، لَعَمرى لا يتركونكم حتى يجتمعوا إليكم ، ولكن قد رأيت أن أخرجَ معكم فى جانب الكوفة والسَّبَخة أو زُرارة والحِيرة ، ثم نقاتلهم حتى نلحق بربّنا ، فإنى والله لقد علمتُ أنكم لا تقدرون وأنتم دون المائة رجل أن تَهزموا عدوّكم ، ولا أن تشتدّ نكايتكم فيهم ؛ ولكن متى عَلم الله أنكم قد أجهدتم أنفسكم فى جهادِ عدوّه وعدوّكم كان لكم به العذر ، وخرجتم من الإثم . قالوا : رأينا رأيك ، فقال لهم عِتريس ابن عُرقوب أبو سليمان الشيبانىّ : ولكن لا أرى رأىَ جماعتكم ، فانظروا فى رأى لكم ، إنّى لا إخالُكم تَجهَلون معرفتى بالحرب ، وتجربتى بالأمور ، فقالوا له : أجَل ، أنت كما ذكرت ، فما رأيك ؟ قال : ما أرى أن تخرجوا على الناس بالمِصر ، إنكم قليل فى كثير ، والله ما تزيدون على أن تجزروهم أنفسكم ؛ وتقرّوا أعينهم بقتلكم ، وليس هكذا تكون المكايدة إذْ آثرتم أن

١٨٣/٢

تَخرجوا على قومِكم ، فكَيدوا عدوَّكم ما يضرّهم ؛ قالوا : فما الرأى ؟ قال : تسيرون إلى الكُورة التى أشار بنزولها مُعاذ بن جُوَين بن حصين — يعنى حُلوان — أو تسيرون بنا إلى عَين التَّمر فنقيم بها ، فإذا سمع بنا إخواننا أتَوْنا من كلّ جانب وأوْب ؛ فقال له حيّان بن ظَبْيان : إنك والله لو سرتَ بنا أنت وجميع أصحابك نحو أحد هذين الوجهين ما اطمأننتم به حتى يلحق بكم خيولُ أهل المِصْر ، فأنى تشْفُونَ أنفسكم ! فوالله ما عِدّتكم بالكثيرة التى ينبغى أن تَطمَعوا معها بالنصر فى الدّنيا على الظالمين المعتدين ، فاخرجوا بجانب من مِصركم هذا فقاتِلوا عن أمر الله من خالفَ طاعة الله ، ولا تربّصوا ولا تنتظِروا فإنكم إنما تبادرون بذلك إلى الجنة ، وتُخرِجون أنفسكم بذلك من الفتنة. قالوا: أما إذا كان لا بدّ لنا[1] فإنا لن نخالفَك، فاخرج حيث أحببت .　　٢ / ١٨٤

فمكث حتى إذا كان آخر سنة من سِنِى ابن أمّ الحكَم فى أوّل السنة — وهو أوّل يوم من شهر ربيع الآخر — اجتمع أصحابُ حيّان بن ظَبْيان إليه ، فقال لهم : يا قوم ، إنّ الله قد جمعكم لخير وعلى خير ، والله الذى لا إله غيره[2] ما سررتُ بشىء قطّ فى الدنيا بعد ما أسلمت سُرورى لمَخرَجى هذا على الظّلمة الأثمَة ، فوالله ما أحبّ أنّ الدنيا بحذافيرها لى وأن الله حرَمَنى فى مُخرَجِى هذا الشهادة . وإنى قد رأيت أن نخرج حتى ننزل جانب دار جرير ، فإذا خرج إليكم الأحزابُ ناجزْتمُوهم . فقال عِتْريس بن عُرقوب البَكْرِىّ : أمّا أن نقاتلَهم فى جوف المِصْر فإنه يقاتلنا الرّجال ، وتَصعَد النساءُ والصّبيان والإماء فيرموننا بالحجارة ؛ فقال لهم رجل منهم : انزِلوا بنا إذاً من وراء المِصْر الجسرَ — وهو موضع زُرارة ، وإنما بنيت زُرارة بعد ذلك إلا أبياتاً يسيرة كانت منها قبل ذلك — فقال لهم معاذ بن جوين بن حصين الطائىّ : لا ، بل سيروا بنا فلننزل بانِقْيَا فما أسرع ما يأتيكم عدوّكم ، فإذا كان ذلك استقبلْنا القومَ بوجوهنا ، وجعلْنا البيوت فى ظهورنا ، فقاتلْناهم من وجه واحد . فخرجوا ، فبُعث إليهم جيش ، فقُتلوا جميعاً .

---

(١) س : « ذلك رأيك » .

(٢) س : « لا إله إلا هو » .

٢/١٨٥ ثم إنّ عبد الرحمن بن أمّ الحكَم طرده أهل الكوفة ، فحدّثت عن هشام ابن محمد ، قال : استعمل معاويةُ ابن أمّ الحكم على الكوفة فأساء السيرة فيهم ، فطردوه ، فلحق بمعاوية وهو خاله ، فقال له : أولّيك خيراً منها ؛ مِصرَ ؛ قال : فولّاه ، فتوجه إليها ، وبلغ معاويةَ بن حُديج السَّكونيّ الخبر، فخرج فاستقبله على مَرْحلتين من مصر ، فقال : ارجع إلى خالك فلَعمرِى لا تسير فينا سيرتك فى إخواننا من أهل الكوفة .

قال : فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن حُدَيج وافداً ؛ قال : وكان إذا جاء قُلِّسَتْ له الطريق — يعنى ضُرِبت له قِباب الرّيحان — قال : فدخل على معاوية وعنده أمّ الحكم ، فقالت : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : بخ ! هذا معاوية بن حُدَيج ؛ قالت : لا مرحَبًا به ! تَسمَع بالمُعَيْدِىّ خيرٌ مِن أن تراه ؛ فقال : على رِسْلِك يا أمّ الحكم ! أما والله لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أنْجَبْتِ ، أردتِ أن يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار فى إخواننا من أهل الكوفة ؛ ما كان الله ليُرِيَه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربْناه ضربًا يطأطئْ منه ، وإن كره ذلك الجالس . فالتفت إليها معاوية ، فقال : كُفّى .

* * *

[ذكر قتل عروة بن أديّة وغيره من الخوارج]

وفى هذه السنة اشتدّ عبيد الله بن زياد على الخوارج ، فقتل منهم صبراً جماعةً كثيرة ، وفى الحرب جماعة أخرى ، وممن قتل منهم صبراً عروة بن أديّة ، أخو أبى بلال مرداس بن أدَيّة .

* ذكر سبب قتله إيّاهم :

٢/١٨٦ حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى عيسى بن عاصم الأسدىّ ، أنّ ابن زياد خرج فى رِهان له ، فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناسُ[1] وفيهم عروة بن أديّة أخو أبى بلال ، فأقبل على ابن زياد فقال : خمس كنّ

(١) س : « ساس » .

فى الأمم قبلنا ، فقد صِرْن فينا: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[1]. وخَصْلتين أخريين لم يحفظهما جرير . فلما قال ذلك ظنّ ابن زياد أنه لم يجترئ على ذلك إلا ومعه جماعة من أصحابه ، فقام وركب وترك رِهانه ، فقيل لعُرْوة : ما صنعتَ ! تعلَّمَنْ والله ليقتلنّكَ . قال : فتوارى ، فطلبه ابنُ زياد ، فأتى الكوفة ، فأخذ بها ، فقدم[2] به على ابن زياد ، فأمر به فقطعتْ يداه ورِجْلاه ، ثم دعا به فقال : كيف ترى ؟ قال: أرَى أنك أفسدت دنيايَ وأفسدت آخرتَك ؛ فقتَله ، وأرسل إلى ابنته فقتلها .

وأما مِرْداس بن أديّة فإنه خرج بالأهواز وقد كان ابن زياد قبل ذلك حبَسه — فيما حدّثنى عمر ، قال: حدّثنى خلاّد بن يزيدَ الباهلىّ ، قال — : حبس ابن زياد — فيمن حبَس — مرداسَ بنَ أديّة ، فكان السجّان يرى عبادته واجتهادَه ، وكان يأذن له فى الليل ، فينصرف ، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن ، وكان صديقٌ لمرداس يسامرُ ابنَ زياد ، فذكر ابن زياد الخوارج ليلةً فعزم على قتلهم إذا أصبح ، فانطلق صديقُ مرداس إلى منزل مِرداس فأخبرهم ، وقال : أرسلوا إلى أبى بلال فى السجن فليعهَدْ فإنه مقتول ، فسمع ذلك مرداس ، وبلغ الخبرُ صاحبَ السجن ، فبات بليلة سوء إشفاقًا من أن يعلم الخبر مِرداس فلا يرجع ، فلما كان الوقت الذى كان يرجع فيه إذا به قد طلع ، فقال له السجّان : هل بلغك ما عزم عليه الأمير ؟ قال : نعم ؛ قال : ثمّ غدوتَ ! قال : نعم ، ولم يكن جزاؤك مع إحسانك أن تعاقَب بسببى ؛ وأصبح عُبيد الله فجعل يقتل الخوارج ، ثم دعا بمرداس ، فلمّا حضر وثَب السجّان — وكان ظئْرًا لعبيد الله — فأخذ بقدمه ، ثم قال: هب هذا ؛ وقصّ عليه قصّته ، فوهبه له وأطلقه . ١٨٧/٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا زُهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبى ، قال : حدّثنى يونس بن عبيد ، قال : خرج

---

(١) سورة الشعراء:١٢٨ — ١٣٠ .

(٢) س : « فأتى » .

مِرداس أبو بلال — وهو من بنى ربيعة بن حنظلة — فى أربعين رجلاً إلى الأهواز ، فبعث إليهم ابنُ زياد جيشاً عليهم ابن حِصن التميمىّ ، فقتلوا فى أصحابه وهزموه ، فقال رجلٌ من بنى تَيْم الله بن ثعلبة :

أألفا مُؤْمِنٍ منكم زَعمتمْ ويَقتُلُهمْ بآسَكَ أربَعونا[1]

كذبتُمْ ليس ذاك كما زَعمتمْ ولكِنّ الخوارِجَ مؤمِنونا

هى الفِئةُ القليلة قد عَلمتُمْ[2] على الفِئةِ الكثيرة يُنْصَرُونا

١٨٨/٢ قال عمر : البيت الأخير[3] ليس فى الحديث ، أنشدنيه خلاّد بن يزيدَ الباهلىّ .

* * *

وقيل : مات[4] فى هذه السنة عُميرة بن يثربىّ قاضى البَصرة ، واستُقضِىَ مكانَه عليها هشامُ بن هُبيرة .

وكان على الكوفة فى هذه السنة عبد الرحمن بن أمّ الحكَم . وقال بعضهم : كان عليها الضحّاك بن قيس الفِهْرىّ ، وعلى البَصْرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح .

وحجّ بالناس الوليدُ بنُ عُتبة فى هذه السنة ، كذلك قال أبو معشر والواقدىّ .

---

(١) من أبيات ذكرها ياقوت فى ١ : ٥٨ ، ونسبها إلى عيسى بن فاتك الخطفى ، أحد بنى تيم الله ابن ثعلبة .

(٢) ياقوت : « غير شك » .

(٣) س : « الآخر » .

(٤) س : « هلك » .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كان مَشْتَى عمرو بن مرّة الجُهَنِيّ أرضَ الروم في البرّ؛ قال الواقديّ: لم يكن عامَئذٍ غزوٌ في البحر. وقال غيره: بل غزا في البحر جُنادة بنُ أبي أميّة.

وفيها عُزِل عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم عن الكوفة، واستُعمِل عليها النعمانُ بنُ بَشير الأنصاريّ؛ وقد ذكرنا قبلُ سببَ عزل ابن أمّ الحكَم عن الكوفة.

* * *

[ذكر ولاية عبد الرحمن بن زياد خراسان]

وفي هذه السنة ولّى معاوية عبدَ الرحمن بنَ زياد بن سُمَيّة خُراسان.

* ذكر سبب استعمال معاوية إيّاه على خراسان :

حدّثني الحارث بن محمد، قال: حدّثنا عليّ بن محمد، قال: حدّثنا أبو عمرو، قال: سمعتُ أشياخَنا يقولون: قدم عبدُ الرحمن بنُ زياد وافداً على معاوية، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أمَا لنا حقّ؟ قال: بلَى؛ قال: فماذا تولّيني؟ قال: بالكوفة النعمان رشيدٌ، وهو رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وعبيد الله بن زياد على البَصرة وخُراسان، وعبّاد بن زِياد على سِجِسْتان، ولست أرى عملا يُشبهك إلا أن أشرِكَك في عمل أخيك عبيد الله؛ قال أشرِكني، فإنّ عمله واسع يحتمل الشركة، فولّاه خُراسان. ٢/١٨٩

قال علي: وذكر أبو حفص الأزديّ، قال: حدّثني عمر، قال: قدم علينا قيسُ بنُ الهيثم السُّلَميّ، وقد وجّهه عبد الرحمن بن زياد، فأخذ أسلم بن

زُرْعة فحبسه ، ثم قَدِم عبد الرحمن ، فأغرَمَ أسلم بن زرْعة ثلثَمائة ألف درهم .

قال : وذكر مصعب بن حيّان ، عن أخيه مُقاتل بن حيّان ، قال : قدمَ عبدُ الرحمن بنُ زياد خُراسانَ ، فقدمَ رجلٌ سخىٌّ حريصٌ ضعيفٌ لم يغزُ غزوةً واحدةً ، وقد أقام بخُراسان سنتين .

قال علىّ : قال عوانة : قدم عبدُالرحمن بن زياد على يزيدَ بن معاوية من خُراسان بعد قتل الحسين عليه السلام ، واستخلف على خُراسانَ قيسَ ابن الهيثم .

قال : وحدّثنى مسلمة[1] بن محارب وأبو حفص ، قالا : قال يزيدُ لعبدالرحمن ابن زياد : كم قدمتَ به معك من المال من خُراسان ؟ قال : عشرين ألف ألف درهم ؛ قال : إن شئتَ حاسبناك وقبضناها منك ، ورددناك على عملك ، وإن شئتَ سوّغناك وعزَلْناك ، وتعطى عبدَالله بن جعفر خمسمائة ألف درهم ؛ قال : بل تسوّغنى ما قلت ، ويُستعمل عليها غيرى . وبعث عبد الرحمن بن زياد إلى عبد الله بن جعفر بألف ألف درهم ، وقال : خمسمائة ألف من قِبل أمير المؤمنين ، وخمسمائة ألف[2] من قبلى .

٢/١٩٠

* * *

[ذكر وفود عبيد الله بن زياد على معاوية]

وفى هذه السنة وَفَد عُبيد الله بن زياد على معاوية فى أشراف أهل البَصرة ، فعزله عن البصرة ، ثم ردّه عليها وجدّد له الولاية .

* ذكر من قال ذلك[3] :

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ ، قال : وفد عُبيد الله بن زياد فى أهل العراق إلى معاوية فقال له : ائذنْ لوفدك على[4] منازلهم وشرفهم ، فأذِن لهم ،

---

(١) ط : « مسلم » ، وانظر الفهرس .

(٢) س : « ألف درهم » .

(٣) كذا فى س ، وفى ط : « ذكر ذلك » .

(٤) س : « فى منازلهم » .

ودخل الأحنفُ فى آخرهم ، وكان سَيِّئَ المنزلة من عُبيد الله ، فلما نظر إليه معاويةُ رحَّب به ، وأجلسه معه على سريره، ثم تكلم القومُ فأحسنوا الثناءَ على عبيد الله ، والأحنفُ ساكت ، فقال : مالَكَ يا أبا بَحْرٍ لا تتكلّم ! قال : إن تكلّمتُ خالفتُ القومَ . فقال : انهضوا فقد عزلْته عنكم ، واطلبوا والياً ترضَوْنه ، فلم يَبق فى القوم أحد إلا أتى رجلاً من بنى أميّة أو من أشراف أهل الشأم ، كلّهم يطلب ، وقعد الأحنف فى منزله ، فلم يأت أحداً ، فلبِثوا أيامًا ، ثم بعث إليهم معاوية فجمعهم ، فلما دخلوا عليه قال : مَن اخترتم ؟ فاختلفتْ كلمتهم ، وسمّى كلّ فريق منهم رجلاً والأحنف ساكتٌ ، فقال له معاوية : مالَك يا أبا بحر لا تتكلّم ! قال : إن ولّيت علينا أحداً من أهل بيتك لم نعدل بعُبَيد الله أحداً ، وإنْ ولّيت من غيرهم فانظر فى ذلك ، قال معاوية : فإنى قد أعدته عليكم ، ثم أوصاه بالأحنف ، وقبّح رأيَه فى مباعدته ، ١٩١/٢ فلما هاجت الفتنةُ لم يفِ لعُبيد الله غيرُ الأحنف .

* * *

[ذكر هجاء يزيد بن مفرّغ الحميرى بنى زياد]

وفى هذه السنة كان ما كان من أمر يزيد بن مفرِّغ الحميرىّ وعبّاد بن زياد وهجاء يزيد بنى زياد .

* ذكر سبب ذلك :

حدّثت عن أبى عُبيدة مَعمر بن المثنّى أن يزيدَ بن ربيعة بن مفرِّغ الحِمْيَرىّ كان مع عبّاد بن زياد بسِجستان ، فاشتغل عنه بحرب التّرك ، فاستبطأه ، فأصاب الجند مع عبّاد ضِيقٌ فى أعلاف دوابّهم ، فقال ابن مفرِّغ :

أَلا لَيْتَ اللِّحَى عادتْ حَشِيشاً فنعْلِفَها خُيُولَ المُسْلِمِينَا[1] !

وكان عبّاد بن زياد عظيمَ اللحية ، فأُنهِيَ شِعْرُه إلى عبّاد، وقيل : ما أراد غيرَك ، فطلبه عبّاد ، فهرب منه ، وهجاه بقصائدَ كثيرة ، فكان مما هجاه به قولُه :

---

(١) الأغانى ١٧ : ٥٣ (ساسى) .

إذا أَوْدَى مُعاوية بنُ حَرْبٍ فبَشِّرْ شعْبَ قعْبكَ بانصداعِ [(١)]
فأَشْهدُ أَنَّ أُمكَ لم تُباشِرْ أَبا سُفيانَ واضعَةَ القِناعِ
ولكِنْ كان أَمرًا فيه لَبْسٌ على وَجَلٍ شَديدٍ وارتياعِ

وقوله :

أَلا أَبْلغْ مُعاويةَ بن حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً من الرَّجُل اليمانِى [(٢)]
أَتَغْضبُ أَن يُقال أَبُوكَ عَفٌّ وتَرضَى أَن يُقالَ أَبُوكَ زَانِ !
فأَشْهَد أَنَّ رِحْمَكَ من زِيادٍ كرِحْم الفِيل من ولَدِ الأَتانِ

١٩٢/٢ فحدّثنى أبو زيد، قال: لما هجا ابن المفرِّغ عبّاداً فارقه مقبلاً إلى البَصرة، وعبيد الله يومئذ وافدٌ على معاوية ، فكتب عبّاد إلى عُبيد الله ببعض ما هجاه به ، فلمّا قرأ عُبيد الله الشعرَ دخل على معاوية فأنشده إياه، واستأذنه فى قتل ابن مفرِّغ ، فأبى عليه أن يقتلَه ، وقال : أدِّبْه ولا تبلغ به القتل ، وقدم ابن مفرِّغ البَصرة ، فاستجار بالأحنف بن قيس ، فقال : إنا لا نجير على ابن سميّة ، فإن شئتَ كفيتُك شعراءَ بنى تميم ؛ قال : ذاك ما لا أبالى أنْ أكْفاه ، فأتى خالد بن عبد الله فوعده، وأتى أميّة فوعده ، ثم أتَى عمر بن عبيد الله بن معمر فوعده ، ثم أتى المنذرَ بن الجارود فأجاره ، وأدخله دارَه ، وكانت بَحْرِيَّة بنت المنذر عند عُبيد الله ، فلما قدم عبيد الله البَصرة أخبر بمكان ابن مفرِّغ عند المنذر، وأتَى المنذرُ عبيدَ الله مسلّما ، فأرسل عبيد الله الشُّرَط إلى دار المنذر، فأخذوا ابن مفرِّغ ،فلم يشعر المنذر وهو عند عُبيد الله إلا بابن مفرِّغ قد أقيم على رأسه، فقام إلى عُبيد الله وقال : أيّها الأمير ، إنى قد أجرته ، قال : والله يا منذر ليمدحنّك وأباك ويهجونى أنا وأبى ، ثم تجيره علىّ ! فأمر به فسُقى دواءً ، ثم حُمل على حمار عليه إكافٌ فجعل يطاف به وهو يَسلَح

(١) الأغانى ١٧ : ٥٧ (ساسى) .
(٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ (ساسى) .

في ثيابه ، فيُمَرُّ به فى الأسواق ، فمرّ به فارسيّ فرآه ، فسأل عنه ، فقال : اين جيست(١) ؟ ففهمها ابنُ مفرّغ ، فقال (٢) : ١٩٣/٢

آبْ اسْتْ نبيذ است عصارات زبيبْ اسْت
* سمُـيّة روسپيد استْ(٣) *

ثم هجا المنذر ابن الجارود :

تركتُ قُرَيشاً أن أجاورَ فيهمُ وجاورْتُ عبدَ القيسِ أهْلَ المُشَقَّرِ(٤)
أُناسٌ أجارُونا فكان جوارُهُمْ أعاصيرَ من فَسْوِ العِراق المُبَذَّرِ(٥)
فأصبح جارِى من جُذيمَةَ نائماً ولا يمنَعُ الجيرانَ غيرُ المُشمِّر

وقال لعُبيد الله :

يَغْسِلُ المـاءُ ما صَنَعْتَ وقَوْلى راسِخٌ منكَ فى العظامِ البَوالى(٦)

ثم حمله عُبيد الله إلى عبّاد بسجستان ، فكلّمت اليمانية فيه بالشأم معاوية ، فأرسل رسولا إلى عبّاد ، فحمل ابن مفرّغ من عنده حتى قَدِم على معاوية ، فقال فى طريقه :

عَدَسْ مالِعبّادٍ عَلَيْكِ إمارةٌ نجَوْتِ وهـذا تحملينَ طَليقُ(٧)
لَعَمْرِى لقد نجّاكِ من هُوَّةِ الرّدى إمامٌ وحبْـلٌ للأنام وَثيقُ

---

(١) اين جيست : بالفارسية معناها : « هذا ماذا ؟ » .
(٢) وردت هذه الأبيات الفارسية فى الشعر والشعراء ٣٢٠ والبيان والتبيين ١ : ١٤٣ ، والأغانى ١٧ : ٥١ ، والخزانة ٢١٠ .
(٣) آب : ماء . است فعل من أفعال الكينونة بالفارسية ، أراد أن النبيذ ماهو إلا ماء ، هو عصارات الزبيب . سمية هى أم زياد بن أبيه . وروسبيد : أى مشهورة .
(٤) الأغانى ١٧ : ٥٧ .
(٥) الأغانى : « المشذر » .
(٦) من قصيدة طويلة فى الأغانى ١٧ : ٥٧ ، ٥٨ :
(٧) الأغانى ١٧ : ٦٠ ، والشعر والشعراء ٣٢٤ مع اختلاف فى الرواية . عدس : كلمة زجر للبغال .

٢/١٩٤ سأشكُرُ ما أوْلَيْتَ من حُسْنِ نِعْمةٍ ومِثْلِى بِشُكْرِ المنعِمِينَ حقيقُ

فلما دخل على معاوية بكى، وقال: رُكِبَ مِنِّى ما لم يُرْكَبْ من مسلم على غير حَدَثٍ ولا جريرة ! قال : أوَ لست القائل :

ألا أَبلغ معاويةَ بن حَرْبٍ مُغلغلةً من الرَّجلِ اليمَانِى !

القصيدة — قال : لاوالذى عظَّم حقَّ أميرِ المؤمنين ما قلتُ هذا ؛ قال : أفلمْ تقل :

فأَشهَدُ أن أُمَّكَ لم تُباشِرْ أبا سُفْيانَ واضعةَ القِناعِ [٢]

فى أشعار كثيرة هجوتَ بها ابن زياد ! اذهب فقد عفونا لك عن جُرمك، أما لو إيانا تعامل لم يكن مما كان شيء ، فانطلق ؛ وفى أىّ أرض شئتَ فانزل . فنزل المَوْصِلَ ، ثمّ إنه ارتاح إلى البَصرة ، فقدمها ، ودخل على عُبيد الله فآمنه .

وأما أبو عُبيدة فإنه قال فى نزول ابن مفرّغ الموصل عن الذى أخبرنى به أبو زيد، قال: ذكر أنّ معاويةَ لما قال له : ألست القائل :

ألاَ أَبلغْ معاويةَ بَن حَرْبٍ مُغلغَلةً من الرّجل اليَمانِى

الأبيات، حَلَف ابن مفرّغ أنه لم يقله، وأنه إنما قاله عبدُالرحمن بن أمّ الحَكَم أخو مرْوان ، واتخذنى ذريعةً إلى هجاء زياد، وكان عَتَب عليه قبل ذلك ، فغضب معاويةُ على عبد الرحمن بن أمّ الحكم وحرَمه عطاءَه ، حتى أضرّبه ، فكُلِّم فيه ، فقال : لا أرضى عنه حتى يَرضَى عُبيد الله ؛ فقدم العراق على عبيد الله ، فقال عبد الرحمن له :

٢/١٩٥ لأَنتَ زيادةٌ فى آل حَرْبٍ أَحَبُّ إلىّ من إحدى بنانِى

أراكَ أخاً وعمّاً وابنَ عمٍّ ولا أدرى بِغَيْبٍ ما ترانِى

(١) الأغانى ١٧ : ٦٨ ، الشعر والشعراء ٣٢٢ .
(٢) الأغانى ١٧ : ٦٠ (ساسى) .

فقال : أراك واللهِ شاعرَ سَوْء ! فرضىَ عنه ، فقال معاوية لابن مفرّغ : ألستَ القائل :

فَأَشْهدُ أَنَّ أُمّك لَم تُباشِرْ أَبا سُفْيانَ واضعةَ القِناعِ

الأبيـــات ! لا تعودَنّ إلى مثلها ، عفَوْنا عنك . فأقبل حتّى نزل الموصلَ ، فتزوّج امرأة ، فلما كان فى ليلة بِنائها خرج حين أصبح إلى الصّيد ، فلقىَ دَهّانًا أو عطّاراً على حمار له ، فقال له ابن مفرّغ : من أين أقبلت ؟ قال : من الأهواز ؛ قال : وما فعل ماءُ مسْرُقانَ ؟ قال : على حاله ؛ قال : فخرج ابن مفرّغ فتوجه قِبَل البصرة ، ولم يُعلِم أهلَه بمسيره ، ومضى حتّى قدم على عُبيد الله بن زياد بالبصرة ، فدخل عليه فآمنه ، ومكث عنده حتّى استأذنه فى الخروج إلى كَرْمان ، فأذن له فى ذلك ، وكتب إلى عامله هنالك بالوَصاة والإكرام له ، فخرج إليها . وكان عامل عُبيد الله يومئذ على كَرْمانَ شريكُ ابنُ الأعور الحارثىّ .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، وكذلك قال الواقدىّ وغيره .

وكان الوالى على المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان ، وعلى الكوفة النعمان بن بَشير ، وعلى قضائها شُرَيح ، وعلى البَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة ، وعلى خُراسانَ عبدُ الرحمن بن زياد ، وعلى سِجِستانَ عبّاد بن زياد ، وعلى كَرْمان شريك بن الأعور من قِبَل عُبيد الله بن زياد . ٢/١٩٦

ثم دخلت سنة ستين

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فى هذه السنة كانت غزوةُ مالك بن عبد الله سُورِيَة ودخولُ جُنادةَ ابن أبى أميّة رودس ، وهدمه مدينتها ، فى قول الواقدىّ .

* * *

[ذكر عهد معاوية لابنه يزيد]

وفيها كان أخذ معاوية على الوفد الذين وفدوا إليه[1] مع عُبيد الله بن زياد البيْعة لابنه يزيد ، وعهد إلى ابنه يزيد حين مرض فيها ما عهد إليه فى النّفر الذين امتنعوا من البيعة ليزيد حين دعاهم إلى البَيعة .

وكان عهدُه الذى عهد، ماذكر هشام بن محمد، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مَخرَمة ؛ أنّ معاوية لما مَرِض مرضَتَه التى[2] هلك فيها دعا يزيد ابنَه ،فقال: يا بنىّ ، إنّى قد كفَيتك الرّحلة[3] والتّرحال ، ووطّأت لك الأشياء ،وذلّلت لك الأعداء ، وأخضعتُ لك أعناقَ العرب ، وجمعتُ لك من جمع واحد[4] ، وإنى لا أتخوّف أن ينازعك هذا الأمر الذى استتبّ لك إلاّ أربعة نفر من قريش : الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزّبير ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ؛ فأمّا عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقَذَته العبادة ، وإذا لم يبق أحدٌ غيره بايعك ، وأما الحسين بن علىّ فإنّ أهل العراق لن يَدَعوه حتى يُخرِجوه ، ١٩٧/٢ فإن خرج عليك فظفرتَ به فاصفح عنه فإنّ له رَحِمًا ماسّة وحقًّا عظيمًا ؛ وأما ابن أبى بكر فرجل إن رأى أصحابَه صنعوا شيئًا صنع مثلَهم ، ليس له همّة إلا فى النساء واللّهو ، وأما الذى يَجثِم لك جثومَ الأسد، ويراوغك مراوغة[5]

(١) س : « عليه » . (٢) س : « مرضه الذى » .

(٣) س : « الرجال » . كتاب المعمرين : « الترحال »

(٤) س : « جميع » ؛ ابن الأثير : « جمعت لك ما لم يجمعه أحد » . (٥) س : « روغان » .

الثعلب ، فإذا أمكنتْه فرصةٌ وثب ، فذاك ابن الزبير ، فإن هو فعلَها بك فقَدَرت عليه فقطّعه إرْبًا إرْبًا (١) .

قال هشام : قال عَوانة : قد سمعْنا فى حديث آخر أنّ معاوية لما حضره الموت — وذلك فى سنة ستين — وكان يزيد غائبًا ، فدعا بالضحّاك(٢) بن قيس الفهرىّ — وكان صاحب شرطته — ومسلم بن عقبة المرّىّ ، فأوصى إليهما فقال : بلّغا يزيدَ وصيّتى ، انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرِمْ مَن قدم عليك منهم ، وتعاهد مَن غاب ، وانظر أهلَ العراق ، فإن سألوك أن تَعزل عنهم كلّ يوم عاملاً فافعل ، فإنّ عَزْلَ عامل أحبّ إلىّ من أن تُشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشأم فليكونوا بطانتك وعَيْبتَك ، فإن نابك شىء من عدوّك فانتصر بهم ، فإذا أصبتَهم فاردُدْ أهلَ الشأم إلى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم ؛ وإنى لست أخاف مِن قريش إلاّ ثلاثة : حسينَ بنَ علىّ ، وعبدَ الله بن عمر ، وعبد الله ابن الزّبير ؛ فأمّا ابن عمرَ فرجل قد وقَذَه الدّين ، فليس ملتمسًا شيئًا قبَلك ، وأما الحسين بن علىّ فإنه رجل خفيف ، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتَل أباه ، وخذَل أخاه ، وإنّ له رَحِمًا ماسّة ، وحقًّا عظيمًا ، وقرابةً من محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أظنّ أهلَ العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرتَ عليه فاصفح عنه ، فإنّى لو أنى صاحبه عفوتُ عنه ، وأما ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإذا شَخَص لك فالبدْ له ، إلاّ أن يلتمس منك صُلحًا ، فإن فعل فاقبلْ ، واحقُنْ دماءَ قومك ما استطعت(٣) . ١٩٨/٢

* * *

[ذكر وفاة معاوية بن أبى سفيان]

وفى هذه السنة هلك معاويةُ بن أبى سُفْيانَ بدمشق ، فاختُلف فى وقت وفاته بعد إجماعِ جميعهم على أنّ هلاكه كان فى سنة ستّين من الهجرة ،

(١) الخبر فى كتاب المعمرين لأبى حاتم ١٥٥ .
(٢) س : « الضحاك » .
(٣) كتاب المعمرين ١٥٥ ، ١٥٦ .

وفى رجب منها ، فقال هشام بن محمد : مات معاويةُ لهلالِ رجب من سنة ستين .

وقال الواقدىّ : مات معاويةُ للنّصف من رجب .

وقال علىّ بن محمّد : مات معاويةُ بدمشقَ سنة ستّين يوم الخميس لثمانٍ بقِين من رَجَب ؛ حدّثنى بذلك الحارث عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مدة ملكه

حدّثنى أحمد بن ثابت الرازىّ ، قال : حدّثنى مَن سمع إسحاقَ بن عيسى يذكر عن أبى معشر ، قال : بويع لمعاوية بأذْرُحَ ، بايعه الحسنُ بنُ علىّ فى جُمادَى الأولى سنة إحدى وأربعين ، وتوفِّىَ معاوية فى رجب سنة ستين ، وكانت خلافتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر .

وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى يحيى بن سعيد بن دينار السعدىّ ، عن أبيه ، قالوا : ١٩٩/٢ توفِّىَ معاوية ليلةَ الخميس للنصف من رجب سنة ستين ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يومًا .

وحدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، قال : بايع أهل الشأم معاويةَ بالخلافة فى سنة سبع وثلاثين فى ذى القعدة حين تفرّق الحكَمان ، وكانوا قبلُ بايعوه على الطلب بدم عثمان ، ثمّ صالحه الحسنُ بنُ علىّ ، وسلّم له الأمر سنة إحدى وأربعين ، لخمس بقين من شهر ربيع الأوّل ، فبايع الناسُ جميعًا معاوية ، فقيل : عام الجماعة ؛ ومات بدمشق سنة ستين ، يوم الخميس لثمان بقين من رجب . وكانت ولايتُه تسعَ عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر وسبعةً وعشرين يومًا .

قال : ويقال : كان بين موت علىّ عليه السلام وموتِ معاويةَ تسعَ عشرةَ سنةً وعشرةُ أشهر وثلاثُ ليالٍ .

وقال هشام بنُ محمد : بويع لمعاوية بالخلافة في جُمادى الأولى سنة إحدى وأربعين ، فولي تسع عشرةَ سنةً وثلاثةَ أشهر إلاّ أيامًا ، ثم مات لهلال رجب من سنة ستين .

* * *

[ذكر مدّة عمره]

واختلفوا في مدّة عمره ، وكم عاش ؟ فقال بعضهم : مات يومَ مات وهو ابن خمسٍ وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني عمر ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى ، قال : أخبرني هشام بن الوليد ، قال : قال ابن شهاب الزّهريّ : سألني الوليدُ عن أعمار الخلفاء ، فأخبرتُه أنّ معاوية مات وهو ابن خمس وسبعين سنة ؛ فقال : بَخٍ بَخٍ ! إن هذا لعُمُر .

وقال آخرون : مات وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني عمر ، قال : حدّثني أحمد بن زهير قال : قال عليّ بن محمد : مات معاويةُ وهو ابن ثلاث وسبعين ؛ قال : ويقال ابن ثمانين سنة . ٢٠٠/٢

وقال آخرون : توفي وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني يحيى بن سعيد بن دينار ، عن أبيه ، قال : توفي معاوية وهو ابن ثمان وسبعين سنة .

وقال آخرون : توفي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، حُدّثتُ بذلك عن هشام بن محمد أنه كان يقوله عن أبيه .

* * *

[ذكر العلّة التى كانت فيها وفاته]

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا أبوعُبيدة ، عن أبى يعقوب الثقفىّ ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : لما ثَقُل مُعاوية وحدَّث الناس أنه الموت ، قال لأهله : احشُوا عينى إثمِداً ، وأوسِعوا رأسى دُهناً ، ففعلوا ، وبرّقوا وجهَه بالدّهن ، ثم مُهِّدَ له ، فجلس وقال : أسندونى ، ثم قال : ائذنوا للناس فليسلّموا قياماً ، ولا يجلس أحدٌ ، فجعل الرجل يدخل فيسلّم قائماً فيراه مكتحلاً مُدّهناً فيقول : يقول الناس : هو لمَابِه ، وهو أصحّ الناس ، فلما خرجوا من عنده قال معاوية :

وتجلُّدِى للشامِتينَ أُرِيهِمُ ... أنّى لِرَيبِ الدهرِ لا أتَضَعْضَعُ[1]

٢٠١/٢ وإذا المَنِيَّةُ أنْشبَتْ أظْفارَها ... ألفَيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

قال : وكان به النُّفاثات[2] ، فمات من يومِه ذلك .

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، عن إسحاق بن أيوب ، عن عبد الملك بن ميناس الكلبىّ ، قال : قال معاوية ، لابنتيه فى مرضه الذى مات فيه وهما تقلّبانه : تُقَلِّبان حُوّلاً قُلّبًا ، جمع المال من شُبَّ إلى دُبَّ[3] إن لم يدخل النار ، ثم تمثّل :

لقد سعيتُ لكم من سَعْيِ ذى نَصَب ... وقد كَفَيتُكُمُ التّطْوافَ والرِّحَلاَ[4]

ويقال : « من جمع ذى حسب » .

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ ، عن سليمان بن أيوب ، عن الأوزاعىّ وعلىّ بن مجاهد ، عن عبد الأعلى بن ميمون ، عن أبيه ؛ أنّ معاوية قال فى

---

(١) لأبى ذؤيب الهذلى ، ديوان الهذليين ١ : ٣٨ .

(٢) ابن الأثير : « التفاتات » .

(٣) من شب إلى دب ؛ أى من جمعت لدن شببت إلى أن دببت على العصا ؛ وأصل المثل «أعييتنى من شب إلى دب » . وانظر اللسان (شبب) .

(٤) كتاب المعمرين ١٥٩ ، وروايته : « وقد كفيتكم الترحال والنصبا » .

مرضه الذى مات فيه : إنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كسانى قميصًا فرفعتُه . وقلّم أظفاره يومًا ، فأخذتُ قُلامتَه فجعلتُها فى قارورة ، فإذا متّ فألبسونى ذلك القميصَ ، وقطّعوا تلك القُلامةَ ، واسحَقوها وذُرّوها فى عينى ، وفى فىّ ، فعسى الله أن يرحَمنى ببَركتها ! ثم قال متمثّلاً بشِعر الأشهب بن رُمَيلة النَّهشلىّ يمدح به القُباع[1] :

إذا مُتّ ماتَ الجُودُ وانقطعَ النَّدَى ... من الناس إلاَّ من قليل مصَرَّدِ

ورُدَّتْ أكُفُّ السائلينَ وأمْسَكوا ... من الدّينِ والدنيا بخِلفٍ مُجدَّدِ

فقالت إحدى بناته — أوغيرها : كلاّ يا أمير المؤمنين ، بل يدفع الله عنك ؛ فقال متمثلاً : ٢٠٢/٢

وإذا المنيّة أنشبتْ أظفارَها ... ألفَيتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

ثم أغمِىَ عليه ، ثم أفاق ، فقال : لمن حضره من أهله : اتقوا الله عزّ وجلّ ، فإنّ الله سبحانه يَقِى من اتّقاه ، ولا واقىَ لمن لا يتقى الله ؛ ثم قضى .

حدّثنا أحمد ، عن علىّ ، عن محمد بن الحكم ، عمّن حدّثه أنّ معاوية لما حُضر أوصى بنصف ماله أن يُردّ إلى بيت المال ، كان[2] أراد أن يَطيب له الباقى ، لأنّ عمر قاسم عمّاله .

* * *

ذكر الخبر عمّن صلّى على معاوية حين مات

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : صلّى على معاوية الضحّاك بن قيس الفهرىّ ، وكان يزيد غائبًا حين مات معاوية .

وحُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبدالملك ابن نوفل بن مُساحِق بن عبد الله بن مَخرمة ، قال : لما مات معاوية خرج

(١) هو الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقباع ، وانظر الكامل ٣ : ٣٠٧ .
(٢) ابن الأثير : « كأنه » .

الضحاك بن قيس حتى صعِد المنبرَ وأكفانُ معاوية على يديه[١] تلوح ، فَحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إنّ معاوية كان عُود العرب ، وحدّ العرب ، قطع الله عزّ وجلّ به الفتنة ، وملّكه على العباد ، وفتح به البلاد . ألا إنه قد مات ، فهذه أكفانه ، فنحن مُدْرِجُوه فيها ، ومُدْخلوه قبرَه ، ومُخلّون بينه وبين عمله ، ثمّ هو البرزخ إلى يوم القيامة ، فمن كان منكم يريد أن يَشهَده فليحضُرعند الأولى . وبعث البَريدَ[٢] إلى يزيدَ بوجع معاوية ، فقال يزيد فى ذلك :

٢٠٣/٢

جاءَ البريدُ بقرطاسٍ يَخُبُّ بِهِ ... فأَوْجَسَ القلبُ من قرطاسهِ فزعَا[٣]

قلنا : لك الويلُ ماذا فى كتابِكُمُ ؟ ... قالوا : الخليفةُ أمْسَى مُثْبَتاً وجِعا

فمادتِ الأرضُ أو كادَتْ تَميدُ بنا ... كأنّ أغبَرَ من أركانها انقطعا

من لا تَزَلْ نفسُهُ تُوفِى على شَرَفٍ ... تُوشِكْ مقاليدُ تلك النفسِ أن تقعا

لمّا انتهَيْنا وبابُ الدار مُنْصَفِقٌ ... وصوتُ رَملةَ رِيعَ القلبُ فانصَدَعا

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنا علىّ ، عن إسحاقَ بن خُليد ، عن خليد ابن عَجْلان مولى عبّاد ، قال : مات معاويةُ ويزيد بحُوّارين ، وكانوا كتبوا إليه حين مرض ، فأقبل وقد دُفِن ، فأتى قبرَه فصلى عليه ، ودعا له ، ثم أتى منزلَه ، فقال : « جاء البريد بقِرْطاس ... » الأبيات .

* * *

ذكر الخبر عن نسبه وكنيته

٢٠٤/٢

أما نسبه فإنه ابن أبى سُفْيان ، واسم أبى سُفْيان صَخْر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ بن كلاب ، وأمّه هند بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصىّ ، وكنيته أبو عبد الرحمن .

---

(١) س : « على يده » .

(٢) فى المعمرين : « بعد الظهر » .

(٣) الأغانى ١٦ : ٣٣ (ساسى) ، والمعمرون ١٥٧ .

ذكر نسائه وولده

من نسائه مَيْسون بنت بَحْدل بن أنَيف بن وَلْجة بن قُنافة بن عدىّ ابن زهير بن حارثة بن جناب الكلبىّ ، ولدت له يزيدَ بن معاوية . قال علىّ : ولدت ميسونُ لمعاويةَ مع يزيد أمةَ — ربّ المشارق — فماتت صغيرة ، ولم يذكرها هشام فى أولاد معاوية .

ومنهنّ فاختة ابنة قَرَظة بن عبد عَمرو بن نوفل بن عبد مناف . ولدتْ له عبدَ الرحمن وعبد الله بنى معاوية ، وكان عبد الله محمَّقًا ضعيفًا ، وكان يُكنَى أبا الخير . حدّثنى أحمد ، عن علىّ بن محمد ، قال : مرّ عبدالله بن معاوية يومًا بطحّان قد شدّ بغلَه فى الرّحا للطحن ، وجعل فى عنقه جلاجلَ ، فقال له : لِمَ جعلتَ فى عنق بغلك هذه الجلاجل؟ فقال الطحّان : جعلتُها فى عنقه لأعلمَ إنْ قد قام فلم تَدُر الرّحا ، فقال له : أرأيت إن هو قام وحرّك رأسه كيف تعلم أنه لا يدير الرحا؟ فقال له الطحان : إنّ بغلى هذا — أصلح الله الأمير — ليس له عقل مثل عقل الأمير! وأما عبد الرحمن فإنه مات صغيراً .

ومنهنّ نائلة بنت عُمارة الكلبية ، تزوّجها ؛ فحدّثنى أحمد ، عن علىّ قال : لما تزوج معاوية نائلة قال لميْسون : انطلِقى فانظرى إلى ابنة عمك ، فنظرت إليها ، فقال : كيف رأيتِها؟ فقالت : جميلة كاملة ، ولكن رأيت تحتَ سرّتها خالاً ليوضعنّ رأس زوجها فى حِجْرها ، فطلّقها معاوية ، فتزوّجها حبيب بن مسلمة الفهرىّ ، ثم خلف عليها بعد حبيب النعمان بن بَشير الأنصارىّ ، فقتل ، ووضع رأسه فى حِجْرها . ٢٠٥/٢

ومنهنّ كَتْوة بنت قرظة أخت فاختة ، فغزا قُبْرُسَ وهى معه ، فماتت هنالك .

* * *

ذكر بعض ما حضرنا من ذكر أخباره وسيره

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ ، قال : لما بويع لمعاوية بالخلافة صيّر

على شرطته قيس بن حمزة الهمْدانىّ ، ثم عزله ، واستعمل زُميل [١] بن عمرو العُذْرىّ — ويقال السَّكْسَكىّ . وكان كاتبه وصاحبَ أمره سرجون بن منصور الرّومىّ ، وعلى حَرَسه رجلٌ من الموالى يقال له المختار ؛ وقيل : رجل يقال له مالك ، ويكنى أبا المخارق ، مولًى لحميَر . وكان أوّل مَن اتّخذ الحرس . وكان على حجّابه سعد مولاه ، وعلى القضاء فَضالة بن عبيد الأنصارىّ ، فمات فاستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخَوْلانىّ . إلى هاهنا حديث أحمد ، عن على .

٢٠٦/٢ وقال غير علىّ : وكان على ديوان الخاتَم عبد الله بن مِحصَن الحمْيَرىّ ، وكان أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم . قال : وكان سبب ذلك أن معاوية أمر لعَمرو بن الزُّبير فى معونته وقضاء دَينه بمائة ألف درهم ، وكتب بذلك إلى زياد بن سُميّة وهو على العراق ، ففضّ عَمرو الكتاب وصيّر المائة مائتين ، فلما رفع [٢] زياد حسابَه أنكرها معاوية ، فأخذ عمراً بردّها وحبسه ، فأدّاها عنه أخوه عبدالله بن الزبير ، فأحدث معاوية عند ذلك ديوانَ الخاتم وخَزْم الكتب ، ولم تكن تُخْزَم .

حدّثنى عبد الله بن أحمد بن شَبَّوَيه ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المُبارك ، عن ابن أبى ذئب ، عن سعيد المَقْبرىّ ، قال : قال عمر بن الخطاب : تذكرون كسرى وقيصرَ ودهاءَهما وعندكم معاوية !

حدّثنى عبد الله بنُ أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن فُليح ، قال : أخبِرت أنّ عمرو ابنَ العاص وفد إلى معاوية ومعه أهلُ مصر ، فقال لهم عَمرو : انظروا ، إذا دخلتم على ابن هند فلا تُسلّموا عليه بالخلافة ، فإنه أعظم لكم فى عينه ، وصغّروه ما استطعتم . فلما قدموا عليه قال معاوية لحجّابه : إنى كأنى أعرف ابن النابغة وقد صغّر أمرى عند القوم ، فانظروا إذا دخل الوفد فتَعتعوهم [٣] أشدّ تَعتَعة

---

(١) ابن الأثير : « زمل » .

(٢) س : « بلغ » .

(٣) تعتعوهم ؛ أى أزعجوهم .

تقدرون عليها ، فلا يبلغنى رجل منهم إلاّ وقد همّته نفسه بالتّلف . فكان أوّل ٢/٢٠٧
مَنْ دخل عليه رجل من أهل مصرَ يقال له ابن الخيّاط ، فدخل وقد تُعتِع ،
فقال : السّلام عليك يارسولَ الله ، فتتابع القومُ على ذلك ، فلما خرجوا قال لهم
عمرو : لعنكم الله ! نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة ، فسلّمتم عليه بالنبوّة !

قال : ولبس معاوية يومًا عمامته الحرقانيّة واكتَحل ، وكان من
أجمل الناس إذا فعل ذلك . شكّ عبد الله فيه سمعه أو لم يسمعْه .

حدّثنى أحمد بن زهير ، عن علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا أبو محمد
الأموىّ ، قال : خرج عمر بن الخطاب إلى الشأم ، فرأى معاوية فى موكب يتلقّاه ،
وراح إليه فى موكِب ، فقال له عمر : يا معاوية ، تَروحُ فى موكب وتغدو
فى مثلِه ؛ وبلغنى أنك تُصبِح فى منزلك وذوو الحاجات ببابك ! قال :
يا أمير المؤمنين ، إنّ العدوّ بها قريب منا ، ولهم عيون وجواسيس ، فأردتُ
يا أمير المؤمنين أن يَروْا للإسلام عزًّا ؛ فقال له عمر : إنّ هذا لكيدُ رجل
لبيب ، أو خُدْعَةُ رجل أريب ؛ فقال معاوية : يا أمير المؤمنين ، مُرْنى
بما شئتَ أصِرْ إليه ؛ قال : وَيْحك ! ما ناظرتُك فى أمر أعيب عليك فيه
إلا تركتَنى ما أدرى آمرك أم أنهاك !

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ،
قال : حدّثنى عبد الله ، عن مَعمَر ، عن جعفر بن بُرْقان ، أنّ المغيرة
كتب إلى معاوية : أمّا بعد ، فإنى قد كَبِرَتْ سنى ، ودَقّ عظمِى ،
وشَنِفَتْ لى[1] قريش ، فإنْ رأيتَ أن تعزلَنى فاعزِلنى .

فكتبَ إليه معاوية : جاءنى كتابُك تذكر فيه أنه كبِرتْ سنُّك ، فلعَمرى ٢/٢٠٨
ما أكل عمرَك غيرُك ، وتذكر أنّ قريشًا شنفتْ لك ، ولعَمرى ما أصبتَ خيراً
إلاّ منهم . وتسألنى أن أعزلك ، فقد فعلت ؛ فإنْ تك صادقًا فقد شفّعتُك ،
وإن تك مخادعًا فقد خدعتُك .

---

(١) شنفت لى ؛ أى أبغضتنى .

حدّثني أحمد ، عن عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد ، قال : قال معاوية : إذا لم يكن الأمويّ مصلحًا لما لـه ، حليماً ، لم يُشبه مَن هو منه ، وإذا لم يكن الهاشميّ سخيًّا جواداً لم يشبه من هو منه ، ولا يقدمْك من الهاشميّ اللسان والسخاء والشجاعة .

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن عوانة وخلاّد بن عيدة ، قال : تغدّى معاوية يومًا وعنده عُبيد الله بن أبي بكْرة ، ومعه ابنُه بشير — ويقال : غير بشير — فأكثر من الأكل ، فلحَظه معاوية ، وفَطِن عبيدالله بن أبي بكْرة ، فأراد أن يغمِز ابنه ، فلم يمكنه ، ولم يرفع رأسَه حتى فرغ ، فلما خرج لامَه على ما صنع ، ثم عاد إليه وليس معه ابنه ، فقال معاوية : ما فعل ابنُك التلقامة ؟ قال : اشتكَى ؛ فقال : قد علمتُ أن أكلَه سيورِّثه داءً .

حدّثني أحمد، عن عليّ، عن جويرية بن أسماء، قال : قدم أبو موسى على معاوية ، فدخل عليه في بُرنُسٍ أسوَد ، فقال : السّلام عليك يا أمينَ الله ، قال : وعليك السلام ؛ فلما خرج قال معاوية : قدم الشيخ ِلأوَلّيَه ، ولا والله لا أوَلّيه .

حدّثني عبد الله بن أحمد، قال : حدّثني أبو صالح سليمان بن صالح قال : حدّثني عبد الله بن المبارك ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بُرْدة ، قال : دخلتُ على معاوية حيث أصابته قَرْحتُه ، فقال : هلمّ يابن أخي ، نحوى فانظر ، فنظرتُ فإذا هي قد سُبِرتْ ، فقلت : ليس عليك بأس يا أميرَ المؤمنين ، فدخل يزيدُ فقال معاوية : إن وليتَ من أمر الناس شيئًا فاستوصِ بهذا ، فإن أباه كان لي خليلاً أو نحو ذلك من القول غير أني رأيت في القتال ما لم يسَرَه . ٢٠٩/٢

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن شهاب بن عبيد الله ، عن يزيدَ بن سويد ، قال : أذن معاوية للأحنف وكان يبدأ بإذنه ، ثم دخل محمد بن الأشعث فجلس بين معاوية والأحنف ، فقال معاوية : إنا لم نأذن له قبلك فتكونَ دونه ، وقد فعلتَ فعالَ من أحسّ من نفسه ذُلًّا ، إنا كما نَملك أمورَكم

تملك إذنكم ، فأريدوا منا ما نريد منكم ، فإنه أبقى لكم .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن سُحَيم بن حفص ، قال : خطب ربيعة بن عِسْل اليربوعىّ إلى معاوية ، فقال معاوية : اسقُوه سَوِيقا ؛ وقال له معاوية : يا ربيعة ، كيف الناسُ عندكم ؟ قال : مختلفون على كذا وكذا فرقةً ؛ قال : فمِن أيّهم أنت ؟ قال : ما أنا على شىء من أمرهم ؛ فقال معاوية : أراهم أكثر ممّا قلت ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، أعنّى فى بناء دارى باثنى عشرَ ألف جِذْع ؛ قال معاوية : أين دارُك ؟ قال بالبَصرة ، وهى أكثر من فرسخين فى فرسخين ؛ قال : فدارُك فى البَصرة ، أو البَصرة فى دارك ! فدخل رجلٌ من ولده على ابن هُبيْرة فقال : أصلح الله الأمير ! أنا ابنُ سيِّد قومه ، خطب أبى إلى معاوية ، فقال ابن هبيرة لسلْم بن قتيبة : مايقول هذا ؟ قال : هذا ابن أحمق قومه ؛ قال ابن هبيرة : هل زوّج أباك معاوية ؟ قال : لا ، قال : فلا أرى أباك صنع شيئًا . ٢/٢١٠

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن أبى محمّد بن ذَكوان القرشىّ ، قال : تنازع عُتبة وعنبسة ابنا أبى سُفْيان — وأمّ عتبة هند وأمّ عنبسة ابنة أبى أُزَيْهِر الدَّوسىّ — فأغلظ معاويةُ لعنبسةَ ، وقال عنبسة : وأنت أيضًا يا أميرَ المؤمنين ! فقال : يا عنبسة ، إنّ عُتبةَ ابنُ هند ، فقال عنبسة :

كنَّا بخير صالحاً ذاتُ بيننا قديماً فأمست فرّقتْ بيننا هندُ[(١)]
فإنْ تك هندٌ لَم تلِدْنى فإنّنى لبيضاءَ يَنمِيها غَطارفةٌ نُجْدُ[(٢)]
أبوها أبو الأضياف فى كلّ شتوةٍ ومأوى ضعافٍ لا تَنُوءُ من الجَهدِ
جُفَيْنَاته ما إنْ تزال مُقيمة لمن خافَ من غَوْرَىْ تِهامةَ أونجدِ

فقال معاوية : لا أعيدها عليك أبداً .

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن حرملة بن عمران ، قال : أتى معاوية فى ليلة أنّ

(١) كتبت الأبيات فى ط محرفة على هيئة النثر . (٢) ط : « مجد » .

قيصرَ قصد له فى الناس ، وأنّ ناتِل بن قيس الجُذامىّ غلب فلسطين وأخذ بيتَ مالها ، وأنّ المصريّين الذين كان سَجَنَهم هَرَبوا ، وأنّ علىّ بن أبى طالب قصد له فى الناس ، فقال لمؤذّنه : أذّن هذه الساعة — وذلك نصف الليل — فجاءه عمرو بن العاص ، فقال : لم أرسلت إلىّ ؟ قال : أنا ما أرسلت إليك ؛ قال : ما أذّن المؤذّن هذه الساعة إلاّ من أجلى ؛ قال : رُميتُ بالقِسِىّ

٢١١/٢ الأربع ؛ قال عمرو : أما هؤلاء الذين خرجوا من سجنك ، فإنهم إن خرجوا من سجنك فهم فى سجن الله عزّ وجلّ ، وهم قوم شُراةٌ لا رحلة بهم ، فاجعل لمن أتاك برجل منهم أو برأسه دِيَته ، فإنك ستؤتَى بهم ، وانظر قيصرَ فوادعْه ، وأعطِه مالاً وحُللاً من حُلَل مصر ، فإنّه سيرضى منك بذاك ، وانظر ناتل ابن قيس ، فلَعَمرى ما أغضبه الدّين ، ولا أراد إلا ما أصاب ، فاكتب إليه ، وهب له ذلك ، وهنّئه إياه ، فإن كانت لك قدرةٌ عليه ، وإن لم تكن لك فلا تأسَ عليه ، واجعل حدّك وحديدَك لهذا الذى عنده دمُ ابن عمِّك . قال : وكان القوم كلُّهم خرجوا من سجنه غير أبرَهة بن الصّبّاح ، قال معاوية : ما منعك من أن تخرج مع أصحابك ؟ قال : ما منعنى منه بغضٌ لعلىّ ، ولا حبٌّ لك ، ولكنى لم أقدِر عليه ؛ فخلّى سبيلَه .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله بن المبارك[١] ، عن جرير بن حازم ، قال : سمعت محمد بن الزبير يحدّث ، قال : حدّثنى عبد الله بن مسعدة بن حَكَمة الفزارىّ من بنى آلِ بدر ، قال : انتقل معاويةُ من بعض كورِ الشأم إلى بعض عمله ، فنزل منزلاً بالشأم ، فَبُسِط له على ظهر إجّار[٢] مُشرِف على الطريق ، فأذن لى ، فقعدت معه ، فمرّت القُطُرات والرّحائل والجوارى والخيول ، فقال :

٢١٢/٢ يا بن مسعدة ، رحم الله أبا بكر ! لم يُرِد الدنيا ولم تُرِده الدنيا ، وأما عمر — أو قال : ابن حَنْتمة — فأرادتْه الدنيا ولم يردْها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابتْ منه ؛ وأما نحن فتمرّغنا فيها ؛ ثم كأنه ندم فقال : والله إنّه لَمُلْك آتانا الله إيّاه .

(١) ط : « مسعدة » ، وانظر الفهرس .
(٢) الإجّار : السطح بلغة الشام .

حدّثني أحمد ، عن عليّ بن محمّد ، عن عليّ بن عبيد الله ، قال : كتب عمرو بن العاص إلى معاوية يسأله لابنه عبد الله بن عمرو ما كان أعطاه أباه من مصر ، فقال معاوية : أراد أبو عبد الله أن يكتب فهدَر ، أشهدكم أنى إن بقيتُ بعدَه فقد خلعتُ عهدَه . قال : وقال عمرو بن العاص : ما رأيت معاوية متّكئًا قطّ واضعًا إحدى رجليه على الأخرى كاسرًا عينه يقول لرجل : تكلّم ، إلا رحمتُه

قال أحمد : قال عليّ بن محمد : قال عمرو بن العاص لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، ألستُ أنصحَ الناس لك ؟ قال : بذلك نلتَ ما نلت .

قال أحمد : قال عليّ : عن جويرية بن أسماء ، أنّ بسر بن أبي أرطاة نال من عليّ عند معاوية وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلاه بعصًا فشجه ، فقال معاوية لزيد : عمدت إلى شيخ من قريش سيّد أهل الشأم فضربتَه ! وأقبل على بُسر فقال : تَشتمُ عليًّا وهو جدّه وابن الفاروق على رءوس الناس ، أو كنت ترى أنه يَصبر على ذلك ! ثم أرضاهما جميعًا . قال : وقال معاوية : إنى لأرفع نفسي من أن يكون ذنبٌ أعظم من عفوى ، وجهلٌ أكثر من حلمى ، أو عورةٌ لا أواريها بسترى ، أو إساءةٌ أكثر من إحسانى . قال : وقال معاوية : زَين الشريف العفَاف ؛ قال : وقال معاوية : ما من شيء أحبّ إلىّ من عين خرّارة ، فى أرض خوّارة ، فقال عمرو بن العاص : ما من شيء أحبّ إلىّ من أن أبيت عروسًا بعقيلة من عقائل العرب ؛ فقال وَرْدان مولى عمرو بن العاص : ما من شيء أحبّ إلىّ من الإفضال على الإخوان ، فقال معاوية : أنا أحقّ بهذا منك ؛ قال : ما تحبّ فافعل . ٢١٣/٢

حدّثني أحمد ، عن عليّ ، عن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كان عامل معاوية على المدينة إذا أراد أن يُبرِد بريدًا إلى معاوية أمر مُناديَه فنادَى : مَن له حاجةٌ يَكتب إلى أمير المؤمنين ؛ فكتب زرّ بن حُبيش — أو أيمَن بن خُرَيم — كتابًا لطيفًا ورَمَى به فى الكُتُب ، وفيه :

إذا الرجالُ وَلَدَتْ أولادُها ... وَاضطرَبَتْ من كِبَر أعْضادُها

وجَعلتْ أسقامُها تعْتادُها ... فهى زُرُوعٌ قد دَنا حَصادُها

فلمّا وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب ؛ قال : نعى إلىّ نفسى .

قال : وقال معاوية : ما من شىء ألذّ عندى من غيظ أتجرّعه .

قال : وقال معاوية لعبد الرحمن بن الحَكَم بن أبى العاص : يابن أخى ، إنك قد لهجْتَ بالشعر ، فإيّاك والتشبيبَ بالنساء فتعرُّ الشريفة ، والهجاء فتعرّ كريمًا ، وتستثير لئيما ، والمدح ، فإنه طُعمة الوَقاح ، ولكن افخرْ بمَفاخر قومك ، وقلْ من الأمثال ما تزين به نفسَك ، وتؤدِّب به غيرَك . ٢/٢١٤

حدّثنى أحمد ، عن على ، قال : قال الحسن بن حماد : نظر معاويةُ إلى الشُّما فى عباءة ، فازدراه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ العباءة لا تكلّمك ، وإنما يكلّمك مَن فيها .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن سليمان ، قال : قال معاوية : رجلان إن ماتا لم يموتا ، ورجلٌ إنْ مات مات ، أنا إنْ متّ خلَفَنى ابنى ، وسعيد إن مات خلفه عمرو ، وعبد الله بن عامر إن مات مات ؛ فبلغ مرْوان ، فقال : أمّا ذكر ابنى عبد الملك ؟ قالوا : لا ؛ قال : ما أحبّ أن لى بابنى ابنَيْهما .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح ، قال : قال رجل لمعاوية : أىّ الناس أحبّ إليك ؟ قال : أشدّهم لى تحبيبًا إلى الناس .
قال : وقال معاوية : العقل والحلم أفضل ما أعطِىَ العبد ، فإذا ذُكِّر ذَكر ، وإذا أعطِى شكَر ، وإذا ابتُلى صبَر ، وإذا غضِب كظَم ، وإذا قدَر غفَر ، وإذا أساء استغفَر ، وإذا وَعَد أنجَز .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن عبد الله ، وهشام بن سعد ، عن عبد الملك ابن عُمير ، قال : أغلَظَ رجلٌ لمعاوية فأكثر ، فقيل له : أتحلُم عن هذا ؟ فقال : إنى لا أحولُ بين الناس وألسنتهم ما لم يَحُولوا بيننا وبين مُلكنا .

حدّثنى أحمد ، عن علىّ ، عن محمد بن عامر ، قال : لامَ معاوية عبدَ الله بن جعفر على الغناء ، فدخل يومًا على معاوية ومعه بُدَيْحٌ ، ومعاوية واضع رِجلاً على رجل ، فقال عبد الله لبُديح : إيهًا يا بديح ! فتغنّى ،

فحرّك معاوية رِجلَه ، فقال عبدُ الله : مهْ يا أميرَ المؤمنين ! فقال معاوية : ٢/٢١٥
إن الكريمَ طَروب .

قال : وقَدِم عبدُالله بن جعفر على معاوية ومعه سائبُ خاثر — وكان مولًى لبنى لَيث ، وكان فاجراً — فقال له : ارفع حوائجَك ؛ ففعل ، ورفَع فيها حاجة سائبِ خاثر ؛ فقال معاوية : مَن هذا ؟ فخبَّره ؛ فقال : أدخِله ، فلمّا قام على باب المجلس غنَّى :

لِمَن الديارُ رُسُومُها قَفْرُ　　لَعِبَتْ بها الأَرواحُ والقَطْرُ !
وخَلاَ لَهَا من بعد ساكِنِها　　حِجَجٌ خَلَوْنَ ثَمان أَو عَشْرُ
والزّعفران على تَرائِبِها　　شَرِقاً به اللَّبّاتُ والنَّحرُ

فقال أحسنتَ ، وقضى حوائجَه .

حدّثنى عبد الله بن أحمد ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبدالله ، عن مَعمَر ، عن همّام بن منبّه ، قال : سمعت ابن عبّاس يقول : ما رأيت أحداً أخلقَ للمُلك من معاوية ، إن كان ليردُ الناس منه على أرجاءِ وادٍ رحْب ، ولم يكن كالضّيق الحُضْحُض، الحصِر — يعنى ابن الزّبير .

حدّثنى عبد الله ، قال : حدّثنى أبى ، قال : حدّثنى سليمان ، قال : حدّثنى عبد الله ، عن سُفيانَ بن عيينة ، عن مجالد ، عن الشعبىّ ، عن قبيصة بن جابر الأسدىّ قال : ألاَ أخبركم مَن صحبتُ ؟ صحبتُ عمر بنَ الخطاب فما رأيت رجلاً أفقَه فِقْهاً ، ولا أحسنَ مُدارَسة منه ؛ ثم صحبتُ طلحةَ بنَ عبيد الله ، فما رأيت رجلاً أعطَى للجزيل من غير مسألة منه ؛ ثم صحبتُ معاويةَ فما رأيت رجلاً أحبَّ رفيقًا ، ولا أشبهَ سريرةً بعلانية منه ، ولو أنّ المغيرةِ جُعِل فى مدينة لا يُخرَج من أبوابها كلِّها إلاّ بالغدر لخرجَ منها . ٢/٢١٦

خلافة يزيد بن معاوية

وفى هذه السنة بويع ليزيدَ بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه، للنّصف من رجب فى قول بعضهم، وفى قول بعض: لثمانٍ بقِينَ منه — على ماذكرنا قبلُ من وفاة والده معاوية — فأقرّ عُبيدَالله بن زياد على البَصرة، والنُّعمانَ بن بشير على الكوفة.

وقال هشام بن محمد، عن أبى مخنَف؛ ولِىَ يزيد فى هلال رجب سنة ستين، وأمير المدينة الوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان، وأمير الكوفة النّعمان ابن بشير الأنصارىّ، وأمير البَصرة عُبيد الله بن زياد، وأمير مكّة عَمرو بن سعيد بن العاص، ولم يكن ليزيد همّة حين ولى إلا بيعة النفر الذين أبَوا على معاوية الإجابة إلى بيعة يزيدَ حين دعا الناس إلى بيعته، وأنه ولى عهده بعدَه، والفراغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد:

بسم الله الرحمن الرحيم. مِن يزيدَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عتبة، أما بعد، فإنّ معاوية كان عبداً من عباد الله، أكرمه الله واستخلَفَه، وخوّله، ومكّن له، فعاش بقَدَر، ومات بأجَل، فرحمه الله، فقد عاش محموداً، ومات برًّا تقيًّا، والسلام.

وكتب إليه فى صحيفة كأنها أذْنُ فأرة:

أما بعد، فخذ حُسَيناً وعبد الله بنَ عمر وعبد الله بن الزبير بالبيْعة أخْذاً شديداً ليست فيه رُخصة حتى يبايعوا؛ والسلام. ٢١٧/٢

فلما أتاه نَعِىّ معاوية فَظِع به، وكبُر عليه، فبعث إلى مروانَ بن الحكم فدعاه إليه — وكان الوليد يومَ قدم المدينة قَدِمها مروانُ متكارِهًا — فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه، فبلغ ذلك مرْوان، فجلس عنه وصرَمه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعىّ مُعاوية إلى الوليد، فلما عظُم على الوليد هلاكُ معاوية وما أمر به من أخذ هؤلاء الرّهط بالبيْعة، فزع عند ذلك إلى مروان، ودعاه، فلما قرأ عليه كتابَ يزيدَ، استرجع وترحّم عليه، واستشاره

الوليدُ فى الأمر وقال : كيف ترى أن نصنع ؟ قال : فإنى أرى أن تبعث الساعةَ إلى هؤلاء النفر فتدعوَهم إلى البيعة والدّخول فى الطاعة ، فإن فعلوا قَبِلْتَ منهم ، وكَففتَ عنهم ، وإن أبَوا قدّمتَهم فضربتَ أعناقَهم قبل أن يعلموا بموت معاوية ، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثَبَ كلّ امرئ منهم فى جانب ، وأظهرَ الخلافَ والمنابذَة ، ودعا إلى نفسه لا أدرى ؛ أما ابنُ عمرَ فإنى لا أراه يرَى القتال ، ولا يحبّ أنه يُوَلّى على الناس ، إلاّ أن يُدفَع إليه هذا الأمر عَفْواً . فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان — وهو إذ ذاك غلامٌ حدَث [١]— إليهما يدعوهما [١] ، فوجدهما فى المسجد وهما جالسان ، فأتاهما فى ساعة لم يكن الوليد[٢] يجلس فيها للناس ، ولا يأتيانه فى مثلها ، فقال : أجيبَا ، الأميرُ يدعوكما ، فقال له : انصرف ؛ الآن نأتيه . ثم أقبل أحدُهما على الآخر ، فقال عبد الله بن الزبير للحسين : ظُنّ فيما تراه بعث إلينا فى هذه الساعة التى لم يكن يجلس فيها ! فقال حُسين : قد ظننتُ ، أرى طاغيتَهم قد هلك ، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يَفْشُوَ فى الناس الخبر ؛ فقال : وأنا ما أظنّ غيرَه . قال : فما تريد أن تصنع؟ قال : أجمعَ فِتْيانى الساعة ، ثم أمشى إليه ، فإذا بلغتُ البابَ احتبستهم عليه ، ثم دخلت عليه . قال : فإنى أخافه عليك إذا دخلت ؛ قال : لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر . فقام فجمع إليه مواليَه وأهلَ بيته ، ثم أقبل يمشى حتى انتهى إلى باب الوليد وقال لأصحابه : إنى داخلٌ ، فإن دعوتُكم أو سمعتم صوتَه قد علا فاقتحموا علىّ بأجمعكم ، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم ، فدخل فسلّم عليه بالإمْرة ومرْوانُ جالسٌ عندَه ، فقال حسين ، كأنه لا يظنّ ما يظنّ من موت معاوية : الصِّلة خيرٌ من القطيعة ، أصلَح اللهُ ذاتَ بينكما ! فلم يجيباه فى هذا بشىء ، وجاء حتى جلس ، فأقرأه الوليد الكتابَ ، ونَعَى له معاوية ، ودعاه إلى البيعة ، فقال حسين : إنا لله وإنا إليه راجعون ! ورَحِم الله معاوية ، وعَظّم لك الأجر ! أمّا ما سألتنى من البَيعة فإنّ مِثلى لا يُعطى بَيعته سِرّاً ،

٢١٨/٢

(١-١) كذا فى ط ، وفى ابن الأثير : «إلى الحسين وإلى ابن الزبير يدعوهما» ؛ وهو أوضح .

(٢) هو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أمير المدينة .

ولا أراك تجتزئ بها منى سرًّا دون أن نُظهِرَها على رءوس الناس علانية؛ قال : أجَلْ ، قال : فإذا خرجتَ إلى الناس فدعوتَهم إلى البيعة دعوتَنا مع الناس فكان أمراً واحداً ؛ فقال له الوليد – وكان يحبّ العافية : فانصرِفْ على اسم الله حتى تأتيَنا مع جماعة الناس ؛ فقال له مروان : والله لئن فارقك الساعة ولم يُبايع لا قدرتَ منه على مثلها أبداً حتى تكثُر القتلَى بينكم وبينه ، احبس الرجلَ ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقَه ؛ فوثب عند ذلك الحسين ، فقال : يابن الزّرقاء ، أنت تقتلنى أم هو ! كذبت والله وأثمت ، ثم خرج فمرّ بأصحابه ، فخرجوا معه حتى أتى منزله . فقال مروانُ للوليد : عصيتَنى ، لا والله لا يُمكِنك مِن مثلها مِن نفسه أبداً ؛ قال الوليد : وَبِّخْ غيرَك يا مروان ، إنك اخترتَ لى التى فيها هلاكُ دينى ، والله ما أحبّ أن لى ما طلعَتْ عليه الشمس وغربتْ عنه من مال الدنيا ومُلكِها ، وأنى قتلتُ حُسيناً، سبحان الله ! أقتل حسيناً أن قال : لا أبايع ! والله إنى لأظنّ امرأً يُحاسَبُ بدمِ حسين لخفيفُ الميزان عند الله يوم القيامة . فقال له مروان : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبتَ فيما صنعت ، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه .

٢١٩/٢

وأما ابنُ الزبير ، فقال : الآن آتيكم ، ثمّ أتى دارَه فكمن فيها ، فبعث الوليد إليه فوجده مجتمِعاً فى أصحابه متحرِّزاً ، فألحّ عليه بكثرة الرّسُل والرجال فى إثر الرجال ؛ فأما حُسين فقال : كُفّ حتى تنظر وننظر ، وترَى ونَرَى ؛ وأما ابنُ الزّبير فقال : لا تعجلونى فإنى آتيكم ، أمهِلونى ، فألحوا عليهما عشيتهما تلك كلها وأوّل ليلهما ، وكانوا على حسين أشدّ إبقاءً ، وبعث الوليد إلى ابن الزبير موالى له فشتموه وصاحوا به : يا بن الكاهليّة ، والله لتأتينّ الأميرَ أو ليقتلنّك ، فلبث بذلك نهارَه كلّه وأوّل ليلة يقول : الآن أجىء ، فإذا استحثّوه قال : والله لقد استربت بكثرة الإرسال ، وتتابع هذه الرجال ، فلا تُعْجلونى حتى أبعث إلى الأمير مَنْ يأتينى برأيه وأمره ، فبعث إليه أخاه جعفر بن الزبير فقال : رحمك الله ! كفّ عن عبد الله فإنك قد أفزعْته وذعَرْته بكثرة رُسلك ، وهو آتيك غداً إن شاء الله ، فمُرْ رُسلك فلْينصرفوا عنّا . فبعث إليهم فانصرفوا ، وخرج ابن الزبير من تحت الليل فأخذ طريق

الفُرْع هو وأخوه جعفر ، ليس معهما ثالث ،وتجنّب الطريق الأعظم مخافةَ الطلب ، وتوجّه نحو مكة ، فلما أصبح بعث إليه الوليد فوجده قد خرج ، فقال مروان : والله إن أخطأ مكة فَسرِّحْ فى أثره الرجال ، فبعث راكبًا من موالى بنى أمية فى ثمانين راكبًا ، فطلبوه فلَم يَقْدِروا عليه ، فرجعوا ، فتشاغلوا عن حُسين بطلب عبد الله يومهم ذلك حتى أمسَوْا ، ثم بعث الرجال إلى حسين عند المساء فقال : أصبِحوا ثم ترَون ونَرى ، فكفّوا عنه تلك الليلة ، ولم يُلِحّوا عليه ، فخرج حسين من تحت ليلته ، وهى ليلة الأحد ليومَين بقيا من رجب سنة ستّين . ٢/٢٢٠

وكان مخرج ابن الزبير قبلَه بليلة ، خرج ليلةَ السبت فأخذ طريقَ الفُرْع ، فبينا عبد الله بن الزبير يُسايرُ أخاه جعفرًا إذ تمثّل جعفرٌ بقول صَبِرة الحنظلىّ :

وكلّ بنى أمٍّ سَيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْقابِهمْ غَيْرُ واحِدِ

فقال عبد الله ! سبحان الله ، ما أردتَ إلى ما أسمعُ يا أخى ! قال : والله يا أخى ما أردتُ به شيئًا مما تكره ؛ فقال : فذاك والله أكرهُ إلىّ أن يكون جاء على لسانك من غير تعمّد — قال : وكأنه تطيّرَ منه — وأما الحسين فإنه خرج ببنيه وإخوته وبنى أخيه وجلّ أهلِ بيته ، إلا محمد بن الحنفيّة فإنه قال له : يا أخى ، أنتَ أحبّ الناسِ إلىّ ، وأعزّهم علىّ ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك ، تَنَحّ بِتَبعَتِك[1] عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم ابعث رُسُلَك إلى الناس فادعهم إلى نفسك فإنْ بايَعوا لك حمدتُ الله على ذلك ، وإن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دِينَك ولا عقلَك ، ولا يُذهب به مروءتَك ولا فضلَك ، إنى أخاف أن تدخل مِصْرًا من هذه الأمصار وتأتىَ جماعةٌ من الناس ، فيختلفون بينهم ، فمنهم طائفة معك ، وأخرى عليك ، فيقتتلون فتكون لأوّل الأسنّة ، فإذا خير هذه الأمة كلّها نفسًا وأبًا ، وأمَّا أضيَعُها دمًا وأذلّها أهلاً ؛ قال ٢/٢٢١

(١) ابن الأثير : « ببيعتك » .

له الحسين : فإلى ذاهب يا أخى ؛ قال : فانزل مكة فإن اطمأنّتْ بك الدارُ فسبيلٌ[1] ذلك ، وإن نَبَتَتْ بك لحقتَ بالرمال ، وشَعَفِ الجبال ، وخرجت من بلد إلى بلد حتّى تنظر إلى ما يصير أمر الناس ، وتعرف عند ذلك الرأى ، فإنك أصْوَب ما تكون رأيًا وأحزَمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً ، ولا تكون الأمور عليك أبداً أشكَل منها حين تستدبرها استدباراً ؛ قال : يا أخى ، قد نصحتَ فأشفقتَ ، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقًا .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مُساحق ، عن أبى سعد المَقْبُرىّ ، قال : نظرت إلى الحسين داخلاً مسجدَ المدينة وإنه ليمشى وهو معتمد على رَجُلين ، يعتمد على هذا مرّةً وعلى هذا مرّة ، وهو يتمثّل بقول ابن مفرِّغ :

لا ذَعَرْتُ السَّوامَ فى فَلَق الصُّبْـ ... ـحِ مُغِيرًا ولا دُعِيتُ يَزِيدا[2]
يومَ أُعْطَى من المهابةِ ضَيمًا ... والمَنَايَا يَرْصُدْنَنِى أن أَحيدا

قال : فقلت فى نفسى : والله ما تمثّل بهذين البيتين إلا لشىء يريد ، قال : فما مكث إلا يومين حتّى بلغنى أنه سار إلى مكة . ٢٢٢/٢

ثم إن الوليد بعث إلى عبد الله بن عمرَ فقال : بايعْ ليزيد ، فقال : إذا بايع الناسُ بايعت ؛ فقال رجل : ما يمنعك أن تبايع ؟ إنما تريد أن يختلف الناسُ فيقتتلوا ويتفانوْا ، فإذا جَهَدهم ذلك قالوا : عليكم بعبد الله بن عمَر ، لم يَبقَ غيرُه ، بايعوه ! قال عبد الله : ما أحبّ أن يقتتلوا ولا يختلفوا ولا يتفانَوْا ، ولكن إذا بايع الناس ولم يَبق غيرى بايعتُ ؛ قال : فتركوه وكانوا لا يتخوّفونه .

---

(١) ابن الأثير : « فبسبيل » . (٢) من أصوات الأغانى ١٧ : ١٥١ (ساسى) ، وقبلهما :

حَىِّ ذا الزور وانْهه أن يعودا ... إنّ بالباب حارِسَيْن قُعُودَا

قال : ومضى ابن الزّبير حتّى أتى مكة وعليها عَمرو بن سعيد ، فلما دخل مكّة قال : إنما أنا عائذ ، ولم يكن يصلّى بصلاتهم ، ولا يُفيض بإفاضتهم ، كان يقف هو وأصحابُه ناحيةً ، ثم يُفيض بهم وحدَه ، ويصلّى بهم وحدَه ، قال : فلما سار الحسين نحو مكة ، قال : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [1] . فلما دخل مكة قال : ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [2] .

* * *

[ذكر عزل الوليد عن المدينة وولاية عمر بن سعيد]

وفى هذه السنة عزَل يزيدُ الوليد بن عُتبة عن المدينة ، عزله فى شهر رمضان ، فأقرّ عليها عمرو بن سعيد الأشدق .

وفيها قَدِم عَمرو بن سعيد بن العاص المدينةَ فى رمضان ، فزعم الواقدىّ أن ابن عمرَ لم يكن بالمدينة حين ورد نعىّ معاوية وبيعة يزيدَ على الوليد ، وأنّ ابنَ الزّبير والحسين لما دُعيا إلى البيعة ليزيد أبَيَا وخرجا من ليلتهما إلى مكة ، فلقيهما ابنُ عباس وابن عمر جائيَيْنِ من مكة ، فسألاهما ، ما وراءكما ؟ قالا : موتُ معاوية والبَيعة ليزيد ؛ فقال لهما ابن عمر : اتّقيا الله ولا تفرّقا جماعة المسلمين ؛ وأما ابنُ عمرَ فقَدِم فأقام أيّامًا ، فانتظر حتى جاءت البيعة من البُلْدان ، فتقدّم إلى الوليد بن عتبة فبايَعه ، وبايَعه ابن عباس . ٢٢٣/٢

* * *

وفى هذه السنة وجّه عَمرو بن سعيد عَمرَو بن الزبير إلى أخيه عبدِ الله بنِ الزبير لحربه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر محمد بن عمر أنّ عَمرو بن سعيد بن العاص الأشدق قَدِم المدينةَ فى رمضان سنة ستين فدخل عليه أهلُ المدينة ، فدخلوا على رجل عظيم الكِبْر مفوّه .

---

(١) سورة القصص:٢١ . (٢) سورة القصص:٢٢ .

قال محمّد بن عمر : حدّثنا هشام بن سعيد ، عن شيبة بن نصاح ، قال : كانت الرسل تجرى بين يزيدَ بن معاوية وابن الزبير فى البَيعة ، فحلف يزيد ألّا يقبل منه حتى يؤتَى به فى جامعة ، وكان الحارث بن خالد المخزومىّ على الصلاة ، فمنعه ابن الزبير ، فلما منعه كتب يزيد إلى عمرو بن سعيد ؛ أن ابعث جيشاً إلى ابن الزبير ، وكان عَمرو بن سعيد لما قدم المدينة ولّى شُرطته عَمرو بن الزبير ، لمّا كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغْضاء ، فأرسل إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضَرْباً شديداً .

قال محمد بن عمر : حدّثنى شُرَحبيل بن أبى عون ، عن أبيه ، قال : نظر إلى كل من كان يَهوَى هَوَى ابن الزّبير فضَرَبه ، وكان ممن ضرب المنذر ابن الزبير ، وابنه محمد بن المنذر ، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوثَ ، وعثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام ، وخُبيب بن عبد الله بن الزبير ، ومحمد ابن عمّار بن ياسر ، فضرَبَهم الأربعين إلى الخمسين إلى الستين ، وفرّ منه عبد الرحمن بن عثمان وعبد الرحمن بن عَمرو بن سهل فى أناس إلى مكّة ، فقال عمرو بن سعيد لعمرو بن الزبير : مَن رجلٌ نوجّه إلى أخيك ؟ قال : لا توجّه إليه رجلاً أبداً أنكأ له منّى ، فأخرج لأهل الديوان عشرات ، وخرج من موالى أهلِ المدينة ناسٌ كثير ، وتوجّه معه أنيس بن عَمرو الأسلمىّ فى سبعمائة ، فوجّهه فى مقدّمته ، فعسكر بالجرف ، فجاء مروان بنُ الحكَم إلى عَمرو بن سعيد فقال : لا تَغزُ مكة ، واتّق الله ، ولا تُحِلَّ حرمةَ البيت ، وخلّوا ابن الزبير فقد كَبِر ، هذا له بِضعٌ وستون سنةً ، وهو رجلٌ لَجوج ، والله لئن لم تقتلوه ليموتَنّ ، فقال عمرو بن الزبير : والله لنقاتلنه ولنغزونّه فى جوف الكعبة على رغم أنف من رَغِم ؛ فقال مروان : والله إنّ ذلك ليسوءنى ؛ فسار أنَيس بن عَمرو الأسلمىّ حتى نزل بذى طُوًى ، وسار عَمرو بن الزبير حتى نزل بالأبطح ، فأرسل عَمرو بن الزبير إلى أخيه : برّ يَمينَ الخليفة ، واجعل فى عنقك جامعة من فضّة لا ترى ، لا يضرب الناس بعضهم بعضاً ، واتّقِ الله فإنك فى بلد حرام .

٢٢٤/٢

قال ابن الزبير : موعدك المسجد ؛ فأرسل ابن الزبير عبدَ الله بنَ صفوان

الجمحىّ إلى أنيس بن عمرو من قِبَل ذى طُوًى ، وكان قدضوى إلى عبد الله ابن صَفْوان قومٌ ممن نزل حول مكة ، فقاتلوا أنيس بن عمرو ، فهزم أنيس ابن عمرو أقبحَ هزيمة ، وتفرّق[1] عن عمرو جماعةُ أصحابه ، فدخل دارَ علقمة ، فأتاه عبيدة بن الزبير فأجارَه ، ثم جاء إلى عبد الله بن الزبير فقال : ٢/٢٢٥ إنى قد أجرْته ؛ فقال : أتجير من حقوق الناس ! هذا ما لا يصلح .

قال محمد بن عمر : فحدّثت هذا الحديثَ محمد بنَ عُبيد بن عمير فقال : أخبرَنى عمرو بن دينار ، قال : كتب يزيدُ بن معاويةَ إلى عمرو ابن سعيد : أن استعمل عَمرو بن الزبير على جيش ، وابعثه إلى ابن الزبير ، وابعث معه أنيس بن عمرو ؛ قال : فسار عَمرو بن الزبير حتى نزل فى داره عند الصّفا ، ونزل أنيس بن عمرو بذى طُوًى ، فكان عمرو بن الزبير يصلى بالناس ، ويصلى خلفه عبد الله بن الزبير ، فإذا انصرف شبّك أصابعه فى أصابعه ، ولم يبق أحدٌ من قريش إلا أتى عَمرو بن الزبير ، وقعد عبد الله بنُ صفوان فقال : مالى لا أرى عبدَالله بنَ صفوان ! أما والله لئن سرت إليه ليعلمنّ أن بنى جُمَح ومَنْ ضَوى إليه من غيرهم قليل ، فبلغ عبدَالله بن صفوان كلمتُه هذه ، فحرّكته ، فقال لعبد الله بن الزبير : إنى أراك كأنك تريد البُقْيا على أخيك ؛ فقال عبد الله : أنا أبقِيى عليه يا أبا صَفْوان ! والله لو قَدرتُ على عَوْن الذَّرّ عليه لاستعنتُ بها عليه ؛ فقال ابنُ صفوان : فأنا أكفيك أنيس بن عمرو ، فاكفنى أخاك ؛ قال ابن الزبير : نعم ؛ فسار عبدالله ابن صفوان إلى أنيس بن عمرو وهو بذى طُوًى ، فلاقاه فى جمع كثير من أهل مكّة وغيرهم من الأعوان ، فهزم أنيس بن عمرو ومن معه ، وقتلوا مدبِرَهم ، وأجهزوا[2] على جَرِيحِهم ، وسار معصب بنُ عبد الرحمن إلى عَمرو ، وتفرّق عنه أصحابه حتى تخلّص إلى عمرو بن الزبير ، فقال عبيدة بن الزبير لعمرو : تعالَ أنا أجيرك . فجاء عبد الله بن الزبير ، فقال : قد أجرت عمراً ، فأجره ٢/٢٢٦ لى ، فأبى أن يجيرَه ، وضربَه بكلّ من كان ضَرَب بالمدينة ، وحبَسه بسجن عارم .

---

(١) ط : «وتعوق» .
(٢) ط : «وأجازوا» .

قال الواقدىّ: قد اختلفوا علينا فى حديث عمرو بن الزّبير، وكتبت كلّ ذلك.

حدّثنى خالد بن إلياس، عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهْم، قال: لمّا قدم عَمرو بن سعيد المدينة واليًا، قدم فى ذى القعدة سنة ستّين، فولّى عمرَو ابن الزبير شُرطتَه، وقال: قد أقسم أميرُ المؤمنين ألاّ يقبل بيعةَ ابن الزبير إلا أن يؤتَى به فى جامعة، فلْيُبرّ يمينَ أمير المؤمنين، فإنى أجعل جامعة خفيفةً من ورِق أو ذهب، ويلبس عليها بُرنُسًا، ولا تُرَى إلا أن يُسمع صوتُها، وقال:

خُذْها فليستْ لِلعزيز بخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لامرئٍ مُتذلِّلِ

أعامِرُ إنَّ القوْمَ ساموكَ خُطَّةً ومالكَ فى الجيران عذلُ مُعَذِّلِ

قال محمّد: وحدّثنى رِياح بن مسلم، عن أبيه، قال: بُعِث إلى عبد الله بن الزّبير عَمرو بن سعيد، فقال له أبو شُريح: لا تَغزُ مكة فإنّى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما أذن الله لى فى القتال بمكة ساعةً من نهار، ثم عادت كحرُمتها»؛ فأبى عَمرو أن يسمع قوله، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ؛ فبعث عمرو جيشًا مع عمرو[1] ومعه أنَيْس ابن عمرو الأسلمىّ، وزيد غلام محمد بن عبد الله بن الحارث بن هشام، — وكانوا نحو ألفين — فقاتلهم أهلُ مكة، فقُتل أنَيْس بن عمرو والمهاجر مولى القَلَمَّس فى ناس كثير، وهُزم جيشُ عمرو، فجاء عبيدة بن الزبير، ٢٢٧/٢ فقال لأخيه عمرو: أنت فى ذمّتى، وأنا لك جار، فانطلَق به إلى عبد الله، فدخل على ابن الزبير فقال: ما هذا الدّم الذى فى وجهك يا خبيث! فقال عمرو:

لَسْنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ولكنْ على أقدامنا تَقْطُرُ الدِّمَا[2]

فحبسه وأخفر عُبيدة، وقال: أمرْتُك أن تجير هذا الفاسقَ المستحِلّ لحرمات الله؛ ثم أقاد عَمراً من كلّ من ضربه إلا المنذر وابنه، فإنهما أبيَا

(١) هو عمرو بن الزبير.

(٢) للحصين بن الحُمام المرّىّ من أبيات له فى ديوان الحماسة ١: ١٩١، ١٩٢؛ والرواية هناك: «فلسنا على الأعقاب»، وقوله: «تقطر الدما»، أى تقطر الكلوم الدم.

أن يستقيدا ، ومات تحت السِّياط . قال : وإنما سمّى سجن عارم لعبد كان يقال له: زيد عارِم، فسمّىَ السِّجنُ به ، وحَبَس ابنُ الزبير أخاه عَمراً فيه .

قال الواقدىّ : حدّثنا عبد الله بن أبى يحيى ، عن أبيه ، قال : كان مع أُنَيس بن عمرو ألفان .

* * *

وفى هذه السنة وجّه أهلُ الكوفة الرسل إلى الحسين عليه السلام وهو بمكّة يدعونه إلى القدوم عليهم ، فوجه إليهم ابن عمّه مُسلم بن عَقيل بن أبى طالب رضى الله عنه .

* * *

ذكر الخبر عن مراسلة الكوفيّين الُحسين عليه السلام للمصير إلى ما قِبلهم وأمْر مسلم بن عقيل رضى الله عنه

حدّثنى زكريّاء بن يحيى الضرير ، قال : حدّثنا أحمد بن جناب المَصِّيصىّ – ويكنَى أبا الوليد – قال : حدّثنا خالد بن يزيد بن أسد بن عبد الله القَسْرىّ ، قال : حدّثنا عمار الدُّهنىّ ، قال : قلت لأبى جعفر : حدّثْنِى بمقتل الحسين حتّى كأنّى حضرتُه؛ قال : مات معاويةُ والوليدُ بن عُتبة بن أبى سُفْيان على المدينة ، فأرسل إلى الحسين بن علىّ ليأخذ بيعته ، فقال له: أخّرنى وارفُق ، فأخّره، فخرج إلى مكة ، فأتاه أهلُ الكوفة ورُسُلهم: إنا قد حبسنا أنفسَنا عليك ، ولسنا نحضر الجُمُعة مع الوالى ، فاقدم علينا – وكان النعمان بن بَشير الأنصارىّ على الكوفة ؛ قال : فبعث الحسين إلى مسلم بن عَقيل بن أبى طالب ابن عمّه فقال له : سِرْ إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إلىّ ، فإنْ كان حقًّا خرجْنا إليهم . فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، فأخذ منها دليلين ، فمرّا به فى البرّيّة ،فأصابهم عطَشٌ ، فمات أحدُ الدّليلين ، وكتب مسلم إلى الحسين يستعفيه ، فكتب إليه الحسين : أن امض إلى الكوفة . فخرج حتى قَدِمها ، ونزل على رجل من أهلها يقال له ابن عَوْسجة؛ قال : فلمّا تحدّث أهل الكوفة بمَقدَمه دبّوا إليه فبايعوه ، فبايعه منهم

٢٢٨/٢

اثنا عشرَ ألفًا . قال: فقام رجل ممن يَهوَى يزيد بن معاوية إلى النّعمان بن بَشير ، فقال له : إنك ضعيف أو متضعّف ؛ قد فسَد البلاد ! فقال له النعمان : أن أكونَ ضعيفًا وأنا فى طاعة الله أحبّ إلىّ من أن أكون قويًّا فى معصية الله ، وما كنتُ لأهتكَ سترًا ستَرَهُ الله .

فكتب بقول النعمان إلى يزيد ، فدعا مولًى له يقال له : سَرْجون ؛ — وكان يستشيره — فأخبْرَه الخبر ، فقال له : أكنتَ قابلا من معاوية لو كان حيًّا ؟ قال : نعم ؛ قال : فاقبل منّى ؛ فإنه ليس للكوفة إلاّ عُبيد الله ابن زياد، فولّها إيّاه —وكان يزيد عليه ساخطًا، وكان همّ بعزله عن البَصْرة — فكتب إليه برضائه ، وأنه قد ولاّه الكوفة مع البصرة ، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عَقيل فيقتلَه إنْ وجده .

٢/٢٢٩ قال : فأقبل عُبيد الله فى وجوه أهل البَصْرة حتى قدم الكوفة متلثّماً، ولا يمرّ على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلاّ قالوا : عليك السلام يابن بنتِ رسول الله — وهم يظنون أنه الحسين بن علىّ عليه السّلام — حتى نزل القصر، فدعا مولًى له فأعطاه ثلاثةَ آلاف ، وقال له : اذهبْ حتى تسأل عن الرجل الذى يبايع له أهلُ الكوفة فأعلِمه أنك رجل من أهل حِمْصَ جئتَ لهذا الأمر ، وهذا مالٌ تدفعه إليه ليتقوّى . فلم يزل يتلطّف ويَرفُق به حتى دُلّ على شيخ من أهل الكوفة يلى البيعة ، فلقيَه فأخبره ، فقال له الشيخ : لقد سَرّنى لقاؤك إيّاى ، وقد ساءنى ؛ فأما ما سرّنى من ذلك فما هداك الله له ، وأما ما ساءنى فإنّ أمرَنا لم يستحكم بعدُ . فأدخَلَه إليه ، فأخذ منه المال وبايعه ، ورجع إلى عبيد الله فأخبَرَه .

فتحوّل مسلم حين قدم عُبيد الله بن زياد من الدّار التى كان فيها إلى منزل هانئ بن عُروة المُرادىّ، وكتب مسلم بن عَقيل إلى الحسين بن علىّ عليه السلام يخبره ببيعة اثنى عشر ألفًا من أهل الكُوفة ، ويأمره بالقدوم . وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة : مالى أرى هانئَ بنَ عروةَ لم يأتنى فيمن أتانى ! قال : فخرج إليه محمّد بن الأشعث فى ناس من قومه وهو على باب

داره ، فقالوا : إنّ الأمير قد ذكَرَك واستبطأك ، فانطلق إليه ، فلم يزالوا به حتى ركب معهم وسار حتّى دخل على عُبيد الله وعنده شُريح القاضى ، فلما نظر إليه قال لشريح: «أتتك بحائن رِجلاه»(١) ؛ فلمّا سلّم عليه قال: يا هانئ ، أين مسلم ؟ قال : ما أدرى ؛ فأمر عبيد الله مولاه صاحب الدراهم فخرج إليه ، فلما رآه قُطع به، فقال : أصلح الله الأمير ! والله ما دعوتُه إلى منزلى ولكنه جاء فطرح نفسه علىّ ؛ قال : ائتنى به ؛ قال : والله لو كان تحت قدمىَّ ما رفعتهما عنه ؛ قال : أدنُوه إلىّ ، فأدنِىَ فضربه على حاجبه فشجّه ، قال : وأهوَى هانئٌ إلى سيفِ شُرَطىّ ليسلّه ، فدُفع عن ذلك ، وقال : قد أحلّ الله دمك ، فأمر به فحُبِس فى جانب القصر . ٢٣٠/٢

* * *

وقال غير أبى جعفر : الذى جاء بهانئ بنِ عُروة إلى عُبيد الله بن زياد عَمرو بن الحجّاج الزُّبيدىّ :

* ذكر من قال ذلك :

حدّثنا عَمرو بن علىّ ، قال : حدّثنا أبو قُتيبة ، قال : حدّثنا يونس ابن أبى إسحاق ، عن العَيْزار بن حُرَيث ، قال : حدّثنا عُمارة بن عُقْبة ابن أبى مُعَيط ، فجلس فى مجلس ابن زياد فحدّث ، قال : طردتُ اليوم حُمُراً فأصبتُ منها حماراً فعقرتُه ، فقال له عَمرو بن الحجاج الزُّبيدىّ : إنّ حماراً تَعقِرُهُ أنتَ لَحِمارٌ حائن ؛ فقال : ألا أخبرك بأحْيَنَ من هذا كلّه ! رجل جىء بأبيه كافراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمَر به أن يضرب عنقه، فقال : يا محمد فمن للصِّبْية ؟ قال : النارُ ، فأنت من الصبْية ، وأنت فى النار ؛ قال : فضحك ابن زياد .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمّار الدُّهنىّ ؛ عن أبى جعفر. قال : فبينا هو

(١) أتتك بحائن رجلاه ؛ مثل ، وأول من قاله عبيد بن الأبرص ، وانظر الفاخر ٢٥١ .

كذلك إذ خرج الخبر إلى مذْحِج ، فإذا على باب القصر جَلَبَة سمعها عبيد الله ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : مَذْحِج ، فقال لشُريح : اخرج إليهم فأعلمهم أنى إنما حبسته لأسائله ، وبعث عَيْنًا عليه من مواليه يسمع ما يقول ، فمرّ بهانئ بن عروة ، فقال له هانئ : اتّق الله يا شُريح ، فإنه قاتلى ، فخرج شريح حتّى قام على باب القصر ، فقال : لا بأس عليه ، إنما حبسه الأمير ليسائله ، فقالوا : صدق، ليس على صاحبكم بأس ، فتفرّقوا ، فأتى مُسلمًا الخبرُ ، فنادى بشعاره ، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ، فقدّم مقدّمته ، وعبّى ميمنته وميْسَرته، وسار فى القلب إلى عُبيد الله ، وبعث عُبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده فى القصر ، فلما سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرَفوا على عشائرهم فجعلوا يكلمونهم ويردّونهم ، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى فى خَمْسِمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضًا . ٢٣١/٢

فلما رأى مسلم أنه قد بقى وحده يتردّد فى الطُّرق أتى بابًا فنزل عليه ، فخرجت إليه امرأة ، فقال لها : اسقينى ، فسقته ، ثمّ دخلتْ فمكثتْ ما شاء الله ، ثم خرجت فإذا هو على الباب ؛ قالت : يا عبدَ الله ، إنّ مجلسك مجلسُ رِيبة ، فقمْ ؛ قال : إنى أنا مسلم بن عَقِيل ، فهل عندك مأوًى ؟ قالت : نعم ، ادخل ، وكان ابنها مولًى لمحمد بن الأشعث ، فلما علم به الغلام انطلق إلى محمد فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عُبيد الله عَمرو بن حريث المخزومىّ — وكان صاحبَ شُرَطه — إليه، ومعه عبدالرحمن ابن محمد بن الأشعث ، فلم يَعلم مُسلم حتى أحيط بالدار ، فلما رأى ذلك مسلمٌ خرج إليهم بسيفه فقاتَلَهم ، فأعطاه عبد الرحمن الأمان ، فأمكن من يده ، فجاء به إلى عبيد الله، فأمر به فأصعِد إلى أعلى القصر فضُربت عنقُه ، وألقى جُثّته إلى الناس ، وأمر بهانئ فسُحب إلى الكُناسة ، فصُلب هنالك، وقال شاعرُهم فى ذلك :

٢٣٢/٢ فإنْ كنتِ لا تدرينَ ما الموتُ فانظرى إلى هانئ فى السُّوقِ وابنِ عقِيلِ

أصابَهُمَا أَمْرُ الإمام فأصبحا أحاديثَ منْ يَسْعى بكلِّ سبيل
أيرْكبُ أسماءُ الهمَالِيج آمِنًا وقد طَلَبتْهُ مَذْحِجٌ بِذُحول !

وأما أبو مِخْنف فإنه ذكر من قصّة مسلم بن عقيل وشخوصه إلى الكُوفة ومقتله قصّةً هى أشبع وأتمّ من خبر عمَّار الدّهنيّ عن أبى جعفر الذى ذكرناه ؛ ما حُدِّثت عن هشام بن محمد ، عنه ، قال : حدّثنى عبد الرحمن بن جُندَب ، قال : حدّثنى عُقبة بن سِمْعان مولى الرَّباب ابنة امرئ القيس الكلبيَّة امرأة حسين—وكانت مع سُكَينة ابنة حسين ، وهو مولًى لأبيها ، وهى إذ ذاك صغيرة — قال : خرجْنا فلزمنا الطريقَ الأعظم ، فقال للحسين أهلُ بيته : لو تنكَّبتَ الطريقَ الأعظمَ كما فعل ابن الزبير لا يلحقك الطلب ؛ قال : لا ، والله لا أفارقه حتى يقضىَ الله ما هو أحبّ إليه ، قال : فاستقبلَنا عبدُ الله بن مُطيع فقال للحسين : جُعلت فِداك ! أين تريد ؟ قال : أما الآن فإنى أريد مكة ، وأما بعدها فإنى أستخير الله ، قال : خار الله لك ، وجعلَنا فداك ؛ فإذا أنت أتيت مكَّة فإياك أن تَقرُب الكوفة ، فإنها بلدةٌ مشئومة ، بها قُتِل أبوك ، وخُذِل أخوك ، واغتيل بطعنة كادت تأتى على نفسه ؛ الزَم الحرَمَ ؛ فإنَّك سيِّد العرب ، لا يَعدِل بك والله أهلُ الحجاز أحداً ، ويتداعَى إليك الناسُ من كلّ جانب ؛ لا تفارق الحرَم فِداك عمّى وخالى ، فوالله لئن هلكتَ لنُسترقَّنّ بعدك . ٢٣٣/٢

فأقبل حتى نزل مكة ، فأقبل أهلُها يختلفون إليه ويأتونه ومَن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق ، وابن الزبير بها قد لزم الكعبة ، فهو قائم يصلّى عندها عامَّة النهار ويطوف ، ويأتى حُسَينًا فيمن يأتيه ، فيأتيه اليومين المتواليَيْن ، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة ، ولا يزال يشير عليه بالرّأى وهو أثقل خلْق الله على ابن الزُّبير ، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام حسين بالبلد ، وأنّ حسينًا أعظم فى أعينهم وأنفسهم منه ، وأطوَعُ فى الناس منه .

فلما بلغ أهلَ الكوفة هلاكُ معاوية أرجف أهلُ العراق بيزيد ، وقالوا : قد امتنع حسين وابن الزبير ، ولَحِقا بمكة ، فكتب أهل

الكوفة إلى حسين ، وعليهم النعمان بن بَشير .

قال أبو مخنف : فحدّثني الحجّاج بن عليّ ، عن محمد بن بشر الهَمْدانيّ ، قال : اجتمعت الشيعة في منزل سليمانَ بن صُرَد ، فذكرْنا هلاكَ معاوية ، فحمدْنا الله عليه ، فقال لنا سليمان بن صُرَد : إنّ معاوية قد هلك ، وإنّ حسينًا قد تقبّضَ على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإنْ كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوهَلَ والفَشَل فلا تغرّوا الرّجلَ من نفسه ، قالوا : لا ، بل نقاتل عدوّه ونقتل أنفسنا دونه ؛ قال : فاكتبوا إليه ، فكتَبوا إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . لحسين بن عليّ من سُليمان بن صُرَد والمسيّب ابن نَجَبَة ورفاعة بن شدّاد وحبيب بن مُظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة . سلامٌ عليك ، فإنا نحمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ٢٣٤/٢ أما بعد ، فالحمد لله الذي قَصَم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرَها ، وغصبَها فَيْئَها ، وتأمّر عليها بغير رضًا منها ، ثم قتل خيارَها ، واستبقَى شرارَها ، وجعل مالَ الله دُولةً بين جبابرتها وأغنيائها ، فبُعْدًا له كما بَعِدتْ ثمود ! إنه ليس علينا إمام ، فأقبِلْ لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ . والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جُمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلتَ إلينا أخرجْناه حتى نلحقه بالشأم إن شاء الله ؛ والسلام ورحمةُ الله عليك .

قال : ثمّ سرّحنا بالكتاب مع عبد الله بن سَبُع الهَمْدانيّ وعبد الله بن وال ، وأمرناهما بالنّجاء ؛ فخرج الرجلان مسرِعَيْن حتى قدما على حسين لعشر مضين من شهر رمضانَ بمكة ، ثم لبثْنا يومين ، ثم سرّحنا إليه قيسَ ابن مُسْهِر الصّيداويّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبيّ وعُمارة بن عبيد السّلوليّ ، فحملوا معهم نحوًا من ثلاثة وخمسين صحيفةً ؛ [الصحيفة] من الرجل والاثنين والأربعة .

قال : ثمّ لبثنا يومين آخرين ، ثم سرّحنا إليه هانئ بن هانئ السَّبيعىّ وسعيد بن عبدالله الحنفىّ ، وكتبْنا معهما :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . لحسين بن علىّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين ، أمّا بعد ،فحيَّهلا ، فإنّ الناس ينتظرونك ، ولا رأىَ لهم فى غيرك ، فالعجَل العجَل ؛ والسلام عليك .

٢٣٥/٢ وكتب شبَث بن رِبْعىّ وحجّار بن أبْجَر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رُوَيم وعَزْرَة بن قيس وعَمرو بن الحجّاج الزُّبيدىّ ومحمد بن عُمير التميمىّ :

أما بعد ، فقد اخضرّ الجنَاب ، وأينعَت الثِّمار ، وطَمَّت الجِمام ، فإذا شئت فاقدَم على جند لك مجنَّد ؛ والسلام عليك .

وتلاقت الرسُل كلّها عنده ، فقرأ الكتب ، وسأل الرسل عن أمر الناس ، ثم كتب مع هانئ بن هانئ السَّبيعىّ وسعيد بن عبد الله الحنفىّ ، وكانا آخر الرسل :

بسم الله الرّحمن الرحيم. من حسين بن علىّ إلى الملإ من المؤمنين والمسلمين ؛ أما بعد ، فإن هانئًا وسعيداً قدِمَا علىّ بكتبكم ، وكانا آخر مَن قدم علىّ من رسلكم ، وقد فهمت كلّ الذى اقتصصتم وذكرتم ، ومقالة جُلّكم : إنه ليس علينا إمام ، فأقبِل لعلّ اللهَ أن يجمعَنا بك على الهدى والحقّ . وقد بعثتُ إليكم أخى وابن عمّى وثقتى من أهل بيتى ، وأمرتُه أن يكتب إلىّ بحالكم وأمرِكم ورأيكم ، فإن كتب إلىّ أنه قد أجمع رأى مَلَئكم وذوى الفضل والحِجَى منكم على مثل ما قدمتْ علىَّ به رُسُلكم ، وقرأتُ فى كُتُبكم ، أقدم عليكم وَشيكًا إن شاء الله ؛ فلَعَمْرى ما الإمام إلا العامل بالكتاب ، والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابس نفسَه على ذات الله . والسلام .

قال أبو مخنف : وذكر أبو المخارق الراسبىّ ، قال: اجتمع ناس من الشّيعة بالبَصْرة فى منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعْد — أو منقذ — أيامًا ، وكانت تَشيَّع ، وكان منزلُها لهم مَألَفًا يتحدّثون فيه ، وقد بلغ

٢٣٦/٢ ابنَ زياد إقبالُ الحسين ، فكتب إلى عامله بالبَصرة أن يضع المناظر ويأخذ بالطريق .

قال : فأجمع يزيد بن نُبَيط الخروج — وهو من عبد القيس — إلى الحسين ، وكان له بنونَ عشرة ، فقال : أيُّكم يخرج معى ؟ فانتدب معه ابنان له : عبد الله وعبيد الله ، فقال لأصحابه فى بيت تلك المرأة : إنى قد أزمعتُ على الخروج ، وأنا خارج ، فقالوا له : إنا نخاف عليك أصحابَ ابن زياد ؛ فقال : إنّى والله لو قد استوت أخفافهما بالجَدَد لَهانَ علىّ طلب من طلبنى .

قال : ثم خرج فتقدّى[1] فى الطريق حتّى انتهى إلى حسين عليه السلام ، فدخل فى رحله بالأبطح ، وبلغ الحسينَ مجيئُه ، فجعل يطلبه ، وجاء الرجل إلى رَحْل الحسين ، فقيل له : قد خرج إلى منزلك ، فأقبل فى أثره ، ولما لم يجده الحسين جلس فى رحله ينتظره ، وجاء البصرىّ فوجَدَه فى رَحْله جالسًا ، فقال : ﴿ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ قال : فسلّم عليه ، وجلس إليه ، فخبّره بالذى جاء له ، فدعا له بخير ، ثم أقبل معه حتى أتى فقاتل معه ، فقتل معه هو وابناه . ثم دعا مسلم بن عَقيل فسرّحه مع قيس بن مُسهر الصيداوىّ وعمارة بن عبيد السَّلولىّ وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبىّ ، فأمره بتقوى الله وكتمانِ أمرِه ، واللطفِ ، فإنْ رأى الناسَ مجتمعين مستوسِقين عجّل إليه بذلك .

فأقبل مسلم حتى أتى المدينة فصلّى فى مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وودّع من أحبّ من أهله ، ثم استأجر دليلين من قيس ، فأقبلاَ به ، فضلاّ الطريق وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، وقال الدّليلان : هذا الطريقَ حتى تنتهى إلى الماء ، وقد كادوا أن يموتوا عطشًا . فكتب مسلم بن عَقيل مع قيس بن مسهر الصيداوىّ إلى حسين ، وذلك بالمَضيق من بطن الخُبيت : ٢٢٧/٢

أما بعد ، فإنى أقبلتُ من المدينة معى دليلان لى ، فجارا عن الطريق وضلاّ ، واشتدّ علينا العطش ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء ، فلم ننجُ إلا بحُشاشة أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعَى المَضيق من بطن الخُبيت ؛ وقد تطيّرت من وجهى هذا ، فإن رأيتَ أعفيتَنى منه ، وبعثتَ غيرى ، والسلام .

---

(١) تقدى ، أى أسرع .

فكتب إليه حسين :

أمّا بعد ، فقد خشيت ألّا يكون حمَلك على الكتاب إلىّ فى الاستعفاء من الوجه الذى وجهتك له إلا الجُبْن ، فامض لوجهك الذى وجهتُك له ؛ والسلام عليك .

فقال مسلم لمن قرأ الكتاب : هذا ما لستُ أتخوّفه على نفسى ؛ فأقبَل كما هو حتى مرّ بماء لطيِّئ ، فنزل بهم ، ثمّ ارتحل منه ، فإذا رجل يرمى الصيّد ، فنظر إليه قد رمَى ظَبْيًا حين أشرف له ، فصرعه ، فقال مُسلِم : يُقتل عدوُّنا إن شاء الله ؛ ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فنزل دارَ المختار ابن أبى عبيد — وهى التى تدعى اليوم دار مسلم بن المسيّب — وأقبلتْ الشيعة تختلف إليه ، فلما اجتمعت إليه جماعةٌ منهم قرأ عليهم كتابَ حسين ، فأخذوا يبكون .

فقام عابس بن أبى شَبيب الشاكرىّ ، فحمِد الله وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى لا أخبرك عن الناس ، ولا أعلم ما فى أنفسهم ، وما أغرُّك منهم ، والله لأحدّثنّك عما أنا موطِّن نفسى عليه ، والله لأجيبنّكم إذا دعوتم ، ولأقاتلنّ معكم عدوّكم ، ولأضربنّ بسيفى دونكم حتى ألقَى الله ، لا أريد بذلك إلا ما عند الله . ٢/٢٣٨

فقام حبيب بن مظاهر الفَقْعسىّ ، فقال : رحمك الله ! قد قضيتَ ما فى نفسك ، بواجز مِنْ قولك ؛ ثم قال : وأنا والله الذى لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه .

ثم قال الحنفىّ مثلَ ذلك . فقال الحجاج بن علىّ : فقلت لمحمد بن بِشر : فهل كان منك أنت قولٌ؟ فقال : إن كنتُ لأحبّ أن يعزّ الله أصحابى بالظّفَر ، وما كنتُ لأحبّ أن أقتل ، وكرهتُ أن أكذب .

واختلفت الشيعة إليه حتى عُلِم مكانه ، فبلغ ذلك النعمان بن بَشير .

قال أبو مخْنف : حدّثنى نُمير[1] بن وَعلة ، عن أبى الودّاك ، قال : خرج إلينا النعمان بن بَشير فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فاتقوا الله عبادَ الله ولا تُسارِعوا إلى الفتنة والفُرْقة ، فإنّ فيهما يَهلِك

---

(١) ط : « نمر » ؛ وانظر الفهرس .

الرجال ، وتُسفَك الدماء ، وتُغصَب الأموال — وكان حليماً ناسكاً يحبّ العافية — قال : إنى لم أقاتل من لم يقاتلنى ، ولا أثِب على مَن لا يَثِب علىّ ، ولا أشاتمكم ، ولا أتحرّش بكم ، ولا آخذ بالقَرَف ولا الظِّنّة ولا التُّهمَة ، ولكنكم إن أبْديتم صفحتكم لى ، ونكثْتم بيْعتكم ، وخالفتم إمامكم ، فوالله الذى لا إله غيره لأضربنّكم بسيفى ما ثبت قائمهُ فى يدى ، ولو لم يكن لى منكم ناصر . أمَا إنىّ أرجو أن يكون من يعرف الحقّ منكم أكثر ممن يُرْديه الباطل .

٢٣٩/٢ قال : فقام إليه عبد الله بن مسلم بن سعيد الحضرمىّ حليف بنى أميّة فقال : إنه لا يصلح ما ترى إلاّ الغَشْم(١) ، إنّ هذا الذى أنت عليه فيما بينك وبين عدوّك رأىُ المستضعَفين ؛ فقال : أنْ أكون من المستضعَفين فى طاعة الله أحبّ إلىّ من أن أكون من الأعزّين فى معصية الله ؛ ثم نزل .

وخرج عبد الله بن مسلم ، وكتب إلى يزيد بن معاوية : أما بعد ، فإن مسلم بن عقَيل قد قدم الكُوفة فبايعتْه الشيعةُ للحُسَيْن بن علىّ ، فإن كان لك بالكوفة حاجةٌ فابعث إليها رجلاً قويّاً ينفّذ أمرَك ، ويعمَل مِثلَ عملك فى عدوّك ، فإنّ النعمان بنَ بشير رجل ضعيف ؛ أو هو يتضعّف . فكان أوّل من كتب إليه .

ثم كتب إليه عمارة بن عقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بنُ سعد ابن أبى وقّاص بمثل ذلك .

قال هشام : قال عَوانة : فلما اجتمعت الكتب عند يزيدَ ليس بين كتبهم إلا يومان ، دعا يزيد بن معاوية سَرْجون مولى معاوية فقال : ما رأيك ؟ فإنّ حسيناً قد توجّه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغنى عن النعمان ضعْفٌ وقولٌ سيّئ — وأقرأه كتبهم — فما ترى مَن أستعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتباً على عُبيد الله بن زياد ؛ فقال سرجون : أرأيتَ معاويةَ لو نُشِر لك ، أكنتَ آخذاً برأيه ؟ قال : نعم ؛ فأخرج عهدَ عبيد الله على الكوفة فقال : هذا رأىُ معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأخذ برأيه وضمّ المصريْن إلى عبيد الله ، وبعث إليه بعهده على الكوفة .

---

(١) الغشم : الظلم .

ثم دعا مسلم بن عمرو الباهليّ — وكان عنده — فبعثه إلى عبيد الله بعهده إلى البصرة ، وكتب إليه معه : أما بعد ، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أنّ ابن عَقيل بالكوفة يجمع الجموعَ لشقّ عصا المسلمين ؛ ٢/٢٤٠ فسِرْ حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتيَ أهلَ الكوفة فتطلبَ ابنَ عَقيل كطلب الخرزَة حتى تَثْقَفَه[1] فتُوثِقه أو تقتلَه أو تنفيه ؛ والسلام .

فأقبل مسلم بن عمرو حتى قدم على عُبيد الله بالبصرة ، فأمر عُبيد الله بالجهاز والتّهيّؤ والمسير إلى الكوفة من الغد .

وقد كان حسين كتبَ إلى أهل البصرة كتاباً ؛ قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثني الصقعب بن زهير ، عن أبي عثمان النّهديّ ، قال : كتب حسين مع مولًى لهم يقال له : سليمان ، وكتب بنُسخة إلى رءوس الأخماس بالبصرة وإلى الأشراف ؛ فكتب إلى مالك بن مِسمَع البكريّ ، وإلى الأحنف بن قيس ، وإلى المنذر بن الجارود ، وإلى مسعود بن عمرو ، وإلى قيس ابن الهيثم ، وإلى عمرو بن عبيد الله بن مَعمَر ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها : أمّا بعد ، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرَمه بنبوّته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده ، وبلّغ ما أرسِل به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهلَه وأولياءَه وأوصياءَه وورثتَه وأحقّ الناس بمقامه في الناس ، فاستأثر علينا قومنا بذلك ، فرَضينا وكرهْنا الفرقة ، وأحببنا العافية ، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحقّ المستحَقّ علينا ممن تولّاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا ، وتحرّوُا الحقّ ، فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم . وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فإنّ السنّة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحيِيت ، وإن تَسمَعوا قولي وتطيعوا أمري أهدِكُمْ سبيلَ الرشاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فكلّ من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتَمه ، غيرُ المنذر بن الجارود ، فإنه ٢/٢٤١ خشيَ بزعمه أن يكون دَسيساً من قِبَل عبيد الله ، فجاءه بالرسول من العشيّة

---

(١) تثقفه : تظفر به .

التى يريد صبيحتَها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابَه ، فقدّم الرسولَ فضرب عنقه • وصَعد عبيد الله منبرَ البصرة فحمد الله وأثنَى عليه ثم قال :

أما بعد، فوالله ما تُقْرَن بى الصَّعْبة، ولا يُقعقَع لى بالشِّنان، وإنّى لَنَكْلٌ[1] لمن عادانى ، وسمٌّ لمن حاربنى ، أنصف القارةَ مَنْ راماها . يا أهلَ البصرة ، إنّ أمير المؤمنين ولّانى الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة ، وقد استخلفتُ عليكم عثمانَ بن زياد بن أبى سُفْيان ، وإيّاكم والخلاف والإرجاف ، فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلافٌ لأقتلنّه وعريفه ووليّه، ولآخذنّ الأدنى بالأقصى حتّى تستمعوا لى ، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاقّ ، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعنى شبَه خال ولا ابن عمّ .

ثم خرج من البَصرة واستخلف أخاه عثمانَ بن زياد ، وأقبل إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلىّ ، وشريك بن الأعور الحارثىّ وحشمه وأهل بيته ، حتّى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء، وهو متلثّم والناس قد بلغهم إقبال حسين إليهم ، فهم ينتظرون قدومَه ، فظنّوا حين قدم عبيد الله أنه الحسين ، فأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلاّ سلّموا عليه ، وقالوا : مرحبًا بك يابنَ رسول الله ! قدمتَ خيرَ مَقْدَم ، فرأى من تباشيرهم بالحسين عليه السلام ماساءه ، فقال مسلم بن عمرو لما أكثروا : تأخّروا ، هذا الأميرُ عُبيد الله بن زياد ، ٢/٢٤٢ فأخذ حين أقبل على الظهر؛ وإنما معه بضعة عشر رجلاً ، فلما دخل القصرَ وعلم الناسُ أنه عبيد الله بن زياد دَخلَهم من ذلك كآبة وحُزن شديد ، وغاظ عبيدَ الله ما سمع منهم ، وقال : ألا أرى هؤلاء كما أرى .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدّثنى المعلّى بن كليب، عن أبى ودّاك، قال : لما نزل القصر نودى : الصلاة جامعة ؛ قال : فاجتمع الناس ، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد ، فإنّ أمير المؤمنين أصلحه الله ولّانى مصرَكم وثغرَكم[2] ، وأمرنى بإنصاف مظلومكم ، وإعطاء محرومكم ، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم ، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم ، وأنا

---

(١) يقال : إنه لنكلُ شر ، بكسر النون وسكون الكاف ، أى ينكل بأعدائه .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان .

متّبع فيكم أمرَه ، ومنفّذ فيكم عهدَه ، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ ، وسوطى وسيفى على مَنْ ترك أمرى ، وخالفَ عهدى ، فليُبقِ امرؤٌ على نفسه . الصدق ينبئ عنكَ لا الوعيد ؛ ثم نزل .

فأخذ العُرفاء والناس أخذاً شديداً ، فقال : اكتبوا إلىّ الغرباءَ ، ومن فيكم من طِلْبة أمير المؤمنين ، ومَن فيكم من الحروريّة وأهلِ الرِّيَب الذين رأيُهم الخلاف والشقاق ، فمَن كتبهم لنا فبرئ ، ومن لم يكتب لنا أحداً ، فيضمن لنا ما فى عرافته ألّا يخالفنا منهم مخالِف ، ولا يبغى علينا منهم باغٍ ، فمن لم يفعل برئتْ منه الذّمة،وحلال لنا مالُه وسفكُ دمه ، وأيّما عريفٍ وجِد فى عرافته من بُغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صُلِب على باب داره ، وألقِيتْ[1] تلك العرافة من العطاء ، وسُيِّر إلى موضع بعُمانَ الزّارة .

٢/٢٤٣ وأما عيسى بن يزيدَ الكنانىّ فإنه قال — فيما ذكر عمر بن شبّة ، عن هارون بن مسلم، عن علىّ بن صالح، عنه — قال: لمّا جاء كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد ، انتخب من أهل البَصرة خمسمائة ، فيهم عبد الله بن الحارث بن نوفل ، وشريك بن الأعور — وكان شيعةً لعلىّ ، فكان أوّل من سقط بالناس شريك ، فيقال : إنه تساقط غَمْرةً ومعه ناس — ثم سقط عبدالله ابن الحارث وسقط معه ناس ، ورجَوْا أن يلوىَ عليهم عُبيد الله ويسبقه الحسين إلى الكوفة ، فجعل لا يلتفت إلى مَن سقط ، ويمضى حتى ورَد القادسيّة ، وسقط مِهْران مولاه ، فقال : أيا مِهران ، على هذه الحال ، إن أمسكت عنك حتى تنظر إلى القصر فلك مائة ألف ، قال : لا ، والله ما أستطيع . فنزل عُبيد الله فأخرج ثياباً مقطّعة من مقطّعات اليَمَن، ثم اعتجر بمعجَرة يمانية ، فركب بغلته ، ثم انحدر راجلاً وحدَه ، فجعل يمرّ بالمحارس فكلّما نظروا إليه لم يشكّوا أنه الحسين ، فيقولون : مرحباً بك يابن رسولِ الله ! وجَعَل لا يكلّمهم ، وخرج إليه الناس من دُورهم وبيُوتهم ، وسمع بهم النعمان بن بشير فغلّق عليه وعلى خاصّته ، وانتَهى إليه عبيد الله وهو لا يشكّ أنه الحسين، ومعه الخلق يضجّون ، فكلّمه النعمان، فقال: أنشدُكَ

(١) ابن الأثير : « ألغيت » .

اللهَ إلا تنحّيتَ عنى ! ما أنا بمسلم إليك أمانتى ، وما لى فى قتلك من أرب ؛ فجعل لا يكلمه . ثم إنه دنا وتدلّى الآخر بين شُرْفتين ، فجعل يكلّمه فقال: افتح لا فتحتَ ، فقد طال ليْلُك ، فسمعها إنسانٌ خلفه ، فتكفّى إلى القوم، فقال : أىْ قومُ ، ابن مَرجانة ، والذى لا إله غيره ! فقالوا : وَيْحك ! إنما هو الحسين ، ففتح له النعمان ، فدخل ، وضربوا الباب فى وجوه الناس، فانفَضّوا ، وأصبح فجلس على المنبر فقال : أيُّها الناس ، إنى لأعلم أنه قد سار معى ، وأظهر الطاعةَ لى من هو عدوّ للحسين حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ، واللهِ ما عرفتُ منكم أحداً ؛ ثم نزل .

٢٤٤/٢

وأخبِر أن مسلم بن عَقيل قدم قبله بليلة، وأنه بناحية الكوفة ، فدعا مولًى لبنى تميم فأعطاه مالاً ، وقال : انتحلْ هذا الأمرَ ، وأعنْهم بالمال ، واقصد لهانئ ومسلم وانزل عليه ؛ فجاء هانئاً فأخبره أنه شيعة ، وأنّ معه مالاً . وقدم شريك بن الأعور شاكياً ، فقال لهانئ : مُرْ مسلماً يكن عندى ، فإنّ عبيد الله يعودنى ؛ وقال شريك لمسلم : أرأيتَك إن أمكنتُك من عُبيد الله أضاربه أنت بالسيف ؟ قال : نعم والله . وجاء عبيدُ الله شريكاً يعوده فى منزل هانئ — وقد قال شريك لمسلم : إذا سمعتَنى أقول : اسقُونى ماءً فاخرجْ عليه فاضرِبْه — وجلس عبيد الله على فراشِ شريك ، وقام على رأسه مِهْران ، فقال : اسقونى ماء ، فخرجتْ جاريةٌ بقدح، فرأت مسلماً ، فزالت ، فقال شريك : اسقونى ماءً ؛ ثم قال الثالثة : وَيلكم تحمونى الماء ! اسقُونيه ولو كانت فيه نفسى ؛ ففَطِن مِهران فغمز عبيدَ الله ، فوثب ، فقال شريك : أيّها الأمير ، إنى أريد أن أوصِى إليك؛ قال : أعود إليك، فجعل مِهران يطّرد به ؛ وقال : أراد والله قتلك ؛ قال : وكيف مع إكرامى شريكاً وفى بيت هانئ ويد أبى عنده يد ! فرجع فأرسل إلى أسماءَ بن خارجة ومحمّد بن الأشعث فقال : ائتيانى بهانئ ، فقالا له : إنه لا يأتى إلا بالأمان ؛ قال : وما لَه وللأمان ! وهل أحدثَ حدَثاً ! انطلقا فإن لم يأتِ إلا بأمان، فآمناه ، فأتياه فدعَواه ، فقال : إنه إن أخذنى قتَلَنى ، فلم يزالا به حتى جاءا به وعبيد الله يخطب يومَ الجمعة ، فجلس فى المسجد ، وقد رجّل هانئ

٢٤٥/٢

غَدِيرتَيْه ، فلمّا صلّى عُبيد الله، قال: يا هانئ ، فتَبِعه، ودخل فسلّم ، فقال عبيد الله: يا هانئ ، أما تعلم أنّ أبى قَدِم هذا البلد فلم يترك أحداً من هذه الشّيعة إلا قتله غير أبيك وغير حُجر، وكان من حُجْر ما قد علمتَ ، ثمّ لم يزل يُحسنُ صُحْبتَك ، ثم كتب إلى أمير الكوفة: إن حاجتى قبلَك هانئ؟ قال : نعم ، قال : فكان جزائى أن خبأتَ فى بيتك رجلاً ليقتلنى! قال : ما فعلت ، فأخرج التميمىّ الذى كان عيناً عليهم، فلمّا رآه هانئ علم أن قد أخبره الخبر ، فقال : أيّها الأمير ، قد كان الذى بلغك ، ولن أضيّع يدك عنّى ، فأنت آمنٌ وأهلك ، فسرْ حيثُ شئت .

فكَبَا عبيد الله عندها ، ومِهْران قائم على رأسه فى يده معكَزة، فقال : واذلاّه ! هذا العبد الحائك يؤمّنك فى سلطانك ! فقال : خذه؛ فطرح المعكزة ، وأخذ بضفيرتىْ هانئ ، ثم أقنع بوجهه ، ثم أخذ عبيد الله المعكزة فضرب بها وجهَ هانئ ، وندَر الزُّجّ ، فارتزّ[1] فى الجدار، ثم ضرب وجهَه حتى كسر أنفَه وجبينَه ، وسمع الناسُ الهَيْعة ، وبلغ الخبر مَذْحج ، فأقبلوا، فأطافوا بالدار ، وأمر عبيدالله بهانئ فألقى فى بيت ، وصيّح المذحِجيّون ، وأمر عبيد الله مِهران أن يُدخل عليه شُرَيْحاً ، فخرج ، فأدخله عليه ، ودخلت الشُّرَط معه ، فقال: ياشريح ، قد ترى ما يصنع بى ! قال : أراك حيّاً ؛ قال : وحىٌّ أنا مع ما ترى ! أخبرْ قومى أنهم إن انصرفوا قتلنى ؛ فخرج إلى عبيد الله فقال: قد رأيتُه حيّاً ، ورأيت أثراً سيّئاً؛ قال : وتُنْكر أن يعاقب الوالى رعيتّه ! اخرج إلى هؤلاء فأخبرهم ، فخرج ، وأمر عبيد الله الرجلَ فخرج معه ، فقال لهم شريح : ما هذه الرّعة السيّئة[2]! الرجل حىٌّ ، وقد عاتبه سلطانُه بضرب لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تُحِلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم . فانصرفوا .

٢٤٦/٢

وذكر هشام ، عن أبى مخنف ، عن المعلّى بن كليب ، عن أبى الودّاك ، قال : نزل شريك بن الأعور على هانئ بن عُرْوة المرادىّ ، وكان شريك شيعيّاً ، وقد شهد صِفّين مع عمّار .

---

(١) ارتز : ثبت . (٢) الرعة : الحمق .

وسمع مسلم بن عقيل بمجيء عبيد الله ومقالته التى قالها ، وما أخذ به العُرفاء والناس ، فخرج من دار المختار — وقد عُلِم به — حتى انتهى إلى دار هانئ بن عُروة المرادىّ ، فدخل بابه ، وأرسل إليه أن اخرج ، فخرج إليه هانئ ، فكره هانئ مكانه حين رآه ، فقال له مسلم : أتيتك لتجيرنى وتُضيفنى ؛ فقال : رحمك الله ! لقد كلفتَنى شططا ، ولولا دخولُك دارى وثقتُك لأحببتُ ولسألتُك أن تخرج عنى ، غير أنه يأخذنى من ذلك ذِمامٌ ، وليس مردود مثلى على مثلك عن جهل ؛ ادخُل .

فآواه ، وأخذتِ الشيعةُ تختلف إليه فى دار هانئ بن عروة ، ودعا ابن زياد مولًى له يقال له معقل، فقال له: خذ ثلاثةَ آلاف درهم ، ثم اطلب مسلم ابن عقيل ، واطلب لنا أصحابه، ثم أعطهم هذه الثلاثة آلاف ؛ فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوّكم، وأعلِمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتَها إياهم اطمأنوا إليك ، ووثقوا بك ، ولم يكتموك شيئًا من أخبارهم ؛ ثم اغدُ عليهم ورُحْ . ففعل ذلك ، فجاء حتى أتى إلى مسلم بن عوسجة الأسدىّ من بنى سعد بن ثعلبة فى المسجد الأعظم وهو يصلّى ، وسمع الناسَ يقولون : إنّ هذا يبايع للحسين، فجاء فجلس حتى فرغ من صلاته ثم قال : يا عبدَ الله، إنى امرؤ من أهل الشأم ، مولًى لذى الكَلاع ، أنعمَ الله علىّ بحُبّ أهل هذا البيت وحبِّ مَن أحبَّهم ، فهذه ثلاثة آلاف درهم أردتُ بها لقاءَ رجلٍ منهم بلغنى أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلّنى عليه ولا يعرف مكانه ، فإنى لجالسٌ آنفًا فى المسجد إذ سمعتُ نفراً من المسلمين يقولون : هذا رجلٌ له علمٌ بأهل هذا البيت ؛ وإنى أتيتك لتقبض هذا المال وتدخلَنى على صاحبك فأبايعه ، وإن شئت أخذت بيعتى له قبل لقائه ، فقال : احمد الله على لقائك إياى ، فقد سرّنى ذلك لتنال ما تحبّ، ولينصر الله بك أهلَ بيت نبيّه ، ولقد ساءنى معرفتك إياى بهذا الأمر من قبل أن ينمى مخافة هذا الطاغية وسطوته .

٢٤٧/٢

فأخذ بيعته قبل أن يبرح ، وأخذ عليه المواثيقَ المغلّظة ليناصحنّ

وليكتُمن ، فأعطاه من ذلك ما رَضِيَ به ، ثم قال له : اختلف إلىّ أيّاماً في منزلى ، فأنا طالبٌ لك الإذنَ على صاحبك . فأخذ يختلف مع الناس ، فطلب له الإذن . فمرض هانئ بن عروة ، فجاء عبيد الله عائداً له ، فقال له عُمارة بن عُبيد السَّلولىّ : إنّما جماعتنا وكيدُنا قتل هذا الطاغية ، فقد أمكنَك الله منه فاقتله ؛ قال هانئ : ما أحبّ أن يُقتَلَ في دارى ، فخرج ٢/٢٤٨ فما مكث إلا جمعةً حتى مرض شريك بن الأعور — وكان كريماً على ابن زياد وعلى غيره من الأمراء ،وكان شديدَ التشيّع — فأرسل إليه عُبيد الله : إنى رائحٌ إليك العشيّة ؛ فقال لمسلم : إن هذا الفاجر عائدى العشيّة ، فإذا جلس فاخرج إليه فاقتله ،ثم اقعد في القصر ، ليس أحدٌ يحُول بينك وبينه ، فإن برئتُ من وجَعى هذا أيامى هذه سرْتُ إلى البصرة وكفيتُك أمرَها .

فلما كان من العشىّ أقبل عُبيد الله لعيادة شريك، فقام مسلم بن عقيل ليَدخل ، وقال له شريك : لا يفوتنّك إذا جلس ؛ فقام هانئ بنُ عروة إليه فقال: إنى لا أحبّ أن يُقتَل في دارى — كأنه استقبح ذلك— فجاء عبيد الله ابن زياد فدخل فجلس، فسأل شريكاً عن وجعه ، وقال : ما الذى تجدُ ؟ ومتى أشكَيت(١) ؟ فلمّا طال سؤالُه إياه ، ورأى أن الآخَر لا يَخرج ، خشىَ أن يفوته ، فأخذ يقول :

* ما تنتظرون بسَلمَى أن تُحيُّوها *

اسقنيها وإن كانت فيها نفسى ، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً ؛ فقال عبيد الله ،ولا يَفطن ما شأنُه: أترونَه يهجُر(٢)؟ فقال له هانئ: نعم أصلحك الله ! ما زال هذا دَيدَنه قبيل عَماية الصبح حتى ساعته هذه . ثم إنه قام ٢/٢٤٩ فانصرف ، فخرج مسلم ، فقال له شريك : ما منعك من قتله ؟ فقال : خصْلتان : أما إحداهما فكراهة هانئ أن يُقتَل في داره ، وأما الأخرى فحديثٌ حدّثه الناسُ عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم :«إنّ الإيمان قيّد الفتْك، ولا يفتك مؤمن » ؛ فقال هانئ : أما والله لو قتلتَه لقتلتَ فاسقاً فاجراً كافراً غادراً ، ولكن كرهتُ أن يُقتَل في دارى . ولبث شريك بن الأعور بعد

(١) أشكيت واشتكيت : كلاهما بمعنى واحد . (٢) يهجر ، أى يهذى .

ذلك ثلاثًا ثم مات ، فخرج ابن زياد فصلّى عليه ، وبلغ عُبيد الله بَعد ما قَتَل مسلمًا وهانئًا أن ذلك الذى كنتَ سمعت من شريك فى مرضه إنما كان يُحرّضُ مسلمًا، ويأمره بالخروج إليك ليقتلَك؛ فقال عبيدالله : والله لا أصلّى على جنازة رجل من أهلِ العراق أبداً ، ووالله لولا أنّ قبر زياد فيهم لنبَشْتُ شريكاً .

ثم إن مَعقلاً مولى ابن زياد الذى دسّه بالمال إلى ابن عَقيل وأصحابه، اختلف إلى مسلم بن عَوْسجة أيامًا ليدخله على ابن عَقيل ، فأقبل به حتى أدخله عليه بعد موت شريك بن الأعور ، فأخبَره خبره كلَّه ، فأخذ ابن عَقيل بيعته ، وأمَرَ أبا ثُمامة الصائدىّ، فقبض مالَه الّذى جاء به — وهو الذى كان يقبض أموالهم ، وما يعين به بعضهم بعضًا ، يشترى لهم السلاح ، وكان به بصيراً ، وكان من فُرسان العرب ووجوهِ الشيعة — وأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، يَسمَع أخبارهم ، ويَعلم أسرارَهم، ثم ينطلِق بها حتّى يُقرّها فى أذن ابن زياد[١] . قال : وكان هانئ يغدو ويَروح إلى عُبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الاختلاف وتَمارَض ، فجعل لا يَخرُج ، فقال ابن زياد لجلسائه : ما لى لا أرى هانئًا ! فقالوا : هو شاكٍ ، فقال : لو علمتُ بمرضه لعدْتُه ! ٢/٢٥٠

قال أبو مخنف : فحدّثنى المجالد بن سعيد ،قال: دعا عبيد الله محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة .

قال أبو مخنف : حدثنى الحسن بن عُقبة المرادىّ أنه بعث معهما عمرو بن الحجّاج الزّبيدىّ .

قال أبو مخنف: وحدّثنى نُمَير[٢] بن وعلة، عن أبى الودّاك ،قال : كانت رَوْعة أخت عمرو بن الحجاج تحت هانئ بن عروة ، وهى أمّ يحيى بن هانئ. فقال لهم : ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا ؟ قالوا : ما ندرى أصلحك الله !

---

(١) ابن الأثير : « ينقلها إلى عبيد الله » .

(٢) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

وإنه ليتشكّى ؛ قال : قد بلغنى أنه قد برأ ، وهو يجلس على باب داره ، فالقَوْه ، فمُروه ألّا يدَعَ ما عليه فى ذلك من الحقّ ، فإنّى لا أحبّ أن يَفسُد عندى مثلُه من أشراف العَرَب . فأتَوه حتّى وقفوا عليه عشيّةً وهو جالسٌ على بابه ، فقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير ؛ فإنه قد ذكرك ، وقد قال : لو أعلمُ أنه شاك لعُدْته ؟ فقال لهم : الشكوَى تَمنعُنى ، فقالوا له : يبلُغه أنك تجلس كلَّ عشيّة على باب دارك ، وقد استبطأك ، والإبطاء والجفاء لا يحتملُه السلطان ، أقسَمْنا عليك لمّا ركبتَ معنا ! فدعا بثيابه فلبسها ، ثم دعا ببغلة فركبها حتى إذا دنا من القصر ، كأنّ نفسه أحسَّت ببعض الذى كان ، فقال لحسّان ابن أسماء بن خارجة : يابنَ أخى ، إنّى والله لهذا الرجل لخائف ، فما ترى ؟ قال : أىْ عمّ ، والله ما أتخوّف عليك شيئًا ، ولِمَ تجعل على نفسك سبيلاً وأنت برىءٌ ؟ وزعموا أن أسماءَ لم يَعلَم فى أىّ شىء بَعث إليه عُبيد الله ؛ فأما محمد فقد علِم به ؛ فدخل القوم على ابن زياد ، ودخل معهم ، فلما طلع قال عُبيد الله : أتتْك بحائنٍ رِجْلاه ! وقد عرّس عُبيد الله إذ ذاك بأمّ نافع ابنة عُمارة بن عُقبة ؛ فلما دنا من ابن زياد وعنده شُريح القاضى التفت نحوَه ، فقال : ٢٠١/٢

أريدُ حِباءَهُ ويريدُ قَتْلى عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ[1]

وقد كان له أوّل ما قدم مُكرِمًا مُلْطِفًا ، فقال له هانئ : وما ذاك أيها الأمير ؟ قال : إيهِ يا هانئ بن عروة ! ما هذه الأمور التى تَرَبَّصُ فى دُورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ! جئتَ بمسلم بن عَقيل فأدخلتَه دارك ، وجمعتَ له السلاح والرجال فى الدّور حولَك ، وظننتَ أنّ ذلك يَخفَى علىّ لك ! قال : ما فعلت ، وما مسلم عندى ، قال : بلى قد فعلت ؛ قال : ما فعلت ؛ قال : بلى ، فلما كثُر ذلك بينهما ، وأبَى هانئٌ إلا مجاحدَته ومناكرَته ، دعا ابنُ زياد معقلاً ذلك العين ، فجاء حتّى وقف بين يديه فقال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، وعلِم هانئٌ عند ذلك أنه كان عيناً عليهم ، وأنه قد أتاه بأخبارهم ،

---

(١) لعمرو بن معدى يكرب ، اللآلى ١٣٨ ، وفى ابن الأثير : « أريد حياته » .

فسُقط فى خَلَدَه[1] ساعةً . ثم إنّ نفسَه راجعَتْه ، فقال له : اسمع منّى ، وصدّق مقالتى ، فوالله لا أكذبك ، والله الذى لا إله غيرُه ما دعوتُه إلى منزلى ، ولا علمتُ بشىء من أمره ، حتى رأيته جالسًا على بابى ، فسألنى النزولَ علىّ ، فاستحييتُ من ردّه ، ودَخلَنى من ذلك ذِمام ، فأدخلتُه دارى وضفْتُه وآويته ، وقد كان من أمره الذى بلغك ، فإن شئتَ أعطيتُ الآن موثقًا مغلّظًا وما تطمئنّ[2] إليه ألاّ أبغيك سوءًا ، وإن شئت أعطيتُك رهينةً تكون فى يدك حتى آتيَك ، وأنطلق إليه فآمره أن يخرج من دارى إلى حيث شاء من الأرض ، فأخرجَ من ذمامه وجواره ؛ فقال : لا والله لا تفارقنى أبداً حتى تأتيَنى به ؛ فقال : لا ، والله لا أجيئك أبداً ، أنا أجيئك بضيفى تَقتلُه ! قال : والله لتأتينّى به ، قال : والله لا آتيك به .

٢٥٢/٢

فلما كثُر الكلام بينهما قام مسلم بن عَمرو الباهلىّ — وليس بالكوفة شأمىّ ولا بَصْرىّ غيره — فقال : أصلح الله الأمير ! خلّنى وإياه حتى أكلّمه ، لمّا رأى لجاجته وتأبّيَه على ابن زياد أن يدفع إليه مسلماً ، فقال لهانئ : قم إلىّ ها هنا حتى أكلمك ؛ فقام فخلا به ناحيَةً من ابن زياد ، وهما منه على ذلك قريب حيث يراهما ؛ إذا رَفَعا أصواتهما سمع ما يقولان ، وإذا خَفَضا خفىَ عليه ما يقولان ؛ فقال له مسلم : يا هانئ ، إنى أنشدُك اللهَ أن تقتلَ نفسَك ، وتُدخل البلاَءَ على قومك وعشيرتك ! فوالله إنى لأنفَس بك عن القتل ، وهو يرى أنّ عشيرته ستحرّك فى شأنه أنّ هذا الرجل ابن عمّ القوم ، وليسوا قاتليه ولا ضائريه ، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مَخزاة ولا مَنقَصة ، إنما تدفعه إلى السلطان ، قال : بلى ، والله إنّ علىّ فى ذلك لَلخِزْىُ والعارُ ، أنا أدفع جارى وضيفى وأنا حىٌّ صحيح أسمَعُ وأرى ، شديد الساعد ، كثير الأعوان ! والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لى ناصرٌ لم أدفعْه حتى أموت دونَه . فأخذ يناشده وهو يقول : والله لا أدفَعه إليه أبداً ؛ فسمع ابن زياد ذلك ، فقال : أدنُوه منّى ، فأدنَوْه منه ، فقال : والله لتأتينّى به أو لأضربنّ عنقك ؛

---

(١) ابن الأثير : « فى يده » .

(٢) ابن الأثير : « تطمئن به » .

قال : إذاً تكثر البارقة[1] حولَ دارك ، فقال : والهفا عليك ! أبالبارقة تخوّفني ! وهو يظنّ أنّ عشيرته سيمنعونه ؛ فقال ابن زياد : أدنُوه منى ، فأدنيَ ، فاستعرض وجهَه بالقضيب ، فلم يزل يضرب أنفَه وجبينَه وخدَّه حتى كسر أنفَه ، وسيّل الدماءَ على ثيابه ، ونثر لحمَ خدّيه وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب ، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شُرطيّ من تلك الرّجال ، وجابَذه[2] الرجلُ ومنِع ، فقال عبيد الله : أحَروريّ سائر اليوم ! أحللتَ بنفسك ، قد حلّ لنا قتلُك ، خذوه فألقوُه فى بيت من بيوت الدار ، وأغلقوا عليه بابه ، واجعلوا عليه حَرَساً ، ففُعِلَ ذلك به ، فقام إليه أسماء ابن خارجة فقال : أرُسُل غَدْر سائر اليوم ! أمرْتَنا أن نجيئك بالرّجل حتى إذا جئناك به وأدخلناه عليك هشمْتَ وجهَه ، وسيّلت دمَه على لحيته ، وزعمتَ أنك تقتله ! فقال له عبيد الله : وإنك لهاهنا ! فأمر به فَلُهِزَ وتُعْتِعَ[3] به ، ثم تُرِك فحبِس .

٢٥٣/٢

وأما محمد بن الأشعث فقال : قد رضينا بما رأى الأمير ؛ لنا كان أم علينا ، إنما الأمير مؤدّب . وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً قد قُتل ، فأقبل فى مذحج حتى أحاط بالقصر ومعه جمعٌ عظيم ، ثمّ نادى: أنا عمرو بن الحجّاج ، هذه فُرْسان مَذحِج ووُجوهُها ، لم تخلع طاعةً ، ولم تفارق جماعة ، وقد بلغهم أنّ صاحبهم يُقتل ، فأعظَموا ذلك ؛ فقيل لعبيد الله : هذه مذحِج بالباب ، فقال لشُريح القاضى : ادخُل على صاحبهم فانظر إليه ، ثم اخرج فأعلمْهم أنه حيّ لم يُقتل ، وأنك قد رأيتَه ، فدخل إليه شريح فنَظَر إليه .

فقال أبو مخنف : فحدّثنى الصّقْعب بن زهير ، عن عبد الرحمن بن شَريح ، قال : سمعته يحدّث إسماعيل بن طلحة ، قال : دخلت على هانئ ، فلما رآنى قال : يا لله يا للْمسلمين ! أهَلكتْ عشيرتى ؟ فأين أهل الدين ! وأين أهل المِصْر ! تفاقدوا ! يُخلّونى ، وعدوّهم وابنَ عدوّهم ! والدماء

٢٥٤/٢

(١) البارقة : السيوف على التشبيه . (٢) ابن الأثير « وجذبه » .
(٣) لهزه يلهزه لهزاً : ضربه بجمعه فى لهازمه . والتعتعة : الحركة العنيفة .

تسيل على لحيته ، إذ سمع الرّجة على باب القصر ، وخرجت واتّبعني ، فقال : يا شريح ، إني لأظنُّها أصواتُ مذحِج وشيعتي من المسلمين ، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني؛ قال: فخرجتُ إليهم ومعي حُميد بن بكير[1] الأحمريّ — أرسله معي ابن زياد، وكان من شُرَطه ممّن يقوم على رأسه — وايمُ الله لولا مكانُه معي لكنتُ أبلغتُ أصحابَه ما أمرَني به ؛ فلما خرجتُ إليهم قلت : إنّ الأمير لما بلغه مكانُكم ومقالتُكم في صاحبكم أمرَني بالدخول إليه ، فأتيتُه فنظرتُ إليه ، فأمرني أن ألقاكم ، وأن أعلِمكم أنه حيّ ، وأن الذي بلغكم من قتله كان باطلاً . فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذْ لم يُقتَل فالحمدُ لله ؛ ثم انصرفوا .

قال أبو مخنف : حدّثني الحجّاج بن عليّ ، عن محمد بن بِشْر[2] الهمْدانيّ ، قال : لما ضرب عُبيد الله هانئًا وحبَسه خشيَ أن يَثبَ الناسُ به ، فخرج فصَعِد المنبَر ومعه أشراف الناس وشُرَطُه وحشمه ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثم قال : أمّا بعد ، أيها الناس ، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم ، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتَهلكوا وتَذِلّوا وتقتلوا وتُجفَوا وتحرموا ، إنّ أخاك مَن صدَقك ، وقد أعْذَرَ مَنْ أنذر .

قال : ثم ذهب لينزل ، فما نزل عن المنبَر حتّى دخلت النّظارة المسجد من قبل التّمّارين يشتدّون ويقولون : قد جاء ابن عَقيل! قد جاء ابن عَقيل! فدخل عُبيد الله القصرَ مسرعًا ، وأغلق أبوابه . ٢/٢٥٥

قال أبو مخنف : حدّثني يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن خازم ، قال : أنا والله رسول ابن عَقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمرُ هانئ ؛ قال : فلما ضُرب وحُبس ركبتُ فرسي وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عَقيل بالخبر ، وإذا نسوةٌ لمراد مجتمعات ينادين : يا عَثْرتاه! يا ثُكلاه ! فدخلت على مسلم بن عَقيل بالخبر ، فأمرني أن أناديَ في أصحابه وقد ملأ منهم الدّور حوله ، وقد بايعه ثمانية عشر ألفًا ، وفي الدور أربعة آلاف رجل ، فقال لي : نادِ : يا منصور أمتْ ؛ فناديتُ : يا منصورُ أمتْ ؛ وتنادَى أهلُ الكوفة

---

(١) ط « بكر » ، وانظر الفهرس .
(٢) ط : « بشير » وانظر الفهرس .

فاجتمعوا إليه ، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندىّ على رُبْع كندة وربيعة ، وقال : سرْ أمامى فى الخيل ، ثم عقد لمسلم بن عوْسجة الأسدىّ على رُبْع مَذْحِج وأسَد، وقال : انزِل فى الرّجال فأنت عليهم ؛ وعقد لأبى ثُمامة[1] الصائدىّ على رُبع تميم وهَمْدان، وعقد لعباس بن جَعْدة الجدلىّ على رُبْع المدينة ، ثم أقبل نحو القصر ، فلما بلغ ابنَ زياد إقبالُه تحرّز فى القصر ، وغلّق الأبواب .

قال أبو مخنف : وحدّثنى يونس بن أبى إسحاق ،عن عبّاس الجَدَلىّ قال : خرجنا مع ابن عَقيل أربعة آلاف ، فما بلغنا القصرَ إلا ونحن ثلثمائة . قال : وأقبل مسلم يسيرُ فى الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر ، ثم إنّ الناس تداعَوْا إلينا واجتمَعوا ، فوالله ما لبثْنا إلا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق ، وما زالوا يثّوبون حتى المساء ،فضاق بعبيد الله ذَرْعه ، وكان كُبْر أمرِه أن يتمسّك بباب القصر ، وليس معه إلا ثلاثون رجلاً من الشُّرَط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه ، وأقبل أشراف الناس يأتون ابنَ زياد من قِبَل الباب الذى يلى دارَ الروميّين ، وجعل منَ بالقصر مع ابن زياد يُشرِفون عليهم ، فينظرون إليهم فيتّقون أن يرمُوهم بالحجارة ، وأن يشتموهم وهم لا يَفترون على عبيد الله وعلى أبيه . ودعا عبيدُ الله كثيرَ بن شهاب ابن الحصين الحارثىّ فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحِج ، فيسير بالكوفة ، ويخذّل الناس عن ابن عَقيل ويخوّفهم الحرب ، ويحذّرهم عقوبةَ السلطان ، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كِنْدة وحَضْرَمَوْت ، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس ،وقال مثلَ ذلك للقعقاع بن شَوْر الذهلىّ وشَبَث بن رِبْعىّ التميمىّ وحَجّار بن أبجر العجْلىّ وشَمر بن ذى الجَوْشن العامرىّ، وحبس سائرَ وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد مَن معه من الناس ، وخرج كَثير بن شهاب يُخذّل الناس عن ابن عَقيل .

٢/٢٥٦

قال أبو مخنف : فحدّثنى ابو جَناب الكلبىّ أن كثيرًا ألفَى رجلا من

(١) ط : « ابن ثمامة » ، وانظر ص ٣٦٤ س ١٠ من هذا الجزء .

كلب يقال له عبد الأعلى بن يزيد، قد لبس سلاحه يريد ابنَ عقيل فى بنى فِتْيان ، فأخذَه حتى أدخله على ابن زياد ، فأخبره خبرَه ، فقال لابن زياد : إنما أردتك ؛ قال : وكنتَ وعدتَنى ذلك من نفسك ؛ فأمر به فحبِس ، وخرج محمد بن الأشعث حتى وقف عند دُور بنى عمارة ، وجاءه عمارة بن صَلْخب الأزْدىّ وهو يريد ابن عَقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه ، فبعث ابن عَقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شُريح الشِّباميّ ، فلما رأى محمد بن الأشعث كثْرةَ من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخر، وأرسل القعقاع بن شوْر الذّهلىّ إلى محمد بن الأشعث: قد جُلْتُ على ابن عقيل من العرارِ ، فتأخّرْ عن موقفه ، فأقبل حتى دخل على ابن زياد من قبَل دار الرُوميين ، فلما اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم ، قال له كثير — وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلَحَ اللهُ الأمير ! معك فى القصر ناسٌ كثير من أشراف الناس ومن شُرَطك وأهل بيتك ومَواليك ، فاخرج بنا إليهم ، فأبى عُبيد الله ، وعقد لشَبَث بن رِبْعىّ لواءً، فأخرجه، وأقام الناسُ مع ابن عقيل يكبّرون ويثوّبون حتى المساء ، وأمرُهم شديد ، فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه ، ثم قال: أشرِفوا على الناس فمنُّوا أهلَ الطاعة الزّيادةَ والكرامة ، وخوّفوا أهلَ المعصية الحرمانَ والعقوبة ، وأعلموهم فُصولَ[1] الجنود من الشأم إليهم .

[٢/٢٥٧]

قال أبو مخنف : حدّثنى سُليمان بن أبى راشد ، عن عبد الله بن خازم الكثيرىّ[2] من الأزْد ، من بنى كثير ، قال : أشرف علينا الأشراف ، فتكلم كثير بن شهاب أوّل الناس حتى كادت الشمس أن تَجِب ، فقال : أيّها الناس ، الحَقوا بأهاليكم ، ولا تعجّلوا الشرّ ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل ، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين يزيدُ قد أقبلتْ ، وقد أعطى اللهَ الأميرُ عهداً : لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يُحرِم ذرّيتكم العطاء ، ويفرّق مُقاتلتكم فى مَغازى أهل الشأم على غير طمع ، وأن يأخذ البرىء بالسقيم ، والشاهد بالغائب ، حتى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلا أذاقها وبالَ

[٢/٢٥٨]

(١) فصول الجنود : خروجهم .

(٢) ط : « الكبرى » ، تحريف .

ما جرّت أيديها ؛ وتكلّم الأشراف بنحو من كلامِ هذا ؛ فلما سمع مقالتهم الناسُ أخذوا يتفرّقون ، وأخذوا ينصرفون .

قال أبو مخنف : فحدّثني المجالد بن سعيد؛أنّ المرأة كانت تأتى ابنَها أو أخاها فتقول : انصرِف ؛ الناسُ يكفُونك ؛ ويجىء الرّجُل إلى ابنه أو أخيه فيقول : غداً يأتيك أهلُ الشأم ، فما تصنع بالحرب والشرّ ! انصرف . فيذهب به ؛ فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً فى المسجد ، حتى صُلِّيَتِ المغرب ، فما صلّى مع ابن عقيل إلا ثلاثون نفساً . فلما رأى أنه قد أمسى وليس معه إلا أولئك النَّفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كِنْدة ، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة ، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسانٌ ، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق ، ولا يدُلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إنْ عرض له عدوٌّ ، فمضى على وجهه يتلدّد فى أزقّة الكُوفة لا يَدرِى أين يَذهَب ! حتى خرج إلى دُور بنى جَبَلة من كِنْدة ، فمشى حتى انتهى إلى باب امرأة يقال لها طَوْعة — أمّ ولد كانت للأشعث بن قيس ، فأعتقَها ، فتزوّجها أسيد الحضرمىّ فولدتْ له بلالا ، وكان بلالٌ قد خرج مع الناس وأمه قائمة تنتظره — فسلّم عليها ابن عقيل ، فردّت عليه ، فقال لها : يا أمة الله ، اسقينى ماءً ، فدخلت فسقته ، فجلس وأدخلت الإناء ، ثم خرجت فقالت : يا عبدالله ألم تشرب ! قال : بلَى ، قالت : فاذهب إلى أهلك ؛ فسكت ؛ ثم عادت فقالت مثلَ ذلك ، فسكت ؛ ثم قالت له : فىّ الله[1] ، سبحان الله يا عبدالله ! فمرّ إلى أهلك عافاك الله ؛ فإنه لا يَصلح لك الجلوسُ على بابى ، ولا أحلّه لك ؛ فقام فقال : يا أمةَ الله ، مالى فى هذا المصر منزلٌ ولا عشيرة ؛ فهل لكِ إلى أجر ومعروف ، ولعلّى مكافئك به بعد اليوم ! فقالت : يا عبد الله ، وما ذاك ؟ قال : أنا مسلم بن عقيل ، كذَبنى هؤلاء القوم وغرّونى ؛ قالت : أنت مسلم ! قال : نعم . قالت : ادخُل ، فأدخلتْه بيتاً فى دارها غير البيت الذى تكون فيه ، وفرشتْ له ، وعرضتْ عليه العشاء فلم يتعشّ ، ولم يكن بأسرعَ من أن جاء ابنها فرآها تُكثر الدخولَ فى البيت والخروجَ منه ، فقال : والله إنه

٢/٢٥٩

(١) فىّ الله ، أى اتق الله فىّ .

ليَريبني كثرةُ دخولك هذا البيتَ منذ الليلة وخروجك منه ! إن لك لشأناً ؛ قالت: يا بنيّ ، الْهُ عن هذا ؛ قال لها : والله لتخبرنّي: قالت : أقبلْ على شأنك ولاتسألني عن شيء ، فألحّ عليها ، فقالت: يا بنيّ، لا تحدّثنّ أحداً من الناس بما أخبرك به ؛ وأخذتْ عليه الأيمان، فحلف لها ، فأخبرتْه ، فاضطجع وسكت — وزَعموا أنه قد كان شريداً من الناس . وقال بعضهم : كان يشرب مع أصحاب له — ولما طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عَقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه : أشرفوا فانظروا هلْ ترَوْن منهم أحداً ! فأشرَفوا فلم يرَوْا أحداً ؛ قال : فانظروا لعلّهم تحت الظلال قد كَمَنوا لكم ؛ فقَرَعوا بَحابحَ(١) المسجد ، وجعلوا يخفضون شُعَلَ النار فى أيديهم ، ثم ينظرون: هل فى الظلال أحدٌ؟ وكانت أحياناً تُضيء لهم ، وأحياناً لا تُضيء لهم كما يريدون ، فدلّوا القناديل وأنصاف الطّنان تشَدّ بالحبال ، ثم تُجعل فيها النيران ، ثم تُدَلّى ،حتى تنتهى إلى الأرض ، ففعلوا ذلك فى أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتى فعلوا ذلك بالظُّلّة التى فيها المنبر ، فلما لم يروْا شيئاً أعلموا ابنَ زياد ، ففتح باب السُّدّة التى فى المسجد . ثم خرج فصعد المنبرَ ، وخرج أصحابُه معه ، فأمرهم فجلسوا حوله قبيْل العتَمة ، وأمر عَمرو بن نافع فنادى : ألا برِئت الذّمة من رجل من الشّرْطة والعُرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى العتَمة إلا فى المسجد ؛ فلم يكن له إلا ساعة حتى امتلأ المسجد من الناس ؛ ثم أمر مناديَه فأقام الصلاةَ ، فقال الُحصَين بن تميم : إن شئتَ صليتَ بالناس ، أويصلّى بهم غيرُك ،ودخلتَ أنت فصلّيتَ فى القصر ، فإنى لا آمن أن يغتالَك بعضُ أعدائك ! فقال : مُرْ حرَسى فليقوموا ورائى كما كانوا يقفون ، ودُرْ فيهم فإنى لست بداخل إذاً . فصلّى بالناس، ثم قام فحمد اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنّ ابن عَقيل السفيه الجاهل ، قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدْناه فى داره ، ومَنْ جاء به فله ديتُه . اتقوا الله عباد الله ، والزَموا طاعتكم وبيْعتكم ، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً . يا حُصين

٢٦٠/٢

(١) بحابح : جمع بحبوحة ، وهى الساحة أو الفناء .

ابن تميم ، ثكلتك أمك إنْ صاح بابُ سكّة من سكك الكوفة ،أو خرج هذا الرجل ولم تأتنى به ؛وقد سلّطتُك على دُور أهل الكوفة ، فابعث مُراصدةً على أفواه السكك ، وأصبِح غداً واستبْرِ الدُّور وجُسْ خلالها حتى تأتينى بهذا الرجل — وكان الحصين على شُرَطه ، وهو من بنى تميم — ثم نزل ابن زياد فدخل وقد عقد لعمرو بن حُرَيْث رايةً وأمَّره على الناس ، فلما أصبح جلس مجلسه وأذن للناس فدخلوا عليه ، وأقبل محمد بن الأشعث فقال : مرحباً بمن لا يُستَغَش ولا يُتَّهَم ! ثم أقعده إلى جنبه ، وأصبح ابن تلك العجوز وهو بلال بن أسيد الذى آوت أمه ابنَ عقيل ، فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث فأخبَرَه بمكان ابن عقيل عند أمه ؛ قال : فأقبل عبد الرحمن حتى أتى أباه وهو عند ابن زياد ، فسارّه ، فقال له ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : أخبرنى أنّ ابن عقيل فى دار من دورنا ، فنخَسَ بالقضيب فى جَنْبه ثم قال : قم فأتنى به الساعة .

٢/٢٦١

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامة بن سعيد بن زائدة بن قدامة الثقفىّ ، أنّ ابن الأشعث حين قام ليأتيَه بابن عقيل بعث إلى عمرو بن حُرَيْث وهو فى المسجد خليفته على الناس ؛ أن ابعَثْ مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قَيْس — وإنما كره أن يبعث معه قومه لأنه قد علم أنّ كلّ قوم يكرَهون أن يُصادَفَ فيهم مثل ابن عقيل — فبعث معه عمرو بن عبيد الله بن عبّاس السُّلَمىّ فى ستين أو سبعين من قَيْس ، حتى أتوا الدارَ التى فيها ابن عقيل ، فلما سمع وقعَ حوافر الخيل وأصواتَ الرجال عرَف أنه قد أتِىَ ، فخرج إليهم بسيفه ، واقتحموا عليه الدار ، فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار ، ثم عادوا إليه ، فشدّ عليهم كذلك ، فاختلف هو وبُكَيْر بن حُمْران الأحمرىّ ضربتين ، فضرب بُكَيْر فمَ مسلم فقطع شفتَه العُلْيا ، وأشرَعَ السيف فى السُّفْلى ، ونصلتْ لها ثنيّتاه ، فضربه مسلم ضربةً فى رأسه منكَرة ، وثنّى بأخرى على حبل العاتق كادت تطلع على جَوْفه . فلما رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق ظهر البيت ، فأخذوا يرمُونه بالحجارة ، ويُلْهِبون النارَ فى أطنان القصب ، ثمّ يقلبونها عليه من فوق

٢/٢٦٢

البيت ، فلما رأى ذلك خرج عليهم مصْلتًا بسيفه فى السكة فقاتلهم ، فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال : يا فتى ، لك الأمان ، لا تَقْتُلْ نفسَك ؛ فأقبل يقاتلُهم ، وهو يقول :

أقْسَمْتُ لا أُقْتَلُ إلّا حُرّا وإن رأيتُ المَوت شيئاً نُكْرَا

كُلُّ امرئٍ يوماً مُلاقٍ شَرّا ويُخلط البارد سُخْناً مُرّا[1]

رُد شُعاعَ الشمس فاستقرا أَخافُ أن أُكْذَبَ أو أُغرا

فقال له محمد بن الأشعث : إنك لا تُكْذَب ولا تُخْدَع ولا تُغرّ ، إنّ القوم بنو عمّك، وليسوا بقاتليك ولا ضاربيك ، وقد أُثْخِن بالحجارة ، وعجز عن القتال وانْبَهَر ، فأسند ظهره إلى جنب تلك الدار ؛ فدنا محمد ابن الأشعث فقال : لك الأمان ، فقال : آمنٌ أنا ؟قال : نعم ؛ وقال القوم: ٢/٢٦٣ أنت آمنٌ ؛ غير عمرو بن عبيد الله بن العباس السلَمىّ فإنه قال : لا ناقةَ لى فى هذا ولا جَمَل ، وتنحّى .

وقال ابن عَقيل : أما لو لم تؤمّنونى ما وضعتُ يدى فى أيديكم. وأتِىَ ببغلة فحُمل عليها ، واجتمعوا حولَه ، وانتزعوا سيفَه من عنقه ، فكأنه عند ذلك آيسٌ من نفسه ، فدمَعَت عيناه ، ثم قال : هذا أوّل الغدر ؛ قال محمد ابن الأشعث : أرجو ألّا يكون عليك بأس ؛ قال : ما هو إلا الرّجاء ؛ أين أمانُكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! وبكى ؛ فقال له عمرو بن عُبيد الله بن عباس : إنّ من يطلب مثلَ الذى تطلب إذا نزل به مثْلُ الذى نزل بك لم يَبك ، قال : إنّى واللهِ ما لنفسى أبكى ، ولا لها من القتل أرْثى ، وإن كنت لم أحبّ لها طَرْفة عين تلفًا ، ولكن أبكى لأهلى المُقْبلين إلىّ ، أبكى لحسين وآلِ حسين ! ثم أقبل على محمد بن الأشعث فقال : يا عبدَالله ، إنى أراك والله ستعجز عن أمانى ، فهل عندك خير ! تستطيع أن تبعث من عندِك رجلاً على لسانى يبلغ حسينًا ، فإنى لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلا ، أو هو خرج غداً هو وأهلُ بيته ، وإنّ ما ترى من جزعى لذلك ،

---

[1] فى ابن الأثير :

أو يخلِط البارِدَ سُخْنًا مُرّا ردّ شعاعَ الشمس فاستقرّا

فيقول : إنّ ابن عَقيل بعثني إليك ، وهو في أيدي القوم أسير لا يرَى أن تمشيَ حتى تُقتل ، وهو يقول : ارجعْ بأهل بيتك ، ولا يغرّك أهلُ الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقَهم بالموت أو القتل ؛ إنّ أهلَ الكوفة قد كذَبوك وكذَبوني ، وليس لمكذَّب رأي ؛ فقال ابن الأشعث : والله لأفعلنّ ، ولأعلمنّ ابنَ زياد أني قد أمَّنتُك .

٢/ ٢٦٤ قال أبو مخنف : فحدّثني جعفر بن حُذيفة الطائيّ — وقد عرف سعيد ابن شيبان الحديث — قال : دعا محمد بن الأشعث إياس بن العثل الطائيّ من بني مالك ابن عَمرو بن ثمامة ، وكان شاعراً ، وكان لمحمد زَوّاراً ، فقال له : الْقَ حسيناً فأبلغه هذا الكتاب ، وكتب فيه الذي أمره ابن عَقيل ، وقال له : هذا زادُك وجَهازُك ، ومُتْعة لعيالك ؛ فقال : من أين لي براحلة ، فإنّ راحلتي قد أنضيتُها ؟ قال : هذه راحلة فاركَبْها برَحلها . ثم خرج فاستقبله بزُبالةَ لأربع ليال ، فأخبره الخبر ، وبلّغه الرسالة ، فقال له حسين : كلّ ما حُمّ نازل ، وعند الله نحتسب أنفسَنا وفساد أمّتنا .

وقد كان مسلم بن عَقيل حيث تحوّل إلى دار هانئ بن عروة وبايَعه ثمانية عشر ألفاً ، قدّم كتاباً إلى حسين مع عابس بن أبي شبيب الشاكريّ : أما بعد ، فإن الرائد لا يَكْذِب أهلَه ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً ، فعجّل الإقبالَ حين يأتيك كتابي ، فإنّ الناس كلهم معك ، ليس لهم في آل معاوية رأي ولا هَوًى ؛ والسلام .

وأقبل محمد بن الأشعث بابن عَقيل إلى باب القصر ، فاستأذن فأذِن له ، فأخبر عبيد الله خبرَ ابن عَقيل وضرب بُكيْر إياه ، فقال : بُعْداً له ! فأخبره محمد بن الأشعث بما كان منه وما كان من أمانه إيّاه ، فقال عبيد الله : ما أنت والأمان ! كأنا أرسلْناك تؤمّنُه ! إنما أرسلناك لتأتيَنا به ؛ فسكت . وانتهى ابن عَقيل إلى باب القصر وهو عطشان ، وعلى باب القصر ناسٌ جلوس ينتظرون الإذنَ ، منهم عمارة بن عُقبة بن أبي مُعَيْط ، وعمرو بن حُريث ، ومسلم بن عمرو ، وكثير بن شهاب .

٢/ ٢٦٥ قال أبو مخنف : فحدّثني قُدامة بن سعد أنّ مسلم بن عَقيل حين

انتهى إلى باب القصر فإذا قُلّة باردة موضوعة على الباب ، فقال ابن عَقيل : اسقُونى من هذا الماء ، فقال له مسلم بن عَمرو : أتراها ما أبردَها ! لا والله لا تذوق منها قطرةً أبداً حتى تذوقَ الحميم فى نار جهنّم ! قال له ابن عَقيل : وَيْحك ! مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابن مَن عرفَ الحقّ إذ أنكرتَه ، ونصحَ لإمامه إذْ غششتَه ، وسمع وأطاع إذ عصيتَه وخالفتَ ، أنا مسلم بن عَمرو الباهلىّ ؛ فقال ابن عَقيل : لأمّك الثكْلُ ! ما أجفاك ، وما أفظّك ؛ وأقسَى قلبَك وأغلَظك ! أنت يابن باهلة أوْلى بالحميم والخلود فى نار جهنم منى ؛ ثم جلس متسانداً إلى حائط .

قال أبو مخنف : فحدّثنى قُدامة بن سعد أنّ عمرو بن حُريث بعث غلامًا يُدعَى سليمان ، فجاءَه بماء فى قُلّة فسقاه .

قال أبو مخنف : وحدّثنى سعيد بن مدرك بن عُمارة ، أن عُمارة بن عُقبة بعث غلامًا له يُدعى قيْسًا ، فجاءه بقُلّةعليها منديل ومعه قَدَح فصبّ فيه ماءً ، ثم سقاه ، فأخذ كلّما شرب امتلأ القدح دمًا ، فلما ملأ القدحَ المرّة الثالثة ذهب ليشرب فسقطتْ ثنيّتاه فيه ، فقال : الحمد لله ! لو كان لى من الرزق المقسوم شربتُه . وأدخِل مسلمٌ على ابن زياد فلم يسلّم عليه بالإمْرة ، فقال له الحرَسىّ : ألا تسلّم على الأمير ! فقال له : إن كان يريد قتلى فما سَلامى عليه ! وإن كان لا يريد قتلى فلَعَمرى ليَكثُرنّ سلامى عليه ؛ فقال له ابن زياد : لَعَمرى لتُقْتَلنّ ؛ قال : كذلك ؟ قال : نعم ؛ قال : فدَعنى أوصِ إلى بعض قومى ، فنظر إلى جلساءِ عبيد الله وفيهم عمر بن سعد ، فقال : ياعمر ، إنّ بينى وبينك قرابةً ، ولى إليك حاجة ، وقد يجب لى عليك نُجْحُ حاجتى ، وهو سرّ ، فأبى أن يمكّنه من ذكرها ، فقال له عبيد الله : لا تمتنع أنْ تنظر فى حاجة ابن عمّك ، فقام معه فجلس حيث ينظر إليه ابن زياد ، فقال له : إنّ علىّ بالكوفة دَيْناً استدنتُه منذ قدمتُ الكوفةَ ، سبعمائة درهم ، فاقضها عنى ، وانظر جُثّتى فاستوهبْها من ابن زياد ، فوارِها ، وابعثْ إلى حسين مَنْ يردّه ، فإنى قد كتبتُ إليه أعلمه أن الناس معه ، ولا

٢/٢٦٦

أراه إلا مقبلاً ؛ فقال عمر لابن زياد : أتدرى ما قال لى ؟ إنه ذَكر كذا وكذا ؛ قال له ابن زياد : إنه لا يخونُك الأمينُ ، ولكن قد يُؤتَمن الخائن ، أمَّا مالُكَ فهو لك ، ولسنا نمنعك أن تصنع فيه ما أحببتَ ؛ وأما حسين فإنه إن لم يُردْنا لم نُردْه ، وإن أرادنا لم نكفَّ عنه ، وأما جُثَّته فإنا لن نشفّعك فيها ، إنه ليس بأهل منَّا لذلك ، قد جاهَدَنا وخالفَنا ، وجَهَد على هلاكنا. وزعموا أنه قال : أما جُثَّته فإنّا لا نبالى إذ قتلناه ما صُنِع بها . ثم إنّ ابن زياد قال : إيه يابنَ عَقيل ! أتيتَ الناس وأمرُهم جميع ، وكلمتُهم واحدة ، لتُشتّتهم ، وتُفرّق كلمتَهم ، وتَحمل بعضَهم على بعض ! قال : كلاَّ ، لستُ أتيتُ ، ولكنّ أهل المِصْر زعموا أنّ أباكَ قتلَ خيارَهم ، وسفك دماءَهم ، وعَمل فيهم أعمالَ كسرَى وقيصرَ ، فأتيناهم لنأمُر بالعدل وندعوَ إلى حكم الكتاب ، قال : وما أنت وذاك يا فاسقُ ! أوَلم نكن نعمل بذاك فيهم إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر ! قال : أنا أشرب الخمر ! والله إنّ الله ليعلم أنك غيرُ صادق ، وأنك قلتَ بغير علم ، وأنى لستُ كما ذكرتَ. وإنّ أحقّ بشرب الخمر منى وأوْلى بها مَن يَلَغُ فى دماء المسلمين ولْغًا ، فيقتل النفس التى حرّم الله قتلَها ، ويَقتل النفسَ بغير النفس ، ويَسفك الدَم الحرام ، ويَقتل على الغضَب والعداوة وسوء الظنّ ، وهو يلهو ويلعب كأنْ لم يصنع شيئًا . فقال له ابن زياد : يا فاسق ، إنّ نفسك تمنّيك ما حالَ اللهُ دونه ، ولم يَرَك أهلَه ؛ قال : فمن أهلُه يابن زياد ؟ قال : أمير المؤمنين يزيد ٢٦٧/٢ فقال : الحمد لله على كلّ حال ، رضينا بالله حَكَمًا بيننا وبينكم ؛ قال : كأنك تظنّ أنّ لكم فى الأمر شيئًا ! قال : والله ما هو بالظنّ ، ولكنه اليقين ؛ قال : قتلنى اللهُ إن لم أقتلْك قِتلةً لم يُقتَلها أحدٌ فى الإسلام ! قال : أما إنك أحقّ مَنْ أحدث فى الإسلام ما لم يكن فيه ، أما إنك لا تَدَعُ سوءَ القِتْلة ، وقبح المُثْلة ، وخُبثَ السيرة ، ولؤم الغلبة ، ولا أحَدَ من الناس أحقّ بها منك . وأقبل ابن سُمية يَشتمه ويَشتم حسينًا وعليًّا وعَقيلا ، وأخذ مسلم لا يكلّمه . وزعم أهلُ العلم أنّ عبيد الله أمر له بماء فُسقىَ بخَزفة ، ثم قال له : إنه لم يمنعْنا أن نسقيَك فيها إلا كراهة أن تحرّم بالشرب فيها ،

ثم نقتلك ، ولذلك سقيناك فى هذا ، ثم قال : اصْعَدوا به فوق القصر فاضربوا عنقَه ، ثم أتبِعوا جسدَه رأسَه ، فقال : يابن الأشعث ، أما والله لولا أنك آمنتَنى ما استسلمت ؛ قمْ بسيفك دونى فقد أخفِرَتْ ذمّتُك، ثم قال : يابن زياد ، أما والله لو كانت بينى وبينك قرابة ما قتلتَنى ؛ ثم قال ابن زياد : أين هذا الذى ضرب ابنُ عَقيل رأسَه بالسيف وعاتقَه ؟ فدُعىَ ، فقال : اصْعَدْ فكن أنت الذى تضرب عنقَه، فصُعِد به وهو يكبِّر ويستغفر ويصلّى على ملائكة الله ورسله وهو يقول : اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وكَذَبونا وأذَلّونا . وأشرف به على موضع الجزّارين اليوم ، فضُربت عُنقُه ، وأتبع جسده رأسه .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبى جُحَيْفة قال : نزل الأحمَرىّ بُكَيْر بن حُمران الذى قتل مسلماً ، فقال له ابن زياد : قتلتَه ؟ قال : نعم ، قال : فما كان يقول وأنتم تصعدون به ؟ قال : كان يكبِّر ويسبّح ويستغفر ، فلمّا أدنيتُه لأقتلَه قال : اللهمّ احكم بيننا وبين قوم كذَبونا وغَرُّونا وخَذلونا وقتلونا ؛ فقلت له : ادنُ منّى ، الحمد لله الذى أقادنى منك ، فضربته ضربة لم تغن شيئاً ؛ فقال أما ترى فى خدش تَخدِ شُنيه وفاءً من دمك أيها العبد ! فقال ابن زياد : أوَ فخراً عند الموت ! قال : ثمّ ضربتُه الثانية فقتلتُه .

٢٦٨/٢

قال : وقام محمّد بن الأشعث إلى عبيد الله بن زياد فكلّمه فى هانئ بن عُروة ، وقال : إنك قد عرفتَ منزلةَ هانئ بن عروة فى المصْر ، وبيْتَه فى العشيرة ، وقد علم قومُه أنى وصاحبى سُقناه إليك ، فأنشدك اللهَ لمّا وهبتَه لى ، فإنّى أكره عداوةَ قومه ، هم أعزّ أهل المِصْر ، وعُدَدُ أهل اليَمَن !

قال : فوعده أن يفعل ، فلما كان من أمر مسلم بن عَقيل ما كان ، بدا له فيه ، وأبَى أن يفِىَ له بما قال .

قال : فأمر بهانئ بن عُروة حين قُتِل مسلم بن عَقيل فقال : أخرجوه إلى السوق فاضربوا عنقَه ، قال : فأخرِج بهانئ حتى انتهى إلى مكان من

السوق كان يُباع فيه الغَنَم وهو مكتوف ، فجعل يقول : وامَذْحِجاه ! ولا مَذحِجَ لى اليوم ! وامَذْحِجاه؛ وأين منى مَذْحِج ! فلما رأى أنّ أحداً لا ينصره جذَبَ يدَه فنزعها من الكتاف ، ثم قال : أما من عصًا أو سكّين أو حجر أو عظم يُجاحِش[1] به رجلٌ عن نفسه !

قال : ووثبوا إليه فشدُّوه وَثاقًا ، ثم قيل له : امْدُدْ عنقَك ، فقال : ما أنا بها مُجْدٍ سَخِىّ ، وما أنا بمعينِكم على نفسى .

قال : فضربه مولًى لعُبيد الله بن زياد – تركىّ يقال له رشيد – بالسيف ، فلَم يصنع سيفُه شيئًا ، فقال هانئ : إلى الله المَعاد ! اللهمّ إلى رحمتك ورضوانك ! ثم ضربه أخرى فقَتَلَه . ٢/٢٦٩

قال : فبَصُربه عبدالرحمن بن الحصين المرادىّ بخازرَ ، وهو مع عُبيدالله بن زياد؛ فقال الناس : هذا قاتلُ هانئ بن عُروة ؛ فقال ابن الحصين : قتلنى الله إنْ لم أقتلْه أو أُقتلَ دونَه ! فحمَل عليه بالرُّمح فطعنه فقَتَلَه . ثم إن عُبيد الله بن زياد لما قتل مسلم بن عَقيل وهانئ بن عُروة دعا بعبد الأعلى الكلبىّ الذى كان أخذه كَثير بن شهاب فى بنى فِتْيان، فأُتِىَ به، فقال له : أخبرنى بأمرك ؛ فقال : أصلَحَك الله ! خرجتُ لأنظرَ ما يصنع الناس ، فأخذنى كثير بن شهاب ؛ فقال له : فعليك وعليك، من الأيمان المغلّظة ، إن كان أخرجك إلا ما زعمت ! فأبَى أن يَحلف ، فقال عُبيد الله : انطلِقوا بهذا إلى جبّانة السَّبيع فاضربوا عنقه بها ؛ قال : فانطلِقَ به فضُربت عنقه ؛ قال : وأخرج عمارة بن صلخب الأزدىّ – وكان ممن يريد أن يأتى مسلم بن عَقيل بالنصرة لينصرَه – فأُتِىَ به أيضًا عبيدالله فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من الأزد . قال : انطلقوا به إلى قومه، فضُربتْ عنقُه فيهم، فقال عبد الله بن الزَّبير الأسدىّ فى قِتلةِ مُسلمِ بن عَقيل وهانئ بن عُروة المرادىّ – ويقال : قاله الفرزدق :

إن كنت لاتدرينَ ماالموتُ فانظرى ... إلى هانئ فى السُّوقِ وابن عقيل

---

(١) يجاحش : يدافع .

إلى بطَل قد هشَّم السيفُ وجْهَهُ وآخر يهْوِى من طَمار قَتِيلِ

٢/٢٧٠ أَصابهَما أَمْرُ الأَميرِ فأَصبحا أَحاديثَ من يَسْرِى بكلِّ سبيل

ترىْ جسدًا قد غيَّر الموتُ لوْنَهُ ونَضْحَ دمٍ قد سال كلَّ مسِيلِ

فتًى هو أَحْيا من فَتاةٍ حَيِيَّة وأَقطعُ من ذى شَفرتَين صقيل

أَيرْكَبُ أَسماءُ الهمالِيج آمِناً وقد طلبتْه مَذْحِجُ بِذُحول!

تُطِيفُ حواليْه مُرادٌ وكلهُم على رِقْبة من سائل ومَسُول

فإِنْ أَنتمُ لم تَثأَرُوا بأَخيكُمُ فكونوا بغايَا أُرْضِيَتْ بقليل

قال أبو مخنف : عن أبي جَنَاب يحيى بن أبي حيّة الكلبيّ ، قال : ثم إن عبيد الله بن زياد لما قتل مسلمًا وهانئًا بعث برءوسهما مع هانئ بن أبي حيّة[1] الوادعيّ والزبير بن الأروح التميميّ إلى يزيدَ بن معاوية ، وأمرَ كاتبَه عمرو بن نافع أن يكتب إلى يزيدَ بن معاوية بما كان من مسلم وهانئ ، فكتب إليه كتابًا أطال فيه — وكان أولَ مَن أطال في الكتب — فلما نظر فيه عُبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل وهذه الفضول؟ اكتُب :

أمّا بعد ، فالحمد لله الذى أخذ لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مؤنة عدوّه . أخبر ٢/٢٧١ أمير المؤمنين أكرَمه الله أن مسلم بن عقِيل لجأ إلى دار هانئ بن عروة المُرادىّ ، وأنّى جعلت عليهما العيون ، ودسستُ إليهما الرجال ، وكِدْتُهما حتى استخرجتُهما ، وأمكن الله منهما ، فقدّمتهما فضربتُ أعناقهما ، وقد بعثتُ إليك برءوسهما مع هانئ بن أبي حيّة الهَمْدانىّ والزبير بن الأرْوَح التميمى — وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة — فليسألهما أميرُ المؤمنين عما أحبّ من أمر ، فإن عندهما علمًا وصدقًا ، وفهمًا وورعًا ؛ والسلام .

فكتب إليه يزيد : أما بعد ، فإنك لم تَعْدُ أن كنتَ كما أحبّ ، عملتَ عملَ الحازم ، وصُلتَ صَوْلة الشجاع الرابط الجأش، فقد أغنيتَ وكفيتَ ، وصدّقتَ ظنّى بك ، ورأيى فيك ، وقد دعوتُ رسولَيْك فسألتُهما ، وناجيتُهما

---

(١) ابن الأثير : « هانئ بن جبة » .

فوجدتهما فى رأيهما وفضلهما كما ذكرت ؛ فاستَوص بهما خيراً ، وإنه قد بلغنى أن الحسين بن علىّ قد توجّه نحو العراق ؛ فضَع المَناظر والمَسالح[1] ، واحترس على الظنّ ، وخُذ على التهمة، غير ألا تقتل إلا من قاتلك ، واكتب إلىّ فى كل ما يَحدُث من الخبر ؛ والسلام عليك ورحمة الله .

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن عون بن أبى جُحَيفة ، قال : كان مُخرَج مسلم بن عَقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضَين من ذى الحجّة سنة ستين — ويقال يوم الأربعاء لسبع مضَيْن سنة ستين من يوم عرفة بعد مُخرَج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم — قال : وكان مُخرَج الحسين من المدينة إلى مكة يومَ الأحد لليلتين بقيَتا من رجب سنة ستّين ، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضَين من شعبان ، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوّالاً وذا القعدة ، ثم خرج منها لثمان مضَين من ذى الحجة يوم الثلاثاء يوم التَرْوية فى اليوم الذى خرج فيه مسلم بن عَقيل . ٢٧٢/٢

وذكر هارون بن مسلم ، عن علىّ بن صالح ، عن عيسى بن يزيد ، أن المختار بن أبى عُبيد وعبد الله بن الحارث بن نوفل كانا خرجا مع مسلم ، خرج المختار براية خضراء ، وخرج عبدُالله براية حمراء ، وعليه ثياب حُمْر ، وجاء المختار برايته فركزها على باب عَمرو بن حُريث ، وقال : إنما خرجتُ لأمنع عمراً، وإن ابن الأشعث والقعقاع بن شَوْر وشَبَث بن رِبعىّ قاتلوا مسلماً وأصحابَه عشيّة سار مسلم إلى قصر ابن زياد قتالاً شديداً ، وأن شَبَثاً جعل يقول : انتظروا بهم الليل يتفرقوا ؛ فقال له القعقاع : إنك قد سددتَ على الناس وجهَ مصيرِهم ، فافرُج لهم يَنسرِبوا ؛ وإن عُبيد الله أمر أن يطلب المختار وعبد الله بن الحارث ، وجعل فيهما جُعْلا ، فأُتىَ بهما فحُبِسا .

* * *

(١) المناظر : جمع منظرة ؛ وهو الموضع يرقب فيه العدو . والمسالح : جمع مسلحة ؛ وهى موضع يكون فيه أقوام يحملون السلاح ، و يرقبون العدو ؛ لئلا يطرقهم على غفلة .

[ذكر مسير الحسين إلى الكوفة]

وفى هذه السنة كان خروج الحسين عليه السلام من مكّة متوجّهًا إلى الكوفة .

* ذكر الخبر عن مسيره إليها وما كان من أمره فى مسيره ذلك :

قال هشام عن أبى مخنف : حدثنى الصقعب بن زهير ، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومىّ، قال : لما قدمتْ كتُب أهل العراق إلى الحسين وتهيّأ للمسير إلى العراق ، أتيتُه فدخلتُ عليه وهو بمكة ، فحمدت الله وأثنيتُ عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإنى أتيتك يابن عم لحاجة أريد ذكرَها لك نصيحة ، فإن كنتَ ترى أنك تستنصحنى وإلا كففتُ عما أريد أن أقول ؛ فقال : قل ، (١)فوالله ما أظنك بسيّئ الرأى ، ولا هوٍ للقبيح من الأمر والفعل(١) ؛ قال : قلت له : إنه قد بلغنى أنك تريد المسير إلى العراق ، ٢/٢٧٣ وإنى مشفقٌ عليك من مسيرك ؛ إنك تأتى بلداً فيه عماله وأمراؤه ، ومعهم بيوتُ الأموال ، وإنما الناسُ عَبيدٌ لهذا الدرهم والدينار ، ولا آمَنُ عليك أن يقاتلك مَن وعدك نصرَه ، ومَن أنت أحبّ إليه ممن يقاتلك معه ؛ فقال الحسين : جزاك الله خيراً يابن عمّ ؛ فقد والله علمتُ أنك مشيتَ بنُصح ، وتكلّمت بعقل ، ومهما يُقضَ من أمر يكن، أخذتُ برأيك أو تركتُه ، فأنت عندى أحمدُ مُشيرٍ ، وأنصَح ناصح .

قال : فانصرفتُ من عنده فدخلت على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ، فسألنى : هل لقيتَ حسيناً ؟ فقلت له : نعم ؛ قال : فما قال لك ، وما قلت له ؟ قال : فقلت له : قلت كذا وكذا ، وقال كذا وكذا ؛ فقال : نصحتَه وربِّ المَرْوَة الشّهباء، أما وربِّ البنيّة إنّ الرأى لَمَا رأيتَه، قَبِلَه أو تركه ، ثم قال :

رُبَّ مستنصَحٍ يَغُشُّ ويُرْدِى وظَنِينٍ بالغَيْبِ يُلْفَى نَصِيحَا

(١ — ١) ابن الأثير : « فوالله ما أستغشك ، وما أظنك بشىء من الهوى » .

قال أبو مخنف: وحدثني الحارث بن كعب الوالبيّ، عن عقبة[1] بن سِمْعان، أن حسينًا لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبد الله بن عباس فقال: يابن عمّ، إنك قد أرجف الناسُ أنك سائر إلى العراق، فبيِّن لي ما أنت صانع؟ قال: إني قد أجمعتُ المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى؛ فقال له ابن عبّاس: فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبِرْني رحمك الله! أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرَهم، وضبطوا بلادهم، ونَفَوْا عدوَّهم؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك فسِرْ إليهم، وإن كانوا إنما دَعَوْك إليهم وأميرُهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تَجبي بلادَهم، فإنهم إنما دعَوك إلى الحرب والقتال، ولا آمَن عليك أن يغرّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستنفروا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك؛ فقال له حسين: وإني أستخير الله وأنظر ما يكون. ٢/٢٧٤

قال: فخرج ابن عباس من عنده، وأتاه ابن الزبير فحدّثه ساعةً، ثم قال: ما أدري ما تركُنا هؤلاء القوم وكفُّنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين، ووُلاة هذا الأمر دونهم! خبِّرْني ما تريد أن تصنع؟ فقال الحسين: والله لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرافُ أهلها، وأستخير الله؛ فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثلُ شيعتك ما عدلتُ بها؛ قال: ثم إنه خَشيَ أن يتّهمه فقال: أما إنك لو أقمتَ بالحجاز ثم أردتَ هذا الأمر هاهنا ما خُولفَ عليك إن شاء الله؛ ثم قام فخرج من عنده، فقال الحسين: ها إنّ هذا ليس شيء يُؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء، وأن الناس لم يَعدِلوه بي، فودّ أني خرجت منها لتخلو له.

قال: فلما كان من العشيّ أو من الغد، أتى الحسينُ عبدَالله بن العباس فقال: يابن عمّ إني أتصبّر ولا أصبر، إني أتخوّف عليك في هذا الوجه الهلاكَ والاستئصال؛ إن أهلَ العراق قوم غُدُر، فلا تقربنّهم، أقم بهذا البلد فإنك سيّد أهل الحجاز؛ فإنْ كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم فلينفوا عدوهم، ثم أقدم عليهم، فإن أبيْتَ إلا أنه تَخرج فسر إلى اليَمَن ٢/٢٧٥

(١) ط: «عتبة»، والصواب ما أثبته، وانظر الفهرس.

فإن بها حصونًا وشعابًا ، وهى أرضٌ عريضة طويلة ، ولأبيك بها شيعة ، وأنت عن الناس فى عزْلة ، فتكتب إلى الناس وترسل ، وتبثّ دعاتك ، فإنى أرجو أن يأتيَك عند ذلك الذى تحبّ فى عافية؛ فقال له الحسين : يابن عمّ ، إنى والله لأعلم أنك ناصحٌ مشفق ، ولكنّى قد أزمعتُ وأجمعتُ على المسير ؛ فقال له ابن عباس : فإن كنتَ سائراً فلا تسرْ بنسائك وصبْيَتك ، فوالله إنى لخائف أن تُقتَل كما قُتِل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : لقد أقررتَ عينَ ابنِ الزبير بتخليتك إياه والحجازَ والخروج منها ، وهو اليوم لا ينظر إليه أحدٌ معك، والله الذى لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذتُ بشعرك وناصيتك حتى يجتمعَ علىّ وعليك الناسُ أطعتنى لفعلتُ ذلك . قال : ثم خرج ابن عباس من عنده ، فمرّ بعبد الله بن الزبير ، فقال : قرّت عينُك يابن الزبير ! ثم قال :

يالكِ من قُبَّرة بمَعْمَرِ خَلا لَكِ الجوُّ فبيضِى واصْفِرِى[1]

* ونَقِّرى ما شِئتِ أَنْ تُنَقِّرى *

هذا حسينٌ يخرج إلى العراق ، وعليك بالحجاز .

قال أبو مخنف : قال أبو جناب يحيى بن أبى حيّة ، عن عدىّ بن حرملة الأسدىّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذرىّ بن المشمعلّ الأسَديّين قالا : خرجنا حاجّيْن من الكوفة حتى قدمنا مكة ، فدخلنا يوم التروية ، فإذا نحن بالحسين وعبدِ الله بن الزبير قائمين عند ارتفاع الضحى فيما بين الحُجْر والباب ، ٢٧٦/٢ قالا : فتقرّبنا منهما ، فسمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسين : إن شئتَ أن تقيم أقمت فولّيتَ هذا الأمر ، فآزرناك وساعدناك ، ونصحْنا لك وبايعناك ؛ فقال له الحسين : إنّ أبى حدثنى أن بها كبشًا يستحلّ حرمتها ، فما أحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش ؛ فقال له ابن الزبير : فأقم إن شئتَ وتولّينى أنا الأمر فتطاع ولا تُعصَى ؛ فقال : وما أريد هذا أيضًا ؛ قالا : ثم إنّهما أخفيَا

---

(١) ينسب الرجز إلى طرفة ؛ ملحق ديوانه ١٩٣

كلامهما دوننا ، فما زالا يتناجيان حتى سمعنا دعاء الناس رائحين متوجِّهين إلى منًى عند الظهر ؛ قالا : فطاف الحسين بالبيت وبين الصَّفا والمروَة ، وقصّ من شعره ، وحلّ من عُمرته ، ثم توجّه نحو الكوفة، وتوجّهنا نحوَ الناس إلى منًى .

قال أبو مخنف : عن أبي سعيد عَقيصَى ، عن بعض أصحابه ، قال : سمعتُ الحسينَ بنَ عليّ وهو بمكة وهو واقف مع عبد الله بن الزُّبير ، فقال له ابن الزبير إليّ يابن فاطمة ، فأصغَى اليه ، فسارّه ، قال : ثم التفت إلينا الحسين فقال : أتدرون ما يقول ابنُ الزبير ؟ فقلنا : لا ندرى، جعلَنا الله فداك ! فقال : قال : أقِمْ فى هذا المسجد أجمع لك الناس ؛ ثم قال الحسين : والله لأن أقتَلَ خارجًا منها بشبِرْ أحبّ إليّ من أن أقتَل داخلاً منها بشبِر ، وايمُ الله لو كنت فى جُحْر هامّة من هذه الهوامّ لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم ، ووالله ليَعتدُن عليّ كما اعتدت اليهود فى السَّبت .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ، عن عُقبة بن سِمعان قال : لما خرج الحسين من مكة اعترضه رُسلُ عَمرو بن سعيد بن العاص ، عليهم يحيى بن سعيد ، فقالوا له : انصرِف؛ أين تذهب ! فأبى عليهم ومضى ، وتَدافَع الفريقان ، فاضطربوا بالسِّياط . ثم إن الحسين وأصحابه امتنعوا امتناعًا قويًّا ، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه ، فنادَوه : يا حسين ، ألا تتقى الله ! تَخرُج من الجماعة ، وتفرِّق بين هذه الأمة ! فتأوّل حسينٌ قولَ الله عز وجل : ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] . ٢٧٧/٢

قال : ثم إن الحسين أقبل حتى مرّ بالتَّنعيم، فلقِىَ بها عيرًا قد أقبِل بها من اليَمَن ، بعَث بها بَحير بن رَيْسان الحميرىّ إلى يزيدَ بن معاوية ، — وكان عامله على اليمن — وعلى العِير الوَرْسُ والحُلَل يُنطَلَق بها إلى يزيد

(١) سورة يونس: ٤١ .

فأخذَها الحسين ، فانطلق بها ؛ ثمّ قال لأصحاب الإبل : لا أكرِهكم ، مَن أحبَّ أن يمضىَ معنا إلى العراق أوْفينا كِراءه وأحسنا صحبته ، ومَن أحبّ أن يفارقَنا من مكاننا هذا أعطيناه من الكِراء على قدر ما قطع من الأرض؛ قال : فمن فارقه منهم حوسب فأوفى حقّه ، ومَن مضى منهم معه أعطاه كِراءَه وكَساه .

قال أبو مخنف ، عن أبى جَنَاب ، عن عدىّ بن حَرْملة ، عن عبد الله ابن سليم والمذرى قالا : أقبلنا حتى انتهينا إلى الصِّفاح ، فلقينا الفرزدق بن غالب الشاعر ، فواقف حسيناً فقال له : أعطاك الله سُؤلَك وأملك فيما تحبّ ؛ فقال له الحسين : بَيِّنْ لنا نبأ الناس خلفك ، فقال له الفرزدق : مِن الخبير سألتَ ، قلوبُ الناس معك ، وسيوفُهم مع بنى أميّة ، والقضاء ينزل من السماء ، والله يفعل ما يشاء ؛ فقال له الحسين : صدقتَ ، لله الأمر ، والله يفعل ما يشاء ، وكلّ يوم ربُّنا فى شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمَد الله على نَعمائه ، وهو المستعان على أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرّجاء ، فلم يَعتدِ مَن كان الحقُّ نيّته ، والتقوى سريرته ؛ ثم حرّك الحسينُ راحلتَه فقال : السلام عليك ؛ ثم افترقا . ٢٧٨

قال هشام ، عن عَوانة بن الحكم ، عن لَبَطة بن الفرزدق بن غالب ، عن أبيه ، قال : حججتُ بأمّى ، فأنا أسوق بعيرَها حين دخلت الحَرم فى أيام الحجّ ، وذلك فى سنة ستين ، إذ لقيت الحسينَ بن علىّ خارجاً من مكة معه أسيافه وتِراسُه ، فقلت : لمن هذا القطار ؟ فقيل : للحُسين بن علىّ ، فأتيته فقلت : بأبى وأمى يا بن رسول الله ! ما أعجَلك عن الحجّ ؟ فقال : لو لم أعجل لأخِذتُ ؛ قال : ثم سألنى : ممّن أنت ؟ فقلت له : امْرؤٌ من العراق ؛ قال : فوالله ما فتّشنى عن أكثرَ من ذلك ، واكتفى بها منّى ، فقال : أخبِرنى عن الناس خلفك ؟ قال : فقلت له : القلوب معك ، والسيوف مع بنى أميّة ، والقضاء بيَد الله ؛ قال : فقال لى : صدقتَ ؛ قال : فسألته عن أشياءَ ، فأخبرنى بها من نذور ومناسِك ؛ قال : وإذا هو ثقيل اللسان من

بِرسام[1] أصابَه بالعراق ؛ قال : ثم مضيتُ فإذا بفُسطاط مضروب فى الحرم، وهيئته حسَنَة ، فأتيته فإذا هو لعبد الله بن عَمرو بن العاص ، فسألنى ، فأخبرتُه بلقاء الحسين بن علىّ ، فقال لى : ويلك ! فهلاّ اتّبعتَه ، فوالله ليملكنّ ، ولا يجوز السلاح فيه ولا فى أصحابه ، قال : فهممت والله أن ألحق به ، ووقع فى قلبى مقالته ، ثمّ ذكرت الأنبياءَ وقَتْلَهم ، فصدّنى ذلك عن اللّحاق بهم ، فقدمتُ على أهلى بعُسْفانَ ، قال : فوالله إنى لعندهم إذ أقبلتْ عِيرٌ قد امتارت من الكوفة ، فلما سمعتُ بهم خرجتُ فى آثارهم حتى إذا أسمعتُهم الصوت وعجِلْتُ عن إتيانهم صرختُ بهم : ألا ما فعل الحسينُ ابنُ علىّ ؟ قال : فردّوا علىّ : ألا قد قُتل ؛ قال : فانصرفتُ وأنا ألعنُ عبدَالله بنَ عَمرو بن العاص ؛ قال : وكان أهلُ ذلك الزمان يقولون ذلك الأمر ، وينتظرونه فى كلّ يوم وليلة . قال : وكان عبدُالله بنُ عمرو يقول : لا تبلغ الشجرة ولا النخلة ولا الصّغير حتى يظهر هذا الأمر ؛ قال : فقلت له : فما يمنعك أن تبيع الوَهْط ؟ قال : فقال لى : لعنَةُ الله على فلان — يعنى معاوية — وعليك ؛ قال : فقلت : لا ، بل عليك لعنة الله ؛ قال : فزادنى من اللعن ولم يكن عنده من حشمِه أحدٌ فألقى منهم شرًّا ؛ قال : فخرجتُ وهو لا يعرفنى — والوَهْط حائطٌ لعبد الله بن عَمرو بالطائف ؛ قال : وكان معاوية قد ساوَمَ به عبدَالله بنَ عَمرو ، وأعطاه به مالاً كثيراً ، فأبى أن يبيعه بشىء — قال : وأقبل الحسين مُغِذًّا لا يَلوِى على شىء حتى نزل ذاتَ عِرْق.

٢٧٩/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن كعب الوالبىّ ، عن علىّ بن الحسين ابن علىّ بن أبى طالب قال : لما خرجنا من مكة كتب عبدُالله بن جعفر بن أبى طالب إلى الحسين بن علىّ مع ابنيه : عَون ومحمد : أما بعد ، فإنّى أسألك بالله لَمَّا انصرفت حين تنظر فى كتابى ، فإنّى مُشفِقٌ عليك من الوجه الذى توّجه له أن يكون فيه هلاكُك واستئصالُ أهلِ بيتك ، إن هلكتَ اليومَ طَفِئ نورُ الأرض ، فإنك عَلَمُ المهتدين ؛ ورجاء المؤمنين ؛ فلا تعجَل بالسير

---

(١) البرسام : علة يهذى فيها .

لبسها وخرج بسيفه ، فقاتل حتى قُتِل صلوات الله عليه ؛ قتله رجلٌ من مَذْحِج وحَزّ رأسه ، وانطلق به إلى عبيد الله وقال :

أَوْقِرْ رِكابى فِضَّةً وذَهبَا فقد قَتَلْتُ المَلِكَ المُحجَّبا
قَتَلْتُ خَيْرَ الناسِ أُمًّا وأَبَا وخَيْرَهُمْ إذ يُنْسبُونَ نَسبا

وأوفده إلى يزيدَ بن معاوية ومعه الرأس ، فوضع رأسَه بين يديه وعنده أبو برْزَة الأسلمىّ ، فجعل يَنكُتُ بالقَضيب على فيه ويقول :

يُفَلِّقْنَ هاماً مِن رجالٍ أَعِزَّةٍ علَينا وَهُمْ كانوا أَعقَّ وأَظْلَمَا[1]

٢٨٣/٢ فقال له أبو برْزة : ارفع قضيبَك ، فوالله لربما رأيتُ فا رَسولِ الله صلّى الله عليه وسلم على فيه يَلْثِمه ! وسرّح عمر بن سعد بحرَمه وعياله إلى عبيد الله ، ولم يكن بقىَ من أهل بيت الحسين بن على عليه السلام إلا غلام كان مريضًا مع النساء ، فأمر به عُبيد الله ليُقتل ، فطرحتْ زَينب نفسَها عليه وقالت : والله لا يُقتَل حتى تقتلونى ! فرقّ لها ، فتركه وكفّ عنه .

قال : فجهّزهم وحملهم إلى يزيدَ ، فلما قدموا عليه جمع مَن كان بحضرته من أهل الشأم ، ثم أدخلوهم ، فهنّئوه بالفتح ، قال رجل منهم أزرق أحمر ونظر إلى وصيفةٍ من بناتهم فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هذه ، فقالت زَينب : لا والله ولا كرامةَ لك ولا له إلا أن يَخرُجَ من دين الله ، قال : فأعادها الأزرق ، فقال له يزيد : كُفَّ عن هذا ؛ ثم أدخلهم على عياله ، فجهّزهم وحَمَلهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجتْ امرأةٌ من بنى عبد المطلب ناشرةً شعرَها ، واضعةً كمَّها على رأسها تَلقاهم وهى تبكى وتقول :

ماذا تقولون إن قال النَّبِىُّ لكمْ ماذا فَعلْتمْ وأَنتُمْ آخِرُ الأُمَمِ !
بعتْرتى وبأَهْلِى بعْدَ مُفْتَقَدِى منهم أُسارَى وقَتلَى ضُرِّجوا بِدَمِ
ماكان هذا جزائى إذنَصحْتُ لكم أَن تُخْلفُونى بسوءٍ فى ذوى رحِمِى !

---

(١) للحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٣ – بشرح التبريزى .

حدّثني الحسين بن نصر قال : حدّثنا أبو ربيعة، قال: حدّثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن قال : بلَغنا أنّ الحسين عليه السلام . . . ٢٨٤/٢
وحدّثنا محمد بن عمار الرازىّ ، قال : حدّثنا سعيد بن سليمان، قال : حدّثنا عباد بن العوّام قال : حدّثنا حصين ، أنّ الحسين بن علىّ عليه السلام كتب إليه أهلُ الكوفة : إنه معك مائة ألف ، فبعث إليهم مسلم بن عقيل ، فقدم الكوفة ، فنزل دارَ هانئ بن عُروة ، فاجتمع إليه الناس ، فأخبر ابن زياد بذلك . زاد الحسين بن نَصْر فى حديثه: فأرسل إلى هانئ فأتاه ، فقال : ألم أوَقرْك ! ألم أكرمْك ! ألم أفْعَلْ بك ! قال : بلى ، قال: فما جزاءُ ذلك ؟ قال : جزاؤه أن أمنعك ؛ قال : تمنعنى ! قال : فأخذ قضيبًا مكانه فضربه به ، وأمَرَ فكُتِف ثم ضرب عنقه ، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل ، فخرج ومعه ناس كثير ، فبلغ ابنَ زياد ذلك ، فأمر بباب القصر فأغلق ، وأمر مناديًا فنادى: يا خيلَ اللهِ اركبى ، فلاأحديجيبه ، فظنّ أنه فى ملإ من الناس .

قال حصين : فحدّثنى هلال بن يَساف قال : لقيتُهم تلك الليلة فى الطريق عند مسجد الأنصار ، فلم يكونوا يمرّون فى طريق يمينًا ولا شِمالاً إلا وذهبت منهم طائفة ؛ الثلاثون والأربعون ، ونحو ذلك . قال : فلمّا بلغ السوق ، وهى ليلة مظلمة ، ودخلوا المسجد ، قيل لابن زياد : والله ما نرى كثيرَ أحَد ، ولا نسمع أصواتَ كثير أحد ، فأمر بسقف المسجد فقُلع ، ثم أمر بحرادىّ [1] فيها النيران ، فجعلوا ينظرون ، فإذا قريب خمسين رجلا . قال : فنزل فصعد المِنبر وقال للناس : تميّزوا أرباعًا أرباعًا ؛ فانطلق كلّ قوم إلى رأس رُبْعهم ، فنهض إليهم قومٌ يقاتلونهم ، فجُرح مسلم جِراحةً ثقيلة ، وقتل ناس من أصحابه ، وانهزموا ؛ فخرج مسلم فدخل داراً من دُور كِندة ، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد ، فسارّه ، فقال له : إنّ مسلمًا فى دار فلان ، فقال ابن زياد : ما قال لك ؟ قال : إنّ مسلما فى دار فلان ، قال ابن زياد لرجلين : انطلقا فأتيانى به ، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدتْ له النار ، فهو يغسل عنه الدّماء ، فقالا ٢٨٥/٢

---

(١) فى اللسان عن ابن الأعرابى : «يقال لخشب السقف الروافد ، ولما يلقى عليها من أطنان القصب حرادى» .

له : انطلقْ ، الأميرُ يدعوك ، فقال : اعقدا لى عقداً؛ فقالا : ما نملك ذاك ؛ فانطلق معهما حتى أتاه فأمر به فكُتِف ثمّ قال : هِيهْ هِيهْ يابن خليّة — قال الحسين فى حديثه : يابن كذا — جئتَ لتنزعَ سلطانى ! ثم أمر به فضربتْ عنقُه . قال حصين : فحدّثنى هلال بن يساف أنّ ابن زياد أمر بأخذ ما بين واقصةَ إلى طريق الشأم إلى طريق البصرة ، فلا يَدَعون أحداً يلِج ولا أحداً يخرج ، فأقبل الحسين ولا يشعر بشيء حتى لقىَ الأعراب ، فسألهم ، فقالوا : لا والله ما ندرى ، غير أنا لا نستطيع أن نلِج ولا نخرج ؛ قال : فانطلق يسير نحوَ طريق الشأم نحو يزيد ، فلقيتْه الخيول بكَرْبَلاء ، فنزل يناشدهم الله والإسلام ؛ قال : وكان بعث إليه عمر بن سعد وشَمر بن ذى الجَوْشن وحُصين ابن نمير ، فناشَدهم الحسين اللهَ والإسلامَ أن يسيّروه إلى أمير المؤمنين ، فيضع يده فى يده ، فقالوا : لا ، إلا على حكم ابن زياد ؛ وكان فيمن بعث إليه الحُرّ بن يزيد الحَنْظَلىّ ثم النَّهْشَلىّ على خيل ، فلما سمع ما يقول الحسين قال لهم : ألا تقبلون من هؤلاء ما يَعرِضون عليكم! والله لو سألكم هذا التُّرك والدَّيْلم ما حلّ لكم أن تردّوه ! فأبَوْا إلا على حكم ابن زياد ، فصرف الحرُّ وجهَ فرسه ، وانطلق إلى الحسين وأصحابه ، فظنوا أنه إنما جاء ليقاتلَهم ، فلما دنا منهم قلب تُرسَه وسلّم عليهم ، ثم كرّ على أصحاب ابن زياد فقاتلهم ، فقتل منهم رجلين ، ثم قتِل رحمة الله عليه .

٢/٢٨٦

وذكر أن زُهير بن القيْن البَجلىّ لقى الحسينَ وكان حاجًّا ، فأقبل معه ، وخرج إليه ابن أبى بحريّة المرادىّ ورجلان آخران وعمرو بن الحجّاج ومَعن السُّلمىّ؛ قال الحصين : وقد رأيتهما .

قال الحصين : وحدّثنى سعد بن عبيدة ، قال : إنّ أشياخًا من أهل الكوفة لَوُقوف على التلّ يبكون ويقولون : اللهم أنزِل نصرك ، قال : قلت : يا أعداء الله ، ألا تنزلون فتنصرونه ! قال : فأقبل الحسين يكلّم من بعث إليه ابن زياد ، قال : وإنى لأنظر إليه وعليه جبّة من بُرُود ، فلما كلّمهم انصرف ، فرماه رجلٌ من بنى تميم يقال له : عمر الطُّهَوىّ بسهم ، فإنى لأنظر إلى السهم بين كتفيه متعلّقًا فى جبّته ، فلما أبوْا عليه رجع إلى مصافّه ، وإنى لأنظر إليهم ،

(١) ط : « نمر » ، وانظر الفهرس .

وإنهم لقريب من مائة رجل، فيهم [١] لصُلب عليّ بن أبي طالب عليه السلام خمسة ، ومن بني هاشم ستة عشر ، ورجل من بني سُلَيم حليفٌ لهم ، ورجلٌ من بني كنانة حليفٌ لهم ، وابن عمر بن زياد .

قال : وحدّثني سعد بن عبيدة، قال : إنا لمستنقعون في الماء مع عمر بن سعد ، إذ أتاه رجل فسارّه وقال له : قد بعث إليك ابن زياد جُوَيْرِيَةَ بن بدر التميميّ ، وأمَرَه إن لم تقاتل القومَ أن يضربَ عُنقَك ؛ قال : فوثب إلى فرسه فركبه ، ثم دعا سلاحه فلبسه ، وإنه على فرسه ، فنهض بالناس إليهم فقاتلوهم ، فجيء برأس الحسين إلى ابن زياد ، فوُضع بين يديه ، فجعل يَنكُت [٢] بقضيبه ، ويقول : إنّ أبا عبد الله قد كان شمِط ؛ قال : وجيء بنسائه وبناته وأهله ، وكان أحسن شيء صنعَه أن أمر لهنّ بمنزل في مكان معتزل ، وأجرَى عليهنّ رزقًا ، وأمر لهنّ بنفقة وكسوة . قال : فانطلق غلامان منهم لعبد الله بن جعفر — أو ابن ابن جعفر — فأتيا رجلاً من طيِّئ فلجآ إليه ، فضرب أعناقهما ، وجاء برءوسهما حتى وضعهما بين يدى ابن زياد ؛ قال : فهمّ بضرب عنقه ، وأمر بداره فهدمت .

٢٨٧/٢

قال : وحدّثني مولًى لمعاوية بن أبي سُفْيان قال : لما أُتِيَ يزيد برأس الحسين فوضع بين يديه ، قال : رأيته يبكي ، وقال : لو كان بينه وبينه رحِم ما فعل هذا .

قال حصين : فلما قُتِل الحسين لبثوا شهرين أو ثلاثةً ، كأنما تلطّخ الحوائط بالدماء ساعة تَطلُع الشمس حتى ترتفع .

قال : وحدّثني العلاء بن أبي عاثة قال : حدّثني رأس الجالوت ، عن أبيه قال : ما مررت بكربَلاء إلا وأنا أركُض دابتي حتى أخلّف المكان ؛ قال : قلت : لِمَ ؟ قال : كنا نتحدّث أنّ وَلَدَ نبيّ مقتول في ذلك المكان ؛ قال : وكنت أخاف أن أكون أنا ، فلمّا قُتِل الحسين قلنا : هذا الذى كنا نتحدّث . قال : وكنت بعد ذلك إذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثني عليّ بن محمّد ،

---

(١) ط : « فهم » . (٢) كذا في البلاذرى ، وفي ط : « يقول » .

عن جعفر بن سليمان الضُّبَعىّ قال : قال الحسين : والله لا يدَعونى حتى يستخرجوا هذه العَلَقة من جوْفى ، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فَرَم الأمَة[1] ؛ فقَدِم للعراق فقُتِل بنينوَى يومَ عاشوراء سنة إحدى وستين .

٢٨٨/٢ قال الحارث : قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : قُتل الحسينُ بنُ على عليه السلام فى صفر سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن خمس وخمسين .

حدّثنى بذلك أفلح بن سعيد ، عن ابن كعب القُرَظىّ ، قال الحارث : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، عن أبى معشر ، قال : قُتِل الحسين لعشر خلوْن من المحرّم . قال الواقدىّ : هذا أثبت .

قال الحارث : قال ابن سعد : أخبرَنا محمد بن عمر ، قال : أخبرَنا عطاء ابن مسلم ، عمّن أخبره ، عن عاصم بن أبى النّجود ، عن زِرّ بن حُبَيْش ، قال : أول رأس رُفع على خشبة ، رأس الحسين رضى الله عنه وصلّى الله على رُوحه .

قال أبو مخنف : عن هشام بن الوليد ، عمّن شهد ذلك ، قال : أقبل الحسين ابن علىّ بأهله من مكة ومحمد بن الحنفيّة بالمدينة ؛ قال : فبلغه خبرُه وهو يتوضّأ فى طَسْت ؛ قال : فبكى حتى سمعتُ وكْفَ دموعه فى الطّست .

قال أبو مخنف : حدّثنى يونس بن أبى إسحاق السَّبِيعىّ ، قال : ولما بلغ عبيدَ الله إقبال الحسين من مكة إلى الكوفة ، بعث الحصين بن تميم صاحب شُرَطه حتى نزل القادسيّة ونظم الخيلَ ما بين القادسيّة إلى خَفّان ، وما بين القادسيّة إلى القُطْقُطانة وإلى لَعْلَع ، وقال الناس : هذا الحسين يريدُ العراق .

قال أبو مخنف : وحدّثنى محمد بن قيس أنّ الحسين أقبل حتى إذا بلغ الحاجر من بطن الرُّمّة بعث قيسَ بن مُسهِر الصّيداوىّ إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :

---

(١) الفرم : خرقة الحيض .

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلامٌ عليكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ كتابَ مسلم بن عقيل جاءنى يخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم على نصرنا ، والطلبِ بحقّنا ، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصُّنع ، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصتُ إليكم من مكّة يومَ الثلاثاء لثمان مضين من ذى الحجة يوم التّرْوِيَة ، فإذا قدم عليكم رسولى فاكمشوا أمرَكم وجِدّوا ، فإنى قادم عليكم فى أيّامى هذه إن شاء الله ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ٢/٢٨٩

وكان مسلم ابن عقيل قد كان كتب إلى الحسين قبل أن يُقتل لسبع وعشرين ليلة : أما بعد ، فإنّ الرائد لا يَكذِب أهلَه ، إنّ جَمْعَ أهل الكوفة معك ، فأقبل حين تقرأ كتابى ؛ والسلامَ عليك.

قال : فأقبل الحسين بالصّبيان والنساء معه لا يلوِى على شىء ، وأقبل قيس بن مُسهِر الصّيداوىّ إلى الكوفة بكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسيّة أخذه الحصين بن تميم فبعث به إلى عبيد الله بن زياد ، فقال له عبيد الله : اصعَد إلى القصر فَسُبَّ الكذّاب ابن الكذّاب ؛ فصعِد ثم قال : أيها الناس ، إنّ هذا الحسين بن علىّ خير خلق الله ؛ ابن فاطمة بنتِ رسول الله ، وأنا رسولُه إليكم ، وقد فارقتُه بالحاجر ، فأجيبوه ؛ ثمّ لعن عُبيد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلىّ بن أبى طالب . قال : فأمر به عُبيد الله ابن زياد أن يُرمَى به من فوق القصر ، فرُمى به ، فتقطّع فمات . ثم أقبل الحسين سيراً إلى الكوفة ، فانتهى إلى ماء من مياه العرب ، فإذا عليه عبدُ الله بن مطيع العدَوىّ ، وهو نازل ها هنا ، فلما رأى الحسينَ قام إليه ، فقال : بأبى أنت وأمّى يا بن رسولِ الله ! ما أقْدَمَك ! واحتمله فأنزله ، فقال له الحسين : كان من موت معاوية ما قد بلغك ؛ فكتب إلىّ أهلُ العراق يدعوننى إلى أنفسهم ، فقال له عبد الله بن مُطيع : أذكّرك الله يابن رسول الله وحرمةَ الإسلام أن تُنتهَك ! أنشدكَ اللهَ فى حُرمة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ! أنشدك الله فى حُرمة العرب ! فوالله لئن طلبت ما فى أيدى بنى أميّة ليقتُلنّك ، ولئن قتلوك لا يهابون بعدك أحداً أبداً . والله إنها لَحرْمة الإسلام تُنتهَك ، وحُرْمةُ قريش ٢/٢٩٠

وحُرْمة العرب ، فلا تَفعل ، ولا تأتِ الكوفة ، ولا تَعَرَّضْ لبنى أميّة ؛ قال : فأبَى إلا أن يمضى ؛ قال : فأقبل الحسين حتّى كان بالماء فوق زَرُود .

قال أبو مخنف : فحدّثنى السدّىّ ، عن رجل من بنى فَزارة قال : لما كان زمن الحجّاج بن يوسف كنا فى دار الحارث بن أبى ربيعة التى فى التّمّارين ، التى أقطعت بعدُ زهيرَ بن القَيْن ، من بنى عمرو بن يَشكرَ من بَجيلة ، وكان أهل الشأم لا يدخلونها ، فكنا مُختَبِئين فيها ، قال : فقلت للفَزارىّ : حدّثْنى عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علىّ ؛ قال : كنا مع زهير بن القيْن البَجَلىّ حين أقبلنا من مكة نساير الحسينَ ، فلم يكن شىء أبغضَ إلينا من أن نسايرَه فى منزل ، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القَيْن ، وإذا نزل الحسينُ تقدّم زهير ، حتى نزلنا يومئذ فى منزل لم نجد بُدًّا من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين فى جانب ، ونزلنا فى جانب ، فبينا نحن جلوس نتغدّى من طعام لنا ، إذ أقبل رسولُ الحسين حتى سلّم ، ثم دخل فقال : يا زهير بن القَيْن ، إنّ أبا عبد الله الحسين بن علىّ بعثنى إليك لتأتيَه ؛ قال : فطرح كلّ إنسان ما فى يده حتى كأننا على رءوسنا الطير . ٢٩١/٢

قال أبو مخنف : فحدّثتْنى دَلهم بنت عَمرو امرأة زهير بن القَيْن ، قالت : فقلت له : أيَبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه ! سبحان الله ! لو أتيتَه فسمعتَ من كلامه ! ثم انصرفت ؛ قالت : فأتاه زهير بن القَيْن ، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهُه ؛ قالت : فأمر بفُسطاطه وثَقَله ومتاعه فقُدّم ، وحُمل إلى الحسين ، ثم قال لامرأته : أنتِ طالقٌ ، الحَقى بأهلك ، فإنى لا أحبّ أن يصيبك من سببى إلا خير ، ثمّ قال لأصحابه : مَنْ أحبّ منكم أن يتبعنى وإلا فإنه آخر العهد ، إنى سأحدّثكم حديثاً ، غزَوْنا بلَنْجَر ، ففتح الله علينا ، وأصبْنا غنائم ، فقال لنا سَلْمان الباهلىّ : أفرحتم بما فتح الله عليكم ، وأصبتم من الغنائم ! فقلنا : نعم ، فقال لنا : إذا أدركتم شبابَ آل محمد فكونوا أشدّ فرحًا بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم ، فأمّا

أنا فإنّى أستودعكم الله؛ قال : ثمّ والله ما زال فى أوّل القوم حتّى قُتل .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جَنَاب الكلبيّ ، عن عدىّ بن حرملة الأسَدىّ ، عن عبد الله بن سُليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين قالا : لما قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلا اللّحاق بالحسين فى الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه ، فأقبلنا تُرْقِل بنا ناقتانا مسرعين حتّى لحقناه بزَرُودَ ، فلما دنوْنا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين ؛ قالا : فوقف الحسين كأنه يريده ، ثم تركه ، ومضى ومضينا نحوَه ، فقال أحدنا لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا فلنسألْه ، فإن كان عنده خبر الكوفة علمناه ، فمضينا حتّى انتهينا إليه، فقلنا : السلام عليك ، قال : وعليكم السلام ورحمة الله ، ثم قلنا : فمَن الرجل ؟ قال: أسدىّ : فقلنا : فنحن أسدّيان فمَن أنت ؟ قال : أنا بكير بن المثعبة ، فانتسبنا له ، ثم قلنا : أخبرنا عن الناس وراءك ؛ قال : نعم ، لم أخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم بن عَقيل وهانئ بن عروة، فرأيتهما يُجَرّان بأرجلهما فى السوق؛ قالا : فأقبلنا حتّى لحقْنَا بالحسين ، فسايرناه حتّى نزل الثعلبيّة ممسياً ، فجئناه حين نزل ، فسلّمنا عليه فردّ علينا ، فقلنا له : يرحمك الله ؛ إنّ عندنا خبراً ، فإن شئت حدّثنا علانيةً ، وإن شئتَ سرًّا ؛ قال : فنظر إلى أصحابه وقال : ما دون هؤلاء سرّ ؛ فقلنا له : أرأيت الراكبَ الذى استقبلك عشاءَ أمس ؟ قال : نعم ، وقد أردتُ مسألته ؛ فقلنا : قد استبرأنا لك خبَره ، وكفيناك مسألته ، وهو امرؤ من أسد منا ، ذو رأى وصدق ، وفضل وعقل ، وإنه حدّثنا أنه لم يخرج من الكوفة حتّى قُتل مسلم بن عَقيل وهانئ بن عروة، وحتّى رآهما يُجَرّان فى السوق بأرجلهما، فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون! رحمة الله عليهما، فردّد ذلك مراراً، فقلنا: نَنشدُك اللهَ فى نفسك وأهلِ بيتك إلا انصرفتَ من مكانك هذا ، فإنه ليس لك بالكوفة ناصرٌ ولا شيعة ، بل نتخوّف أن تكون عليك ! قال : فوثب عند ذلك بنو عَقيل بن أبى طالب .

٢٩٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عمر بن خالد ، عن زيد بن علىّ بن حسين ، وعن داود بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، أنّ بنى عقيل قالوا : لا والله لا نبرح حتّى ندرك ثأرَنا ، أو نذوقَ ما ذاق أخونا .

٢٩٣/٢

قال أبو مخنف : عن أبى جَناب الكلبىّ ، عن عدىّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سُليم والمذرى بن المشمعلّ الأسديّين ، قالا : فنظر إلينا الحسين فقال : لا خير فى العيش بعد هؤلاء ؛ قالا : فعلمنا أنه قد عزم له رأيه على المسير ؛ قالا : فقلنا : خارَ الله لك ! قالا : فقال : رحمكما الله ! قالا : فقال له بعض أصحابه : إنك والله ما أنت مثل مسلم بن عَقيل ، ولو قدمتَ الكوفة لكان الناسُ إليك أسرع ؛ قال الأسديّان : ثم انتظر حتى إذا كان السَّحَر قال لفتيانه وغلمانه : أكثروا من الماء فاستَقَوا وأكثَروا، ثمّ ارتحلوا وساروا حتى انتهَوْا إلى زُبالة .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو علىّ الأنصارىّ ، عن بكر بن مصعب المُزَنىّ ، قال : كان الحسين لا يمرّ بأهل ماء إلا اتبعوه حتى إذا انتهى إلى زُبَالة سقط إليه مَقْتل أخيه من الرّضاعة ، مقتلُ عبد الله بن بُقْطُر ، وكان سرّحه إلى مسلم بن عَقيل من الطريق وهو لا يدرى أنه قد أصيب ، فتلقاه خيلُ الحصين بن تميم بالقادسيّة ، فسرّح به إلى عُبيد الله بن زياد ، فقال : اصعد فوق القصر فالعَنِ الكذّاب ابنَ الكذّاب ، ثم انزل حتى أرى فيك رأيى ! قال : فصعد ، فلما أشرَف على الناس قال : أيّها الناس ، إنى رسول الحسين ابن فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنصروه وتوازِروه على ابن مَرْجانة ابن سميّة الدعىّ . فأمر به عُبيد الله فألقِىَ من فوق القصر إلى الأرض ، فكُسرت عظامُه ، وبقى به رَمَق ، فأتاه رجل يقال له عبد الملك بن عُمَير اللَّخْمىّ فذبحه ، فلمّا عيب ذلك عليه قال : إنما أردت أن أريحَه .

٢/٢٩٤

قال هشام : حدّثنا أبو بكر بن عياش عمّن أخبره ، قال : والله ما هو عبد الملك بن عمير الذى قام إليه فذبحه ، ولكنه قام إليه رجل جعْد طُوال يشبه عبدَ الملك بن عمير . قال : فأتى ذلك الخبرُ حسينًا وهو بزُبالة ، فأخرج للناس كتابًا ، فقرأ عليهم :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . أما بعد ، فانه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مُسلم ابن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن بُقْطُر ، وقد خذلتْنا شيعتُنا ، فمن

أحبّ منكم الانصراف فلينصرفْ ، ليس عليه منا ذِمام .

قال : فتفرّق الناسُ عنه تفرّقًا ، فأخذوا يمينًا وشِمالاً حتى بقِيَ في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ، وإنما فعل ذلك لأنه ظنّ أنما اتبعه الأعراب ، لأنهم ظنّوا أنه يأتى بلداً قد استقامت له طاعةُ أهله ، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون علاَمَ يقدمون ، وقد علم أنّهم إذا بيّنَ لهم لم يصحبه إلا من يريد مواساته والموتَ معه . قال : فلما كان من السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا الماء وأكثَروا ، ثم سار حتى مرَّ ببطْنِ العقَبة ، فنزَل بها .

قال أبو مخنف : فحدّثنى لَوْذان أحدُ بنى عكْرِمة أنّ أحدَ عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد ؟ فحدّثه ، فقال له : إنّى أنشدُك الله لمّا انصرفت ، فوالله لا تقدم إلا على الأسنَّة وحدّ السيوف ، فإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفَوْك مؤنة القتال ، ووطّئوا لك الأشياء فقدمتَ عليهم كان ذلك رأياً ، فأمّا على هذه الحال التى تذكرها فإنّى لا أرى لك أن تفعل . قال : فقال له : يا عبدَالله ، إنه ليس يخفى علىّ ، الرأىُ ما رأيتَ ، ولكنّ الله لا يُغلَب على أمره ؛ ثم ارتحل منها .

* * *

ونَزَع يزيدُ بن معاوية فى هذه السنة الوليدَ بن عتبة عن مكة ، وولّاها عَمرو بن سعيد بن العاص ، وذلك فى شهر رمضانَ منها ، فحجّ بالناس عَمرو ابن سعيد فى هذه السنة ؛ حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . ٢/ ٢٩٥

وكان عامله على مكة والمدينة فى هذه السنة بعد ما عزل الوليد بن عُتبة عَمرو بن سعيد ، وعلى الكوفة والبَصرة وأعمالهما عبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُرَيح بن الحارث ، وعلى قضاء البصرة هشام بن هُبَيرة .

ثم دخلت سنة إحدى وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك مَقتَل الحسين رضوان الله عليه ، قُتل فيها فى المحرّم لعشر خلوْن منه ، كذلك حدّثنى أحمد بن ثابت ، قال : حدّثنى مُحدّث ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وكذلك قال الواقدىّ وهشام بن الكلبىّ ؛ وقد ذكرْنا ابتداءَ أمر الحسين فى مسيره نحوَ العراق وما كان منه فى سنة ستين ، ونذكر الآن ما كان من أمره فى سنة إحدى وستين وكيف كان مَقتلُه .

حُدّثت عن هشام ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى أبو جناب ، عن عدىّ بن حرملة ، عن عبد الله بن سليم والمذرى بن المشمعل الأسديَّين قالا : أقبل الحسين عليه السلام حتى نزل شَرَاف ، فلما كان فى السَّحَر أمر فتيانَه فاستقَوْا من الماء فأكثَروا ، ثم ساروا منها ، فرسموا صدرَ يومهم حتى انتصف النهار . ثم إنّ رجلاً قال : الله أكبر! فقال الحسين : الله أكبر ما كبَّرتَ[1] ؟ ٢٩٦/٢ قال : رأيتُ النخل ، فقال له الأسديان : إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلةً قطّ ؛ قالا : فقال لنا الحسين : فما تَرَيانه رأى ؟ قلنا : نراه رأى هَوادِىَ الخيل ؛ فقال : وأنا والله أرى ذلك ؛ فقال الحسين : أمَا لنا ملجأ نلجأ إليه ، نجعله فى ظهورنا ، ونستقبل القومَ من وجه واحد؟ فقلنا له : بلى ، هذا ذو حُسُمٍ إلى جنبك ، تَميل إليه عن يسارك ، فإن سبقتَ القوم إليه فهو كما تريد ؛ قالا : فأخذ إليه ذاتَ اليسار ؛ قالا : وملنا معه فما كان بأسرع من أن طلعتْ علينا هوادى الخيل ، فتبينّاها ، وعدنا ، فلما رأونا وقد عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا كأنّ أسنّتهم اليعاسيب ، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير ، قال : فاستبقنا إلى ذى حُسُم ، فسبقناهم إليه ، فنزل الحسين ، فأمر بأبنيته فضُربتْ ، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحُرّ بن يزيد التميمىّ اليربوعىّ حتى وقف هو وخيله مقابلَ الحسين فى حَرّ الظَّهيرة ، والحسين وأصحابه معتمّون متقلدو أسيافهم ، فقال

(١) ابن الأثير : « مم كبرت ؟ » .

الحسين لفتيانه : اسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتيانه فرشّفوا الخيل ترشيفاً ، فقام فتية وسقَوا القوم من الماء حتى أرْووهم ، وأقبلوا يملئون القِصاع والأتْوار[1] والطِّساس من الماء ثم يُدنونَها من الفرَس ، فإذا عبّ فيه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزِلتْ عنه ، وسقَوا آخرَ حتى سقَوا الخيل كلَّها . ٢٩٧/٢

قال هشام : حدّثني لَقيط ، عن عليّ بن الطّعان المحاربيّ : كنت مع الحُرّ بن يزيد ، فجئت في آخر مَن جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسينُ ما بي وبفرسي من العطش قال : أنِخ الرّاوية — والراوية عندي السقاء — ثم قال : يابن أخِ ، أنِخ الجمل ، فأنختُه ، فقال : اشربْ ، فجعلت كلما شربتُ سال الماء من السقاء ، فقال الحسين : اخنِث السقاء — أي اعطفه — قال : فجعلتُ لا أدري كيف أفعل ! قال : فقام الحسين فخنَثَه ، فشربتُ وسَقَيتُ فرَسي . قال : وكان مجيء الحُرّ بن يزيد ومسيره إلى الحسين من القادسيّة ، وذلك أنّ عبيد الله بن زياد لما بلغه إقبالُ الحسين بعث الحصين ابن تميم التميميّ — وكان على شُرَطه — فأمَرَه أن ينزل القادسيّة ، وأن يضع المسَالحَ فينظم ما بين القُطْقطانة إلى خفّان ، وقدّم الحُرّ بن يزيد بين يديه في هذه الألف من القادسيّة ، فيستقبل حسيناً . قال : فلَم يزل موافقاً حسيناً حتى حضرت الصّلاة صلاة الظهر ، فأمر الحسين الحجّاج بن مسروق الجعفيّ أن يؤذّن ، فأذّن ، فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين في إزار ورداء ونعلين ، فحَمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : أيّها الناس ، إنها معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم ؛ إنّي لم آتِكم حتى أتتْني كُتُبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم : أن اقدمْ علينا ، فإنه ليس لنا إمام ، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى ؛ فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم ، فإن تُعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم أقدم مصرَكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقْدمي كارهين انصرفتُ عنكم إلى المكان الذي أقبلتُ منه إليكم . قال : فسكتوا عنه وقالوا للمؤذّن : أقِم ، فأقام الصلاة ، فقال الحسين عليه السلام للحُرّ : أتريدُ أن تصلّي بأصحابك ؟ قال : لا ، بل ٢٩٨/٢

(١) الأتوار : جمع تور ؛ وهو إناء من صفر أو حجارة .

تصلّى أنت ونصلّى بصلاتك؛ قال : فصلّى بهم الحسين ، ثم إنه دخل واجتمع إليه أصحابه ، وانصرف الحُرّ إلى مكانه الذى كان به ، فدخل خَيْمةً قد ضُربت له ، فاجتمع إليه جماعةٌ من أصحابه ، وعاد أصحابُه إلى صَفّهم الذى كانوا فيه ، فأعادوه ، ثم أخذ كلّ رجل منهم بعنان دابّته وجلس فى ظلها ، فلما كان وقت العصر أمر الحسين أن يتهيئوا للرّحيل . ثم إنه خرج فأمر مناديَه فنادى بالعصر ، وأقام فاستقدم الحسين فصلى بالقوم ثم سلم ، وانصرف إلى القوم بوجهه فحَمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضَى لله ، ونحن أهل البيت أولَى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجوْر والعدوان ، وإن أنتم كرهتمونا ، وجهلتم حقنا ، وكان رأيُكم غيرَ ما أتتْنى كتبكم ، وقدمتْ به علىّ رُسُلكم ، انصرفتُ عنكم ، فقال له الحُرّ بن يزيد : إنّا والله ما ندرى ما هذه الكُتُب التى تذكر ! فقال الحسين : يا عقبة بن سِمْعان ، أخرج الخرجَيْن اللذَين فيهما كتبهم إلىّ ، فأخرج خرْجين مملوءين صُحُفًا ، ٢٩٩/٢ فنشرها بين أيديهم ؛ فقال الحُرّ : فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك ، وقد أمِرنا إذا نحن لقيناك ألّا نفارقَك حتى نُقدمك على عبيد الله بن زياد ؛ فقال له الحسين : الموتُ أدنَى إليك من ذلك ، ثم قال لأصحابه : قوموا فاركبوا ، فركبوا وانتظروا حتى ركبتْ نساؤهم ، فقال لأصحابه : انصرفوا بنا ، فلما ذهبوا لينصرفوا حالَ القومُ بينهم وبين الانصراف ، فقال الحُسين للحر : ثكلتْك أمُّك ! ما تريد ؟ قال : أما والله لو غيرُك من العرب يقولها لى وهو على مثل الحال التى أنت عليها ما تركتُ ذكْر أمه بالثُّكْل أن أقولَه كائنًا مَن كان ، ولكنْ والله ما لى إلى ذكْر أمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما يقدَر عليه ؛ فقال له الحسين : فما تريد ؟ قال الحُرّ : أريد والله أن أنطلق بك إلى عُبيد الله بن زياد ، قال له الحسين : إذن والله لا أتْبعك ؛ فقال له الحُرُّ : إذن والله لا أدَعك ؛ فترادّا القولَ ثلاثَ مرّات ، ولما كثر الكلامُ بينهما قال له الحرّ : إنّى لم أومَر بقتالك ، وإنما أمِرت ألاّ أفارقَك حتى أقدمَك الكُوفة ، فإذا أبيتَ فخذ طريقًا لا تُدخلك الكوفة ، ولا تردّك إلى المدينة ،

تكون بيني وبينك نصفًا حتى أكتب إلى ابن زياد ، وتكتب أنتَ إلى يزيدَ ابن معاوية إن أردتَ أن تكتب إليه ، أو إلى عبيد الله بن زياد إن شئتَ ، فلعلّ الله إلى ذاك أن يأتيَ بأمر يرزقني فيه العافية من أن ابتلَى بشيء من أمرك ؛ قال : فخذ هاهنا فتياسرْ عن طريق العُذَيْب والقادسيّة ، وبينه وبين العُذَيب ثمانية وثلاثون ميلا. ثمّ إنّ الحسين سار في أصحابه والحُرّ يسايره . ٢/٣٠٠

قال أبو مخنف : عن عقبة بن أبي العَيزار ، إنّ الحسين خطب أصحابه وأصحاب الحُرّ بالبيضة ، فحمد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى سلطانًا جائراً مستحلاً لحُرَم الله ، ناكثًا لعهد الله ، مخالفًا لسنة رسول الله ، يَعمل في عباد الله بالإثم والعُدوان ، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول ، كان حقًّا على الله أن يُدخله مُدخَله . » ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرّحمن ، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام الله ، وحرّموا حلالَه ، وأنا أحقّ من غيّر ، قد أتتْني كتبكم ، وقدمتْ عليّ رُسُلكم ببيعتكم ؛ أنكم لا تُسلموني ولا تَخذُلوني ، فإنْ تممتم على بيعتكم تصيبُوا رشدَكم ، فأنا الحسين بنُ عليّ ، وابن فاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، فلكم فيَّ أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضْتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلَعَمْري ما هي لكم بنُكْر[1] ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، والمغرور من اغترّ بكم ، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم ، ومَن نكث فإنما يَنكُث على نفسه ، وسيُغني الله عنكم ، والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته .

وقال عقبة بن أبي العَيزار : قام حسينٌ عليه السلام بذي حُسُم، فحمِد اللهَ وأثنَى عليه ثمّ قال : إنه قد نزل من الأمر ما قد ترونْ ، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكرت ، وأدبر معروفُها واستمرّت جدًّا ، فلم يَبقَ منها إلا صُبابة ٢/٣٠١

---

(١) ابن الأثير : « بنكير » .

كصُبابة الإناء ، وخسيسُ عيشٍ كالمَرعَى الوَبيل . ألا ترون أنّ الحق لا يُعْمَل به ، وأنّ الباطل لا يُتناهَى عنه! ليرغب المؤمن فى لقاء الله مُحقًّا ، فإنى لا أرى الموت إلا شهادة ، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَمًا .

قال : فقام زهير بن القَيْن البَجَلى فقال لأصحابه : تَكلّمون أم أتكلم ؟ قالوا : لا ، بل تكلم ؛ فحمِد اللهَ فأثنَى عليه ثم قال : قد سمِعنا هَداك الله يابنَ رسول الله مقالتَك ، والله لو كانت الدنيا لنا باقية ، وكنا فيها مخلَّدين ، إلا أنّ فراقها فى نصرك ومواساتك ، لآثرْنا الخروجَ معك على الإقامة فيها .

قال : فدعا له الحسين ثم قال له خيراً ؛ وأقبل الُحرّ يسايره وهو يقول له : ياحسين ، إنى أذكّرك اللهَ فى نفسك ، فإنّى أشهد لئن قاتلتَ لتُقتلنّ ، ولئن قوتلتَ لتهلكنّ فيما أرى ؛ فقال له الحسين : أفبالموت تخوّفنى ! وهل يعدو بكم الخَطْب أن تقتلونى ! ما أدرى ما أقول لك ! ولكن أقول كما قال أخو الأوْس لابن عمه ، ولقيَه وهو يريد نُصرةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أين تذهب ؟ فإنك مقتول ؛ فقال :

سأمضِى وما بالموتِ عارٌ على الفتَى ... إذا ما نَوَى حقًّا وجاهدَ مسلمَا

٣٠٢/٢ وآسى الرجالَ الصالِحينَ بنفسِه ... وفارق مثبورًا يَغُشُّ ويُرْغما[1]

قال : فلما سمع ذلك منه الُحرّ تنحّى عنه ، وكان يسير بأصحابه فى ناحية وحسين فى ناحية أخرى ، حتى انتهَوا إلى عُذيب الهِجانات ، وكان بها هَجائن النعمان تَرعَى هنالك ، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ، يجنبُون فرسًا لنافع بن هلال يقال له الكامل ، ومعهم دليلُهم الطِّرِمّاح بن عدىّ على فرسه ، وهو يقول :

---

(١) كذا فى ط ، وقبل البيت فى ابن الأثير :

وواسَى رِجالًا صالِحين بنَفْسهِ ... وخالف مَثْبُورًا وفَارَق مجْرِما

وذكر بعده :

فإن عِشْتُ لمْ أنْدمْ وإن مِتّ لمْ أُلَمْ ... كَفَى بك ذُلاًّ أن يعيش وترغَما

يانَاقتِي لا تُذعَرِي من زَجْرِي وشمّري قبلَ طلوعِ الفَجْرِ
بخيرِ رُكْبانٍ وخيرِ سَفْرِ حتّى تَحِلّي بكريمِ النَّجْرِ
الماجدِ الحرِّ رَحيبِ الصدرِ أتَى به اللهُ لخيرِ أمْرِ

* ثُمَّتَ أبقاه بقاءَ الدَّهرِ *

قال : فلما انتهَوا إلى الحسين أنشَدوه هذه الأبيات ، فقال : أما والله إنى لأرجو أن يكون خيراً ما أراد الله بنا ، قُتِلنا أم ظَفِرنا ؛ قال : وأقبل إليهم ٢/٣٠٣ الحرّ بن يزيدَ فقال : إن هؤلاء النفرَ الذين من أهل الكوفة ليسوا ممن أقبل معك ، وأنا حابسهم أو رادّهم ، فقال له الحسين : لأمنعنّهم مما أمنع منه نفسى ، إنما هؤلاء أنصارى وأعوانى ، وقد كنتَ أعطيتَنى ألّا تَعرِض لى بشىء حتى يأتيَك كتاب من ابن زياد ، فقال : أجلْ ، لكن لم يأتوا معك ؛ قال : هم أصحابى ، وهم بمنزلة مَن جاءَ معى ، فإن تممتَ على ما كان بينى وبينك وإلا ناجزتُك ؛ قال : فكفَّ عنهم الحرّ ؛ قال : ثمّ قال لهم الحسين : أخبِرونى خبرَ الناس وراءكم ، فقال له مجمِّع بن عبد الله العائذىّ ، وهو أحد النَّفَر الأربعة الذين جاءوه : أما أشراف الناس فقد أُعظِمتْ رِشوتُهم ، ومُلئت غَرائرُهم ، يُستمال ودّهم ، ويستخلص به نصيحتهم ، فهم ألْبٌ واحدٌ عليك ، وأما سائر الناس بعد ، فإنّ أفئدتهم تَهوِى إليك ، وسيوفَهم غداً مشهورةٌ عليك ؛ قال : أخبرُونى ، فهل لكم برسولى إليكم ؟ قالوا : من هو ؟ قال : قيس بن مُسْهِر الصيْداوىّ ؛ فقالوا : نعم ، أخذه الحصين ابن تميم فبعث به إلى ابن زياد ، فأمره ابنُ زياد أن يلعنك ويلعنَ أباك ، فصلى عليك وعلى أبيك ، ولَعَن ابنَ زياد وأباه ، ودعا إلى نُصْرتك ، وأخبرهم بقدومك ، فأمر به ابن زياد فأُلقِىَ من طَمارِ القصر ؛ فترقرقتْ عينا حُسين عليه السلام ولم يملك دمعَه ، ثم قال : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ . اللهمّ اجعلْ لنا ولهم الجنة نُزُلاً ، واجمع بيننا وبينهم فى مستقرّ من رحمتك ، ورغائب مذخور ثوابك ! ٢/٣٠٤

قال أبو مخنف : حدّثنى جميل بن مَرْثد من بنى مَعْن، عن الطرمّاح ابن عدىّ ، أنه دنا من الحسين فقال له : والله إنى لأنظر فما أرى معك أحداً، ولو لم يقاتلْك إلا هؤلاء الذين أراهم ملازِميك لكان كَفى بهم ؛ وقد رأيتُ قبل خروجى من الكوفة إليك بيوم ظهرَ الكوفة وفيه من الناس ما لم تَر عيناى فى صعيد واحد جَمْعا أكثر منه ، فسألت عنهم ، فقيل : اجتَمعوا ليُعرَضوا ، ثم يسرّحون إلى الحسين ، فأنشدُك اللهَ إن قدرتَ على ألاّ تقدم عليهم شبراً إلاّ فعلت ! فإن أردتَ أن تنزل بلداً يمنعك الله به حتّى ترى من رأيك، ويستبين لك ما أنت صانع ، فسرْ حتّى أنزلك مَناع جبلنا الذى يُدعَى أجَأ ، امتنعْنا والله به من ملوك غسّانَ وحِمْيَر ومن النعمان بن المنذر ، ومن الأسود والأحمر[1] ، والله إن دخل علينا ذلّ قطُّ ؛ فأسير معك حتّى أنزلك القُرَيَّة ، ثم نبعث إلى الرجال ممن بأجَأ وسَلمَى من طيّئ ، فوالله لا يأتى عليك عشرة أيام حتى تأتيَك طيّئ رجالاً وركباناً ، ثم أقم فينا ما بدا لك ، فإن هاجك هَيْج فأنا زعيم لك بعشرين ألف طائىّ يَضربون بين يديك بأسيافهم ، والله لا يُوصَل إليك أبداً ومنهم عين تَطرف ؛ فقال له : جزاك الله وقومَك خيراً ! إنه قد كان بيننا وبين هؤلاء القوم قول لسنا نقدر معه على الانصراف ، ولا ندرى علامَ تَنصرف بنا وبهم الأمورُ فى عاقبِه !

قال أبو مخنف : فحدّثنى جميل بن مَرْثَد ، قال : حدّثنى الطِّرِماح ابن عَدىّ، قال : فودّعتُه وقلتُ له : دفع الله عنك شرّ الجن والإنس، إنّى قد امترتُ لأهلى من الكوفة ميرةً ، ومعى نفقة لهم، فآتيهم فأضع ذلك فيهم ، ثمّ أُقبل إليك إن شاء الله، فإن ألحقك فوالله لأكوننّ من أنصارك؛ قال : فإن كنتَ فاعلاً فعجِّلْ رحمك الله ؛ قال : فعلمتُ أنه مستوحشٌ إلى الرجال حتّى يسألنى التعجيل ؛ قال : فلما بلغتُ أهلى وضعتُ عندهم ما يصلحهم ، وأوصيت ، فأخذ أهلى يقولون : إنك لتصنع مرّتَك هذه شيئاً ما كنتَ ٣٠٥/٢

(١) ابن الأثير : « الأحمر والأبيض » .

تصنعه قبل اليوم ، فأخبرتُهم بما أريد ، وأقبلتُ في طريق بني ثُعَل حتى إذا دنوتُ من عُذَيب الهجانات ، استقبلَني سَماعة بن بدر ، فنعاه إليّ ، فرجعت ؛ قال : ومضى الحسين عليه السلام حتى انتهى إلى قصر بني مقاتل ، فنزل به ، فإذا هو بفُسطاط مضروب .

قال أبو مخنف : حدّثني المجالد بن سعيد ، عن عامر الشّعبيّ ، أنّ الحسين بن عليّ رضي الله عنه قال : لِمَن هذا الفسطاط ؟ فقيل : لعبيد الله ابن الحُرّ الجعفيّ ؛ قال : ادعوه لي ، وبَعَثَ إليه ، فلما أتاه الرسول، قال : هذا الحسين بن عليّ يدعوك؛ فقال عبيد الله بن الحُرّ: إنّا لله وإنا إليه راجعون! والله ما خرجتُ من الكوفة إلا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها ، والله ما أريد أن أراه ولا يراني ، فأتاه الرسولُ فأخبَرَه ، فأخذ الحسين نعليْه فانتعل ، ثم قام فجاءه حتى دخل عليه ، فسَلّم وجلس ، ثمّ دعاه إلى الخروج معه ، فأعاد إليه ابن الحُرّ تلك المقالة، فقال : فإلا تنصرْنا فاتّق الله أن تكونَ ممّن يقاتلنا ، فوالله لا يسمع واعيتَنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك ؛ قال : أمّا هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله . ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتى دخل رَحلَه .

٢/٣٠٦

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جُنْدُب ، عن عقبة بن سِمْعان قال : لما كان في آخر الليل أمر الحسين بالاستقاء من الماء ، ثم أمَرَنا بالرحيل؛ ففعلْنا ؛ قال : فلما ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرْنا ساعةً خفق الحسين برأسه خَفْقة ، ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ؛ قال : ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثًا ، قال : فأقبل إليه ابنُه عليّ بن الحسين على فرس له فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله ربّ العالمين ، يا أبتِ ، جُعلْت فداك ! مِمَّ حمدتَ اللهَ واسترجعتَ ؟ قال : يا بنيّ ، إني خفقتُ برأسي خَفْقةً فعنّ لي فارس على فرس فقال : القوم يسيرون والمنايا تَسري[1] إليهم ، فعلمتُ أنها أنفسُنا نُعيَتْ إلينا ، قال له : يا أبتِ ،

(١) ابن الأثير : « تسير » .

لا أراك الله سوءاً ، ألسْنا على الحقّ ! قال : بلى والذى إليه مرجع العباد ؛ قال : يا أبت ، إذاً لا نبالى ؛ نموت محقّين ؛ فقال له : جزاك الله من وَلَد خيرَ ما جَزَى وَلَداً عن والده؛ قال : فلما أصبح نزل فصلى الغداة ، ثمّ عجّل الركوب ، فأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم ، فيأتيه الُحرّ بن يزيدَ فيردّهم فيردّه ، فجعل إذا ردّهم إلى الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتَهوا إلى نِينَوَى؛ المكان الذى نزل به الحسين ؛ قال : فإذا راكبٌ على نجيب له وعليه السلاح متنكّب قوسًا مُقبلٌ من الكوفة ، فوقفوا جميعًا ينتظرونه ، فلما انتَهى إليهم سلّم على الُحرّ بن يزيد وأصحابه ، ولم يسلّم على الحسين عليه السلام وأصحابه ، فدفع إلى الُحرّ كتابًا من عبيد الله ابن زياد فإذا فيه : أما بعد ، فجَعْجِعْ[1] بالحسين حين يبلغُك كتابى ، ويَقدُم عليك رسولى ، فلا تُنزله إلا بالعَراء فى غير حصن وعلى غير ماء ، وقد أمرتُ رسولى أن يَلزمَك ولا يفارقك حتى يأتيَنى بإنفاذك أمرى ؛ والسلام . ٣٠٧/٢

قال : فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرُّ : هذا كتاب الأمير عُبيد الله بن زياد يأمرنى فيه أن أجعجِع بكم فى المكان الذى يأتينى فيه كتابُه ، وهذا رسوله، وقد أمره ألّا يفارقنى حتى أنفِذ رأيَه وأمْرَه ، فنظر إلى رسول عُبيد الله يزيدُ ابن زياد بن المهاصِر أبو الشعثاء الكِنْدىّ ثم البهدلىّ فعنّ له ، فقال : أمالك بن النُّسير البَدّىّ ؟ قال : نعم — وكان أحد كِنْدة — فقال له يزيد ابنُ زياد : ثكلتْك أمك ! ماذا جئتَ فيه ؟ قال : وما جئتُ فيه ! أطعتُ إمامى ، ووفيتُ ببَيْعتى ، فقال له أبو الشعثاء : عصيتَ ربَّك ، وأطعتَ إمامك فى هلاك نفسك ، كسبت العــار والنار ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾[2] ، فهو إمامك . قال : وأخذ الحرُّ بن يزيدَ القوم بالنزول فى ذلك المكان على غير ماء ولا فى قرية ، فقالوا : دعْنا نَنزلْ فى هذه القرية ، يعنون نِينَوَى —

---

(١) أورد الخبر فى اللسان وقال فى شرحه : « أى أزعجه وأخرجه ، وقال الأصمعى : يعنى أحبسه » .

(٢) سورة القصص : ٣٢ .

أو هذه القرية — يعنون الغاضريّة — أو هذه الأخرى — يعنون شُفَيّة .
فقال : لا والله ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بُعث إلىّ عينًا ، فقال له
زهير بن القيْن : يابن رسول الله ، إنّ قتال هؤلاء أهوَن من قتال من يأتينا ٢/٣٠٨
من بعدهم ، فلَعَمرى ليأتينا من بَعدُ مَن ترى ما لا قِبَل لنا به ؛ فقال
له الحسين : ما كنتُ لأبدأهم بالقتال ؛ فقال له زهير بن القين : سرْ بنا إلى
هذه القرية حتّى تَنزلها فإنها حصينة ، وهى على شاطئ الفرات ، فإنْ منعونا
قاتلْناهم ، فقتالُهم أهوَنُ علينا من قتال من يجىء من بعدهم ؛ فقال له
الحسين : وأية قرية هى ؟ قال : هى العَقْر ، فقال الحسين : اللهم إنى
أعوذ بك من العَقْر ، ثم نزل ، وذلك يوم الخميس ، وهو اليوم الثانى من
المحرّم سنة إحدى وستين . فلما كان من الغد قدم عليهم عُمر بن سعد بن
أبى وقّاص من الكوفة فى أربعة آلاف . قال : وكان سبب خروج ابن سعد
إلى الحسين عليه السلام أن عبيد الله بن زياد بعثه على أربعة آلاف من أهل
الكُوفة يسير بهم إلى دَسْتَبَى ، وكانت الديلَم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها ،
فكتب إليه ابنُ زياد عهدَه على الرّىّ ، وأمَرَه بالخروج .

فخرج معسكِراً بالناس بحمّام أعيَن ، فلمّا كان من أمر الحسين ما كان
وأقبل إلى الكوفة دعا ابنُ زياد عمرَ بن سعد ، فقال : سرْ إلى الحسين ، فإذا فرغنا
مما بيننا وبينه سرتَ إلى عملك ؛ فقال له عمر بن سعد : إنْ رأيتَ رحمك الله
أن تُعفيَنى فافعل ؛ فقال له عبيد الله : نعم ، على أن تردّ لنا عهدَنا ؛ قال :
فلما قال له ذلك قال عمر بن سعد : أمهلْنى اليومَ حتى أنظرَ ؛ قال : فانصرف
عمر يستشير نُصَحاءه ، فلم يكن يستشير أحداً إلا نهاه ؛ قال : وجاء حمزة
ابن المغيرة بن شعبة — وهو ابن أخته — فقال : أنشُدكَ الله يا خال أن تسيرَ إلى
الحسين فتأثم بربِّك ، وتقطعَ رحِمَك ! فوالله لأن تخرج من دنياك ومالك
وسلطان الأرض كلّها لو كان لك ، خيرٌ لك من أن تَلقَى اللهَ بدم الحسين ! ٢/٣٠٩
فقال له عمر بن سعد : فإنى أفعل إن شاء الله .

قال هشام : حدّثنى عَوانة بن الحَكَم ، عن عمّار بن عبد الله بن يسار

الجُهنىّ ، عن أبيه ، قال: دخلتُ على عمَر بن سعد،وقد أُمِر بالمسير إلى الحسين ، فقال لى : إن الأمير أمرنى بالمسير إلى الحسين ، فأبيتُ ذلك عليه ، فقلتُ له : أصاب الله بك ، أرشَدَك الله ، أحِلْ فلا تفعل ولا تَسِرْ إليه . قال : فخرجتُ من عنده ، فأتانى آتٍ وقال : هذا عمر بن سعد يَندُب الناسَ إلى الحسين ؛ قال : فأتيتُه فإذا هو جالس ، فلما رآنى أعرَض بوجهه فعرفتُ أنه قد عزم على المسير إليه ، فخرجتُ من عنده ؛ قال : فأقبل عمر ابن سعد إلى ابن زياد فقال : أصلحك الله ! إنك ولّيتَنى هذا العمل، وكتبت لىَ العهد ، وسَمع به الناسُ ، فإن رأيتَ أن تنفذ لى ذلك فافعلْ وابعثْ إلى الحسين فى هذا الجيش مِن أشراف الكوفة مَن لستُ بأغنى ولا أجزأ عنك فى الحرب منه ؛ فسمّى له أناسًا ، فقال له ابن زياد : لا تُعلِمنى بأشراف أهل الكُوفة ، ولست أستأمرك فيمن أريد أن أبعث . إن سرتَ بجندنا ، وإلا فابعث إلينا بعهدنا ، فلما رآه قد لجّ قال : فإنى سائر ؛ قال : فأقبل فى أربعة آلاف حتى نزل بالحسين من الغد من يوم نزل الحسين نينوَى .

قال : فبعث عُمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام عَزْرة بن قيس الأحمَسىّ ، فقال : ائته فسَلْه ما الّذى جاء به ؟ وماذا يريد ؟ وكان عزرة ممن كتب إلى الحسين فاستحيا منه أن يأتيَه . قال : فعرض ذلك على الرؤساء الذين كاتبوه ، فكلّهم أبى وكرهه .قال : وقام إليه كثير بن عبد الله الشعبىّ — وكان فارسًا شجاعًا ليسَ يردُّ وجهَه شىءٌ — فقال : أنا أذهب إليه ، والله لئن شئتَ لأفتكَنّ به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن يُفتَك به ، ولكن ائته فسَلْه ما الذى جاء به ؟ قال : فأقبل اليه ، فلما رآه أبو ثمامة الصائدىّ قال للحسين: أصلحك الله أبا عبد الله ! قد جاءك شرُّ أهل الأرض وأجرؤه على دم وأفتكه ، فقام إليه ، فقال : ضَعْ سيفَك ؛ قال : لا والله ولا كرامة ، إنما أنا رسول، فإن سمعتم منى أبلغتُكم ما أرسلتُ به إليكم ، وإن أبيتم انصرفتُ عنكم ؛ فقال له : فإنى آخذٌ بقائم سيفك ، ثم تكلمُ بحاجتك ، قال : لا والله ، لا تمسّه فقال له : أخبرنى ما جئتَ به وأنا أبلغه عنك ، ولا أدعُك تدنو منه ، فإنك فاجر ؛ قال : فاستبّا ، ثم انصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ؛ قال :

٢/٣١٠

فدعا عمر قرّة بن قيس الحنظليّ فقال له : وَيحْك يا قرّة ! الْقَ حسيناً فسَلْه ما جاء به ؟ وماذا يريد ؟ قال : فأتاه قرّة بن قيس ، فلما رآه الحسين مقبلا قال : أتعرفون هذا ؟ فقال حبيب بن مُظاهر : نعم ، هذا رجل من حنظلة تميميّ ، وهو ابن أختنا ، ولقد كنتُ أعرفه بحسُن الرأى ،وما كنتُ أراه يشهد هذا المشهد ؛ قال : فجاءَ حتى سلّم على الحسين ، وأبلغه رسالةَ عمر بن سعد إليه له ، فقال الحسين : كتب إلىّ أهلُ مصركم هذا أنْ اقدَم ، فأما إذ كَرهونى فأنا أنصرف عنهم ؛ قال: ثم قال له حبيب بن مظاهر : وَيْحاك يا قرة ابن قيس ! أنّى ترجع إلى القوم الظالمين ! انصرْ هذا الرجل الذى بآبائه أيّدك الله بالكرامة وإيّانا معاك ؛ فقال له قرّة : أرجع إلى صاحبي بجواب رسالته ، وأرَى رأيي ؛ قال : فانصرف إلى عمر بن سعد فأخبره الخبر ، فقال له عمر بن سعد : إنى لأرجو أن يعافيَنى الله من حربه وقتاله . ٣١١/٢

قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثنى النضر بن صالح بن حبيب ابن زهير العبسيّ ، عن حسان بن فائد بن بكير العبسيّ[1] ، قال: أشهد أن كتاب عمر بن سعد جاء إلى عبيد الله بن زياد وأنا عنده فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإني حيث نزلتُ بالحسين بعثتُ إليه رسولى ، فسألتُه عما أقدَمَه ، وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلىّ أهلُ هذه البلاد وأتتْنى رسُلهم ، فسألونى القدومَ ففعلت ؛ فأما إذ كرهونى فبدَا لهم غير ما أتتْنى به رُسُلهم فأنا منصرفٌ عنهم ، فلما قُرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآنَ إذ عَلِقَتْ مَخالِبُنا به ... يرجو النجاةَ ولاتَ حِينَ مناصِ !

قال : وكتب إلى عمَر بن سعد :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ؛ أما بعد ، فقد بلغنى كتابُك ، وفهمتُ ما ذكرتَ ، فاعرِض على الحسين أن يبايع ليزيدَ بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام .

(١) ط : « الحنفى » ، وانظر الفهرس .

قال : فلما أتى عمَر بن سعد الكتابُ ، قال : قد حسبتُ ألّا يقبل ابن زياد العافية .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : جاء من عُبيد الله بن زياد كتاب إلى عمرَ بن سعد : أما بعد ، فحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صُنع بالتقىّ الزّكىّ المظلوم أميرِ المؤمنين عثمان بن عفان . قال : فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجّاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا على الشريعة ، وحالوا بين حسين وأصحابه وبين الماء أن يُسقَوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . ٣١٢/٢

قال : ونازَله عبد الله بن أبى حُصين الأزدىّ — وعِداده فى بَجيلة — فقال : يا حسين ، ألا تنظر إلى الماء كأنه كَبد السماء ! والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عَطَشاً ؛ فقال حسين : اللهمّ اقتُله عَطَشاً ، ولا تَغفِرْ له أبداً .

قال حميد بن مسلم : والله لعُدتُه بعد ذلك فى مرضه ، فوالله الذى لا إله إلاّ هو لقد رأيتُه يَشرَب حتى بَغَر[1] ، ثم يقىء ، ثم يعود فيَشرَب حتى يبغر فما يَروَى ، فما زال ذلك دأبه حتى لَفَظَ عصبه[2] . يعنى نفسه — قال : ولما اشتدّ على الحسين وأصحابه العطش دعا العباس بن على بن أبى طالب أخاه ، فبعثه فى ثلاثين فارساً وعشرين راجلا ، وبعث معهم بعشرين قِربةً ، فجاءوا حتى دنَوا من الماء ليلاً واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملىّ ، فقال عمرو بن الحجاج الزبيدىّ : من الرجل؟ فجىء فقال : ما جاء بك؟ قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذى حلأتمونا[3] عنه ؛ قال : فاشربْ هنيئاً ، قال : لا والله ، لا أشرب منه قطرةً وحسينٌ عطشان ومن ترى من أصحابه ، فطَلَعوا عليه ، فقال : لا سبيلَ إلى سقى هؤلاء ، إنما وُضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء ، فلما دنا منه أصحابه قال لرجاله : املئوا قِرَبكم ، فشدّ الرّجّالة فملئوا قِرَبهم ، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه ، فحمل عليهم العباس بن علىّ ونافع بن هلال فكفّوهم ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ، فقالوا : امضوا ، ووَقَفوا دونهم ، فعطف ٣١٣/٢

---

(١) البغر : الشرب بلا رى .

(٢) فى اللسان : « لفظ عصبه ، أى ريقه » .

(٣) يقال : حلأه ، عن الماء : طرده ومنعه منه .

عليهم عمرو بن الحجّاج وأصحابه واطّردوا قليلاً . ثم إن رجلا من صُداء طُعِن من أصحاب عَمرو بن الحجاج ، طعنه نافع بن هلال ، فظنّ أنها ليست بشىء ، ثم إنها انتقضت بعد ذلك ، فمات منها ، وجاءَ أصحابُ حسين بالقِرَب فأدخلوها عليه .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جَنَاب ، عن هانئ بن ثُبَيْت الحضرمىّ — وكان قد شهد قتلَ الحسين ، قال : بعث الحسينُ عليه السلام إلى عمَر بن سعد عَمرو بن قرظَة بن كعب الأنصارىّ : أن الْقَنِى الليل بَين عسكرى وعسكرك . قال : فخرج عمر بن سعد فى نحو من عشرين فارسًا ، وأقبل حسين فى مثل ذلك ، فلما التقوْا أمر حسين أصحابَه أن يتنحّوا عنه ، وأمر عمر بن سعد أصحابَه بمثل ذلك ؛ قال : فانكشفنا عنهما بحيث لا نَسمَع أصواتَهما ولا كلامَهما ؛ فتكلّما فأطالا حتى ذهب من الليل هَزِيعٌ ، ثم انصرف كلّ واحد منهما إلى عسكره بأصحابه ، وتحدّث الناس فيما بينهما ؛ ظنًّا يظنّونه أنّ حسينًا قال لعمر بن سعد : اخرُج معى إلى يزيدَ بن معاوية وندع العسكرَيْن ؛ قال عمر : إذنْ تُهدَم دارى ؛ قال : أنا أبنيها لك ، قال : إذنْ تؤخذ ضياعى ؛ قال : إذن أعطيك خيرًا منها من مالى بالحجاز . قال : فتكرّه ذلك عمر ؛ قال : فتحدّث الناس بذلك ، وشاع فيهم من غير أن يكونوا سمعوا من ذلك شيئًا ولا علموه . ٢/٣١٤

قال أبو مخنف : وأمّا ما حدّثنا به المجالد بن سعيد والصَّقْعَب بن زهير الأزدىّ وغيرهما من المحدّثين ، فهو ما عليه جماعة المحدّثين ، قالوا : إنه قال : اختاروا منّى خصالاً ثلاثًا : إمّا أن أرجع إلى المكان الذى أقبلتُ منه ، وإمّا أن أضع يدى فى يد يزيد بن معاوية فيرَى فيما بينى وبينه رأيَه ، وإما أن تسيّرونى إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئتم ، فأكونَ رجلا من أهله ، لى ما لَهم وعلىّ ما عليهم .

قال أبو مخنف : فأما عبد الرحمن بن جندَب فحدّثنى عن عقبة بن سِمْعانَ قال : صحبتُ حسيناً فخرجتُ معه من المدينة إلى مكة ، ومن مكّة إلى

العراق ، ولم أفارقْه حتى قتل ، وليس من مخاطبته الناسَ كلمة بالمدينة ولا بمكة ولا فى الطريق ولا بالعراق ولا فى عسكر إلى يوم مقتله إلا وقد سمعتُها . ألا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون ؛ من أن يضع يده فى يد يزيد بن معاوية ، ولا أن يسيّروه إلى ثغر من ثغور المسلمين ، ولكنه قال : دعونى فلأذْهَبْ فى هذه الأرض العريضة حتى ننظرَ ما يصير أمرُ الناس .

قال أبو مخنف : حدّثنى المجالد بن سعيد الهمْدانىّ والصّقعب بن زهير ، أنهما كانا التقَيَا مراراً ثلاثاً أو أربعاً ؛ حسين وعمر بن سعد ؛ قال : فكتب عمر ابن سعد إلى عُبيد الله بن زياد : أما بعد ، فإن الله قد أطفأ النائرة ، وجَمَع الكلمة ، وأصلَحَ أمر الأمة ، هذا حسين قد أعطانى أن يرجع إلى المكان الذى منه أتى ، أو أن نسيّره إلى أىّ ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكونَ رجلاً من المسلمين له ما لَهم ، وعليه ما عليهم ، أو أن يأتىَ يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده ، فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفى هذا لكم رضًا ، وللأمة صلاحٌ . قال : فلما قرأ عبيد الله الكتاب قال : هذا كتاب رجل ناصح لأميرِه ، مشفِق على قومِه ، نعمْ قد قبلتُ . قال : فقام إليه شمر بن ذى الجوشن ، فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك إلى جنبك ! والله لئن رحل من بلدك ، ولم يضع يده فى يدك ، ليكوننّ أولى بالقوّة والعزّة ولتكوننّ أولى بالضّعف والعجز ، فلا تُعطِه هذه المنزلَة فإنها من الوَهَن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاقبتَ فأنت ولىّ العقوبة ، وإن غفرتَ كان ذلك لك ، واللهِ لقد بلغنى أنّ حسيناً وعمر بن سعد يجلسان بين العسكرين فيتحدّثان عامّة الليل ، فقال له ابن زياد : نِعْمَ ما رأيتَ ! الرأىُ رأيُك .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : ثمّ إنّ عبيد الله بن زيادٍ دعا شَمِر بنَ ذى الجَوْشن فقال له : اخرجْ بهذا الكتاب إلى عُمَر بن سعد فلْيعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حُكمِى ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلىّ سلماً ، وإن هم أبَوا فليقاتلْهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن هو أبى فقاتِلهم ، فأنت أمير الناس ، وثِبْ عليه فاضرب عنقه ، وابعث إلىّ برأسه .

٢/٢١٥ ٢/٢١٦

قال أبو مخنف: حدّثني أبو جنّاب الكلبيّ، قال: ثم كتب عبيد الله ابن زياد إلى عمر بن سعد: أما بعد، فإني لم أبعثك إلى حسين لتكفّ عنه ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتقعد له عندي شافعًا.. انظر، فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا، فابعث بهم إليّ سلمًا، وإن أبوْا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنهم لذلك مستحقون، فإن قتِل حسين فأوْطئ الخيلَ صدرَه وظهرَه، فإنه عاقّ مشاقّ، قاطع ظلوم، وليس دهري في هذا أن يضُرّ بعد الموت شيئًا، ولكن عليّ قول لو قد قتلتُه فعلتُ هذا به. إن أنتَ مضيتَ لأمرنا فيه جزَيناك جزاءَ السامع المطيع، وإن أبيتَ فاعتزِلْ عملَنا وجندَنا، وخلّ بين شمِر بن ذي الجوْشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا؛ والسلام.

قال أبو مخنف: عن الحارث بن حصيرة، عن عبد الله بن شريك العامريّ، قال: لماّ قبض شمر بن ذي الجوشن الكتاب قام هو وعبد الله بن أبي المحلّ — وكانت عمته أمّ البنين ابنة حزام عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فولدتْ له العبّاسَ وعبدَ الله وجعفرًا وعثمانَ — فقال عبد الله بن أبي المحلّ بن حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب: أصلح الله الأمير! إن بني أختنا مع الحسين، فإن رأيتَ أن تكتب لهم أمانًا فعلت؛ قال: نعم ونَعمةَ عيْن. فأمر كاتبه، فكتب لهم أمانًا، فبعث به عبد الله بن أبي المحلّ مع مولًى له يقال له: كُزمان، فلما قدم عليهم دعاهم، فقال: هذا أمانٌ بعثَ به خالُكم؛ فقال له الفتية: أقرِئْ خالَنا السلام، وقل له: أن لا حاجةَ لنا في أمانكم، أمانُ الله خيرٌ من أمان ابن سميّة. قال: فأقبل شمِر بن ذي الجوْشن بكتاب عُبيد الله بن زياد إلى عمر ابن سعد، فلما قدم به عليه فقرأه قال له عمر: مالَكَ ويلَكَ! لا قرّب الله دارَك، وقبّح الله ما قدمت به عليّ! والله إني لأظنّك أنت ثنَيْتَه أن يقبَل ما كتبتُ به إليه، أفسدت علينا أمرًا كنا رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسين، إنّ نفسًا أبيّةً لبيْن جنبَيْه، فقال له شمر: أخبِرْني ما أنت صانع؟ أتمضي لأمر أميرك وتقتل عدوّه، وإلا فخلّ بيني وبين الجند

٣١٧/٢

والعسكر ؛ قال : لا ولا كرامةَ لك ، وأنا أتولّى ذلك ؛ قال : فدونك ، وكن أنت على الرّجال ؛ قال : فنهض إليه عشيّة الخميس لتسعٍ مضَين من المحرّم ؛ قال : وجاء شمِر حتى وقف على أصحاب الحسين ، فقال : أين بنو أختنا ؟ فخرج إليه العباس وجعفر وعثمان بنو عليّ ، فقالوا له : مالَكَ وما تريد ؟ قال : أنتم يا بنى أختى آمنون ؛ قال له الفتية : لعنك الله ولعن أمانك ! لئن كنت خالنا أتؤمِّننا وابن رسول الله لا أمانَ له ! قال : ثمّ إنّ عمر بن سعد نادى :

٣١٨/٢ يا خيلَ اللهِ اركبى وأبشرى . فركِب فى الناس ، ثم زحف نحوَهم بعد صلاة العصر ، وحسين جالس أمامَ بيته محتبيًا بسيفه ، إذ خفق برأسه على ركبتَيْه ، وسمعتْ أخته زينب الصيحة فدنتْ من أخيها ، فقالت : يا أخى ، أما تسمع الأصوات قد اقتربت ! قال : فرفع الحسينُ رأسه فقال : إنّى رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : إنك تروح إلينا ؛ قال : فلطمتْ أختُه وجهَها وقالت : ياويلتا ! فقال : ليس لكِ الويل يا أُخيّة ، اسكُتى رحمكِ الرّحمن ! وقال العباس بن علىّ : يا أخى ، أتاك القومُ ؛ قال : فنهض ؛ ثم قال : يا عباس ، اركَب بنفْسى أنت يا أخى حتى تلقاهم فتقول لهم : ما لكم ؟ وما بَدَا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ؟ فأتاهم العباس ؛ فاستقبلهم فى نحو من عشرين فارسًا فيهم زهير بن القين وحبيب ابن مظاهر ، فقال لهم العباس : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟ قالوا : جاء أمر الأمير بأن نَعرِض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو ننازِلَكم ؛ قال : فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرِض عليه ما ذكرتم ؛ قال : فوقفوا ثم قالوا : القَه فأعلِمه ذلك ، ثمّ القَنا بما يقول ؛ قال : فانصرف العبّاس راجعًا يركض إلى الحسين يُخبره بالخبر ، ووقف أصحابُه يخاطبون القومَ ، فقال حبيب ابن مظاهر لزهير بن القين : كلِّم القومَ إن شئتَ . وإن شئتَ كلمتُهم ، فقال له زهير : أنت بدأت بهذا ، فكن أنت تكلّمهم ، فقال له حبيب بن مظاهر : أما والله لبئسَ القومُ عند الله غداً قومٌ يَقدَمون عليه قد قتلوا ذرّية نبيّه عليه السلام وعِترتَه وأهلَ بيته صلى الله عليه وسلم وعبّاد أهل هذا المصر المجتهدين

٣١٩/٢ بالأسحار ، والذاكرين اللهَ كثيراً ؛ فقال له عَزْرة بن قيس : إنك لتُزكّى

نفسك ما استطعتَ؛ فقال له زهير : ياَ عزْرة، إنّ الله قد زكّاها وهداها ، فاتّق الله يا عزرةفإني لك من الناصحين ، أنشُدُك اللهَ يا عَزْرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكيّة! قال : يا زهير ، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت ، إنما كنتَ عثمانياًّ ؛ قال : أفَلستَ تستدلّ بموقفي هذا أنّي منهم! أما والله ما كتبتُ إليه كتاباً قطّ ، ولا أرسلتُ إليهرسولا قطّ ، ولاوعدتُه نُصرتي قطّ ، ولكن الطريق جمع بيني وبينه ، فلما رأيته ذكرتُ به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ومكانَه منه ، وعرفتما يقدم عليه من عدوّه وحزبكم ، فرأيت أن أنصرَه ، وأن أكون في حزبه ، وأن أجعل نفسي دونَ نفسه ، حِفظاً لما ضيّعتم من حقّ الله وحقّ رسوله عليه السلام . قال : وأقبل العبّاس بن عليّ يركض حتى انتهى إليهم ، فقال : ياهؤلاء ، إنّ أبا عبد الله يسألكم أنتَنصرفوا[1] هذه العشيّة حتى ينظر في هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يجْرِ بينكم وبينه فيه مَنطقٌ ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فإمّا رضيناه فأتينا بالأمر الذى تسألونه وتسومونه ، أو كرهْنا فرددْناه ، وإنما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتى يأمر بأمره ، ويوصِي أهلَه ، فلما أتاهم العباس بن عليّ بذلك قال عمر بن سعد : ما ترىيا شمِر ؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأى رأيك ؛ قال : قد أردت ألّا أكون ؛ ثم أقبل على الناس فقال : ماذا ترون ؟ فقال عمرو بن الحجّاج بن سلمة الزُّبيديّ : سبحان الله ! والله لو كانوا من الدّيلم ثم سألوك هذه المنزلةَ لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها ؛ وقال قيس بن الأشعث : أجِبْهم إلى ما سألوك ، فلَعَمرى ليصبحُنّك بالقتال غُدْوة ؛ فقال : والله لو أعلم أن يفعلوا ما أخرجتُهم العشيّة ؛ قال : وكان العباس بن عليّ حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجِع إليهم ، فإناستطعتَ أنتؤخّرَهم إلى غُدْوة وتدفَعَهمعند العشيّة لعلنا نصلّي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يَعلم أني قد كنتُ أحبّ الصلاةَ له وتلاوةَ كتابه وكثْرةَ الدعاء والاستغفار!

٢/٣٢٠

قال أبو مخنف : حدّثني الحارث بن حَصيرة ، عن عبد الله بن شريك

---

(١) ابن الأثير : « أن تنصرفوا عنا » .

العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين قال : أتانا رسولٌ مِن قِبَل عمر بن سعد فقام مثل حيث يُسمَع الصوت فقال : إنا قد أجّلنا كم إلى غد ، فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى أميرنا عُبيد الله بن زياد ، وإن أبيتم فلسنا تارِكيكُم .

قال أبو مخنف : وحدّثنى عبدالله بن عاصم الفائشىّ ، عن الضحاك بن عبد الله المشرقى — بَطْن من هَمْدان — أنّ الحسين بنَ علىّ عليه السلام جمع أصحابه .

قال أبو مِخْنف : وحدّثنى أيضًا الحارث بن حَصيرة ، عن عبدالله بن شريك العامرىّ ، عن علىّ بن الحسين ، قالا : جمع الحسين أصحابَه بعد ما رجع عمر بن سعد ، وذلك عند قرب المساء ، قال علىّ بن الحسين : فدنوتُ منه لأسمع وأنا مريض ، فسمعتُ أبى وهو يقول لأصحابه : أُثنى على الله تبارك وتعالى أحسنَ الثناء ، وأحمده على السرّاء والضرّاء ، اللهمّ إنّى أحمدك على ٢/٣٢١ أن أكرمتنا بالنبوّة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقّهتنا فى الدين ، وجعلت لنا أسماعًا وأبصاراً وأفئدة ، ولم تجعلنا من المشركين ؛ أما بعد ، فإنى لا أعلم أصحابًا أولَى ولا خيراً من أصحابى ، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصلَ من أهل بيتى ، فجزاكم الله عنى جميعًا خيراً ؛ ألا وإنى أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً ، ألا وإنى قد رأيت[1] لكم فانطلقوا جميعًا فى حلّ ، ليس عليكم مِنّى ذِمام ، هذا ليلٌ قد غَشِيَكم ، فاتّخِذوه جَمَلا .

قال أبو مخنف : حدّثنا عبد الله بن عاصم الفائشىّ — بطن من هَمْدان — عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : قدمت ومالك بن النضر الأرحبىّ على الحسين ، فسلّمنا عليه ، ثم جلسنا إليه ، فردّ علينا ، ورحّب بنا ، وسألنا عما جئنا له ، فقلنا : جئنا لنسلّم عليك ، وندعوَ الله لك بالعافية ، ونحدِثَ بك عهداً ، ونخبرك خبر الناس ، وإنا نحدّثك أنهم قد جمعوا على حربك فرَ رأيك . فقال الحسين عليه السلام : حسبى الله ونعم الوكيل ! قال : فتذممنا وسلمنا عليه ، ودعَوْنا اللهَ له ، قال : فما يمنعكما من نُصرتى ؟ فقال مالك ابن النّضر : علىّ دَين ، ولى عيال ، فقلتُ له : إنّ علىّ دَينًا ، وإنّ لى لعيالا ، ولكنك إن جعلتنى فى حِلٍّ من الانصراف إذا لم أجد مقاتلاً قاتلت

---

(١) ابن الأثير : « أذنت » .

عنك ما كان لك نافعاً ، وعنك دافعاً ! قال : قال: فأنت فى حلّ ؛ فأقمتُ معه ، فلما كان الليل قال: هذا الليل قد غشيكم ، فاتّخذوه جملا ، ثم ليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى ، تفرّقوا فى سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله ، فإنّ القوم إنما يطلبونى ، ولو قد أصابونى لهَوْا عن طلب غيرى ؛ فقال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وابنا عبد الله بن جعفر : لِمَ نفعل لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك أبداً ؛ بدأهم بهذا القول العباس بن علىّ . ثم إنهم تكلّموا بهذا ونحوه ، فقال الحسين عليه السلام: يا بنى عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم ، اذهبوا قد أذنتُ لكم ؛ قالوا : فما يقول الناس[1] ! يقولون إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبنى عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرْم معهم بسهم ، ولم نطعن معهم برُمح ، ولم نضربْ معهم بسيف ، ولا ندرى ما صنعوا ! لا والله لا نفعل، ولكن تَفديك[2] أنفسنا وأموالُنا وأهلُونا ، ونقاتل معك حتى نَرِدَ مَوردَك ، فقبح الله العيشَ بعدَك ! ٣٢٢/٢

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم ، عن الضّحاك بن عبد الله المِشرقىّ، قال: فقام إليه مسلم بن عَوْسجة الأسدىّ فقال: أنحنُ نخلّى عنك ولمّا نُعذِر إلى الله فى أداء حقك ! أما والله حتى أكسرَ فى صدورهم رُمْحى ، وأضربَهم بسيفى ما ثبت قائمُه فى يدى، ولا أفارقك ؛ ولو لم يكن معى سلاح أقاتلُهم به لقذفتُهم بالحجارة دونَك حتى أموت معك . قال: وقال سعيد[3] بن عبد الله الحنفىّ: والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فيك، والله لو علمتُ أنى أقتل ثم أحيا ثم أُحرق حيًّا ثم أذرّ ؛ يُفعَلُ ذلك بى سبعين مرّة ما فارقتُك حتى ألقى حِمامى دونَك ، فكيف لا أفعل ذلك ! وإنما هى قَتْلة واحدة ، ثم هى الكرامة التى لا انقضاء لها أبداً . ٣٢٣/٢

قال : وقال زهير بن القَيْن : والله لوددتُ أنّى قُتِلت ثم نشِرت ثم قتِلت حتى أقتلَ كذا ألف قتلة ، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس

---

(١) ابن الأثير : « فما نقول للناس » .

(٢) ابن الأثير : « نفديك » .

(٣) ط : « سعد » تحريف .

هؤلاء الفتية من أهل بيتك . قال : وتكلم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضُه بعضًا فى وجه واحد، فقالوا : والله لا نفارقُك ، ولكنّ أنفسنا لك الفداء، نَقيك بنحورنا وجِباهنا وأيدينا ، فإذا نحن قُتِلنا كنّا وفّينا ، وقَضَينا ما علينا .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحارث بن كعب وأبو الضّحاك ، عن علىّ ابن الحسين بن علىّ قال : إنى جالس فى تلك العشيّة التى قُتِل أبى صبيحتَها ، وعمّتى زينب عندى تمرّضنى ، إذ اعتزل أبى بأصحابه فى خِباء له ، وعنده حُوَىّ ، مولَى أبى ذرّ الغِفارىّ ، وهو يعالج سيفَه ويصلِحُه وأبى يقول :

يا دهرُ أفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراقِ والأَصيل
مِن صاحبٍ أو طالبٍ قتيل ... والدّهرُ لا يقنعُ بالبَدِيل
وإنما الأَمرُ إلى الجليلِ ... وكلُّ حىٍّ سالكُ السّبيل

قال : فأعادها مرّتين أو ثلاثا حتى فهمتُها، فعرفتُ ما أراد ، فخنقتْنى عَبرتى ، فرددتُ دمعى ولزمت السكون ، فعلمتُ أنّ البلاء قد نزل ؛ فأما عمّتى فإنها سمعتْ ما سمعتُ ، وهى امرأة ، وفى النساء الرِّقّة والجَزَع ، فلم تملكْ نفسها أن وثبتْ تجرّ ثوبَها ، وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه ؛ فقالت : واثكْلاه ! ليت الموتَ أعدَمَنى الحياةَ ! اليوم ماتت فاطمة أمى وعلىّ أبى وحسن أخى ، يا خليفة الماضى ، وثِمال الباقى ؛ قال : فنظر[1] إليها الحسين ٢/٣٢٤ عليه السلام فقال : يا أُخَيّة ، لا يُذهِبَنّ حِلمك الشيطان؛ قالت : بأبى أنت وأمى يا أبا عبد الله ! استقتلتَ نفسى فِداك ؛ فردّ غُصّته ، وترقرقتْ عيناه ، وقال : لو ترِك القَطَا لَيْلاً لنام ؛ قالت : يا ويلَتى ، أفتغصب نفسك اغتصابًا ، فذلك أقرَح لقلبى ، وأشدّ على نفسى! ولطمتْ وجهَها ، وأهوَتْ إلى جَيْبها وشقّته ، وخرّت مغشيًّا عليها ، فقام إليها الحسين فصبّ على وجهها الماء ، وقال لها : يا أُخيّة ، اتّقى الله وتعزَّىْ بعزاء الله ، واعلمى أنّ أهلَ الأرض يموتون ، وأنّ أهل السماء لا يَبقوْن ، وأنّ كلّ شىء هالكٌ

(١) ابن الأثير : « فذهب فنظر إليها » .

إلا وجه الله الذى خلق الأرض بقدرته ، ويبعث الخلق فيعودون ، وهو فرد وحدَه ، أبى خيرٌ منى ، وأمى خيرٌ منى ، وأخى خيرٌ منى ، ولى ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة ؛ قال : فعزّاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أخيّة ، إنى أقسم عليك فأبرّى قسَمى ، لا تشقّى علىّ جيبًا ، ولا تَخمشى علىّ وجهًا ، ولا تَدْعى علىّ بالوَيْل والثّبُور إذا أنا هلكتُ ؛ قال : ثم جاء بها حتى أجلسها عندى ، وخرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقرّبوا بعضَ بيوتهم من بعض ، وأن يُدخلوا الأطناب بعضها فى بعض ، وأن يكونوا هم بين البيوت إلا الوجه الذى يأتيهم منه عدوّهم .

قال أبو مخنف : عن عبد الله بن عاصم، عن الضحّاك بن عبد الله المِشْرَقىّ ، قال : فلما أمسى حسين وأصحابه قاموا الليلَ كلّه يصلّون ويستغفرون ، ويَدْعون ويتضرّعون ؛ قال : فتمرّ بنا خيلٌ لهم تحرسنا ، وإنّ حسينًا ليقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(١). فسمعَها رجل من تلك الخيل التى كانت تحرسنا ، فقال : نحن وربِّ الكعبة الطيّبون، مُيِّزنا منكم. قال : فعرفتُه فقلتُ لبُرَير بن حُضَير : تدرى مَن هذا ؟ قال : لا ؛ قلت هذا أبو حَرْب السَّبِيعىّ عبد الله بن شهر – وكان مِضْحاكًا بَطّالا ، وكان شريفًا شُجاعًا فاتكًا ، وكان سعيد بن قيس ربما حبسه فى جناية – فقال له بُرَير بن حُضَير : يا فاسق، أنت يجعلك الله فى الطيّبين! فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا بُرَيْر بن حُضَير ؛ قال : إنا لله! عزّ علىّ ! هلكت والله ، هلكت والله يا بُرَير! قال : يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام ! فوالله إنا لنحن الطيّبون ، ولكنكم لأنتم الخَبيثون ؛ قال : وأنا على ذلك من الشاهدين ، قلتُ : ويحك ! أفلا ينفعك معرفتُك ! قال : جُعلت فداك ! فمن ينادم يزيدَ بن عذرة العَنَزىّ من عَنَز بن وائل ! قال : ها هو ذا معى ؛ قال : قبح الله رأيَك على كلّ حال! أنت سفيه . قال : ثم انصرف

٣٢٥/٢

(١) سورة آل عمران:١٧٨ ، ١٧٩ .

عنّا ، وكان الذى يحرُسنا بالليل فى الخيل عـَزْرة بن قيس الأحْمسىّ ، وكان على الخيل ؛ قال : فلما صلّى عمر بن سعد الغداةَ يوم السبت — وقد بلغَنا أيضًا أنه كان يوم الجمعة ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء — خرج فيمن معه من الناس .

قال : وعبّأ الحسين أصحابَه ، وصلّى بهم صلاةَ الغَداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارسًا وأربعون راجلا ، فجعل زهير بنَ القين فى ميمنة أصحابه ، وحبيبَ بن مُظاهر فى ميسرة أصحابه ، وأعطَى رايتَه العباس بن علىّ أخاه ، وجعلوا البيوت فى ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيُوت يُحرق بالنار مخافةَ أن يأتوهم من ورائهم . قال : وكان الحسين عليه السلام أتى بقصب وحطب إلى مكان من ورائهم منخفِض كأنه ساقية ، فحفروه فى ساعة من الليل ، فجعلوه كالخندق ، ثمّ ألقَوْا فيه ذلك الحطب والقصب ، وقالوا : إذا عـَدَوْا علينا فقاتَلُونا ألقَيْنا فيه النار كيلا نُؤتَى من ورائنا ، وقاتلنا القوم من وجه واحد . ففعلوا ، وكان لهم نافعًا .

٢/٣٢٦

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضيل بن خَديج الكندىّ ، عن محمد بن بشر ، عن عَمرو الحضرمىّ ، قال : لما خرج عمر بن سعد بالناس كان على رُبْع أهل المدينة يومئذ عبدُالله بن زهير بن سُليم الأزدىّ ، وعلى رُبْع مَذْحِج وأسَد عبدالرحمن بن أبى سَبْرة الجعفىّ[1] ، وعلى رُبْع ربيعة وكِنْدة قيس بن الأشعث بن قيس ، وعلى ربع تميم وهَمْدان الحرّ بن يزيد الرّياحىّ ؛ فشهد هؤلاء كلُّهم مَقتلَ الحسين إلا الحُرّ بن يزيد فإنه عدل إلى الحسين ، وقُتل معه . وجعل عمرُ على ميمنته عَمْرو بنَ الحجّاج الزُّبيدىّ ، وعلى ميسرته شَمِر بن ذى الجوْشن بن شُرَحبيل بن الأعور بن عمر بن معاوية — وهو الضِّباب بن كلاب — وعلى الخيل عَزْرة بن قيس الأحمسىّ ، وعلى الرّجال شَبَث بن رِبْعىّ الرياحىّ ، وأعطى الراية ذُوَيدًا[2] مولاه .

قال أبو مخنف : حدّثنى عَمرو بن مرّة الجمَلىّ ، عن أبى صالح الحنفىّ ،

---

(١) ط : «الحنفى» ، وانظر الفهرس .

(٢) ابن الأثير : « دريداً » .

عن غلام لعبد الرّحمن بن عبد ربّه الأنصاريّ ، قال : كنت مع مولاى ، ٢/٣٢٧
فلما حضر الناس وأقبلوا إلى الحسين ، أمر الحسينُ بفُسطاط فضُرب ، ثم أمر
بمسك فَميثَ فى جَفْنة عظيمة أو صَحْفة ؛ قال : ثم دخل الحسين ذلك
الفُسْطاطَ فتطلَّى بالنُّورة. قال : ومولاى عبدُ الرحمن بنُ عبد ربّه وبُرَير
ابن حُضَير الهمْدانىّ على باب الفُسْطاط تحتكّ مناكبهما ، فازدحما
أيهما يَطّلى على أثره ، فجعل بُرَير يهازل عبدَ الرحمن ، فقال له عبدالرحمن :
دعنا ، فوالله ما هذه بساعة باطل ، فقال له بُرَير : والله لقد علِم قومى أنى
ما أحببتُ الباطلَ شابًّا ولا كَهْلا ، ولكنْ والله إنّى لمستبشرٌ بما نحن لاقُون ،
والله إنْ بيننا وبين الُحور العين إلا أن يميل هؤلاء علينا بأسيافهم ، ولَوددتُ
أنهم قد مالوا علينا بأسيافهم. قال : فلما فرغ الحسين دخلنا فاطّلينا ؛ قال :
ثمّ إنّ الحسين ركب دابّته ودعا بمصحف فوضعه أمامَه؛ قال : فاقتتل
أصحابُه بين يديه قتالا شديداً ، فلما رأيتُ القوم قد صُرِعوا أفلتّ وتركتُهم .

قال أبو مخنف ، عن بعض أصحابه، عن أبى خالد الكاهلىّ، قال :
لما صبّحت الخيل الحسينَ رفع الحسين يديه، فقال : اللهمّ أنت ثقتى فى كلّ
كرب ، ورجائى فى كلّ شدّة ، وأنت لى فى كلّ أمر نزل بى ثقة وعُدّة ،
كم من همّ يَضعُف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة ، ويخذل فيه الصديق ،
ويَشمَت فيه العدوّ ، أنزلتُه بك ، وشكوته إليك، رغبةً منى إليك عمّن
سواك ، ففرّجتَه وكشفتَه ، فأنت ولىّ كلّ نعمة ، وصاحب كلّ حسنة ،
ومُنتَهَى كلّ رغبة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الله بن عاصم، قال : حدّثنى الضحّاك ٢/٣٢٨
المِشرقىّ، قال : لما أقبلوا نحونا فنظروا إلى النار تضطرم فى الحطب والقصب
الذى كنا ألهبنا فيه النار من ورائنا لئلا يأتونا مِن خلفنا، إذْ أقبل إلينا منهم
رجل يَركُض على فرس كامل الأداة، فلم يكلّمنا حتى مرّ على أبياتنا ، فنظر
إلى أبياتنا فإذا هو لا يرى إلاّ حطبًا تلتهب النار فيه ، فرجع راجعًا ، فنادى
بأعلى صوته : يا حسين ، استعجلتَ النارَ فى الدنيا قبل يوم القيامة ! فقال

الحسين : مَن هذا ؟ كأنه شَمِر بن ذى الجَوْشن! فقالوا : نعم ، أصلحك الله ! هو هو ، فقال : يابن راعية المِعْزَى ، أنت أوْلى بها صليًّا ؛ فقال له مسلم بن عَوْسَجَة : يابن رسول الله ، جُعِلتُ فداك! ألا أرميه بسهم! فإنه قد أمكننى ، وليس يَسقُط [منّى] سهم ، فالفاسق من أعظم الجبّارين ؛ فقال له الحسين : لا ترمه ، فإنى أكره أن أبدأهم ؛ وكان مع الحسين فرس له يُدْعى لاحقًا حمل عليه ابنَه علىّ بن الحسين ؛ قال : فلما دنا منه القوم عاد براحلته فركبها ، ثم نادى بأعلى صوته دُعاءً يُسمِع جُلّ الناس : أيها الناس ؛ اسمَعوا قولى ، ولا تُعجِلونى حتى أعِظَكم بما لحقّ لكم علىّ ، وحتى أعتذرَ إليكم من مَقدَمى عليكم ، فإن قبلتم عذرى ، وصدّقتم قولى ، وأعطيتمونى النَّصف ، كنتم بذلك أسعد ، ولم يكن لكم علىّ سبيل ، وإن لم تقبلوا منّى العذر ، ولم تُعطُوا النَّصَف من أنفسكم ﴿فأجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾(١) ؛ ﴿إِنَّ وَلِيِّىَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾(٢) . قال : فلما سمع أخواته كلامه هذا صِحْن وبكين ، وبكى بناته فارتفعت أصواتُهن ، فأرسل إليهنّ أخاه العباس ابن علىّ وعليًّا ابنه ، وقال لهما : أسْكِتاهنّ ، فلعَمرى ليكثُرنّ بكاؤهنّ ؛ قال : فلما ذهبا ليُسكتاهنّ قال : لا يَبْعد ابن عباس ؛ قال : فظننا أنه إنما قالها حين سُمِع بكاؤهنّ ، لأنه قد كان نهاه أن يخرج بهنّ ، فلما سكتن حَمِد الله وأثنى عليه ، وذكَر اللهَ بما هو أهلُه ، وصلى على محمّد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه ، فذكر من ذلك ما الله أعلم وما لا يُحصى ذكرُه .

٢/ ٣٢٩

قال : فوالله ما سمعتُ متكلّمًا قطّ قبلَه ولا بعدَه أبلغَ فى منطق منه ؛ ثم قال : أمّا بعد ، فانسبونى فانظروا مَن أنا ، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها ، فانظروا ؛ هل يحلّ لكم قتلى وانتهاكُ حرمتى ؟ ألستُ ابنَ بنت نبيّكم صلى الله عليه وسلم وابنَ وصيّه وابن عمّه ، وأوّل المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه ! أوَ ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبى ! أوَ ليس جعفر الشهيد الطيّار

---

(١) سورة يونس: ٨١ .

(٢) سورة الأعراف: ١٩٦ .

ذو الجناحين عمّى! أوَلم يبلغْكم قول مستفيض فيكم: إنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لى ولأخى: «هذان سيّدا شباب أهل الجنة»! فإن صدّقتمونى بما أقول — وهو الحقّ — فوالله ما تعمّدت كذبًا مذ علمتُ أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتمونى فإنّ فيكم مَن إن سألتموه عن ذلك أخبرَكم؛ سَلُوا جابرَ بنَ عبد الله الأنصاريّ، أو أبا سعيد الخُدْرىّ، أو سهل بن سعد الساعدىّ، أو زيد بن أرقم، أو أنس بن مالك؛ يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لى ولأخى. أفَما فى هذا حاجز لكم عن سَفْك دمى! فقال له شَمِر بن ذى الجوشن: هو يَعبد الله على حَرْف إن كان يدرى ما يقول! فقال له حبيب بن مُظاهر: والله إنى لأراك تَعبُد الله على سبعين حرفًا، وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول؛ قد طبع اللهُ على قلبك؛ ثم قال لهم الحسين: فإنْ كنتم فى شكّ من هذا القول أفتشكّون أثَرًا ما أنّى ابنُ بنت نبيّكم! فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيرى منكم ولا من غيركم، أنا ابن بنتِ نبيّكم خاصّة. أخبرونى، أتطلبونى بقتيل منكم قتلتُه، أو مالٍ لكم استهلكته، أو بقِصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه؛ قال: فنادى: يا شَبَث بن رِبْعىّ، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلىّ أن قد أينعَت الثمار، واخضرّ الجَناب، وطمّت الجمام[1]، وإنما تقدُم على جند لك مُجنَّد، فأقبِلْ! قالوا له: لم نفعل؛ فقال: سبحان الله! بلى والله، لقد فعلتم؛ ثم قال: أيها الناس، إذْ كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمَنى من الأرض؛ قال: فقال له قيس بن الأشعث: أوَلا تنزل على حكم بنى عمّك، فإنهم لن يُرُوك إلا ما تحبّ، ولن يصل إليك منهم مكروه؟ فقال الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثرَ من دم مسلم بن عَقِيل؛ لا والله لا أعطيهم بيدى إعطاء الذليل، ولا أقرّ إقرارَ العبيد. عباد الله، إنى عُذْتُ بربّى وربّكم أن ترجُمون

٢/٣٣٠

(١) طم الماء: علا وغمر. والجمام: جمع جمة؛ وهو المكان يجتمع فيه الماء.

٢/٣٣١ أعوذ بربى وربكم من كلّ متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب؛ قال : ثمّ إنه أناخ راحلته ، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها ، وأقبلوا يزحفون نحوه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى علىّ بن حنظلة بن أسعد الشامىّ ، عن رجل من قومه شهد مقتلَ الحسين حين قُتِل يقال له كثير بن عبد الله الشعبىّ ؛ قال : لما زحفنا قِبَل الحسين خرج إلينا زُهير بن قَيْن على فرس له ذَنوب[1] ، شاكٍ فى السلاح ، فقال : يا أهلَ الكوفة ، نَذارِ لكم من عذاب الله نَذارِ ! إنّ حقًّا على المسلم نصيحةَ أخيه المسلم ، ونحن حتى الآن إخوة ، وعلى دين واحد وملّة واحدة ، ما لم يقع بيننا وبينكم السيف ، وأنتم للنصيحة منا أهلٌ ، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة ، وكنا أمّة وأنتم أمة ، إنّ الله قد ابتلانا وإياكم بذرّيّة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون ، إنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عُبيد الله بن زياد ، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عُمْرَ سلطانهما كلّه ، ليسملانّ أعينكم ، ويقطّعانّ أيديكم وأرجلكم ، ويمثّلانّ بكم ، ويرفعانكم على جُذوع النخل ، ويقتّلانّ أماثلكم وقُرّاءكم ، أمثال حُجر بن عَدىّ وأصحابه ، وهانئ بن عروة وأشباهه ؛ قال : فسبّوه ، وأثنَوا على عُبيد الله بن زياد ، ودعَوا له ، وقالوا : والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومَنْ معه ، أو نبعثَ به وبأصحابه إلى الأمير عُبيد الله سِلْمًا ؛ فقال لهم : عبادَ الله ، إنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحقّ بالودّ والنصر من ابن سُميّة ، فإنْ لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم ؛ فخلّوا بين الرجل وبين ابن عمه يزيدَ بن معاوية ، فلعَمرى إنّ يزيد ليرضى من طاعتكم بدون ٢/٣٣٢ قتل الحسين ؛ قال : فرماه شَمِر بن ذى الجوْشن بسهم وقال : اسكتْ أسكتَ الله نأمَتك ، أبرمْتَنا بكثرة كلامك ! فقال له زهير : يا بنَ البوّال على عَقِبيه ، ما إيّاك أخاطب ، إنما أنت بهيمة ، والله ما أظنك تُحكِم من كتاب الله آيتَين ، فأبشِرْ بالخزى يومَ القيامة والعذاب الأليم ؛ فقال له شمِر : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة ؛ قال : أفبالموت تُخوّفنى !

---

[1] فرس ذنوب : وافر شعر الذنب .

فوالله للموت معه أحبّ إلىّ من الخُلد معكم ؛ قال : ثمّ أقبل على الناس رافعًا صوته ، فقال : عبادَ الله، لايغرّنّكم من دينكم هذا الجِلْف الجافى وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعةُ محمد صلى الله عليه وسلم قومًا هَراقوا دماء ذُرّيته وأهل بيته ، وقتلوا مَن نصرهم وذبّ عن حريمهم ؛ قال: فناداه رجل فقال له : إنّ أبا عبد الله يقول لك : أقبل ، فلَعمرى لئن كان مؤمنُ آل فرعون نصح لقومه وأبلَغ فى الدعاء، لقد نصحتَ لهؤلاء وأبلغتَ لو نفع النصح والإبلاغ !

قال أبو مخنف : عن أبى جَناب الكَلْبىّ ، عن عدىّ بن حرمَلة ، قال : ثمّ إنّ الحُرّ بن يزيد لما زحف عمر بن سعد قال له : أصلحك الله! مُقاتِلٌ أنت هذا الرجل ؟ قال: إى والله قتالاً أيسرُه أن تسقط الرءوسُ وتطيح الأيدى ؛ قال: أفما لكم فى واحدة من الخصال التى عرض عليكم رضًا ؟ قال عمر بن سعد : أما والله لو كان الأمر إلىّ لفعلت ، ولكنّ أميرَك قد أبى ذلك ؛ قال : فأقبل حتى وقف من الناس موقفًا ، ومعه رجل من قومه يقال له قرّة بن قيس ، فقال : يا قرّة ، هل سقيتَ فرسَك اليوم ؟ قال : لا ؛ قال : إنما تريد أن تسقيَه ؟ قال : فظننت والله أنه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتالَ ، وكره أن أراه حين يصنع ذلك ، فيخاف أن أرفعه عليه ؛ فقلت له : لم أسقه ، وأنا منطلق فساقيه ؛ قال : فاعتزلت ذلك المكانَ الذى كان فيه ؛ قال : فوالله لو أنه أطلعنى على الذى يريد لخرجت معه إلى الحسين ؛ قال : فأخذ يدنو من حُسَين قليلاً قليلاً ، فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر ابن أوس : ما تريد يابن يزيدَ ؟ أتريد أن تحمل ؟ فسكت وأخذه مثل العُرَوَاء[1] ، فقال له يابن يزيد ، والله إنّ أمرك لمريب ، والله ما رأيتُ منك فى موقف قطّ مثلَ شىء أراه الآن ، ولو قيل لى : مَن أشجع أهلِ الكوفة رجلا ما عدوْتُك ، فما هذا الذى أرى منك ! قال : إنى والله أخيّر نفسى بين الجنة والنار ، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطِّعتُ وحُرّقت ؛ ثم ضرب فرسَه فلحق بحسين عليه السلام ، فقال له : جعلنى الله فداك يابن رسول الله ! أنا صاحبك الذى حبستُك عن الرجوع ، وسايرتُك فى الطريق ،

٢٣٣/٢

(١) العرواء كغلواء : الرعدة تكون من الحمّى .

وجَعجعتَ بك فى هذا المكان ، والله الذى لا إله إلا هو ما ظننت أنّ القوم يردّون عليك ما عرضتَ عليهم أبداً ، ولا يبلغون منك هذه المنزلة . فقلت فى نفسى : لاأبالى أن أطيع القوم فى بعض أمرهم ، ولا يرون أنى خرجتُ من طاعتهم ، وأمّا هم فسيقبلون من حسين هذه الخصالَ التى يعرض عليهم ، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ماركبتُها منك؛ وإنّى قد جئتك تائباً مما كان ٣٢٤/٢ منى إلى ربى ، ومواسياً لك بنفسى حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك لى توبة ؟ قال : نعم ، يتوب الله عليك ، ويغفر لك ، ما اسمك ؟ قال : أنا الُحرّ بن يزيد ؛ قال : أنت الُحرّ كما سمّتك أمك ، أنت الحرّ إن شاء الله فى الدنيا والآخرة ؛ انزلْ ؛ قال : أنا لك فارساً خيرٌ منّى راجلاً ، أقاتلهم على فرسى ساعة ، وإلى النزول ما يصير آخر أمرى . قال الحسين : فاصنع يرحمك الله ما بدا لك . فاستقدم أمامَ أصحابه ثم قال : أيّها القوم، ألا تقبلون من حسين خَصلةً من هذه الخصال التى عرض عليكم فيعافيَكم الله من حربه وقتاله ؟ قالوا : هذا الأمير عمر بن سعد فكلّمْه، فكلّمَه بمثل ما كلمه به قبل، وبمثل ما كلّم به أصحابه؛ قال عمر : قد حرصتُ ، لو وجدتُ إلى ذلك سبيلاً فعلت ، فقال : يا أهل الكوفة ، لأمّكم الهَبَل والعُبْر[١] إذْ دعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتُموه ، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ، ثم عدوتم عليه لتقتلوه ،أمسكتم بنفسه، وأخذتم بكَظْمه ، وأحطتم به من كل جانب ، فمنعتموه التوجّهَ فى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهلُ بيته ، وأصبح فى أيديكم كالأسير لا يَملك لنفسه نفعاً ، ولا يَدفع ضرًّا ، وحلأتموه[٢] ونساءه وأصَيْبِيَتَه وأصحابه عن ماء الفرات الجارى الذى يشربه اليهودىّ والمجوسىّ والنصرانىّ ، وتمرّغُ[٣] فيه خنازير السواد وكلابه،وهاهم أولاءقدصرعهم العطش، بئسما خلَفتم محمّداً فى ذريته ! لا سقاكم الله يومَ الظمإ إن لم تتوبوا وتَنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا فى ساعتكم هذه . فحملتْ عليه رَجّالة ٣٢٥/٢

(١) العبر : سخنة العين .

(٢) حلأتموه عن الماء : صددتموه عنه ومنعتموه إياه . وفى ابن الأثير : « ومنعتموه » .

(٣) ابن الأثير : « ويتمرغ » .

لهم ترميه بالنَّبل ؛ فأقبل حتى وقف أمام الحسين .

قال أبو مخنف ، عن الصَّقعب بن زهير وسليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : وزحف عمر بن سعد نحوَهم ، ثمّ نادى : يا ذويْد ، أدْنِ رايتَك ؛ قال : فأدناها ثم وضع سهمَه فى كَبِد قوسه ، ثمّ رمى فقال : اشهَدوا أنى أوّل مَنْ رمى .

قال أبو مخنف : حدَّثنى أبو جناب ، قال : كان منّا رجل يُدعَى عبدَ الله بن عُمير ، من بنى عُلَيم ، كان قد نزل الكوفة ، واتّخذ عند بئر الجَعْد من هَمْدان داراً ، وكانت معه امرأةٌ له من النَّمِر بن قاسط يقال لها أمّ وهب بنت عبد ، فرأى القوم بالنُّخيلة يُعرَضون ليُسرَّحوا إلى الحسين ، قال : فسأل عنهم ، فقيل له : يسرَّحون إلى حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : والله لقد كنتُ على جهاد أهل الشرك حريصًا ، وإنى لأرجو ألّا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيّهم أيسرَ ثوابًا عند الله من ثوابه إيّاى فى جهاد المشركين ؛ فدخل إلى امرأته فأخبرها بما سمع ، وأعلمها بما يريد ، فقالت : أصبتَ أصاب الله بك أرشدَ أمورك ، افعلْ وأخرجْنى معك ؛ قال : فخرج بها ليْلاً حتى أتى حسيناً ، فأقام معه ، فلما دنا منه عمر بن سعد ورمى بسهم ارتمى الناس ، فلما ارتموْا خرج يسار مولَى زياد بن أبى سفْيان وسالم مولى عُبيد الله بن زياد ، فقالا : مَنْ يبارزْ؟ ليخرجْ إلينا بعضُكم ، قال : فوثب حبيب بن مُظاهر وبُرَيْر بن حُضَيْر ، فقال لهما حسين : اجلسا ؛ فقام عبد الله بن عمير الكلبىّ فقال : أبا عبد الله ، رحمك الله ! ائذن لى فلأخرج إليهما ؛ فرأى حسين رجُلا آدم طويلا شديدَ الساعدين بعيدَ ما بين المنكبين ، فقال حسين : إنّى لأحسبه للأقران قتّالا ، اخرجْ إن شئتَ ؛ قال : فخرج إليهما ، فقالا له : مَنْ أنت ؟ فانتسب لهما ، فقالا : لا نعرفك ، ليخرجْ إلينا زهير بن القَيْن أو حبيب بن مُظاهر أو بُرَير بن حُضَير ، ويسار مُستنتِلٌ[1] أمامَ سالم ، فقال له الكلبىّ : يابن الزانية ، وبك رغبةٌ عن مُبارَزة أحد من الناس ، وما يخرج إليك أحد من الناس إلا وهو

٢/٣٣٦

(١) استنتل للأمر : استعدّ له .

خير منك ؛ ثمّ شدّ عليه فضربه بسيفه حتى برد ، فإنه لمشتغل به يضربه بسيفه إذ شدّ عليه سالم ، فصاح به : قد رَهِقك العبد ؛ قال : فلم يأبه له حتى غشيه فبدَره الضَّربة ، فاتّقاه الكلبيّ بيده اليسرى ، فأطار أصابع كفّه اليسرى ، ثم مال عليه الكلبيّ فضربه حتى قتله ، وأقبل الكلبيّ مرتجِزا وهو يقول ، وقد قتلهما جميعًا :

إنْ تُنكِرونى فأنا ابن كلبِ حَسْبى بَيْتِى فى عُلَيمٍ حَسْبى

إنى امرُؤٌ ذو مِرّة وَعصْبِ ولستُ بالخَوَّارِ عندَ النَّكْبِ

إنِّى زعيمٌ لكِ أمَّ وهب بالطعنِ فيهمْ مُقدِماً والضربِ

* ضَرْبِ غُلام مؤْمنٍ بِالرَّبِّ *

٢/٣٢٧ فأخذتْ أمّ وهب امرأته عموداً ، ثم أقبلتْ نحو زوجها تقول له : فداك أبى وأمى ! قاتِلْ دون الطيِّبين ذريّة محمد ، فأقبل إليها يردّها نحو النّساء فأخذتْ تجاذب ثوبَه ، ثمّ قالت : إنى لن أدَعَك دون أن أموت معك ، فناداها[1] حسين ، فقال : جُزِيتم من أهلِ بيت خيراً ، ارجعى رحمكِ الله إلى النساء فاجلسى معهنّ ، فإنه ليس على النساء قتال ؛ فانصرفت إليهنّ . قال : وحَمَل عمرو بن الحجّاج وهو على ميمنة الناس فى الميمنة ، فلما أن دنا من حسين جَثَوْا له على الرُّكَب ، وأشرَعوا الرماح نحوهم ، فلم تقدم خيلهم على الرماح ، فذهبت الخيل لترجع ، فرَشَقُوهم بالنَّبل ، فصرعوا منهم رجالا ، وجَرَحوا منهم آخرين .

قال أبو مخنف : فحدّثنى حسين أبو جعفر ، قال : ثمّ إنّ رجلاً من بنى تميم — يقال له عبد الله بن حَوْزة — جاء حتى وقف أمام الحسين ، فقال : يا حسين ، يا حسين ! فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشرْ بالنار ؛ قال : كلّا ، إنى أقدِم على ربّ رحيم ، وشفيع مطاع ، مَن هذا ؟ قال له أصحابه : هذا ابن حَوْزة ؛ قال : ربِّ حُزْه إلى النار ؛ قال : فاضطرب به فرسُه فى

(١) ف : « فنادى » .

جدْوَل فوقع فيه، وتعلّقتْ رجلُه بالركاب، ووقع رأسُه في الأرض، ونَفَر الفرس، فأخذ يمرّ به فيضرب برأسه كلّ حجرٍ وكلّ شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف: وأمّا سُوَيد بن حيّة؛ فزعم لي أنّ عبد الله بن حَوْزة حين وقع فرسه بقيتْ رجلُه اليسرى في الرّكاب، وارتفعت اليُمنى فطارت، وعَدَا به فرسُه يضرب رأسه كلّ حَجَر وأصل شجرة حتى مات.

قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب، عن عبد الجبّار بن وائل الحضرميّ، عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنتُ في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأسَ الحسين، فأصيب به منزلةً عند عُبيد الله بن زياد؛ قال: فلما انتهينا إلى حسين تقدّم رجلٌ من القوم يقال له ابن حَوْزة، فقال: أفيكم حسين؟ قال: فسكَت حسينٌ؛ فقالها ثانية، فأسكت حتى إذا كانت الثالثة قال: قولوا له: نَعَم، هذا حسين، فما حاجتُك؟ قال: يا حسين، أبشرْ بالنار؛ قال: كذبتَ، بل أقدم على ربٍّ غفور وشفيع مطاع، فمَن أنت؟ قال: ابن حَوْزة؛ قال؛ فرفع الحسين يدَيه حتى رأينا بياض إبطَيْه من فوق الثياب ثم قال: اللهمّ حُزْه إلى النار؛ قال: فغضب ابن حَوْزة، فذهب ليُقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر؛ قال: فعلَقتْ قدمُه بالرّكاب، وجالت به الفرس فسقط عنها؛ قال: فانقطعت قدمه وساقُه وفخذُه، وبقيَ جانبه الآخر متعلقًا بالرّكاب. قال: فرجع مسروق وترك الخيلَ من ورائه؛ قال: فسألتُه، فقال: لقد رأيتُ من أهل هذا البيت شيئاً لا أقاتلهم أبداً؛ قال: ونشب القتال.

٣٢٨/٢

قال أبو مخنف: وحدّثني يوسف بن يزيد، عن عَفيف بن زهير بن أبي الأخنس — وكان قد شهد مَقتلَ الحسين — قال: وخرج يزيد بن معقل من بني عُميرة بن ربيعة وهو حليف لبني سَليمة من عبد القيس، فقال: يابُرَير ابن حُضَير، كيف ترى الله صَنَعَ بك! قال: صنع اللهُ واللهِ بي خيراً،

وصنع الله بك شرًّا ؛ قال : كذبتَ ، وقبل اليوم ما كنت كذّابًا ، هل تذكر وأنا أماشيك فى بنى لوذان وأنت تقول : إنّ عثمان بن عفان كان على نفسه مسرفًا ، وإنّ معاوية بن أبى سُفْيان ضالّ مُضلّ ، وإن إمام الهدى والحق علىّ بن أبى طالب ؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيى وقولى ؛ فقال له يزيد بن معقل: فإنّى أشهد أنك من الضالين ؛ فقال له بُرَيْر بن حُضَيْر : هل لك فلأُباهلْك[1] ، ولندعُ اللهَ أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل ، ثمّ اخرجْ فلأُبارزك ؛ قال : فخرجا فرفعا أيديَهما إلى الله يدعوانه أن يلعن الكاذب ، وأن يقتل المُحقُّ المبطلَ ؛ ثم برز كلّ واحدمنهما لصاحبه ، فاختلفا ضربتين ، فضرَب يزيدُ بن معقل بُرَيْر بن حُضير ضربةً خفيفة لم تضرّه شيئًا ، وضربه برير بن حُضير ضربةً قدّت المغفَر ، وبلغت الدّماغَ ، فخرّ كأنما هَوَى من حالق، وإن سيف ابنَ حُضَير لثابت فى رأسه ، فكأنى أنظر إليه يُنَضْنِضه[2] من رأسه، وحمل عليه رضىّ بن مُنقذ العبدىّ فاعتنق بُرَيرًا ، فاعتركا ساعةً . ثمّ إنّ بُريرًا قعد على صدره، فقال رضىّ : أين أهل المِصاع[3] والدفاع ؟ قال : فذهب كعب بن جابر بن عمرو الأزدىّ ليحمل عليه، فقلت : إنّ هذا بُرَيْر بن حُضير القارئ الذى كان يقرئنا القرآن فى المسجد ؛ فحمل عليه بالرّمح حتى وضعه فى ظهره ، فلمّا وجد مسّ الرّمح برك عليه فعضّ بوجهه ، وقطع طرف أنفه ، فطعنه كعب ابن جابر حتى ألقاه عنه ، وقد غيّب السنانَ فى ظهره ، ثمّ أقبل عليه يضربه بسيفه حتى قتله ؛ قال عفيف : كأنى أنظر إلى العبدىّ الصريع قام ينفُض الترابَ عن قَبائه ،ويقول : أنعمت علىّ يا أخا الأزد نعمةً لن أنساها أبدًا ؛ قال : فقلت : أنت رأيت هذا ؟ قال : نعم ، رأىَ عينى وسمْعَ أذنى .

فلمّا رجع كعب بن جابر قالت له امرأته،أو أخته النّوار بنت جابر :

٢/٣٣٩ ٢/٣٤٠

---

(١) باهل القوم بعضهم بعضاً وتباهلوا وابتهلوا : تلاعنوا ، والمباهلة : الملاعنة ؛ ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا .

(٢) ينضنضه ؛ أى يحركه .

(٣) المصاع : المجالدة .

أعنتَ على ابن فاطمةَ ، وقتلتَ سيِّد القُرَّاء؛ لقد أتيتَ عظيمًا من الأمر ، والله لا أكلِّمك من رأسي كلمةً أبداً .

وقال كعب بن جابر :

سَلِي تُخبَرِى عنّى وأنتِ ذميمةٌ غَداةَ حُسينٍ والرّماحُ شوارعُ
ألم آتِ أقصى ما كرهتِ ولم يُخِلْ علىَّ غداةَ الرَّوْع ما أنا صانعُ
معِي يَزَنىٌّ لم تَخُنْه كعوبُهُ وأَبْيضُ مخشوبُ الغِرَارين قاطع [1]
فجرَّدْتُه فى عُصبةٍ ليس دينُهمْ بدينى وإنِّى بابنِ حربٍ لقانعُ
ولم تَر عينى مِثلهم فى زمانِهمْ ولا قبلَهم فى الناس إذ أنا يافعُ
أشدَّ قِراعاً بالسيوفِ لدى الوَغَى ألا كلُّ منْ يحمِى الذِّمارَ مُقارِعُ
وقد صبرُوا للطعنِ والضربِ حُسَّرًا وقد نازلوا لو أنَّ ذلك نافعُ
فأَبلغْ عبيدَ اللهِ إمّا لقِيتَه بأنِّى مُطيعٌ للخليفةِ سامعُ
قَتلتُ بُريرًا ثم حَمَّلتُ نِعمةً أَبا مُنقذٍ لمَّا دعا : مَن يُماصِعُ؟

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الرحمن بن جُندَب ، قال : سمعتُه فى إمارة مُصعَب بن الزُّبير ؛ وهو يقول : ياربّ إنا قد وَفينْا ، فلاتجعلنا ياربّ كمن قد غدر ؛ فقال له أبى : صدق ، ولقد وَفَى وكَرُم ، وكَسبتَ لنفسك شرًّا ؛ قال : كلا ، إنّى لم أكسب لنفسى شرًّا ، ولكنّى كسبتُ لها خيراً .

قال : وزعموا أن رضىّ بن منقذ العبدىّ ردَّ بعدُ على كعب بن جابر جوابَ قوله ، فقال :

لو شاءَ ربِّى ما شهدتُ قِتَالَهُمْ ولا جعَل النَّعْماءَ عندى ابْنُ جابرِ
لقد كانَ ذاك اليومُ عارًا وسُبَّةً يُعيِّرُهُ الأَبناءُ بعد المعاشرِ
فياليتَ أنى كنتُ مِن قبلِ قتلِهِ ويوم حُسينٍ كنت فى رَمْسِ قابرِ

(١) اليزنى : الرمح ؛ وسميت الرماح يزنيّة ؛ لأن أول من عملت له ذو يزن . وسيف مخشوب ، أى شحيذ . وغرارا السيف : حدّاه .

٢/٣٤١ قال : وخرج عَمرو بن قَـرَظَـة الأنصارىُّ يقاتل دون حسين وهو يقول[1] :

قد علمَتْ كتيبَةُ الأَنصار   أَنِّى سَأَحْمِى حوْزَةَ الذِّمارِ
ضَرْبَ غُلامٍ غيرِ نِكْسٍ شارِى   دون حسينٍ مُهجتى ودارِى[2]

قال أبو مخنف : عن ثابت بن هبيرة ، فقتل عَمرو بن قَـرَظة بن كعب ، وكان مع الحسين ، وكان علىّ أخوه مع عمر بن سعد ، فنادى علىُّ بنُ قريظة : يا حسينُ ، يا كذّاب ابن الكذّاب ، أضللتَ أخى وغررتَـه حتى قتلتَـه . قال : إنّ الله لم يضل أخاك ، ولكنه هـدَى أخاك وأضلّك ؛ قال : قتلنى اللهُ إن لم أقتلك أو أموتَ دونك ؛ فحمـل عليه ، فاعترضه نافع بن هلال المرادىّ ، فطعنه فصرعه ، فحمله أصحابـُه فاستنقذوه ، فدُووِى بعدُ فبـرَأ .

قال أبو مخنف : حدّثنى النّضر بن صالح أبو زهير العبسىّ أنّ الحرّ بن يزيدَ لما لحق بحسين قال رجل من بنى تميم من بنى شَقرة وهم بنو الحارث بن تميم ، يقال له يزيد بن سُفيان : أما والله لو أنى رأيتُ الحُرّ بنَ يزيدَ حين خرج لأتبعته السِّنان ؛ قال : فبينا الناس يتجاولون ويقتتلون والحرّ بن يزيدَ يَحمـل على القوم مقدمًا ويتمثّل قولَ عَنْترة :

ما زِلتُ أَرْميهِمْ بثُغْرَةِ نَحْرِهِ   وَلَبانِهِ حتَّى تَسَربَلَ بالدَّمِ[3]

قال : وإنّ فرسه لمضروب على أذنيه وحاجبه ، وإن دماءه لتَسيل ، فقال الحصين بن تميم ـ وكان على شُرطة عبيد الله ، فبعثه إلى الحسين ، وكان مع عمر بن سعد ، فولّاه عمر مع الشرطة المجفّفة[4] ـ ليزيد بن سُفْيان : هذا الحرّ بن يزيد الذى كنت تتمنىّ ؛ قال : نعم فخرج إليه فقال له : هل لك ٢/٣٤٢ ياحرّ بن يزيد فى المبارزة ؟ قال : نعم قد شئتُ ، فبرز له ؛ قال : فأنا سمعتُ الحصين بن تميم يقول : واللهِ لأبرز له ؛ فكأنما كانت نفسُه فى يده ،

---

(١) ف : « يرتجز » . (٢) ف : « جنتى ودارى » .

(٣) من المعلقة ٢٠٤ ـ بشرح التبريزى . واللبان : الصدر .

(٤) المجففة : اللابسة التجفاف ، بكسر التاء ؛ اسم آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقيه فى الحرب .

فما لبثه الحرّ حين خرج إليه أن قتله .

قال هشام بن محمّد ، عن أبي مخنف ، قال : حدّثني يحيى بن هانئ بن عروة ، أنّ نافع بنَ هلال كان يقاتل يومئذ وهو يقول : « أنا الجملي ، أنا على دين علي » .

قال : فخرج إليه رجل يقال له مُزاحم بن حُرَيث ، فقال : أنا على دين عثمان ، فقال له : أنت على دين شيطان ، ثمّ حمل عليه فقتله ، فصاح عمرو ابن الحجّاج بالناس : يا حمقى ، أتدرون مَن تقاتلون! فرسانَ المصْر ، قوماً مستميتين ، لا يبرزنّ لهم منكم أحد ، فإنهم قليل ، وقلّما يبقون ، والله لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم ؛ فقال عمر بن سعد : صدقت ، الرأيُ ما رأيتَ ، وأرسل إلى الناس يعزم عليهم ألّا يبارز رجلٌ منكم رجلاً منهم .

قال أبو مخنف : حدّثني الحسين بن عقبة المراديّ ، قال : الزّبيدي : إنه سمع عمرو بن الحجّاج حين دنا من أصحاب الحسين يقول : يا أهلَ الكوفة ، الزموا طاعتكم وجماعتكم ، ولا ترتابوا في قتل من مرَق من الدّين ، وخالف الإمام ، فقال له الحسين : ياعَمرو بن الحجّاج ، أعليّ تحرّض الناس ؟ أنحن مرَقنا وأنتم ثبتُّم عليه ؟ أما والله لتعلمنّ لو قد قبضتْ أرواحكم ، ومتُّم على أعمالكم ، أيّنا مرَق من الدّين ، ومَن هو أولى بصِليّ النار ! قال : ثمّ إنّ عَمرو بن الحجاج حمل على الحسين في ميمنة عمر بن سعد من نحو الفُرات ، فاضطربوا ساعةً ؛ فصرِع مسلم بن عوْسجة الأسديّ أولَ أصحاب الحسين ، ثم انصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه ، وارتفعت الغبَرَة ، فإذا هم به صريع ، فمشى إليه الحسين فإذا به رَمَقٌ ، فقال : رحمك ربُّك يا مسلم بن عوسجة ، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] . ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال : عزّ عليّ مصرعُك يا مسلم ، أبشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً : بشّرك الله بخير ! فقال له حبيب : لولا أني

٢/٣٤٣

(١) سورة الأحزاب : ٢٣ .

أعلم أنّي فى أثرك لاحقٌ بك من ساعتى هذه لأحببتُ أن توصينى بكلّ ماأهمّك حتى أحفظك فى كلّ ذلك بما أنت أهلٌ له فى القرابة والدّين ؛ قال : بل أنا أوصيك بهذارحمك الله - وأهوَى بيده إلى الحسين - أن تموت دونه ، قال : أفعل وربِّ الكعبة ؛ قال : فما كان بأسرع من أن مات فى أيديهم ، وصاحت جاريةٌ له فقالت : يا بن عوسجتاه ! يا سيّداه ! فتنادَى أصحاب عمرو بن الحجاج : قتلْنا مسلمَ بنَ عوسجة الأسدىّ ؛ فقال شبَث لبعض مَن حوله من أصحابه : ثكلتْكم أمهاتكم ! إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم ، وتذللون أنفسكم لغيركم ، تفرحون أن يُقتَل مثل مسلم بن عوسجة ! أما والذى أسلمت له لرُبَّ موقف له قد رأيته فى المسلمين كريم ! لقد رأيته يوم سلَق آذربيجان قتَل ستّةً من المشركين قبل تمامّ خيول المسلمين ، أفيُقتل منكم مثله وتفرحون !

٢/٣٤٤ قال : وكان الذى قتل مسلمَ بن عَوْسجة مسلمُ بن عبد الله الضِّبابىّ وعبد الرحمن بن أبى خُشْكارة البَجَلىّ . قال : وحمل شَمِر بن ذى الجَوْشن فى الميسرة على أهل الميسرة فثبتوا له ، فطاعَنوه وأصحابه ، وحَمَل على حسين وأصحابه من كلّ جانب ، فقُتل الكلبىّ وقد قتَل رجلين بعد الرّجلين الأوّلَين ، وقاتل قتالا شديداً ، فحمل عليه هانئ بن ثُبَيْت الحضرمىّ وبُكير ابن حىّ التّيمىّ ، من تيم الله بن ثعلبة ، فقتَلاه ، وكان القتيلَ الثانى من أصحاب الحسين ، وقاتلهم أصحابُ الحسين قتالا شديداً ، وأخذتْ خيلُهم تحمل وإنما هم اثنان وثلاثون فارساً ، وأخذتْ لا تحمل على جانب من خيل أهل الكوفة إلا كشفتْه ، فلما رأى ذلك عَزْرَة بن قيس - وهو على خيل أهل الكوفة - أنّ خيله تنكشف من كلّ جانب ، بعث إلى عمر بن سعد عبدَ الرحمن ابن حصن ، فقال : أما ترى ما تلقى خيلى مذ اليوم من هذه العِدّة اليسيرة ! ابعث إليهم الرّجال والرّماةَ ؛ فقال لشبَث بن رِبْعىّ : ألا تقدم إليهم ! فقال : سبحان الله ! أتعمِد إلى شيخ مُضَر وأهلِ المصر عامة تبعثه فى الرّماة ! لم تجد مَنْ تندب لهذا ويجزئ عنك غيرى ! قال : وما زالوا يرون من شبَث الكراهةَ لقتاله . قال : وقال أبو زهير العبسىّ : فأنا سمعتُه فى إمارة مصعب

يقول : لا يعطي الله أهلَ هذا المِصر خيراً أبداً ، ولا يسدّدهم لرُشْد ، ألا تَعجبون أنّا قاتلْنا مع عليّ بن أبي طالب ومع ابنه من بعده آلَ أبي سُفْيان خمسَ سنين ، ثم عدَوْنا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتلُه مع آل معاوية وابن سميّة الزانية ! ضلال يا لك من ضلال ! ٣٤٥/٢

قال : ودعا عمر بن سعد الحصينَ بن تميم فبعث معه المجفّفة وخمسمائة من المرامية ، فأقبلوا حتى إذا دنَوْا من الحسين وأصحابه رشَقُوهم بالنَّبل ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم ، وصاروا رَجّالةً كلّهم .

قال أبو مخنف : حدّثني نُمير بن وَعْلة أن أيّوب بن مِشْرَح الخيْوانيّ كان يقول : أنا والله عقرتُ بالحُرّ بن يزيدَ فرسَه ، حشأتُه[1] سهماً ، فما لبث أن أرعِد الفرس واضطرب وكبا ، فوثّب عنه الحرّ كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول :

إن تَعْقِرُوا بي فأَنا ابنُ الحُرِّ أَشْجَعُ مِن ذي لِبَدٍ هِزَبْرِ

قال : فما رأيت أحداً قطّ يفري فرْيَه ؛ قال : فقال له أشياخٌ من الحيّ : أنت قتلتَه ؟ قال : لا والله ما أنا قتلتُه ، ولكنْ قتلَه غيري ، وما أحبّ أني قتلتُه ، فقال له أبو الودّاك : ولِمَ ؟ قال : إنه كان زعموا من الصّالحين ، فوالله لئن كان ذلك إثماً لأنْ ألقَى الله بإثم الجراحة والموقف أحبّ إليّ من أن ألقاه بإثم قتل أحد منهم ؛ فقال له أبو الودّاك : ما أراك إلا ستلقَى الله بإثم قتلِهم أجمعين ؛ أرأيتَ لو أنك رميتَ ذا فعقرت ذا ، ورميتَ آخرَ ، ووقفتَ موقفاً ، وكررتَ عليهم ، وحرّضتَ أصحابك ، وكثّرت أصحابك ، وحُمل عليك فكرهت أن تفرّ ، وفعل آخر من أصحابك كفعلك ، وآخر وآخر ، كان هذا وأصحابه يقتلون ! أنتم شركاءُ كلكم في دمائهم ؛ فقال له : يا أبا الودّاك ، إنك لتقنِّطنا من رحمة الله ، إن كنتَ وليّ حسابنا يوم القيامة فلا غفَر الله لكَ إنْ غفرتَ لنا ! قال : هو ما أقول لك ؛ قال : وقاتلوهم حتى انتصف ٣٤٦/٢

(١) حشأه بالسهم ، أي رماه فأصاب به جوفه .

النهار أشدّ قتال خَلَقَه الله ، وأخذوا لا يقدرون على أن يأتوهم إلّا من وجهٍ واحد لاجتماع أبنيتهم وتقارُبِ بعضِها من بعض .

قال : فلما رأى ذلك عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوّضونها عن أيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم ؛ قال : فأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخلّلون البيوت فيشدّون على الرجل وهو يقوّض وينتهب فيقتلونه ويرمُونه من قريب ويعقرونه ، فأمر بها عمر بن سعد عند ذلك فقال : أحرقوها بالنار ، ولا تَدخُلوا بيتًا ولا تقوّضوه ، فجاءوا بالنار ، فأخذوا يحرّقون ، فقال حسين : دَعُوهم فليحرقوها ، فإنهم لو قد حرّقوها لم يستطيعوا أن يجوزوا إليكم منها ، وكان ذلك كذلك ، وأخذوا لا يقاتلونهم إلاّ من وجه واحد . قال : وخرجت امرأة الكلبيّ تمشي إلى زوجها حتى جلستْ عند رأسه تمسح عنه التراب وتقول : هنيئًا لك الجنّة ! فقال شمِر بن ذى الجوْشَن لغلام يسمَّى رُستَم : اِضرِب رأسَها بالعمود ؛ فضرب رأسَها فشدَخه ، فماتت مكانَها ؛ قال : وحمَل شَمِر بن ذى الجوشن حتى طعن[1] فسطاط الحسين برمحه ، ونادى : عليّ بالنار حتى أحرّقَ هذا البيت على أهله ؛ قال : فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ؛ قال : وصاح به الحسين : يابن ذى الجوشَن ، أنت تدعو بالنار لتحرّق بيتى على أهلى ، حرّقك الله بالنار !

٣٤٧/٢ قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : قلت لشَمر بن ذى الجوشن : سبحان الله ! إنّ هذا لا يصلح لك ، أتريد أن تجمع على نفسك خصلتين . تعذّب بعذاب الله ، وتقتل الولدان والنساء! والله إنّ فى قتلك الرجال لما ترضى به أميرك ؛ قال : فقال : من أنت ؟ قال : قلت : لا أخبرك من أنا ، قال : وخشيتُ والله أن لو عرفنى أن يضرّنى عند السلطان ؛ قال : فجاءه رجل كان أطوَعَ له منى ؛ شَبَث بن ربْعيّ ، فقال : ما رأيتُ مقالا أسوأ من قولك ، ولا موقفًا أقبحَ من موقفك ، أمُرعِبًا للنساء صرتَ ! قال : فأشهد أنه استحيا ، فذهب لينصرف . وحمَل عليه زهيرُ ابن القَيْن فى رجال من أصحابه عشرة ، فشدّ على شمِر بن ذى الجوْشن

---

(١) ابن الأثير « بلغ » .

وأصحابه ، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها ، فصرعوا أبا عزّة الضِّبابيّ فقتلوه ، فكان من أصحاب شمر ، وتعطّف الناس عليهم فكثّروهم ، فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل ، فإذا قتل منهم الرّجل والرّجلان تبيّن فيهم ، وأولئك كثير لا يتبيّن فيهم ما يقتل منهم ؛ قال : فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائديّ قال للحسين : يا أبا عبد الله ؛ نفسى لك الفداء ! إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتى أُقتلَ دونك إن شاء الله ، وأحبّ أن ألقى ربى وقد صلّيتُ هذه الصلاة التى دنا وقتُها ؛ قال : فرفع الحسينُ رأسَه ثم قال : ذكرتَ الصلاة ، جعلك الله من المصلّين الذاكرين ! نعم ، هذا أوّل وقتها ؛ ثم قال : سلوهم أن يكفّوا عنا حتى نصلّى ؛ فقال لهم الحصين بن تميم : إنها لا تُقبَل ؛ فقال له حبيب بن مظاهر : لا تُقبَل زعمتَ ! الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تُقبلَ وتُقبَل منك يا حمار ! قال : فحمل عليهم حصين بن تميم ، وخرج إليه حبيب بن مظاهر ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشبّ ووقع عنه ، وحمله أصحابُه فاستنقذوه ، وأخذ حبيب يقول : ٢/٣٤٨

أُقسِمُ لو كُنَّا لكم أعْدادَا ... أَو شَطْرَكمْ ولَّيتمُ أَكتَادَا[1]

* يا شَرَّ قوم حَسَباً وَآدا[2] *

قال : وجعل يقول يومئذ :

أَنا حبيب وأَبِى مُظاهِرُ ... فارِسُ هيجاءَ وحرب تُسعَرُ

أَنتمْ أَعَدُّ عُدَّة وأَكثرُ ... ونحن أَوفَى منكُمُ وأَصْبَرُ

ونحن أَعْلَى حُجَّةً وأَظهرُ ... حقًّا وأَتقَى منكمُ وأَعْذَرُ

وقاتل قتالاً شديداً ، فحمل عليه رجلٌ من بنى تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله — وكان يقال له : بديل بن صُرَيْم من بنى عُقْفان — وحمل

(١) أكتادا : جماعات . (٢) الآد : الأصل .

عليه آخرُ من بنى تميم فطعنه فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميميّ فاحتزّ رأسه ، فقال له الحصين : إنّى لشريكك فى قتله ، فقال الآخر : والله ما قتلَه غيرى ؛ فقال الحصين : أعطِنيه أعلِّقْه فى عُنق فرسى كيْما يرى الناسُ ويَعلَموا أنى شرِكتُ فى قتله ؛ ثم خذه أنت بعدُ فامضِ به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجةَ لى فيما تعطاه على قتلك إياه . قال : فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فدفع إليه ٢/٣٤٩ رأسَ حبيب بن مظاهر ، فجال به فى العسكر قد علّقه فى عنق فرسه ، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلما رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخرُ رأسَ حبيب فعلقه فى لَبان[1] فرسه ، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد فى القصر فبَصُربه ابنُه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذ قد راهق ، فأقبل مع الفارس لا يفارقه ، كلَّما دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : مالك يا بنىّ تتبعنى ! قال : لا شىء ، قال : بلى ، يابنىّ أخبرنى ، قال له : إنّ هذا الرأس الذى معك رأس أبى ، أفتعطينيه حتى أدفنَه ؟ قال : يا بنىّ ، لا يرضى الأميرُ أن يُدفَن ، وأنا أريد أن يثيبَنى الأميرُ على قتله ثوابًا حسنًا ؛ قال له الغلام : لكنّ الله لا يثيبك على ذلك إلا أسوأ الثواب ؛ أما والله لقد قتلتَ خيراً منك ، وبكى . فمكث الغلامُ حتى إذا أدرك لم يكن له همّةٌ إلا اتّباعُ أثر قاتل أبيه ليجد منه غِرّةً فيقتلَه بأبيه ، فلما كان زمان مُصعَب بن الزبير وغزا مصعب باجُمَيْرا دخل عسكرَ مصعب فإذا قاتِلُ أبيه فى فسطاطه ، فأقبل يختلف فى طلبه والتماس غِرّته ، فدخل عليه وهو قائلٌ نصفَ النهار فضربه بسيفه حتى برد .

قال أبو مخنف : حدّثنى محمد بن قيس ، قال : لما قُتِل حبيب بن مظاهر هدّ ذلك حسينًا وقال عند ذلك : أحتَسِب نفسى وحُماةَ أصحابى ، قال : فأخذ الحُرّ يرتجز ويقول :

آليتُ لا أُقتلُ حتَّى أَقتُلاَ ولنْ أُصابَ اليومَ إلاَّ مُقبلاَ

(١) لبان الفرس : صدره .

٣٥٠/٢ أضْرِبُهُمْ بالسيفِ ضَرْبًا مِقْصَلاَ لا ناكِلاً عَنْهم ولا مهَلّلاَ[١]

وأخذ يقول أيضًا :

أَضرِبُ في أعراضِهمْ بالسيفْ عن خيرِ مَنْ حَلّ مِنًى والخَيْفْ

فقاتل هو وزهير بن القَيْن قتالا شديداً ، فكان إذا شدّ أحدُهما ؛ فإن استُلحِمَ[٢] شدّ الآخر حتى يخلّصه ، ففعلا ذلك ساعة . ثمّ إنّ رجّالة شدّت على الحرّ بن يزيد فقتل ، وقتل أبو ثمامة الصائديّ ابنَ عمّ له كان عدوًّا له ، ثم صلّوا الظهر ، صلى بهم الحسين صلاةَ الخوف ، ثمّ اقتتلوا بعد الظهر فاشتدّ قتالهم ، ووُصِل إلى الحسين ، فاستقدم الحنفيّ أمامَه ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمينًا وشمالاً قائمًا بين يديه ، فما زال يُرمى حتى سقط . وقاتل زهير بن القَيْن قتالاً شديداً ، وأخذ يقول :

أَنا زُهيرٌ وأَنا ابْنُ القَيْنِ أَذُودُهمْ بالسيفِ عن حسين

قال : وأخذ يَضرب على مَنكِب حسين ويقول :

أَقدِمْ هُدِيتَ هادِياً مَهدِيّا فاليومَ تَلقَى جَدَّكَ النَّبيّا
وحَسناً والمرتضَى عليّا وذَا الجنَاحَيْنِ الفَتَى الكَميّا

* وأسدَ اللهِ الشهيدَ الحيّا *

قال : فشدّ عليه كثيرُ بن عبد الله الشعبيّ ومهاجرُ بن أوْس فقتَلاه ، قال : وكان نافع بن هلال الجملىّ قد كتب اسمَه على أفواق نَبْله ، فجعل يرمى بها مسوّمةً وهو يقول : « أَنا الجمَلى ،أنَا على دِينِ عَلِي » .

٣٥١/٢ فقَتل اثنى عشر من أصحاب عمر بن سعد سوى مَنْ جرح ؛ قال : فضرِب حتى كُسرت عضداه وأخذ أسيراً ؛ قال : فأخذه شَمِر بن ذى الجوشن

---

(١) س : « مغللا » .
(٢) استلحم : روهق فى القتال .

ومعه أصحاب له يسوقون نافعًا حتى أتِيَ به عمر بن سعد ، فقال له عمر بن سعد : وَيْحك يا نافع! ما حَمَلك على ما صنعتَ بنفسك ! قال : إنّ ربى يعلم ما أردتُ ؛ قال : والدماء تسيل على لحيته وهو يقول: والله لقد قتلتُ منكم اثنى عشر سوى مَن جرحتُ ، وما ألوم نفسى على الجهد ، ولو بقيتْ لى عضد وساعدٌ ما أسرتمونى ؛ فقال له شمر : اقْتُله أصلحك الله ! قال : أنت جئتَ به ، فإن شئتَ فاقتله ، قال : فانتضَى شمر سيفَه ، فقال له نافع : أما والله أنْ لو كنت من المسلمين لَعظُم عليك أن تلقى اللهَ بدمائنا ، فالحمد لله الذى جعل منايانا على يدىْ شِرارِ خلقه ؛ فقتله .

قال : ثمّ أقبل شمر يحمل عليهم وهو يقول :

خَلُّوا عُداةَ اللهِ خلّوا عن شَمِرْ ... يَضرِبُهُمْ بسيفه وَلَا يَفِرّْ

* وهو لكم صابٌ وسَمٌّ ومَقِرْ[1] *

قال : فلما رأى أصحابُ الحسين أنهم قد كُثِروا ، وأنهم لا يقدرون على أن يمنعوا حسينًا ولا أنفسَهم ، تنافسوا فى أن يُقتَلوا بين يديه ، فجاءه عبد الله وعبد الرحمن ابنا عَزْرة الغِفاريّان ، فقالا : يا أبا عبد الله ، عليك السلام ، حازَنا العدوّ إليك ، فأحبَبْنا أن نُقتَل بين يديْك ، نمنعك وندفع عنك ، قال : مرحبًا بكما ! ادنُوَا منّى ، فدنَوَا منه ، فجعلا يقاتلان قريبًا منه ، وأحدهما يقول :

قد علِمتْ حقًّا بنو غِفَارِ ... وَخِنْدِفٌ بعد بنى نزارِ
لَنَضْرِبَنّ معْشَرَ الفُجّارِ ... بكلّ عَضْبٍ صارمٍ بَتّارِ
ياقوم ذُودُوا عن بنى الأَحرارِ ... بالمَشْرَفِىّ وَالقَنَا الخطّارِ

٣٥٢/٢

قال : وجاء الفَتيَان الجابريّان : سيف بن الحارث بن سُرَيْع ، ومالك ابن عبد بن سريع ، وهما ابنا عمّ ، وأخَوان لأمّ ، فأتيا حسينًا فدَنَوَا منه وهما

(١) المقر : المر ، قال أبو حنيفة : هو نبات ينبت ورقًا . فى غير أفنان .

يبكيان ، فقال : أيْ ابنَيْ أخي ، ما يُبكيكما ؟ فوالله إنّي لأرجو أن تكونا عن ساعة قريريْ عين ، قالا : جعلنا الله فداك ! لا والله ما على أنفسنا نبكي ، ولكنّا نبكي عليك ، نراك قد أحيط بك ، ولا نقدر على أن نمنعك ؛ فقال : جزاكما الله يا بنَيْ أخي بوَجْدكما من ذلك ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أحسنَ جزاءِ المتقين ؛ قال : وجاء حنظلة بن أسعد الشِّباميّ فقام بين يدَيْ حسين ، فأخذ ينادي: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ * وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[1] يا قوم تقتلوا حسيناً فيُسْحِتَكُمْ الله بعذاب ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴾[2] فقال له حسين : يابن أسعد ، رحمك الله ، إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتَهم إليه من الحقّ ، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابَك، فكيف بهم الآن وقد قَتلوا إخوانَك الصالحين ! قال : صدقت ، جعلت فداك ! أنت أفقه منّي وأحقّ بذلك ، أفلا نروح[3] إلى الآخرة ونلحق بإخواننا ؟ فقال : رُحْ إلى خيرٍ من الدنيا وما فيها ، وإلى مُلكٍ لا يَبْلَى ، فقال : السلام عليك أبا عبد الله ، صلى الله عليك وعلى أهل بيتك ، وعرّف بيننا وبينك في جنّته ، فقال : آمين آمين ؛ فاستقدم فقاتل حتى قُتل . ٢/٣٥٣

قال : ثمّ استقدم الفتيان الجابريّان يلتفتان إلى حسين ويقولان : السّلام عليك يابنَ رسول الله ، فقال : وعليكما السلام ورحمة الله ؛ فقاتَلاَ حتى قُتلا ؛ قال : وجاء عابس بن أبي شَبيب الشاكريّ ومعه شوْذَب مولَى شاكر ، فقال : ياشَوْذب ، ما في نفسك أن تصنع ؟ قال : ما أصنع ! أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقتل ؛ قال : ذلك الظنّ بك ، أمّا لا فتقدّمْ بين يدَيْ أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتَسب غيرَك من أصحابه ، وحتى أحتسبك أنا ، فإنه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أوْلَى

---

(١) سورة غافر: ٣٠ – ٣٣ . (٢) سورة طه: ٦١ . (٣) ف : « تروح » .

به منّى بك لسرّنى أن يتقدّم بين يدىّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغى لنا أن نطلب الأجرَ فيه بكلّ ما قدَرْنا عليه ، فإنه لا عملَ بعد اليوم ، وإنما هو الحساب ؛ قال : فتقدّم فسلّم على الحسين ، ثم مضى فقاتل حتى قُتل . ثم قال عابس بن أبى شبيب : يا أبا عبد الله ، أما والله ما أمسَى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزَّ علىّ ولا أحبَّ إلىّ منك ؛ ولو قدرتُ على أن أدفع عنك الضّيمَ والقتلَ بشىء أعزّ علىّ من نفسى ودمى لفعلتُه ؛ السلام عليك يا أبا عبد الله، أشهدُ اللهَ أنى على هَدْيك وهدْىِ أبيك ؛ ثم مشى بالسيف مصلتاً نحوَهم وبه ضربة على جبينه . ٢/٣٥٤

قال أبو مخنف : حدّثنى نُمير بن وَعْلة ، عن رجل من بنى عبد من هَمْدان يقال له ربيع بن تميم شهد ذلك اليوم ، قال : لما رأيتُه مُقبلا عرفتُه وقد شاهدتُه فى المَغازى ، وكان أشجعَ الناس، فقلت : أيّها الناس ، هذا الأسد الأسوَد، هذا ابن أبى شبيب ؛ لا يخرجنْ إليه أحد منكم ، فأخذ ينادى : ألا رجلٌ لرجل ! فقال عمر بن سعد : ارضَخُوه بالحجارة ؛ قال : فرُمِىَ بالحجارة من كلّ جانب، فلما رأى ذلك ألقَى درْعه ومِغفرَه ، ثمّ شدّ على الناس، فوالله لرأيتُه يكرُد(١) أكثرَ من مائتين من الناس؛ ثم إنهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتِل ؛ قال : فرأيت رأسَه فى أيدى رجال ذوى عُدّة؛ هذا يقول : أنا قتلته ، وهذا يقول : أنا قتلته ، فأتَوا عمرَ بن سعد فقال : لا تختصموا ، هذا لم يقتلْه سِنان واحد ، ففرّق بينهم بهذا القول .

قال أبو مخنف : حدّثنى عبد الله بن عاصم ، عن الضحّاك بن عبد الله المِشرقىّ ، قال : لما رأيتُ أصحاب الحسين قد أصيبوا ، وقد خُلِص إليه وإلى أهل بيته ، ولم يبق معه غيرُ سُوَيد بن عمرو بن أبى المطاع الخثْعَمىّ وبُشَير ابن عمرو الحضرمىّ ، قلت له : يابن رسول الله ، قد علمتَ ما كان بينى وبينك ؛ قلتُ لك : أقاتل عنك ما رأيتُ مقاتلا ، فإذا لم أر مقاتلاً فأنا فى حِلّ من الانصراف ؛ فقلتَ لى : نعم ؛ قال : فقال : صدقتَ ، وكيف لك

(١) الكرد : الطرد .

بالنَّجاء ! إنْ قدَرتَ على ذلك فأنتَ فى حلٍّ ؛ قال : فأقبلتُ إلى فرسى وقد كنت حيث رأيت خيلَ أصحابنا تُعقَر ، أقبلتُ بها حتى أدخلتها فسطاطًا لأصحابنا بين البيوت ، وأقبلت أقاتل معهم راجلاً ، فقتَلت يومئذ بين يدَى الحسين رجليْن ، وقطعت يدَ آخر ، وقال لى الحسين يومئذ مراراً : لا تُشلل ، لا يقطع الله يَدَك ، جزاك الله خيراً عن أهل بيت نبيِّك صلى الله عليه وسلم! فلما أذن لى استخرجتُ الفرس من الفسطاط ، ثم استويْتُ على متْنها ، ثم ضربتُها حتى إذا قامت على السنابك رميتُ بها عُرْضَ القوم ، فأفرجوا لى ، واتبعنى منهم خمسة عشر رجلاً حتى انتهيتُ إلى شُفَيَّة ؛ قرية قريبة من شاطئ الفُرات ، فلما لحقونى عطفتُ عليهم ، فعرَفَنى كثير بن عبد الله الشعبىّ وأيوب بن مِشْرَح الخَيْوانىّ وقيس بن عبد الله الصائدىّ ، فقالوا : هذا الضحّاك بن عبد الله المِشرقىّ ، هذا ابنُ عمِّنا ، نَنشُدكم اللهَ لما كففتم عنه! فقال ثلاثة نفر من بنى تميم كانوا معهم : بلى والله لنجيبنّ إخوانَنا وأهلَ دعوتنا إلى ما أحبّوا من الكفّ عن صاحبهم ؛ قال : فلما تابع التميميُّون أصحابى كفّ الآخَرون ؛ قال : فنجّانى الله .

٢/٣٥٥

قال أبو مخنف : حدّثنى فُضَيل بن خُديج الكندى أنّ يزيد بن زياد ؛ وهو أبو الشعثاء الكندىّ من بنى بَهْدَلة جثَا على ركبتيه بين يدى الحسين ، فرَمَى بمائة سهم ماسقط منها خمسة أسهم ، وكان راميًا ، فكان كلّما رَمَى قال : أنا ابن بهدلهْ ، فُرْسانِ العَرْجلهْ ؛ ويقول حسين : اللهمّ سدّدْ رميتَه ، واجعلْ ثوابَه الجنّةَ ؛ فلما رمى بها قام فقال : ما سقط منها إلا خمسة أسهم ، ولقد تبيّن لى أنى قد قتلتُ خمسة نفر ، وكان فى أوّل من قُتل ، وكان رجزُه يومئذ :

٢/٣٥٦

أنا يزيدُ وأبى مُهاصِرْ أشجعُ من ليثٍ بِغيلٍ خادرْ[1]
يارَبّ إنِّى للحسيْن ناصِرْ ولابن سعدٍ تاركٌ وهاجرْ

وكان يزيد بن زياد بن المهاصر ممّن خرج مع عُمر بن سعد إلى الحسين ،

---

(١) الغيل بالكسر : الشجر الكثير الملتفّ .

فلما ردّوا الشُّروط على الحسين مال إليه فقاتل معه حتى قُتل ، فأمّا الصيداوىّ عمر بن خالد ، وجابر بن الحارث السلمانىّ ، وسعد مولى عمر بن خالد ، ومجمّع بن عبد الله العائذىّ ، فإنهم قاتلوا فى أوّل القتال ، فشدّوا مُقْدِمين بأسيافهم على الناس ، فلما وغلوا عطف عليهم الناس فأخذوا يحوزونهم ، وقطعوهم من أصحابهم غير بعيد ، فحمل عليهم العباس بن علىّ فاستنقذهم ، فجاءوا قد جُرِّحوا ، فلما دنا منهم عدوّهم شدّوا بأسيافهم فقاتلوا فى أوّل الأمر حتى قُتِلوا فى مكان واحد .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن بن زهير الخثعمىّ ، قال : كان آخر مَن بقى مع الحسين من أصحابه سُويد بن عَمرو بن أبى المطاع الخثعمىّ ، قال : وكان أوّل قتيل من بنى أبى طالب يومئذ علىٌّ الأكبر بن الحسين بن علىّ ، وأمه ليلى ابنة أبى مُرّة بن عُروة بن مسعود الثقفىّ ، وذلك أنه أخذ يشدّ على الناس وهو يقول :

أَنا عَلِىُّ بنُ حسينِ بن عَلِي ... نَحن وربِّ البيت أَولَى بالنَّبِى

* تاللهِ لا يَحْكُمُ فينا ابنُ الدَّعِى *

٢/٣٥٧ قال : ففعل ذلك مراراً ، فبَصربه مُرّة بن منقذ بن النعمان العبدىّ ثمّ الليثىّ ، فقال : علىّ آثامُ العرب إنْ مَرّ بى يفعل مثلَ ما كان يفعل إنْ لم أثكله أباه ؛ فمرّ يشدّ على الناس بسيفه ، فاعترضه مرّة بن منقذ ، فطعنه فصُرِع ، واحتوَله الناس فقطّعوه بأسيافهم .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم الأزدىّ ، قال : سماعُ أذنى يومئذ من الحسين يقول : قتل الله قوماً قتلوك يا بنىّ ! ما أجرأهم على الرحمن ، وعلى انتهاك حرمة الرسول ! على الدنيا بعدكَ العَفَاء . قال : وكأنى أنظر إلى امرأة خرجتْ مسرعةً كأنها الشمس الطالعة تنادى : يا أخيّاهْ ! ويا بن أخيّاهْ ! قال : فسألتُ عليها ، فقيل : هذه زينب ابنة فاطمةَ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءت حتى أكبّت عليه ، فجاءها

الحسين فأخذ بيَدها فردَّها إلى الفسطاط ، وأقبل الحسين إلى ابنه ، وأقبل فتيانه إليه ، فقال : احملوا أخاكم ، فحملوه مِن مَصرَعه حتى وضعوه بين يدَى الفسطاط الذى كانوا يقاتلون أمامه . قال : ثمّ إن عمرو بن صُبيح الصّدائىّ رَمَى عبد الله بن مسلم بن عَقيل بسهم فوضع كفَّه على جبهته ، فأخذ لا يستطيع أن يحرّك كفَّيه ، ثم انتحَى له بسهم آخرَ ففلق قلبَه ، فاعتوَرهم الناس من كلّ جانب ، فحمل عبد الله بن قطْبَة الطائىُّ ثمّ النَّبهانىّ على عون بن عبد الله ابن جعفر بن أبى طالب فقَتله ، وحمل عامر بن نَهْشَل التيمىُّ على محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فقتَلَه ؛ قال : وشدّ عثمان بن خالد ابن أسَيْر الجُهنىّ ، وبشر بن سوط الهمْدانىّ ثمّ القابضىّ على عبد الرحمن ابن عقيل بن أبى طالب فقتَلاه ، ورمى عبد الله بن عزرة الخثعمىّ جعفرَ ابن عَقيل بن أبى طالب فقتَله . ٢/٣٥٨

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ، قال : خرج إلينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر ، فى يده السيف ، عليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شِسْع أحدهما ، ما أنسَى أنها اليسرى ، فقال لى عمرو ابن سعد بن نُفَيل الأزدىّ : والله لأشدّنّ عليه ؛ فقلت له : سبحان الله ! وما تريد إلى ذلك ! يكفيك قتل هؤلاء الذين تراهم قد احتولوهم ؛ قال : فقال : والله لأشدّنّ عليه ؛ فشدّ عليه فما ولى حتى ضرب رأسَه بالسيف ، فوقع الغلامُ لوجهه ، فقال : يا عمّاه ! قال : فجلّى الحسين كما يجلّى الصقر ، ثم شدّ شدّةَ ليث غُضُبٍّ ، فضرب عمرًا بالسيف ، فاتقاه بالساعد ، فأطنّها من لَدُن المِرفق ، فصاح ، ثمّ تنحّى عنه ، وحملتْ خيلٌ لأهل الكوفة ليستنقذوا عمرًا من حسين ، فاستقبلت عمرًا بصدورها ، فحرّكت حوافرَها وجالت الخيل بفُرسانها عليه ، فوطئَتْه حتى مات ، وانجلت الغبرة ، فإذا أنا بالحسين قائمٌ على رأس الغلام ، والغلام يَفحصُ برجليه ؛ وحسين يقولُ : بُعدًا لِقوم قتلوك ؛ ومن خَصمهم يوم القيامة فيك جَدُّك! ثم قال : عزّ والله على عمّك أن تدعوَه فلا يُجيبك ، أو يجيبُك ثم لا ينفعك! صوتٌ والله كثُر واترُه ، وقلّ ناصرُه . ثم احتمله فكأنى أنظر إلى رِجلَى الغلام يخطّان فى الأرض ، ٢/٣٥٩

وقد وضع حسين صدرَه على صدره ؛ قال : فقلتُ فى نفسى : ما يصنع به ! فجاء به حتى ألقاه مع ابنه علىّ بن الحسين وقَتلَى قد قُتلتْ حولَه من أهل بيته ، فسألتُ عن الغلام ، فقيل: هو القاسم بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب. قال : ومكث الحسين طويلاً من النهار كلّما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه ، وكره أن يتولّى قتلَه وعظيم إثمه عليه ؛ قال : وإنّ رجلا من كِنْدة يقال له مالك بن النُّسير من بنى بَدّاء ، أتاه فضربَه على رأسه بالسيف ، وعليه بُرنُس له ، فقطع البرنس ، وأصاب السيف رأسَه ، فأدمى رأسَه ، فامتلأ البرنس دمًا ، فقال له الحسين : لا أكلت بها ولا شربتَ ، وحشرك الله مع الظالمين ! قال : فألقى ذلك البرنس ، ثمّ دعا بقَلَنْسُوَة فلبسها ، واعتمّ ، وقد أعيا وبَلّد، وجاء الكندىّ حتى أخذ البرنس – وكان من خزّ – فلما قدم به بعد ذلك على امرأته أمّ عبد الله ابنة الحرّ أخت حسين بن الحرّ البَدّىّ ، أقبل يَغسِل البرنسَ من الدم ، فقالت له امرأته : أسَلَبَ ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تدخِلُ بيتى ! أخرِجْه عنّى ؛ فذكر أصحابُه أنه لم يزل فقيراً بشرّ حتى مات . قال : ولما قعد الحسين أتى بصبىّ له فأجلسَه فى حِجره زعموا أنه عبد الله بن الحسين . ٢/٣٦٠

قال أبو مخنف : قال عُقْبة بن بشير الأسدىّ : قال لى أبو جعفر محمد ابن علىّ بن الحسين : إنّ لنا فيكم يا بنى أسد دمًا ؛ قال : قلت : فما ذنبى أنا فى ذلك رحمك الله يا أبا جعفر ! وما ذلك ؟ قال: أتِىَ الحسين بصبىّ له ، فهو فى حِجْره ، إذ رماه أحدُكم يا بنى أسد بسهم فذَبَحه ، فتلقى الحسينُ دمه ، فلما ملأ كفّيه صبّه فى الأرض ثم قال : ربِّ إنْ تك حبستَ عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير ، وانتقمْ لنا من هؤلاء الظالمين ؛ قال : ورمى عبدُ الله بن عقبة الغنوىّ أبا بكر بن الحسين بن علىّ بسهم فقتله ، فلذلك يقول الشاعر ؛ وهو ابن أبى عَقِب :

وعِندَ غَنِىٍّ قَطرةٌ مِن دِمائِنــا ... وفى أسدٍ أخرى تعَدُّ وتُذْكرُ

قال : وزعموا أنّ العبّاس بن علىّ قال لإخوته من أمّه: عبد الله، وجعفر

وعثمان : يا بنى أمّى ، تقدّموا حتى أرثكم ، فإنه لا ولدَ لكم ، ففعلوا ، فقتلوا . وشدّ هانئ بن ثُبَيت الحضرمىّ على عبد الله بن علىّ بن أبى طالب فقتله ، ثمّ شدّ على جعفر بن علىّ فقتله وجاء برأسه ، ورمى خَوَلىّ بن يزيد الأصبحىّ عثمانَ بن علىّ بن أبى طالب بسهم ، ثم شدَّ عليه رجل من بنى أبان بن دارم فقتله ، وجاءَ برأسه ، ورمى رجلٌ من بنى أبان بن دارم محمد بن علىّ بن أبى طالب فقتله وجاء برأسه .

قال هشام : حدّثنى أبو الهُذَيل — رجلٌ من السَّكون — عن هانئ بن ثبيت الحضرمىّ ، قال : رأيتُه جالسًا فى مجلس الحضرميّين فى زمان خالد بن عبد الله وهو شيخ كبير ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول : كنت ممن شهد قتلَ الحسين ، قال : فوالله إنى لواقف عاشرَ عشرة ليس منّا رجل إلا على فرس ، وقد جالت الخيلُ وتصعصعتْ ، إذ خرج غلامٌ من آل الحسين وهو ممسك بعُود من تلك الأبنية ، عليه إزار وقميص ، وهو مذعور ، يتلفّت يمينًا وشمالاً ، فكأنى أنظر إلى دُرّتين فى أذنيه تذبذبان كلما التفتَ ، إذْ أقبل رجل يركض ، حتى إذا دنا منه مالَ عن فرسه ، ثم اقتصد الغلام فقطعه بالسيف . ٢ / ٣٦١

قال هشام : قال السَّكونىّ : هانئ بن ثُبَيت هو صاحب الغلام ، فلما عُتب عليه كنّى عن نفسه .

قال هشام : حدّثنى عمرو بن شمر ، عن جابر الجُعْفىّ ، قال : عطش الحسين حتى اشتدّ عليه العطش ، فدنا ليشرب من الماء ، فرماه حصين بن تميم بسهم ، فوقع فى فمه ، فجعل يتلقى الدمَ من فمه ، ويَرمى به إلى السماء ، ثم حَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ جمع يديه فقال : اللهم أحصِهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً .

قال هشام ، عن أبيه محمد بن السائب ، عن القاسم بن الأصبغ بن نُباتة ، قال : حدّثنى من شهد الحسينَ فى عسكره أنّ حسينًا حين غُلب على عسكره ركب المسنّاة يريد الفرات ، قال : فقال رجل من بنى أبان بن دارم : وَيْلكم! حُولوا بينه وبين الماء لا تتامّ إليه شيعته ؛ قال : وضرب

٢/٣٦٢ فرسه ، وأتبعه الناس حتى حالوا بينه وبين الفرات ، فقال الحسين : اللهمّ أظْمِه ، قال : وينتزع الأبانىّ بسهم ، فأثبتَه فى حنك الحسين ، قال : فانتزع الحسين السهمَ ، ثمّ بسط كفّيه فامتلأتْ دماً ، ثم قال الحسين : اللهمّ إنى أشكو إليك ما يُفْعل بابن بنت نبيّك ؛ قال : فوالله إنْ مكث الرجل إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظمأ ، فجعل لا يَروَى .

قال القاسم بن الأصبغ : لقد رأيتُنى فيمن يروّح عنه والماء يبرَّد له فيه السكّر وعِساس فيها اللبن ، وقِلال فيها الماء ، وإنه ليقول : وَيْلَكم ! اسقُونى قتلنى الظمأ ، فيعطَى القُلّة أو العُسّ كان مروياً أهل البيت فيشربه ، فإذا نزعه من فيه اضطجع الهُنيْهةَ ثم يقول : وَيْلكم ! اسقونى قتلنى الظمأ ؛ قال : فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انقدّ بطنُه انقداد بطن البعير .

قال أبو مخنف فى حديثه : ثم إنّ شَمِر بن ذى الجوشن أقبلَ فى نفرٍ نحو من عشرة من رجّالة أهل الكوفة قِبَل منزل الحسين الذى فيه ثَقَله وعيالُه ، فمشى نحوَه ، فحالوا بينه وبين رَحْلِه ، فقال الحسين : ويلكم ! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون يومَ المعاد ، فكونوا فى أمر دنياكم أحراراً ذوى أحساب ، امنعوا رَحْلى وأهلى من طَغَامكم وجُهّالكم ؛ فقال ابن ذى الجوْشن : ذلك لك يابن فاطمة ؛ قال : وأقدَم عليه بالرجّالة ، منهم أبو الجَنوب ــ واسمه عبد الرحمن الجُعفىّ ــ والقَشْعَم[1] بن عمرو بن يزيد الجعفىّ ، وصالح بن وهب اليزَنىّ ، وسنان بن أنس النخَعىّ ، وخَوَلّى بن يزيد الأصبحىّ ، فجعل شمر ابن ذى الجوشن يحرّضهم ، فمرّ بأبى الجَنوب وهو شاكٍ فى السلاح فقال له :
٢/٣٦٣ أقدِم عليه ؛ قال : وما يمنعك أن تقدم عليه أنت ! فقال له شمِر : ألِى تقول ذا ! قال : وأنت لى تقول ذا ! فاستبّا ، فقال له أبو الجَنوب ــ وكان شجاعاً : والله لهممتُ أن أخضخضَ السنان فى عينك ؛ قال : فانصرف عنه شمر وقال : والله لئن قدرتُ على أن أضرّك لأضرّنّك قال : ثمّ إنّ شمر بن ذى الجوشن أقبل فى الرجّالة نحو الحسين ؛ فأخذ الحسين يشدّ عليهم فينكشفون عنه . ثم إنهم أحاطوا به إحاطةً ، وأقبل إلى الحسين غلام من أهله ، فأخذتْه أخته

(١) س : « والقشعمىّ » .

زينب ابنة علىّ لتحبسه ، فقال لها الحسين : احبسيه ، فأبى الغلام ، وجاء يشتدّ إلى الحسين ، فقام إلى جنبه ؛ قال : وقد أهوى بحر بن كعب بن عبيدالله — من بنى تيْم الله بن ثعلبة بن عكابة — إلى الحسين بالسيف ، فقال الغلام : يابن الخبيثة ، أتقتل عمّى ! فضربه بالسيف ، فاتقاه الغلام بيده فأطنّها إلا الجلدة ، فإذا يده معلّقة ، فنادى الغلام : يا أمّتاه ! فأخذه الحسين فضمّه إلى صدره ، وقال : يابن أخى ؛ اصبر على ما نزل بك ، واحتسب فى ذلك الخير ، فإنّ الله يُلحقك بآبائك الصالحين ؛ برسول الله صلى الله عليه وسلم وعلىّ بن أبى طالب وحمزة وجعفر والحسن بن علىّ ؛ صلى الله عليهم أجمعين .

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم ، قال : سمعت الحسينَ يومئذ وهو يقول : اللهمّ أمسك عنهم قَطْرَ السماء ، وامنعهم بركاتِ الأرض ، اللهمّ فإنْ متّعتهم إلى حينٍ ففرّقهم فِرَقا ، واجعلهم طرائقَ قِدَداً ، ولا تُرْضِ عنهم الوُلاة أبداً ، فإنهم دعَوْنا لينصرونا ، فعدَوْا علينا فقتلونا . قال : وضارب الرجّالة حتى انكشفوا عنه ؛ قال : ولما بقى الحسين فى ثلاثة رهط أو أربعة ، دعا بسراويلَ محقَّقة[1] يلمع فيها البَصَر ، يَمَنِيّ محقَّق ، ففزره ونكثه[2] لكيلا يسلَبه ، فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحته تُبّاناً[3] ! قال : ذلك ثوب مذلّة ، ولا ينبغى لى أن ألبسه ؛ قال : فلما قتِل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجرَّداً . ٢/٣٦٤

قال أبو مخنف : فحدّثنى عمرو بن شعيب ، عن محمد بن عبد الرحمن أنّ يدَىْ بحر بن كعب كانتا فى الشتاء تَنضَحان الماء ، وفى الصيف تَيْبسان كأنهما عود .

قال أبو مخنف : عن الحجّاج[4] ، عن عبدالله بن عمّار بن عبد يغوث البارقىّ ،

---

(١) ثوب محقق : محكم النسج .
(٢) نكثه ، أى نقض نسجه .
(٣) التبان كرمّان : سراويل صغيرة مقدار شبر يستر العورة .
(٤) ط : « الحجاج بن عبد الله » ، وهو خطأ ؛ وانظر الفهرس .

وعُتِب على عبد الله بن عمّار بعد ذلك مشهده قتل الحسين، فقال عبد الله بن عمار : إنّ لى عند بنى هاشم لَيَداً ، قلنا له : وما يَدُك عندهم ؟ قال : حملتُ على حسين بالرُّمح فانتهيت إليه ، فوالله لو شئت لطعنتُه، ثم انصرفتُ عنه غيرَ بعيد، وقلت : ما أصنع بأن أتولّى قتلَه! يقتله غيرى . قال: فشدّ عليه رَجّالة ممّن عن يمينه وشماله، فحمل على مَن عن يمينه حتى ابذعرُّوا ، وعلى مَن عن شماله حتى ابذعرُّوا ، وعليه قميص له من خزّ وهو معتمٌّ ؛ قال : فوالله ما رأيت مكسوراً[1] قطّ قد قتِل ولده وأهل بَيته وأصحابه أربط جأشاً ، ولا أمضى جَناناً ولا أجرأ مقدماً منه ، والله ما رأيتُ قبلَه ولا بعدَه مِثلَه ؛ أن كانت الرّجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله انكشافَ المعزَى إذا شدّ فيها الذئب ؛ قال : فوالله إنه لكذلك إذ خرجتْ زينبُ ابنة فاطمة أخته ، وكأنى أنظر إلى قُرْطها يجول بين أذنيها وعاتقها وهى تقول : ليت السماء تطابقتْ على الأرض ! وقد دنا عمر بن سعد من حسين ؛ فقالت : يا عمر بن سعد ، أيُقتَل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه ! قال : فكأنى أنظر إلى دموع عمرَ وهى تسيل على خدّيه ولحيته ؛ قال : وصرف بوجهه عنها .

٢/٣٦٥

قال أبو مخنف : حدّثنى الصَّقْعب بن زهير ، عن حُميد بن مسلم ، قال : كانت عليه جُبّة من خزّ، وكان معتمًّا ، وكان مخضوبًا بالوَسمة، قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتَل، وهو يقاتل على رجليه قتالَ الفارس الشجاع يتّقى الرمية ، ويفترصُ[2] العورة ، ويشدّ على الخيل، وهو يقول : أعلَى قتلى تَحاثّون ! أمَا والله لا تَقتُلون بعدى عَبْداً من عباد الله اللهُ أسخطَ عليكم لقَتْله منّى ؛ وايم الله إنى لأرجو أن يكرمنى الله بهوانكم، ثمّ ينتقم لى منكم من حيث لا تشعرون ، أمَا والله أن لو قد قتلتمونى لقد ألقَى الله بأسَكم بينكم ، وسفك دماءَكم، ثم لا يَرضَى لكم حتى يضاعفَ لكم العذاب الأليم . قال : ولقد مكث طويلاً من النهار ولو شاء الناس أن يقتلوه لفعلوا ، ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض، ويحبّ هؤلاء أن يكفيَهم هؤلاء ؛ قال :

---

(١) المكسور : الكسير المنهزم . (٢) افترص العورة : انتهزها .

فنادى شمر فى الناس : وَيْحكم ؛ ماذا تنظرون بالرجل! اقتلوه ثَكِلتْكم أمّهاتكم! قال : فحُمل عليه من كلّ جانب ، فضُربت كفّه اليُسرى ضربة ، ضربها زُرْعة بن شريك التميمىّ ، وضُرب على عاتقه ، ثم انصرفوا وهو ينُوء ويكْبو ؛ قال : وحمَل عليه فى تلك الحال سنان بن أنس بن عمرو النَّخَعىّ فطعَنه بالرّمح فوقع ، ثم قال لخولىّ بن يزيد الأصبحىّ : احتزّ رأسه ، فأراد أن يفعل ، فضَعف فأرعد ، فقال له سنان بن أنس : فتّ الله عضُديك[1] ، وأبان يدَيْك! فنزل إليه فذَبحه واحتزّ رأسه ، ثم دُفع إلى خوَلّى بن يزيد ، وقد ضرِب قبل ذلك بالسيوف . ٢/٣٦٦

قال أبو مخنف ، عن جعفر بن محمد بن علىّ ، قال : وُجد بالحسين عليه السلام حين قُتل ثلاثٌ وثلاثون طعنة وأربعٌ وثلاثون ضربة ؛ قال : وجعل سنان بن أنس لا يدنُو أحدٌ من الحسين إلاّ شدّ عليه مخافة أن يُغلب على رأسه ، حتى أخذ رأسَ الحسين فدفعَه إلى خوَلى ؛ قال : وسُلِب الحسينُ ما كان عليه ، فأخذ سراويله بحر بن كعب ، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته — وكانت من خزّ ، وكان يسمَّى بعدُ قيس قطيفة — وأخذ نعليه رجل من بنى أوْد يقال له الأسود ، وأخذ سيفَه رجل من بنى نَهشَل بن دارم ، فوقع بعد ذلك إلى أهل حبيب بن بُديل ؛ قال : ومال الناس على الوَرْس والحُلَل والإبل وانتهبوها ؛ قال : ومال الناسُ على نساء الحسين وثَقَله ومتاعه ، فإنْ كانت المرأة لَتنازِع ثوبَها عن ظهرها حتى تُغلَب عليه فيُذهَب به منها .

قال أبو مخنف : حدّثنى زهير بن عبد الرحمن الخثعمىّ ، أن سويد بن عمرو بن أبى المطاع كان صُرِع فأثخِن ، فوقع بين القتلى مُثخَنًا ، فسمعهم يقولون : قُتل الحسين ، فوجد إفاقةً ، فإذا معه سكّين وقد أخذ سيفه ، فقاتَلهم بسكّينه ساعةً ، ثم إنه قُتل ، قتَله عروة بن بطار التغلبىّ ، وزيد بن رُقاد الجنبىّ ، وكان آخر قتيل . ٢/٣٦٧

قال أبو مخنف : حدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حُميد بن مسلم ،

---

(١) ف : « عضدك »

قال ، انتهيتُ إلى عليّ بن الحسين بن عليّ الأصغر وهو منبسِط على فراش له ، وهو مريض ، وإذا شَمِر بن ذى الجوشن فى رَجّالة معه يقولون: ألا نقتل هذا ؟ قال : فقلتُ : سبحان الله ! أنقتل الصبيانَ ! إنما هذا صبىّ ؛ قال : فما زال ذلك دأبى أدفع عنه كلّ مَن جاء حتى جاء عمر بن سعد، فقال : ألا لا يدخلنّ بيتَ هؤلاء النسوة أحد ، ولا يَعرِضنّ لهذا الغلام المريض ، ومَنْ أخذ من متاعهم شيئًا فليردّه عليهم . قال : فوالله ما ردّ أحد شيئًا ؛ قال : فقال علىّ بن الحسين : جُزيت من رجل خيراً ! فوالله لقد دفع الله عنى بمقالتك شرًّا ؛ قال: فقال الناس لسنان بن أنس : قتلتَ حُسين بن علىّ وابن فاطمة ابنةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قتلتَ أعظمَ العرب خطرًا ؛ جاء إلى هؤلاء يريد أن يزيلهم عن ملكهم ،فأتِ أمراءَك فاطلب ثوابك منهم ، لو أعطَوْك بيوتَ أموالِهم فى قتل الحسين كان قليلاً ؛ فأقبل على فرسه ، وكان شجاعًا شاعراً ، وكانت به لُوثة ، فأقبل حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ، ثمّ نادى بأعلى صوته :

٣٦٨/٢

أَوقِرْ ركابى فضّةً وذَهبَا أَنا قتلتُ المَلِكَ المحجَّبا

قتلتُ خيرَ الناس أُمًّا وأَبَا وخيرَهم إِذْ يُنسبون نَسَبا

فقال عمر بن سعد : أشهد إنك لمجنون ما صححتَ قطّ ، أدخِلوه علىّ ، فلما أدخِل حذَفه بالقضيب ثم قال: يا مجنون ، أتتكلّم بهذا الكلام ! أما والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقَك؛ قال : وأخذ عمر بن سعد عُقْبة بن سِمْعان — وكان مولًى للرَّباب بنت امرئ القيس الكلبيّة ، وهى أمّ سُكينة بنت الحسين — فقال له : ما أنت ؟ قال : أنا عبدٌ مملوك ، فخلّى سبيله ، فلم ينجُ منهم أحد غيره ، إلا أن المرقّع بن ثمامة الأسدىّ كان قد نثر نبلَه وجثا على ركبتيه ، فقاتل ، فجاءه نفر من قومه ، فقالوا له : أنت آمِن ، اُخرُج إلينا ، فخرج إليهم، فلما قدم بهم عمر بن سعد على ابن زياد وأخبره خبرَه سيّره إلى الزارة . قال : ثمّ إن عمر بن سعد نادى فى أصحابه : مَن ينْتدب للحسين ويوطئه فرسَه ؟ فانتدب عشرة: منهم إسحاق بن حَيْوةَ الحضرمىّ ،

وهو الذى سلب قميصَ الحسين — فبرِص بعدُ — وأحبَش بن مرثد بن علقمة ابن سلامة الحضرمىّ، فأتوْا فداسوا الحسين بخيولهم حتى رَضّوا ظهرَه وصدرَه، فبلغنى أنّ أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهمُ غَرْب[1]؛ وهو واقف فى قتال ففلَق قلبَه، فمات؛ قال: فقُتِل من أصحاب الحسين عليه السلام اثنان وسبعون رجلا، ودفَن الحسينَ وأصحابَه أهلُ الغاضريّة من بنى أسد بعد ما قُتلوا بيوم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا سوى الجَرحَى، فصلّى عليهم عمر بن سعد ودفنهم؛ قال: وما هو إلا أن قتِل الحسين، فسرِّح برأسه من يومه ذلك مع خوَلىّ بن يزيد وحميد بن مسلم الأزدىّ إلى عُبيد الله بن زياد، فأقبل به خوَلىّ فأراد القصر، فوجد بابَ القصر مُغلقًا، فأتى منزله فوضعه تحت إجّانة فى منزله، وله امرأتان: امرأة من بنى أسد، والأخرى من الحضرميّين يقال لها النَّوار ابنة مالك بن عقرب، وكانت تلك الليلة ليلة الحضرميّة. ٣٦٩/٢

قال هشام: فحدّثنى أبى، عن النّوار بنت مالك، قالت: أقبل خوَلىّ برأس الحسين فوضَعَه تحت إجّانة فى الدار، ثم دخل البيت، فأوى إلى فراشه، فقلت له: ما الخبر؟ ما عندك؟ قال: جئتك بغنَى الدهر، هذا رأس الحسين معك فى الدار؛ قالت: فقلت: ويلك — جاء الناس بالذهب والفضة وجئتَ برأس ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا والله لا يجمع رأسى ورأسك بيتٌ أبداً؛ قالت: فقمت من فراشى، فخرجتُ إلى الدار، فدعا الأسديّة فأدخلها إليه، وجلستُ أنظر، قالت: فوالله ما زلت أنظر إلى نور يَسطع مِثلَ العمود من السماء إلى الإجّانة، ورأيت طيراً بيضًا تُرفرف حولها. قال: فلما أصبح غدا بالرأس إلى عبيد الله بن زياد، وأقام عمر بن سعد يومَه ذلك والغد، ثمّ أمر حميد بن بكير الأحمرىّ فأذّن فى الناس بالرحيل إلى الكوفة، وحمل معه بنات الحسين وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وعلىّ ابن الحسين مريضٌ.

قال أبو مخنف: فحدّثنى أبو زهير العبسىّ، عن قرّة بن قيس التميمىّ، ٣٧٠/٢

---

(١) سهم غرب: لا يدرى راميه.

قال: نظرت إلى تلك النسوة لما مررن بحسين وأهله وولده صحْن ولطمْن وجوههن. قال: فاعترضتُهن على فرس، فما رأيت منظراً من نسوة قط كان أحسن من منظر رأيته منهن ذلك [اليوم]، والله لهن أحسن من مهًا يبرين. قال: فما نسيتُ من الأشياء لاأنْس قول زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين صريعًا وهي تقول: يا محمّداه، يامحمّداه! صلى عليك ملائكةُ السماء، هذا الحسينُ بالعَراء، مرمّل بالدماء، مقطع الأعضاء، يا محمداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة، تسفِي عليها الصَّبا. قال: فأبكت والله كل عدوّ وصديق؛ قال: وقُطف رءوس الباقين، فسُرّح باثنين وسبعين رأسًا مع شمِر بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزْرة بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عُبيد الله بن زياد.

قال أبومخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن حُميد بن مسلم، قال: دعاني عمر بن سعد فسرّحني إلى أهله لأبشّرهم بفتح الله عليه وبعافيته، فأقبلتُ حتى أتيتُ أهله، فأعلمتُهم ذلك، ثمّ أقبلت حتى أدخل فأجد ابن زياد قد جلس للناس، وأجد الوفد قد قدموا عليه؛ فأدخلهم، وأذن للناس، فدخلتُ فيمن دخل، فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه، وإذا هو ينكُت بقضيب بين ثنيّتيه ساعةً، فلما رآه زيد بن أرقم لا يُنجِم عن نكْته بالقضيب، قال له: اُعْلُ بهذا القضيب عن هاتين الثنيّتين، فوالذى لا إله غيرُه لقد رأيت شفتَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشفتين يقبّلهما، ثم انفضخ الشيخُ يبكى؛ فقال له ابن زياد: أبكَى الله عينيك! فوالله لولا أنك شيخ قد خرِفتَ وذهب عقلُك لضربتُ عنقَك؛ قال: فنهض فخرج، فلما خرج سمعتُ الناس يقولون: واللهِ لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتَله؛ قال: فقلت: ما قال؟ قالوا: مرّ بنا وهو يقول: ملَّك عبدٌ عبدًا، فاتّخذهم تُلدًا؛ أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرْجانة، فهو يقتل خياركم، ويستعبد شرارَكم، فرضيتم بالذلّ، فبعدًا لمن رضى بالذّل!

٢/٣٧١

قال : فلما دُخل برأس حسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبستْ زينب ابنة فاطمة أرذل[1] ثيابها ، وتنكّرت ، وحفّتْ بها إماؤها ، فلما دخلتْ جلست ، فقال عبيدُ الله بن زياد : مَن هذه الجالسة ؟ فلم تكلّمه ؛ فقال ذلك ثلاثا ، كلّ ذلك لا تكلّمه ، فقال بعض إمائها : هذه زينب ابنة فاطمة ؛ قال : فقال لها عبيد الله : الحمد لله الذى فضحكم وقتّلكم وأكذب أحدُوثتكم ! فقالت : الحمد لله الذى أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهّرنا تطهيرًا ، لا كما تقول أنت ، إنما يَفتضح الفاسق ، ويكذّب الفاجر ؛ قال : فكيف رأيتِ صنعَ الله بأهل بيتك ! قالت : كُتِب عليهم القتل ، فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينَك وبينَهم ، فتحاجّون إليه ، وتَخاصمون عنده ؛ قال : فغضب ابن زياد واستشاط ؛ قال : فقال له عمرو ابن حريث : أصلح الله الأمير ! إنما هى امرأة ، وهل تؤاخذ المرأة بشىء من منطقها ! إنها لا تؤاخذ بقول ، ولا تُلام على خطَل ، فقال لها ابن زياد : قد أشفى الله نفسى من طاغيتك ، والعُصاة المَردة من أهل بيتك ؛ قال : فبكتْ ثم قالت : لَعَمرى لقد قتلتَ كهلى ، وأبرْت[2] أهلى ، وقطّعت فَرْعى ، واجتثثتَ أصلى ، فإن يَشْفِك هذا فقد اشتفيت ، فقال لها عبيد الله : هذه شجاعة ، قد لَعمرى كان أبوكِ شاعراً شجاعًا ؛ قالت : ما للمرأة والشجاعة ! إنّ لى عن الشجاعة لشُغْلا ، ولكنّ[3] نَفثى ما أقول .

٣٧٢/٢

قال أبو مخنف ، عن المجالد بن سعيد : إنّ عُبيد الله بن زياد لما نظر إلى علىّ بن الحسين قال لشرطىّ : انظر هل أدرك ما يدرك الرّجال ؟ فكشَط إزاره عنه ، فقال : نعم ، قال انطلقوا به فاضربوا عنقه ، فقال له علىّ : إن كان بينك وبين هؤلاء النسوة قرابة فابعث معهنّ رجلا يحافظ عليهنّ ، فقال له ابن زياد : تعالَ أنتَ ، فبعثَه معهنّ .

قال أبو مخنف : وأما سليمان بن أبى راشد ، فحدّثنى عن حُميد بن مسلم

---

(١) أرذل الثياب : الردىء منها .

(٢) ابن الأثير : « وأبرزت » .

(٣) ط : « ولكنّى » .

قال : إنّى لقائم عند ابن زياد حين عُرِض عليه علىّ بن الحسين فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علىّ بن الحسين ، قال : أو لم يَقتُل الله علىّ بن الحسين! فسكت ، فقال له ابن زياد : ما لَكَ لا تتكلم ! قال : قد كان لى أخ يقال له أيضًا علىّ ، فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، قال : فسكت علىّ ، فقال له : ما لَكَ لا تتكلم ! قال : ﴿ اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾[2] ، قال : أنت والله منهم ، وَيْحك! انظروا هل أدرك ؟ والله إنّى لأحسبه رجلاً ؛ قال : فكشف عنه مُرِّىّ بن معاذ الأحمرىّ ، فقال : نعم قد أدرك ؛ فقال : اقتله ؛ فقال علىّ بن الحسين : من تُوَكِّل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقتْ به زينب عمته فقالت : يابن زياد ، حسبُك منّا ، أما رَوِيتَ من دمائنا ! وهل أبقيت منا أحدًا ! قال : فاعتنقتْه فقالت : أسألك بالله إن كنت مؤمنًا إنْ قتلتَه لمّا قتلتَنى معه ! قال : وناداه علىّ فقال : يابن زياد ، إن كانت بينك وبينهن قرابة فابعث معهن رجلا تقيًّا يصحبهن بصحبة الإسلام ؛ قال : فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى القوم فقال : عجبًا للرّحِم! والله إنّى لأظنها ودّت لو أنّى قتلتُه أنّى قتلتُها معه ؛ دعوا الغلام ، انطلق مع نسائك . ٣٧٣/٢

قال حميد بن مسلم : لما دخل عبيد الله القصرَ ودخل الناسُ ، نودىَ : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس فى المسجد الأعظم ، فصَعِد المنبَر ابن زياد فقال : الحمد لله الذى أظهر الحقّ وأهلَه ، ونصر أميرَ المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبَه ، وقَتَل الكذّاب ابن الكذّاب ، الحسينَ بن علىّ وشيعته ؛ فلم يفرغ ابن زياد من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عَفِيف الأزدىّ ثم الغامدىّ ، ثم أحد بنى والبة — وكان من شيعة علىّ كرّم الله وجهه ، وكانت عينُه اليسرى ذهبتْ يومَ الجمل مع علىّ ، فلما كان يومَ صِفّين ضُرِب على رأسه ضربةً ، وأخرى على حاجبه ، فذهبتْ عينُه الأخرى ، فكان لا يكاد يفارق المسجدَ الأعظم يصلى فيه إلى الليل ثم ينصرف — قال : فلما سمع مقالةَ ابن زياد ، قال : ٣٧٤/٢

---

(١) سورة الزمر : ٤٢ .

(٢) سورة آل عمران : ١٤٥ .

يابن مَرْجانة ، إنّ الكذّاب ابنَ الكذّاب أنت وأبوك والذى ولّاك وأبوه ؛ يابن مرجانة ، أتقتلون أبناء النبيّين ، وتتكلّمون بكلام الصدّيقين ! فقال ابن زياد : علىّ به ؛ قال : فوثبتْ عليه الجلاوزة فأخذوه[1] ؛ قال : فنادى بشعار الأزد: يا مبرور — قال: وعبد الرحمن بن مخنف الأزدىّ جالس — فقال: ويحَ غيرك ! أهلكت نفسك ، وأهلكتَ قومك ، قال : وحاضر الكوفة يومئذ من الأزْد سبعمائة مقاتل ؛ قال : فوثب إليه فتيةٌ من الأزد فانتزعوه فأتَوْا به أهلَه ، فأرسل إليه من أتاه به، فقتَله وأمرَ بصَلْبه فى السَّبَخة[2]، فصُلب هنالك .

قال أبو مخنف : ثمّ إنّ عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة ، فجعل يُدار به فى الكوفة ، ثم دعا زَحْر بن قيس فسرّح معه برأس الحسين ورءوس أصحابه إلى يزيدَ بن معاوية ، وكان مع زحْر أبو بُردة بن عوف الأزدىّ وطارق بن أبى ظَبيان الأزدىّ ، فخرجوا حتى قدموا بها الشأم على يزيدَ بن معاوية .

قال هشام : فحدّثنى عبد الله بن يزيد بن رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ ، عن أبيه ، عن الغاز بن ربيعة الجُرَشىّ ، من حمير ، قال : والله إنا لعند يزيدَ ابن معاوية بدمشق إذ أقبل زَحْر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ، فقال له يزيد : ويلك ! ما وراءك ؟ وما عندك ؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ، وَرَدَ علينا الحسينُ بن علىّ فى ثمانية عشر من أهل بيته وستّين من شيعته ، فسرنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حُكم الأمير عُبيدِ الله بن زياد أو القتال ؛ فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعدَوْنا عليهم مع شروق الشمس ، فأحطْنا بهم من كلّ ناحية ، حتى إذا أخذتِ السيوفُ مآخذَها من هام القوم ، يهربون إلى غير وَزَر ، ويلوذون منا بالآكام والحُفَر ، لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر ، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جَزْرَ

٢/٣٧٥

(١) الجلواز : الشرطى ؛ وجمعه جلاوزة .
(٢) ابن الأثير : « المسجد » .

جَزور أو نومةَ قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادُهم مجرَّدة ، وثيابُهم مرمَّلة[١] ، وخدودهم معفَّرة ، تَصهرُهم الشمس ، وتَسفى عليهم الريح ، زُوَّارهم العِقْبان والرَّخَم بقِىٍّ سَبْسَب[٢] . قال : فدمعتْ عينُ يزيد ، وقال : قد كنت أرضَى من طاعتكم بدون قتلِ الحسين ، لعن الله ابن سُميّة ! أما والله لو أنّى صاحبه لعفوتُ عنه ، فرحم الله الحسينَ ! ولم يصله بشىء .

قال : ثمّ إنّ عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجُهِّزن ، وأمر بعلىّ ابن الحسين فغُلَّ بغلّ إلى عنقه ، ثم سرّح بهم مع مُحَفِّز بن ثعلبة العائذىّ ، عائذة قريش ومع شمر بن ذى الجوشن ، فانطلقا بهم حتّى قدموا على يزيد ، فلم يكن علىّ بن الحسين يكلم أحداً منهما فى الطريق كلمة حتّى بلغوا ، فلمّا انتهَوا إلى باب يزيدَ رفع مُحفِّز بن ثعلبة صوتَه ، فقال : هذا محفِّز بن ثعلبة أتى أميرَ المؤمنين باللئام الفَجَرة ، قال : فأجابه يزيد بن معاوية : ما ولدتْ أم محفِّز شرٌّ وألأم . ٢/٣٧٦

قال أبو مخنف : حدّثنى الصقعب بن زهير ، عن القاسم بن عبد الرحمن مولَى يزيد بن معاوية ، قال : لما وُضعت الرءوس بين يدىْ يزيدَ — رأسُ الحسين وأهل بيته وأصحابه — قال يزيد :

يُفَلِّقْنَ هاماً من رجال أعِزَّةٍ ... علَيْنا وَهُمْ كانوا أعَقَّ وأظْلَما[٣]

أما والله يا حسينُ ، لو أنا صاحبُك ما قتلتُك .

قال أبو مخنف : حدّثنى أبو جعفر العبسىّ ، عن أبى عمارة العبسىّ ، قال : فقال يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم :

لهامٌ بجَنْبِ الطَّفِّ أدْنى قَرابةً ... من ابن زيادِ العبْدِ ذى الحَسَبِ الوَغْلِ
سُمَيَّةُ أمسى نَسْلُها عدد الحصى ... وبنتُ رسُول اللهِ لَيْسَ لها نَسْلُ

(١) مرملة : أى ملطخة بالدم .

(٢) القى ، من القواء ، وهى الأرض القفر الخالية . والسبسب : المفازة .

(٣) للحصين بن همام ، من المفضلية ١٢ .

قال : فضرب يزيدُ بن معاوية فى صدر يحيى بن الحكم وقال : اسكت .

قال : ولمّا جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشأم فأجلسهم حولَه ، ثم دعا بعلىّ بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فأدخلوا عليه والناس ينظرون ، فقال يزيد لعلىّ : يا علىّ ، أبوك الذى قطع رَحمى ، وجهل حقّى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيتَ ! قال : فقال علىّ : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[1] ، فقال يزيد لابنه خالد : اردُد عليه ؛ قال : فما درَى خالد ما يردّ عليه ؛ فقال له يزيد : قل : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[2] ، ثم سكت عنه ؛ قال : ثم دعا بالنساء والصبيان فأجلسوا بين يديه ، فرأى هيئةً قبيحة ، فقال: قبح الله ابنَ مرْجانة ! لو كانت بينه وبينكم رَحِم أو قرابةٌ ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم هكذا .

٣٧٧/٢

قال أبو مخنف ، عن الحارث بن كعب ، عن فاطمة بنت علىّ ، قالت : لما أجلسنا بين يدىْ يزيدَ بن معاوية رقّ لنا ، وأمرَ لنا بشىء ، وألطفَنا ؛ قالت : ثمّ إنّ رجلاً من أهل الشأم أحمرَ قام إلى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، هبْ لى هذه — يعنينى ، وكنتُ جاريةً وضيئةً — فأرعدْتُ وفرِقْتُ ، وظننتُ أنّ ذلك جائز لهم ، وأخذتُ بثياب أختى زينب ؛ قالت : وكانت أختى زينب أكبرَ منّى وأعقلَ ، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون ، فقالت : كذبتَ والله ولؤُمتَ ! ما ذلك لك وله[3] ، فغضب يزيد ، فقال: كذبتِ والله ، إنّ ذلك لى ، ولو شئتُ أن أفعلَه لفعلتُ ؛ قالت : كلاّ والله ، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملّتنا ، وتدينَ بغير ديننا ؛ قالت: فغضب يزيد واستطار ، ثم قال: إيّاى تستقبلين بهذا ! إنما خرج من الدّين أبوكِ

---

(١) سورة الحديد: ٢٢ .

(٢) سورة الشورى: ٣٠ .

(٣) ابن الأثير : « ولا له » .

٢/٣٧٨ وأخوك ؛ فقالت زينب : بدين الله ودين أبي ودين أخي وجدّي اهتديتَ أنتَ وأبوك وجدّك ، قال : كذبتِ يا عدوّة الله ؛ قالت : أنت أميرٌ مسلَّط ، تشتم ظالمًا ، وتقهر بسلطانك ؛ قالت : فوالله لكأنه استحيا ؛ فسكتَ ، ثم عاد الشاميّ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هبْ لى هذه الجارية ؛ قال : اعزُبْ ؛ وهبَ الله لك حتْفًا قاضيًا ! قالت : ثمّ قال يزيدُ بنُ معاوية : يانعمان بن بشير ، جهِّزْهم بما يُصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشأم أمينًا صالحًا ، وابعث معه خيلاً وأعوانًا فيسير بهم إلى المدينة ، ثمّ أمر بالنسوة أن يُنْزلن فى دار على حِدَة ، معهنّ ما يصلحهنّ ، وأخوهنّ معهنّ علىّ بن الحسين ، فى الدار التى هنّ فيها . قال : فخرجن حتى دخلن دار يزيدَ فلم تبق من آل معاوية امرأةٌ إلا استقبلتْهنّ تبكى وتنوح على الحسين ، فأقاموا عليه المناحةَ ثلاثًا ، وكان يزيد لا يتغدّى ولا يتعشى إلا دعا علىّ بن الحسين إليه ؛ قال : فدعاه ذاتَ يوم ، ودعا عمر بن الحسن بن علىّ [1] وهو غلام صغير ، فقال لعمر بن الحسن : أتقاتل هذا الفتى ؟ يعنى خالداً ابنه ، قال : لا ، ولكنْ أعطنى سكينًا وأعطه سكينًا ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد ؛ وأخذه فضمه إليه ثمّ قال : «شِنْشِنةٌ أعرِفُها مِن أخزَم» ؛ هل تلد الحيّة إلاّ حيّة ! قال : ولما أرادوا أن يخرجوا دعا يزيدُ علىَّ بنَ الحسين ثمّ قال : لعن الله ابنَ مرجانة ، أما والله لو أنى صاحبُه ما سألنى خَصلةً أبداً إلا أعطيتُها إياه ، ولدفعتُ

٢/٣٧٩ الحَتْف عنه بكلّ ما استطعتُ ولو بهلاك بعض ولَدى ، ولكنّ الله قضى ما رأيت ، كاتِبْنى وأنْه كلّ حاجة تكون لك ؛ قال : وكساهم وأوصَى بهم ذلك الرسول ؛ قال : فخرج بهم وكان يسايرهم بالليل فيكونون أمامه حيث لا يفوتون طرفه ، فإذا نزلوا تنحّى عنهم وتفرّق هو وأصحابُه حولَهم كهيئة الحَرَس لهم ، وينزل منهم بحيث إذا أراد إنسان منهم وضوءاً أو قضاءَ حاجة لم يحتشم ، فلم يزل يُنازلهم فى الطريق هكذا ، ويسألهم عن حوائجهم ، ويُلطِفهم حتى دخلوا المدينة.

وقال الحارث بن كعب : فقالت لى فاطمة بنت علىّ : قلت لأختى زينب : يا أخَيّة ، لقد أحسنَ هذا الرجل الشأمىّ إلينا فى صحبتنا ، فهل لكِ أن نصلَه ؟ فقالت : واللهِ ما معنا شىء نصِلُه به إلاّ حُلِيّنا ؛ قالت

(١) ط : « عمرو بن الحسن » ، وانظر الفهرس .

لها : فنعطيه حُليّنا ؛ قالت : فأخذتُ سِوارى وُدمْلُجى (١) وأخذتْ أختى سِوارَها وُدملجَها ، فبعثنا بذلك إليه ، واعتذرْنا إليه ، وقلنا له : هذا جزاؤك بصحبتك إيّانا بالحَسَن من الفعل ؛ قال : فقال : لو كان الذى صنعتُ إنما هو للدنيا كان فى حليّكنّ ما يرضينى ودونَه ، ولكنْ والله ما فعلتُه إلا لله ، ولقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال هشام : وأما عَوانة بن الحَكَم الكلبىّ فإنه قال : لما قُتل الحسين وجىء بالأثقال والأسارى حتّى وردوا بهم الكوفة إلى عُبيد الله ، فبينا القومُ محتبسون (٢) إذ وقع حجَر فى السجن ، معه كتاب مربوط ، وفى الكتاب خرج البريد بأمركم فى يوم كذا وكذا إلى يزيدَ بن معاوية ، وهو سائر كذا وكذا يومًا ، وراجع فى كذا وكذا ، فإن سمعتم التكبيرَ فأيقِنوا بالقتل ، وإن لم تَسمعوا تكبيراً فهو الأمان إن شاء الله ؛ قال : فلما كان قبل قدوم البريد بيومين أو ثلاثة إذا حجر قد أُلقىَ فى السجن ، ومعه كتاب مربوط ومُوسَى ، وفى الكتاب : أوصُوا واعهَدُوا فإنما يُنتظر البريد يوم كذا وكذا . فجاء البريد ولم يُسمع التكبير ، وجاء كتاب بأن سرّح الأسارى إلىّ . قال : فدعا عبيدالله ابن زياد محفّز بن ثعلبة وشمر بن ذى الجَوْشن ، فقال : انطلقوا بالثقَل والرأس إلى أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ؛ قال : فخرجوا حتّى قدموا على يزيدَ ، فقام مُحفّز بن ثعلبة فنادى بأعلى صوته : جئنا برأس أحمَق الناس وألأمِهم ؛ فقال يزيد : ما ولدتْ أمّ مُحفّز ألأمُ وأحمقُ ، ولكنه قاطعٌ ظالم ؛ قال : فلما نظر يزيد إلى رأس الحسين ، قال :

٢/٣٨٠

يفلّقن هاماً من رجالٍ أعزّةٍ   علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما

ثم قال : أتدرون من أين أُتِى هذا ؟ قال : أبى علىٌّ خيرٌ من أبيه ، وأمّى فاطمة خيرٌ من أمه ، وجدّى رسولُ الله خيرٌ من جدّه ، وأنا خيرٌ منه وأحقّ

---

(١) الدملج : ما يوضع على العضد من الحلىّ .

(٢) ابن الأثير : « فى الحبس » .

بهذا الأمر منه ؛ فأما قوله: «أبوه خيرٌ من أبي» ، فقد حاجّ أبي أباه ، وعلم الناسُ أيُّهما حكِم له ؛ وأما قولُه : «أمّي خير من أمّه» ، فلعَمري فاطمةُ ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرٌ من أمّي ؛ وأما قوله : « جدّي خيرٌ مِن جدّه» ، فلعمري ما أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر يرَى لرسول الله فينا عِدْلاً ولا نِدًّا ، ولكنه إنما أتِيَ من قِبَل فقهه ، ولم يقرأ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]. ثم أدخِل نساء الحسين على يزيد ، فصاح نساء آل يزيد وبنات معاوية وأهله وولْوَلْن. ثم إنهنّ أدخِلن على يزيد، فقالت فاطمة بنت الحسين — وكانت أكبرَ من سُكَينةَ : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد ! فقال يزيد : يا ابنة أخي ، أنا لهذا كنت أكره ؛ قالت : والله ما ترِك لنا خُرْص[2] ، قال : يا ابنة أخي ما آتٍ إليكِ أعظَم مما أخِذَ منكِ ، ثم أخرجن فأدخلن دارَ يزيد بن معاوية ، فلم تبق امرأةٌ من آل يزيدَ إلا أتتهنّ ، وأقمن المأتم ، وأرسل يزيد إلى كلّ امرأة : ماذا أخِذ لك ؟ وليس منْهنّ امرأة تدّعي شيئًا بالغًا ما بلغ إلا قد أضعفه لها ، فكانت سكينة تقول : ما رأيتُ رجلا كافراً بالله خيراً من يزيد ابنِ معاوية . ثم أدخل الأسارى إليه وفيهم عليُّ بنُ الحسين ، فقال له يزيد : إيهٍ يا عليّ ! فقال عليّ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[3] فقال يزيد : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[4] ثم جهزه وأعطاه مالاً ، [و]سرّحه إلى المدينة .

٢/٣٨١ — ٢/٣٨٢

---

(١) سورة آل عمران: ٢٦ .

(٢) الخرص : حلقة القرط .

(٣) سورة الحديد: ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة الشورى: ٣٠ .

قال هشام، عن أبى مخنف ، قال: حدّثنى أبو حمزة الثُّمالىّ ، عن عبد الله الثُّمالىّ ، عن القاسم بن بُخَيْت ، قال: لما أقبل وفدُ أهلِ الكوفة برأس الحسين دخلوا مسجد دمشق ، فقال لهم مروان بن الحكم : كيف صنعتم ؟ قالوا : ورد علينا منهم ثمانية عشر رجلاً ، فأتينا والله على آخرهم ، وهذه الرءوس والسَّبايا ، فوثب مروان فانصرف ، وأتاهم أخوه يحيى بن الحكم ، فقال : ما صنعتم ؟ فأعادوا عليه الكلام ، فقال : حُجِبتم عن محمد يومَ القيامة ؛ لن أجامعكم على[1] أمر أبداً ثم قام فانصرف ، ودخلوا على يزيدَ فوضعوا الرأسَ بين يديه ، وحدّثوه الحديث . قال : فسمعتْ دَوْرَ الحديثِ هند بنت عبد الله ابن عامر بن كُرَيز — وكانت تحت يزيد بن معاوية — فتقنّعَت بثوبها ، وخرجت فقالت : يا أمير المؤمنين ، أرأس الحسين بن فاطمةَ بنت رسول الله ! قال : نعم فأعْوِلى عليه ، وحُدّى على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصريخة قريش ؛ عجّلَ عليه ابن زياد فقتله قتَله الله ! ثم أذن للناس فدخلوا والرأس بين يديه ، ومع يزيد قضيبٌ فهو يَنكُت به فى ثغره ، ثم قال : إنّ هذا وإيّانا كما قال الحُصَين بنُ الحُمَام المُرّىّ :

يفلِّقن هاماً من رجالٍ أحبةٍ   إلينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو برزة الأسلمىّ : أتنكت بقضيبك فى ثغر الحسين ! أما لقد أخذ قضيبُك من ثغره مأخذًا ، لربّما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَرشُفه ، أما إنك يا يزيدُ تجىء يومَ القيامة وابن زياد شفيعك ، ويجىء هذا يومَ القيامة ومحمد صلى الله عليه وسلم شفيعه ؛ ثم قام فولّى . ٢/٣٨٣

قال هشام : حدّثنى عَوَانة بن الحكم ، قال: لما قتل عبيدُ الله بن زياد الحسينَ بن علىّ وجىء برأسه إليه ، دعا عبد الملك بن أبى الحارث السُّلَمِىّ فقال : انطلقْ حتى تقدم المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص فبشِّره بقتْل الحسين — وكان عمرو بن سعيد بن العاص أميرَ المدينة يومئذ — قال : فذهب

---

(١) ف : « فى » .

ليعتلّ له ، فزجره — وكان عبيد الله لا يُصطلَى بناره — فقال : انطلق حتى تأتيَ المدينة ، ولا يسبقك الخبر ؛ وأعطاه دنانير ، وقال : لا تعتلّ ، وإن قامت بك راحلتُك فاشتر راحلة ؛ قال عبد الملك : فقدمتُ المدينة ، فلقيني رجل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قُتِل الحسين بن عليّ ؛ فدخلتُ على عمرو بن سعيد فقال : ما وراءك ؟ فقلت : ما سرّ الأمير ، قُتِل الحسين بن عليّ ؛ فقال : نادِ بقَتْله ، فنادَيْت بقتله ، فلم أسمع والله واعيةً قطّ[1] مثل واعية نساء بني هاشم في دُورهن على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

٢/٣٨٤ عجَّت نساءُ بني زياد عجّةً كَعجيج نِسْوتنا غَداةَ الأَرْنب[2]

والأرنب : وقعةٌ كانت لبني زُبيد على بني زياد من بني الحارث بن كعب ، من رهط عبد المدان ، وهذا البيتُ لعَمرو بن معديكرَب ، ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمانَ بن عفّان ، ثم صعد المنبَر فأعْلَمَ الناسَ قتلَه .

قال هشام ، عن أبي مخنف ، عن سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن ابن عبيد أبي الكَنود ، قال : لما بلغ عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين ، دخل عليه بعضُ مواليه والناس يعزّونه — قال : ولا أظنّ مولاه ذلك إلا أبا اللَّسلاس — فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين ! قال : فحذَفه عبدُ الله بن جعفر بنعله ، ثم قال : يابن اللَّخناء ، أللحسين تقول هذا ! والله لو شهدتُه لأحببتُ ألّا أفارقَهُ حتى أقتلَ معه ، والله إنه لما يسخّي بنفسي عنهما ، ويهوّن عليّ المصابَ بهما ، أنهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيَيْن له ، صابرَيْن معه . ثم أقبل على جلسائه فقال : الحمد لله عزّ وجلّ على مَصرَع الحسين ، إلا تكن آستْ حسينًا يدي ، فقد آساه وَلَدي . قال : ولَمَّا أتى أهلَ المدينة مقتلُ الحسين خرجتْ ابنة عَقيل بن أبي طالب ومعها نساؤها وهي حاسرة تلوى بثوبها وهي تقول :

---

(١) الواعية : التي تصرخ على الميت .

(٢) اللسان ١ : ٤١٩ ، ونسبه إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته : « بني زبيد » .

ماذَا تقولونَ إنْ قال النبيُّ لكمْ ماذا فعلتمْ وأنتمْ آخِرُ الأُمَمِ
بعِتْرتى وبأَهلى بعدَ مُفتَقَدِى منهمْ أُسارَى ومنهمْ ضُرِّجوا بدم! ٢/٣٨٥

قال هشام : عن عوانة ، قال : قال عُبيد الله بن زياد لعمَر بن سعد بعد قتله الحسين : يا عمر ، أين الكتاب الذى كتبتُ به إليك فى قتل الحسين ؟ قال : مضيتُ لأمرك وضاع الكتاب ؛ قال : لتجيئَنّ به ؛ قال : ضاع ؛ قال : والله لتجيئنّى به ؛ قال : تُرِك والله يُقرأ على عجائز قريش اعتذارًا إليهن بالمدينة ، أمَا والله لقد نصحتُك فى حسين نصيحةً لو نصحتُها أبى سعد ابن أبى وقّاص كنت قد أدّيت حقه ، قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله : صدق والله ، لَوددتُ أنه ليس من بنى زياد رجلٌ إلا وفى أنفه خِزامةٌ إلى يوم القيامة وأنّ حسيناً لم يُقتل ؛ قال : فوالله ما أنكر ذلك عليه عبيد الله .

قال هشام : حدّثنى بعض أصحابنا ، عن عمرو بن أبى المقدام، قال : حدّثنى عمرو بن عكرمة ، قال : أصبحنا صبيحةَ قتل الحسين بالمدينة ، فإذا مولًى لنا يحدّثنا ، قال : سمعتُ البارحة مناديًا ينادى وهو يقول :

أيّها القاتلون جَهْلًا حُسيناً أبشِروا بالعذابِ والتّنْكيل
كلُّ أهلِ السماءِ يدعو عليكمْ من نبىٍّ ومَلْأَكٍ وَقبيل[١]
قد لُعِنتمْ على لسان ابن داو دَ وموسى وحامِلِ الإنجيل[٢]

قال هشام : حدّثنى عمر بن حيزوم الكلبىّ ، عن أبيه، قال : سمعتُ هذا الصوت .

* * *

ذكر أسماء من قُتل من بنى هاشم مع الحسين عليه السلام
وعدد من قُتل من كلّ قبيلة من القبائل الّتى قاتلته

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما قتِل الحسين بن علىّ عليه السلام جىء ٢/٣٨٦

(١) ط : « وملك وقبيل » .
(٢) ابن الأثير : « وصاحب الإنجيل » .

برءوس مَن قتل معه من أهل بيته وشيعته وأنصاره إلى عُبيد الله بن زياد ، فجاءت كِنْدة بثلاثة عشر رأساً ، وصاحبهم قيس بن الأشعث ، وجاءت هَوازنُ بعشرين رأساً وصاحبهم شَمر بن ذى الجوْشن ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً ، وجاءت بنو أسد بستة أرؤس ، وجاءت مَذْحِج بسبعة أرؤس ، وجاء سائرُ الجيش بسبعة أرؤس ، فذلك سبعون رأساً .

قال : وقُتل الحسين — وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم — قتَله سنان بن أنس النَّخعيّ ثم الأصبحيّ وجاء برأسه خَوْلىّ بن يزيد ، وقُتل العباس بن علىّ بن أبى طالب — وأمّه أمّ البنين ابنة حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد ، قتله زيد بن رُقاد الجَنْبىّ[1] — وحكيم بن الطفيل السِّنْبِسىّ ، وقتل جعفر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — وقُتل عبدالله بن علىّ ابن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — وقتل عُثمان بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ البنين أيضاً — رماه خولىّ بن يزيدَ بسهم فقتله ، وقتل محمد بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أم ولد — قتله رجل من بنى أبان بن دارم ، وقتل أبو بكر بن علىّ بن أبى طالب — وأمه ليلى ابنة مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعىّ بن سُلْمَى بن جندل بن نَهْشَل بن دارم ، وقد شُكّ فى قتله — وقُتل علىّ ابن الحسين بن علىّ — وأمه ليلى ابنة أبى مرّة بن عروة بن مسعود بن معتِّب الثقفىّ ، وأمها ميمونة ابنة أبى سفيان بن حرب — قتله مرّة بن مُنقذ بن النعمان العبدىّ ، وقتل عبد الله بن الحسين بن علىّ — وأمه الرّباب ابنة امرئ القيس ابن عدىّ بن أوس بن جابر بن كعب بن عُليم من كلْب — قتله هانئ ابن ثُبيت الحضرمىّ ، واستصغر علىّ بن الحسين بن علىّ فلم يُقتل ، وقُتل أبو بكر بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله عبدُ الله بن عقبة الغَنَوىّ[2] ، وقُتل عبد الله بن الحسن بن علىّ بن أبى طالب — وأمه أمّ ولد — قتله حرملة بن الكاهن ، رماه بسهم ؛ وقتل القاسم بن الحسن بن علىّ — وأمّه أمّ ولد — قتله سعد بن عمرو بن نُفَيل الأزدىّ ، وقتل عون بن عبد الله

٢/٣٨٧

(١) ابن الأثير : « زيد بن داود » .

(٢) فى ابن الأثير : « قتله حرملة الكاهن » .

ابن جعفر[1] بن أبي طالب — وأمه جمانة ابنة المسيَّب بن نَجَبة بن ربيعة بن رياح من بني فَزارة — قتله عبد الله بن قُطْبة الطائيّ ثم النَّبْهانيّ ، وقتِل محمد ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب — وأمّه الخوصاء ابنة خَصَفة بن ثقيف بن ربيعة بن عائذ بن الحارث بن تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل — قَتَلَه عامر ابن نَهْشل التيميّ ، وقُتل جعفر بن عقيل بن أبي طالب — وأمه أمّ البنين ابنة الشقر بن الهضاب — قتله بشر بن حَوْط[2] الهمْدانيّ ، وقُتِل عبدالرحمن ابن عَقيل — وأمه أمّ ولد — قتله عثمان بن خالد بن أسير الجُهَنيّ ، وقتل عبد الله بن عقيل بن أبي طالب — وأمه أمّ ولد — رماه عمرو بن صُبَيح الصدائيّ[3] فقتله ؛ وقتل مسلم بن عَقيل بن أبي طالب — وأمه أمّ ولد ، وُلد بالكوفة — وقتِل عبدالله بن مسلم بن عَقيل بن أبي طالب — وأمّه رُقيّة ابنة عليّ بن أبي طالب وأمها أمّ ولد — قتله عمرو بن صبيح الصدائيّ ؛ وقيل : قتله أسيد بن مالك الحضرميّ ، وقتل محمد بن أبي سعيد بن عقيل — وأمه أمّ ولد — قتله لقيط بن ياسر الجهنيّ ، واستُصغر الحسن بن الحسن بن عليّ ، وأمه خولة ابنة منظور بن زبّان بن سيار الفَزاريّ ، واستصغر عمر بن الحسن بن عليّ فتُرِك فلم يُقتل — وأمه أمّ ولد — وقُتِل من الموالي سليمان مولى الحسين بن عليّ ، قتله سليمان بن عوف الحضرميّ ، وقتل مُنْجِح مولى الحسين بن عليّ ، وقتل عبد الله بن بُقْطُر رضيع الحسين بن عليّ . ٣٨٨/٢

قال أبو مخنف : حدّثني عبد الرحمن بن جندب الأزديّ ، أن عبيد الله ابن زياد بعد قتل الحسين تفقّد أشراف أهل الكوفة ، فلم ير عبيد الله بن الحُرّ ، ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه ، فقال : أين كنت يابن الحرّ ؟ قال : كنت مريضًا ؛ قال : مريض القلب ، أو مريض البدن ! قال : أما قلبي فلم يمرض ، وأما بدني فقد منّ الله عليّ بالعافية ، فقال له ابن زياد : كذبتَ ؛ ولكنك كنت مع عدوّنا ؛ قال : لو كنت مع عدوّك لَرُئِيَ مكاني ، وما كان مثل مكاني يخفَى ؛ قال : وغفل عنه ابن زياد غفلةً ، فخرج ابن الحرّ فقعد

(١) ابن الأثير : « وقتل عون بن أبي جعفر » .
(٢) ويقال « بشر بن سوط » ، وانظر ص ٤٤٧ س ٩
(٣) ابن الأثير : « الصيداوي » .

على فرسه ، فقال ابن زياد : أين ابن الحرّ ؟ قالوا : خرج الساعة ؛ قال : عليّ به ؛ فأحضِرت الشُّرَط فقالوا له : أجب الأميرَ ؛ فدفع فرسه ثم قال : أبلغوه أنّي لا آتيه والله طائعًا أبداً ؛ ثم خرج حتى أتى منزل أحمر بن زياد الطائيّ فاجتمع إليه في منزله أصحابه ، ثم خرج حتى أتى كربلاء فنظر إلى مصارع القوم ، فاستغفر لهم هو وأصحابه ، ثم مضى حتى نزل المدائن ، وقال في ذلك : ٢/٣٨٩

يقولُ أميرٌ غادرٌ حقّ غادرٍ : ألَا كنتَ قاتَلْتَ الشهيدَ ابنَ فاطمَهْ !
فيا نَدمى ألّا أكونَ نصرتُهُ ألا كلُّ نفس لا تُسدّد نادِمَهْ
وَإنّي لأنّي لم أكُن من حُماتِهِ لذُو حسرةٍ ما إن تفارقُ لازمَه
سَقَى الله أرواحَ الذين تآزّروا على نصرهِ سُقْيًا من الغيْثِ دائمَهْ
وقفتُ على أجْداثِهمْ ومجالِهمْ فكاد الحَشَا ينفَضُّ والعينُ ساجمَه
لَعَمْري لقد كانوا مصَاليتَ في الوَغى سِراعاً إلى الهَيجا حُماةً خَضارمَهْ
تآسَوْا على نَصْر ابن بنتِ نبيِّهمْ بأسيافهمْ آسادَ غِيلٍ ضَراغِمَهْ ٢/٣٩٠
فإنْ يُقتلوا فكلُّ نفسٍ تقيَّة على الأرض قد أضْحَت لذلك واجمَهْ
وما إن رأى الرّائُونَ أفضل منهُمُ لدى الموتِ ساداتٍ وزُهْرًا قماقِمهْ
أتقتلهمْ ظُلماً وترجو ودادَنا فَدَعْ خُطّةً ليست لنا بملائمهْ !
لعمرى لقد راغَمتُمونا بقتلهمْ فكم ناقِمٍ مِنّا عليكم وناقِمَهْ
أهُمّ مِرارًا أن أسِيرَ بجَحْفَلٍ إلى فئةٍ زاغَتْ عن الحقّ ظالِمهْ
فكُفُّوا وإلاّ ذُدْتُكمْ في كَتَائبٍ أشَدّ عليكمْ من زُحُوفِ الديالِمَهْ

* * *

[ذكر خبر مقتل مرداس بن عمرو بن حُدَير]

وفي هذه السنة قتِل أبو بلال مرداس بن عمرو بن حُدَير ، من ربيعة بن حنظلة .

* ذكر سبب مقتله :

قال أبو جعفر الطبريّ : قد تقدّم ذكر سبب خروجه ، وما كان من توجيه عبيد الله بن زياد إليه أسلَم بن زُرعة الكلابىّ فى ألفَىْ رجل ، والتقائهم بآسَك وهزيمة أسلم وجيشه منه ومن أصحابه فيما مضى من كتابنا هذا . ٢٩١/٢

ولما هزم مرداس أبو بلال أسلمَ بن زرعة ، وبلغ عبيدَ الله بن زياد ، سرّح إليه — فيما حُدّثتُ عن هشام بن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبِىّ — ثلاثة آلاف ، عليهم عبّاد بن الأخضر التميمىّ ، فأتبعه عبّاد يطلبه حتى لحقه بتَوّج ، فصفّ له ، فحمل عليهم أبو بلال وأصحابه ، فثبتوا . وتعطّف الناس عليهم فلم يكونوا شيئًا . وقال أبو بلال لأصحابه : مَنْ كان منكم إنما خرج للدنيا فليذهب ، ومن كان منكم إنما أراد الآخرة ولقاءَ ربّه فقد سبق ذلك إليه ، وقرأ : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾[1] ، فنزل ونزل أصحابه معه لم يفارقه منهم إنسان ، فقُتلوا من عند آخرهم ، ورجع عبّاد بن الأخضر ، وذلك الجيش الذى كان معه إلى البصرة ، وأقبل عَبيدة بن هلال معه ثلاثة نفر هو رابعهم ، فرصد عبّاد بن الأخضر ، فأقبل يريد قصر الإمارة وهو مردف ابناً له غلاماً ، صغيراً ، فقالوا : يا عبد الله ، قف حتى نستفتيك ؛ فوقف ، فقالوا : نحن إخوةٌ أربعة ، قُتل أخونا ، فما تَرَى ؟ قال : استَعْدُوا الأميرَ ، قالوا : قد استعدَيناه فلم يُعْدِنا ؛ قال : فاقتلوه ، قتله الله ! فوَثبوا عليه فحكّموا ، وألقى ابنَه فقتلوه .

* * *

[ذكر خبر ولاية سَلْم بن زياد على خراسان وسجستان]

وفى هذه السنة وَلَّى يزيد بن معاوية سَلْمَ بن زياد سِجستانَ وخُراسان .

* ذكر سبب توليته إياه : ٢٩٢/٢

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : حدّثنا مسلَمة بن

---

(١) سورة الشورى : ٢٠ .

مُحارب بن سلم بن زياد ، قال : وفد سَلْمُ بن زياد على يزيدَ بن معاوية وهو ابن أربع وعشرين سنة ، فقال له يزيد : يا أبا حرْب ، أولّيك عمل أخوَيك : عبد الرحمن وعبّاد ؟ فقال : ما أحَبَّ أميرُ المؤمنين ؛ فولّاه خُراسان وسِجِستان ، فوجّه سَلْم الحارثَ بن معاوية الحارثيّ جدّ عيسى بن شبيب من الشأم إلى خُراسان ، وقَدِم سلم البصرة ، فتجهز وسار إلى خُراسان ، فأخذ الحارثَ بن قيس بن الهيثم السُّلَميّ فحبسه ، وضرب ابنه شبيبًا ، وأقامه في سراويلَ ، ووجّه أخاه يزيد بن زياد إلى سجستان . فكتب عبيد الله بن زياد إلى عبّاد أخيه — وكان له صديقًا — يخبره بولاية سَلْم ، فقسم عبّاد ما في بيت المال في عبيده ، وفَضَلَ فضلٌ فنادَى مناديه : من أراد سلفًا فليأخذ ، فأسلف كلّ من أتاه ، وخرج عبّاد عن سِجِسْتان . فلمّا كان بجيرَفْت بلغه مكانُ سَلْم — وكان بينهما جبل — فعدل عنه ، فذهب لعبّاد تلك الليلة ألف مملوك ، أقلُّ ما مع أحدهم عشرة آلاف . قال : فأخذ عبّاد على فارس ، ثمّ قدم على يزيد ، فقال له يزيد : أين المال ؟ قال كنتُ صاحبَ ثغر ، فقسمتُ ما أصبتُ بين الناس . قال : ولما شَخَص سَلْم إلى خُراسانَ شخص معه عمران بن الفَصيل البُرْجميّ ، وعبد الله بن خازم السلَميّ ، وطلحة بن عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّ ، والمهلّب بن أبي صُفْرَةَ ، وحنظلة بن عَرَادة ، وأبو حُزّابة الوليد بن نَهيك أحد بني ربيعة بن حنظلة ، ويحيى بن يَعْمَر العَدْوانيّ حليف هُذَيل ، وخلْق كثير من فُرسان البصرة وأشرافِهم ، فقَدِم سَلْم بن زياد بكتاب يزيدَ بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد بنُخْبَةِ ألفَيْ رجل ينتخبهم — وقال غيره : بل نُخبةِ ستة آلاف — قال : فكان سلْم ينتخب الوجوهَ والفُرسان . ورغب قوم في الجهاد فطلبوا إليه أن يُخرجهم ، فكان أوّل من أخرجه سلم حنظلة بن عَرَادة ، فقال له عُبيد الله بن زياد : دعه لي ؛ قال : هو بيني وبينك ، فإن اختارك فهو لك ، وإن اختارني فهو لي ، قال : فاختار سَلْماً ؛ وكان الناس يكلّمون سلماً ويطلبون إليه أن يكتبهم معه ، وكان صلة بن أشْيَم العَدَويّ يأتي الديوان فيقول له الكاتب : يا أبا الصّهباء ، ألّا أثبتُ اسمك ، فإنه وجهٌ فيه جهادٌ وفَضْل ؟ فيقول له : أستخير الله وأنظرُ ؛ فلم يزل يدافع حتى

٢/٣٩٣

فرغ من أمرِ الناس ، فقالت له امرأته مُعاذة ابنة عبد الله العَدَوِيّة : ألّا تكتب نفسك ؟ قال : حتى أنظر ، ثم صلى واستخار الله ؛ قال : فرأى فى منامه آتياً أتاه ، فقال له : اخرج فإنك تَرْبَح وتُفلِح وتُنجح ؛ فأتى الكاتب فقال له : أثبتنى ؛ قال : قد فرغْنا ولن أدَعَك ، فأثبته وابنه ، فخرج سلْم فصيَّره سلم مع يزيد بن زياد فسار إلى سِجِستان .

قال : وخرج سلم وأخرج معه أمّ محمد ابنة عبد الله بن عثمان بن أبى العاص الثقَفِىّ ، وهى أوّل امرأة من العرب قُطِع بها النهر. ٣٩٤/٢

قال : وذكر مَسلَمة بن محارب وأبو حفص الأزدىّ عن عثمان بن حفص الكرمانىّ أن عُمّال خُراسان كانوا يَغزُون ، فإذا دخل الشتاءُ قفلوا من مغازيهم إلى مَرْو الشاهِجان ، فإذا انصرف المسلمون اجتمع ملوك خُراسان فى مدينة من مدائن خُراسان ممّا يلى خارَزْم ، فيتعاقدون ألّا يغزُوَ بعضهم بعضًا ، ولا يهيجَ أحد أحداً ، ويتشاورون فى أمورهم ، فكان المسلمون يطلبون إلى أمرائهم فى غزو تلك المدينة فيأبون عليهم ، فلما قَدِم خُراسان غزا فشتا فى بعض مغازيه ؛ قال : فألحّ عليه المهلب ، وسأله أن يوجّهه إلى تلك المدينة ، فوجّهه فى ستة آلاف — ويقال أربعةِ آلاف — فحاصرهم ، فسألهم أن يُذعِنوا له بالطاعة ، فطلبوا إليه أن يصالحهم على أن يفدوا أنفسهم ، فأجابهم إلى ذلك ، فصالحوه على نيِّف وعشرين ألف ألف ؛ قال : وكان فى صلحهم أن يأخذ منهم عروضًا ، فكان يأخذ الرأسَ بنصف ثمنه ، والدابة بنصف ثمنها ، والكَيْمُخت بنصف ثمنه ، فبلغت قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف ، فحظى بها المهلب عند سلم ، واصطفى سلم من ذلك ما أعجبه ، وبعث به إلى يزيدَ مع مَرزُبان مرْو ، وأوفد فى ذلك وفداً .

قال مسلمة وإسحاق بن أيّوب : غزا سلْم سمرقند بامرأته أمّ محمد ابنة عبد الله ، فولدتْ لسلم ابنًا ، فسمّاه صُغْدى .

قال علىّ بن محمد : ذكر الحسن بن رشيد الجُوزَجانىّ ، عن شيخ من خُزاعة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزوت مع سَلْم بن زياد خُوارَزْم ، ٣٩٥/٢

فصالحوه على مال كثير ، ثم عبر إلى سمرقند فصالحه أهلُها ، وكانت معه امرأته أمّ محمد ، فولدتْ له فى غزاته تلك ابناً ، وأرسلتْ إلى امرأة صاحب الصُّغْد تستعير منها حليًّا ، فبعثتْ إليها بتاجها ؛ وقَفَلوا ، فذهبتْ بالتاج .

* * *

وفى هذه السنة عَزَلَ يزيدُ عمرَو بن سعيد عن المدينة وولّاها الوليدَ بن عتبة ، حدّثنى بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : نزع يزيد بن معاوية عمرَو بن سعيد ، لهلال ذى الحجة ، وأمّر الوليدَ بنَ عتبة على المدينة ، فحجّ بالناس حجّتين سنة إحدى وستين وسنة اثنتين وستين .

وكان عامل يزيد بن معاوية فى هذه السنة على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد ، وعلى المدينة فى آخرها الوليد بن عتبة ، وعلى خُراسان وسِجستان سَلْم بن زياد ، وعلى قضاء البَصْرة هشام بن هُبَيرة ، وعلى قضاء الكُوفة شُريح .

وفيها أظهر ابن الزبير الخلافَ على يزيدَ وخلَعَه . وفيها بويع له .

* * *

ذكر سبب عزل يزيد عمرَو بن سعيد عن المدينة وتوليته عليها الوليد بن عتبة

وكان السبب فى ذلك وسبب إظهار عبدِ الله بن الزّبير الدعاءَ إلى نفسه — فيما ذكر هشام ، عن أبى مخنف ، عن عبد الملك بن نَوْفل — قال : حدّثنى أبى ، قال : لما قُتل الحسين عليه السلام قام ابن الزّبير فى أهل مكة وعظّم مَقتلَه ، وعاب على أهل الكوفة خاصّة ، ولامَ أهلَ العراق عامة ، فقال بعد أن حَمِد الله وأثْنَى عليه وصلّى على محمد صلى الله عليه وسلم : إنّ أهل العراق غُدُرٌ فُجُرٌ إلا قليلاً ، وإنّ أهل الكوفة شِرارُ أهل العراق ؛ وإنهم دَعَوا حُسيناً لينصروه ويولّوه عليهم ، فلما قدِم عليهم ثاروا إليه[1] ، فقالوا له : إمّا أن تضع يدَك فى أيدِينا فنبعثَ بك إلى ابن زياد بن سميّة سِلْماً فيُمضِيَ فيك حكمَه ، وإما أن تحارب ؛ فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل فى كثير ، وإن

٢/٣٩٦

(١) ابن الأثير : « عليه » .

كان الله عزّ وجلّ لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول ، ولكنّه اختار الميتة الكريمةَ على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسيناً ، وأخزَى قاتلَ حسين ! لَعَمرى لقد كان من خلافهم[1] إيّاه وعصيانهم ما كان فى مثله واعظ وناهٍ عنهم ، ولكنه ما حُمّ نازل ، وإذا أراد الله أمراً لن يُدْفَع . أفبعد الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً ! لا ، ولا[2] نراهم لذلك أهلاً ؛ أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيراً فى النهار صيامه ، أحقّ بما هم فيه منهم وأوْلى به فى الدّين والفضل ، أما والله ما كان يبدّل بالقرآن الغناءَ ، ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء ، ولا بالصّيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس فى حَلَق الذكر الرّكض فى تَطْلاب الصيد — يعرّض بيزيد — فسوف يلقون غيّاً[3] .

فثارَ إليه أصحابه فقالوا له : أيّها الرجل أظهِر بيعتك ، فإنه لم يبقَ أحد إذْ هَلَك حسين ينازعك هذا الأمر . وقد كان يبايع الناس سرّاً ، ويُظهر أنه عائذ بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا — وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشدّ شىء عليه وعلى أصحابه ، وكان مع شدّته عليهم يدارى ويرفق — فلما استقرّ عند يزيدَ بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجُموع بمكة ، أعطى الله عهداً لَيُوثِقَنّه فى سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضّة ، فمرّ بها البريد على مَرْوان بن الحكَم بالمدينة ، فأخبر خبر ما قدم له وبالسلسلة التى معه ، فقال مروان : ٢ / ٣٩٧

خُذْها فليستْ للعزيز بخُطَّةٍ وفيها مقالٌ لِامرئٍ مُتَضَعفِ

ثمّ مضى من عنده حتى قدم على ابن الزبير ، فأتى ابنَ الزبير فأخبَره بمرّ البريد على مروان ، وتمثُّل مروانَ بهذا البيت ، فقال ابن الزبير : لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعّف ؛ وردّ ذلك البريد ردّاً رقيقاً .

وعلا أمر ابن الزبير بمكة ، وكاتَبَه أهلُ المدينة ، وقال الناس : أمّا إذْ هَلَكَ الحسين عليه السلام فليس أحدٌ ينازع ابن الزبير .

---

(١) ف : « فى خلافهم » . (٢) ابن الأثير : « والله لا نراهم » .
(٣) يلقون غيّاً ، أى شرّاً وخسراناً ؛ وكل شر عند العرب غى .

حدّثنا نوح بن حبيب القومسيّ ، قال : حدّثنا هشام بن يوسف . وحدّثنا عبيد الله بن عبد الكريم ، قال : حدّثنا عبد الله بن جعفر المَديني ، قال : حدّثنا هشام بن يوسف — واللفظ لحديث عبيد الله — قال : أخبرني عبد الله بن مصعب ، قال : أخبرَني موسى بن عُقْبة ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرَني عبد العزيز بن مروان ، قال : لما بعث يزيد بن معاوية بن عضاه الأشعريّ ومسْعَدةَ وأصحابهما إلى عبد الله بن الزبير بمكة ليُؤْتَى به في جامعة لتبرّ يمين يزيد ، بعث معهم بجامعة من ورق وبُرنُس خزّ ، فأرسلني أبي وأخي معهم وقال : إذا بلّغته رُسلُ يزيد الرسالة فتعرّضا له ، ثم ليتمثّل أحدُكما : ٣٩٨/٢

فخُذها فليست للعزيز بخُطّة ... وفيها مقالٌ لامرئٍ متذلّلِ[1]

أعامِرَ إنّ القومَ ساموك خُطّةً ... وذلك في الجيران غَزْل بمِغزل

أراكَ إذا ما كنتَ للقوم ناصِحاً ... يُقالُ له بالدّلو أدْبرْ وأقبل

قال : فلما بلغته الرسلُ الرسالةَ تعرّضنا ، فقال لي أخي : اكفِنيها ، فَسمِعَني ، فقال : أي ابنيْ مروان ، قد سمعتُ ما قلتما ، وعلمتُ ما ستقولانه ، فأخبِرا أباكما :

إنّي لَمِنْ نَبْعةٍ صُمٍّ مكاسِرُها ... إذا تَناوَحَتِ القَصْباءُ والعُشَرُ

فلا أَلينُ لغير الحقّ أسألُهُ ... حتى يلين لِضِرسِ الماضِغ الحَجَرُ

قال : فما أدري أيّهما كان أعجبَ !

زاد عبد الله في حديثه ، عن أبي عليّ ، قال : فذاكرت بهذا الحديث مُصعبَ بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزّبير ، فقال : قد سمعتُه من أبي عليّ نحوَ الذي ذكرت له ، ولم أحفظ إسنادَه .

قال هشام ، عن خالد بن سعيد ، عن أبيه سعيد بن عمرو بن سعيد : إنّ عمرو بن سعيد لما رأى الناس قد اشرأبّوا إلى ابن الزُّبَير ومَدّوا إليه أعناقَهم ، ظَنّ أنّ تلك الأمور تامّةٌ له ، فبعث إلى عبد الله بن عمرو بن العاص — ٣٩٩/٢

(١) للعباس بن مرداس ، وانظر الأغاني ١٦ : ٣١١ .

وكانت له صُحبة ، وكان مع أبيه بمِصْر ، وكان قد قرأ كتب دنيال هنالك ، وكانت قريش إذ ذاك تَعُدُّه عالمًا — فقال له عمرو بن سعيد : أخبِرْنى عن هذا الرجل ، أتَرَى ما يطلبُ تامًّا له ؟ وأخبِرْنى عن صاحبى إلى ما ترى أمرَه صائراً إليه ؟ فقال : لا أرى صاحبَك إلا أحد الملوك الذين تمّ لهم أمورهم حتى يموتوا وهم ملوك . فلم يزدد عند ذاك إلا شدّةً على ابن الزبير وأصحابه ، مع الرفق بهم ، والمداراة لهم .

ثمّ إنّ الوليد بن عتبة[1] وناسًا معه من بنى أمية قالوا ليزيد بن معاوية : لو شاء عَمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك ، فسرّح الوليد بن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعزل عَمراً .

وكان عزلُ يزيد عَمراً عن الحجاز وتأميرُه عليها الوليد بن عُتبة فى هذه السنة — أعنى سنة إحدى وستين ؛ قال أبو جعفر : حدّثت عن محمد بن عمر قال : نزع يزيدُ عَمرو بن سعيد بن العاص لهلال ذى الحجة سنة إحدى وستين وولّى الوليد بن عُتبة ، فأقام الحجّة سنة إحدى وستين بالناس ، وأعاد ابن ربيعة العامرىّ على قضائه .

وحدّثنى أحمد بن ثابت ، قال : حدّثت عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، قال : حجّ بالناس فى سنة إحدى وستين الوليدُ بنُ عُتبة ، وهذا مما لا اختلاف فيه بين أهل السير .

وكان الوالى فى هذه السنة على الكوفة والبَصرة عُبيد الله بن زياد ، وعلى قضاء الكوفة شُريح ، وعلى قضاء البَصرة هشام بن هُبيرة ، وعلى خُراسانَ سَلْم بن زياد .

---

(١) ط : « عقبة » ، وانظر الفهرس .

ثم دخلت سنة اثنتين وستين

٤٠٠/٢

ذكر الخبر عمّا كان فى هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك مَقدَمُ[1] وفد أهلِ المدينة على يزيدَ بن معاوية .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمهم عليه :

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر لوط بن يحيى ، عن عبد الملك بن نوفل ابن مُساحق ، عن عبد الله بن عروة – أنّ يزيد بن معاوية لما سرّح الوليد ابن عُتْبة على الحجاز أميراً ، وعَزَل عَمرو بن سعيد ، قدم الوليدُ المدينةَ فأخذ غلمانًا كثيراً لعمرو وموالىَ له ، فحبَسَهم ، فكلّمه فيهم عَمرو ، فأبى أن يخلّيَهم ، وقال له : لا تجزع ياعَمرو ؛ فقال أخوه أبان بن سعيد بن العاص : أعَمرٌو يَجزع ! والله لو قبضتم على الجَمْرِ وقبض عليه ما ترَكه حتّى تتركوه ؛ وخرج عمرو سائراً حتّى نزل من المدينة على ليلتين ، وكتب إلى غلمانه ومواليه وهم نحوٌ من ثلثمائة رجل : إنى باعث إلى كلّ رجل منكم جَمَلا وحقيبةً وأداته ، وتُناخ لكم الإبل فى السوق[2] ، فإذا أتاكم رسولى فاكسروا بابَ السجن ، ثم ليقمْ كلُّ رجل منكم إلى جَمَله فليركبْه ، ثمّ أقبِلوا علىّ حتى تأتونى ؛ فجاء رسولُه حتى اشترى الإبل ، ثمّ جهّزها بما ينبغى لها ، ثمّ أناخها فى السوق ، ثمّ أتاهم حتى أعلمهم ذلك ، فكسروا بابَ السجن ، ثم خرجوا إلى الإبل فاستوَوْا عليها ، ثمّ أقبلوا حتى انتهوا إلى عَمرو بن سعيد فوجدوه حين قدم على يزيدَ بن معاوية . فلما دخل عليه رحّب به وأدنى مجلسَه.

٤٠١/٢

ثمّ إنه عاتبه فى تقصيره فى أشياء[3] كان يأمره بها فى ابن الزّبير ، فلا ينفّذ منها[4] إلا ما أراد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، الشاهدُ يَرَى ما لا يَرَى الغائبُ ، وإنّ جُلَّ أهلِ مكة وأهل المدينة قد كانوا مالُوا إليه وهوَوه وأعطوه الرّضا ، ودعا بعضهم بعضًا سِرًّا وعلانية ، ولم يكن معى جند أقوى بهم عليه لو ناهضتُه ، وقد كان يحذَرُنى ويتحرّز منى ، وكنت أرفُق به وأداريه

---

(١) ف : « فمما كان فيها » . (٢) س : « بالسوق » .

(٣) ف : « وأشياء » . (٤) س : « ولا ينفذ منها » .

لأستمكر منه فأثبَ عليه ، مع أنى قد ضَيَّقتُ عليه ، ومنعتُه من أشياءَ كثيرة لو تركته وإياها ما كانت له إلا معونةً ، وجعلتُ على مكّة وطُرُقها وشعابها رجالاً لا يَدَعون أحداً يدخلها حتى يكتبوا إلىّ باسمه واسم أبيه ، ومن أىّ بلاد الله هو ، وما جاء به وما يريد ؛ فإنْ كان من أصحابه أو ممن أرى أنه يريده رددتُه صاغراً ، وإن كان ممّن لا أتّهم ، خلّيتُ سبيلَه . وقد بعثتَ الوليد ، وسيأتيك من عمله وأثره ما لعلك تعرف به فضلَ مبالغتى فى أمرك ، ومناصَحتى لك إن شاء الله ؛ والله يصنع لك ، ويكبت عدوّك يا أمير المؤمنين .

فقال له يزيد : أنت أصدَق ممن رقّى هذه الأشياء عنك ، وحَمَلَنى بها عليك ، وأنت ممن أثق به ، وأرجو معونته ، وأدّخره لرأب الصَّدْع ، وكفاية المُهم ، وكشف نوازل الأمور العظام ؛ فقال له عمرو : وما أرى يا أميرَ المؤمنين أنّ أحداً أولَى بالقيام بتشديد سلطانك ، وتوهين عدوّك ، والشدّة على مَن نابَذَك منّى . وأقام الوليد بن عتبة يريد ابن الزبير فلا يجده إلا متحذّراً متمنّعًا ، وثار نَجْدة بن عامر الحنفىّ باليمامة حين قُتل الحسين ، وثار ابن الزبير ، فكان الوليد يُفيض من المُعَرَّف ، وتُفيض معه عامة الناس ، وابن الزبير واقف وأصحابه ، ونجدة واقفٌ فى أصحابه ، ثم يُفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ، لا يُفيض واحد منهم بإفاضة صاحبه . وكان نجدة يَلقَى ابنَ الزّبير فيكثّر حتى ظنّ الناس أنه سيبايعه . ثمّ إنّ ابن الزبير عمل بالمكر فى أمر الوليد بن عُتبة ، فكتب إلى يزيدَ بن معاوية : إنك بعثتَ إلينا رجلاً أخرَق ، لا يَتَّجه لأمر رَشَد ، ولا يَرعَوِى لعظة الحكيم ، ولو بعثتَ إلينا رجلا سهلَ الخُلُق ، ليّن الكتف ، رجوتُ أن يَسْهُل من الأمور ما استَوْعَرَ منها ، وأن يَجتمع ما تفرّق ، فانظر فى ذلك ، فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامّنا إن شاء الله ؛ والسلام . ٢/٤٠٢

فبعث يزيدُ بن معاوية إلى الوليد فعزَله وبعث عثمان بن محمد بن أبى سُفْيان — فيما ذكر أبو مخنف ، عن عبد الملك ابن نوفل بن مساحق ، عن حميد ابن حمزة ؛ مولًى لبنى أمية — قال : فقَدِم فتًى غِرٌّ حَدَثٌ غُمْرٌ لم يُجرّب

الأمور ، ولم يحنّكه السنّ ، ولم تُضرّسه التجارب ؛ وكان لا يكاد ينظر فى شىء من سلطانه ولا عمله ، وبعث إلى يزيدَ وفداً من أهل المدينة فيهم عبدُ الله بنُ حنظلة الغَسيل الأنصارىّ وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومىّ ، والمنذر بن الزبير ، ورجالاً كثيراً من أشراف أهل المدينة ، فقدموا على يزيدَ بن معاوية ، فأكرمهم ، وأحسنَ إليهم ، وأعظم جوائزَهم . ثمّ انصرفوا من عنده ، وقَدِموا المدينة كلهم إلاّ المنذر ابن الزبير فإنه قدم على عبيد الله بن زياد بالبصرة — وكان يزيد قد أجازه بمائة ألف درهم — فلما قدم أولئك النفر الوفد المدينةَ قاموا فيهم فأظهروا شَتْمَ يزيدَ وعَيْبَه ، وقالوا : إنا قدمْنا من عندِ رجل ليس له دِين ، يشرب الخمر ، ويَعزِف بالطنابير ، ويَضرِب عنده القِيان ، ويَلعَب بالكلاب ، ويسامر الخُرَّاب والفتيان ، وإنا نُشهِدكم أنا قد خلعناه ؛ فتابَعَهم الناس . ٢/٤٠٣

قال لوط بن يحيى : فحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، أنّ الناس أتَوا عبدَالله بن حنظلة الغسيل فبايعوه وولوه عليهم .

قال لوط : وحدثنى أيضًا محمد بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن عوف : ورجع المنذر من عند يزيدَ بن معاوية ، فقَدِم على عُبيد الله بن زياد البصرةَ ، فأكرمه وأحسن ضيافتَه ، وكان لزياد صديقًا ، إذ سقط إليه كتابٌ من يزيدَ بن معاوية حيث بلغه أمرُ أصحابه بالمدينة . أن أوثقْ المنذرَ بنَ الزبير واحبِسه عندَك حتى يأتيَك فيه أمرى ؛ فكره ذلك عبيد الله ابن زياد لأنه ضَيْفه ، فدعاه فأخبره بالكتاب وأقرأه إياه ، وقال له : إنك كنت لزياد وُدًّا وقد أصبحتَ لى ضيفًا ، وقد آتيتُ إليك معروفًا ، فأنا أحبُّ أن أسدِىَ ذلك كله بإحسان ، فإذا اجتمع الناس عندى فقُمْ فقُلْ : ائذنْ لى فلأنصرفْ إلى بلادى ، فإذا قلتُ : لا بَلْ أقِمْ عندى فإنّ لك الكرامةَ والمواساة والأثَرةَ ، فقُل : لى ضيعةٌ وشُغْلٌ ، لا أجد من الانصراف بُدًّا فأذنْ لى ، فإنى آذنُ لك عند ذلك ؛ فالحقْ بأهلك .

فلما اجتمع الناس عند عُبيد الله قام إليه فاستأذنه فقال : لا بل أقِمْ عندى فإنى مُكرِمُك ومُواسيك ومؤثِرُك ؛ فقال له : إنّ لى ضيعةً وشُغلاً ، ٢/٤٠٤

ولا أجدُ من الانصراف بدًّا فأذن لى ؛ فأذن له . فانطلق حتى لحق بالحجاز ؛ فأتى أهلَ المدينة ، فكان فيمن يحرّض الناسَ على يزيد ، وكان من قوله يومئذ : إنّ يزيدَ والله لقد أجازنى بمائة ألف درهم ، وإنه لا يمنعنى ما صنع إلىّ أن أخبركم خبرَه ، وأصدُقكم عنه ، والله إنه ليَشرب الخمر ، وإنه ليَسكَر حتى يدعَ الصلاة ؛ وعابَه بمثل ما عابه به أصحابُه الذين كانوا معه وأشدّ ، فكان سعيد بن عمرو يُحدّث بالكوفة أنّ يزيدَ بنَ معاوية بلغه قولُه فيه فقال : اللهمّ إنى آثرتُه وأكرمتُه ، ففعل ما قد رأيتَ ، فاذكرْه بالكذب والقطيعة .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سعيد بن زيد أبو المثلم أنّ يزيدَ بن معاوية بعث النعمانَ بنَ بشير الأنصاريّ فقال له : ائتِ الناس وقومك فافثأهم عمّا يريدون ، فإنهم إنْ لم ينهضوا فى هذا الأمر لم يجترئْ الناسُ على خلافى ، وبها من عشيرتى من لا أحبّ أن ينهض فى هذه الفتنة فيَهلك .

فأقبل النعمان بن بشير فأتى قومَه ، ودعا الناس إليه عامّة ، وأمَرَهم بالطاعة ولزوم الجماعة ، وخوّفهم الفتنةَ ، وقال لهم : إنه لا طاقةَ لكم بأهل الشأم ؛ فقال عبد الله بن مطيع العدويّ : ما يحملك يا نُعمانُ على تفريق جماعتنا ، وفسادِ ما أصلَح الله من أمرنا ! فقال النعمان : أمَا والله لكأنى بك لو قد نزلتْ تلك التى تدعو إليها ، وقامت الرجال على الرُّكَب تَضرِب مفَارقَ القوم وجباهَهم بالسيوف ، ودارت رحا الموت بين الفريقين قد هربتَ[1] على بغلتك تضرب جنبيْها إلى مكّة ، وقد خلّفت هؤلاء المساكينَ — يعنى الأنصار — يُقتلون فى سِكَكِهم ومساجدهم ، وعلى أبواب دُورهم ! فعصاه الناس ، فانصرف . وكان والله كما قال . ٢/٤٠٥

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة الوليدُ بن عتبة . وكانت العمال فى هذه السنة على العراق وخُراسان العُمّالَ الذين ذكرتُ فى سنة إحدى وستين .

وفى هذه السنة وُلدَ — فيما ذُكِر — محمد بن عبد الله بن العبّاس .

---

(١) ف : « ضربت » .

ثم دخلت سنة ثلاث وستين

ذكر الخبر عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك ما كان من إخراج أهل المدينة عامل يزيدَ بن معاوية عثمانَ بنَ محمد بن أبي سُفْيان من المدينة ، وإظهارِهم خلعَ يزيد بن معاوية ، وحصارِهم مَن كان بها من بني أميّة ؛ ذكر هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كُرّة ، أنّ أهل المدينة لمّا بايعوا عبد الله بن حنظلة الغَسيل على خلع يزيد بن معاوية ، وثبوا على عثمانَ ابن محمد بن أبي سُفْيان ومَن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومَن رأى رأيَهم من قريش ، فكانوا نحواً من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دارَ مروانَ بن الحكم ، فحاصَرَهم الناسُ فيها حصاراً ضعيفاً . قال : فدعت بنو أميّة حبيب بن كرّة ، وكان الذى بَعَثَ إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو ابن عثمان بن عفان ، وكان مروان هو يدبّر أمرهم . فأما عثمان بن محمد بن أبي سُفْيان فإنما كان غلاماً حدَثاً لم يكن له رأى . قال عبدالملك بن نوفل : فحدّثني حبيب بن كرة ، قال : كنت مع مروان ، فكتب معي هو وجماعة من بني أميّة كتاباً إلى يزيدَ بن معاوية ، فأخذ الكتابَ عبدُ الملك بن مروان حتى خرج معي إلى ثنيّة الوَدَاع ، فدفع إلىّ الكتاب وقال : قد أجّلتك اثنتي عشرةَ ليلةً ذاهباً واثنتي عشرةَ ليلةً مُقبلاً ، فوافِني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان تجدني إن شاءَ الله في هذه الساعة جالساً أنتظرك . وكان الكتاب : ٤٠٦/٢

بسم الله الرّحمن الرّحيم : أمّا بعد ، فإنه قد حُصِرنا في دار مروان بن الحَكَم ، ومُنِعنا العذْب ، ورُمينا بالجَبوب[1] ، فياغَوْثاه يا غَوْثاه !

قال : فأخذتُ الكتاب ومضيت به حتى قدمتُ على يزيد وهو جالس على كُرسيّ ، واضع قدميْه في ماء طست من وَجَع كان يجده فيهما — ويقال : كان به النِّقْرِس — فقرأه ثمّ قال فيما بلغنا متمثّلا :

(١) الجبوب : الأرض الغليظة ، وفى ط : « الحبوب » تصحيف .

لقد بدّلوا الحِلم الّذى مِن سَجيّتى[1] فَبدّلتُ قومى غِلظةً بلِيسانِ

ثم قال : أمَا يكون بنو أميّة ومواليهم ألفَ رجل بالمدينة ؟ قال[2] : قلت : بلى ، والله وأكثر ؛ قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ! قال : فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، أجمع الناس كلهم عليهم ، فلم يكن لهم بجمع الناس طاقةٌ ؛ قال : فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتابَ ، وأخبرَه الخبر ، وأمرَه أن يسير إليهم فى الناس ، فقال له : قد كنتُ ضبطتُ لك البلاد ، وأحكمتُ لك الأمور ، فأمّا الآن إذ صارت إنما هى دِماء قريش تُهراق بالصّعيد ، فلا أُحبّ أن أكون أنا أتولى ذلك ، يتولّاها منهم مَن هو أبعد منهم منّى . قال : فبعثنى بذلك الكتاب إلى مسلم بن عُقْبة المرّىّ — وهو شيخ كبير ضعيف مريض — فدفعتُ إليه الكتاب ، فقرأه ، وسألنى عن الخبر فأخبرتُه ، فقال لى مِثلَ مقالة يزيدَ : أمَا يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألفَ رجل ! قال : قلت : بلى يكونون ؛ قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ! ليس هؤلاء بأهل أن يُنصَروا حتى يَجهَدوا أنفسهم فى جهاد عدوّهم ، وعِزّ سلطانهم ؛ ثم جاء حتى دخل على يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنصرْ هؤلاء فإنهم الأذلّاء ؛ أما استطاعوا أن يقاتلوا يومًا واحداً أو شَطْرَه أو ساعةً منه ! دَعهم يا أميرَ المؤمنين حتى يجهَدوا أنفسهم فى جهاد عدوّهم ، وعزّ سلطانهم ، ويستبينَ لك من يقاتل منهم على طاعتك ، ويصبر عليها أو يستسلم ؛ قال : وَيحك ! إنه لا خيرَ فى العيش بعدهم ، فاخرج فأنْبِئْنى نَبأَك ، وسِرْ بالناس ؛ فخرج مناديه فنادَى : أن سيروا إلى الحِجاز على أخذ أعطياتكم كَمَلاً ومعونةِ مائة دينار توضَعُ فى يد الرجل من ساعته ، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل .

٤٠٧/٢ — ٤٠٨/٢

* * *

حدّثنا ابن حميد قال : حدّثنا جرير ، عن مغيرة ، قال : كتب يزيد إلى ابن مَرْجانة : أن اغزُ ابنَ الزبير ؛ فقال : لا أجمعهما للفاسق أبداً ،

(١) ابن الأثير : « فى سجيتى » .
(٢) ابن الأثير : « فقال الرسول » .

أقتل ابنَ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأغزو البيتَ !

قال : وكانت مَرْجانة امرأةَ صدق ، فقالت لعبيد الله حين قتل الحسين عليه السلام : وَيْلَك ! ماذا صنعتَ ! وماذا ركبت !

* * *

رجع الحديث إلى حديث حبيب بن كُرّة . قال : فأقبلت حتى أوافيَ عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بُعَيدَها شيئًا . قال : فوجدتُه جالسًا متقنِّعًا تحت شجرة ، فأخبرته بالذى كان ، فسُرَّ به[1] ، فانطلقنا[2] حتى دخلنا دارَ مروانَ على جماعة بنى أمية ، فنبّأتهم[3] بالذى قَدِمتُ به ، فحمِدوا اللهَ عزّ وجلّ .

قال عبد الملك بن نوفل : حدّثنى حبيب ، أنه بلغه فى عشرة . قال : فلم أبرحْ حتى رأيت يزيد بن معاوية خرج إلى الخيل يتصفّحها ويَنظر إليها ؛ قال : فسمعتُه وهو يقول وهو متقلّد سيفًا ، متنكبٌ قوسًا عربيّة :

أبلغْ أبا بَكرٍ إذَا الليلُ سَرَى وهَبَطَ القومُ على وادِى القُرَى

عشرون ألفًا بين كهلٍ وفَتى أجَمْع سَكرانَ مِنَ القوم تَرَى!

أم جَمْع يَقظانَ نَفِى عنه الكَرَى! يا عجباً مِن مُلْحِدٍ يَا عجبا !

* مُخادع فى الدين يقْفُو بالعُرى *[4]

٢/٤٠٩ قال عبد الملك بن نوفل : وفَصَل ذلك الجيش من عند يزيدَ وعليهم مُسلِم بن عُقْبة ، وقال له : إن حَدث بك حَدَثٌ فاستخلفْ على الجيش حُصين بن نُمَير السَّكونىّ ؛ وقال له : ادعُ القومَ ثلاثًا ، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلْهم ، فإذا أظْهِرتَ عليهم فأبِحْها ثلاثًا ، فما فيها من مال أو رِقَة[5] أو سِلاح أو طعام فهو للجند ، فإذا مضت الثلاثُ فاكفُفْ عن الناس ؛ وانظر علىّ بنَ الحسين ، فاكفُفْ عنه ، ، واستَوْصِ به خيرًا ،

(١) س : « فسره » . (٢) س ، ف : « وانطلقنا » . (٣) ف : « فنبأته » .

(٤) ابن الأثير : « يعفو بالعرى » .

(٥) الرقة : الدراهم ، وفى ابن الأثير : « أو دابة » .

وأدنِ مجلسَه ، فإنه لم يدخل فى شىء مما دخلوا فيه ، وقد أتانى كتابُه . وعلىّ لا يعلم بشىء مما أوصَى به يزيد بن معاوية مسلمَ بن عقبة ، وقد كان علىّ بن الحسين لما خرج بنو أمية نحو الشأم أوى إليه ثَقَل مروان بن الحكم ، وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفّان ، وهى أمّ أبان بن مروان .

* * *

وقد حدّثت عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : لما أخرج أهلُ المدينة عثمانَ بن محمد من المدينة ، كلّم مروان بنُ الحكَم ابن عمر أن يغيّب أهلَه عنده ، فأبى ابن عمر أن يفعل ، وكلم علىّ بن الحسين ، وقال : يا أبا الحسن ، إنّ لى رَحِماً ، وحُرَمى تكون مع حُرَمك ، فقال[1] : أفعل ؛ فبعث بحُرَمه إلى علىّ بن الحسين ، فخرج بحُرمه وحُرَم مروان حتى وضعهم بيَنْبُعَ ، وكان مروانُ شاكراً لعلىّ بن الحسين ، مع صداقة كانت بينهما قديمة . ٢/٤١٠

* * *

رجع الحديث إلى حديث أبى مخنف عن عبد الملك بن نَوْفل ، قال : وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهلَ المدينة إقبالُه وَثبوا على مَنْ معهم من بنى أميّة ، فحصروهم فى دار مرْوان ، وقالوا : واللهِ لانكفّ عنكم حتى نستنزلَكم ونضربَ أعناقكم ، أو تُعطونا عهدَ الله وميثاقَه لاتَبْغونا غائلةً ، ولا تدلّوا لنا على عَوْرة ، ولا تُظَاهِروا علينا عدوّاً ، فنكفّ عنكم ونُخرجَكم عنّا ، فأعطَوْهم عهدَ الله وميثاقَه لا نبغيكم غائلةً ، ولا ندلّ لكم على عورة ؛ فأخرَجوهم من المدينة ، فخرجتْ بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادى القُرى ، وخرجتْ عائشة بنت عثمان بن عفان إلى الطائف ، فتمرّ بعلىّ بنِ حسين وهو بمالٍ له إلى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يَشهَد شيئاً من أمرهم ، فقال لها : احمِلى ابنِى عبد الله معك إلى الطائف ، فحملتْه إلى الطائف حتى نُقِضتْ أمورُ أهل المدينة .

ولما قدمت بنو أميّة على مسلم بن عُقبة بوادى القرى دعا بعَمرو بن

(١) س : « قال » .

عثمانَ بن عفان أوّل الناس فقال له : أخبرنى خبرَ ما وراءك، وأشِرْ علىّ ؛ قال : لا أستطيع أن أخبرَك ، أخذ علينا العهودَ والمواثيق ألّا ندلّ على عورة ، ولا نُظاهرَ عدوًّا ، فانتهره ثم قال : والله لولا أنّك ابنُ عثمانَ لضربتُ عنقَك، وَايمُ الله لا أقيلها قُرَشيًّا بعدك . فخرج بما لقى من عنده إلى أصحابه ، فقال مَرْوان بن الحكَم لابنه عبد الملك : ادخُلْ قبلى لعلّه يجتزئ بك عنى ، فدخل عليه عبد الملك، فقال : هاتِ ما عندك، أخبرنى خبرَ الناس، وكيف ترى ؟ فقال له : نعم أرى أن تسير بمن معك ؛ فتنكّبَ هذا الطريقَ إلى المدينة ، حتى إذا انتهيتَ إلى أدنى نَخل بها نزلتَ، فاستظلّ الناس فى ظلّه ، وأكلوا من صَقْرِه[1] ؛ حتى إذا كان الليلُ أذكيتَ الحرس الليل كلّه عقبًا بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحتَ صلّيتَ بالناس الغداةَ ، ثمّ مضيتَ بهم وتركت المدينة ذاتَ اليسار ، ثمّ أدَرْت بالمدينة حتى تأتيَهم من قبل الحرّة مُشرّقًا ، ثمّ تستقبل القومَ ، فإذا استقبلتَهم وقد أشرقَتْ عليهم وطلعت الشمسُ طلعت بين أكتاف أصحابك ، فلا تؤذيهم ، وتقع فى وجوههم فيؤذيهم حَرُّها ، ويصيبهم أذاها ، ويرون ما دمتم مُشرّقين من ائتلاق بيضكم وحِرابكم ، وأسنّة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسَواعدكم ما لا ترونه أنتم لشىء من سلاحهم ما داموا مغرّبين ، ثم قاتِلْهم واستَعِنْ بالله عليهم ، فإن الله ناصرُك؛ إذ خالفوا الإمام ، وخرجوا من الجماعة . فقال له مسلم : لله أبوك ! أىّ امرئ ولد إذ ولدك ! لقد رأى بك خلَفًا . ثمّ إنّ مروان دخل عليه فقال له : إيه ! قال : أليس قد دخل عليك عبد الملك ! قال : بلى ، وأىّ رجل عبد الملك ! قلّما كلمت من رجال قريش رجلاً به شبيهًا ؛ فقال له مروان : إذا لقيتَ عبد الملك فقد لقيتَنى ؛ قال : أجَل ، ثمّ ارتحل من مكانه ذلك ، وارتحل الناسُ معه حتى نزل المنزل الذى أمره به عبد الملك ، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى فى الحرّة حتى نزلها ، فأتاهم[2] من قِبَل المشرق . ثمّ دعاهم مسلم بن عقبة، فقال : يا أهلَ المدينة ، إنّ أمير المؤمنين

٤١١/٢ ، ٤١٢/٢

---

(١) الصقر : الدبس ، وهو عسل التمر وعصارته .

(٢) س : « حتى أتاهم » .

يزيدَ بن معاوية يزعم أنكم الأصل، وإنى أكره هِراقةَ دمائكم، وإنِّى أؤجّلكم ثلاثاً، فمن ارعوَى وراجَع الحقّ قبلنا منه، وانصرفت عنكم، وسرت إلى هذا المُلْحد الذى بمكة، وإن أبيتم كنا قد أعذرنا إليكم — وذلك فى ذى الحجّة من سنة أربع وستّين؛ هكذا وجدتُه فى كتابى، وهو خطأ، لأنّ يزيدَ هلك فى شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين، وكانت وقعة الحَرّة فى ذى الحجة من سنة ثلاث وستين يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه.

ولما مضت الأيام الثلاثة قال: يا أهل المدينة، قد مضت الأيام الثلاثة، فما تصنعون[1]؟ أتسالمون أم تحاربون؟ فقالوا: بل نحارب؛ فقال لهم: لا تفعلوا، بل ادخلوا فى الطاعة، ونجعل حدّنا وشوكتنا على هذا الملحد الذى قد جمع إليه المُرّاقَ والفُسّاق من كلّ أوْب. فقالوا لهم: يا أعداءَ الله، والله لو أردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن نَدعكم أن تأتوا بيت الله الحرام، وتخيفوا أهلَه، وتلحدوا فيه، وتستحلّوا حرمتهُ! لا والله لا نفعل.

وقد كان أهل المدينة اتّخذوا خندقاً فى جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيمٌ، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عمّ عبد الرحمن ابن عوف الزهرىّ، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر فى جانب المدينة، وكان معْقِل بن سنان الأشجَعىّ على ربع آخر فى جانب المدينة، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصارىّ، فى أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً. ٤١٣/٢

قال هشام: وأما عوانة بن الحكم الكلبىّ، فذكر أنّ عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعقِل بن سنان على المهاجرين.

قال هشام، عن أبى مخنف: قال عبد الملك بن نوفل: وصمد مسلم ابن عُقْبة بجميع من معه، فأقبل من قِبل الحَرّة حتى ضرب[2] فسطاطه على

(١) ابن الأثير: «ما تصنعون».
(٢) س: «فضرب».

طريق الكوفة ، ثم وجّه الخيل نحو ابن الغسيل ، فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل ، حتى انتهوا إلى مسلم بن عقبة ، فنهض في وجوههم بالرّجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالاً شديداً . ثمّ إنّ الفضلَ بنَ عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء إلى عبد الله ابن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو من عشرين فارسًا قتالا شديداً حَسَنًا ، ثم قال لعبد الله : مُر من معك فارسًا فليأتني فليقفْ معي ، فإذا حملتُ فلْيحملوا ، فوالله لا أنتهي حتى أبلغ مسلماً ، فإمّا أن أقتلَه ، وإما أن أقتَل دونه . فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الأشهل من الأنصار : نادِ في الخيل فلْتَقف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم[1] فجمعهم إلى الفضل ، فلما اجتمعتْ الخيل إليه حمل على أهل الشأم فانكشفوا ، ٢/٤١٤ فقال لأصحابه : ألا ترونهم كُشْفًا لئاماً ! احملوا أخرى جُعِلتُ فداكم ! فوالله لئن عاينتُ أميرهم ، لأقتلنه أو لأقتَلَنّ دونه ، إنّ صبر ساعة مُعقِبٌ سرورَ أبد ، إنه ليس بعدُ لصبرنا إلا النصرُ . ثم حمل وحمل أصحابُه معه ، فانفرجت خيلُ أهل الشأم عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جُثاة على الرُّكَب ، مشرعي الأسنة نحو القوم ، ومضى كما هو نحوَ رايته حتى يضربَ رأس صاحب الراية ، وإنّ عليه لمِغفراً ، فقطّ المغفر ، وفلق هامته فخرّ ميتًا ، فقال : خذها منيّ وأنا ابن عبد المطلب ! فظنّ أنه قَتَل مسلماً ، فقال : قتلتُ طاغيةَ القوم وربّ الكعبة ، فقال مسلم : أخطأَت استُك الحُفرةَ ! وإنما كان ذلك غلامًا له ، يقال له : روميّ ، وكان شجاعًا . فأخذ مسلم رايتَه ونادى : يا أهلَ الشأم ، أهذا القتال قتالُ قوم يريدون أن يدفعوا به عن دينهم ، وأن يُعزّوا به نصر إمامهم ! قبّح الله قتالَكم منذُ اليوم ! ما أوجعه لقلبي ، وأغيظه لنفسي ! أمَا والله ما جزاؤكم عليه إلا أن تُحرَموا العطاءَ ، وأن تجمّروا في أقاصي الثغور . شدّوا مع هذه الراية ، ترّح الله وجوهكم إن لم تُعتِبوا ! فمشى برايته ، وشدّت تلك الرّجال أمام الراية ، فصُرع الفضل بن عباس ، فقُتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة إلاّ نحو

(١) ط : « فنادى فيهم الضحاك » ، والصواب حذف كلمة « الضحاك » ، وانظر الفهرس .

من عشر أذرعٍ ، وقتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف ، وقُتل معه إبراهيم ابن نُعيم العدوىّ ، فى رجال من أهل المدينة كثير .

قال هشام ، عن عوانة : وقد بلغنا فى حديث آخر أنّ مسلم بن عقبة كان مريضًا يومَ القتال ، وأنه أمر بسرير وكرسىّ فوُضع بين الصفَّين ، ثم قال : يا أهل الشأم ، قاتِلوا عن أميركم أو دَعُوا . ثمّ زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمِدون لرُبعٍ من تلك الأرباع إلا هزموه ، ولا يقاتلون إلا قليلا حتّى تولَّوا . ثم إنه أقبل إلى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشدّ القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع إلى عبد الله بن حنظلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فحمل الفضل ابن العبّاس بن ربيعة فى جماعة من وجوه الناس وفُرسانهم يريد مسلمَ بن عقبة ، ومسلم على سريره مريض ، فقال : احمِلونى فضعونى فى الصفّ ، فوضعوه بعد ما حملوه أمام فسطاطه فى الصفّ ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى إلى السرير ، وكان الفضل أحمَر ، فلما رفع السيفَ ليضربَه صاح بأصحابه : إن العبد الأحمر قاتلى ، فأين أنتم يا بَنِى الحرائر ! اشْجروه[1] بالرّماح ، فوثبوا إليه فطعنوه حتّى سقط . ٤١٥/٢

قال هشام : قال أبو مخنف : ثمّ إنّ خيل مسلم ورجالَه أقبلتْ نحو عبد الله ابن حنظلة الغسيل ورجاله بعده — كما حدّثنى عبد الله بن مُنْقذ — حتى دنَوا منه ، وركب مُسلم بن عُقْبة فرسًا له ، فأخذ يسير فى أهل الشأم ويحرّضهم ويقول : يا أهل الشأم ، إنكم لستُم بأفضل العرب فى أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عدداً ، ولا أوسعها بلداً ، ولم يخصُصْكم الله بالذى خصّكم به من النصر على عدوّكم ، وحسن المنزلة عند أئمتكم ، إلا بطاعتكم واستقامتكم ؛ وإنّ هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيَّروا فغيَّر الله بهم ، فتِمّوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة يتمّم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفَلْج . ثمّ جاء حتى انتهى إلى مكانه الذى كان فيه ، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذتِ الخيلُ إذا أقدمتْ على الرجال فثاروا فى وجوهها بالرّماح ٤١٦/٢

(١) اشجروه بالرماح ، أى اطعنوه بها ، وفى ط : « اسجروه » ، بالسين ، تحريف .

والسيوف نفرتْ وابذعرّتْ وأحجمتْ ، فنادى فيهم مسلم بن عقبة : يا أهلَ الشأم ، ما جعلهم الله أولَى بالأرض منكم ، يا حُصَيْن بن نُمَير ، انزِل في جندك ؛ فنزل في أهل حِمْصَ ، فمشى إليهم ، فلما رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال : يا هؤلاء ؛ إنّ عدوّكم قد أصابوا وَجْه القتال الذى كان ينبغي أن تقاتلوهم به ، وإني قد ظننت ألّا تلبثوا إلا ساعةً حتى يفصل الله بينكم وبينهم إمّا لكم وإمّا عليكم. أمّا إنكم أهل البصيرة ودار الهجرة ، والله ما أظنّ ربّكم أصبح عن أهل بلد من بلدان المسلمين بأرضَى منه عنكم ، ولا على أهل بلد من بُلدان العرب بأسخطَ منه على هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم. إنّ لكل امرئ منكم ميتةً هو ميّت بها ، والله ما من ميتة بأفضلَ من ميتة الشهادة ، وقد ساقها الله إليكم فاغتنموها ، فوالله ما كلّ ما أردتموها وجدتموها . ثم مشى برايته غيرَ بعيد ، ثمّ وقف ، وجاء ابن نمير برايته حتى أدناها ، وأمر مسلم بن عُقْبة عبدَ الله بن عضاه الأشعريّ فمشى في خمسمائة مُرامٍ حتى دنَوا من ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذوا ينضحونهم بالنّبل ، فقال ابن الغسيل : علامَ تستهدفون لهم ! من أراد التعجّل[1] إلى الجنة فليلزم هذه الراية ؛ فقام إليه كلّ مستميت ، فقال[2] : الغدوَّ إلى ربّكم[3] ، فوالله إني لأرجو أن تكونوا عن ساعة قريرِى عَيْن ؛ فنهض القوم بعضُهم إلى بعض فاقتتلوا أشدّ قتال رُئِيَ في ذلك الزمان ساعةً من نهار ، وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً واحداً حتى قتلوا بين يديه ، وابن الغسيل يضرب بسيفه ، ويقول :

٤١٧/٢

بُعْدًا لمن رامَ الفَسادَ وطَغَى ... وجانَبَ الحقَّ وآيات الهدى

* لا يُبْعِدِ الرحْمَنُ إلاَّ مَنْ عَصَى *

فقُتِل ، وقُتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شمّاس ، استقدم فقاتل حتى قتِل ، وقال : ما أحبّ أنّ الديلم قتلوني مكانَ هؤلاء القوم ؛ ثم قاتل حتى قُتل وقُتل معه محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ ، فمرّ عليه مروان

(١) س وابن الأثير : « التعجيل » .

(٢) س ، ف : « فقالوا » .

(٣) كذا في س ، وهو الصواب ، وفي ط : « اتعدوا إلى ربكم » .

ابن الحكم وكأنه بِرْطيل[1] من فضّة ، فقال : رحمك الله ! فرُبَّ سارية قد رأيتك تطيل القيامَ فى الصلاة إلى جنبها .

قال هشام : فحدّثنى عوانة ، قال : فبلغنا أنّ مسلم بن عقبة كان يجلس على كرسىّ ويحمله الرجال وهو يقاتل ابن الغسيل يوم الحرّة وهو يقول :

٤١٨/٢

أَحْيا أَباه هاشِمُ بن حَرْمَلَهْ يوم الهَباتَيْن ويومَ اليعْمُلَهْ

كلُّ المُلوك عِنْدَهُ مُغَرْبَلَهْ ورُمْحُهُ للوالدات مثْكلَهْ

لا يُلبِثُ القتيلَ حتى يَجْدِلهْ يَقْتُل ذا الذَّنْبِ ومن لا ذَنبَ لهْ

قال هشام، عن أبى مخنف : وخرج محمد بن سعد بن أبى وقّاص يومئذ يقاتل ، فلما انهزم الناسُ مال عليهم يضربهم بسيفه حتّى غلبته الهزيمةُ ، فذهب فيمن ذهب من الناس ، وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناسَ ويأخذون الأموالَ ؛ فأفزع ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سعيد الخُدْرىّ حتّى دخل فى كَهْف فى الجبل ، فبَصُر به رجل من أهل الشأم ، فجاء حتّى اقتحم عليه الغار .

قال أبو مخنف : فحدّثنى الحسن بن عطية العَوْفىّ ، عن أبى سعيد الخُدْرىّ ، قال : دخل إلىّ الشامىّ يمشى بسيفه ، قال : فانتضيتُ سيفى فمشيت إليه لأرعِبَهُ لعله ينصرف عنّى ، فأبى إلا الإقدامَ علىّ ، فلما رأيت أن قد جدّ شمَسْتُ سيفى ، ثمّ قلتُ له : ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2] ، فقال لى : منْ أنتَ لله أبوك ! فقلت : أنا أبو سعيد الخُدْرىّ ؛ قال : صاحب رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : نعَم ؛ فانصرف عنّى.

قال هشام : حدّثنى عَوانة ، قال : دعا الناسَ مُسلم بن عُقْبة بقُبَاء إلى البيعة ، وطلب الأمان لرجلين من قريش : ليزيدَ بن عبدالله بن زَمْعة بن الأسود بن

(١) البرطيل : معدن صلب خلقة تنقر به الرحا . (٢) سورة المائدة: ٢٨ .

٢/٤١٩ المطّلب بن أسد بن عبد العزّى ومحمد بن أبي الجَهْم بن حذيفة العدويّ ولمعقل ابن سنان الأشجعيّ، فأتِي بهما بعد الوقعة بيوم فقال: بايعا، فقال القرشيّان: نبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه؛ فقال: لا والله لا أقيلكم هذا أبداً، فقدّمهما فضرب أعناقهما، فقال له مروان: سبحان الله! أتَقْتُل رجليْن من قريش أتيَا ليؤمِنا فضَربتَ أعناقهما! فنَخسَ بالقضيب في خاصرته ثم قال: وأنتَ والله لو قلتَ بمقالتهما ما رأيتَ السماءَ إلا برَْقَة.

قال هشام: قال أبو مِخنف: وجاء مَعقل بن سنان، فجلس مع القوم، فدعا بشراب ليُسقَى، فقال له مسلم: أيّ الشراب أحبّ إليك؟ قال: العسل، قال: اسقوه، فشَرِب حتى ارتَوى، فقال له: أقضيت ريَّك من شرابك؟ قال: نعم، قال: لا والله لا تشرب بعده شراباً أبداً إلا الحميمَ في نار جهنم، أتذكر مقالتكَ لأمير المؤمنين: سرتُ شهراً، ورجعتُ شهراً، وأصبحتُ صِفراً، اللهمّ غَيِّر — تعني يزيدَ! فقدّمه فضَرَبَ عنقه.

قال هشام: وأمّا عوانة بن الحكم فذكر أن مسلم بنَ عقبة بعث عمرو بن مُحْرِز الأشجعيّ فأتاه بمَعقل بن سنان فقال له مسلم: مرحبًا بأبي محمد! أراك عطشان! قال: أجَل، قال: شُوبوا له عسلا بالثلج الذي حملتموه معنا — وكان له صديقًا قبل ذلك — فشابوه له، فلما شرب معقل قال له: سقاك الله من شراب الجنة؛ فقال له مسلم: أمَا والله لا تشربُ بعدها شراباً أبداً حتى تشربَ من شراب الحميم؛ قال: أنشُدُك اللهَ والرَّحِمَ! فقال له

٢/٤٢٠ مسلم: أنت الذي لقيتني بطبريّة ليلةَ خرجت من عند يزيد، فقلت: سرْنا شهرًا ورجعْنا من عند يزيد صفرًا، نرجع إلى المدينة فنخلع هذا الفاسق، ونبايع لرجل من أبناء المهاجرين! فيمَ غطفان وأشجع من الخلع[1] والخلافة! إنّي آليت بيمين لا ألقاك في حرب أقدر فيه على ضرب[2] عنقك إلا فعلت،

(١) ابن الأثير: «من الخلق».

(٢) ابن الأثير: «على قتلك».

ثمّ أمر به فقُتِل .

قال هشام : قال عوانة : وأُتِيَ بزيد بن وهب بن زَمْعة ؛ فقال : بايعْ ، قال : أبايعك على سنّة عمر ؛ قال : اُقتُلوه ؛ قال : أنا أبايع ، قال : لا والله لا أقيلك عثْرتَك ، فكلّمه مروان بن الحكم — لصهر كان بينهما — فأمر بمروان فوُجِئتْ عنقُه ، ثم قال : بايعوا على أنكم خوَل ليزيدَ بن معاوية ، ثمّ أمر به فقُتل .

قال هشام : قال عوانة ، عن أبي مخنف . قال : قال عبد الملك بن نوفل ابن مساحق : ثمّ إنّ مروانَ أتِيَ بعليّ بن الحسين ؛ وقد كان عليّ بن الحسين حين أخرجت بنو أميّة منع ثَقَلَ مروان وامرأته وآواها ، ثمّ خرجتْ إلى الطائف ، فهى أمّ أبان ابنة عثمان بن عفان ، فبعث ابنه عبد الله معها ، فشكر ذلك له مروان — وأقبل عليّ بن الحسين يمشي بين مروان وعبد الملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان ، فجاء حتى جلس عنده بينهما ، فدعا مروان بشراب ليتحرّم بذلك من مسلم ، فأتى له بشراب ، فشرب منه مروان شيئًا يسيراً ، ثمّ ناوله عليًّا ، فلما وقع فى يده قال له مسلم : لا تشرب من شرابنا ، فأرعدت كفّه ، ولم يأمنْه على نفسه ، وأمسك القَدَح بكفّه لا يشربه ولا يضعه ، فقال : إنك إنما جئت تمشى بين هؤلاء لتأمن عندى ؛ والله لو كان هذا الأمر إليهما[1] لقتلتك ، ولكنّ أمير المؤمنين أوصانى بك ، وأخبرَنى أنك كاتبته ، فذلك نافعُك[2] عندى ، فإن شئت فاشرب شرابك الذى فى يدك ، وإن شئت دعونا بغيره ، فقال : هذه التى فى كفّى أريد ؛ قال : اِشربْها ، ثم قال : إلىّ هاهنا ، فأجلَسه معه .

٤٢١/٢

قال هشام : وقال عوانة بن الحكم : لما أتى بعليّ بن الحسين إلى مسلم ، قال : مَن هذا ؟ قالوا : هذا عليّ بن الحسين ؛ قال : مرحبًا وأهلاً ؛ ثم أجلَسَه معه على السرير والطِّنفِسة ، ثم قال : إنّ أمير المؤمنين أوصانى بك قبلاً ، وهو يقول : إنّ هؤلاء الخبثاء شغلونى عنك وعن وُصْلتك[3] ؛ ثم قال

(١) س : « بينهما » .
(٢) س : « نافع » .
(٣) س : « صلتك » .

لعلىّ : لعلّ أهلك فزِعوا ! قال : إى والله ، فأمر بدابّته[١] فأسرِجتْ ، ثمّ حمله فردّه عليها .

قال هشام : وذكر عوانة أنّ عَمرو بن عثمان لم يكن فيمن خرج من بنى أميّة ، وأنه أتى به يومئذ إلى مسلم بن عُقْبة فقال : يا أهل الشام ، تعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ قال : هذا الخبيث ابن الطيّب ، هذا عَمرو بن عثمانَ بن عفّان أمير المؤمنين ، هيه يا عمرو! إذا ظهر أهل المدينة قلتَ : أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهلُ الشام قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأمر به فنُتِفت لحيتُه ، ثم قال : يا أهل الشام ، إنّ أمّ هذا كانت تدخِل الجُعَل فى فيها ثم تقول : يا أمير المؤمنين حاجيْتك ، ما فى فمى ؟ وفى فمها[٢] ما ساءَها وناءَها[٣] ، فخلّى سبيله ، وكانت أمّه من دَوْس .

* * *

قال أبو جعفر الطبرىّ : فحدّثنى أحمد بن ثابت ، عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر . وحدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قالا : كانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذى الحجّة سنة ثلاث وستين . وقال بعضهم : لثلاثٍ ليالٍ بقين منه . ٤٢٢/٢

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزّبير . حدّثنى الحارث، قال : حدّثنا ابن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى عبد الله بن جعفر ، عن ابن عوف ، قال : حجّ ابن الزبير بالناس سنة ثلاث وستين ، وكان يسمّى يومئذ العائذ ، ويرون الأمرَ شُورَى . قال : فلما كانت ليلة هلال المحرّم ونحن فى منزلنا إذ قدم علينا سعيدٌ مولى المِسْور بن مخرَمَة ، فخبّرنا بما أوقع مسلم بأهل المدينة وما نيل منهم ، فجاءهم أمرٌ عظيم ، فرأيت القوم شهروا وجدّوا وأعدّوا وعرفوا أنه نازل بهم .

* * *

(١) ابن الأثير : « فأمر بدابة » . (٢) س : « فيها » .
(٣) ابن الأثير : « شاءها وباءها » .

وقد ذُكر من أمر وقعة الحَرّة ومقتل ابن الغسيل أمرٌ غيرُ الذى رُوى عن أبى مخنف ، عن الذين روَى ذلك عنهم ، وذلك ما حدّثنى أحمد بن زهير قال : حدّثنا أبى ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا جويرية بن أسماء ، قال : سمعتُ أشياخَ أهل المدينة يحدّثون أنّ معاوية لمّا حضرته الوفاة دعا يزيدَ فقال له : إنّ لك من أهل المدينة يومًا ، فإنْ فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرفتُ نصيحتَه . فلما هلك معاوية وفد إليه وفدٌ من أهل المدينة ، وكان ممن وفد عليه عبدُ الله بنُ حنظلة بن أبى عامر ، وكان شريفًا فاضلاً سيّدًا عابدًا ، معه ثمانية بنينَ له ، فأعطاه مائةَ ألف درهم ، وأعطَى بنيه لكلّ واحد منهم عشرة آلاف[1] سوى كُسوتهم وحُملانهم ، فلما قدم المدينة عبد الله بن حنظلة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدتُه بهم ؛ قالوا : قد بلغَنا أنه أجداك[2] وأعطاك وأكرمك ؛ قال : قد فعل ، وما قبلتُ منه إلا لأتقوّى به ؛ وحضّض الناسَ فبايعوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فبعث مُسْلم بن عُقْبة إليهم ، وقد بعث أهل المدينة إلى كلّ ماء بينهم وبين الشأم ، فصبّوا فيه زقًّا من قَطِران ، وعُوِّر ، فأرسل الله السماء عليهم ، فلم يستقوا بدَلْوٍ حتى وردُوا المدينة ، فخرج إليهم أهلُ المدينة بجموع كثيرة ، وهيئة لم يُرَ مثلُها . فلما رآهم أهل الشأم هابُوهم وكرهوا قتالَهم ، ومسلم شديدُ الوجع ، فبينما الناس فى قتالهم إذ سمعوا التكبيرَ من خلْفهم فى جوف المدينة ، وأقحم عليهم بنو حارثة أهلَ الشأم ، وهم على الجَدّ[3] ، فانهزم الناسُ ، فكان من أصيب فى الخندق أكثرَ ممن قُتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهُزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستندٌ إلى أحد بنيه يغطّ نومًا ، فنبّهه ابنه ، فلما فتح عينيه فرأى ما صنع الناسُ أمرَ أكبرَ بنيه ، فتقدّم حتى قتل ، فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، فدعا الناسَ للبيعة على أنهم خَوَلٌ ليزيدَ بن معاوية ، يحكم فى دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء .

٤٢٣/٢

---

(١) س : « عشرين ألفًا » .

(٢) ف : « أحذاك » ، وهما بمعنى .

(٣) الجدّ هنا : وجه الأرض .

ثم دخلت سنة أربع وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

٤٢٤/٢ قال أبو جعفر : فمن ذلك مسيرُ أهل الشأم إلى مكة لحرب عبد الله بن الزّبير ومَنْ كان على مثل رأيه فى الامتناع على يزيدَ بن معاوية .

ولما فرغ مسلم بن عُقْبة من قتال أهل المدينة وإنهاب جندِه أموالهم ثلاثاً ، شَخَص بمن معه من الجند متوجّهاً إلى مكة ، كالذى ذكر هشام ابن محمد ، عن أبى مخنف ، قال : حدّثنى عبد الملك بن نوفل ، أنّ مسلماً خرج بالناس إلى مكة يريد ابن الزبير ، وخلف على المدينة رَوْح بن زِنباع الجُذامىّ .

وأما الواقدىّ فإنه قال : خلف عليها عمرو بن محرز الأشجعىّ ؛ قال : ويقال : خلف عليها رَوْح بن زِنْباع الجُذامىّ .

* * *

ذكر موت مسلم بن عقبة ورمى الكعبة وإحراقها

رجع الحديث إلى أبى مخنف[1]. قال : حتى إذا انتهى إلى المُشلَّل — ويقال : إلى قفا المشلّل — نزل به الموت ، وذلك فى آخر المحرّم من سنة أربع وستين ، فدعا حصين بن نمير السّكونىّ فقال له : يابن برذعة الحمار ، أمَا والله لو كان هذا الأمر إلىّ ما ولّيتُك هذا الجندَ ، ولكنّ أمير المؤمنين ولّاك بعدى ، وليس لأمرِ أمير المؤمنين مَرَدٌّ ؛ خُذ عنى أربعاً : أسرع السيرَ ، وعجّل الوِقاع ، وعمّ الأخبار ، ولا تُمكِنْ قُرَشيًّا من أذنك . ثمّ إنه مات ، فدُفن بقَفا المشلّل .

قال هشام بن محمد الكلبىّ : وذكر عَوَانة أنّ مسلم بن عُقْبة شخص يريد ابن الزبير ، حتى إذا بلغ ثنيّة هَرْشَا نزل به الموت ، فبعث إلى رءوس الأجناد ، فقال : إنّ أمير المؤمنين عهد إلىّ إنْ حدَثَ بى حَدَثُ الموت أن

٤٢٥/٢ أستخلف عليكم حصينَ بنَ نمير السّكونىّ ، والله لو كان الأمر إلىّ ما فعلت ،

(١) انظر ص ٤٩٤ .

ولكن أكره معصيةَ أمرِ أمير المؤمنين عند الموت ؛ ثم دعا به فقال : انظر يا برذعة الحمار فاحفظ ما أوصيك به ؛ عمِّ الأخبار ، ولا تُرْعِ سمعَك قريشاً أبداً ، ولا تردَّنّ أهل الشأم عن عدوّهم ، ولا تقيمنّ إلا ثلاثًا حتى تناجزَ ابن الزبير الفاسق ؛ ثمّ قال : اللهمّ إنى لم أعمل عملا قطّ بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله أحبَّ إلىّ من قتلى أهل المدينة ، ولا أرجى عندى فى الآخرة . ثمّ قال لبنى مُرَّة : زرَّاعتى [١] التى بحَوْرانَ صدقةٌ على مرَّة ، وما أغلقتْ عليه فلانة بابَها فهو لها — يعنى أمَّ ولده — ثم مات .

ولما مات خرج حصين بن نمير بالناس ، فقدِم على ابن الزبير مكة وقد بايعه أهلُها وأهلُ الحجاز .

قال هشام : قال عوانة : قال مسلم قبل الوصيّة : إنّ ابنى يزعم أنّ أمّ ولدى هذه سقتْنى السمّ ؛ وهو كاذب ، هذا داءٌ يُصيبُنا فى بطوننا أهلَ البيت . قال : وقدم عليه — يعنى ابن الزبير — كلُّ أهل المدينة ، وقد قدم عليه نَجْدة بن عامر الحنفىّ فى أناس من الخوارج يمنعون البيت ، فقال لأخيه المنذر : ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيرى وغيرُك - وأخوه المنذر ممن شهد الحرّة ، ثمّ لحق به — فجرّد إليهم أخاه فى الناس ، فقاتلهم ساعةً قتالاً شديداً. ثمّ إنّ رجلا من أهل الشأم دعا المنذر إلى المبارزة — قال : والشأمىُّ على بغلة له — فخرج إليه المنذر ، فضرب كلُّ واحد منهما صاحبَه ضربةً خرّ صاحبُه لها ميّتاً ، فجثا عبدُ الله بنُ الزّبير على ركبتيه وهو يقول : ياربّ أبرْها من أصلها ولا تَشدّها [٢] ، وهو يدعو على الذى بارز أخاه . ثمّ إنّ أهل الشأم شدُّوا عليهم شدّةً منكرةً ، وانكشف [٣] أصحابُه انكشافةً ، وعثرتْ بغلته فقال : تَعْساً [٤] ! ثم نزل وصاح بأصحابه : إلىَّ ؛ فأقبَلَ إليه المِسْوَر بن مَخْرمة بن نوفل بن أهْيَب بن عبد مناف بن زُهرة ، ومصعب بن عبدالرحمن ابن عوف الزّهرىّ ، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعًا . وصابرَهم ابنُ الزبير يجالدهم

٤٢٦/٢

---

(١) الزراعة : موضع الزرع ، مثل المزرعة .

(٢) س : « ولا تشنها » .

(٣) س : « فانكشف » .

(٤) س : « فقال لها : لعاً لك » .

حتى الليل ، ثمّ انصرفوا عنه ؛ وهذا فى الحصار الأوّل . ثمّ إنهم أقاموا عليه يقاتلونه بقيّة المحرّم وصفر كله ، حتى إذا مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأوّل يوم السبت سنة أربع وستين قذفوا البيتَ بالمجانيق ، وحرّقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون :

خطَّارةٌ مِثلُ الفنِيق المزبدِ نَرْمِى بها أعْوادَ هذا المسْجدِ

قال هشام : قال أبو عوانة : جعل عمرو بنُ حوْط السدوسىّ يقول :

كَيف تَرى صنيع أُم فَرْوَهْ تأْخُذُهُمْ بين الصَّفَا والمَرْوَهْ

يعنى بأمّ فروةَ المنجنيق .

٤٢٧/٢ وقال الواقدىّ : سار الحُصين بن نمير حين دُفن مسلم بن عُقبة بالمشلّل لسبعٍ بقين من المحرّم ، وقدم مكة لأربع بقين من المحرّم ، فحاصر ابنَ الزبير أربعاً وستين يوماً حتى جاءهم نعْى يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر .

* * *

[ذكر الخبر عن حرق الكعبة]

وفى هذه السنة حُرقت الكعبة .

* ذكر السبب فى إحراقها :

قال محمد بن عمر : احترقت الكعبة يومَ السبت لثلاثِ ليال خلوْن من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين قبل أن يأتى نعىُ يزيدَ بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً ، وجاء نعيه لهلال ربيع الآخر ليلة الثلاثاء .

قال محمد بن عمر : حدّثنا رياح بن مسلم ، عن أبيه ، قال : كانوا يوقدون حولَ الكعبة ، فأقبلتْ شرَرَة[١] هبّت بها الريح ، فاحترقتْ[٢] ثياب الكعبة ، واحترق[٣] خشبُ البيت يومَ السبت لثلاثِ ليال خلوْن من ربيع الأوّل .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى عبد الله بن زيد ، قال : حدّثنى عروة بن

(١) س : « شرارة » . (٢) س : « فأحرقت » . (٣) س : « فاحترق » .

أذَيْنَة ، قال : قدمتُ مكة مع أمّى يوم َ احترقت الكعبة قد خَلَصتْ إليها النار ، ورأيتُها مجرّدة مِن الحرير ، ورأيت الرّكن قد اسودّ وانصدع فى ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما أصاب الكعبةَ ؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب عبد ِ الله بن الزبير ، قالوا : هذا احترقتْ بسببه ، أخذ قبَسًا فى رأس رمح له فطيّرت الريحُ به ، فضربَتْ أستارَ الكعبة ما بين الركن اليمانىّ والأسوَد (١) .

* * *

[ذكر خبر وفاة يزيد بن معاوية]

وفيها هلك يزيدُ بنُ معاوية ، وكانت وفاته بقرية من قُرى حمصَ يقال لها حُوّارين من أرض الشأم ، لأربع عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيع الأوّل سنة أربع وستين وهو ابن ثمان وثلاثين سنةً فى قول بعضهم . ٢/٤٢٨

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى ، عن هشام بن الوليد المخزومىّ ، أنّ الزّهرىّ كتب لجدّه أسنانَ الخلفاء ، فكان فيما كَتَب من ذلك : ومات يزيدُ بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ؛ وكانت ولايتُه ثلاثَ سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ، ويقال : ثمانية أشهر .

وحدّثنى أحمد بن ثابت عمّن حدّثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبى معشر ، أنه قال : توفّى يزيد بنُ معاوية يومَ الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلتْ من شهر ربيع الأول ، وكانت خلافتُه ثلاثَ سنين وثمانيةَ أشهر إلا ثمان ليال ، وصلّى على يزيدَ ابنُه معاوية بن يزيد .

وأما هشام بن محمد الكلبىّ فإنه قال فى سنّ يزيدَ خلافَ الذى ذكره الزهرىّ ؛ والذى قال هشام فى ذلك — فيما حُدّثنا عنه — : استُخلف أبو خالد يزيد ابن معاوية بن أبى سُفْيان وهو ابن اثنتين وثلاثين سنةً وأشهر فى هلال رجب سنة ستين ، وولى سنتين وثمانية أشهر ، وتوفى لأربع عشرةَ ليلةً خلت من ربيع الأوّل سنة ثلاث وستين وهو ابن خمس وثلاثين ، وأمّه ميْسون بنت بَحْدل بن أنيف بن وَلْجة بن قُنافةَ بن عدىّ بن زهير بن حارثة الكلبىّ .

(١) الخبر فى الأغانى ٢١ : ١٠٦ (ساسى) .

ذكر عدد ولده

فمنهم معاوية بن يزيدَ بن معاوية ، يُكنَى أبا ليلى ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

٤٢٩/٢ إنى أَرَى فتنةً قدْ حانَ أَوَّلُهَا والمُلكُ بعد أَبِى لَيْلى لِمَنْ غلَبَا

وخالد بن يزيدَ — وكان يُكنَى أبا هاشم ، وكان يقال : إنه أصاب عمَل الكيمياء — وأبوسُفْيان ، وأمُّهما أمّ هاشم بنت أبى هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، تزوّجها بعد يزيد مروان ، وهى التى يقول لها الشاعر :

اِنْعمِى أُمَّ خـالدِ رُبَّ ساعٍ لقـاعِدِ

وعبد الله بن يزيدَ ، قيل : إنه من أرْمى العرب فى زمانه ، وأمه أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وهو الأُسوار ، وله يقول الشاعر :

زعَمَ الناسُ أَنَّ خيرَ قريش كلِّهمْ حِينَ يُذْكَرُ الأُسوَارُ

وعبد الله الأصغر ، وعُمر ، وأبو بكر ، وعُتْبة ؛ وحَرب ، وعبد الرحمن ، والربيع ، ومحمد ؛ لأمّهاتِ أولادٍ شتَّى .

خلافة معاوية بن يزيد

وفى هذه السنة بويع لمعاوية بن يزيدَ بن معاوية بن أبى سُفْيان بالشأم بالخلافة ، ولعبد الله بن الزُّبير بالحجاز .

ولما هلك يزيدُ بنُ معاوية مكث الُحصَيْن بن نُمير وأهل الشأم يقاتلون ابنَ الزّبير وأصحابه بمكة — فيما ذكر هشام عن عوانة — أربعين يومًا ، قد حصروهم حصارًا شديدًا، وضيّقوا عليهم . ثمّ بلغ موتُه ابن الزبير وأصحابه، ولم يبلغ الحصينَ بن نمير وأصحابه؛ فحدّثنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدّثنا عبد العزيز بن خالد بن رُسْتم الصنعانىّ أبو محمد قال: حدّثنا زياد بن جيل[1]، قال: بينا حُصَين بن نمير يقاتل ابنَ الزبير، إذْ جاء موت يزيد؛ فصاح بهم ابن الزبير ، فقال : إنّ طاغيتَكم قد هلك ، فمن شاء منكم أن يدخل فيما دخل فيه الناس فلْيفعلْ، فمن كَرِه فليلْحقْ بشأمه، فغَدَوْا عليه يقاتلونه . قال : فقال ابنُ الزبير للحصين بن نُمَير : اُدنُ منى أحدّثْك ، فدنا منه فحدّثه ، فجعل فرسُ أحدهما يجْفِل — والجَفْل: الرَّوْث — فجاء حَمام الحَرَم يلتقط من الجَفْل ، فكفّ الحصين فرسَه عنهنّ ، فقال له ابن الزبير : ما لَكَ؟ قال : أخاف أن يَقتُل فرسى حَمامَ الحرَم ؛ فقال له ابن الزبير : أتتحرَّجُ من هذا وتريد أن تَقتُل المسلمين! فقال له : لا أقاتلك ؛ فأذنْ لنا نَطفْ بالبيت ، وننصرف عنك ، ففعل فانصرفوا .

٤٣٠/٢

وأما عوانة بن الحكَم فإنه قال — فيما ذكر هشام ، عنه — قال : لما بلغ ابنَ الزبير موتُ يزيد— وأهل الشأم لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصاراً شديداً وضيّقوا عليه — أخذ يناديهم هو وأهل مكّة : علامَ تقاتلون ؟ قد هلك طاغيتُكم ؛ وأخذوا لا يصدّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المُنْقَع النخَعىّ من أهل الكوفة فى رءوس أهل العراق ، فمرّ بالحصين بن نمير — وكان له صديقًا ، وكان بينهما صِهْر ، وكان يراه عند معاوية ، فكان يعرف فضلَه

---

(١) ف : « حبل » .

وإسلامَه وشرفَه — فسأل عن الخبر ، فأخبره بهلاك يزيدَ ، فبعث الحصين ابن نُمَير إلى عبد الله بن الزبير ، فقال : موعدُ ما بيننا وبينك الليلةَ الأبطحُ ، فالتقيا ، فقال له الحصين : إن يَكُ هذا الرجل قد هلك فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر ؛ هلمَّ فلنبايعْك ، ثمّ اخرج معى إلى الشأم ، فإنّ هذا الجند الذين معى هم وجوهُ أهل الشأم وفُرسانُهم ، فوالله لا يختلف عليك اثنان ، وتؤمّن الناس وتُهدِر هذه الدّماء التى كانت بيننا وبينك ، والتى كانت بيننا وبين أهل الحَرّة ؛ فكان سعيد بن عمرو يقول : ما مَنَعه أن يبايعَهم ويخرج إلى الشأم إلاّ تَطَيّرٌ ، لأن مكة التى منعه الله بها ؛ وكان ذلك من جند مروان ، وإن عبد الله والله لو سار معهم حتى يدخل الشأم ما اختلف عليه منهم اثنان . فزعم بعضُ قريش أنه قال : أنا أهدِر[1] تلك الدماء ! أما والله لا أرضى[2] أن أقتُل بكلّ رجل منهم عَشَرة[3] ، وأخذ الحصينُ يكلّمه سرًّا ، وهو يجهر جهراً ، وأخذ يقول : لا والله لا أفعل ؛ فقال له الحصين بن نمير : قبح اللهُ من يعدّك بعد هذه[4] داهيًا قطّ أو أديبًا[5] ! قد كنتُ أظنّ أنّ لك رأيًا . ألا أرانى أكلمك سرًّا وتكلمنى جهراً ، وأدعوك إلى الخلافة ، وتعدُنى القتلَ والهَلَكة !

٤٣١/٢

ثم قام فخرج وصاح فى الناس ، فأقبل فيهم نحوَ المدينة ، وندم ابن الزبير على الذى صنع ، فأرسل إليه : أمّا أن أسيرَ إلى الشأم فلستُ فاعلاً ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لى هنالك فإنّى مؤمّنكم وعادلٌ فيكم . فقال له الحصين : أرأيتَ إن لم تقدم بنفسك ، ووجدتُ هنالك أناسًا كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ، فما أنا صانعٌ ؟ فأقبل بأصحابه ومَنْ معه نحوَ المدينة ، فاستقبله علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب ومعه قَتٌّ[6] وشعيرٌ ، وهو على راحلة له ، فسلّم على الحصين ، فلم يكد يلتفت

٤٣٢/٢

---

(١) ابن الأثير : « لا أهدر » . (٢) ابن الأثير : « لأرضى » .
(٣) بعدها فى ابن الأثير : « منكم » .
(٤) ف : « بعدها » .
(٥) الداهى : العاقل ، وفى ابن الأثير : « قبح الله من يعدك بعد ذاهباً وآبياً » .
(٦) القت : الرطبة من علف الدواب .

إليه ، ومع الحصين بن نمير فرسٌ له عتيق ، وقد فَنِيَ قَتُّهُ وشعيرُه ، فهو غَرِضٌ ، وهو يسبّ غلامَه ويقول : من أين نجد هنا لدابّتنا عَلَفًا ! فقال له عليّ بن الحسين : هذا علفٌ عندنا ، فاعلف منه دابّتك ، فأقبل على عليٍّ عند ذلك بوجهه ، فأمر له بما كان عنده من عَلَف ، واجترأ أهل المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشأم فذلّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلاّ أخِذَ بلجام دابته ثم نُكِس عنها ، فكانوا يجتمعون فى معسكرهم فلا يفترقون . وقالت لهم بنو أميّة : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشأم ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخل الشأم ، وقد أوصى يزيد بن معاوية بالبيعة لابنه معاوية ابن يزيد ، فلم يلبث إلاّ ثلاثة أشهر حتى مات .

وقال عَوانة : استخلف يزيد بن معاوية ابنَه معاوية بن يزيد ، فلم يمكث إلا أربعين يومًا حتى مات .

وحدّثنى عمر ، عن عليّ بن محمد ، قال : لما استُخلف معاوية بن يزيدَ وجمع عُمّالَ أبيه ، وبويع له بدمشق ، هلك بها بعد أربعين يومًا من ولايته. ويُكنى أبا عبد الرّحمن ، وهو أبو ليلى ، وأمه أم هاشم بنت أبى هاشم ابن عُتبة بن ربيعة ، وتوفّى وهو ابن ثلاث عشرة سنةً وثمانية عشر يومًا .

* * *

٤٣٣/٢ وفى هذه السنة بايع أهلُ البصرة عبيدالله بن زياد ، على أن يقوم لهم بأمرهم حتى يصطلح الناسُ على إمام يرتضُونه لأنفسهم ، ثم أرسل عبيد الله رسولا إلى الكُوفة يدعوهم إلى مِثل الذى فعل من ذلك أهل البصرة ، فأبوْا عليه ، وحصبوا الوالىَ الذى كان عليهم ، ثمّ خالفه أهلُ البصرة أيضًا ، فهاجت بالبصرة فتنة ، ولحق عبيد الله بن زياد بالشأم .

ذكر الخبر عما كان من أمر عبيد الله بن زياد
وأمر أهل البصرة معه بها بعد موت يزيد

وحدّثني عمر بن شبّة، قال: حدّثني موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا حمّاد بن سلَمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن، قال: كتب الضحاك ابن قيس إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية: سلامٌ عليك، أمّا بعد، فإنّ يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخواننا، فلا تسبقونا بشيء حتى نختار لأنفسنا.

حدّثني عمر، قال: حدّثنا زهير بن حرب، قال: حدّثنا وهب بن حمّاد، قال: حدّثنا محمد بن أبي عُيَيْنة؛ قال: حدّثني شهرك، قال: شهدتُ عُبيدَ الله بن زياد حين مات يزيد بن معاوية قام خطيبًا، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال:

يا أهلَ البصرة، انسبوني[١]، فوالله لتجدُنّ مُهاجَر والدي[٢] ومولدي فيكم، وداري، ولقد وليتُكُم وما أحصَى ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل ولقد أحصَى اليومَ ديوانُ مقاتلتكم ثمانين ألفًا، وما أحصَى ديوان عُمّالكم إلا تسعين ألفًا، ولقد أحصِيَ اليومَ مائة وأربعين ألفًا، وما تركتُ لكم ذا ظِنّة[٣] أخافه عليكم إلا وهو في سجنكم هذا. وإن أمير المؤمنين يزيد بن معاويةً قد توفي، وقد اختلف أهلُ الشأم، وأنتم اليومَ[٤] أكثرُ الناس عدداً، وأعرَضُه فِناءً، وأغناه عن الناس، وأوسَعُه بلاداً[٤]، فاختاروا لأنفسكم رجلا ترتضونه لدينكم وجماعتكم، فأنا أوّلُ راضٍ مَن رضيتموه وتابع، فإن اجتمع أهل الشأم على رجل ترتضُونه، دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جَدِيلتكم حتى تُعطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحد من أهل البلدان حاجةٌ، وما يستغنِي الناس عنكم.

٢/٤٣٤

---

(١) ف: «أتسبوني». (٢) ابن الأثير: «إن مهاجرنا اليكم».
(٣) ابن الأثير: «قاطبة».
(٤ – ٤) ابن الأثير: «أكثر الناس عدداً، وأعرضهم فناء، وأغنى عن الناس وأوسعهم بلاداً».

فقامت خُطباءُ أهل البصرة فقالوا : قد سمعنا مقالتَك أيّها الأمير ، وإنا والله ما نعلم أحداً أقوى عليها منك ، فهلمّ فلنبايعْك ؛ فقال : لا حاجة لى فى ذلك ، فاختاروا لأنفسكم ؛ فأبوْا عليه ، وأبَى عليهم ، حتى كرّروا ذلك عليه ثلاث مرّات ، فلما أبوْا بَسَط يدَه فبايعوه ، ثمّ انصرفوا بعد البيعة وهم يقولون : لا يظنّ[1] ابن مرجانة أنّا نستقاد[2] له فى الجماعة والفُرقة ، كَذَب والله ! ثمّ وثبوا عليه[3] .

حدّثنى عمر ، قال زهير : قال : حدّثنا وهب، قال . وحدّثنا الأسود ابن شيبان ، عن خالد بن سُمَير ، أنّ شقيق بن ثور ومالك بن مِسْمع وحضين[4] ابن المنذر أتوا عبيد الله ليلا وهو فى دار الإمارة ، فبلغ ذلك رجلا من الحىّ من بنى سَدُوس ؛ قال : فانطلقتُ فلزمتُ دار الإمارة ، فلبثوا معه حتى مضى عليه الليل ، ثمّ خرجوا ومعهم بغلٌ موقَرٌ مالا ؛ قال : فأتيت حضيناً فقلت : مُرْ لى من هذا المال بشىء ، فقال : عليك ببنى عمّك ، فأتيت شقيقاً فقلت : مُرْ لى من هذا المال بشىء — قال : وعلى المال مولًى له يقال له : أيّوب — فقال : يا أيوب ، أعطه مائة درهم ؛ قلت[5] : أما مائة درهم والله لا أقبلها ، فسكت عنى ساعةً ، وسارَ هنَيْهة ، فأقبلتُ عليه فقلتُ : مُرْ لى من هذا المال بشىء ، فقال : يا أيّوب، أعطه مائتىْ درهم ، قلت : لا أقبل والله مائتين ، ثم أمر بثلثمائة ثم أربعمائة ، فلما انتهينا إلى الطُّفاوة قلت : مُرْ لى بشىء ؛ قال : أرأيتَ إن لم أفعل ما أنت صانع ؟ قلتُ : أنطلق والله حتى إذا توسّطتُ دُورَ الحىّ وضعتُ إصبعىّ فى أذنىّ ، ثمّ صرختُ بأعلى صوتى : يا معشر بكر بن وائل ، هذا شقيق بن ثور وحضَين بن المنذر ومالك بن المسمع ، قد انطلقوا إلى ابن زياد ، فاختلفوا فى دمائكم ؛ قال : ما له فعَل الله به وفعل ! ويلك أعطه خمسمائة درهم ؛ قال : فأخذتها ثمّ صبّحت غادياً على مالك — قال وهب : فلم أحفظ ما أمر له به مالك — قال :

٤٣٥/٢

(١) ف : « لانظنّ » ، ابن الأثير : « أيظن » . (٢) ابن الأثير : « ننقاد » .
(٣) ف : « به » . (٤) ط « حصين » ، تحريف .
(٥) ف : « فقلت » .

ثمّ رأيت حضَينًا فدخلت عليه ، فقال : ما صنع ابن عمّك ؟ فأخبرتُه وقلت : أعطنى من هذا المال ؛ فقال : إنّا قد أخذْنا هذا المال ونجوْنا به ، فلن نَخشَى من الناس شيئًا ، فلم يعطِنى شيئًا .

قال أبو جعفر : وحدّثنى أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى أنّ يونس بن حبيب الجَرْمىّ حدّثه ، قال : لما قَتل عُبيدُالله بنُ زياد الحسينَ بن علىّ عليه السلام وبنى أبيه ، بعث برءوسهم إلى يزيدَ بن معاوية ، فسُرّ بقَتْلهم أوّلا ، وحسُنَتْ بذلك منزلةُ عُبيد الله عنده ، ثمّ لم يلبث إلاّ قليلا حتى ندم على قتل الحسين ، فكان يقول : وما كان علىّ لو احتملتُ الأذى وأنزلتُه معى فى دارى ، وحكّمته فيما يريد ؛ وإن كان علىّ فى ذلك وكَفٌ ووَهنٌ فى سلطانى ، حِفْظًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورعايةً لحقة وقرابته ! لعن الله ابنَ مَرْجانة ، فإنه أخرجه واضطرّه ، وقد كان سأله أن يُخلّىَ سبيلَه ويرجع[1] فلم يفعل ، أو يضع يَده فى يدى ، أو يلحق بثَغْر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عزّ وجل فلم يفعل ، فأبى ذلك وردّه عليه وقتله ، فبغّضنى بقتله إلى المسلمين ، وزرع لى فى قلوبهم العداوةَ ، فبَغَضَنى البَرُّ والفاجرُ ، بما استعظم الناس من قتلى حُسينًا ؛ مالى ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه !

٤٣٦/٢

ثمّ إنّ عبيد الله بعث مولًى يقال له أيوب بن حُمْران إلى الشأم ليأتيَه بخبر يزيدَ ، فركب عبيد الله ذاتَ يوم حتى إذا كان فى رَحْبة القصّابين ، إذا هو بأيوب بن حُمران قد قَدِم ، فلحقه فأسرّ إليه موتَ يزيدَ بن معاوية ، فرجع عبيد الله من مسيره ذلك فأتى منزلَه ، وأمر عبد الله بن حِصْن أحد بنى ثعلبة بن يربوع فنادى : الصلاة جامعة .

قال أبو عبيدة : وأما عمير بن معن الكاتب ، فحدّثنى قال : الذى بعثه عُبيد الله حُمران مولاه ، فعاد عُبيد الله عبدَ الله بن نافع أخى زياد لأمه ، ثم خرج عبيد الله ماشيًا من خَوْخة كانت فى دار نافع إلى المسجد ، فلما كان فى صحنه إذا هو بمولاه حُمران أدنى ظلمة عند المساء — وكان حُمران رسولَ عبيدالله بن زياد إلى معاوية حياتَه وإلى يزيدَ — فلما رآه ولم يكن [آن][2]

٤٣٧/٢

(١) ف : « أو يرجع » (٢) من حاشية س .

له أن يقدم — قال : مَهْيَم ! قال : خيرٌ ، قال : وما وراءك ؟ قال: أدنو منك ؟ قال : نعم — وأسرّ إليه موتَ يزيد واختلاف أمر الناس بالشأم ، وكان يزيدُ ماتَ يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين — فأقبل عبيد الله مِن فَوْرِه ، فأمر مناديًا فنادى : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس صعِد المنبرَ فنعَى يزيدَ ، وعرّض بثلبه لِقَصْد يزيد إياه قبل موته حتى يخافه عبيد الله ، فقال الأحنف لعبيد الله : إنه قد كانت ليزيدَ في أعناقنا بَيْعة ، وكان يقال : أعْرِضْ عن ذى فَنَن ، فأعرَضَ عنه ، ثم قام عبيد الله يذكر اختلاف أهل الشأم ، وقال : إني قد وليتكم ... ثم ذكر نحو حديث عمر بن شبّة ، عن زهير بن حرب إلى : فبايعوه عن رِضًا منهم ومشورةٍ . ثم قال : فلمّا خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفّهم بباب الدار وحيطانه ، ويقولون : ظَنّ ابن مرجانة أنا نوليه أمرَنا في الفرقة ! قال : فأقام عبيد الله أميراً غيرَ كثير حتى جعل سلطانه يضعف ، ويأمرنا بالأمر فلا يقضَى ، ويرى الرأى فيُردّ عليه ، ويأمر بحبس المخطئ فيُحال بين أعوانه وبينه .

قال أبو عبيدة : فسمعتُ غيلانَ بن محمد يحدّث عن عثمان البَتّيّ ، قال : حدّثنى عبد الرحمن بن جَوْشن[1] ، قال : تبعتُ جنازةً فلما كان في سوق الإبل إذا رجلٌ على فرس شهباء متقنّعٌ بسلاح[2] وفى يده لواء ، وهو يقول : أيها الناس ، هلموا إلىّ أدعُكم إلى ما لم يدعُكم إليه أحد ، أدعوكم إلى العائذ بالحَرَم — يعنى عبدَ الله بنَ الزبير . قال : فتجمّع إليه نُوَيْس[3] ، فجعلوا يصفّقون على يديه ، ومضينا حتى صلينا على الجنازة ، فلمّا رجعنا إذا هو قد انضمّ إليه أكثرُ من الأوّلين ، ثم أخذ بين دار قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصّلت السلميّ ودار الحارثيّين قِبَلَ بنى تميم في الطريق الذى يأخذ عليهم ، فقال : ألا مَن أرادنى فأنا سَلَمَة بن ذُؤيب — وهو سلَمة بن ذُؤيب بن عبد الله بن محكم بن زيد بن رياح بن يربوع بن حنظلة — قال : فلقيَنى عبد الرحمن بن بكر عند الرّحبة ،

٤٣٨/٢

(١) ط : « حوشب » ، وصوابه من ميزان الاعتدال .
(٢) فى النقائض : « متلفع بساج » ، أى طيلسان .
(٣) ابن الأثير : « فاجتمع إليه ناس » .

فأخبرته بخبر سلَمة بعد رجوعي ، فأتى عبد الرحمن عبيدَ الله فحدّثه بالحديث عنّي ، فبعث إليّ ، فأتيتُه ، فقال : ما هذا الذى خبّر به عنك أبو بَحْر ؟ قال : فاقتصصت عليه القِصّة حتى أتيتُ على آخرها ، فأمر فنودى على المكان : الصلاة جامعة ، فتجمّع الناس ، فأنشأ عبيد الله يقصّ أمره وأمرهم ، وما قد كان دعاهم إلى مَنْ يرتضونه ، فيبايعه معهم ، وإنكم أبيتم غيرى ، وإنه بلغنى أنكم مسحتم أكفّكم بالحيطان وباب الدار ، وقلتم ما قلتم ، وإنى آمرُ بالأمر فلا يُنفَّذ ، ويُردّ علىّ رأيي ، وتحُول القبائل بين أعوانى وطلبتى[١] ، ثم هذا سلَمة بن ذُؤيب يدعو إلى الخلاف عليكم ، إرادة أن يفرّق جماعتكم ، ويضرب بعضكم جباهَ[٢] بعض بالسيف . فقال الأحنف صَخْر بن قيس ابن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزّال بن مُرّة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، والناس جميعًا : نحن نأتيك بسلَمة ؛ فأتوا سلَمة ، فإذا جمعهُ قد كَثُف ، وإذا الفَتْق قد اتّسع على الرّاتق ، وامتنع عليهم ، فلما رأوا ذلك قعَدُوا عن عبيد الله بن زياد فلم يأتوه .

٢/٤٣٩

قال أبو عبيدة : فحدّثنى غيرُ واحد ، عن سَبْرة بن الجارود الهُذلىّ ، عن أبيه الجارُود ، قال : وقال عبيدُ الله فى خطبته : يا أهلَ البصرة ، والله لقد لبِسْنا الخزّ واليُمنة[٣] واللّين من الثياب حتى لقد أجمنا[٤] ذلك وأجْمتْه جلودُنا ، فما بِنا إلى أن نُعقِبها الحديدَ ! يا أهل البصرة ، والله لو اجتمعتم على ذَنَب عَيْر لتكسروه ما كسَرتُموه . قال الجارود : فوالله ما رُمى بجُمّاح[٥] حتى هَرب ، فتوارَى عند مسعود فلما قُتل مسعود لحق بالشأم .

قال يونس : وكان فى بيت مال عبيد الله يومَ خطب الناس قبل خروج سلمة ثمانية آلاف ألف أو أقلّ — وقال علىّ بن محمد : تسعة عشر ألف

(١) ابن الأثير : « وبين طلبتى » .

(٢) ابن الأثير : « رقاب بعض » . (٣) اليمنة : ضرب من برود اليمن .

(٤) أجمه : أراحه ؛ وأصله من أجم الفرس ؛ إذا تركه فلم يركبه . والجمام بالفتح : الراحة .

(٥) الجماح : سهم صغير بلا نصل مدور يتعلم به الصبيان الرمى .

ألف — فقال للناس : إنّ هذا فيئكم ، فخذوا أعطياتِكم وأرزاق ذراريّكم منه ، وأمر الكَتَبَةَ بتحصيل الناس وتخريج الأسماء ، واستعجل الكتّاب فى ذلك حتى وكّل بهم من يحبسهم بالليل فى الديوان ، وأسرجوا بالشمع . قال : فلما صنعوا ما صنعوا وقعدوا عنه ، وكان من خلاف سلمة عليه ما كان ، كفّ عن ذلك ، ونقلها حين هرب ، فهى إلى اليوم تَردّدُ فى آل زياد ، فيكون فيهم العُرس أو المأتم فلا يُرى فى قريش مثلهم ، ولا فى قريش أحسن منهم فى الغَضارة[1] والكسوة . فدعا عبيد الله رؤساءَ خاصّة[2] السلطان ، فأرادهم أن يقاتلوا معه ، فقالوا : إنْ أمرَنا قُوّادُنا قاتلْنا معك ، فقال إخوةُ عبيد الله لعبيد الله : والله ما من خليفة فتقاتلَ[3] عنه فإن هُزِمتَ فئتَ[4] إليه وإن استمددتَه أمدّك ، وقد علمتَ أنّ الحرب دُوَل ، فلا ندرى لعلها تدول عليك ، وقد اتّخذنا بين أظهر هؤلاء القوم أموالا ، فإن ظفروا أهلكونا وأهلكوها ، فلم تَبقَ لك باقية . وقال له أخوه عبد الله لأبيه وأمّه مرجانة : والله لئن قاتلتَ القوم لأعتمِدنّ على ظُبَةِ السيف حتى يخرج من صُلبى . فلما رأى ذلك عبيد الله أرسل إلى حارث بن قيس بن صُهْبان بن عون بن علاج بن مازن بن أسود بن جَهْضَم بن جَذيمة بن مالك بن فَهْم ، فقال له : يا حار ، إنّ أبى كان أوصانى إن احتجتُ إلى الهرب يوماً أن أختاركم ، وإنّ نفسى تأبى غيركم ، فقال الحارث : قد أبلَوْك فى أبيك[5] ما قد علمت ، وأبلَوْه فلم يجدوا عنده ولا عندك مُكافأةً ، وما لك مَردٌّ إذا اخترتَنا ، وما أدرى كيف أتأتّى[6] لك إن أخرجتك نهارًا ! إنى أخاف ألاّ أصِلَ بك إلى قومى حتى تُقتَلَ وأقتَلَ ، ولكنى أقيم معك حتى إذا وارى دَمْسٌ دَمْساً[7] وهدأت القدَمُ ، ردفتَ خلفى لئلا تُعرف ، ثم أخذتك على أخوالى بنى ناجية ،

٤٤٠/٢

(١) الغضارة : الرواء ومظاهر النعمة .

(٢) ابن الأثير : « محاربة السلطان » .

(٣) ابن الأثير : « فتقاتل » . (٤) ابن الأثير : « رجعت » .

(٥) أبلوك فى أبيك ، أى أنعموا عليك . (٦) كذا فى أصول ط ، وفى ابن الأثير : « أمانى » .

(٧) فى اللسان عن أبى زيد : يقال : « أتانى حيث وارى دمس دمساً وحيث وارى رؤى رؤيا ، والمعنى واحد ؛ وذلك حين يظلم أول الليل شيئاً ، ومثله أتانى حين تقول : أخوك أم الذئب ! » .

قال عبيد الله : نِعْمَ ما رأيت ، فأقام حتى إذا قيل : أخوك أم الذئب ؛ حمله خَلْفَه ، وقد نقل تلك الأموال فأحرزها ، ثمّ انطلق به يمرّ به على الناس ، وكانوا يتحارسون مخافة الحروريّة فيسأل عبيد الله أين نحن ؟ فيخبره ؛ فلما كانوا فى بنى سُليم قال عبيد الله : أين نحن ؟ قال : فى بنى سُلَيم ؛ قال : سلِمنا إن شاء الله ، فلما أتى بنى ناجية قال : أين نحن ؟ قال : فى بنى ناجية ؛ قال : نجوْنا إن شاء الله ؛ فقال بنو ناجية : مَن أنتَ ؟ قال : الحارث بن قيس ؛ قالوا : ابن أختِكم ؛ وعرف رجل منهم عبيدَ الله فقال : ابن مرجانة! فأرسل سهماً فوقع فى عمامته ، ومضى به الحارث حتى ينزله دارَ نفسه فى الجهاضم ، ثمّ مضى إلى مسعود بن عمرو بن عدىّ بن محارب بن صُنَيم بن مُليح بن شَرْطان بن مَعْن بن مالك بن فهم ، فقالت الأزد[1] ومحمد بن أبى عيينة ، فلما رآه مسعود قال : يا حارِ ، قد كان يُتعوّذ من سوء طوارق الليل ، فنعوذ بالله من شرّ ما طرقتَنا به ؛ قال الحارث : لم أطرقك إلا بخير ، وقد علمتَ أنّ قومك قد أنجَوْا زياداً فوفَوْا له ، فصارت لهم مكرُمة فى العرب يفتخرون بها عليهم ، وقد بايعتم عبيدالله بيعةَ الرضا ، رضًا عن[2] مَشورة ، وبيعةً أخرى قد كانت فى أعناقكم قبل البيعة — يعنى بيعةَ الجماعة — فقال له مسعود : يا حارِ ، أترى لنا أن نعادىَ أهلَ مِصْرِنا فى عبيد الله ، وقد أبلَيْنا فى أبيه ما أبلينا ، ثم لم نُكافأ عليه ، ولم نُشكَر ! ما كنتُ أحسب أن هذا من رأيك ؛ قال الحارث : إنه لا يُعاديك أحد على الوَفاء ببيْعتك حتى تبلغَه مأمنَه .

قال أبو جعفر : وأمّا عمر فحدّثنى قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا أبى ، عن الزّبير بن الخِرّيت ، عن أبى لبيد الجَهْضَمىّ ، عن الحارث بن قيس ، قال : عرَض نفسه — يعنى عُبيد الله بن زياد — علىّ ، فقال : أمَا والله إنى لأعرف سوءَ رأىٍ كان فى قومك ؛ قال : فوقفتُ له ، فأردفتُه على بغلتى — وذلك ليلاً — فأخذتُ على بنى سُلَيم ، فقال : مَن هؤلاء ؟ قلت : بنو سُلَيم ؛ قال : سَلِمنا إن شاء الله ؛ ثم مَرَرْنا ببنى ناجية وهم جُلوسٌ ومعهم السلاح — وكان الناس

(١) فى التصويبات : أى رواة الأزد (أبو مخنف) . (٢) ط : « من » .

يتخارسون إذ ذاك فى مجالسهم — فقالوا : مَن هذا ؟ قلت : الحارث بن قيس ، قالوا : امضِ راشداً ، فلما مضينا قال رجل منهم : هذا والله ابن مرْجانة خلفه ، فرماه بسهم ، فوضعه فى كَوْرِ عمامته ، فقال : يا أبا محمد ، مَن هؤلاء ؟ قال : الذين كنت تزعم أنهم من قريش ، هؤلاء بنو ناجية ؛ قال : نَجوْنا إن شاء الله ، ثمّ قال : يا حارث ، إنك قد أحسنت وأجملت ، فهل أنت صانع ما أشير عليك ؟ قد علمتَ منزلةَ مسعود بن عمرو فى قومه وشَرَفَه وسنّه وطاعةَ قومه له ، فهل لك أن تذهب بى إليه فأكونَ فى داره ، فهى وسط الأزد ، فإنك إن لم تفعل صدع[1] عليك أمر قومك ؛ قلت : نعم ؛ فانطلقتُ به ، فما شعر مسعودٌ بشىء حتى دخلنا عليه وهو جالسٌ ليلتئذٍ يوقِد بقضيب على لبنةٍ ، وهو يعالج خُفَّيه قد خلع أحدَهما وبقى الآخر ، فلما نظر فى وجوهنا عرفَنا وقال : إنه كان يُتَعَوَّذُ من طوارق السوء ، فقلتُ له : أفتُخْرِجه بعد ما دخل عليك بيتَك ! قال : فأمره فدخل بيت عبد الغافر بن مسعود — وامرأة عبد الغافر يومئذ خَيْرةُ بنت خُفاف بن عمرو — قال : ثمّ ركبَ مسعود من ليلته ومعه الحارث وجماعة من قومه ، فطافوا فى الأزد ومجالسهم ، فقالوا : إنّ ابن زياد قد فُقِدَ ، وإنا لا نأمن أن تلطّخوا[2] به ، فأصبحوا فى السلاح ، وفقد الناس ابن زياد فقالوا : أين توجّه ؟ فقالوا : ما هو إلا فى الأزد . ٤٤٣/٢

قال وهب : فحدّثنا أبو بكر بن الفضل ، عن قبيصة بن مروان أنهم جعلوا يقولون : أين ترونه توجّه ؟ فقالت عجوز من بنى عقيل : أين ترونه توجّه ! اندَحَسَ والله فى أجَمَةِ أبيه .

وكانت وفاةُ يزيدَ حين جاءت ابن زياد وفى بيوت مال البصرة ستة عشر ألف ألف ، ففرّق ابن زياد طائفةً منها فى بنى أبيه ، وحمل الباقى معه ، وقد كان دعا البخاريّة إلى القتال معه ، ودعا بنى زياد إلى ذلك فأبَوا عليه .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى زهير بن حرب ، قال : حدّثنا الأسوَد بن شيبان ، عن عبد الله بن جَرير المازنىّ ، قال : بعث إلىّ شقيق بن ثور فقال لى : إنه قد بلغنى أنّ ابن منجوف هذا وابن مسمع يُدلجان بالليل إلى دار

---

(١) ابن الأثير : « فرق » . (٢) ابن الأثير : « تلحظوا » .

مسعود ليردّا ابن زياد إلى الدار ليصلوا بين هذَيْن الغاريَن ، فيهريقوا دماءكم ، ويُعزّوا أنفسهم ، ولقد هممتُ أن أبعثَ إلى ابن سنجوف فأشدّه وثاقًا ، وأخرجَه عني ؛ فاذهب إلى مسعود فاقرأ عليه السلام منّى ، وقل له : إنّ ابن منجوف وابن مسمع يفعلان كذا وكذا ، فأخرجْ هذين الرجلين عنك . قال : وكان معه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد . قال : فدخلتُ على مسعود وابنا زياد عنده : أحدُهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فقلت : السلام عليك أبا قَيْس ، قال : وعليك السلام ؛ قلتُ : بعثني إليك شقيق بن ثور يقرأ عليك السلام ويقول لك : إنه بلغني ، فردّ الكلام بعينه إلى « فأخرجهما عنك» ؛ قال مسعود: والله فعلت[1] ذاك ؛ فقال عبيدالله: كيف أبا ثور — ونَسِي كُنْيَتَه ، إنما كان يُكنَى أبا الفضل — فقال أخوه عبد الله : إنا والله لا نخرج عنكم ، قد أجرْتمونا ، وعقدتم لنا ذِمّتكم ، فلا نخرج حتى نُقتَلَ بين أظهُرِكم ، فيكون عارًا عليكم إلى يوم القيامة .

قال وهب : حدّثنا الزبير بن الخِرّيت ، عن أبي لبيد ، أنّ أهل البصرة اجتمعوا فقلدوا أمرَهم النعمان بن صُهْبان الراسبيّ ورجلاً من مضرَ ليختارا لهم رجلاً فيُولّوه عليهم ، وقالوا : مَن رضيتما لنا فقد رَضيناه . وقال غير أبي لبيد: الرجل المضريّ قيسُ بن الهَيثم السُّلَميّ . قال أبو لبيد : ورأىُ المضريّ في بني أمية ، ورأىُ النعمان في بني هاشم ، فقال النعمان : ما أرى أحدًا أحقّ بهذا الأمر من فلان — لرجل من بني أميّة — قال : وذلك رأيُك ؟ قال : نعم ؛ قال : قد قلّدتُك أمرى ، ورضيتُ مَن رضيتَ . ثمّ خرجا إلى الناس ، فقال المضريّ : قد رضيتُ مَن رضِيَ النعمان ، فمن سمّى لكم فأنا به راضٍ ؛ فقالوا للنعمان : ما تقول ! فقال : ما أرى أحدًا غيرَ عبدالله ابن الحارث — وهو ببّة — فقال المضريّ : ما هذا الذى سمّيتَ لى ؟ قال : بلى ، لَعمرى إنه لهوَ ، فرضِيَ الناس بعبد الله وبايعوه .

قال أصحابنا : دعت مُضرُ إلى العبّاس بن الأسود بن عوف الزهريّ ، ابن أخي عبدالرحمن بن عوف ، ودعَت اليَمن إلى عبدالله بن الحارث بن نوفل ، فتراضى الناسُ أن حكّموا قيسَ بن الهيثم والنعمان بن صُهْبان الراسبيّ لينظرا في أمر الرجلين ، فاتفق

٤٤٤/٢

---

(١) كذا في ب ، وفي ط : « قلت » .

وأيُهما على أن يولِّيا المضرىّ الهاشمىّ إلى أن يجتمع أمرُ الناس على إمام ؛ فقيل فى ذلك : ٢/٤٤٥

نزَعْنَا وَوَلَّيْنا وبَكْرُ بنُ وائلٍ تَجُرُّ خُصاهَا تَبتغِى من تحالِفُ

فلما أمّروا ببّةعلى البصرة ولّى شرطتَه هِمْيان بن عدىّ السَّدُوسىّ .

قال أبو جعفر : وأمّا أبو عُبيدة فإنّه - فيما حدّثنى محمد بن علىّ ، عن أبى سعدان ، عنه - قصّ من خبر مسعود وعبيد الله بن زياد وأخيه غيرَ القصّة التى قصّها وهب بن جرير ، عمّن روى عنهم خبرَهم ، قال : حدّثنى مسلمة ابن محارب بن سلم بن زياد وغيره من آل زياد ، عمّن أدرك ذلك منهم ومِنْ مواليهم والقوم أعلم بحديثهم ، أنّ الحارث بن قيس لم يكلّم مسعودًا ، ولكنه آمن عبيدَ الله ، فحمل معه مائةَ ألف درهم ، ثمّ أتى بها إلى أمّ بسطام امرأةِ مسعود ، وهى بنت عمّه ، ومعه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد ، فاستأذن عليها ، فأذنتْ له ، فقال لها الحارث : قد أتيتُكِ بأمر تَسُودِين به نساءَكِ[1] وتتمّين به شرفَ قومك ، وتَعجّلين[2] غنًى ودنيا لكِ خاصّة ، هذه مائة ألف درهم فاقبضيها ، فهى لك ، وضُمّى عبيد الله . قالت ، إنى أخاف ألّا يرضى مسعود بذلك ولا يقبله ؛ فقال الحارث : ألبسيه ثوبًا من أثوابك ، وأدخليه بيتك ، وخلّى بيننا وبين مسعود ؛ فقبضت المال ، وفعلت ، فلمّا جاءَ مسعود أخبرتْه ، فأخذ برأسها ، فخرج عبيد الله والحارث من حَجَلتها عليه ، فقال عبيد الله : قد أجارتْنى ابنة عمّك عليك ، وهذا ثوبك علىّ ، وطعامُك فى بطنى ، وقد التفّ علىّ بيتُك ؛ وشهدله على ذلك الحارث ، وتلطّفا له حتى رضى . ٢/٤٤٦

قال أبو عبيدة : وأعطى عبيد الله الحارث نحوًا من خمسين ألفًا ، فلم يزل عبيد الله فى بيت مسعود حتى قُتِل مسعود ؛ قال أبو عبيدة : فحدّثنى يزيد بن سُمَير الجَرْمىّ ، عن سَوّار بن عبد الله بن سعيد الجرمىّ ؛ قال : فلما هرب عبيد الله غبَر أهلُ البَصْرة بغير أمير ، فاختلفوا فيمن يؤمّرون عليهم ، ثم تراضَوْا برجلين يختاران لهم خيرَة ، فيرضون بها إذا اجتمعا عليها ، فتراضوا بقيس بن الهيثم السُّلَمىّ ، وبنعمان بن سُفْيان الراسبى - راسب بن جَرْم

---

(١) ابن الأثير : « نساء العرب » . (٢) ابن الأثير : « وتتعجلين » .

ابن رَبَّان بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة — أن يختارا مَن يرضيان لهم ، فذكَرا عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب — وأمه هند بنت أبي سُفْيان بن حرب بن أميّة — وكان يلقب ببَبّة ، وهو جدّ سليمان ابن عبد الله بن الحارث ، وذكرا عبد الله بن الأسود الزّهريّ . فلما أطبقا عليهما اتّعدا المِرْبَد ، وواعدا الناسَ أن تجتمع آراؤهم على أحد هذَيْن .

قال : فحضر الناسُ ، وحضرتُ معهم قارعةَ المربد ؛ أي أعلاه ، فجاء قيس ابن الهيثم ، ثمّ جاء النعمان بعد ، فتجاوَلَ قيس والنعمان ، فأرى النعمان قيسًا أنّ هواه في ابن الأسود ، ثمّ قال : إنّا لا نستطيع أن نتكلم معًا ، وأراده أن يجعل الكلام إليه ، ففعل قيس وقد اعتقد أحدهما على الآخر ، فأخذ النعمان على الناس عهداً لَيَرضَوُنّ بما يختار . قال : ثمّ أتى النعمانُ عبدَ الله ابن الأسود فأخذ بيده ، وجعل يشترط عليه شرائطَ حتى ظنّ الناس أنه مبايعه ، ثمّ تركه ، وأخذ بيد عبد الله بن الحارث ، فاشترط عليه مثلَ ذلك ، ثمّ حمد الله تعالى وأثنى عليه ، وذكر النبيّ صلى الله عليه وسلم وحقّ أهل بيته وقرابته ، ثم قال : يأيّها الناس ، ما تَنقمون من رجل من بني عمّ نبيّكم صلى الله عليه وسلم ، وأمّه هند بنت أبي سُفْيان! فإن كان فيهم[1] فهو ابن أختكم ؛ ثم صفق على يده وقال : ألا إني قد رضيتُ لكم به ، فنادَوْا : قد رَضينا ؛ فأقبلوا بعبد الله بن الحارث إلى دار الإمارة حتى نزلها ، وذلك في أوّل جُمادى الآخرة سنة أربع وستين ، واستعمل على شُرطته هميان بن عديّ السدوسيّ ، ونادى في الناس : أن احضروا البيعة ، فحضروا فبايعوه ، فقال الفرزدق حين بايعه :

٢/٤٤٧

وبايعتُ أقواماً وفَيت بعهدِهم ... وبَبّةُ قد بايعتُهُ غَيرَ نادِمِ

قال أبو عبيدة : فحدّثني زهير بن هُنَيد[2] ، عن عمرو بن عيسى ، قال : كان منزل مالك بن مسْمَع الجَحْدَريّ في الباطنة عند باب عبد الله الإصبهانيّ في خُطّ بني جَحدر ، الذي عند مسجد الجامع ، فكان مالك يحضر المسجد ، فبينا هو قاعد فيه — وذلك بعد يسير من أمر بَبّة — وافى الحلْقةَ

(١) ابن الأثير : « قد كان الأمر فيهم »

(٢) ط : « هنيدة » ، وانظر الفهرس .

رجلٌ من ولد عبد الله عامر بن كُرَيْز القرشيّ يريد ببّة ، ومعه رسالة من عبدالله ابن خازم ، وبيعته بهَراة ، فتنازعوا ، فأغلظ القرشيُّ لمالك ، فلطم رجلٌ من بكر بن وائل القرشيَّ ، فتهايج مَنْ ثَمَّ مِنْ مضر وربيعة ، وكثرتهم ربيعة الذين فى الحلقة ، فنادى رجل : يالَ تميم ! فسمعت الدّعوةَ عصبةٌ من ضبّة ابن أدّ — كانوا عند القاضى — فأخذوا رماح حرَس من المسجد وتِرَستَهم ، ثم شدّوا على الرّبَعيّين فهزموهم ، وبلغ ذلك شقيق بن ثور السدوسيّ — وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل — فأقبل إلى المسجد فقال : لا تجدُنّ مضريًّا إلا قتلتموه ، فبلغ ذلك مالك بن مسمع ، فأقبل متفضّلا يُسكّن الناس ، فكفّ بعضُهم عن بعض ، فمكث الناس شهراً أو أقلّ ، وكان رجل من بنى يشكر يجالس رجلا من بنى ضبّة فى المسجد ، فتذاكرَا لطمة البكْرىّ القرشيَّ ، ففخر اليشكرىّ . قال : ثمّ قال : ذهبت ظَلْفًا[1]. فأحفظ الضّبّىّ بذلك ، فوجأ عنقَه ، فوقَذه الناس فى الجمعة ، فحُمِل إلى أهله ميتًا — أعنى اليشكرىّ — فثارت بكر إلى رأسهم أشيمَ بن شقيق ، فقالوا : سِرْ بنا ؛ فقال : بل أبعث إليهم رسولا ، فإن سيّبوا[2] لنا حقّنا وإلا سرنا إليهم ، فأبتْ ذلك بكر ، فأتَوْا مالك بن مسمع — وقد كان قبل ذلك مملّكا عليهم قبل أشيم ، فغلب أشيمَ على الرّياسة حين شخص أشيم إلى يزيدَ بن معاوية ؛ فكتب له إلى عبيد الله بن زياد أن ردّوا الرّياسة إلى أشيم ، فأبت اللّهازم ، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحلفاؤهم عَنَزة وشَيْع اللات وحلفاؤها عِجْل حتى توافَوْاهم وآل ذُهل بن شيبان وحلفاؤها يَشْكُر ، وذهل بن ثعلبة وحلفاؤها ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار ؛ أربع قبائل وأربع قبائل ، وكان هذا الحلف فى أهل الوَبَر فى الجاهلية ، فكانت حنيفة بقيتْ من قبائل بكر لم تكن دخلتْ فى الجاهلية فى هذا الحلف ، لأنهم أهلُ مَدَر ، فدخلوا فى الإسلام مع أخيهم عجل ، فصاروا لِهْزِمةً ، ثمّ تراضَوْا بحكم عمران بن عِصام العَنَزىّ أحد بنى هُمَيْم ، وردّها إلى أشيَم ، فلما كانت هذه الفتنة استخفّت بكر مالك بن مسمع ، فخفّ وجمع وأعدّ ،

٢/٤٤٨

٢/٤٤٩

(١) ذهبت ظلفاً ، أى من غير فائدة ، وفى ط : « طلقاً » ، تحريف .

(٢) سيبوا ، أى تركوا .

فطلب إلى الأزد أن يجدّدوا الحِلْف الذى كان بينهم قبل ذلك فى الجماعة على يزيد بن معاوية ، فقال حارثة بن بدر فى ذلك :

نزعْنا وأمّرْنا وبكرُ بن وائل   تجر خُصاها تبتغى من تحالِفُ
وما باتَ بَكرىٌّ من الدهرِ ليلةً   فيُصْبِحَ إلاّ وهو لِلذُّلّ عارِفُ

قال : فبلغ عبيد الله الخبر — وهو فى رحْل مسعود — من تباعد ما بين بكر وتميم ، فقال لمسعود : الْقَ مالكا فجدّدِ الحلف الأوّل ؛ فلقيَه ، فترادّا ذلك ، وتأبّى عليهما نفر من هؤلاء وأولئك ، فبعث عبيد الله أخاه عبد الله مع مسعود ، فأعطاه جزيلا من المال ، حتى أنفق فى ذلك أكثر من مائتى ألف درهم على أن يبايعوهما ، وقال عبيد الله لأخيه : استوثق من القوم لأهل اليمن ، فجددوا الحِلْف ، وكتبوا بينهم كتابًا سوى الكتابين اللذَين كانا كُتبا بينهما فى الجماعة ، فوضعوا كتابًا عند مسعود بن عمرو .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى بعض ولد مسعود ، أنّ أوّل تسمية مَن فيه ، الصّلت بن حُرَيْث بن جابر الحنفىّ ، ووضعوا كتابًا عند الصّلت بن حريث أوّل تسميته ابن رجاء العَوْذىّ ، من عَوْذ بن سُود ، وقد كان بينهم قبل هذا حِلفٌ .

٢/٤٥٠ قال أبو عبيدة : وزعم محمد بن حفص ويونس بن حبيب وهبيرة بن حُدَير وزهير بن هنيد ، أنّ مضرَ كانت تَكثُر ربيعةَ بالبصرة ، وكانت جماعة الأزد آخرَ مَن نزل بالبَصرة ، كانوا حيث مُصِّرت البصرة ، فحوّل عمر بن الخطاب رحمه الله من تَنُوخَ [1] من المسلمين إلى البَصرة ، وأقامت جماعة الأزد لم يتحوّلوا ، ثم لحقوا بالبَصرة بعد ذلك فى آخر خلافة معاوية ، وأوّل خلافة يزيدَ بن معاوية ، فلمّا قدموا قالت بنو تميم للأحنف : بادِرْ إلى هؤلاء قبل أن تسبقَنا إليهم ربيعة ، وقال الأحنف : إنْ أتَوكم فاقبلوهم ، وإلاّ لا تأتوهم فإنكم إن أتيتموهم صرتم لهم أتباعًا . فأتاهم مالكُ بنُ مِسمَع ورئيس الأزْد يومئذ مسعود بن عمرو المعنىّ ، فقال مالك : جدّدوا حِلفَنا وحِلف كندة فى الجاهليّة ، وحِلْف بنى ذُهْل بن ثعلبة فى طيّئ بن أدَد من ثُعَل ؛

(١) كذا فى ط ، ولعلها : « من تنخ » ، أى أقام .

فقال الأحنف : أما إذ أتوهم فلن يزالوا لهم أتباعًا أذنابًا .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى هبيرة بن حُدَير ، عن إسحاق بن سويد ، قال : فلما أن جرت بكر إلى نصر الأزد على مضرَ ، وجدّدوا الحلف الأوّل ، وأرادوا أن يسيروا ، قالت الأزد : لا نسير معكم إلا أن يكون الرئيس منّا ، فرأسوا مسعودًا عليهم .

قال أبو عبيدة : فحدثنى مسلمة بن محارب ، قال : قال مسعود لعبيدالله : سرْ معنا حتى نعيدك فى الدار ؛ فقال : ما أقدر على ذلك ، امض أنتَ ، وأمر برواحله فشدّوا عليها أدواتها وسوادها ، وتزمّل فى أهبة السفر ، وألقوا له كرسيًّا على باب مسعود ، فقعد عليه ؛ وسار مسعود ، وبعث عبيد الله غلمانًا له على الخيل مع مسعود ، وقال لهم : إنى لا أدرى ما يحدُث فأقول : إذا كان كذا ، فليأتنى بعضُكم بالخبر ، ولكن لا يحدثَنّ خير ولا شرّ إلاّ أتانى بعضكم به ، فجعل مسعود لا يأتى على سكّة ، ولا يتجاوز قبيلةً إلا أتى بعض أولئك الغلمان بخبر ذلك ، وقدم مسعود ربيعةَ ، وعليهم مالك بن مسمع ، فأخذوا جميعًا سكّة المربد ، فجاء مسعود حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر ، وعبد الله بن الحارث فى دار الإمارة ، فقيل له : إنّ مسعودًا وأهل اليمن وربيعة قد ساروا ، وسيُهيج بين الناس شرّ ، فلو أصلحتَ بينهم أو ركبت فى بنى تميم عليهم ! فقال : أبعدهم الله ! لا والله لا أفسدت نفسى فى إصلاحهم ، وجعل رجل من أصحاب مسعود يقول :

لَأُنْكِحَنَّ بَبَّهْ جارِيَةً فى قبَّهْ
* تَمْشُطُ رأسَ لَعْبَهْ *

٤٥١/٢

فهذا قول الأزْد وربيعة ، فأما مضرُ فيقولون : إنّ أمه هند بنت أبى سُفْيان كانت ترقّصه وتقول هذا ؛ فلما لم يحلْ أحد بين مسعود وبين صعود المنبر ، خرج مالك بن مسمع فى كتيبته حتى علا الجبّان من سكة المرْبد ، ثم جعل يمرّ بعِداد دورِ بنى تميم حتى دخل سكة بنى العدويّة من قِبل الجبّان ، فجعل يحرّق دورَهم للشّحناء التى فى صدورهم ، لقتل الضبىّ اليشكرىّ ، ولاستعراض ابن خازم ربيعة بهَراة ؛ قال : فبينا هو فى ذلك إذ أتَوْه فقالوا : قتلوا

٤٥٢/٢

مسعوداً ، وقالوا : سارت بنو تميم إلى مسعود ، فأقبل حتى إذا كان عند مسجد بنى قيس فى سكّة المربد ، وبلغه قتلُ مسعود ، وقف .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى زهير بن هُنيد ، قال : حدّثنا الضحاك — أو الوضّاح بن خيثمة أحد بنى عبد الله بن دارم — قال : حدّثنى مالك بن دينار ، قال : ذهبت فى الشباب الذين ذهبوا إلى الأحنف ينظرون ؛ قال : فأتيته وأتتْه بنو تميم ، فقالوا : إنّ مسعوداً قد دخل الدار وأنت سيّدنا ، فقال : لستُ بسيّدكم ، إنما سيّدكم الشيطان .

وأما هبيرة بن حدير ، فحدّثنى عن إسحاق بن سويد العدوّى ، قال : أتيت منزل الأحنف فى النظّارة ، فأتوا الأحنف فقالوا : يا أبا بحر ، إنّ ربيعة والأزد قد دخلوا الرّحَبة ، فقال : لستم بأحقّ بالمسجد منهم ؛ ثم أتوه فقالوا : قد دخلوا الدار ؛ فقال : لستم بأحقّ بالدار منهم ؛ فتسرّع سلمة بن ذؤيب الرّياحىّ ، فقال : إلىّ يا معشر الفتيان ، فإنما هذا جِبْسٌ لا خير لكم عنده ، فبدرت ذؤبان بنى تميم فانتدب معه خمسمائة ، وهم مع ماه أفريذون[1] ، فقال لهم سلمة : أين تريدون ؟ قالوا : إيّاكم أردنا ؛ قال : فتقدّموا .

قال أبو عبيدة : فحدّثنى زهير بن هنيد ، عن أبى نعامة ، عن ناشب ابن الحسحاس وحميد بن هلال ، قالا : أتينا منزلَ الأحنف بحضرة المسجد ، ٤٥٣/٢ قالا : فكنّا فيمن ينظر ، فأتته امرأة بمِجْمَر فقالت : ما لكَ وللرياسة ! تجمّرْ فإنما أنت امرأة ؛ فقال : است المرأة أحقُّ بالمِجْمر ؛ فأتَوْه فقالوا : إنّ علَيّة بنت ناجية الرياحىّ — وهى أخت مَطَر ، وقال آخرون : عزّة بنت الحرّ الرياحية — قد سُلبتْ خلاخيلها من ساقَيْها ، وكان منزلُها شارعًا فى رحبة بنى تميم على الميضأة ، وقالوا : قتلوا الصّباغ الذى على طريقك ، وقتلوا المُقعَد الذى كان على باب المسجد ، وقالوا : إنّ مالك بن مسمع قد دخل سكّة بنى العدوّية من قِبل الجبّان ، فحرّق دورًا ، فقال الأحنف : أقيموا البيّنة على هذا ، ففى دون هذا ما يُحِلّ قتالَهم ؛ فشهدوا عندَه على ذلك ،

---

(١) النقائض : « فرودين » .

فقال الأحنف : أجاء عبّاد ؟ وهو عبّاد بن حصين بن يزيدَ بن عمرو بن أوس بن سيف بن عزم بن حلِزة بن بيّان بن سعد بن الحارث الحبطة بن عمرو ابن تميم ؛ قالوا : لا ، ثمّ مكث غيرَ طويل ، فقال : أجاء عبّاد ؟ قالوا : لا ؛ قال : فهل ها هنا عَبْس بن طلْق بن ربيعة بن عامر بن بسْطام بن الحكَم ابن ظالم بن صَريم بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد ؟ فقالوا : نعم ؛ فدعاه ، فانتزع مِعجَراً فى رأسه ، ثم جثَا على ركبتيه ، فعقده فى رُمح ثم دفعه إليه ، فقال : سر . قالا : فلما ولّى قال : اللهمّ لا تُخزِها اليوم ، فإنك لم تخزها فيما مضى . وصاح الناس: هاجت زبراء – و زبراء[1] أمَة للأحنف ، وإنما كنوا بها عنه – قالا : فلما سار عَبْس جاء عبّاد فى ستين فارسًا فسأل ، ما صنع الناس ؟ فقالوا : ساروا ؛ قال : ومَنْ عليهم ؟ قالوا : عبس بن طلق الصّريميّ ؛ فقال عبّاد : أنا[2] أسير تحت لواء عبس ! فرجع والفرسان إلى أهله . ٢/٤٥٤

فحدّثنى زهير ، قال : حدّثنا أبو ريحانة العُرَيْنىّ ، قال : كنتُ يومَ قتل مسعود تحت بطن فرس الزرد بن عبد الله السعدىّ أعْدُو حتى بلغْنا شريعة القديم .

قال إسحاق بن سويد : فأقبلوا ، فلما بلغوا أفواهَ السّكك وقفوا ، فقال لهم ماه أفريذون[3] بالفارسيّة : ما لكم يا معشر الفتْيان ؟ قالوا : تلقّونا بأسنّة الرّماح ؛ فقال لهم بالفارسية : صكّوهم بالفنجقان – أى بخمس نُشّابات فى رَمْيَة ، بالفارسيّة – والأساورة أربعمائة ، فصكّوهم بألفى نشّابة فى دفعة ، فأجلوا عن أبواب السكك ، وقاموا على باب المسجد ، ودلفَت التميميّة إليهم ، فلما بلغوا الأبواب وقفوا ، فسألهم ماه أفريذون : ما لكم ؟ قالوا : أسندوا إلينا أطرافَ رماحهم ؛ قال : ارموهم أيضًا ؛ فرمَوْهم بألفىْ نشّابة ، فأجلوهم عن الأبواب ، فدخلوا المسجدَ ، فأقبلوا ومسعود يخطب على المنبر ويحضّض ، فجعل غَطَفان بن أنيف بن يزيد بن فهدة ، أحد بنى كعب بن عمرو بن

---

(١) ط : « زيراء » تصحيف ، صوابه من القاموس .

(٢) ابن الأثير : « لا » .

(٣) فى النقائض : « فرودين » .

تميم ، وكان يزيد بن فهدة فارساً فى الجاهلية يقاتل ويحضُّ قومَه ويرتجز :

٢/٤٥٥

يال تميمٍ إنَّها مذكورهْ إنْ فات مسعودٌ بها مَشْهُورَهْ

* فاستمسِكوا بجانِبِ المقْصورَهْ *

أى لا يهرب فيفوت .

قال إسحاق بن يزيد . فأتَوْا مسعوداً وهو على المِنبَر يحضّ ، فاستنزلوه فقتلوه ، وذلك فى أوّل شوّال سنة أربع وستين ، فلم يكن القوم شيئًا ، فانهزموا. وبادر أشْيَمُ بن شَقيق القوم بباب المقصورة هاربًا ، فطعنه أحدُهم ، فنجا بها ، ففى ذلك يقول الفرزدق :

لو أنَّ أشْيمَ لم يَسْبِقْ أسِنَّتَنا وأخطأَ البابَ إذْ نِيرانُنا تَقِد[1]

إذًا لصاحَبَ مسْعودًا وصاحِبه وقد تهافَتَتِ الأَعفاجُ والكَبِدُ[2]

قال أبو عبيدة : فحدّثنى سلاّم بن أبى خَيْرة ، وسمعتُه أيضاً من أبى الخَنْساء كُسَيْب العنبرىّ يحدّث فى حَلْقة يونسَ ، قالا : سمعنا الحسنَ ابن أبى الحسن يقول فى مجلسه فى مسجد الأمير : فأقبل مسعود من ها هنا — وأشار بيده إلى منازل الأزْد فى أمثال الطير — مُعْلِماً بقباء دِيباج أصفر مغيَّر[3] بسواد ، يأمر الناسَ بالسنّة ، وينهى عن الفتنة : ألا إنّ من السّنة أن تأخذ فوق يديك ، وهم يقولون : القَمر القمرَ ، فوالله ما لبثوا إلاّ ساعةً حتى صار قمرهم قُميْرًا ، فأتوه فاستنزلوه عن المِنبر وهو عليه — قد علم الله — فقتلوه .

قال سلاّم فى حديثه : قال الحسن : وجاء الناس من ها هنا — وأشار بيده إلى دُور بنى تميم .

---

(١) ديوانه ١٩٣ ، والباب هنا هو باب الفتنة .

(٢) رواية الديوان :

* كِلاَهُمَا خَارِجُ الأَعفاجِ وَالْكَبِدِ *

على الإيطاء ، والأعفاج : الأمعاء .

(٣) فى النقائض : « معين » :

قال أبو عُبيدة : فحدثنى مَسْلَمة بن محارب ، قال : فأتَوا عُبيدَ الله فقالوا : قد صعد مسعود المنبر ، ولم يَرِم دون الدار بكُشّاب[1] ، فبيناه فى ذلك يتهيّأ ليجيء إلى الدار ، إذ جاءوا فقالوا : قد قتل مسعود ، فاغترز فى ركابه فلحق بالشأم ، وذلك فى شوّال سنة أربع وستين .

٢/٤٥٦

قال أبو عبيدة : فحدثنى روّاد الكعبىّ ، قال : فأتى مالكَ بنَ مسمع أناسٌ من مضرَ ، فحصروه فى داره ، وحرّقوا ، ففى ذلك يقول غَطَفان بن أنيف الكعبىّ فى أرجوزة :

وأَصْبَح ابنُ مِسْمَع مَحْصورَا ... يَبْغِى قُصورًا دونَهُ وَدُورَا

* حَتّى شبَبْنا حَوْلَهُ السَّعِيرَا *

ولما هرب عُبيد الله بن زياد اتّبعوه ، فأعجز الطلَبة ، فانتهبوا ما وجدوا له ، ففى ذلك يقول وافد بنُ خليفة بن أسماء ، أحد بنى صخر بن مِنقَر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد :

يا رُبَّ جَبَّار شَدِيد كَلَبُهْ ... قد صَارَ فينا تاجُهُ وسَلَبُهْ

مِنْهُم عُبَيْدُ الله حينَ نَسْلُبُهْ ... جيادَهُ وبزَّه ونَنْهَبُهْ

يوْم التَقَى مِقْنَبُنا ومِقْنَبُهْ ... لَوْ لَمْ يُنَج ابنَ زِيادٍ هَرَبُهْ

وقال جرهم[2] بن عبد الله بن قيس ، أحد بنى العدويّة فى قتل مسعود فى كلمة طويلة :

ومسْعودَ بن عَمْرو إذْ أتانا ... صبَحْنَا حَدَّ مَطْرُور سَنينَا[3]

رجا التّأْمِيرَ مسعودٌ فأَضحى ... صَريعـاً قد أَزَرْناهُ المَنونَا

قال أبو جعفر محمد بن جرير : وأمّا عُمر ؛ فإنه حدّثنى فى أمر خروج عبيد الله إلى الشأم ، قال : حدّثنى زهير ، قال : حدّثنا وهب بن جرير بن حازم ، قال : حدّثنا الزبير بن الخِرّيت ، قال : بعث مسعود مع ابن زياد

(١) قال فى اللسان : الكشاب : السهم عامة ، وما رماه بكشاب ، أى بسهم » ، وفى ط : « بكتاب » تحريف .

(٢) فى اللسان ٩ : ١٧٩ « عوهم » .

(٣) سنينًا ، بفتح السين أى مسنونًا ، فعيل بمعنى مفعول .

مائةٌ من الأزْد ، عليهم قرّة بن عمرو بن قيس ، حتى قدموا به الشأم .

وحدّثني عمر ، قال : حدّثنا أبو عاصم النبيل ، عن عمرو بن الزبير وخلاّد بن يزيد الباهليّ والوليد بن هشام ، عن عمّه ، عن أبيه ، عن عمرو بن هُبيرة[1] ، عن يَسَاف[2] بن شُرَيح اليشكريّ ، قال ؛ وحدّثنيه عليّ بن محمد ، قال — قد اختلفوا فزاد بعضُهم على بعض — إنّ ابن زياد خرج من البَصْرة ، فقال ذات ليلة : إنه قد ثَقُل عليّ ركوبُ الإبل ، فوطّئوا لى على ذى حافر ؛ قال : فألقيتْ له قطيفةٌ على حمار ، فركبه وإنّ رجليه لتكادان تخُدّان فى الأرض . قال اليشكريّ : فإنه لَيسير أمامى إذ سكتَ سكْتةً فأطالها ، فقلت فى نفسى : هذا عُبيد الله أميرُ العراق أمس نائمٌ الساعةَ على حمار ، لو قد سقط منه أعْنَتَه ؛ ثمّ قلت : والله لئن كان نائمًا لأنغّصنّ عليه نومَه ؛ فدنوتُ منه ، فقلت : أنائم أنت ؟ قال : لا ؛ قلت : فما أسكتك ؟ قال : كنتُ أحدّث نفسى ؛ قلتُ : أفلا أحدّثك ما[3] كنت تحدّث به نفسَك ؟ قال : هات ، فوالله ما أراك تكيس ولا تصيب ، قال : قلتُ : كنت تقول : ليتنى لم أقتل الحسين ، قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتنى لم أكن قتلتُ مَن قتلت ؛ قال : وماذا ؟ قلتُ : كنتَ تقول : ليتنى لم أكن بنَيتُ البَيضاء ؛ قال : وماذا؟ قلت : تقول : ليتنى لم أكن استعملت الدّهاقين ، قال : وماذا ؟ قلتُ : تقول : ليتنى كنت أسخى مما كنتُ ؛ قال : فقال : والله مانطقتَ بصواب ، ولا سكتّ عن خطإ ، أما الحسين فإنه سار إليّ يريد قتلى ، فاخترت قتلَه على أن يقتلنى ؛ وأما البيضاء فإنى اشتريْتها من عبد الله بن عثمان الثقَفيّ ، وأرسل[4] يزيد بألف ألف فأنفقتها عليها ، فإن بقيتُ فلأهلى ، وإن هلكتُ لم آسَ عليها مما لم أعنِّف فيه ؛ وأما استعمال الدّهاقين فإنّ عبد الرحمن بن أبى بكرة وزاذان فرّوخ وقَعَا فيَّ عند معاوية حتى ذكرا قشورَ الأرزّ ، فبلَغا بخراج العراق مائة ألف ألف ، فخيّرنى معاوية بين الضّمان والعزْل ؛ فكرهتُ العزل ،

٢/٤٥٧
٢/٤٥٨

(١) فى التصويبات : « لعله : « عمر بن هبيرة » . (٢) ابن الأثير : « مسافر » .
(٣) ابن الأثير : « بما » . (٤) ابن الأثير : « وأرسل إلى » .

فكنت إذا استعملت الرجل من العرب فكسر الخراج ، فتقدّمت إليه أو أغرمت صدور قومه، أو أغرمت عشيرته أضررت بهم ، وإن تركتُه تركتُ مالَ الله وأنا أعرف مكانَه ، فوجدتُ الدّهاقينَ أبصر بالجِباية ، وأوفَى بالأمانة ، وأهوَن فى المطالبة[1] منكم ، مع أنى قد جعلتكم أمناءَ عليهم[2] لئلا يظلِموا أحداً . وأما قولك فى السخاء ، فوالله ما كان لى مال فأجودَ به عليكم ، ولو شئتُ لأخذتُ بعضَ مالِكم فخصَصتُ به بعضَكم دون بعض ، فيقولون : ما أسخاه ! ولكنى عمَمتكم ، وكان عندى أنفع لكم . وأما قولك : ليتنى لم أكن قتلتُ من قتلتُ ؛ فما عملت بعد كلمة الإخلاص عملا هو أقربُ إلى الله عندى من قتلى[3] من قتلتُ من الخوارج ، ولكنى سأخبرك بما حدّثت به نفسى ؛ قلت : ليتنى كنتُ قاتلت أهلَ البَصرة، فإنهم بايعونى طائعين غيرَ مكرهين ، وايمُ الله لقد حرَصتُ على ذلك ؛ ولكن بنى زياد أتَوْنى فقالوا : إنك إذا قاتلتهم فظَهَروا عليك لم يبقوا منا أحداً، وإن تركتهم تغيّب[4] الرجل منّا عند أخواله وأصهاره ؛ فرفقت لهم فلم أقاتل . وكنتُ أقول : ليتنى كنت أخرجتُ أهلَ السجن فضربتُ أعناقَهم ، فأما إذ فاتت هاتان فليتنى كنت أقدم الشأم ولم يُبرِموا أمراً .

قال بعضهم : فقدم الشأم ولم يُبرموا أمراً ، فكأنما كانوا معه صبيانًا ؛ وقال بعضهم : قدم الشأم وقد أبرموا ، فنقض ما أبرموا إلى رأيه . ٢/٤٥٩

* * *

وفى هذه السنة طرد أهلُ الكوفة عَمرَو بن حُرَيث وعَزَلوه عنهم ، واجتمعوا على عامر بن مسعود .

ذكر الخبر عن عزلهم عمرو بن حُريث وتأميرهم عامراً

قال أبو جعفر : ذكر الهيثم بن عدىّ، قال : حدّثنا ابن عيّاش، قال :

(١) ابن الأثير : « بالمطالبة » .
(٢) ابن الأثير : « عليه » .
(٣) ابن الأثير : « من قتل من قتلت » .
(٤) ط : « يغيب » .

كان أوّل من جُمع له المِصران : الكوفة والبَصرة زياداً وابنه، فقتلا من الخوارج ثلاثة عشر ألفًا ، وحبس عبيد الله منهم أربعة آلاف ، فلما هلك يزيد قام خطيبًا ، فقال : إنّ الذى كنا نقاتل عن طاعته قد مات ، فإن أمّرتمونى جبَيْت فَيْئَكم ، وقاتلتُ عدوّكم . وبعث بذلك إلى أهل الكوفة مُقاتِل ابن مِسمَع وسعيد بن قرحا ، أحد بنى مازن ، وخليفته على الكوفة عَمرو بن حُرَيث ، فقاما بذلك ، فقام يزيد بن الحارث بن رُوَيم الشيبانىّ فقال : الحمد لله الذى أراحنا من ابن سُمَيّة ، لا ولا كرامة ! فأمر به عمرو فلبِّب ومُضِىَ به إلى السجن ، فحالت بكْر بينهم وبينه ، فانطلق يزيد إلى أهله خائفًا ، فأرسل إليه محمد بن الأشعث : إنّك على رأيك ، وتتابعت عليه الرُّسُل بذلك ، وصعد عَمرو المنبر فحَصبُوه ، فدخل دارَه ، واجتمع الناسُ فى المسجد فقالوا : نؤمِّر رجلا إلى أن يجتمعَ الناسُ على خليفة ، فأجمَعوا على عمر[1] بن سعد، فجاءت نساء هَمْدان يبكين حُسينًا ، ورجالُهم متقلدو السيوف ، فأطافوا بالمنبر ، فقال محمد بن الأشعث : جاء أمرٌ غيرَ ما كنا فيه، وكانت كِنْدة تقوم بأمرِ عُمر بن سَعْد لأنهم أخوالُه ، فاجتمعوا على عامر ابن مسعود ، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير ، فأقرّه .

٢/٤٦٠

وأما عَوَانة بن الحكَم؛ فإنه قال فيما ذكر هشام بن محمد عنه : لما بايع أهلُ البَصرة عُبيدَ الله بن زياد بعث وافدين من قِبله إلى الكوفة : عَمرو بن مِسمَع ، وسعد بن القرحا التميمىّ ، ليعلم أهل الكوفة ما صنع[2] أهل البصرة ، ويسألانهم البيعةَ لعُبيد الله بن زياد ، حتى يصطلح الناس، فجمع الناسَ عَمرو بن حريث ، فحَمِد الله وأثنَى عليه ثمّ قال : إنّ هذين الرجلين قد أتيَاكم من قِبَل أميركم يدعُوانكم إلى أمر يَجمَع الله به كلمتَكم، ويُصلِح به ذاتَ بينكم ، فاسمعوا منهما ، واقبلوا عنهما ، فإنهما برشْدٍ ما أتَيَاكم .

فقام عمرو بن مسمع ، فحمِد الله وأثنَى عليه، وذكَر أهل البصرة واجتماعَ رأيهم على تأمير عُبيد الله بن زياد حتى يرى الناسُ رأيهم فيمن يولّون عليهم ؛

(١) ط : « عمرو » ، تحريف . (٢) ف : « بما صنع » .

وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمرَكم فيكونَ أميرُنا وأميركم واحداً ، فإنما الكوفة من البَصْرة والبَصْرة من الكوفة ، وقام ابن القرحا فتكلم نحواً من كلام صاحبه . قال : فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشيبانىّ — وهو ابن رُوَيم — فحَصَبهما أوّل الناس ، ثمّ حصبهما الناسُ بعد ، ثم قال : أنحن نبايع لابن مَرْجانة ! لا ولا كرامة ؛ فشرّفت تلك الفَعلة يزيدَ فى المِصْر ورفعتْه ، ورجع الوفد إلى البصرة فأعلم الناس الخبر فقالوا : أهلُ الكوفة يخلعونه ، وأنتم تولّونه وتبايعونه! فوثب به الناس ، وقال : ما كان فى ابن زياد وصمةٌ إلا استجارتَه بالأزد .

قال : فلمّا نابذَه الناسُ استجار بمسعود بن عمرو الأزدىّ ، فأجاره ومنعه ، فمكث تسعين يومًا بعد موت يزيدَ ، ثمّ خرج إلى الشأم ، وبعث الأزد وبكر ابن وائل رجالا منهم معه حتى أوردوه الشأم ، فاستخلف حين توجّه إلى الشأم مسعود بن عمرو على البَصْرة ، فقالت بنو تميم وقيس : لا نرضَى ولا نجيز ولا نولّى إلاّ رجلاً ترضاه جماعتُنا ، فقال مسعود : فقد استخلفنى فلا أدَعُ ذلك أبدًا ؛ فخرج فى قومه حتى انتهى إلى القصر فدخله ، واجتمعتْ تميم إلى الأحنف بن قيس فقالوا له : إنّ الأزد قد دخلوا المسجد ؛ قال : ودخل المسجد فَمَهْ ! إنما هو لكم ولهم ، وأنتم تدخلونه ؛ قالوا : فإنه قد دخل القصر ، فصَعِد المنبرَ . وكانت خوارجُ قد خرجوا ، فنزلوا بنهر الأساورة حين خرج عُبيد الله بن زياد إلى الشأم ، فزعم الناس أنّ الأحنف بعث إليهم أنّ هذا الرجل الذى قد دخل القصر لنا ولكم عدوّ ، فما يَمنعكم من أن تبدءوا به ! فجاءت عصابةٌ منهم حتى دخلوا المسجد ، ومسعود بن عمرو على المنبر يبايع مَن أتاه ، فيرميه عِلْج يقال له : مُسلم من أهل فارسَ ، دخل البصرة فأسلم ثمّ دخل فى الخوارج ، فأصاب قلبَه فقتله وخرج ، وجال الناسُ بعضُهم فى بعض فقالوا : قُتِل مسعود بن عمرو ، قتلتْه الخوارج ، فخرجتْ الأزْد إلى تلك الخوارج فقتلوا منهم وجرّحوا ، وطردوهم عن البَصرة ، ودفنوا مسعوداً ، فجاءهم الناس فقالوا لهم : تعلمون أنّ بنى تميم يزعمون أنهم قتلوا مسعود بن عمرو ، فبعثت الأزدُ تسأل عن ذلك ؛ فإذا أناسٌ منهم يقولونه ، فاجتمعت الأزد عند ذلك فرأّسوا عليهم زيادَ بنَ عمرو العتكىّ ، ثم ازدلفوا إلى بنى تميم

٢/ ٤٦١

٢/٤٦٢ وخرجتْ مع بنى تميم قيس ، وخرج مع الأزد مالكُ بن مسمع وبكر بن وائل فأقبلوا نحو بنى تميم . وأقبلتْ تميم إلى الأحنف يقولون : قد جاء القوم، اخرجْ . وهو متمكّث ، إذ جاءته امرأةٌ من قومه بمِجمر فقالت : يا أحنف اجلس على هذا ، أى إنما أنت امرأة؛ فقال : استْك أحقّ بها ، فما سُمِع منه بعد كلمةٌ كانت أرفثَ منها ، وكان يُعرَف بالحلم . ثمّ إنه دعا برايته فقال : اللهمّ انصُرْها ولا تُذلِلها ، وإنّ نُصرتها ألا يُظهَر بها ولا يُظهَر عليها ؛ اللهمّ احقنْ دماءَنا ، وأصلح ذاتَ بيننا . ثم سار وسار ابن أخيه إياس بن معاوية بين يديه ، فالتقَى القوم فاقتتلوا أشدّ القتال ، فقُتِل من الفريقين قَتلَى كثيرة ، فقالت لهم بنو تميم : الله الله يا معشر الأزد فى دمائنا ودمائكم! بيننا وبينكم القرآن ومَنْ شئتم من أهل الإسلام ، فإن كانت لكم علينا بيّنةٌ أنّا قتلنا صاحبَكم ، فاختاروا أفضلَ رجل فينا فاقتلوه بصاحبكم ، وإن لم تكن لكم بيّنة فإنا نحلف بالله ما قتلنا ولا أمرنا ، ولا نعلم لصاحبكم قاتلاً ، وإن لم تريدوا ذلك فنحن نَدِى صاحبَكم بمائة ألف درهم. فاصطلحوا ، فأتاهم الأحنف بن قيس فى وجوه مضرَ إلى زياد بن عمرو العَتَكىّ ، فقال : يا معشر الأزد ، أنتم جيرتُنا فى الدار ، وإخوتُنا عند القتال ، وقد أتيناكم فى رحالكم لإطفاء حشيشتكم ، وسلّ سخيمتكم ، ولكم الحكمُ مرسلا ، فقولوا على أحلامنا وأموالنا ، فإنه لا يتعاظمُنا ذهاب شىء من أموالنا كان فيه صلاح بيننا ، فقالوا : أتدُون صاحبَنا عشرَ ديات ؟ قال : هى لكم ؛ فانصرف الناس واصطلحوا ؛ فقال الهيثم بن الأسود :

٢/٤٦٣
أَعْلَى بمسعودٍ النّاعِى فقلتُ له ... نِعْمَ اليمانى تجرّوا على الناعى
أَوْفَى ثمانين ما يسطِيعُهُ أَحدٌ ... فتًى دعاهُ لرأْس العدَّةِ الداعِى
آوَى ابن حرب وقد سُدّتْ مذاهبُه ... فأوسعَ السَّرْبَ منه أىَّ إيساعَ
حتَّى توارت به أَرضٌ وعامِرها ... وكانَ ذَا ناصرٍ فيها وأشياعِ

وقال عُبيد الله بن الحُرّ :

ما زِلتُ أَرجو الأَزْدَ حتّى رأيتُها تقصِّرُ عن بنْيانِها المتطاوِلِ
أَيُقتلُ مسعودٌ ولَم يثْأَرُوا به وصارَتْ سيوفُ الأَزْدِ مِثلَ المناجِلِ
وَمَا خيرُ عقلٍ أَوْرَثَ الأَزْدَ ذِلَّةً تسَبُّ به أَحياؤُهم فى المحافِلِ
على أَنَّهمْ شُمْطٌ كأَنَّ لِحاهُمُ ثَعالِبُ فى أَعناقِها كالجَلاجِلِ

واجتمع أهلُ البصرة على أن يجعلوا عليهم منهم أميراً يصلى بهم حتى يجتمع الناس على إمام ، فجعلوا عبد الملك بن عبد الله بن عامر شهراً ، ثم جعلوا ببّة — وهو عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب — فصلى بهم شهرين ، ثمّ قدم عليهم عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر من قِبَلِ ابن الزبير ، فمكث شهراً، ٢/٤٦٤ ثمّ قدم الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومىّ بعزله ، فوليها الحارث وهو القُباع .

قال أبو جعفر : وأما عمر بن شبّة، فإنه حدّثنى فى أمر عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز وأمر ببّة ومسعود وقتله ، وأمر عمر بن عبيد الله غيرَ ما قال هشام عن عوانة . والذى حدّثنى عمر بن شبّة فى ذلك أنه قال : حدّثنى علىّ بن محمد، عن أبى مُقرّن عبيد الله الدّهنىّ، قال : لما بايع الناسُ ببّة ولّى ببّة شُرطتَه همْيَان بن عدىّ ، وقدم على ببّة بعضُ أهل المدينة، وأمر هميان بن عدىّ بإنزاله قريباً منه ، فأتى هميان داراً للفيل مولى زياد التى فى بنى سُليم وهمّ بتفريغها لُينزلَها إيّاه ، وقد كان هرب وأقفل أبوابَه، فمنعت بنو سُليم هميان حتى قاتلوه ، واستصرخوا عبدَ الملك بن عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، فأرسل بُخاريّته ومواليه فى السلاح حتى طردوا هميان ومنعوه الدار ، وغدا عبد الملك من الغد إلى دار الإمارة ليسلّم على بَبّة ، فلقيَه على الباب رجلٌ من بنى قيس بن ثعلبة، فقال : أنت المعيّن علينا بالأمس! فرفع يدَه فلطمه، فضرب قوم من البخاريّة يدَ القيسىّ فأطارها ؛ ويقال : بل سلِم القيسىّ، وغضب ابن عامر فرجع ، وغضبتْ له مضر فاجتمعتْ وأتت بكر بن

وائل أشيمَ بن شقيق بن ثور فاستصرخوه، فأقبل ومعه مالك بن مسمع حتى صعد المنبر فقال : أيّ مضريّ وجدتموه فاسلبوه . وزعم بنو مسمع أنّ مالكًا جاء يومئذ متفضّلاً في غيرِ سلاح ليردّ أشيم عن رأيه . ثمّ انصرفت بكر وقد تحاجزوا هم والمضريّة ،واغتنمتِ الأزد ذلك ، فحالفوا بكرًا،وأقبلوا مع مسعود ٢/٤٦٥ إلى المسجد الجامع ، وفزعتْ تميم إلى الأحنف ، فعقد عمامتَه على قناة ، ودفَعها إلى سلمة بن ذُؤَيب الرّياحيّ ، فأقبل بين يديه الأساورة حتى دخل المسجد ومسعود يخطب ، فاستنزلوه فقتلوه ، وزعمَت الأزْد أن الأزارقة قتلوه ، فكانت الفتْنة ، وسفر بينهم عمر بن عبيد الله بن معمر وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام حتى رَضِيت الأزدُ من مسعود بعشر ديَات ، ولزم عبد الله بن الحارث بيته ، وكان يتديّن ، وقال : ما كنتُ لأصلح الناس بفساد نفسي .

قال عمر : قال أبو الحسن : فكتب أهلُ البصرة إلى ابن الزبير ، فكتب إلى أنس بن مالك يأمره بالصّلاة بالناس ، فصلّى بهم أربعين يومًا .

حدّثني عمر ، قال :حدّثنا عليّ بن محمد، قال : كتب ابن الزبير إلى عمر ابن عبيد الله بن مَعْمَر التيميّ بعهده على البَصرة ، ووجّه به إليه ، فوافقه وهو متوجّه يريد العُمْرة،فكتب إلى عُبيد الله يأمره أن يصلّيَ بالناس، فصلى بهم حتى قدم عمر .

حدّثني عمر ،قال: حدّثني زهير بن حرب ،قال: حدّثنا وهب بن جرير ، قال: حدّثني أبي، قال : سمعتُ محمد بن الزبير ، قال : كان الناس اصطلحوا على عبد الله بن الحارث الهاشميّ ، فولي أمرهم أربعة أشهر ، وخرج نافع بن الأزرق إلى الأهواز ، فقال الناس لعبد الله : إن الناس قد أكل بعضُهم بعضًا ؛ تؤخذ المرأة من الطريق فلا يَمنَعُها أحد حتى تُفضَح ؛ قال : فتريدون ماذا ؟ قالوا : تضَع سيفَك ، وتَشدّ على الناس ؛ قال : ما كنت لأصلحهم بفساد نفسي ، يا غلام ، ناولني نعلي ، فانتعل ثمّ لحق بأهله ، وأمّر الناسُ ٢/٤٦٦ عليهم عُمَر بن عبيد الله بن مَعمَر التيميّ؛ قال أبي،عن الصَّعْب بن زيد:

إنّ الجارف وقع وعبد الله على البصرة ، فماتت أمّه فى الجارف ، فما وجدوا لها من يَحملها حتّى استأجروا لها أربعة أعلاج فحملوها إلى حُفرتها ، وهو الأمير يومئذ .

حدّثنى عمر ، قال : حدّثنى علىّ بن محمد ، قال : كان ببّة قد تناول فى عمله على البَصرة أربعين ألفًا من بيت المال ، فاستودَعها رجلاً ، فلما قدم عمر بن عبيد الله أميرًا أخذ عبد الله بن الحارث فحبسه ، وعذّب مولًى له فى ذلك المال حتّى أغرمه إياه .

حدّثنى عمر قال : حدّثنى علىُّ بن محمّد ، عن القافلانىّ ، عن يزيد ابن عبد الله بن الشِّخّير ، قال : قلت لعبد الله بن الحارث بن نوفل: رأيتك زمان استعملِت علينا أصبتَ من المال ، واتّقيت الدم ، فقال : إنّ تَبِعة المال أهوَن من تَبِعة الدم .

* * *

[ذكر الخبر عن ولاية عامر بن مسعود على الكوفة]

وفى هذه السنة ولّى أهلُ الكوفة عامرَ بنَ مسعود أمرَهم ، فذكر هشام ابن محمد الكلبىّ ، عن عوانة بن الحكم ، أنهم لما ردّوا وافدَىْ أهل البصرة اجتمع أشرافُ أهل الكوفة ، فاصطلحوا على أن يصلّىَ بهم عامر بن مسعود — وهو عامر بن مسعود بن خلف القرشىّ ، وهو دُحروجَةُ الجُعَل الذى يقول فيه عبد الله بن هَمّام السَّلولىّ :

اشْدُدْ يديْكَ بزيْدٍ إن ظَفِرْتَ بهِ واشفِ الأَرامِلَ من دُحرُوجَةِ الجُعلِ

وكان قصيراً — حتى يرى الناس رأيهم ، فمكث ثلاثةَ أشهر من مَهلك يزيدَ بن معاوية ، ثم قدم عليهم عبدُالله بن يزيدَ الأنصارىّ ثم الخَطْمىّ على الصلاة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة[1] بن عبيد الله على الخراج ، فاجتمع ٢/٤٦٧

(١) ابن الأثير : « طليحة » .

لابن الزبير أهلُ الكوفة وأهل البصرة ومَن بالقبلة من العرب وأهل الشأم ، وأهل الجزيرة إلا أهلَ الأردُنّ .

* * *

[خلافة مروانَ بن الحكم]

وفى هذه السنة بُويع لمروانَ بن الحكم بالخلافة بالشأم .

* ذكر السبب فى البيعة له :

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمرَ ، قال : لما بويع عبدُ الله بنُ الزبير ولّى المدينةَ عُبيدةَ بن الزبير ، وعبد الرحمن بن جَحْدَم الفِهْرىّ مصرَ ، وأخرج بنى أميّة ومروان بن الحكم إلى الشأم — وعبد الملك يومئذ ابن ثمان وعشرين — فلما قدم حصين بن نمير ومَن معه إلى الشأم أخبر مَرْوانَ بما خلّف عليه ابن الزبير ، وأنه دعاه إلى البيعة ، فأبى فقال له ولبنى أمية : نراكم فى اختلاط شديد ، فأقيموا أمركم[1] قبل أن يدخل عليكم شأمكم ، فتكون فتنة عمياءَ صمّاء ؛ فكان من رأى مروانَ أن يرحل فينطلق إلى ابن الزبير فيبايعه ، فقدِم عبيد الله بن زياد واجتمعت عنده بنو أميّة ، وكان قد بلغ عبيد الله ما يريد مروان ، فقال له : استحييتُ لك مما تريد ! أنت كبيرُ قريش وسيّدها ، تصنع ما تصنعه ! فقال : ما فات شىءٌ بعدُ ؛ فقام معه بنو أميّة ومواليهم ، وتجمّع إليه أهلُ اليمن ، فسار وهو يقول : ما فات شىءٌ بعدُ ؛ فقدم دمشقَ ومن معه ، والضّحاك بن قيس الفهرىّ قد بايعه أهلُ دمشق على أن يصلّىَ بهم ؛ ويقيمَ لهم أمرهم حتى يجتمع أمرُ أمّة محمد . ٤٦٨/٢

وأما عوانة فإنه قال — فيما ذكر هشام عنه — إنّ يزيد بن معاوية لما مات وابنه معاوية من بعده ، وكان معاوية بن يزيدَ بن معاوية — فيما بلغنى — أمَرَ بعد ولايته فنودىَ بالشأم : الصلاة جامعة ! فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنى قد نظرت فى أمركم فضعفتُ عنه ، فابتغيت لكم رجلا مثلَ عمرَ بن

(١) ابن الأثير : « أميركم » .

الخطّاب رحمة الله عليه حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم ستّةً فى الشورى مثل ستّة عمر ، فلم أجدها ، فأنتم أولَى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتم . ثم دخل منزلَه ولم يَخرج إلى الناس ، وتغيّب حتى مات . فقال بعض الناس : دُسّ إليه فسُقِى سمًّا ، وقال بعضهم : طُعِن .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عوانة . ثمّ قدم عبيدالله بن زياد دمشق وعليها الضحاك ابن قيس الفهرىّ ، فثار زُفَر بن الحارث الكلابىّ بقِنَّسرين يبايع لعبد الله بن الزبير ، وبايع النعمان بن بشير الأنصارىّ بحمصَ لابن الزبير ، وكان حسان ابن مالك بن بَحْدَل الكلبىّ بفِلَسْطين عاملاً لمعاوية بن أبى سُفْيان ، ثمّ ليزيد ابن معاوية بعده ، وكان يَهوَى هَوَى بنى أميّة ، وكان سيِّدَ أهل فِلَسطين ، فدعا حسّان بن مالك بن بحدل الكلبىّ رَوْحَ بن زِنْباع الجُذامىّ ، فقال : إنى مستخلفُك على فلسطين ، وأدخل هذا الحىّ من لَخْم وجُذام ، ولست بدون رجل إذ كنت عينهم قاتلت بمن معك من قومك . وخرج حسّان بن مالك إلى الأردُنّ ٢/٤٦٩ واستخلف رَوْح بنَ زِنْباع على فلسطين ، فثار ناتل بن قيس بروح بن زنباع فأخرجه ، فاستولى على فِلَسطين ، وبايع لابن الزبير ، وقد كان عبد الله بن الزبير كتب إلى عامله بالمدينة أن ينفىَ بنى أميّةَ من المدينة ، فنُفُوا بعيالاتهم ونسائهم إلى الشأم ، فقدِمتْ بنو أميّة دمشقَ وفيها مروان بن الحكم ، فكان الناس فريقين : حسّان بن مالك بالأردنّ يَهوَى هَوَى بنى أمية ، ويدعو إليهم ؛ والضحّاك ابن قيس الفهرىّ بدمشقَ يَهوَى هَوَى عبد الله بنِ الزبير ، ويدعو إليه . قال : فقام حسان بن مالك بالأردنّ ، فقال : يا أهلَ الأردنّ ، ما شهادتُكم على ابن الزبير وعلى قَتْلَى أهلِ الحرّة ؟ قالوا : نشهد أنّ ابن الزبير منافق وأنّ قَتلَى أهلِ الحرّة فى النار ؛ قال : فما شهادتُكم على يزيد بن معاوية وقتلاكم بالحرّة ؟ قالوا : نشهد أنّ يزيد على الحقّ ، وأنّ قتلانا فى الجنة ؛ قال : وأنا أشهد لئن كان دينُ يزيدَ بن معاوية وهو حىّ حقًّا يومئذ إنه اليومَ وشيعتُه على حقّ ؛ وإن كان ابن الزبير يومئذ وشيعته على باطل إنه اليومَ على باطل وشيعته ؛ قالوا له : قد صدقتَ ، نحن نبايعك على أن نقاتل مَن

خالفك من الناس ، وأطاعَ ابنَ الزبير ، على أن تجنّبنا هذين الغلامين ، فإنا نكره ذلك — يعنُون ابنَي يزيد بن معاوية عبد الله وخالداً — فإنهما حديثةٌ أسنانهما ، ونحن نكره أن يأتينَا الناس بشيخ ونأتيهم بصبيّ . وقد كان الضحاك

٢/ ٤٧٠ ابن قيس بدمشقَ يَهوَى هوَى ابن الزبير ؛ وكان يمنعه من إظهار ذلك أنّ بنى أميّة كانوا بحضرته ، وكان يعمل فى ذلك سرّاً ، فبلغ ذلك حسان بن مالك ابن بحدل ، فكتب إلى الضحاك كتاباً يعظّم فيه حقّ بنى أمية ، ويذكر الطاعة والجماعة وحُسْنَ بلاءِ بنى أميّة عندَه وصنيعهم إليه ، ويدعوه إلى طاعتهم ، ويذكر ابن الزبير ويقع فيه ويشتمه ، ويذكر أنه منافق ، قد خلع خليفتَين ، وأمره أن يقرأ كتابه على الناس . ودعا رجلا من كَلْب يُدعى ناغضة فسرّح بالكتاب معه إلى الضحّاك بن قيس ، وكتب حسان بن مالك نسخةَ ذلك الكتاب ، ودفَعه إلى ناغضة ، وقال : إنْ قرأ الضحاك كتابى على الناس وإلاّ فقم فاقرأ هذا الكتاب على الناس ؛ وكتب حسّان إلى بنى أمية يأمرهم أن يحضروا ذلك ، فقَدِم ناغضةُ بالكتاب على الضحّاك فدفعه إليه ودفع كتابَ بنى أميّة إليهم ، فلما كان يومَ الجمعة صعِد الضحّاك المنبر فقام إليه ناغضة ، فقال : أصلح الله الأمير! ادعُ بكتاب حسّان فاقرأه على الناس ، فقال له الضحاك : اجلس ، فجلس ؛ ثمّ قام إليه الثانية فقال له : اجلس ؛ ثمّ قام إليه الثالثة فقال له : اجلس ؛ فلما رآه ناغضة لا يفعل أخرج الكتابَ الذى معه فقرأه على الناس ، فقام الوليد بن عُتبة بن أبى سُفْيانَ فصدّق حساناً وكذّب ابنَ الزبير وشتمه ، وقام يزيد بن أبى النِّمس[1] الغسّانىّ ، فصدّق مقالة حسّان وكتابَه ، وشتم ابن الزبير ، وقامَ سُفْيان بن الأبرد الكلبىّ فصدّق مقالة حسان وكتابه ، وشتم ابن الزبير .

٢/ ٤٧١ وقام عَمرو بن يزيد الحكمىّ فشتم حسّان وأثنَى على ابن الزبير ، واضطرب الناس تبعًا لهم ، ثمّ أمر الضحاك بالوليدَ بنَ عُتبة ويزيد بن أبى النّمس وسُفْيان

(١) ابن الأثير : «أبو الغمس» ، قال : «بالسين المهملة ، وقيل بالشين المعجمة ، وكان قد ارتد عن الإسلام ودخل الروم مع جبلة بن الأيهم ؛ ثم عاود الإسلام ، وشهد صفين مع معاوية وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان» .

ابن الأبرد الذين كانوا صدّقوا مقالةَ حسان وشتَموا ابن الزبير فحُبسوا ، وجال الناسُ بعضُهم فى بعض ، ووثبت كَلْب على عَمرو بن يزيد الحَكَمىّ فضربوه وحرّقوه بالنار ، وخرّقوا ثيابه .

وقام خالد بن يزيد بن معاوية فصعد مرْقاتين من المنبر [1] وهو يومئذ غلام ، والضحّاك بن قيس على المنبر ، فتكلّم خالد بن يزيد بكلام أوْجَز فيه لم يُسمع مثلُه ، وسكّن الناس ونزل الضحاك فصلّى بالناس الجمعة ، ثمّ دخل فجاءت كلب فأخرجوا سفيانَ بن الأبرد ، وجاءت غسّان فأخرجوا يزيد بن أبى النّمس ، فقال الوليد بن عتبة : لو كنتُ من كلب أو غسان أخرجت .

قال : فجاء ابنا يزيد بن معاوية : خالد وعبد الله ؛ معهما أخوالُهما من كلب فأخرجوه من السّجن ، فكان ذلك اليوم يسمّيه أهلُ الشأم يومَ جَيْرون الأوّل . وأقام الناس بدمشقَ ، وخرج الضحّاك إلى مسجد دمشقَ ، فجلس فيه فذكر يزيدَ بنَ معاوية ، فوقع فيه ، فقام إليه شابٌّ من كلب بعصًا معه فضربه بها ، والناس جلوس فى الحلق متقلّدى السُّيوف ، فقام بعضُهم إلى بعض فى المسجد ، فاقتتلوا ؛ قيس تدعو إلى ابن الزبير ونُصرْة الضحّاك ، وكلْب تدعو إلى بنى أمية ثم إلى خالد بن يزيد ، ويتعصّبون ليزيد ، ودخل الضحاك دارَ الإمارة ، وأصبح الناس فلم يخرج إلى صلاة الفجر ، وكان من الأجناد ناس يهوَوْن هَوَى بنى أمية ، وناس يهوَوْن هَوَى ابن الزبير ، فبعث الضحاك إلى بنى أميّة فدخلوا عليه من الغد ، فاعتذر إليهم ، وذكر حُسن َبلائهم [2] عند مواليه وعنده ، وأنه ليس يريد شيئًا يكرهونه .

٢ / ٤٧٢

قال : فتكتبون إلى حسّان ونكتب ، فيسير من الأردنّ حتى ينزل الجابية ، ونسير نحن وأنتم حتى نوافيَه بها ، فنبايع لرجل منكم ، فرضيَتْ بذلك بنو أميّة ، وكتبوا إلى حسّان ، وكتب إليه الضحّاك ، وخرج الناس وخرجت بنو أميّة واستقبلت الرايات ، وتوجّهوا يريدون الجابية ، فجاء ثور بن معن بن يزيد ابن الأخنس السُّلَمىّ إلى الضحاك ، فقال : دعوْتَنا إلى طاعة ابن الزبير فبايعْناك

---

(١) فى ابن الأثير : « فصعد مرقاتين من المنبر وسكّن الناس » .
(٢) ف : « بلائه » .

على ذلك ، وأنت تسير إلى هذا الأعرابيّ من كَلْب تستخلف ابنَ أخيه خالد ابن يزيد ! فقال له الضحّاك : فما الرأيُ ؟ قال : الرأى أن نُظهر ما كنا نسرّ وندعو إلى طاعة ابن الزبير ، ونقاتل عليها ، فمالَ الضحّاك بمن معه من الناس فعَطفهم ، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمَرْج راهطَ .

واختُلف فى الوقعة التى كانت بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان ابن الحكَم ، فقال محمد بن عمرَ الواقدىّ : بُويع مروانُ بنُ الحكم فى المحرّم سنة خمس وستين ، وكان مروانُ بالشأم لا يُحدّث نفسه بهذا الأمر حتى أطْمَعَه فيه عُبيد الله بن زياد حين قَدِم عليه من العراق ، فقال له : أنت كبيرُ قريش ورئيسها ، يلىعليك الضحاك بن قيس! فذلك حين كان ما كان ، فخرج إلى الضحاك فى جيش ، فقتَلهم مروان والضحاك يومئذ فى طاعة ابن الزبير ، وقُتلت قيس بمرج راهط مقتلةً لَمْ يُقتل مِثلُها فى موطن قطّ . ٢/٤٧٣

قال محمد بن عمر : حدّثنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عُروة ، قال : قُتِل الضحاك يومَ مَرْج راهط على أنه يدعو إلى عبد الله بن الزبير ، وكُتِبَ به إلى عبد الله لما ذُكِر عنه من طاعته وحسن رأيه[1] .

وقال غيرُ واحد : كانت الوقعة بمرج راهط بين الضحاك ومروان فى سنة أربع وستّين .

وقد حُدِّثت عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدّثنى موسى ابن يعقوب ، عن أبى[2] الحُوَيْرث ، قال : قال أهل الأردنّ وغيرهم لمروان : أنت شيخٌ كبير ، وابن يزيد غلام وابن الزبير كَهْل ، وإنما يُقرع الحديدُ بعضُه ببعض ، فلا تباره بهذا الغلام ، وارمِ بنحرك فى نحره ، ونحن نبايعك ، ابسُط يدَك ، فبسَطها ، فبايعوه بالجابِيَة يومَ الأربعاء لثلاث خلون من ذى القعدة سنة أربع وستين .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى مصعب بن ثابت ، عن عامر بن عبد الله أن الضّحاك لما بلغه أنّ مروان قد بايعه من بايعه على الخلافة ، بايع من معه

---

(١) ط : « لنا وذكر من طاعته لنا » . (٢) ط : « بنى » ، وانظر الفهرس .

لابن الزبير ، ثمّ سار كلّ واحد منهما إلى صاحبه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل الضحاك وأصحابه .

قال محمد بن عمر : وحدّثني ابن أبي الزّناد ، عن أبيه ؛ قال : لما ولي المدينة عبد الرحمن بن الضحاك كان فتًى شابًّا ، فقال : إنّ الضحاك ابن قيس قد كان دعا قيساً وغيرَها إلى البيعة لنفسه ، فبايعهم يومئذ على الخلافة ، فقال له زُفَر بن عقيل الفِهريّ : هذا الذى كنا نعرف ونسمع ، وإنّ بنى الزبير يقولون : إنما كان بايع لعبد الله بن الزبير ، وخرج فى طاعته حتى ٢/ ٤٧٤ قتل ، الباطلَ والله يقولون ؛ كان أوّل ذاك أنّ قريشاً دعتْه إليها ، فأبى عليها حتى دخل فيها كارهاً .

* * *

ذكر الخبر عن الوقعة بمرج راهط بين الضحّاك بن قيس ومروان بن الحكم وتمام الخبر عن الكائن من جليل الأخبار والأحداث فى سنة أربع وستين

قال أبو جعفر : حدّثنا نوح بن حبيب ، قال : حدّثنا هشام بن محمد ، عن عوانة بن الحَكَم الكلبيّ ، قال : مال الضحاك بن قيس بمن معه من الناس حين سار يريد الجابية للقاء حسّان بن مالك ، فعطَفهم ، ثمّ أقبل يسير حتى نزل بمرْج راهط ، وأظهر البيعة لابن الزبير وخلع بنى أميّة ، وبايعه على ذلك جُلّ أهل دمشق من أهل اليمن وغيرهم .

قال : وسارت بنو أميّة ومَن تبعهم حتى وافَوا حسّانَ بالجابية ، فصلّى بهم حسّان أربعين يوماً ، والناس يتشاورون ، وكتب الضحاك إلى النعمان بن بشير وهو على حِمْص ، وإلى زُفر بن الحارث وهو على قِنّسرين ، وإلى ناتل ابن قيس وهو على فِلسطين يستمدّهم ، وكانوا على طاعة ابن الزبير ، فأمدّه النعمان بشُرَحْبيل بن ذى الكَلاع ، وأمدّه زُفَر بأهل قِنَّسْرين ، وأمدّه ناتل بأهل فِلَسطين ، فاجتمعت الأجناد إلى الضحاك بالمرْج .

وكان الناس بالجابية لهم أهواء مختلفة ، فأمّا مالك بن هبيرة السَّكُونىّ فكان يَهوَى هوَى بنى يزيد بن معاوية ، ويحبّ أن تكون الخلافة فيهم ، وأما الحصين بن نمير السَّكونىّ فكان يَهوَى أن تكون الخلافة لمروانَ بن الحكم ،

فقال مالك بن هبيرة لحصين بن نمير : هلمّ فلنبايع[1] لهذا الغلام الذى نحن ولَدْنا أباه ، وهو ابن أختنا ، فقد عرفت منزلتنا كانت من أبيه ، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً – يعنى خالدَ بن يزيد – فقال الحصين : لا ، لَعَمر الله، لا تأتينا العرب بشيخ ونأتيهم بصبىّ؛ فقال مالك : هذا ولم تَرِدى[2] تهامة ولما يَبلُغ الحزامُ الطُّبيَيْن ؛ فقالوا : مهلاً يا أبا سليمان ! فقال له مالك : والله لئن استخلفت مروانَ وآل مروان ليحسدُنّك على سوطك وشِراك نعلك وظلّ شجرة تستظلّ بها؛ إنّ مروان أبو عشيرة ، وأخو عَشيرة ، وعمّ عشيرة ، فإن بايعتموه كنتم عبيداً لهم ، ولكن عليكم بابن أختكم خالد ، فقال حصين : إنّى رأيت فى المنام قِنْديلا معلَّقاً من السماء ، وإنّ من يَمدّ عنقَه إلى الخلافة تناوَلَه فلم ينلْه ، وتناوله مروان فَنالَه ، والله لنستخلفنّه؛ فقال له مالك : وَيْحك يا حصين ! أتبايع لمروان وآل مروان وأنت تعلَم أنهم أهل بيت من قيس ! فلما اجتمع رأيُهم للبيعة لمروان بن الحكم قام رَوْح بن زنباع الجذامىّ، فحَمِدَ اللهَ وأثنَى عليه ثم قال : أيُّها الناس، إنكم تذكرون عبدَالله بنَ عمر ابن الخطاب وصُحبتَه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقدمَه فى الإسلام ، وهو كما تذكرون ؛ ولكن ابن عمر رجلٌ ضعيفٌ ، وليس بصاحب أمة محمد الضعيفُ ، وأمّا ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير ويدْعون إليه من أمره فهو والله كما يذكرون بأنه لابن الزبير حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أسماء ابنة أبى بكر الصدّيق ذات النِّطاقَين ، وهو بعدُ كما تذكرون فى قَدَمه وفَضْله ؛ ولكنّ ابن الزبير منافق ، قد خلع خليفتين : يزيد وابنه معاوية ابن يزيد ، وسَفَك الدماء ، وشقّ عصا المسلمين ، وليس صاحبَ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم المنافقُ ؛ وأمّا مروان بن الحكم ؛ فوالله ما كان فى الإسلام صَدْعٌ قطُّ إلا كان مروان ممّن يَشعَب ذلك الصّدع ، وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفّان يومَ الدار ، والذى قاتل علىّ بن أبى طالب يومَ الجَمَل، وإنا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشبُّوا[3] الصغير –

٤٧٦/٢

(١) ف وابن الأثير : « نبايع هذا الغلام » .
(٢) ف : « ترد » .
(٣) ابن الأثير : « ويستشيرا » .

يعنى بالكبير مروانَ بنَ الحكم ، وبالصغير خالدَ بنَ يزيد بن معاوية . قال : فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان ، ثمّ لخالد بن يزيد من بعده ، ثم لعمرو ابن سعيد بن العاص من بعد خالد ، على أنّ إمارة دمشقَ لعمرو بن سعيد ابن العاص ، وإمارة حمصَ لخالد بن يزيدَ بن معاوية . قال : فدعا حسان ابن مالك بن بحدل خالد بن يزيد فقال : أبُنَىَّ أختى ، إنّ الناس قد أبَوْك لحداثة سنّك ، وإنى والله ما أريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أبايع مروان إلا نظراً لكم ؛ فقال له خالد بن يزيد : بل عُجِّزْت عنا ، قال : لا والله ما عُجِّزْتُ عنك، ولكنّ الرأى لك ما رأيتُ. ثم دعا حسان بمروانَ فقال : يا مروان ، إن الناس والله ما كلُّهم يرضَى بك، فقال له مروان : إنْ يُرِد الله أن يعطنيها لا يمنعنى إياها أحدٌ من خلقه ، وإن يُرِدْ أن يمنعنيها لا يُعطينيها أحدٌ من خلقه . قال : فقال له حسان : صدقت ، وصَعِد حسان المنبر يومَ الاثنين ، فقال : يأيها الناس ، إنا نستخلف يومَ الخميس إن شاء الله؛ فلما كان يوم الخميس بايع لمروانَ ، وبايع الناسُ له، وسار مروان إلى الجابية فى الناس حتى نزل مَرْجَ راهط على الضحاك فى أهل الأردنّ من كَلْب ، وأتته السَّكاسك والسَّكون وغسان، وربع حسان بن مالك بن بحدل إلى الأردنّ . ٢ / ٤٧٧

قال : وعلى ميمنته — أعنى مروان — عمرو بن سعيد بن العاص ، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد ، وعلى ميمنة الضحاك زياد بن عمرو بن معاوية العُقَيْلىّ وعلى ميسرته رجل آخر لم أحفظ اسمَه، وكان يزيد بن أبى النِّمس الغسانىّ لم يشهد الجابية ، وكان مختبئًا بدمشق ، فلما نزل مروانُ مرجَ راهط ثار يزيد ابن أبى نمس بأهل دمشق فى عبيدها ، فغلب عليها ، وأخرج عامل الضحاك منها ، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان وأمدّه بالأموال والرجال والسلاح ، فكان أوّلَ فتح فتحَ على بنى أميّة . قال : وقاتل مروان الضحاك عشرين ليلةً كان، ثم هُزِم أهلُ المرج ، وقُتِلوا وقُتل الضحاك، وقُتل يومئذ من أشراف الناس من أهل الشام ممن كان مع الضحاك ثمانون رجلا كلهم كان يأخذ القطيفة ، والذى كان يأخذ القطيفة يأخذ ألفين فى العطاء ، وقتل أهل الشأم يومئذ مقتلةً عظيمةً لم يقتتلوا مثلها قطّ من القبائل كلها، وقتل مع الضحاك ٢ / ٤٧٨

يومئذ رجل من كلب من بنى عُلَيم يقال له مالك بن يزيد بن مالك بن كعب ، وقتُل يومئذ صاحب لواء قُضاعةَ حيث دخلتْ قضاعة الشأم ، وهو جدّ مُدلَّج ابن المقدام بن زَمْل بن عمرو بن ربيعة بن عمرو الجُرَشىّ ، وقُتِل ثور بن معن بن يزيد السُّلمىّ ، وهو الذى كان ردّ الضحاك عن رأيه . قال : وجاء برأس الضحاك رجلٌ من كلب ؛ وذكروا أنّ مروان حين أتىَ برأسه ساءه ذلك وقال : الآن حين كبِرتْ سنّى ودقّ عَظمى وصرتُ فى مثل ظِمْءِ الحمار[1] ، أقبلت بالكتائب أضرب بعضها ببعض !

قال : وذكروا أنه مرّ يومئذ برجل قتيل فقال :

وَمَا ضرَّهُمْ غير حَيْنِ النُّفُو ... سِ أىُّ أَمِيرَىْ قرَيش غَلَبْ

وقال مروان حين بُويِع له ودعا إلى نفسه :

لما رأيتُ الأَمرَ أمرًا نَهْبَا ... سيّرت[2] غَسّانَ لهمْ وكَلبا
والسَّكْسكِيِّينَ رجالاً غُلْبَا ... وَطَيِّئـاً تـأْباه إلَّا ضَرْبا
والقَيْن تَمْشى فى الحديد نُكبا ... ومِن تَنوخَ مشْمَخِرًّا صعْبا
لا يـأْخذونَ المُلْك إلاَّ غَصْبَا ... وإنْ دَنَتْ قيسٌ فقل لا قربَا

٤٧٩/٢ قال هشام بن محمد : حدّثنى أبو مخنف لوط بن يحيى ؛ قال : حدّثنى رجل من بنى عبد ودّ من أهل الشأم ، قال : حدّثنى مَن شهد مقتلَ الضحاك ابن قيس ، قال : مرّ بنا رجلٌ من كلب يقال له زُحنة بن عبد الله ، كأنما يرمى بالرجال الجَدَّاءَ ، ما يطعن رجلاً إلا صرَعَهُ ، ولا يَضرب رجلا إلا قتله ، فجعلتُ أنظر إليه أتعجب من فعله ومن قتله الرّجال ، إذ حمل عليه رجل فصرَعه زُحْنة وتركه ، فأتيتُه فنظرت إلى المقتول فإذا هو الضحاك بن قيس ، فأخذت رأسَه فأتيتُ به إلى مروان ، فقال : أنت قتلته ؟ فقلت : لا ، ولكن قتله زُحْنة بن عبد الله الكلبىّ ، فأعجبه صِدْقِى إيّاه ، وتركى ادعاءه ، فأمَرَ لى بمعروف ، وأحسنَ إلى زحنة .

---

[1] الظمء : ما بين الشربتين ، وفى اللسان : « وقولهم : ما بقى منه إلا قدر ظمء الحمار ، أى لم يبق من عمره إلا اليسير ، يقال : إنه ليس شيء من الدواب أقصر ظمأ من الحمار » .

[2] ط : « يسرت » ، والأجود ما أثبته من ابن أبى الحديد .

قال أبو مخنف : وحدّثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن حبيب بن كرّة، قال : والله إنّ راية مروانَ يومئذ لمعِي، وإنه ليدفع بنعل سيفه فى ظهرى ، وقال : ادْنُ برايتك لا أبا لك ! إنّ هؤلاء لو قد وجدوا لهم حدّ السيوف انفرجوا انفراجَ الرأس، وانفراجَ الغَنَم عن راعيها . قال : وكان مروان فى ستة آلاف ، وكان على خيله عبيد الله بن زياد ، وكان على الرجال مالك ابن هُبيرة ؛ قال عبد الملك بن نوفل : وذكروا أنّ بِشر بن مروان كانت معه يومئذ رايةٌ يقاتل بها وهو يقول :

إنَّ على الرئيسِ حقًّا حقًّا أن يَخضِبَ الصَّعْدَةَ أو تَنْدَقًّا

قال : وصُرِع يومئذ عبد العزيز بن مروان ؛ قال : ومرّ مروان يومئذ برجل ٢/٤٨٠ من محارب وهو فى نفر يَسير تَحت راية يقاتل عن مرْوان، فقال مروان: يرحمك الله ! لو أنك انضممت بأصحابك ، فإنى أراك فى قلة ! فقال: إنّ معنا يا أمير المؤمنين من الملائكة مدداً أضعاف مَن تأمرنا ننضمّ إليه ، قال : فَسُرَّ بذلك مروان وضحك ، وضمّ أناسًا إليه ممّن كان حوله ؛ قال : وخرج الناس منهزمين من المرْج إلى أجنادهم ، فانتهى أهل حِمْص إلى حمصَ والنعمان بن بشير عليها ، فلمّا بلغ النعمان الخبرَ خرج هاربًا ليلاً ومعه امرأته نائلة بنت عُمارة الكلبيّة، ومعه ثَقَله وولدُهَ ، فتحيَّر ليلته كلّها، وأصبح أهل حِمْص فطلبوه ؛ وكان الذى طلبه رجل من الكلاعيِّين يقال له عمرو بن الخَلِيّ فقَتَله ، وأقبل برأس النعمان بن بَشير وبنائلة امرأته وولدها، فألقَى الرأسَ فى حِجْر أمّ أبان ابنة النعمان التى كانت تحتَ الحجّاج بن يوسف بعد . قال : فقالت نائلة : ألقُوا الرأس إلىّ فأنا أحقّ به منها ، فألقِى الرأسُ فى حِجْرها ، ثمّ أقبلوا بهم وبالرأس حتى انتهَوْا بهم إلى حِمْص ، فجاءت كلب من أهل حمص فأخذوا نائلة وولدها ؛ قال : وخرج زُفَر بن الحارث من قِنّسرين هاربًا فلحق بقرْقيسيَا ، فلما انتهى إليها وعليها عِياضٌ الجُرَشىّ[1] وهو ابن أسلم بن كعب بن مالك بن لغز بن أسوَد بن كعب بن

---

(١) ابن الأثير : « الحرشى » .

حدس بن أسلم — وكان يزيد بن معاوية ولاّه قَرقيسيا ، فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا ، فقال له زفر: أوثق لك بالطلاق والعتاق إذا أنا دخلت حمّامها أن أخرج منها ؛ فلما انتهى إليها ودخلها لم يدخل حمّامها ٢/ ٤٨١ وأقام بها ، وأخرج عياضًا منها ، وتحصّن زُفَر بها وثابَتْ إليه قيس . قال : وخرج ناتل بن قيس الجُذامىّ صاحب فِلَسْطِين هاربًا ، فلحق بابن الزبير بمكة ، وأطبق أهل الشأم على مروان ، واستوثقوا له ، واستعمل عليها عمّاله .

قال أبو مخنف : حدّثنى رجل من بنى عبد وُدّ من أهل الشأم — يعنى الشرقىّ — قال : وخرج مَرْوان حتى أتى مصرَ بعد ما اجتمع له أمرُ الشأم ، فقَدِم مصرَ وعليها عبد الرحمن بن جَحْدَم القرشىّ يدعو إلى ابن الزبير ، فخرج إليه فيمن معه من بنى فِهْر ، وبعث مروانُ عمرَو بن سعيد الأشدق من ورائه حتى دخل مصرَ ، وقام على منبرها يخطب الناس ، وقيل لهم : قد دخل عمرو مصر ، فرجعوا ، وأمّر الناسُ مروانَ وبايعوه ، ثمّ أقبل راجعًا نحو دمشق ؛ حتى إذا دنا منها بلغه أنّ ابن الزبير قد بعث أخاه مصعب بن الزّبير نحو فلسطين ، فسرّح إليه مروانُ عَمرو بن سعيد بن العاص فى جيش ، واستقبله قبل أن يدخل الشأم ، فقاتله فهزم أصحاب مصعب ، وكان معه رجلٌ من بنى عُذْرة يقال له محمد بن حُرَيث بن سليم ، وهو خال بنى الأشدق ، فقال : والله ما رأيت مثلَ مصعب بن الزبير رجلا قطّ أشدّ قتالاً فارسًا وراجلاً ، ولقد رأيته فى الطريق يترجّل فيطّرد بأصحابه ، ويشدّ على رجليه ، حتى رأيتهما قد دَميتا . قال : وانصرف مروانُ حتى استقرّتْ به دمشق ، ورجع إليه عمرو بن سعيد .

قال : ويقال : إنه لما قدم عبيد الله بن زياد من العراق ، فنزل الشأم ٢/ ٤٨٢ أصاب بنى أميّة بتدمُر ، قد نفاهم ابن الزبير من المدينة ومكة ، ومن الحجاز كله ، فنزلوا بتَدْمُر ، وأصابوا الضّحاك بن قيس أميرًا على الشأم لعبد الله بن الزبير ، فقدِم ابن زياد حين قدم ومروان يريد أن يركب إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة ، فيأخذ منه الأمان لبنى أميّة ؛ فقال له ابن زياد: أنشُدُك الله ألاّ

تفعل، ليس هذا برأى أن تَنطلق وأنت شيخُ قريش إلى أبى خُبَيب بالخلافة ، ولكن ادع أهلَ تدمر فبايعهم ، ثم سرْ بهم وبمن معك من بنى أميّة إلى الضحّاك بن قيس حتى تخرجَه من الشأم ؛ فقال عمرو بن سعيد بن العاص : صدق والله عبيد الله بن زياد ، ثمّ أنت سيّد قريش وفرعها ، وأنت أحقّ الناس بالقيام بهذا الأمر ، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام — يعنى خالدَ بن يزيد بن معاوية — فتزوجْ أمّه فيكون فى حِجْرك ؛ قال : ففعل مروان ذلك ، فتزوّج أمّ خالد بن يزيد، وهى فاختة ابنة أبى هاشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ثمّ جمع بنى أميّة فبايعوه بالإمارة عليهم ، وبايعه أهلُ تدمر ثمّ سار فى جمع عظيم إلى الضحاك بن قيس ، وهو يومئذ بدمشق ، فلما بلغ الضحّاك ما صنع بنو أميّة ومسيرتُهم إليه، خرج بمَن تبعه من أهل دمشق وغيرهم ، فيهم زفر بن الحارث ، فالتقوا بمرْج راهِط ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتِل الضحاك بن قيس الفِهرىّ وعامّة أصحابه ، وانهزم بقيّتُهم، فتفرّقوا، وأخذ زفر بن الحارث وجهاً من تلك الوجوه ، هو وشابّان من بنى سُليم فجاءت خيل مروانَ تطلبهم ، فلما خاف السُّلميّان أن تلحقهم خيل مروان قالا لزفر : يا هذا ، انجُ بنفسك ، فأما نحن فمقتولان[١] ، فمضى زفر وتركهما حتى أتى قَرْقيسيا ، فاجتمعتْ إليه قيس ، فرأسوه عليهم ، فذلك[٢] حيث يقول زُفَر بن الحارث : ٢/٤٨٣

أَرِينِى سلاَحِى لا أَبا لكِ إنَّنى ... أَرَى الحَرْبَ لا تَزْدَادُ إلاَّ تَمادِيَا[٣]

أَتَانِىَ عَنْ مروانَ بِالغَيْبِ أَنَّهُ ... مقِيدٌ دَمى أَو قاطعٌ من لسانِيا

ففِى العِيسِ منْجَاةٌ وفِى الأَرْضِ مَهْرَبٌ[٤] ... إذا نحْنُ رفَّعْنا لَهُنَّ المَثانِيَا

فلا تحْسِبُونى إنْ تَغَيَّبْتُ غافِلاً ... ولا تفْرَحوا إنْ جئْتُكمْ بلِقائيا

(١) ف : « فإنا نحن مقتولان » .

(٢) ف : « فلذلك » .

(٣) انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ : ١٥٣ ، والأغانى ١٧ : ١١٢ (ساسى) .

(٤) ابن الأثير : « فى العيش منجاة » .

فقَدْ يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى ... وتَبْقَى حزازاتُ النُّفُوسِ كما هِيَا [١]

أتذْهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا ... وتُتْرَك قَتلَى رَاهِطٍ هِيَ ما هِيَا !

لَعمرِي لقد أبْقتْ وَقيعَةُ رَاهِطٍ ... لِحَسَّان صَدْعاً بَيِّناً متنائيا

٢/٤٨٤ أَبَعْدَ ابن عمرٍو وابنِ مَعْنٍ تتابعا ... ومقْتَلِ هَمّامٍ أُمَنَّى الأَمانِيَا [٢] !

فلم تُرَ مِنِّى نبْوَةٌ قَبْلَ هذه ... فِرَارِى وتَرْكى صاحبىَّ ورَائيَا [٣]

عشِيةَ أَعْدو بالقِرانِ فلا أرَى ... مِن الناسِ إلا مَنْ عَلَىَّ ولا لِيَا [٤]

أيَذهَبُ يوْمٌ واحدٌ إنْ أَسَأْتُهُ ... بِصالح أيّامى وحُسْنِ بَلائيا !

فلا صُلْحَ حَتَّى تَنْحِطَ الخَيْلُ بالقَنَا [٥] ... وتَثْأَرَ مِنْ نِسْوَانِ كلْب نِسَائِيَا

ألا لَيْتَ شِعْرِى هلْ تُصيبَنَّ غارتى ... تَنوخاً وَحيىَّ طَيِّئٍ من شِفائِيا

فأجابه جَوّاس بن قَعْطَل [٦] :

٢/٤٨٥ لعَمْرِى لَقدْ أبقَتْ وقِيعَةُ راهِطٍ ... على زُفَرٍ دَاءً مِنَ الدَّاءِ باقِيَا [٧]

مقِيمًا ثَوَى بَيْنَ الضُلوعِ مَحَلُّه ... وبَيْن الحَشا أعْيا الطَّبِيبَ المُداوِيا

تُبَكِّى عَلَى قَتلَى سُلَيْم وعَامِرٍ ... وذُبْيانَ مَعْذورًا وتُبْكِى البواكِيَا

دَعا بِسِلاَحٍ ثمَّ أَحْجَمَ إذْ رَأَى ... سُيُوفَ جَنَابٍ والطِّوَالَ المَذَاكِيا [٨]

---

(١) رواية ابن الأثير :

فَقَدْ يَنْبتُ المرْعى عَلَى دِمَنِ الثرى ... لَهُ وَرَقٌ مِنْ تحته الثغرُ باديا

ونمضى ولا يَبْقَى على الأَرضِ دمنة ... وتبقَى حزازاتُ النُّفوسِ كما هِيَا

(٢) الأغانى : « أبعد ابن صقر وابن عمرو » .

(٣) فى شرح التبريزى : « يعنى ابنه كعباً ومولاه مسكان » .

(٤) التبريزى : « عشية أجرى بالصعيد ولا أرى » ، ابن الأثير : « عشية أدعو فى القران » .

(٥) فى اللسان : « النحط والنحيط : صوت الخيل من الثقل والإعياء » ، وفى ابن الأثير « حتى تشحط الخيل » .

(٦) فى الأغانى : « فقال ابن المخلاة الكلبى يجيبه » ؛ وذكر البيتين : الأول والثالث .

(٧) ابن الأثير : « مرا من الداء » .

(٨) ابن الأثير : « دعا بالسلاح » .

عليْها كأُسْدِ الغابِ فِتْيانُ نَجْدَةٍ إذَا شَرعُوا نحْوَ الطِّعان العوالِيَا

فأجابه عمر بن المِخْلاة الكلبيّ من تيم اللّات بن رُفَيْدة، فقال :

بكى زُفَرُ القيسِىُّ من هُلْكِ قَوْمِهِ بعَبْرَةِ عَيْنٍ ما يَجِفُّ سُجُومُهَا

يُبكِّى عَلى قَتْلَى أُصِيبَتْ برَاهِطٍ تجَاوبُهُ هامُ القِفارِ وَبُومُهَا

أَبحْنَا حِمًى للحىِّ قَيْسٍ براهِط وولّتْ شِلالًا واستُبيح حرِيمُها

يُبَكِّيهمُ حَرانَ تجْرِى دُموعُهُ يُرَجِّى نِزارًا أن تَئُوبَ حُلومُها ٢/٤٨٦

فَمُتْ كمدًا أوْ عِشْ ذَليلاً مُهَضَّماً بحسْرَةِ نَفْس لا تَنَامُ هُمُومُهَا

إذا خَطَرَتْ حَوْلى قُضَاعَةُ بالقَنــا تَخَبطُ فِعْلَ المُصعَبَاتِ قُرُومُهَا

خَبطْتُ بِهِمْ من كادَنى مِنْ قبيلة فمن ذا إذا عَزَّ الخُطوبُ يرُومُهَا

وقال زُفَر بن الحارث أيضًا :

أَفى اللهِ أَمَّا بَحْدَلٌ وَابنُ بَحْدَل فيحيا وأمّا ابن الزُّبَيرِ فيُقْتلُ[(١)] !

كذَبْتُمْ وَبيْتِ اللهِ لا تَقْتُلونَهُ وَلمّا يَكنْ يومٌ أغرُّ مُحَجَّلُ

وَلمّا يكُن للمشْرَفيَّة فَوْقكم شُعاعٌ كقَرْنِ الشَّمسِ حِينَ تَرَجَّلُ[(٢)]

---

(١) ديوان الحماسة – بشرح التبريزى ٢ : ١٩٩ ؛ قال فى شرحه : « كان معاوية بن أبى سفيان لما جعل يزيد ابنه ولى عهده بايعه الناس إلا الحى من قيس فإنهم قالوا : والله لا نبايع ابن الكلبية ؛ وذلك أن أمّ يزيد ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبى ؛ فصار فى نفس يزيد ضغن ؛ وابتدأ الشر بينهم و بين بنى أمية ؛ فلما هلك يزيد استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وأمه أيضاً كلبية ؛ وصار حسان بن مالك بن بحدل أخو ميسون كالمالك للأمر ؛ وكانت خلافة معاوية بن يزيد أياماً قليلة ، وتحركت فتنة ابن الزبير ، فاضطرب حسان بن مالك فى الأمر اضطراباً شديداً ، وصار يدعو الناس إلى نفسه تارة ، وإلى من يختارونه من بنى أمية أخرى ؛ حتى قال الشاعر :

وما النَّاس إلّا بحدلىّ على الهُدى وإلّا زُبَيرى عَصَى فتزبّرا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم ، فلما قام بالدعوة صارت البحدلية معه ، فسموا مروانية فيقول زفر : « أفى الله » يريد : أفى ذات الله ومرضى حكمه أن تطلب حياة ابن بحدل والمتعصبة لبنى أمية ويطلب قتل عبد الله بن الزبير مع فضله وشرفه . . . وهذا الكلام تقريع للناس » .

(٢) قرن الشمس : أول ما يظهر منها . والترجل : هو أن تنبسط الشمس ولما يشتد حرّها بعد .

فأجابه عبد الرحمن بن الحكم ، أخو مروان بن الحكم ، فقال :

أتذهب كلب قد حمتْها رماحُها ... وتترُكُ قَتْلى راهطٍ ما أُجِنَّتِ[1] !

لَحا الله قَيْساً قَيْسَ عيْلانَ إنهـا ... أَضاعَتْ ثُغُورَ المسلمين وَولَّتِ

فباهِ بقيْسٍ فى الرَّخاءِ ولا تكنْ ... أخاها إذا ما المَشْرفيَّةُ سُلَّتِ[2]

٢/٤٨٧ قال أبو جعفر : ولما بايع حصين بن نمير مروان بن الحكم وعصا مالك بن هبيرة فيما أشار به عليه من بيعة خالد بن يزيد بن معاوية ، واستقرّ لمروانَ بن الحكم المُلك ، وقد كان الحصين بن نمير اشترط على مروان أن يُنزل البَلْقاءَ من كان بالشأم من كندة ، وأن يَجعلَها لهم مأكلةً ، فأعطاه ذلك ؛ وإنّ بنى الحكم لما استوثق الأمرُ لمروان ، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطًا ؛ قال مرْوان ذات يوم وهو جالسٌ فى مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده : إن قومًا يدّعون شروطًا منهم عطّارة مكحلة — يعنى مالك بن هبيرة وكان رجلا يتطيّب ويكتحل — فقال مالك بن هبيرة : هذا ولمّا تَرِدِى تهامة ، ولما يبلغ الحزام الطُّبْيَيْن ؛ فقال مروان : مهلاً يا أبا سليمان ، إنما داعبناك ؛ فقال مالك : هو ذاك . وقال عويج الطائىّ يمتدح كَلْبًا وحُميد بن بَحْدَل :

لقد علِمَ الأَقوامُ وقْعَ ابنِ بَحْدَلٍ ... وأُخرَى عليهم إن بقَى سَيُعيدُها

يقُودُونَ أولادَ الوجيه ولاحقٍ ... من الرِّيفِ شهرًا ما يَنِى من يَقُودُها

فهذا لهذا ثم إنى لنافِضٌ ... على الناسِ أقواماً كثيراً حُدودُها

فلولا أَمير المومنين لأَصْبحَت ... قُضاعَةُ أَرْباباً وقَيْس عبيدُها

* * *

٢/٤٨٨ وفى هذه السنة بايع جُنْد خُراسان لسلم بن زياد بعد موت يزيد بن معاوية ، على أن يقوم بأمرهم حتى يجتمع الناس على خليفة .

* * *

(١) الثانى والثالث فى ديوان الحماسة — بشرح المرزوقى ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ .

(٢) الحماسة : « فشاول لقيس » ؛ أى خاطر .

[ذكر الخبر عن فتنة عبد الله بن خازم وبيعة سلم بن زياد]

وفيها كانت فتنة عبد الله بن خازم بخُراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدّثني عمرُ بنُ شبّة، قال : حدّثنا علىّ بن محمد، قال : أخبرنا مسلمة ابن محارب، قال : بعث سلم بن زياد بما أصاب من هدايا سمرقند وخُوارَزم إلى يزيدَ بن معاوية مع عبد الله بن خازم ، وأقام سلم واليًا على خُراسانَ حتى مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، فبلغ سلماً موته ، وأتاه مقتل يزيد بن زياد فى سجستان وأسرُ أبى عبيدة بن زياد ، وكتم الخبر سلم ، فقال ابن عرَادة :

يـأيّها الملِكُ المُغَلّقُ بابَهُ ... حَدَثَتْ أمورٌ شأنُهنّ عظيمُ

قَتْلى بجُنْزَةَ والذينَ بكابُلٍ[1] ... ويزيدُ أعلِنَ شأنُهُ المكتومُ

أَبَنِى أميّةَ إنّ آخِرَ مَلكِكُمْ ... جسدٌ بحوّارِينَ ثَمّ مُقيمُ

طَرَقَتْ مَنِيّتُهُ وعِنْدَ وِسادِهِ ... كُوبٌ وَزِقٌّ رَاعِفٌ مَرثومُ[2]

ومرِنّةٌ تبْكى على نَشْوانِهِ ... بالصَّنْجِ تَقْعُدُ تارةً وتقومُ[3]

قال مسلمة : فلما ظهر شعر ابن عرَادة أظهر سلمٌ موتَ يزيدَ بن معاوية ومعاوية بن يزيد ، ودعا الناسَ إلى البيعة على الرّضا حتى يستقيم أمرُ الناس على خليفة ، فبايعوه ، ثم مكثوا بذلك شهرين ، ثم نكثوا به . ٢/٤٨٩

قال علىّ بن محمد : وحدّثنا شيخٌ من أهل خُراسان، قال : لم يحبّ أهلُ خُراسان أميراً قط حُبّهم سلمَ بن زياد ، فسُمّى فى تلك السنين التى كان بها سلْم أكثر من عشرين ألف مولود بسَلْم ، من حُبّهم سَلْما .

(١) ابن الأثير : « قتلى بجرة » .

(٢) يقال : رثم أنفه ، أى كسر حتى تقطر منه الدم .

(٣) ابن الأثير : « بالصبح تقعد مرة وتقوم » .

قال : وأخبرنا أبو حفص الأزدىّ ، عن عمه قال : لما اختلف الناس بخُراسان ونكثوا بيعة سَلْم ، خرج سَلْم عن خُراسان وخلّف عليها المهلب بن أبى صُفْرة ، فلما كان بسَرَخْس لقيه سليمان بن مَرْثَد أحد بنى قيس بن ثعلبة ، فقال له : مَنْ خلّفت على خراسان ؟ قال : المهلب ؛ فقال : ضاقت عليك نزارٌ حتى ولّيتَ رجلا من أهل اليمن ! فولاه مَرْوَ الرُّوذ والفارياب والطالَقان والجُوزَجان ، وولى أوس بن ثعلبة بن زفر — وهو صاحب قصر أوس بالبَصرة — هراةَ ، ومضى فلما صار بنَيْسابور لقيه عبد الله بن خازم فقال : مَن ولّيت خُراسان ؟ فأخبره ، فقال : أمَا وجدت فى مُضرَ رجلا تستعمله حتى فرّقت خُراسان بين بكر بن وائل ومَزُون عمَان[1] ! وقال له : اكتبْ لى عَهْداً على خُراسان ؛ قال : أواليى خراسان أنا[2] ! قال : اكتب لى عهداً وخلاك ذمّ .

قال : فكتب له عهداً على خُراسان ؛ قال : فأعنّى الآن بمائة ألف درهم فأمَرَ له بها ، وأقبل إلىَ مَرْو ، وبلغ الخبرُ المهلبَ بنَ أبى صُفْرة ، ، فأقبل واستخلف رجلا[3] من بنى جُشَم بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

قال : وأخبرنا المفضّل بن محمد الضّبّىّ ، عن أبيه ، قال : لما صار عبد الله بن خازم إلى مروَ بعهد سَلْم بن زياد ، منعه الجُشمىّ ، فكانت بينهما مناوشة ، فأصابت الجشمىّ رميةٌ بحَجَر فى جبهته ، وتحاجزوا وَخلّى الجشمىّ بين مرْو الرُّوذ وبينه ، فدخلها ابن خازم ، ومات الجشمىّ بعد ذلك بيومين . ٢/٤٩٠

قال علىّ بن محمد المدائنىّ : حدّثنا الحسن بن رشيد الجُوزَجانىّ ، عن أبيه ، قال : لما مات يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيدَ وثب أهلُ خُراسان بعُمّالهم فأخرجوهم ، وغلب كلٌّ قوم على ناحية ، ووقعت الفتنة ، وغلب ابن خازم على خُراسان ، ووقعت الحرب .

قال أبو جعفر : وأخبرنا أبو الذّيال زهير بن هُنيد ، عن أبى نعامة ، قال : أقبل عبد الله بن خازم فغلب على مرْوَ ، ثم سار إلى سليمان بن مرثد فلقيه

---

(١) ابن الأثير : «واليمن» . (٢) ساقطة من ف .
(٣) هو عرفجة بن الورد .

بمروَ الرُّوذ ، فقاتلته أيامًا ، فقتل سليمان بن مرثد ، ثم سار عبد الله بن خازم إلى عمرو بن مرثد وهو بالطالقان فى سبعمائة ، وبلغ عمرًا إقبالُ عبد الله إليه وقتله أخاه سليمان ، فأقبل إليه ، فالتقَوْا على نهر قبل أن يتوافَى إلى ابن خازم أصحابُه ، فأمرَ عبد الله من كان معه فنزلوا ، فنزل وسأل عن زهير بن ذؤيب العدوىّ ، فقالوا : لم يجئ حتى أقبل وهو على حاله ، فلما أقبل قيل له : هذا زهير قد جاء ؛ فقال له عبد الله : تقدّم ، فالتقَوْا فاقتتلوا طويلا ، فقتل عمرو بن مرثد ، وانهزم أصحابه ، فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة ، ورجع عبد الله ابن خازم إلى مَرْو .

قال : وكان الذى ولىَ قتلَ عَمرو بن مرثد زهير بن حيّان العدوىّ فيما يروون فقال الشاعر :

أتذهبُ أيَّامُ الحروبِ ولم تُبِئْ زهيرَ بنَ حيّانٍ بعَمْرو بنِ مَرْثَدِ! ٢/٤٩١

قال : وحدّثنا أبو السَّرىّ الخُراسانىّ — وكان من أهل هَراة — قال : قتل عبد الله بن خازم سليمان وعمرًا ابنَىْ مرثد المرثديَّيْن من بنى قيس بن ثعلبة ثم رجع إلى مَرْو ، وهرب مَن كان بمروَ الرّوذ من بكر بن وائل إلى هَراة ، وانضم إليها من كان بكُوَر خُراسان من بكر بن وائل ، فكان لهم بها جمعٌ كثير عليهم أوْس بن ثعلبة ؛ قال : فقالوا له : نبايعك على أن تسير إلى ابن خازم ، وتُخرجَ مُضَرَ من خُراسان كلّها ؛ فقال لهم : هذا بَغْىٌ ، وأهلُ البغى مخذولون ، أقيموا مكانَكم هذا ، فإنْ تركَكُم ابن خازم — وما أراه يفعل — فارضوا بهذه الناحية ، وخلّوه وما هو فيه ؛ فقال بنو صُهيب — وهم موالى بنى جحْدَر : لا والله لا نَرضَى أن نكون نحن ومُضَر فى بلد ، وقد قتلوا ابنى مَرْثَد ، فإن أجبتَنا إلى هذا وإلا أمّرْنا علينا غيرَك ؛ قال : إنما أنا رجلٌ منكم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فبايَعوه ، وسار إليهم ابن خازم ، واستخلف ابنَه موسى ، وأقبل حتى نزل على واد بين عسكره وبين هَراة ؛ قال : فقال البكريّون لأوس : اخرجْ فخندِقْ خندقًا دون المدينة فقاتلْهم فيه ، وتكون المدينة من ورائنا ، فقال لهم أوس : الزموا المدينة فإنها حصينة ، وخلّوا ابنَ خازم ومنزلَه الذى هو فيه ؛ فإنه إن طال مُقامُه ضجِر فأعطاكم ما ترضَون

به ، فإن اضطررتم إلى القتال قاتلتم ، فأبَوْا وخرجوا من المدينة فخندقوا خندقًا دونها ، فقاتلهم ابن خازم نحواً من سنة .

٢/٤٩٢ قال وزعم الأحنف بن الأشهب الضبيّ ،وأخبرنا أبو الذيال زهير بن الهُنَيد ؛ سار ابن خازم إلى هراةَ وفيها جمعٌ كثير لبكر بن وائل قد خندقوا عليهم ، وتعاقدوا على إخراج مضرَ إن ظفروا بخُراسان ، فنزل بهم ابن خازم ، فقال له هلال الضّبيّ أحد بنى ذُهْل، ثم أحد بنى أوس : إنما تقاتل إخوتَك من بنى أبيك ، والله إن نِلتَ منهم فما تريد ما فى العيش بعدَهم من خير ، وقد قتلت بمروَ الرّوذ منهم من قتلت ، فلو أعطيتهم شيئًا يرضَوْن به ، أو أصلحتَ هذا الأمر ! قال : والله لو خرجتُ[1] لهم عن خُراسانَ ما رَضُوا به ، ولو استطاعوا أن يُخرجوكم من الدنيا لأخرجوكم ؛ قال : لا ، والله لا أرمى معك بسهم ، ولا رجلٌ يطيعنى من خِندف حتى تُعْذِر[2] إليهم ؛ قال : فأنت رسولى إليهم فأرضِهم ، فأتى هلال إلى أوس بن ثعلبة فناشَدَه اللهَ والقرابة ، وقال : أذكّرك الله فى نزار أن تسفك دماءها ، وتضربَ بعضَها ببعض[3] ! قال : لقيتَ بنى صهيب ؟ قال : لا والله ؛ قال : فالقهم ؛ فخرج فلقى أرقم بن مطرّف الحنفىّ ، وضَمْضَم بن يزيد — أو عبد الله بن ضمضم بن يزيد— وعاصم بن الصّلت بن الحريث الحنفيّين ، وجماعة من بكر بن وائل وكلمهم بمثل ما كلّم به أوساً ،فقالوا : هل لقيت بنى صُهيب ؟ فقال : لقد عظّم الله أمَر بنى صُهَيب عندكم ، لا لم ألقهم ، قالوا : القهم ، فأتى بنى صهيب فكلّمهم ، فقالوا : لولا أنك رسولٌ لقتلناك ؛ قال :أفما يرضيكم شىء ؟

٢/٤٩٣ قالوا : واحدةٌ من اثنتين ، إما أن تخرجوا عن خُراسان ولا يَدْعو فيها لمُضرَ داعٍ ، وإما أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل كُراع وسلاح وذهب وفضّة ؛ قال : أفما شىء غير هاتين ؟ قالوا : لا ، قال : حسبُنا الله ونعم الوكيل ! فرجع إلى ابن خازم،فقال : ما عندك ؟ قال: وجدتُ إخوتَنا قُطّعًا للرَّحِم ، قال : قد أخبرتُك أنّ ربيعة لم تزل غِضابًا على ربّها منذ بَعثَ اللهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم من مضرَ .

---

(١) ابن الأثير : «خرجنا» . (٢) ابن الأثير : «تعتذر» . (٣) ف : «تضرب أعناقها» .

قال أبو جعفر : وأخبرنا سليمان بن مجالد الضّبّيّ ، قال : أغارت التّرك على قصر إسفاد[١] وابن خازم بهَراةَ ، فحصروا أهله ، وفيه ناس من الأزْد هم أكثر مَن فيه ، فهزمتْهم ، فبعثوا إلى من حولهم من الأزْد فجاءوا لينصروهم [٢]فهزمتْهم التّرك[٢] ، فأرسلوا إلى ابن خازم ، فوجّه إليهم زهيرَ بن حيان فى بنى تميم وقال له : إياك ومُشاولَة التّرك[٣] ، إذا رأيتموهم فاحملوا عليهم ، فأقبَل فوافاهم فى يوم بارد ، قال : فلما التقَوا شدّوا عليهم فلم يَثْبتوا لهم ، وانهزمت التّرك واتّبعوهم حتى مضى عامّةُ الليل حتى انتهوا إلى قصر فى المفازة ، فأقامت الجماعة ومضى زهير فى فوارسَ يتبعهم ، وكان عالمًا بالطريق ، ثمّ رجع فى نصف من الليل ، وقد يَبِسَتْ يدُه على رُمحه من البَرد ، فدعا غلامَه كعبًا ، فخرج إليه ، فأدخله ، وجعل يُسخن له الشّحم فيضعه على يده ، ودهنوه وأوقدوا له نارًا حتى لانَ ودفِئ ؛ ثم رجع إلى هَراة ، فقال فى ذلك كعبُ بنُ معدانَ الأشْقَرىّ :

أتاك أتاك الغوثُ فى بَرْقِ عارِضٍ ... دُرُوعٌ وبَيْضٌ حشوهُنّ تميمُ
أبوْا أن يضُمّوا حَشْو ماتجمَعُ القُرَى ... فضَمَّهُمُ يومَ اللقــاءِ صَميمُ ٢/٤٩٤
ورزْقهُمُ من رائحاتٍ تزينُها ... ضروع عَرِيضات الخَواصِر كومُ

وقال ثابت قُطْنَة :

فَدَتْ نفسى فَوارِس من تميمٍ ... على ما كان من ضَنْكِ المُقامِ
بِقَصْرِ الباهِلىِّ وقد أرانى ... أُحامِى حين قَلّ به المُحامِى
بِسَيْفِى بعد كسرِ الرُّمح فيهم ... أذودُهُمُ بِذِى شطَبٍ حُسامِ
أَكُرُّ عليهمُ اليحْمُومَ كَرًّا ... كَكَر الشَّرْبِ آنِيَةَ المُدامِ
فلولا اللهُ ليسَ له شريكٌ ... وضرْبِى قَوْنَسَ المَلِكِ الهُمَامِ

---

(١) ابن الأثير : « إسغاد » .
(٢ — ٢) ف : « فلم تغن شيئاً » .
(٣) فى اللسان عن أبى زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال بالرماح ، ومثله المشاولة » ، وفى ابن الأثير : « ومناوأة » .

إذَا فاظتْ نساءُ بَنى دِثارٍ أمامَ التُّرْكِ بادِيةَ الخِدامِ

* * *

قال أبو جعفر : وحدّثني أبو الحسن الخُراسانيّ ،عن أبي حمّاد السُّلَميّ قال : أقام ابن خازم بهَراةَ يقاتل أوسَ بنَ ثعلبة أكثرَ من سنة ، فقال يومًا لأصحابه : قد طال مُقامُنا على هؤلاء ، فنادُوهم : يا معشرَ ربيعة ، إنكم قد اعتصمتم بخندقكم ، أفرضيتم من خُراسانَ بهذا الخندق ! فأحفَظَهم ذلك ، فتنادى الناسُ[1] للقتال ، فقال لهم أوس بن ثعلبة : الزموا خندقكم وقاتلوهم كما كنتم تقاتلونهم ، ولا تَخرجوا إليهم بجماعتكم ؛ قال : فعصَوْه وخرجوا إليهم ، فالتقى النّاس ، فقال ابن خازم لأصحابه : اجعلوه يومَكم فيكونَ المُلْك لمَنْ غلب ، فإن قُتلتُ فأميركم شمّاس بن دِثار العُطارديّ، فإن قُتل فأميركم بكيْر بن وِشاح الثقفيّ .

٤٩٥/٢

قال عليّ : وحدّثنا أبو الذيّال زهير بن هُنَيد ، عن أبي نَعامة العَدَويّ عن عبيد بن نقيد ، عن إياس بن زهير بن حيّان : لما كان اليوم الذى هرب فيه أوس بن ثعلبة وظفر ابن خازم ببكر بن وائل ، قال ابن خازم لأصحابه حين التقَوا : إنى قَلِع[2]، فشدّوني على السرج ، واعلموا أن عليّ من السلاح ما لا أقتَل قدرَ جَزْر جَزورَين ، فإن قيل لكم : إنّي قد قُتلت فلا تصدّقوا . قال : وكانت راية بني عديّ مع أبي وأنا على فرس مُحزَّم[3] ، وقد قال لنا ابن خازم : إذا لقيتم الخيلَ فاطعنوها في مناخِرها ، فإنه لن يطعن فرسٌ في نخْرته إلا أدبر أو رَمَى بصاحبه ، فلما سمع فرسى قَعقَعَة السلاح وثب بي واديًا كان بيني وبينهم ؛ قال : فتلقاني رجل من بكر بن وائل فطعنت فرسَه في نُخرته[4] ، فصرعه ، وحمل أبي ببني عديّ ، واتبعتْه بنو تميم من كلّ وجه ، فاقتتلوا ساعةً ، فانهَزمتْ بكر بن وائل حتى انتهَوا إلى خندقهم

---

(١) ابن الأثير : « فتنادوا » .

(٢) القلع : الذى لا يثبت على الخيل .

(٣) محزّم : مهيّأ للركوب .

(٤) النخرة : رأس الأنف .

وأخذوا يمينًا وشمالا ، وسقط ناسٌ فى الخندق فقُتلوا قتلاً ذريعًا ، وهرب أوسُ ابن ثعلبة وبه جراحات ، وحلف ابن خازم لا يؤتَى بأسيرٍ إلا قتَله حتى تغيب الشمس ، فكان آخرَ مَن أتِى به رجلٌ من بنى حنيفة يقال له مَحْمِيَة فقالوا لابن خازم : قد غابت الشمس ، قال : وفُّوابه القتلَى ؛ فقُتِل . ٢/٤٩٦

قال : فأخبرَنى شيخٌ من بنى سعد بن زيد مَنَاة أنّ أوس بن ثعلبة هرب وبه جِراحاتٌ إلى سِجِستانَ ، فلما صار بها أو قريبًا منها مات .

وفى مقتل ابن مرثد وأمْر أوس بن ثعلبة يقول المغيرةُ بن حَبْناء ، أحد بنى ربيعة بن حنظلة :

وفى الحرب كنتمْ فى خُراسانَ كلِّها قتيلاً ومَسجوناً بها ومُسيَّرا

ويومَ احْتَوَاكمْ فى الحفيرِ ابنُ خازمٍ فلم تَجدوا إلاَّ الخنادِقَ مَقْبَرا

ويومَ تَركتمْ فى الغبارِ ابن مرثدٍ وأوساً تركتمْ حيثُ سار وعَسكرا

قال : وأخبرَنى أبو الذّيال زهير بن هنيد ، عن جدّه أبى أمّه ، قال : قُتل من بكر بن وائل يومئذ ثمانيةُ آلاف .

قال : وحدّثنا التميمىّ ، رجل من أهل خُراسان ، عن مولًى لابن خازم ، قال : قاتل ابن خازم أوسَ بن ثعلبة وبكر بن وائل ، فظَفِر بهراةَ ، وهرب أوس وغلبه ابن خازم على هَراةَ ، واستعمل عليها ابنَه محمداً ، وضمّ إليه شمّاس بن دثار العطارِدىّ ، وجعل بُكَير بن وِشاح على شُرطتِه ، وقال لهما : ربّياه فإنه ابن أختكما ، فكانت أمه من بنى سعد يقال لها صفيّة ، وقال له : لا تخالفْهما ، ورجع ابن خازم إلى مَرْوَ .

* * *

[ذكر الخبر عن تحرُّك الشيعة للطلب بدم الحسين]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة تحرّكت الشيعة بالكوفة ، واتّعدوا الاجتماع بالنُّخَيلة فى سنة خمس وستين للمسير إلى أهل الشأم للطلب بدم الحسين بن علىّ ، وتكاتبوا فى ذلك . ٢/٤٩٧

* ذكر الخبر عن مبدإ أمرهم فى ذلك :

قال هشام بنُ محمد: حدّثنا أبو مخنف، قال: حدّثنى يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدىّ، قال: لما قتل الحسين بن علىّ ورجع ابن زياد من مُعسكَره بالنُّخَيْلة، فدخل الكوفة، تلاقتِ الشيعة بالتلاوُم والتندُّم[1]، ورأت أنها قد أخطأتْ خطأً كبيراً بدُعائهم الحسينَ إلى النصرة وتركهم إجابتَه، ومقتلِه إلى جانبهم لم ينصروه، ورأوا أنه لا يُغسل عارُهم والإثم عنهم[2] فى مقتله إلا بقتل مَن قتَله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكُوفة إلى خمسة نفر من رءوس الشيعة إلى سليمان بن صُرَد الخُزاعىّ، وكانت له صُحبة مع النبىّ صلى الله عليه وسلم، وإلى المُسيَّب بن نجَبة الفَزارىّ، وكان من أصحاب علىّ وخيارهم، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدىّ، وإلى عبد الله بن وال التَّيمىّ، وإلى رِفاعة بن شدّاد البَجَلىّ.

ثمّ إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا فى منزل سليمان بن صُرَد، وكانوا من خيار أصحاب علىّ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم.

٢/٤٩٨ قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمانَ بن صُرَد بدأ المسيَّب بن نَجَبة القوم بالكلام، فتكلّم فحمدَ اللهَ وأثنَى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال:

أمّا بعد، فإنا قد ابتُلينا بطول العمر، والتعرّض لأنواع الفِتَن فنرغب إلى ربنا ألّا يجعلنا ممن يقول له غداً: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[3]؛ فإنّ أمير المؤمنين قال: العُمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه، وقد كنا مُغرَمين بتزكيَة أنفُسنا، وتقريظِ شيعتنا، حتى بَلا الله أخيارَنا فوجدَنا كاذبين فى موطنَيْن[4] من مواطن ابن ابنة نبيّنا[5] صلى الله عليه وسلم، وقد بلغتْنا قبل ذلك كُتُبه، وقدمَت علينا رُسُله، وأعذَر إلينا يسألنا[6] نَصرَه عَوْداً

(١) ابن الأثير: «المنادمة».
(٢) ابن الأثير: «عليهم».
(٣) سورة فاطر: ٣٧.
(٤) ابن الأثير: «فى كل موطن».
(٥) ابن الأثير: «نبيّه».
(٦) ابن الأثير: «فسألنا».

وبدءًا ، وعلانيةً وسرًّا ، فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قتِل إلى جانبنا ، لا نحن نصرناه بأيدينا ؛ ولا جادلْنا عنه بألسنتنا ، ولا قوّيناه بأموالنا ، ولا طلبنا له النُّصرة إلى عشائرنا ، فما عُذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبيِّنا صلى الله عليه وسلم وقد قُتِل فينا ولدُه وحبيبه ، وذرّيتُه ونَسلُه ! لا والله ، لاعُذرَ دون أن تَقتلوا قاتلَه والمُوالين عليه ، أو تُقتلوا فى طلب ذلك ، فعسى ربّنا أن يَرضَى عنّا عند ذلك ، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمِن . أيها القوم ، ولّوا عليكم رجلا منكم فإنه لا بدّ لكم من أمير تَفزَعون إليه ، وراية تحفّون بها ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

٤٩٩/٢

قال : فبدر القومَ رِفاعة بن شدّاد بعد المسيّب الكلام ، فحَمِد اللهَ وأثنى عليه وصلّى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : أما بعد ، فإنّ الله قد هداك لأصوَب القول ، ودعوت إلى أرشَد الأمور[1] ، بدأتَ بحمد الله والثناء عليه ، والصلاة على نبيّه صلى الله عليه وسلم ، ودعوتَ إلى جهاد الفاسقين وإلى التوبة من الذنب العظيم ، فمسموعٌ منك ، مستجابٌ لك ، مقبول قولُك ؛ قلتَ : ولّوا أمرَكم رجلا منكم تَفزَعون إليه ، وتحفّون برايته ، وذلك رأىٌ قد رأينا مثلَ الذى رأيتَ ، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيًّا ، وفينا متنصّحًا ، وفى جماعتنا محبًّا[2] ، وإن رأيتَ رأى أصحابنا ذلك ولّينا هذا الأمْر شيخَ الشيعة صاحبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذا السابقة والقَدَم سليمان ابن صُرَد المحمود فى بأسه ودينه ، والموثوق بحزمه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

قال : ثمّ تكلم عبد الله بن وال وعبد الله بن سعد ، فحَمِدا ربّهما وأثنَيا عليه ، وتكلما بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد ، فذكرا المسيَّب بن نجَبَة بفضله ، وذكرا سليمان بن صُرَد بسابقته ، ورضاهما بتوليَته ، فقال المسيّب ابن نجَبَة : أصبتم ووفقتم ، وأنا أرَى مِثلَ الذى رأيتم ، فولّوا أمرَكم سليمانَ ابنَ صُرَد .

---

(١) ف وابن الأثير : « وبدأت بأرشد الأمور » .

(٢) ابن الأثير : « محبوبًا » .

قال أبو مخنف : فحدّثت سليمانَ بن أبي راشد بهذا الحديث ، فقال : حدّثني حُميد بن مسلم ، قال : والله إنّي لَشاهدٌ بهذا اليوم، يوم ولّوا سليمان ابن صُرَد ، وإنّا يومئذ لأكثر من مائة رجل من فُرسان الشيعة ووجوهِهم في داره .

٢/٥٠٠ قال : فتكلّم سليمان بن صرد فشدّد ، وما زال يردّد ذلك القولَ في كل جمعة حتى حفظتُه ، بدأ فقال : أثني على الله خيراً ، وأحمد آلاءه وبلاءه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسوله ، أمّا بعد ، فإني والله لخائف ألّا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدتْ فيه المعيشة ، وعظُمت فيه الرّزية وشَمِل فيه الجورُ أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير ؛ إنا كنا نمدّ أعناقنا إلى قدوم آل نبيّنا ، ونمنّيهم النصرَ، ونحثّهم على القدوم ، فلما قدِموا ونَيْنا وعَجَزْنا ، وادّهنّا[1] ، وتربّصنا ، وانتظرنا ما يكون حتى قُتل فينا ولَدُ نبيّنا وسُلالتُه وعُصارتُه وبَضعةٌ من لحمه ودمه، إذ جعل يَستصرِخ فلا يُصرَخ، ويسأل النَّصف فلا يُعطاه، اتّخذه الفاسقون غَرَضًا للنَّبل، ودريّة للرّماح حتى أقصدوه ، وعدَوْا عليه فسلبوه . ألّا انهضوا فقد سخِط ربُّكم ، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله ، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَن قتله ، أو تُبيروا. ألّا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امروٌ قطّ إلا ذلّ ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيُّهم : ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾ ،[2] فما فعل القوم ؟ جثَوا على الرُّكب والله ، ومدّوا الأعناق ورضُوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذّنب إلاّ الصبر

٢/٥٠١ على القتل ، فكيف بكم لو قد دُعيتم إلى مثل ما دُعِي القوم اليه! اشحذوا[3] السيوف ، وركّبوا الأسنّة ، ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾[4] ، حتى تُدعوا حين تُدْعَون وتُستنفرون .

---

(١) ابن الأثير : « وأذهلنا » .
(٢) سورة البقرة : ٥٤
(٣) ابن الأثير : « أحدوا » .
(٤) سورة الأنفال ٦٠ .

قال : فقام خالد بن سعد بن نُفيل، فقال : أما أنا فوالله لو أعلم أنّ قتلى[1] نفسى يُخرِجنى من ذنبى ويُرضى ربّى لقتلتُها ؛ ولكن هذا أمر به قومٌ كانوا قبلنا ونُهينا عنه ، فأشهد اللهَ ومَن حضر من المسلمين أنّ كلّ ما أصبحت أملكه سوى سلاحى الذى أقاتل به عدوّى صدقةٌ على المسلمين ، أقوّيهم به على قتال القاسطين .

وقام أبو المعتمر حَنَش بن ربيعة الكِنانىّ فقال : وأنا أشهدكم على مثل ذلك .

فقال سليمان بن صُرَد : حَسْبُكم ؛ مَنْ أراد من هذا شيئًا فليأت بماله عبدَ الله بن وال التيمىّ تيم بكر بن وائل ، فإذا اجتمع عنده كلّ ما تريدون إخراجَه من أموالكم جهّزْنا به ذوى الخَلّة والمَسكَنة من أشياعكم .

قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن سليمان بن أبى راشد ، قال : فحدّثنا حُمَيد بن مسلم الأزدىّ أنّ سليمان بن صُرَد قال لخالد بن سعد بن نفيل حين قال له : والله لو علمت أنّ قتلى نفسى يُخرِجنى من ذنبى ويَرضَى عنى ربى لقتلتُها ، ولكنّ هذا أمر به قوم غيرُنا كانوا من قبلنا ونُهينا عنه ، قال : أخوكم هذا غدًا فَرِيسُ أوّل الأسنّة ؛ قال : فلما تصدّق بماله على المسلمين قال له : أبشر بجزيل ثواب الله للّذين لأنفُسِهم يَمهَدون .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحصين بن يزيد بن عبد الله بن سعد بن نُفيل ٢/٥٠٢ قال : أخذت كتابًا كان سليمان بن صُرَد كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليَمان بالمدائن ، فقرأتُه زمانَ ولىَ سليمان ، قال : فلما قرأتُه أعجبنى ، فتعلّمته فما نسيته ، كتب إليه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من سليمانَ بن صُرَد إلى سعد بن حذيفة ومَن قِبَله من المؤمنين . سلام عليكم ، أما بعد ؛ فإنّ الدنيا دارٌ قد أدبر منها ما كان معروفًا ، وأقبل منها ما كان مُنكَرًا ، وأصبحتْ قد تشنّأتْ إلى ذوى الألباب ، وأزمَع بالتّرحال منها عبادُ الله الأخيار ، وباعوا قليلاً من الدنيا

(١) ف : « قتل نفسى » .

لا يبقى بجزيل مثوبة عند الله لا تفنى . إنّ أولياءَ من إخوانكم ، وشيعة آل نبيّكم نظروا لأنفسهم فيما ابتُلوا به من أمر ابن بنت نبيّهم الذى دُعِىَ فأجاب ، ودعا فلم يجَب ، وأراد الرجعة فحُبِس ، وسأل الأمان فمُنع ، وترك الناسَ فلم يتركوه ، وعَدَوْا عليه فقتلوه ، ثم سلبوه وجرّدوه ظلمًا وعدوانًا وغرّةً بالله وجهلاً ، وبعين الله ما يعملون ، وإلى الله ما يرجعون ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ،[1] فلما نظر وا وإخوانكم وتدبّروا عواقبَ ما استقبلوا رأوا أن قد خطئوا بخذلان الزكىّ الطيّب وإسلامه وترك مواساته ، والنصر له خطأ كبيرًا ليس لهم منه مخرجٌ ولا توبة ، دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنَى على ذلك أرواحهم ؛ فقد جدّ إخوانكم فجدّوا ، وأعِدّوا واستعدّوا ، وقد ضربْنا لإخواننا أجلاً يوافوننا إليه ، وموطنًا يلقَوننا فيه ؛ فأما الأجل فغُرّةُ شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين ، وأمّا الموطن الذى يلقَوننا فيه فالنُّخَيلة. ٥٠٣/٢

أنتم الذين لم تزالوا لنا شيعة وإخوانًا ، وإلا وقد رأينا أن ندعوَكم إلى هذا الأمر الذى أراد الله به إخوانكم فيما يزعمون ، ويُظهرون لنا أنهم يتوبون ، وإنكم جُدَرَاءُ بتطْلاب الفضل ، والتماس الأجر ، والتوبة إلى ربّكم من الذنب ، ولو كان فى ذلك حزُّ الرقاب ، وقتلُ الأولاد ، واستيفاء الأموال ، وهلاك العشائر ؛ ما ضرّ أهلَ عذراء الذين قُتِلوا ألّا يكونوا اليوم أحياءً عند ربّهم يُرزَقون ، شهداء قد لقُوا الله صابرين محتسبين ، فأثابهم ثوابَ الصابرين — يعنى حُجراً وأصحابه — وما ضرّ إخوانكم المقتَّلين صبْرًا ، المصلَّبين ظلمًا ، والممثَّل بهم ، المعتدَى عليهم ، ألّا يكونوا أحياء مبتليْن بخطاياكم ، قد خِيرَ لهم فلقوا ربهم ، ووفّاهم الله إن شاء الله أجرهم ، فاصبروا رحمكم الله على البأساء والضرّاء وحينَ البأس ، وتوبوا إلى الله عن قريب ؛ فوالله إنكم لأحرياء ألّا يكون أحدٌ من إخوانكم صبر على شىء من البلاء إرادة ثوابه إلا صبرتم التماسَ الأجر فيه على مثله ، ولا يطلب رضاءَ الله طالبٌ بشىء من الأشياء ولو أنه القتلُ إلا طلبتم رضا الله به . إنّ التقوى أفضلُ الزاد فى الدنيا ، وما سوى ذلك يبور ويفنَى ، فلتعزِف عنها أنفسُكم ، ولتكن رغبتُكم فى دارِ عافيتكم ، وجهادِ عدوّ الله وعدوّكم ، وعدوّ أهل بيت نبيّكم

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٧ .

حتّى تقدموا على الله تائبين راغبين ، أحيانا الله وإياكم حياة طيّبة ، وأجارنا ٢/٥٠٤ وإيّاكم من النار، وجعل منايانا قتلًا فى سبيله على يدىْ أبغض خلقه إليه وأشدّهم عداوةً له ؛ إنه القدير على ما يشاء ، والصانع لأوليائه فى الأشياء ؛ والسلام عليكم .

قال : وكتب ابن صُرَد الكتاب وبعثَ به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان مع عبد الله بن مالك الطائىّ ، فبعث به سعد حين قرأ كتابه إلى مَن كان بالمدائن من الشيعة ، وكان بها أقوامٌ من أهل الكوفة قد أعجبتهم فأوطنوها وهم يقدمون الكوفة فى كلّ حينِ عطاءٍ ورزْق ، فيأخذون حقوقَهم ، وينصرفون إلى أوطانهم ، فقرأ عليهم سعد كتابَ سليمان بن صرد . ثمّ إنه حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أما بعد ، فإنكم قد كنتم مجتمعين مُزْمِعين على نصر الحسين وقتال عدوّه ، فلم يفْجأكم أوّلُ من قتله ، والله مثيبكم على حُسن النيّة وما أجمعتم عليه من النصر أحسنَ المثوبة ، وقد بعثَ إليكم إخوانُكم يستنجدونكم ويستمدّونكم ، ويدعونكم إلى الحقّ وإلى ما ترجون لكم به عندالله أفضلَ الأجر والحظّ ، فماذا ترون ؟ وماذا تقولون ؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبهم ونقاتلُ معهم ، ورأينا فى ذلك مثل رأيهم .

فقام عبد الله بن الحنظل الطائىّ ثم الحزْمِرىّ ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنا قد أجبنا إخواننَا إلى ما دعونا إليه ، وقد رأيْنا مثلَ الذى قد رَأوْا ، فسرّحْنى إليهم فى الخيل ، فقال له : رويداً ، لا تعجلْ ، استعدّوا للعدّو ، وأعدّوا له الحرب ، ثمّ نسير وتسيرون .

وكتب سعد بن حذيفة بن اليمَانِ إلى سليمانَ بن صُرَد مع عبد الله بن مالك الطائىّ :

بسم الله الرّحمن الرّحيم . إلى سليمان بن صرد ، من سعد بن حذيفة ٢/٥٠٥ ومن قبَله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابَك ، وفهمنا الذى دعوْتَنا إليه من الأمر الذى عليه رأىُ الملإ من إخوانك ، فقد هُديتَ لحظك ، ويُسِّرتَ لرُشدك ، ونحن جادّون مجدّون ، معدّون مُسرِجون مُلْجِمون ننتظر الأمر ، ونستمع الداعى ؛ فإذا جاء الصَّريخ أقبلْنا ولم نُعرِّج إن شاء الله ؛ والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صُرَد قرأه على أصحابه ، فسُرّوا بذلك .

قالوا : وكتب إلى المثنّى بن مخرِّبة العبدىّ نسخة الكتاب الذى كان كتب به إلى سعد بن حذيفة بن اليمان وبعث به مع ظَبْيان بن عُمارة التميمىّ من بنى سعد ، فكتب إليه المثنّى : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدوا رأيك ، واستجابوا لك ، فنحن موافُوك إن شاء الله للأجل الذى ضربت وفى الموطن الذى ذكرت ؛ والسلام عليك . وكتب فى أسفل كتابه :

تبَصَّرْ كأنّى قد أتيتُك مُعْلِماً ... على أَتْلِع الهادى أجَشّ هَزِيمِ

طويلِ القَرَا نَهْدِ الشَّوَاةِ مقَلّصٍ ... مُلِحٍّ على فأْسِ اللجام أَزُومِ

بكلّ فتًى لا يملأُ الرَّوْع نَحرَه ... مُحِسٍّ لِعَضّ الحربِ غيرِ سئُومِ

أخى ثقةٍ يَنوى الإلهَ بسَعْيِهِ ... ضَرُوبٍ بِنَصلِ السيفِ غيرِ أثيمِ

٢/٥٠٦ قال أبو مخنف لوط بن يحيى ، عن الحارث بن حَصِيرة ، عن عبد الله بن سعد بن نفيل ، قال : كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهى السنة التى قُتِلَ فيها الحسين رضى الله عنه ، فلم يزل القومُ فى جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ، ودعاء الناس فى السرّ من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين ، فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والنَّفَر بعد النَّفر .

فلم يزالوا كذلك وفى ذلك حتى مات يزيدُ بنُ معاوية يومَ الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيدَ بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام ، وهلك يزيدُ وأمير العراق عبيدُ الله بن زياد ، وهو بالبصرة ، وخليفته بالكوفة عمرو بن حُرَيث المخزومىّ ، فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة ، فقالوا : قد مات هذا الطاغية ، والأمر الآن ضعيف ، فإن شئت وثَبنا على عمرو بن حريث فأخرجْناه من القصر ، ثمّ أظهرنا الطلبَ بدم الحسين ، وتتبّعنا قَتَلَتَه ، ودعوْنا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثَر عليهم ، المدفوعين عن حقهم ، فقالوا فى ذلك فأكثروا ؛ فقال لهم سليمان بن صُرَد : رُويداً ، لا تعجلوا ، إنى قد نظرت فيما تذكرون ، فرأيت أنّ قَتَلَةَ الحسين هم أشراف أهل الكوفة ، وفُرسان العرب وهم المطالَبون بدمه ، ومتى علموا ما تريدون ، وعلموا أنهم المطلوبون ، كانوا

أشدّ عليكم . ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرَهم ، ولم يَشفُوا أنفسَهم ، ولم ينكوا في عدوّهم ، وكانوا لهم جَزَرًا ، ولكن بُثّوا ٢/٥٠٧ دُعاتكم في المصر ، فادعوا إلى أمركم هذا ، شيعتَكم وغيرَ شيعتكم ، فإني أرجو أن يكون الناس اليومَ حيث هلك هذا الطاغية أسرعَ إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه . ففعلوا ؛ وخرجتْ طائفة منهم دُعاةٌ يدعون الناسَ ، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعافُ مَن كان استجاب لهم قبل ذلك .

قال هشام : قال أبو مخنف : وحدّثنا الحصين بن يزيدَ ، عن رجل من مُزَينة قال : ما رأيتُ من هذه الأمة أحدًا كان أبلغَ من عبيد الله بن عبد الله المرّيّ في مَنطِق ولا عظة ، وكان من دُعاة أهل المصر زمانَ سليمان بن صُرَد ، وكان إذا اجتمعت إليه جماعةٌ من الناس فوعظهم بدأ بحَمْد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يقول : أما بعد ، فإنّ الله اصطفى محمدًا صلى الله عليه وسلم على خلقه بنبوّته ، وخصّه بالفضل كلّه ، وأعزّكم باتباعه وأكرمكم بالإيمان به ، فحقَن به دماءكم المسفوكة ، وأمّن به سُبُلَكم المَخُوفة ، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١) . فهل خلق ربكم في الأوّلين والآخرين أعظم حقًّا على هذه الأمة من نبيها ؟ وهل ذرّية أحد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقًّا على هذه الأمة من ذرية رسولها ؟ لا والله ، ما كان ولا يكون . لله أنتم ! ألمْ ترَوْا ويبلغكم ما اجترِم إلى ابن بنت نبيّكم ! أما رأيتم إلى انتهاك القوم حُرمتَه ، واستضعافهم وَحدَته ، وترميلهم إيّاه بالدّم ، وتجرارهموه على الأرض ! ٢/٥٠٨ لم يرقُبوا فيه ربّهم ولا قرابتَه من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ اتّخذوه للنبل غرضًا ، وغادروه للضِّباع جَزَرًا ، فلِلّه عينًا من رأى مثلَه ! ولله حسين بن عليّ ، ماذا غادروا به ذا صِدْق وصَبْر ، وذا أمانة ونجدة وحزم ! ابنُ أوّل المسلمين إسلامًا ، وابن بنت رسول ربّ العالمين ، قلّت حُماته ، وكثرت عُداته حولَه ، فقتلَه عدوُّه ، وخذلَه وليُّه . فويل للقاتل ، وملامة

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

للخاذل ! إنّ الله لم يجعل لقاتله حُجّة، ولا لخاذله مَعْذرةً ، إلاّ أن يناصح لله فى التوبة ، فيجاهد القاتلين ، وينابذَ القاسطين ؛ فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ، ويُقيل العثرة ؛ إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، والطلب بدماء أهل بيته ، وإلى جهاد المُحلّين والمارقين ، فإن قُتلنا فما عند الله خيرٌ للأبرار ، وإن ظَهرنا رددْنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا .

قال : وكان يعيد هذا الكلامَ علينا فى كلّ يوم حتى حفظه عامّتنا . قال : ووثب الناس على عمرو بن حُريث عند هلاك يزيدَ بن معاوية ، فأخرجوه من القصر ، واصطلحوا على عامر بن مسعود بن أميّة بن خلف الجُمَحيّ . وهو دُحْرُوجة الجُعَل الذى قال له ابنُ همّام السَّلُوليّ :

اشددْ يديْك بزيدٍ إنْ ظفرْتَ بهِ واشفِ الأراملَ من دُحْرُوجَةِ الجُعَلِ[1]

وكان كأنه إبهامٌ قِصَراً ، وزيد مولاه وخازنُه ، فكان يصلّى بالناس. وبايع لابن الزبير ،ولم يزل أصحاب سليمانَ بن صُرَد يدعون شعيتهم وغيرهم من أهل مصرهم حتى كثُر تبعهم ، وكان الناس إلى اتباعهم بعد هلاك يزيدَ ابن معاوية أسرعَ منهم قبل ذلك ، فلما مضت ستّة أشهر من هلاك يزيدَ ابن معاوية ، قدم المختارُ بن أبى عُبَيد الكوفة ، فقدم فى النصف من شهر رمضان يومَ الجمعة . قال : وقَدِم عبد الله بن يزيد الأنصاريّ ثمّ الخطميّ مِن قِبَل عبد الله بن الزبير أميرًا على الكوفة على حربها وثَغرها ، وقدم معه من قِبَل ابن الزبير إبراهيمُ بن محمد بن طلحة بن عبيد الله الأعرج أميرًا على خَراج الكوفة ، وكان قدوم عبد الله بن يزيدَ الأنصاريّ ثمّ الخطميّ يومَ الجمعة لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين .

٥٠٩/٢

قال : وقدم المختار قبل عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بثمانية أيام، ودخل المختار الكوفة ، وقد اجتمعت رءوس الشيعة ووجوهها مع سليمان بن صُرَد فليس يَعدِلونه به ، فكان المختار إذا دعاهم إلى نفسه[2] وإلى الطلب بدم الحسين قالت له الشيعة : هذا سليمان بن صُرَد شيخ الشيعة ، قد انقادوا له واجتمعوا

(١) فى اللسان : « الدحروجة : ما يدحرجه الجعل من البنادق » .
(٢) ف : « لنفسه » .

عليه ، فأخذ يقول للشيعة : إني قد جئتكم (١ من قِبل المهديّ محمد بن عليّ ابنِ الحنفيّة ١) مؤتمَنًا مأمونًا ، منتجَبًا ووزيراً ، فوالله ما زال بالشّيعة حتى انشعبت إليه طائفةٌ تُعَظِّمُه وتجيبه ، وتنتظر أمره ، وعَظُمُ الشّيعةِ مع سليمانَ ابن صُرَد ، فسليمان أثقل خلق الله على المختار .

وكان المختار يقول لأصحابه : أتدرون ما يريد هذا ؟ يعني سليمان بن صُرَد — إنما يريد أن يخرج فيقتل نفسه ويقتلكم ، ليس له بصرٌ بالحروب ، ولا له ٢/٥١٠ علمٌ بها .

قال : وأتى يزيد بن الحارث بن يزيدَ بن رُوَيْم الشيبانيّ عبدَ الله بن يزيد الأنصاريّ فقال : إنّ الناس يتحدّثون أنّ هذه الشيعة خارجةٌ عليك مع ابن صُرَد ، ومنهم طائفة أخرى مع المختار ، وهي أقلّ الطائفتين عدداً ، والمختار فيما يذكر الناس لا يريد أن يخرج حتى ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمانَ بن صُرَد ، وقد اجتمع له أمره ، وهو خارج من أيّامه هذه ، فإن رأيت أن تَجمعَ الشُّرَط والمقاتلةَ ووجوه الناس ، ثمّ تنهض إليهم ، وننهض معك ، فإذا دفعت إلى منزله دعوتَه ، فإن أجابك فحَسْبُه ، وإنْ قاتلك قاتلتَه ، وقد جمعتُ له وعبّأت وهو مغترّ ، فإني أخاف عليك إن هو بدأك وأقررته حتى يخرج عليك أن تشتدّ شوكتُه ، وأن يتفاقم أمرُه .

فقال عبدالله بن يزيد : اللهُ بيننا وبينهم ، إنْ همقاتلَونا قتلناهم ، وإن تركونا لم نطلبهم ، حدّثْني ما يريد الناس ؟ قال : يذكر الناس أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ؛ قال : فأنا قتلتُ الحسين ! لعن اللهُ قاتلَ الحسين ! قال : وكان سليمان بن صُرَد وأصحابه يريدون أن يثبوا بالكُوفة ، فخرج عبد الله بن يزيد حتى صَعِد المنبرَ ، ثم قام في الناس فحَمِد الله وأثنَى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فقد بلغني أنّ طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا ، فسألتُ عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو ؟ فقيل لي : زعموا أنهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، فرحم الله هؤلاء القوم ، قد ٢/٥١١ والله دُلِلتُ على أماكنهم ، وأمِرت بأخذهم ، وقيل : ابدأهم قبل

(١ — ١) ف وابن الأثير : « من عند محمد بن الحنفية المهدى » .

أن يبدءوك ، فأبيت ذلك ، فقلت : إنْ قاتلوني قاتلتُهم ، وإن تركوني لم أطلبهم ؛ وعلامَ يقاتلونني! فوالله ما أنا قتلتُ حسيناً ، ولا أنا ممن قاتَله ، ولقد أُصِبْت بمقتله رحمة الله عليه ! فإن هؤلاء القومَ آمنون ، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى مَنْ قاتل الحسين ، فقد أقبل إليهم ، وأنا لَهم على قاتله ظَهير ؛ هذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأماثلكم ، قد توجّه إليكم ؛عَهْدُ العاهد به على مسيرة ليلة من جسر مَنبِج ، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشَد من أن تجعلوا بأسكم بينكم ، فيقتل بعضُكم بعضاً ، ويسفك بعضُكم دماءَ بعض ، فيلقاكم ذلك العدوّ غداً وقد رققتم ، وتلك والله أمنيّة عدوّكم ،وإنه قد أقبل إليكم أعدى خلق الله لكم ،مَن وُلّي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يُقلِعان عن قتل أهل العفاف والدّين ، هو الذى قتلكم ، ومن قِبَله أُتيتم ، والذى قتل مَنْ تثأرون بدمه ، قد جاءكم فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم ، واجعلوها به ، ولا تجعلوها بأنفسكم ؛ إنى لم آلُكُم نصحاً ، جمع الله لنا كلمتَنا ، وأصلح لنا أئمّتنا !

قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : أيُّها الناس ، لا يغرّنّكم من السيف والغشم مقالةُ هذا المُداهِن المُوادِع ؛والله لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه ، ولئن استقينا أن قوماً يريدون الخروجَ علينا لنأخذنّ الوالد بولده ، والمولودَ بوالده ، ولنأخذنّ الحميم بالحميم ، والعريف بما فى عرافته حتى يَدِينوا[١] للحقّ ، ويذلّوا[٢] للطاعة . فوثب إليه المسيِّب بن نَجَبة فقطع عليه مَنطقه ثم قال : يابن الناكثين[٣] ، أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك ! أنت والله أذلّ من ذلك ؛ إنا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدّك ، والله إنى لأرجو ألا يخرجك الله من بينْ ظهرانيْ أهل هذا المصرحتى يثلّثوا بك جدّك وأباك ، وأمّا أنت أيها الأمير فقد قلتَ قولا سديداً ، وإنى والله لأظنّ مَن يريد هذا الأمر مستنصِحاً لك ، وقابلاً قولَك . ٥١٢/٢

فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة : إى والله ، ليقتلنّ وقد أدهن ثمّ أعلن.

(١) ف : « حتى تدينوا » . (٢) ابن الأثير : « يذللوا » .
(٣) ف : « أيابن الناكثيه » .

فقام إليه عبد الله بن وال التيميّ، فقال: ما اعتراضُك يا أخا بنى تيم بن مرّة فيما بيننا وبين أميرنا! فوالله ما أنت علينا بأمير، ولا لَكَ علينا سلطان، إنما أنت أميرُ الجِزْية، فأقبِل على خراجِك، فلعَمر الله لئن كنت مفسدًا ما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدّك الناكثان، فكانت بهما اليدان، وكانت عليهما دائرة السَّوْء.

قال: ثم أقبل مسيّب بن نَجَبَة وعبد الله بن وال على عبد الله بن يزيد فقالا: أمّا رأيك أيها الأمير فوالله إنا لنرجو أن تكون به عند العامّة محمودًا وأن تكون عند الذى عَنَيْتَ واعتريت مقبولا. فغضب أناسٌ من عمال إبراهيمَ بن محمد بن طلحة وجماعة ممن كان معه، فتشاتموا دونه، فشتَمهم الناس وخَصَموهم. ٢/٥١٣

فلما سمع ذلك عبد الله بن يزيد نزل ودخل، وانطلق إبراهيم بن محمد وهو يقول: قد داهن عبد الله بن يزيد أهلَ الكوفة، والله لأكتبنّ بذلك إلى عبد الله بن الزبير، فأتى شَبَث بن رِبعيّ التميميّ عبدَ الله بن يزيد فأخبره بذلك، فركب به وبيزيد بن الحارث بن رُوَيم حتى دخل على إبراهيم بن محمد بن طلحة، فحلف له بالله ما أردت بالقول الذى سمعتَ إلا العافية وصلاحَ ذات البين، إنما أتانى يزيد بن الحارث بكذا وكذا، فرأيتُ أن أقوم فيهم بما سمعتَ إرادةَ ألّا تختلف الكلمة، ولا تتفرّق الألفة، وألّا يقع بأس هؤلاء القوم بينهم. فعذَرَه وقَبِل منه.

قال: ثمّ إنّ أصحاب سليمان بن صُرَد خرجوا ينشرون السلاح ظاهرين، ويتجهّزون يجاهرون بجهازهم وما يُصلِحهم.

* * *

[ذكر الخبر عن فراق الخوارج عبد الله بن الزبير]

وفى هذه السنة فارق عبد الله بن الزبير الخوارجُ الذين كانوا قَدِموا عليه مكة، فقاتلوا معه حصين بن نمير السَّكونىّ، فصاروا إلى البصرة، ثمّ افترقت كلمتُهم فصاروا أحزابًا.

ذكر الخبر عن فراقهم ابن الزبير والسبب الذى من أجله فارقوه والذى من أجله افترقتْ كلمتهم :

٢/٥١٤ حُدّثت عن هشام بن محمد الكلبىّ ، عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال : حدّثنى أبو المخارق الراسبىّ ، قال : لما ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبى بلال ما ركِب ، وقد كان قبل ذلك لا يكفّ عنهم ولا يستبقيهم غير أنه بعد قتل أبى بلال تجرّد لاستئصالهم وهلاكِهم ، واجتمعت الخوارجُ حين ثار ابن الزبير بمكّة، وسار إليه أهلُ الشأم ، فتذاكروا ما أتَى إليهم ، فقال لهم نافع بن الأزرق : إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب ، وفَرَض عليكم فيه الجهاد ، واحتجّ عليكم بالبيان ، وقد جرّد فيكم السيوفَ أهلُ الظلم وأولو العدَا والغَشْم ، وهذا من قد ثار بمكة ، فاخرجوا بنا نأتِ البيت ونَلْقَ هذا الرّجل ، فإن يكن على رأينا جاهدْنا معه العدوّ ، وإن يكن على غير رأينا دافعْنا عن البيت ما استطعنا ، ونظرنا بعد ذلك فى أمورنا. فخرجوا حتّى قدموا على عبد الله ابن الزبير ، فسُرّ بمَقدَمهم ، ونبّأهم أنه على رأيهم ، وأعطاهم الرّضا من غير توقُّف ولا تفتيش ؛ فقاتلوا معه حتّى مات يزيد بن معاوية ، وانصرف أهل الشأم عن مكة . ثمّ إنّ القوم لَقِىَ بعضهم بعضًا ، فقالوا : إنّ هذا الذى صنعتم أمسِ بغير[1] رأى ولا صواب من الأمر ، تقاتلون مع رجل لا تدرون لعلّه ليس على رأيكم ، إنما كان أمسِ يقاتلكم هو وأبوه ينادى : يالَ ثارات عثمان! فأتوه وسَلُوه عن عثمان ، فإنْ برِئَ منه كان وليّكم ، وإن أبَى كان عدوّكم . فمشَوا نحوَه فقالوا له : أيها الإنسان ، إنا قد قاتلنا معك ، ولم نُفتّشْك عن

٢/٥١٥ رأيك حتّى نعلم أمِنّا أنت أم من عدوّنا ! خبّرنا ما مقالتُك فى عثمان ؟ فنظر فإذا مَن حوله من أصحابه قليلٌ ، فقال لهم : إنكم أتيتمونى فصادفتمونى حين أردتُ القيام ، ولكنْ رُوحوا إلىّ العشيّة حتّى أعلمكم من ذلك الذى تريدون . فانصرفوا ، وبعث إلى أصحابه فقال : البسوا السلاح ، واحضُرونى بأجمعكم العشيّة ، ففعلوا، وجاءت الخوارج ، وقد أقام أصحابه حولَه سِماطَيْن عليهم

(١) ابن الأثير : « لغير رأى » .

السلاحُ، وقامت جماعةٌ منهم عظيمة على رأسه بأيديهم الأعمدة[١]، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشىَ الرجل غائلتَكم، وقد أزمع بخلافكم[٢] واستعدّ لكم؛ ما تَرَوْن؟

فدنا منه ابن الأزرق، فقال له: يابن الزبير، اتّق الله ربّك، وأبْغِض الخائن المستأثر، وعادِ أوّل من سنّ الضلالة، وأحدث الأحداث، وخالفَ حُكمَ الكتاب، فإنك إن تفعل ذلك تُرضِ ربّك، وتُنْجِ من العذاب الأليم نفسَك، وإن تركتَ ذلك فأنت من الذين استمتَعوا بخَلاقِهم، وأذهبوا فى الحياة الدنيا طيّباتِهم.

يا عبيدة بن هلال، صِف لهذا الإنسان ومن معه أمْرَنا الذى نحن عليه، والذى ندعو الناس إليه، فتقدّم عبيدة بن هلال.

قال هشام: قال أبو مخنف: وحدّثنى أبو علقمة الخثعمىّ، عن قبيصة[٣] بن عبد الرحمن القحافىّ، من خثعم، قال: أنا والله شاهدٌ عبيدة بن هلال، إذ تقدّم فتكلّم، فما سمعت ناطقًا قطّ ينطق كان أبلغَ ولا أصوبَ قولاً منه، وكان يرى رأىَ الخوارج.

قال: وإن كان لَيَجمع القولَ الكثير، فى المعنى الخطير، فى اللفظ اليسير.

قال: فحَمِد الله وأثنىَ عليه ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم يدعُو إلى عبادة الله، وإخلاص الدّين، فدعا إلى ذلك، فأجابه المسلمون، فعمِل فيهم بكِتاب الله وأمرِهِ، حتى قبضه الله إليه صلى الله عليه، واستخلف الناس أبا بكر، واستخلف أبو بكر عُمَر، فكلاهما عمل بالكتاب وسنّة رسول الله، فالحمد لله ربّ العالمين. ثمّ إنّ الناس استخلفوا عثمانَ بنَ عفان، فحمى الأحماءَ، وآثر القُربَى، واستعمل الفتى[٤] ورفع الدِّرّة، ووضع السَّوْط، ومزّق الكتاب، وحقّر المسلم

٢/٥١٦

(١) ابن الأثير: «العمد».
(٢) ابن الأثير: «خلافكم».
(٣) ط: «عن أبى قبيصة»، والصواب ما أثبت.
(٤) ابن الأثير: «الغنى».

وضرب منكرى[1] الجوْر، وآوى طريدَ الرسول صلى الله عليه، وضرب السابقين بالفضل، وسيَّرهم وحرَمهم، ثم أخذ فىءَ الله الذى أفاءه عليهم فقسَمه بين فُسّاق قريش، ومُجّان العرب، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين أخذ الله ميثاقَهم على طاعته، لا يُبالون فى الله لومةَ لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولياءُ، ومن ابن عفان وأوليائه برآء، فما تقول أنت يابن الزبير؟ قال: فحمِد الله ابنُ الزبير وأثنى عليه ثمّ قال: أما بعد، فقد فهمتُ الذى ذكرتم، وذكرتُ به النبىّ صلى الله عليه وسلم، فهو كما قلت صلى الله عليه وفوق ما وصفته، وفهمت ما ذكرت به أبا بكر وعمر، وقد وُفِّقتَ وأصبت، وقد فهمتُ الذى ذكرتَ به عثمان بن عفان رحمة الله عليه، وإنى لا أعلم مكانَ أحد من خلق الله اليومَ أعلمَ بابن عفان وأمره منّى، كنتُ معه حيث نقم القوم عليه، واستعتبوه فلم يَدعْ شيئًا استعتَبَه القوم فيه إلا أعتبهم منه. ثم إنهم رجعوا إليه بكتاب له يزعمون أنه كتبه فيهم، يأمر فيه بقتلهم فقال لهم: ما كتبتُه، فإن شئتم فهاتوا بيّنتكم؛ فإن لم تكن حلفتُ لكم؛ فوالله ما جاءوه ببيّنة، ولا استحلفوه. ووثبوا عليه فقتلوه، وقد سمعت ما عبتَه به، فليس كذلك، بل هو لكل خيرٍ أهل، وأنا أشهدكم ومن حضر[2] أنى ولىٌّ لابن عفّان فى الدنيا والآخرة، وولىّ أوليائه، وعدوّ أعدائه، قالوا: فبرئ اللهُ منك يا عدوّ الله؛ قال: فبرئ الله منكم يا أعداءَ الله. ٢/٥١٧

وتفرّق القوم، فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلىّ، وعبد الله بن صَفّار السعدىّ من بنى صَرِيم بن مقاعس، وعبد الله بن إباض أيضًا من بنى صريم، وحنظلة بن بَيْهس، وبنو الماحوز: عبد الله، وعبيد الله، والزبير، من بنى سَليط ابن يربوع، حتى أتوا البصرة، وانطلق أبو طالوتَ من بنى زِمّان بن مالك بن صعب بن علىّ بن مالك بن بكر بن وائل وعبد الله بن ثور أبو فُدَيْك من بنى قيس بن ثعلبة وعطيّة بن الأسود اليشكرىّ إلى اليمامة، فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت، ثمّ أجمعوا بعد ذلك على نجدة ابن عامر الحنفىّ، فأما البَصريّون

(١) ابن الأثير: «منكر الجود».

(٢) ابن الأثير: «حضرنى».

منهم فإنهم قدِموا البصرة وهم مُجمِعون على رأى أبى بلال .

قال هشام : قال أبو مخنف لوط بن يحيى : فحدّثنى أبو المثنّى ، عن رجل من إخوانه من أهل البصرة ، أنهم اجتمعوا فقالت العامّة منهم : لو خرج منّا خارجون فى سبيل الله ، فقد كانت منّا فترة منذ خرج أصحابُنا ، فيقوم علماؤنا فى الأرض فيكونون مصابيحَ الناس يدعونهم إلى الدّين ، ويخرج أهلُ الورَع والاجتهاد فيلحقون بالربّ ، فيكونون شُهَداءَ مرزوقين عند الله أحياء .

فانتدب لها نافع بن الأزرق ، فاعتقد على ثلثمائة رجل ، فخرج ، وذلك عند وثوب الناس بعبيد الله بن زياد ، وكَسْر الخوارج أبوابَ السجون وخروجهم منها ، واشتغل الناس بقتال الأزْد وربيعة وبنى تميم وقيس فى دم مسعود بن عمرو ، فاغتنمت الخوارج اشتغالَ الناس بعضهم ببعض ، فتهيّئوا واجتمعوا ، فلما خرج نافع بن الأزرق تبعوه ، واصطلح أهلُ البَصرة على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب يصلّى بهم ، وخرج ابن زياد إلى الشأم ، واصطلحت الأزْد وبنو تميم ، فتجرّد الناس للخوارج ، فاتبعوهم وأخافوهم حتى خرج من بقى منهم بالبصرة ، فلَحق بابن الأزرق ، إلا قليلا منهم ممن لم يكن أراد الخروج يومه ذلك ، منهم عبدُالله بن صَفّار ، وعبدُالله ابن إباض ، ورجالٌ معهما على رأيهما . ونظر نافع بن الأزرق ورأى أنّ ولايةَ من تخلّف عنه لا تنبغى ، وأنّ من تخلّف عنه لا نجاةَ له ، فقال لأصحابه : إنّ الله قد أكرمكم بمَخرَجكم ، وبصّركم ما عَمِىَ عنه غيرُكم ؛ ألستم تعلمون أنكم إنما خرجتم تطلبون شريعته وأمرَه ! فأمرُه لكم قائد ، والكتاب لكم إمام ، وإنما تتبعون سُنَنَه وأثره ، فقالوا : بلى ؛ فقال : أليس حكمُكم فى وليّكم حكم النبىّ صلى الله عليه وسلم فى وليّه ، وحكمُكم فى عدوّكم حكم النبىّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى عدوّه ، وعدوّكم اليومَ عدوّ الله وعدوّ النبىّ صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما أنّ عدوّ النبىّ صلى الله عليه وسلّم يومئذ هو عدوّ الله وعدوّكم اليوم ! فقالوا : نعم ؛ قال : فقد أنزل الله تبارك وتعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ ٱللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] .

٢/٥١٨

(١) سورة التوبة : ١ .

وقال : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[1] ، فقد حرّم الله ولايتَهم ، والمُقامَ بين أظهُرِهم ، وإجازةَ شهادتهم ، وأكلَ ذبائحهم ٢/٥١٩ وقبول علم الدّين عنهم ، ومناكحتهم ، ومواريثهم ، وقد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا ، وحق علينا أن نُعلِّم هذا الدّينَ الذين خرجْنا من عندهم ، ولا نكتم ما أنزل الله ، والله عزّ وجلّ يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[2] ، فاستجاب له إلى هذا الرأيِ جميعُ أصحابه .

فكتب : من عُبيد الله نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن صفّار وعبد الله ابن إباض ومن قِبلَهما من الناس . سلامٌ على أهل طاعة الله من عباد الله ، فإنّ من الأمر كيتَ وكيتَ ؛ فقصّ هذه القصّة ، ووصف هذه الصفة ، ثمّ بعث بالكتاب إليهما . فأتِيَا به ، فقرأه عبد الله بن صفّار ، فأخذه فوضعه خلفه ، فلم يقرأه على الناس خشيةَ أن يتفرّقوا ويختلفوا ، فقال له عبدُ الله بن إباض : ما لَكَ لله أبوك ! أيَّ شيء أصبْتَ ! أأن قد أصيب إخواننا ، أو أسِر بعضهم ! فدفع الكتابَ إليه ، فقرأه ، فقال : قاتله الله ! ، أيّ رأى رَأى ! صدَق نافع ابن الأزرق ، لو كان القوم مشركين كان أصوبَ الناس رأياً وحُكماً فيما يشير به ، وكانت سيرتُه كسيرة النبيّ صلى الله عليه وسلم فى المشركين ، ولكنه قد كذَب وكذَّبَنا فيما يقول ، إنّ القوم كفار بالنعَم والأحكام ، وهم بُرآء من الشِّرْك ، ولا تَحلّ لنا إلا دماؤهم ، وما سِوَى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام ؛ فقال ابن صفّار : برئ اللهُ منك ، فقد قصّرت ، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، برئ الله منكما جميعاً ؛ وقال الآخر : ٢/٥٢٠ فبرئ الله منك ومنه .

وتفرّق القوم ، واشتدّت شوكة ابن الأزرق ، وكثرت جُمُوعه[3] ، وأقبل

---

(١) سورة البقرة: ٢٢١ .

(٢) سورة البقرة: ١٥٩ .

(٣) بعدها فى ابن الأثير : « وأقام بالأهواز يجبي الخراج ويتقوّى به » .

نحوَ البصرة حتى دنا من الجسر ، فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عُبيس[١] بن كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل البصرة .

* * *

[ذكر الخبر عن مقدم المختار بن أبى عبيد الكوفة]

قال أبو جعفر : وفى النصف من شهر رمضان من هذه السنة كان مَقدَم المختار بن أبى عُبَيد الكوفة .

* ذكر الخبر عن سبب مقدمه إليها :

قال هشام بن محمد الكلبىّ : قال أبو مخنف : قال النضر بن صالح : كانت الشيعة تَشتُم المختار وتُعتبه[٢] لما كان منه فى أمر الحسن بن علىّ يوم طُعن فى مُظلِم ساباط ، فحُمل إلى أبيَض المدائن ، حتى إذا كان زمنَ الحسين ، وبعث الحسينُ مسلمَ بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دارَ المختار ، وهى اليوم دارُ سَلْم بن المسيّب ، فبايعه المختار بن أبى عُبيد فيمن بايعه من أهل الكوفة ، وناصَحه ودعا إليه من أطاعه ، حتى خرج ابن عقيل يوم خرج والمختار فى قرية له بخُطَرْنيَة تُدعَى لقفا ، فجاءَه خبرُ ابن عقيل عند الظهر أنه قد ظهر بالكوفة ، فلم يكن خروجُه يومَ خرج على ميعاد من أصحابه ، إنما خرج حين قيل له : إنّ هانئ بن عروة المرادىّ قد ضُرِبَ وحُبِس ، فأقبل المختار فى موالٍ له[٣] حتى انتهى إلى باب الفيل بعد الغروب ، وقد عَقَد عبيد الله بن زياد لعمرو بن حُريث راية على جميع الناس ، وأمره أن يقعد لهم فى المسجد ، فلما كان المختار وقف على باب الفيل مرّ به هانئ بن أبى حيّة[٤] الوادعىّ ، فقال للمختار : ما وقوفُك ها هنا لا أنت مع الناس ، ولا

٢ / ٥٢١

---

(١) ضبطه ابن الأثير بالعين المهملة المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالسين المهملة.

(٢) ابن الأثير : « وتعيبه » .

(٣) ابن الأثير : « حواليه » .

(٤) ابن الأثير : « هانئ بن جبة » .

أنت فى رَحْلك ؛ قال : أصبح رأيى مرتجًّا لعُظْم خطيئتكم ؛ فقال له : أظنك والله قاتلًا نفسك ، ثمّ دخل على عمرو بن حُريث فأخبره بما قال للمختار وما ردّ عليه المختار .

قال أبو مخنف : فأخبرَنى النضر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن أبى عمير الثّقفىّ ؛ قال : كنت جالسًا عند عمرو بن حريث حين بلّغه هانئ بن أبى حيّة عن المختار هذه المقالة ، فقال لى : قم إلى ابن عمك فأخبره أن صاحبه لا يدرى أين هو ! فلا يجعلنّ على نفسه سبيلا ، فقمت لآتيه ، ووثب إليه زائدة بن قدامة بن مسعود ، فقال له : يأتيك على أنه آمن ؟ فقال له عمرو بن حُرَيث : أمّا منّى فهو آمن ، وإن رُقّى إلى الأمير عبيدالله بن زياد شىء من أمره أقمتُ له بمحضره الشهادة ، وشفَعت له أحسنَ الشفاعة ، فقال له زائدة بن قدامة : لا يكوننّ مع هذا إن شاء الله إلا خيرٌ .

قال عبد الرحمن : فخرجتُ ، وخرج معى زائدة إلى المختار ، فأخبرناه[1] بمقالة ابن أبى حيّة وبمقالة عمرو بن حُرَيث ، وناشدناه بالله ألا يجعل على نفسه سبيلا ، فنزل إلى ابن حريث ، فسلّم عليه ، وجلس تحت رايته حتى أصبح ، وتذاكَر الناسُ أمرَ المختار وفعلَه ، فمشى عُمارة بن عقبة بن أبى مُعيط بذلك إلى عبيد الله بن زياد ، فذكر له ، فلما ارتفع النهار فُتِح بابُ عبيد الله ابن زياد وأذِن للناس ، فدخل المختار فيمن دخل ، فدعاه عبيد الله ، فقال له : أنت المقبلُ فى الجموع لتنصُر ابن عَقِيل ! فقال له : لم أفعل ، ولكنى أقبلت ونزلت تحتَ راية عمرو بن حُرَيث ، وبِتّ معه وأصبحت ، فقال له عمرو : صدق أصلحَك الله ! قال : فرفع القضيبَ ، فاعترض به وجهَ المختار فخبط به عينَه فشتَرها[2] وقال : أوْلَى لك ! أمَا والله لولا شهادةُ عمرو لك لضربتُ عنقك ؛ انطلِقوا به إلى السجن فانطلقوا به إلى فحُبس فيه فلم يزل فى السجن حتى قُتل الحسين . ثمّ إنّ المختار بعث إلى زائدة بن قدامة ، فسأله أن يسير إلى عبد الله بن عمرَ بالمدينة فيسألَه أن يكتبَ له إلى يزيد بن معاوية ، فيكتب

٢/٥٢٢

(١) ف : «وأخبرناه» .
(٢) الشتر : انقلاب جفن العين من أعلى إلى أسفل وتشنجه .

إلى عبيد الله بن زياد بتخلية سبيله ، فركب زائدةُ إلى عبد الله بن عمر فقدِم عليه ، فبلّغه رسالةَ المختار ، وعلمتْ صفيّة أختُ المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك عبد الله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيدَ بن معاوية : أمّا بعد ، فإنّ عبيد الله بن زياد حبس المختار ، وهو صهري ، وأنا أحبّ أن يعافَى ويُصلَح من حاله ، فإن رأيتَ رحمنا الله وإيّاك أن تكتب إلى ابن زياد[1] فتأمرَه بتخليته فعلتَ . والسلام عليك .

٥٢٣/٢ فمضى زائدة على رواحله بالكتاب حتى قدم به على يزيدَ بالشأم ، فلما قرأه ضحك ثم قال : يشفّع أبو عبد الرحمن ، وأهلُ ذلك هو . فكتب له إلى ابن زياد : أما بعد ، فخلّ سبيلَ المختار بن أبي عُبيد حين تنظرُ في كتابي ، والسلام عليك .

فأقبل به زائدة حتى دفعه ، فدعا ابن زياد بالمختار ، فأخرجه ، ثم قال له قد أجّلتُك ثلاثًا ، فإن أدركتُك بالكوفة بعدَها قد برئتْ منك الذّمّةُ . فخرج إلى رحله . وقال ابن زياد : والله لقد اجترأ عليّ زائدة حين يرحل إلى أمير المؤمنين حتى يأتيني بالكتاب في تخلية رجل قد كان من شأني أن أطيل حبسَه ، عليّ به . فمرّ به عمرو بن نافع أبو عثمان — كاتبٌ لابن زياد — وهو يُطلَب ، وقال له : النّجاءَ بنفسك ، واذكرها يداً لي عندك .

قال : فخرج زائدة ، فتوارى يومَه ذلك . ثمّ إنه خرج في أناس من قومه حتى أتى القعقاعَ بن شوْر الذّهليّ ، ومسلم بن عمرو الباهليّ ، فأخذا له من ابن زياد الأمان .

قال هشام : قال أبو مخنف : ولما كان اليوم الثالث خرج المختار إلى الحجاز ، قال : فحدّثني الصقعب بن زهير ، عن ابن العِرْق ، مولًى لثقيف . قال : أقبلتُ من الحجاز حتى إذا كنت بالبَسيطة مِنْ وراء واقِصة استقبلتُ المختارَ بن أبي عُبيد خارجًا يريد الحجاز حين خلّى سبيلَه ابن زُياد ، فلما استقبلتُه رحّبت به ، وعطفتُ إليه ، فلما رأيت شَتَرَ عينه استرجعتُ له ، وقلتُ له بعد ما توجّعت له : ما بالُ عينِك ، صرف الله عنك السوءَ !

---

(١) ف : « رحمك الله أن تكتب إلى ابن زياد » .

٢/٥٢٤ فقال : خبَط عيني ابن الزانية بالقضيب خبطةً صارت إلى ما ترى . فقلتُ له : ما لَه شلّت أناملُه ! فقال المختار : قتلني الله إن لم أقطع أناملَه وأباجلَه وأعضاءَه إرْبًا إرْبًا ؛ قال : فعجبتُ لمقالته ، فقلت له : ما علمُك بذلك رحمك الله ؟ فقال لي : ما أقول لك فاحفظْه عنّي حتى ترى مصداقَه .

قال : ثمّ طفِق يسألني عن عبد الله بن الزبير ، فقلت له : لجأ إلى البيت ، فقال : إنما أنا عائذٌ بربّ هذه البنيّة ، والناس يتحدّثون أنه يبايع سرًّا، ولا أراه إلا لو قد[1] اشتدّت شوكته واستكثف من الرجال إلا سيُظهر الخلافَ ؛ قال : أجَل ، لا شكّ في ذلك[2] ، أمَا إنه رجلُ العرب اليومَ ، أمَا إنه إنْ يخطُطْ في أثرى ، ويسمعْ قولي أكفه أمرَ الناس، وإلا يفعلْ فوالله ما أنا بدون أحد من العرب ، يا بنَ العِرْق ، إنّ الفتنة قد أرعدتْ وأبرقتْ ، وكأنْ قد انبعثتْ[3] فوطئت في خطامها ، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ به بمكان قد ظهَرتُ فيه فقل : إنّ المختار في عصائبه من المسلمين ، يطلب بدم المظلوم الشهيد المقتول بالطّفّ ، سيّد المسلمين ، وابن سيّدها ، الحسين ابن عليّ ، فوربِّك لأقتلنّ بقتله عِدّةَ القتلى التي قتِلت على دم يحيَى بن زكرياء عليه السلام ؛ قال : فقلت له : سبحان الله ! وهذه أعجوبة مع الأحدوثة الأولى ؛ فقال : هو ما أقول لك فاحفظه عنّي حتى ترى مصداقَه. ثمّ حرّك راحلته ، فمضَى ومضَيت معه ساعةً أدعو الله له بالسلامة ، وحُسنِ الصحابة . قال : ثمّ إنّه وقف فأقسم عليّ لما انصرفتُ ، فأخذتُ بيده ! فودّعته ، وسلمت عليه ، وانصرفت عنه ، فقلت في نفسي : هذا الذي يذكر

٢/٥٢٥ لي هذا الإنسان، — يعني المختار — مما يزعم أنه كائن، أشيءٌ حدّث به نفسه! فوالله ما أطلَع الله على الغيب أحداً ، وإنما هو شيءٌ يتمنّاه فيرى أنه كائن، فهو يوجب[4] رأيَه ، فهذا والله الرأيُ الشعاع ، فوالله ما كلّ ما يرى الإنسان أنه كائن يكون ؛ قال : فوالله ما مُتّ حتى رأيتُ كلّ ما قاله . قال : فوالله

---

(١) ف : « وقد » .

(٢) ف : « فيه » .

(٣) ابن الأثير : « أينعت » .

(٤) ف : « : « فيوجب » .

لئن كان ذلك من علمٍ أُلقِيَ إليه لقد أُثبِتَ له ، ولئن كان ذلك رأياً رآه ، وشيئًا تمنّاه ، لقد كان .

قال أبو مخنف : فحدّثني الصقعب بن زهير ، عن ابن العِرْق ، قال : فحدّثت بهذا الحديث الحجّاج بن يوسف ، فضحك ثم قال لي : إنه كان يقول أيضًا :

ورافِعةٍ ذيلَها * وَداعِيَة وَيْلَها

* بِدِجْلةَ أَوْ حوْلَها *

فقلت له : أترى هذا شيئًا كان يخترعه ، وتخرّصًا يتخرّصُه ، أم هو من علمٍ كان أوتِيَه ؟ فقال : والله ما أدرى ما هذا الذى تسألنى عنه ، ولكن لله درُّهُ ! أىّ رجل ديناً ، ومِسْعَرَ حرب ، ومقارعَ أعداء كان !

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو سيف الأنصارىّ من بنى الخزرج ، عن عباس بن سهل بن سعد ، قال : قدم المختار علينا مكة ، فجاء إلى عبد الله ابن الزبير وأنا جالسٌ عنده ، فسلّم عليه ، فردّ عليه ابن الزبير ، ورحّب به ، وأوسع له ، ثم قال : حدّثنى عن حال الناس بالكوفة يا أبا إسحاق ؛ قال : هم لسلطانهم فى العلانية أولياء ، وفى السرّ أعداء ؛ فقال له ابن الزبير : هذه صفة عَبيد السوء ، إذا رأوا أربابَهم خدموهم وأطاعوهم ، فإذا غابوا عنهم شتَمُوهم ولعنوهم ؛ قال : فجلس معنا ساعةً ، ثم إنه مال إلى ابن الزبير كأنه يُسارّه ، فقال له : ما تنتظر ! ابسُطْ يدك أبايعْك ، وأعطِنا ما يُرضينا ، ٥٢٦/٢ وثب على الحجاز فإنّ أهل الحجاز كلهم معك . وقام المختار فخرج ، فلم يُرَ حولًا ؛ ثم إنّى بينا أنا جالسٌ مع ابن الزبير إذ قال لى ابن الزبير : متى عهدُك بالمختار بن أبى عُبيد ؟ فقلت له : ما لى به عهد منذ رأيتُه عندَك عاماً أوّل ؛ فقال : أين تراه ذهب ! لو كان بمكة لقد رُئِىَ بها بعدُ ؛ فقلت له : إنى انصرفت إلى المدينة بعد إذ رأيتُه عندَك بشهر أو شهرين ، فلبثتُ بالمدينة أشهرًا ، ثمّ إنى قدمتُ عليك ، فسمعت نفرًا من أهل الطائف جاءوا معتمرين

يزعمون أنه قدم عليهم الطائف ، وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، ومُبير[١] الجبّارين ، قال : قاتله الله[٢] ! لقد انبعث كذّابًا متكهّنًا ، إنّ الله إنْ يُهلِك الجبّارين يكن المختار أحدهم[٣] . فوالله ما كان إلا ريث فراغنا من منطقنا حتى عنّ لنا فى جانب المسجد ، فقال ابن الزبير : اذكرْ غائبًا ترَهُ ؛ أين تظُنُّه يهوِى ؟ فقلت : أظنه يريد البيت ، فأتى البيت فاستقبل الحجر ، ثم طاف بالبيت أسبوعًا ، ثمّ صلى ركعتين عند الحِجْر ، ثمّ جلس ، فما لبث أن مرّ به رجال من معارفه من أهل الطائف وغيرهم من أهل الحجاز ، فجلسوا إليه ، واستبطأ ابن الزبير قيامَه إليه ، فقال : ما ترى شأنه لا يأتينا ! قلت : لا أدرى ، وسأعلم لك علمه ، فقال : ما شئتَ ، وكأن ذلك أعجبه .

قال : فقمتُ فمررتُ به كأنىّ أريد الخروجَ من المسجد ، ثمّ التفتُّ إليه ، ٢/٥٢٧ فأقبلت نحوَه ثمّ سلّمت عليه ، ثمّ جلست إليه ، وأخذت بيده ، فقلتُ له : أين كنت ؟ وأين بلغت بعدى ؟ أبا لطائف كنت ؟ فقال لى : كنتُ بالطائف وغير الطائف ، وعَمَس[٤] علىّ أمرَه ، فملتُ إليه ، فناجَيْته ، فقلت له : مِثلُك يغيب عن مِثل ما قد اجتمع عليه أهلُ الشرف وبيوتاتِ العرب من قريش والأنصار وثقيف ! لم يبق أهلُ بيت ولا قبيلة إلا وقد جاء زعيمُهم وعميدُهم فبايع هذا الرجل ، فعجبًا لك ولرأيك ألا تكون أتيتَه فبايعته ، وأخذتَ بحظِّك من هذا الأمر ! فقال لى : وما رأيتَنى ؟ أتيتُه العامَ الماضى ، فأشرت عليه بالرأى ، فطوى أمرَه دونى[٥] ، وإنى لما رأيته استغنى عنّى أحببت أن أريَه أنّى مستغن عنه ، إنه والله لهو أحوجُ إلىّ منى إليه ؛ فقلت له : إنك كلمتَه بالذى كلمته وهو ظاهر فى المسجد ، وهذا الكلام لا ينبغى أن يكون إلا والستور دونه مُرخاة والأبواب دونه مُغلَّقة ، القَه الليلةَ إن شئتَ وأنا معك ؛ فقال لى : فإنىّ فاعل

(١) ابن الأثير : « ومسير » .
(٢) ابن الأثير : « قال ابن الزبير : ماله قاتله الله ! » .
(٣) ابن الأثير : « أولهم » .
(٤) عمس عليه الأمر : خلطه ولبسه ولم يبينه .
(٥) ابن الأثير : « فكتم عنى خبره » .

إذا صلّينا[1] العتَمة أتيناه ، واتّعدْنا الحِجْر .

قال : فنهضتُ من عنده ، فخرجت ثم رجعتُ إلى ابن الزبير ، فأخبرته بما كان من قولى وقوله ، فسرّ بذلك ، فلما صلينا العتَمة ، التقيْنا بالحِجْر ، ثمّ خرجنا حتى أتينا منزلَ ابن الزبير ، فاستأذنّا عليه ، فأذن لنا ، فقلت : أخلّيكما ؟ فقالا[2] جميعًا : لا سرّ دونك ، فجلستُ ، فإذا ابن الزبير قد أخذ بيده ، فصافحه ورحّب به ، فسأله عن حاله وأهل بيته ، وسكتا جميعاً غيرَ طويل .

فقال له المختار وأنا أسمع بعد أن تبدّأ فى أوّل منطقه ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : إنه لا خيرَ فى الإكثار من المنطق ، ولا فى التقصير عن الحاجة ، ٢/٥٢٨ إنى قد جئتك لأبايعك على ألّا تقضيَ الأمورَ دونى ، وعلى أن أكونَ فى أوّل مَنْ تأذَن له ، وإذا ظهرت استعنتَ بى على أفضل عملك . فقال له ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : وشرّ غلمانى أنت مبايعه على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما لى فى هذا الأمر من الحظّ ما ليس لأقصى الخلق منك ؛ لا والله لا أبايعك أبداً إلا على هذه الخصال .

قال عبّاس بن سهل : فالتقمتُ أذنَ ابن الزبير ، فقلت له : اشترِ منه دينَه حتى ترى من رأيك ؛ فقال له ابن الزبير : فإنّ لك ما سألته ، فبسط يدَه فبايعه ، ومكث معه حتى شاهد الحصارَ الأوّل حين قدم الحصين بن نمير السَّكونىّ مكة ؛ فقاتل فى ذلك اليوم ، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاءً ، وأعظمهم غَناءً . فلما قُتل المنذر بن الزبير والمسور بن مَخْرَمَة ومصعب بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرىّ ، نادى المختار : يا أهل الإسلام ، إلىّ إلىّ ! أنا ابن أبى عُبيد ابن مسعود ، وأنا ابن الكرّار لا الفرّار ، أنا ابن المُقدِمين غير المُحجِمين[3] ؛ إلىّ يا أهلَ الحِفاظ وحُماة الأوتار . فحمِيَ الناسُ يومئذ ، وأبلى وقاتل قتالاً حسَناً .

(١) ف : « صليت » .
(٢) ف : « قالا » .
(٣) ف : « لا المحجمين » .

ثم أقام مع ابن الزبير فى ذلك الحصار حتى كان يوم أحرق البيت، فإنه أحرق يوم السبت لثلاث مضين من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستين ، فقاتل المختار يومئذ فى عصابة معه نحو من ثلثمائة أحسنَ قتال قاتله أحدٌ من الناس ، إنْ كان ليقاتل حتى يتبلّد ، ثم يجلس ويحيط به أصحابه ، فإذا استراح نهض فقاتل ، فما كان يتوجّه نحو طائفة من أهل الشأم إلاّ ضاربَهم حتى يكشفهم .

٥٢٩/٢

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو يوسف محمد بن ثابط ، عن عبّاس بن سهل بن سعد ، قال : تولّى قتالَ أهل الشأم يوم تحريق الكعبة عبدُالله بن مطيع وأنا والمختار ، قال : فما كان فينا يومئذ رجلٌ أحسن بلاءً من المختار .

قال : وقاتل قبل أن يطّلع أهلُ الشأم على موت يزيدَ بن معاوية بيوم قتالاً شديداً ، وذلك يوم الأحد لخمس عشرةَ ليلة مضتْ من ربيع الآخر سنة أربع وستين ، وكان أهلُ الشأم قد رجوْا أن يظفروا بنا ، وأخذوا علينا سكك مكّة .

قال : وخرج ابن الزبير ، فبايعه رجالٌ كثير على الموت ؛ قال : فخرجتُ فى عصابة معى أقاتل فى جانب ، والمختار فى عصابة أخرى يقاتل فى جُميّعة من أهل اليمامة فى جانب ، وهم خوارج ، وإنما قاتلوا ليدفعوا عن البيت ، فهم فى جانب ، وعبد الله بن المطيع فى جانب .

قال : فشدّ أهل الشأم علىّ ، فحازونى فى أصحابى حتى اجتمعتُ أنا والمختار وأصحابه فى مكان واحد ، فلم أكن أصنع شيئاً إلا صنع مثله ، ولا يصنع شيئاً إلا تكلفتُ أن أصنع مثله ، فما رأيتُ أشدّ منه قطّ ؛ قال : فإنا لنقاتل إذ شدّت علينا رجال وخيل من خيل أهل الشأم ، فاضطرّونى وإياه فى نحو من سبعين رجلا من أهل الصبر إلى جانب دار من دُور أهل مكة ، فقاتلهم المختارُ يومئذ ، وأخذ يقول رجل لرجل :

* لا وألتْ نفسُ امرئٍ يفرُّ *

قال : فخرج المختار ، وخرجتُ معه ، فقلتُ : ليخرجْ منكم إلىّ رجل

فخرج إلىّ رجلٌ وإليه رجل آخر . فمشيت إلى صاحبي فأقتُله ، ومشى المختار ٢/٥٣٠
إلى صاحبه فقتله . ثم صِحْنا بأصحابنا . وشدَدْنا عليهم . فوالله لضربناهم حتى
أخرجناهم من السِّكك كلها . ثمّ رجعنا إلى صاحبيْنا اللذَين قتلْنا . قال :
فإذا الذى قتلتُ رجلٌ أحمرُ شديدُ الحمرة كأنه رومىّ ، وإذا الذى قتل
المختار رجل أسودُ شديدُ السواد ، فقال لى المختار : تعلّمْ والله إنّى لأظنّ قتيلَينا
هذَيْن عبدَين ؛ ولو أنّ هذين قتَلانا لفُجِع بنا عشائرنا ومَن يرجونا .
وما هذان وكلبان من الكلاب عندى إلا سواء ، ولا أخرج بعد يومى هذا لرجل
أبدًا إلا لرجل أعرفه ؛ فقلت له : وأنا والله لا أخرج إلا لرجل أعرفه .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يزيدُ بنُ معاوية . وانقضى الحصار .
ورجع أهلُ الشأم إلى الشأم . واصطلَح أهل الكوفة على عامر بن مسعود ، بعد
ما هلك يزيد يصلى بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضَوْنه ، فلم يلبث عامر
إلا شهرًا حتى بعث ببيعته وبيعة أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، وأقام المختار مع
ابن الزبير خمسةَ أشهر بعد مَهلِك يزيدَ وأيّاما .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق ، عن سعيد بن
عمرو بن سعيد بن العاص ، قال : والله إنى لمع عبد الله بن الزبير ومعه عبد الله
ابن صَفْوان بن أميّة بن خلف ، ونحن نطوف بالبيت . إذ نظر ابن الزبير
فإذا هو بالمختار . فقال لابن صفوان : انظر إليه ؛ فوالله لَهو أحذَرُ من ذئب
قد أطافت به السباع ؛ قال : فمضى ومضينا معه . فلما قضينا طوافنا وصلّينا
الركعتين بعد الطواف لحقنا المختار . فقال لابن صفوان : ما الذى ذكرنى به
ابن الزبير ؟ قال : فكتَمه . وقال : لم يذكُرك إلا بخير ؛ قال : بلى وربّ ٢/٥٣١
هذه البنيّة إن كنتُ لمن شأنكما ، أما والله ليخطِنّ فى أثَرى أو لأقدَنّها عليه
سَعْرًا . فأقام معه خمسةَ أشهر ، فلما رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحدٌ
من الكوفة إلا سأله عن حال الناس وهيئتهم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى عطية بن الحارث أبو رَوْق الهمدانىّ ؛ أنّ هانئ
ابن أبى حيّة الوادعىّ قدم مكة يريد عُمرةَ رمضان . فسأله المختار عن حاله

وحال الناس بالكوفة وهيئتهم ؛ فأخبره عنهم بصلاح واتّساق على طاعة ابن الزبير . إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يومٍ ما ؛ فقال له المختار : أنا أبو إسحاق أنا والله لهم ! أنا أجمعهم على مرّ الحقّ ، وأنفى[1] بهم ركبان الباطل ، وأقتُل بهم كلّ جبّار عنيد ؛ فقال له هانئ بن أبي حيّة : وَيْحك يابن أبي عبيد ! إن استطعتَ ألّا تُوضِع في الضلال ليكن صاحبهم غيرُك ، فإنّ صاحب الفتنة أقربُ شيء أجلا ، وأسوأ الناس عملا ؛ فقال له المختار : إني لا أدعو إلى الفتنة إنما أدعو إلى الهدى والجماعة ، ثم وثب فخرج وركب رَواحلَه . فأقبل نحو الكوفة حتى إذا كان بالقَرْعاء لقيه سلمة بن مرثَد أخو بنت مرثد القابضيّ من همْدان — وكان من أشجع العرب ، وكان ناسكًا — فلما التقيا تصافحا وتساءلا ، فخبره المختار ؛ ثم قال لسلمة بن مرثد : حدّثني عن الناس بالكوفة ؛ قال : هم كغنمٍ ضلّ راعيها ؛ فقال المختار بن أبي عبيد : أنا الذي أحسن رِعايتها ، وأبلُغ نهايتَها ؛ فقال له سلمة : اتق اللهَ واعلم أنك ميت ومبعوث ، ومحاسب ومجزيٌّ بعَملك إنْ خيراً فخيرٌ وإنْ شرًّا فشرٌّ . ثمّ افترقا . وأقبل المختار حتى انتهى إلى بحر الحيرة يومَ الجمعة . فنزل فاغتسل فيه ، وادّهن دُهنًا يسيراً ، ولبس ثيابه واعتمّ ، وتقلّد سيفه ، ثمّ ركب راحلتَه فمرّ بمسجد السَّكون وجبّانة كِنْدة ؛ لا يمرّ بمجلس إلا سلّم على أهله . وقال : أبشروا بالنّصر والفلج . أتاكم ما تحبّون ، وأقبل حتى مرّ بمسجد بني ذُهل وبني حُجْر . فلم يجد ثَمّ أحداً ، ووجد الناس قد راحوا إلى الجمعة . فأقبل حتى مرّ ببني بدّاء ، فوجد عبيدةَ بنَ عمرو البَدّيّ من كِنْدة . فسلم عليه ، ثم قال : أبشر بالنصر واليُسر والفلج . إنك أبا عمرو على رأي حَسَن ، لن يَدَعَ اللهُ لك معه مأثمًا إلا غفره ، ولا ذنبا إلا ستَره — قال : وكان عبيدة من أشجع الناس وأشعرهم ، وأشدّهم حبًّا لعليٍّ رضي الله عنه ، وكان لا يصبر عن الشراب — فلما قال له المختار هذا القول قال له عبيدة : بشّرك الله بخير

٥٢٢/٢

---

(١) ابن الأثير : « وألقى » .

إنك قد بشّرتنا ، فهل أنت مفسرٌ لنا ؟ قال : نعم ، فالقَنِى فى الرّحل الليلةَ ثمّ مضى .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، عن عبيدة بن عمرو قال : قال لى المختار هذه المقالة ، ثم قال لى : القنى فى الرّحل ، وبلِّغ أهلَ مسجِدكم هذا عنّى أنهم قومٌ أخذ الله ميثاقَهم على طاعته ، يقتلون المُحِلّين ، ويطلبون بدماء أولاد النبيّين ، ويهديهم للنور المبين ، ثم مضى فقال لى : كيف الطريق إلى بنى هند ؟ فقلت له : أنظرنى أدلَّك ، فدعوتُ بفَرَسى وقد أسرِج لى فركبتُه ؛ قال : ومضيت معه إلى بنى هند ، فقال : دُلّنى على منزل إسماعيل بن كَثير . قال : فمضيتُ به إلى منزله ، فاستخرجته ، فحيّاه ورحّب به ، وصافحه وبشّره ، وقال له : القَنِى أنتَ وأخوك الليلة وأبو عمرو فإنى قد أتيتكم بكل ما تحبّون ؛ قال : ثمّ مضى ومضينا معه حتى مرّ بمسجد جُهَينة الباطنة ، ثم مضى إلى باب الفيل ، فأناخ راحلتَه ، ثم دخل المسجد واستَشرف له الناس ، وقالوا : هذا المختار قد قَدِم ، فقام المختار إلى جنب سارية من سوارى المسجد ، فصلّى عندها حتى أقيمت الصلاة ، فصلّى مع الناس ثمّ ركد إلى سارية أخرى فصلّى ما بين الجمعة والعصر ، فلما صلى العصر مع الناس انصرف . ٢/ ٥٣٣

قال أبو مخنف : فحدّثنى المجالد بن سعيد ، عن عامر الشعبىّ ، أنّ المختار مرّ على حلْقة همدانَ وعليه ثياب السَّفَر ، فقال : أبشِروا ، فإنى قد قدمت عليكم بما يسرّكم ، ومضى حتى نزل داره ، وهى الدار التى تُدعَى دارَ سلْم ابن المسيّب ، وكانت الشّيعة تختلف إليها وإليه فيها .

قال أبو مخنف : فحدّثنى فُضَيل بن خَدِيج ، عن عبيد بن عمرو ، وإسماعيل بن كثير من بنى هند ، قالا : أتيناه من الليل كما وعَدَنا ، فلما دخلنا عليه وجلسنا ساءَلَنا عن أمر الناس وعن حال الشيعة ، فقلنا له : إنّ الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صُرَد الخُزاعىّ ، وإنه لن يلبثَ إلا يسيراً حتى يخرج ؛ قال : فحمِد الله وأثنَى عليه وصلى على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم قال : ٢/ ٥٣٤

أما بعد ، فإنّ المهدىّ ابن الوصىّ ، محمّد بن علىّ ، بعثنى إليكم أمينًا ووزيراً ومنتخبًا وأميراً ، وأمرنى بقتال الملحِدين ، والطلب بدماء أهلِ بيته والدفع عن الضّعفاء .

قال أبو مخنف : قال فضيل بن خَدِيج : فحدّثنى عبيدة بن عمرو وإسماعيل بن كثير ، أنهما كانا أوّل خلق الله إجابةً وضرباً على يده ، وبايعاه. قال : وأقبل المختار يبعث إلى الشيعة وقد اجتمعت عند سليمانَ بن صُرد ، فيقول لهم : إنى قد جئتكم من قِبل ولىّ الأمر ، ومَعدِن الفَضل ، ووصىّ الوصىّ والإمام المهدىّ ، بأمر فيه الشفاء ، وكشفُ الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النّعماء ؛ إنّ سليمان بن صُردَ يرحمنا الله وإيّاه إنما هو عَشَمة من العَشَم[١] وحِفشٌ بالٍ ، ليس بذى تجربة للأمور ، ولا له علمٌ بالحروب ؛ إنما يريد أن يُخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم . إنى إنما أعمل على مثال قد مُثّل لى ، وأمرٍ قد بُيّن لى ، فيه عزّ وليّكم ، وقتل عدوّكم ، وشفاء صدوركم ، فاسمعوا منى قولى ، وأطيعوا أمرى ، ثمّ أبشِروا وتباشَروا ؛ فإنّى لكم بكل ما تأملون خيرُ زعيم . قال : فوالله ما زال بهذا القول ونحوه حتى استمالَ طائفةً من الشيعة ، وكانوا يختلفون إليه ويعظّمونه ، وينظرون أمرَه ، وعُظْمُ[٢] الشيعة يومئذ ورؤساؤهم مع سليمان بن صُرد ، وهو شيخ الشيعة وأسنّهم ، فليس يَعدِلون به أحدًا ؛ إلا أنّ المختار قد استمال منهم طائفةً ليسوا بالكثير ، فسليمان بن صُرَد أثقل خلق الله على المختار ، وقد اجتمع لابن صُرَد يومئذ أمرُه ، وهو يريد الخروج والمختار لا يريد أن يتحرّك ، ولا أن يهيّج أمراً حتّى[٣] ينظر إلى ما يصير إليه أمرُ سليمان ، رجاءَ أن يستجمع له أمرُ الشيعة ، فيكون أقوَى له على دركِ ما يطلب[٤] ؛ فلما خرج سليمان بن صرَد ومضى نحو الجَزيرة قال عمر بن سعد بن أبى وقّاص وشَبَث بن رِبْعِىّ ويزيد[٥] بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله ابن يزيد الخطمىّ وإبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله : إنّ المختار أشدّ

٢ / ٥٣٥

(١) رجل عشمة : يابس من الهزال . (٢) ابن الأثير : « وعظماء » .
(٣) كذا فى س ، وفى ط : « رجاء أن » . (٤) ف : « ما يريد » .
(٥) ابن الأثير : « وزيد » .

عليكم من سليمان بن صُرَد، إن سليمان إنما خرج يقاتل عدوّكم ، ويذللهم لكم ، وقد خرج عن بلادكم ؛ وإنّ المختار إنما يريد أن يثبَ عليكم فى مصركم ، فسيروا إليه فأوثِقوه فى الحديد ، وخلِّدوه[1] فى السجن حتى يستقيمَ أمرُ الناس ، فخرجوا إليه فى الناس ، فما شعر بشيء حتى أحاطوا به وبداره فاستخرجوه ، فلما رأى جماعتهم قال : ما بالُكم ! فوالله بُعدَ ما ظفِرتْ أكفّكم ! قال : فقال إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله لعبدالله بن يزيد: شُدّه كتافاً ، ومشِّه حافياً ؛ فقال له عبد الله بن يزيد: سبحان الله ! ماكنت لأمشّيه ولا لأحفيه[2] ٢/٥٣٦ ولا كنت لأفعلَ هذا برجل لم يُظهر لنا عداوةً ولا حرباً ، وإنما أخذناه على الظنّ . فقال له إبراهيم بن محمد : ليس بعُشِّك فادْرُجى[3] ، ما أنت وما يبلغنا عنك يابن أبى عبيد ! فقال له : ما الذى بلغك عنى إلا باطلٌ ، وأعوذ بالله من غشٍّ كغشّ أبيك وجدّك !

قال : قال فُضَيل : فوالله إنى لأنظرُ إليه حين أخرج وأسمع هذا القول حين قال له ، غير أنّى لا أدرى أسمعه منه إبراهيم أم لم يسمعه ؛ فسكت حين تكلم به ؛ قال : وأُتى المختار ببغلة دهماءَ يركبها ، فقال إبراهيم لعبد الله بن يزيد : ألا تشدّ عليه القيود ؟ فقال : كفى له بالسجن قيداً .

قال أبو مخنف : وأما يحيى بن أبى عيسى فحدّثنى أنه قال : دخلت إليه مع حميد بن مسلم الأزدىّ نزوره ونتعاهده، فرأيته مقيّداً ؛ قال : فسمعتُه يقول : أما وربّ البحار ، والنخيل والأشجار ، والمَهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفَين الأخيار ، لأقتلنّ كلّ جبّار ، بكلّ لَدْن خَطّار ، ومهنّدٍ بتّار ، فى جُموع[4] من الأنصار ، ليسوا بِميل[5] أغمار[6] ، ولا بعُزل أشرار ، حتى إذا أقمتُ عَمودَ الدين ، ورأبْتُ شَعْب صَدْع المسلمين ، وشفيتُ

(١) ف : « وخلفوه » ، ابن الأثير : « واسجنوه » .

(٢) ف : « أمشيه حافياً » .

(٣) ابن الأثير : « هذا يغشك فأدرنى » .

(٤) ف : « وجموع » ، ابن الاثير : « بجموع » .

(٥) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذى لارمح معه .

(٦) الأغمار : جمع غمر ، بضم فسكون ؛ وهو الذى لا تجربة له بالأمور .

غليلَ صدور المؤمنين ، وأدركتُ بثأر النبيِّين ، ولم يكبُر علىّ زوال الدنيا
ولم أحفل بالموت إذا أتى .

٥٣٧/٢ قال : فكان إذا أتيناه وهو فى السجن ردّد علينا هذا القول حتّى خرج
منه ؛ قال : وكان يتشجَّع لأصحابه بعد ما خرج ابن صُرَد .

* * *

[ذكر الخبر عن هدم ابن الزبير الكعبة]

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة هدم ابن الزبير الكعبةَ ، وكانت قد مال
حيطانُها مما رُميَت به من حجارة المجانيق ، فذكر محمد بن عمر الواقدىّ أنّ
إبراهيم بن موسى حدّثه عن عكرمة بن خالد ، قال : هدم ابن الزبير البيتَ حتى
سوّاه بالأرض ، وحفر أساسه ، وأدخل الحِجْر فيه ، وكان الناس يطوفون من
وراء الأساس ، ويصلُّون إلى موضعه ، وجعل الرّكن الأسوَد عنده فى تابوت
فى سَرَقة [1] من حرير ، وجعل ما كان من حُلِىّ البيت وما وجد فيه من ثياب
أو طيب عند الحجَبة فى خِزانة البيت ، حتى أعادها لمّا أعاد بناءَه .

قال محمد بن عمر : وحدّثنى معقل بن عبد الله ، عن عطاء ، قال : رأيت
ابنَ الزّبير هدم البيت كله حتى وضعه بالأرض .

* * *

وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير .

وكان عامله على المدينة [2] فيها أخوه عبيدة بن الزبير ، وعلى الكوفة عبد الله
ابن يزيد الخطمىّ ، وعلى قضائها سعيد [3] بن نِمْران .

وأبَى شُرَيح أن يقضى فيها ، وقال فيما ذكِر عنه : أنا لا أقضى فى الفتنة .
وعلى البصرة عمر بن عبيدالله بن مَعمَر التيمى ، وعلى قضائها هشامُ بن هُبيرة ،
وعلى خُراسان عبد الله ابن خازم .

---

(١) السرق : شقائق الحرير ، واحده سرقة . (٢) ط : « مدينة » .
(٣) ط : « سعد » وانظر الفهرس .

٢/٥٣٨

ثم دخلت سنة خمس وستين

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

فمن ذلك ما كان من أمر التوّابين وشخوصهم للطلب بدم الحسين بن عليّ إلى عبيد الله بن زياد .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدّثني أبو يوسف ، عن عبد الله بن عوف الأحمريّ ، قال : بعث سليمان بن صُرَد إلى وجوه أصحابه حين أراد الشخوص وذلك في سنة خمس وستين ، فأتوه ، فلما استهلّ الهلال هلالُ شهر ربيع الآخر ، خرج في وجوه أصحابه ، وقد كان واعَدَ أصحابه عامّة للخروج في تلك الليلة للمعسكر بالنُّخَيلة فخرج حتى أتى عسكرَه ، فدار في الناس ووجوه أصحابِه ، فلم يعجبه عدّة الناس ، فبعث حكيم بن مُنقِذ الكنديّ في خيل ، وبعث الوليد بن غُصَيْن الكنانيّ في خيل ، وقال : اذهبا حتى تدخلا الكوفة فناديا : يا لَثارات الحسين ! وابلُغا المسجد الأعظم فناديَا بذلك ، فخرجا ، وكانا أوّل خلق الله دَعَوا : يا لَثارات الحسين ! قال : فأقبل[1] حكيم بن منقذ الكنديّ في خيل[2] والوليد بن غُصَين في خيل ، حتى مرّا ببني كثير ، وإنّ رجلاً من بني كثير من الأزْد يقال له عبد الله بن خازم مع امرأته سَهْلة بنت سبرة بن عمرو من بني كثير ، وكانتْ من أجمل الناس وأحبِّهم إليه ، سمع الصوت : يالَثارات الحسين ! وما هو ممن كان يأتيهم ، ولا استجابَ لهم . فوثب إلى ثيابه فلبِسها ، ودعا بسلاحه ، وأمر بإسراج فرَسه ، فقالت له امرأته : ويحك ! أجُنِنت ! قال : لا والله ، ولكنّي سمعتُ داعيَ الله ، فأنا مُجيبه ، أنا طالبٌ بدم هذا الرجل حتّى[3] أموت ، أو يقضيَ الله من أمري ما هو أحبّ إليه ، فقالت له : إلى مَن تدعُ بُنَيَّك هذا ؟ قال : إلى الله وحدَه لا شريك له ؛ اللهمّ إني أستودِعُك أهلي ووَلَدي ،

٢/٥٣٩

(١) ف : «أقبل».
(٢) ف : « الخيل » .
(٣) ف : « أو » .

اللهمّ احفظني فيهم ؛ وكان ابنه ذلك يُدعى عَزْرة ، فبقى حتى قتل بعدُ مع مصعب بن الزبير ؛ وخرج حتى لحق بهم ، فقعدت[١] امرأته تبكّيه واجتمع إليها نساؤها ، ومضى مع القوم ، وطافت تلك الليلة الخيل بالكوفة ، حتى جاءوا المسجدَ بعد العتَمة ، وفيه ناسٌ كثير يصلُّون ، فنادوا : يالثارات الحسين ! وفيهم أبو عزّة القابضيّ[٢] وكرب بن نمْران يصلّي ، فقال : يالثارات الحسين ! أين جماعة القوم ؟ قيل : بالنُّخَيلة ، فخرج حتى أتى أهله ، فأخذ سلاحه ، ودعا بفرسه ليركبه ، فجاءته ابنتُه الرُّواع — وكانت تحت ثُبَيت بن مرثد القابضيّ. فقالت : يا أبتِ ، مالى أراك قد تقلدت سيفَك ، ولبستَ سلاحك ! فقال لها : يا بنيّة ، إن أباك يفرّ من ذنبه إلى ربّه ، فأخذتْ تنتحب وتبكى ، وجاءه أصهارُه وبنو عمه ، فودّعهم ؛ ثم خرج[٣] فلحق بالقوم ؛ قال : فلم يصبح سليمان بن صرَد حتى أتاه نحوٌ ممّن[٤] كان فى عسكره حين دخله ؛ قال : ثمّ دعا بديوانه لينظر فيه إلى عدّة من بايعه[٥] حين أصبح ، فوجدهم ستة عشر ألفًا ، فقال : سبحان الله ! ما وافانا إلا أربعة آلاف من ستة عشر ألفًا . ٢/٥٤٠

قال أبو مخنف : عن عطية بن الحارث ، عن حميد بن مسلم ، قال : قلت لسليمان بن صُرَد : إنّ المختار والله يثبّط الناسَ عنك ، إنّى كنت عنده أوّل ثلاث ، فسمعتُ نفراً من أصحابه يقولون : قد كمُلنا ألفَى[٦] رجل ؛ فقال : وهَبْ أنّ ذلك كان ؛ فأقام عنّا عشرة آلاف ، أمَا هؤلاء بمؤمنين ! أمَا يخافون الله ! أمَا يذكرون الله ، وما أعطَوْنا من أنفسهم من العهود والمواثيق ليُجاهدُنّ ولينصرُنّ ! فأقام بالنُّخَيْلة ثلاثًا يبعث ثِقاته من أصحابه إلى مَنْ تخلّف عنه يذكّرهم اللهَ وما أعطَوْه من أنفسهم ، فخرج إليه نحوٌ من ألف رجل ، فقام المسيّب بن نجبَة إلى سليمان بن صُرَد ، فقال : رحمك

---

(١) ف : « وقعدت » .
(٢) ف : « القاضى » .
(٣) ف « وخرج » .
(٤) ابن الأثير : « مما » .
(٥) ابن الأثير : « تابعه » .
(٦) ف : « ألفين » .

الله ، إنه لا ينفعك الكارهُ ، ولا يقاتل معك إلا مَن أخرجَتْه النيّة ، فلا ننتظرن[1] أحداً، واكْمُش[2] فى أمرك . قال : فإنك والله لنِعمّا رأيت ! فقام سليمان بن صُرَد فى الناس متوكّئاً على قوس له عربيّة . فقال : أيها الناس ، مَنْ كان إنما أخرجتْه إرادةُ وجهِ الله وثوابِ الآخرة فذلك منّاونحن منه ، فرحمة الله عليه حيّاً وميتاً ، ومَنْ كان إنما يريد الدنيا وحَرْثَها فوالله ما نأتى فيئاً نستفيئه ، ولا غنيمةً نغنَمُها ، ما خلا رضوان الله ربّ العالمين ، وما معنا من ذهب ولا فضّة ،ولا خزّ ولا حرير[3] ، وما هى إلا سيوفنا فى عواتقنا ، ورماحنا فى أكفّنا ، وزادٌ قدر البُلْغة إلى لقاء عدوّنا ، فمن كان غيرَ هذا ينوى فلا يصحبْنا .

فقام صُخَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ ، فقال : آتاك الله رشدَك ، ولقّاك حُجّتك ؛ والله الذى لا إله غيره ما لنا خيرٌ فى صحبةِ مَن الدنيا همّتُه[4] ونيّته . أيّها الناس ، إنما أخرجتْنا التوبةُ من ذنبنا ، والطلبُ بدم من نبيّنا ، صلى الله عليه وسلم ليس معنا دينارٌ ولا درهم ، إنما نقدَمُ على حدّ السيوف وأطراف الرّماح ؛ فتنادَى الناسُ من كلّ جانب : إنّا لا نطلب الدنيا ، وليس لها خرجْنا . ٢/٥٤١

قال أبو مخنف : عن إسماعيل بن يزيد الأزدىّ ، عن السّرىّ بن كعب الأزدىّ ، قال : أتينا صاحبَنا عبد الله بن سعد بن نفيل نودّعه ، قال : فقام فقمنا معه ، فدخل على سليمان ودخلنا معه ، وقد أجمع سليمان بالمسير ، فأشار عليه عبد الله بن سعد بن نُفَيل أن يسيرَ إلى عبيد الله بن زياد ، فقال هو ورءوس أصحابه : الرّأى ما أشار به عبد الله بن سعد بن نُفَيل أن نسير إلى عبيد الله بن زياد قاتل صاحبنا ، ومِن قِبَله أُتِينا ، فقال له عبد الله بن سعد وعنده رءوس أصحابه جلوس حوله : إنّى قد رأيت رأياً إن يكُن صواباً فالله

(١) ابن الأثير : « فلا تنتظر » .
(٢) كمش الرجل فى أمره : مضى وأسرع وفى ابن الأثير : « جد » .
(٣) ابن الأثير : « ولا متاع » . (٤) ابن الأثير : « همه » .

وفّق ، وإن يكن ليس بصواب[١] فمن قبلي ، فإني ما آلوكم ونفسي نصحاً ؛ خطأ كان أم صواباً ، إنما خرجنا نطلب بدم الحسين ، وقتلة الحسين كلهم بالكوفة ، منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، ورءوس الأرباع وأشراف القبائل ، فأنّى نذهب هاهنا وندع الأقتال والأوتار! فقال سليمان بن صُرَد : فماذا ترون ؟ فقالوا : والله لقد جاء برأي ، وإنّ ماذكر لكما ذكر ، والله ما نلقى من قتلة الحسين إن نحن مضينا نحو الشام غيرَ ابن زياد[٢] ، وما طلبتُنا إلا هاهنا بالمِصْر ؛ فقال سليمان بن صُرَد: لكن أنا ما أرى ذلك لكم ، إنّ الذي قتل صاحبكم ، وعبّأ الجنودَ إليه ، وقال : لاأمانَ له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حُكمي هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مَرْجانة ، عبيد الله بن زياد ؛ فسيروا إلى عدوّكم على اسم الله[٣] ؛ فإن يُظهركم الله عليه رجَوْنا أن يكون مَن بعده أهونَ شوكةً منه ، ورجونا أن يدين لكم مَن وراءكم من أهل مِصْركم في عافية ، فتنظرون[٤] إلى كل مَن شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا[٥] ، وإن[٦] تُستشهَدوا فإنما قاتلتم المحلّين ، وما عندَ الله خيرٌ للأبْرار والصدّيقين ؛ إني لأحبّ أن تجعلوا حدّكم[٧] وشوكتكم بأوّل المحلّين القاسطين . والله لو قاتلتم غداً أهلَ مصركم ما عدم رجلٌ أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه ، أو رجلاً لم يكن يريد قتله ؛ فاستخيروا الله وسيروا . فتهيّأ الناس للشخوص . قال : وبلغ عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة خروجُ ابن صُرَد وأصحابه ، فنظرا في أمرهما ، فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الإقامة ، وأن تكون أيديهم واحدةً ، فإن أبوْا إلا الشخوص سألوهم النّظِرةَ حتى يعبّوا معهم جيشاً فيقاتلوا عدوّهم بكثف وحدّ ؛ فبعث عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد بن طلحة سويدَ بن عبد الرحمن إلى سليمان ابن صُرَد ، فقال له : إنّ عبد الله وإبراهيم يقولان : إنّا نريد أن نجيئك

٥٤٢/٢

٥٤٣/٢

---

(١) ابن الأثير : « صواباً » .
(٢) ف : « إلا ابن زياد » .
(٣) ابن الأثير : « بركة الله » .
(٤) ابن الأثير : « فينظرون » .
(٥) ابن الأثير : « ولا يغشوا » .
(٦) ابن الأثير : « فإن » .
(٧) ابن الأثير : « جدكم » .

الآن لأمر عسى الله أن يجعل لنا ولك فيه صلاحاً ؛ فقال : قل لهما فليأتيانا ، وقال سليمان لرفاعة بن شداد البجلي : قم أنت فأحسن تعبئة الناس ؛ فإن هذين الرجلين قد بعثا بكيت وكيت ، فدعا رءوس أصحابه فجلسوا حوله فلم يمكثوا إلا ساعة حتى جاء عبد الله بن يزيد في أشراف أهل الكوفة والشرط وكثير من المقاتلة ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة في جماعة من أصحابه ، فقال عبد الله بن يزيد لكل رجل معروف قد علم أنه قد شرك في دم الحسين : لا تصحبني إليهم مخافة أن ينظروا إليه فيعدوا عليه ؛ وكان عمر بن سعد تلك الأيام التي كان سليمان معسكراً فيها بالنخيلة لا يبيت إلا في قصر الإمارة مع عبد الله بن يزيد مخافة أن يأتيه القوم في داره ، ويذمروا عليه في بيته وهو غافل لا يعلم فيقتل . وقال عبد الله بن يزيد : ياعمرو بن حريث ، إن أنا أبطأت عنك فصل بالناس الظهر .

فلما انتهى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد إلى سليمان بن صرد دخلا عليه ، فحمد الله عبد الله بن يزيد وأثنى عليه ثم قال : إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ، ولا يغشه ، وأنتم إخواننا ، وأهل بلدنا ، وأحب أهل مصر خلقه الله إلينا ، فلا تفجعونا بأنفسكم ، ولا تستبدوا علينا برأيكم ، ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا ؛ أقيموا معنا حتى نتيسر ونتهيأ ، فإذا علمنا أن عدونا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا فقاتلناهم . وتكلم إبراهيم بن محمد بنحو من هذا الكلام . قال : فحمد الله سليمان بن صرد وأثنى عليه ثم قال لهما : إني قد علمت أنكما قد محضتما في النصيحة ، واجتهدتما في المشورة ، فنحن بالله وله ، وقد خرجنا لأمر ؛ ونحن نسأل الله العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه ، ولا نرانا إلا شاخصين [1] إن شاء الله ذلك . فقال عبد الله بن يزيد : فأقيموا حتى نعبئ معكم جيشاً كثيفاً ، فتلقوا عدوكم بكثف وجمع وحد . فقال سليمان : تنصرفون ، ونرى فيما بيننا ، وسيأتيكم إن شاء الله رأي .

٢ / ٥٤٤

(١) ابن الأثير : « سائرين » .

قال أبو مخنف : عن عبد الجبّار — يعنى ابن عباس الهمدانيّ — عن عَوْن ابن أبي جُحَيفة السُّوائيّ ، قال : ثمّ إنّ عبد الله بن يزيدَ وإبراهيم بن محمد ابن طلحة عرَضا على سليمان أن يقيم معهما حتّى يلقوا جموعَ أهل الشأم على أن يخصّاه وأصحابه بخراج جُوخَى خاصّة لهم دون الناس ، فقال لهما سليمان : إنّا ليس للدّنيا خرجنا ؛ وإنما فعلا ذلك لما قد كان بلغهما من إقبال عُبيد الله بن زياد نحوَ العراق . وانصرف إبراهيم بن محمد وعبد الله بن يزيدَ إلى الكوفة ، وأجمع القوم على الشخوص واستقبال ابن زياد ، ونظروا فإذا شيعتُهم من أهل البَصرة لم يوافوهم لميعادهم ولا أهل المدائن . فأقبل ناس من أصحابه يلزمونهم . فقال سليمان : لا تلزموهم فإنى لا أراهم إلا سيُسرعون ٥٤٥/٢ إليكم ، لو قد انتهى إليهم خبركم وحينُ مسيركم ، ولا أراهم خلّفهم ولا أقعدَهم إلا قلّةُ النفقة وسوءُ العُدّة ، فأقيموا ليتيسّروا ويتجهّزوا ويلحقوا بكم وبهم قوّة ، وما أسرعَ القومَ فى آثاركم . قال : ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد قام فى الناس خطيبًا ، فحمد اللهَ وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد أيّها الناس ، فإنّ الله قد علم ما تنوُون ، وما خرجتم تَطلُبون ، وإن للدّنيا تجّاراً ، وللآخرة تجّاراً ، فأما تاجر الآخرة فساعٍ إليها ، متنصّب بتَطْلابها ، لا يشترى بها ثمنًا ، لا يُرى إلا قائمًا وقاعداً ، وراكعًا وساجداً ، لا يطلب ذهبًا ولا فضّة ، ولا دنيا ولا لذّة ، وأمّا تاجر الدّنيا فمُكِبٌّ عليها ، راتع فيها ، لا يبتغى بها بدلًا ؛ فعليكم يرحمكم الله فى وجهكم هذا بطول الصلاة فى جوف الليل ، وبذكر الله كثيراً على كلّ حال . وتقرّبوا إلى الله جلّ ذكره بكل خير قدرتم عليه ، حتى تلقَوا هذا العدوّ والمُحِلّ القاسط فتجاهدوه ، فإنّ تتوسّلوا إلى ربّكم بشيء هو أعظم عنده ثوابًا من الجهاد والصلاة ؛ فإنّ الجهاد سَنامُ العمل . جعلنا الله وإيّاكم من العباد الصالحين ، المجاهدين الصابرين على اللّأواء ! وإنا مُدْلجون الليلة من منزلنا هذا إن شاء الله فادّلجوا .

فادّلج عشيّة الجمعة لخمس مضَيْن من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة .

قال : فلما خرج سليمان وأصحابُه من النُّخَيْلة دعا سليمان بن صُرَد حكيم ابن منقذ فنادى فى الناس : ألا لا يبيتَنّ رجل منكم دون دَيْر الأعورَ[1] . فبات الناس بدير الأعور ، وتخلّف عنه ناسٌ كثير ، ثمّ سار حتى نزل الأقساس ؛ أقساس مالك على شاطئ الفرات ، فعرض الناس ، فسقط منهم نحوٌ من ألف رجل ، فقال ابن صُرد : ما أحبّ أن مَن تخلّف عنكم معكم ، ولو خرجوا معكم[2] ما زادوكم إلا خبالا ؛ إنّ الله عزّ وجلّ كره انبعاثهم فثبّطهم ، وخصّكم بفضل ذلك ، فاحمدوا ربّكم . ثم خرج من منزله ذلك دُلْجةً ، فصبّحوا قبرَ الحسين ، فأقاموا به ليلةً ويومًا يصلّون عليه ، ويستغفرون له ؛ قال : فلما انتهى الناسُ إلى قبر الحسين صاحوا صيحةً واحدة ، وبكَوا ؛ فما رُئى يومٌ كان أكثرَ باكيًا منه . ٥٤٦/٢

قال أبو مخنف : وقد حدّث عبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن ابن غزّية ، قال : لما انتهينا إلى قبر الحسين عليه السلام بكَى الناس بأجمعهم ، وسمعتُ جُلّ الناس يتمنَّون أنهم كانوا أصيبوا معه ؛ فقال سليمان : اللهمّ ارحم حسينًا الشهيدَ ابنَ الشهيد ، المهدىّ ابنَ المهدىّ ، الصدّيقَ ابنَ الصدّيق ، اللهمّ إنا نُشهدك أنا على دينهم وسبيلهم ، وأعداء قاتليهم[3] ، وأولياء محبّيهم . ثمّ انصرف ونزل ، ونزل أصحابُه .

قال أبو مخنف : حدّثنا الأعمش ، قال : حدّثنا سلمة بن كُهَيْل ، عن أبى صادق ، قال : لما انتهى سليمان بن صُرَد وأصحابه إلى قبر الحسين نادَوْا صيحةً واحدةً : يا ربّ إنا قد خذَلْنا ابْنَ بنت نبيّنا ، فاغفر لنا ما مضى منّا ، وتب علينا إنك أنت التوّاب الرّحيم ، وارْحم حسينًا وأصحابه الشهداء الصدّيقين ، وإنا نُشهدك يا ربّ أنا على مثل ما قُتلوا عليه ، فإن لم تَغفر لنا وترحمْنا لنكوننّ من الخاسرين ؛ قال : فأقاموا عنده يومًا وليلة يصلّون عليه ويبكون ويتضرّعون ؛ فما انفكّ الناسُ من يومهم ذلك يترحّمون عليه وعلى ٥٤٧/٢

---

(١) ابن الأثير : « دار الأهواز » .

(٢) ابن الأثير : « فيكم » .

(٣) ابن الأثير : « قاتلهم » .

أصحابه ، حتى صلّوا الغداةَ من الغَدِ عند قبره ، وزادهم ذلك حَنَقا . ثمّ ركبوا ، فأمر سليمانُ الناسَ بالمسير ، فجعل الرجل لا يمضى حتى يأتىَ قبر الحسين فيقوم عليه ، فيترحّم عليه ، ويستغفر له ،قال : فوالله لَرأيتهم ازدحموا على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحَجَر الأسوَد .

قال : ووقف سليمان عند قبره ، فكلّما دعا له قوم وترحّموا عليه قال لهم المسيّب بن نَجَبَة وسليمان بن صُرَد : الحقوا بإخوانِكم رحمكم الله! فما زال كذلك حتى بقىَ نحو من ثلاثين من أصحابه ، فأحاط سليمانُ بالقبر هو وأصحابُه ، فقال سليمان : الحمد لله الذى لو شاء أكرمَنَا بالشّهادة مع الحسين ، اللهمّ إذ حرمتَناها معه فلا تحرِمْناها فيه بعدَه .

وقال عبد الله بن وال : أما والله إنى لأظنّ حسينًا وأباه وأخاه أفضلَ أمة محمد صلى الله عليه وسلم وسيلةً عند الله يوم القيامة ، أفما عجبتم لما ابتليتْ به هذه الأمة منهم! إنهم قتلوا اثنين ، وأشفَوْا بالثالث على القتل ؛ قال : يقول المسيب بن نَجَبَة : فأنا مِن قَتَلَتِهم ومَن كان على رأيهم برىء ، إيّاهم أعادى وأقاتل . قال : فأحسن الرءوس كلُّهم المنطق ، وكان المثنّى بن مخرّبة صاحب أحد الرءوس والأشراف ، فساءنى حيث لم أسمعه تكلّم مع القوم بنحو ما تكلموا به ؛ قال : فوالله ما لبث أن تكلّم بكلمات ما كنّ بدون كلام أحد من القوم ، فقال : إنّ الله جعل هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم أفضل ممن هو دون نبيِّهم ، وقد قتلهم قوم نحن لهم أعداء ، ومنهم براء ، وقد خرجْنا ٢/٥٤٨ من الديار والأهلين والأموال إرادةَ استئصال مَن قتلهم ؛ فوالله لو أنّ القتال فيهم بمَغرِب الشمس أو بمنقَطع التراب يَحِقّ علينا طلبُه حتى نناله ، فإنّ ذلك هو الغُنْم ، وهى الشهادة[1] التى ثوابها الجنّة ، فقلنا له : صدقتَ وأصبتَ ووُفِّقت .

قال : ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد سار من موضع قبر الحسين وسرْنا معه ، فأخذنا على الحَصّاصة ، ثمّ على الأنبار ، ثمّ على الصدود ، ثمّ على القيّارة .

قال أبو مخنف : عن الحارث بن حَصيرة وغيره : إنّ سليمان بعث على

(١) ف : « والشهادة » .

مقدّمته كُرَيْبَ بن يزيد الحميرىّ .

قال أبو مخنف : حدّثنى الحصين بن يزيد ، عن السرىّ بن كعب ، قال : خرجْنا مع رجال الحىّ نشيّعهم ، فلما انتهينا إلى قبر الحسين وانصرف سليمان بن صُرَد وأصحابه عن القبر ، ولزموا الطريقَ ، استقدَمَهم عبدُالله ابن عوف بن الأحمر على فرس له مهلوب كُمَيْت مربوع ، يتأكّل تأكّلا[1] ، وهو يرتجز ويقول :

خرجْنَ يَلْمَعْنَ بنا أرْسَالا ... عوابِساً يَحْمِلْنَنا أبْطالا
نُرِيدُ أنْ نَلقى به الأَقْتالا ... القَاسِطِينَ الغُدُرَ الضُّلَّالا
وقد رَفَضْنا الأَهْلَ والأَمْوَالا ... والخَفِراتِ البِيضَ والحِجالا
* نُرْضِى به ذا النِّعَم المِفْضَالا *

قال أبو مخنف : عن سعد بن مجاهد الطائىّ ، عن المُحِلّ بن خليفة الطائىّ ، أنّ عبد الله بن يزيد كتب إلى سليمان بن صُرَد ، أحسبه قال : بعثنى به ، فلحقتُه بالقيّارة ، واستقدم أصحابه حتى ظنّ أنْ قد سبقهم ؛ قال : فوقف وأشار إلى الناس ، فوقفوا عليه ، ثم أقرأهم[2] كتابه ، فإذا فيه : ٥٤٩/٢

بسم الله الرّحمن الرّحيم . من عبدالله بن يزيدَ إلى سليمان بن صُرَد ومَنْ معه من المسلمين . سلامٌ عليكم ، أما بعد فإنّ كتابى هذا إليكم كتابُ ناصح ذى إرعاء ، وكم من ناصح مستغَشّ ، وكم من غاشّ مستَنصَح مُحَبّ ، إنه بلغنى أنكم تريدون المسير بالعَدَد اليسير إلى الجمع الكثير ، وإنه مَن يُرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكلّ مَعاوِلُه ، وينزع وهو مذمومُ العقل والفعل . يا قومنا لا تُطمِعوا[3] عدوّكم فى أهل بلادكم ، فإنكم خيارٌ كلكم ، ومتى ما يُصِبْكم عدوّكم يعلموا أنكم أعلامُ مصركم ، فيُطمعهم ذلك فيمن وراءكم

(١) فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب . والكمتة في الخيل : لون بين السواد والحمرة . والمرابيع من الخيل : المجتمعة الخلق . والمتأكل : الهائج .
(٢) ف : « وأقرأهم » .
(٣) ف وابن الأثير : « لا تطيعوا » .

يا قومنا ، ﴿ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾[1] ، يا قوم ، إن أيدينا وأيديكم اليوم واحدة ، وإن عدوّنا وعدوّكم واحد ، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدوّنا ، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا ؛ يا قومنا لا تستغشّوا نصحى ، ولا تخالفوا أمرى ، وأقبلوا حين يُقرأ عليكم كتابى ، أقبل الله بكم إلى طاعته ، وأدبر بكم عن معصيته ، والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على ابن صرد وأصحابه قال للناس : ماترون ؟ قالوا : ماذا ترى ؟ قد أبينا هذا عليكم وعليهم ، ونحن فى مصرنا وأهلنا ، فالآن خرجنا ووطّنّا[2] أنفسنا على الجهاد ، ودنونا من أرض عدوّنا ! ماهذا برأى . ثمّ نادوه أن أخبرنا برأيك ، قال : رأيى والله أنكم لم تكونوا قطّ أقرب من إحدى الحسنيين منكم يومكم هذا ؛ الشهادة والفتح ، ولا أرى أن تنصرفوا عما جمعكم الله عليه من الحقّ ، وأردتم به من الفضل ؛ إنا وهؤلاء مختلفون ؛ إنّ هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير ، ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالا ، وإنا إن نحن ظهرنا رددنا هذا الأمرَ إلى أهله ، وإن أصبنا فعلى نيّاتنا ، تائبين من ذنوبنا ، إنّ لنا شكلا ، وإن لابن الزبير شكلا ؛ إنا وإيّاهم كما قال أخو بنى كنانة :

٢/٥٥٠

أَرى لكِ شَكْلا غيرَ شَكْلِي فَأَقْصِرِى عَنِ اللَّوْمِ إِذْ بُدِّلتِ وَاختلفَ الشكلُ

قال : فانصرف الناس معه حتى نزل هيتَ ، فكتب سليمان :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير عبد الله بن يزيد ، من سليمان بن صُرَد ومن معه من المؤمنين ، سلامٌ عليك ، أما بعد ، فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا ما نويتَ ، فنعم والله الوالى ، ونعم الأمير ، ونعم أخو العشيرة ، أنت والله من نأمنه بالغيب ، ونستنصحه فى المشورة ، ونحمده على كلّ حال ؛ إنا سمعنا الله عزّ وجلّ يقول فى كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ - إلى قوله : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3]. إن القوم قد استبشروا ببيعتهم

---

(١) سورة الكهف : ٢٠ . (٢) ابن الأثير : « ووطأنا » .

(٣) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ .

التى بايعوا، إنهم قد تابوا من عظيم جُرْمهم ، وقد توجّهوا إلى الله ، وتوكّلوا عليه ٢/٥٥١ ورَضُوا بما قضى الله، ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (١)، والسلام عليك .

فلما أتاه هذا الكتاب قال : استماتَ القومُ ، أوّل خبر يأتيكم عنهم قتْلُهم ، وايم الله لَيقتلُنّ كراماً مسلمين ،ولا والذى هو ربّهم لا يقتلهم عدوّهم حتى تشتدّ شوكتُهم ، وتكثرَ القتلى فيما بينهم .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، وعبد الرحمن بن جندب ، عن عبد الرحمن بن غزّية ، قالا : خرجْنا من هيتَ حتى انتهينا إلى قَرقيسيا ، فلما دنونا منها وقف سليمان بن صرد فعبّانا تعبيةً حسنة حتى مررنا بجانب قرقيسيا ، فنزلْنا قريباً منها ، وبها زُفَر بن الحارث الكلابىّ قد تحصّن بها من القوم ، ولم يخرج إليهم ، فبعث سليمان المسيّب بن نَجَبة ، فقال : ائت ابنَ عمك هذا فقل له : فليخرج إلينا سوقاً ، فإنا لسنا إياه نريد ، إنما صَمْدُنا لهؤلاء المُحلّين . فخرج المسيّب بن نَجَبة حتى انتهى إلى باب قرقيسيا ، فقال : افتحوا ، ممن تحصّنون ؟ فقالوا : مَن أنت ؟ قال : أنا المسيّب بن نَجَبة ، فأتى الهذيلُ بن زفر أباه فقال : هذا رجلٌ حسنُ الهيئة ، يستأذن عليك ، وسألناه من هو ؟ فقال : المسيّب بن نجبة — قال : وأنا إذ ذاك لا علمَ لى بالناس ، ولا أعلم أىّ الناس هو — فقال لى أبى : أمَا تدرى أى بُنىّ مَن هذا ؟ هذا فارسُ مُضَر الحمراء كلها ، وإذا عُدّ من أشرافها عشرة كان أحدَهم ، وهو بعدُ رجلٌ ناسكٌ له دين ، ائذَن له . ٢/٥٥٢ فأذنتُ له ، فأجلسَه أبى إلى جانبه ، وساءلَه وألطفه فى المسألة ، فقال المسيّب ابن نَجَبة : ممن تتحصّن ؟ إنا والله ما إياكم نريد ، وما اعترينا إلى شىء إلا أن تُعينَنا على هؤلاء القوم الظَّلَمة المُحلِّين ، فاخرج لنا سوقاً ، فإنا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم . فقال له زُفَر بن الحارث : إنا لم نُغلق أبوابَ هذه المدينة إلا لنعلم إيانا اعتريتم أم غيرَنا ! إنّا والله ما بنا عجزٌ عن الناس ما لم تدهَمْنا حيلة ، وما نحبّ أنا بُلينا بقتالكم ؛ وقد بلغَنا عنكم

---

(١) سورة الممتحنة : ٤

صلاح ، وسيرةٌ حسنة جميلة .

ثم دعا ابنه فأمره أن يضع لهم سوقًا ، وأمر للمسيّب بألف درهم وفرس ، فقال له المسيّب : أما المال فلا حاجةَ لى فيه ، والله ما له خرجْنا ، ولا إياه طلبْنا ، وأما الفرس فإنى أقبله لعلى أحتاج إليه إنْ ظَلَعَ فرسى ، أو غَمَزَ تحتى . فخرج به حتى أتى أصحابَه وأخرجتْ لهم السوقُ ، فتسوّقوا ، وبعث زُفَر بن الحارث إلى المسيّب بن نَجَبَة بعد إخراج الأسواق والأعلاف والطعام الكثير بعشرين جَزورًا ، وبعث إلى سليمان بن صُرَد مِثلَ ذلك ، وقد كان زُفَر أمر ابنه أن يسأل عن وجوه أهلِ العسكر ، فسُمِّىَ له عبد الله بن سعد بن نُفَيل وعبد الله بن والٍ ورفاعة بن شدّاد ، وسُمّى له أمراء الأرباع . فبعث إلى هؤلاء الرءوس الثلاثة بعشر جزائر عشر جزائر ، وعلف كثير وطعام ، وأخرج للعسكر عِيرًا عظيمةً وشعيراً كثيراً ، فقال غلمان زُفَر : هذه عِير فاجتَزِروا منها ما أحببتم ، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم ، وهذا دقيق فتزوّدوا منه ماأطقتم ، فظلّ القومُ يومَهم ذلك مُخصِبين لم يَحتاجوا إلى شراء شىء من هذه الأسواق التى وضعت ، وقد كُفُوا اللحم والدقيق والشعيرَ إلا أن يشترىَ الرجلُ ثوبًا أو سوطًا . ثمّ ارتحلوا من الغد ، وبعث إليهم زُفَر : إنى خارج إليكم فمشيّعكم ؛ فأتاهم وقد خرجوا على تعبيةٍ حسنة ، فسايرَهم ، فقال زفر لسليمان : إنه قد بعث خمسة أمراء قد فصلوا من الرّقّة فيهم الحصين بن نمير السَّكُونىّ ، وشُرَحْبِيل بن ذى كَلاع ، وأدهم بن مُحرِز الباهلىّ وأبومالك بن أدهم ، وربيعة بن المخارق الغَنَوىّ ، وجَبَلة بن عبد الله الخثعمىّ ؛ وقد جاءوكم فى مثل الشوك والشجر ، أتاكم عدد كثير ، وحدٌّ حديد ، وايم الله لقلّ ما رأيتُ رجالاً هم أحسن هيئةً ولا عُدّةً ، ولا أخلق لكلّ خير من رجال أراهم معك ؛ ولكنه قد بلغنى أنه قد أقبلتْ إليكم عدّة لا تحصى ؛ فقال ابن صُرَد : على الله توكّلنا ، وعليه فليتوكّل المتوكّلون ، ثم قال زفر : فهل لكم فى أمر أعرِضه عليكم ؛ لعلّ الله أن يَجعَل لنا ولكم فيه خيرًا ؟ إن شئتم فتحْنا لكم مدينتنا فدخلتموها فكان أمرُنا واحداً وأيدينا واحدةً ، وإن شئتم نزلتم على باب مدينتنا ، وخرجنا فعسكرْنا إلى جانبكم ؛ فإذا جاءنا هذا العدوّ

٥٥٣/٢

قاتلْناهم جميعًا . فقال سليمان لزفَر : قد أرادنا أهلُ مصرنا على مثل ما ٢/٥٥٤
أردتنا عليه ، وذكروا مثلَ الذى ذكرت ، وكتبوا إلينا به بعد ما فصَلْنا ، فلم يوافقنا
ذلك ، فلسنا فاعلين ؛ فقال زفر : فانظروا ما أشير به عليكم فاقبَلوه ، وخذوا
به ، فإنِّى للقوم عدوّ ، وأحبُّ أن يجعل الله عليهم الدائرةَ ، وأنا لكم وادٌّ ،
أحبّ أن يحوطكم الله بالعافية ؛ إنّ القوم قد فصلوا من الرّقّة ، فبادِروهم إلى
عين الوَرْدَة ، فاجعلوا[1] المدينةَ فى ظهوركم ، ويكون الرّستاق والماء والمادّ
فى أيديكم ، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون ، والله لو أن خيولى
كرجالى لأمددتُكم ، اطوُوا المنازلَ الساعة إلى عين الوردة ؛ فإنّ القوم يسيرون
سيرَ العساكر ، وأنتم على خيول ، والله لقلّ ما رأيتُ جماعةَ خيل قطّ أكرمَ
منها ؛ تأهّبوا لها من يومكم هذا فإنى أرجو أن تسبقوهم إليها ، وإن بدرتموهم إلى
عين الوردة فلا تقاتلوهم فى فضاء ترامونهم وتُطاعنونهم ، فإنهم أكثر منكم
فلا آمن أن يحيطوا بكم ، فلا تقفوا لهم ترامونهم وتُطاعنُونهم ، فإنه ليس لكم
مثل عددهم ، فإن آستهدفتم لهم لم يُلبثوكم أن يَصرَعوكم ، ولا تصفّوا لهم حين
تلقونهم ، فإنى لا أرى معكم رجّالةً ، ولا أراكم كلكم إلا فرسانًا ، والقومُ
لاقُوكم بالرجال والفُرسان ؛ فالفُرسان تحمى رجالها ، والرجال تَحمى فرسانها ،
وأنتم ليس لكم رجال تَحمى فرسانكم ، فالقوهم فى الكتائب والمقانب ، ثمّ
بثّوها ما بين[2] ميمنتهم وميسرتهم ، واجعلوا مع كلّ كتيبة كتيبةً إلى جانبها
فإن حُمل على إحدى الكتيبتَيْن ترجّلَتِ الأخرى فنفّستْ عنها الخيلُ ٢/٥٥٥
والرجال ، ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت ، ومتى ما شاءت كتيبة انحطّت ،
ولو كنتم فى صفّ واحد[3] فزحفتْ إليكم الرجال فدفعتم عن الصفّ انتقض
وكانت الهزيمة ؛ ثم وقف فودّعهم ، وسأل الله أن يصحبهم وينصرَهم . فأثنَى
الناسُ عليه ، ودَعَوا له ، فقال له سليمان بن صرد : نعم المَنْزول به أنت !
أكرمت النزول ، وأحسنتَ الضيافةَ ، ونصحتَ فى المَشورة . ثمّ إنّ القوم
جدّوا فى المسير ، فجعلوا يجعلون كلّ مرحلتين مرحلة ؛ قال : فمررنا بالمدن حتى

(١) ف : « واجعلوا » . (٢) ابن الأثير : « فيما بين » .
(٣) ف وابن الأثير : « صفا واحداً » .

بلغنا ساعا . ثمّ إنّ سليمان بن صُرَد عبّى الكتائبَ كما أمره زُفَر ، ثمّ أقبل حتى انتهى إلى عين الوردة فنزل في غربيّها ، وسبق القومَ إليها ، فعسكروا ، وأقام بها خمساً لا يبرح ، واستراحوا واطمأنّوا ، وأراحوا خيلَهم .

قال هشام : قال أبو مخنف ، عن عطيّة بن الحارث ، عن عبد الله بن غَزِيّة ، قال : أقبل أهل الشأم في عساكرهم حتى كانوا من عَيْن الوَرْدة على مسيرة يوم وليلة ، قال عبد الله بن غزيّة : فقام فينا سليمان فحمِد الله فأطالَ ، وأثنى عليه فأطنب ، ثم ذكر السماء والأرضَ ، والجبالَ والبحارَ وما فيهنّ من الآيات ، وذكر آلاءَ الله ونعمَه ، وذكر الدنيا فزهّد فيها ، وذكر الآخرة فرغّب فيها ، فذكر من هذا ما لم أحصه ، ولم أقدر على حفظه ، ثم قال : أما بعد ، فقد أتاكم اللهُ بعدوّكم الذى دأبتم في المسير إليه [1] آناء الليل والنهار ، تريدون فيما تظهرون التوبة النّصُوح ، ولقاءَ الله مُعذِرين ، فقد جاءوكم بل جئتموهم أنتم في دارهم وحيّزِهم ، فإذا لقيتموهم فاصدُقوهم ، واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا يولّينّهم امرؤٌ دُبره إلاّ متحرّفاً لقتال أو متحيّزاً إلى فئة . لا تقتلوا مدبراً ، ولا تُجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم ، إلا أن يقاتلكم بعد أن تأسروه [2] ، أو يكون من قَتَلة إخواننا بالطفّ رحمة الله عليهم ؛ فإنّ هذه كانت سيرة أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب في أهل هذه الدعوة . ثم قال سليمان : إن أنا قُتلتُ فأميرُ الناس المسيّب بن نَجَبة فإن أصيبَ المسيّب فأميرُ الناس عبدُ الله بن سعد بن نفيل ، فإن قُتل عبد الله ابن سعد فأميرُ الناس عبدُ الله بن وال ، فإن قُتل عبد الله بن وال فأميرُ الناس رِفاعة بن شدّاد ، رحم الله امرأً صَدَقَ ما عاهَدَ الله عليه ! ثمّ بعث المسيّب ابن نَجَبة في أربعمائة فارس ، ثم قال : سرْ حتى تلقى أوّل عسكر من عساكرهم فشُنّ فيهم الغارة ، فإذا رأيت ما تحبّه وإلاّ انصرفتَ إلىّ في أصحابك ؛ وإيّاك أن تنزل أو تَدَع أحداً من أصحابك أن ينزل ، أو يستقبل آخر ذلك ، حتى لا تجدَ منه بدّاً .

٢/٥٥٦

---

(١) ف وابن الأثير : « إليه في السير » .

(٢) ف : « تأسروهم » .

قال أبو مخنف : فحدثني أبي عن حُميد بن مسلم أنه قال : أشهد أني في خيل المسيَّب بن نَجَبة تلك، إذ أقبلْنا نسير آخرَ يومنا كلّه وليلتنا ، حتى إذا كان في آخر السَّحَر نزلْنا فعلّقنا على دوابنا مَخاليَها ، ثمّ هوّمْنا تهويمةً بمقدار تكون مقدار قَضْمِها ثم ركبناها ، حتى إذا انبلج لنا الصبح نزلْنا فصلّينا ، ثمّ رَكب فركبنا . فبعث أبا الجُوَيْرية العبديّ بن الأحمر في مائة من أصحابه ، وعبد الله بن عوف بن الأحمر في مائة وعشرين ، وحنش بن ربيعة أبا المعتمر الكنانيّ في مثلها ، وبقيَ هو في مائة ؛ ثم قال : انظُروا أوّل من تلقَون فأتُوني به ؛ فكان أوّلَ من لقينا أعرابيّ يطرُد أحمِرةً وهو يقول : ٥٥٧/٢

يا مالِ لا تَعجلْ إلى صحْبِي وَاسرحْ فإنّك آمِنُ السِّرْبِ

قال : يقول عبد الله بن عوف بن الأحمر : يا حمَيْد بن مُسلم ، أبشر بُشرَى وربِّ الكعبة ، فقال له ابن عوف بن الأحمر : ممّن[1] أنت يا أعرابيّ ؟ قال : أنا من بني تغْلِب ؛ قال : غلبتم وربِّ الكعبة إن شاء الله . فانتهى إلينا المسيَّب بن نجبة ، فأخبرناه بالذى سمعْنا من الأعرابيّ وأتيناه به ، فقال المسيّب ابن نَجَبة . أما لقد سُررتُ بقولك : أبشر ، وبقولك : ياحُميد بن مسلم ، وإني لأرجو[2] أن تبشّروا بما يسرّكم ، وإنّما سرّكم أن تحمدوا أمرَكم ، وأن تَسلَموا من عدوّكم ، وإنّ هذا الفأل لهو الفأل الحسَن ، وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبُه الفأل. ثم قال المسيّب بن نجبَة للأعرابيّ : كم بيننا وبين أدنى هؤلاء القوم منّا ؟ قال : أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكرُ ابن ذى الكَلاع ، وكان بينه وبين الحصين اختلاف ، ادّعى الحصين أنه على جماعة الناس ، وقال ابن ذى الكلاع : ما كنتَ لتولّى عليّ ، وقد تكاتبا إلى عبيد الله بن زياد ، فهما ينتظران أمره ، فهذا عسكر ابن ذى الكلاع منكم على رأس ميل ؛ قال : فتركْنا الرجل ، فخرجنا نحوَهم مُسرعين ، فوالله ما شعروا حتى أشرفْنا عليهم وهم غارّون ، فحملْنا في جانب عسكرهم[3] فوالله ما قاتلوا كثيرَ قتال حتى انهزموا ، فأصبنا منهم رجالًا ، وجرَحْنا فيهم ٥٥٨/٢

(١) ف : « فمن » . (٢) ف : « أرجو » .
(٣) ف : « عسكره » .

فأكثَرْنا الجراح ، وأصبنا لهم دوابّ ، وخرجوا عن عسكرهم وخلّوه لنا ، فأخذنا منه ماخفّ علينا ، فصاح المسيّب فينا : الرجعة ، إنكم قد نُصِرتم ، وغَنِمتم وسَلِمتم ، فانصرِفوا ، فانصرَفْنا حتى أتينا سليمان .

قال : فأتى الخبرُ عبيدَ الله بن زياد ، فسرّح إلينا الحُصَين بن نمير مسرعًا حتى نزل فى اثنى عشر ألفًا ، فخرجْنا إليهم يومَ الأربعاء لثمان بقِين من جُمادَى الأولى ؛ فجعل سليمانُ بن صُرَد عبد الله بن سعد بن نفيل على ميمنته ، وعلى ميسرته المسيّب بن نَجَبَة ، ووقف هو فى القلب ، وجاء حصين بن نمير وقد عبّأ لنا جُنْدَه ، فجعل على ميمنته جبلة بن عبد الله ، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغَنَوىّ ، ثم زحفوا إلينا ، فلما دَنَوْا دَعونا إلى الجماعة على عبدالملك بن مروان وإلى الدخول فى طاعته ، ودَعوْناهم إلى أن يدفعوا إلينا عُبيدَ الله بن زياد فنقتلَه ببعض من قتِل من إخواننا ، وأن يَخلَعوا عبدَ الملك بن مروان ، وإلى أن يُخْرَجَ مَن ببلادنا من آل ابن الزبير ، ثم نردّ هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا الذين آتانا الله من قِبَلهم بالنعمة والكرامة ؛ فأبى القومُ وأبينا .

٥٥٩/٢ قال حميد بن مسلم : فحملتْ ميمنتُنا على ميسرتهم وهزمتهم ، وحملتْ ميسرتنا على ميمنتهم ، وحمل سليمان فى القلب على جماعتهم ، فهزَمْناهم حتى اضطررناهم إلى عسكرهم ، فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليلُ بيننا وبينهم ، ثمّ انصرفْنا عنهم وقد حجزناهم فى عسكرهم ، فلما كان الغد صبّحهم ابن ذى الكَلاع فى ثمانية آلاف ، أمدّهم بهم عبيد الله ابن زياد ، وبعث إليه يشتمه ، ويقع فيه ، ويقول : إنما عملتَ عمَل الأغمار ، تُضيع عسكرك ومسالحكَ ! سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيَه وهو على الناس ، فجاءَه ، فغدَوا علينا وغادَيناهم ، فقاتلناهم قتالًا لم يرَ الشِّيبُ والمُرْدُ مثلَه قطّ يومَنا كلَّه ، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسَيْنا فتحاجزنا ، وقد والله أكثروا فينا الجراحَ ، وأفشيناها فيهم ؛

قال : وكان فينا قُصّاصٌ ثلاثة : رفاعة بن شدّاد البَجَلىّ ، وصُحَير بن حذيفة بن هلال بن مالك المرّىّ ، وأبو الجُوَيْرِية العبدىّ ، فكان رفاعة يقصّ ويُحَضّض الناس فى الميمنة ، لا يبرَحُها ، وجُرِح أبو الجويرية اليوم الثانى فى أوّل النهار ، فلزم الرّحال ، وكان صُحَير ليلتَه كلها يدور

فينا ويقول : أبشروا عبادَ الله بكرامة الله ورضوانه ، فحقّ والله لمَنْ ليس بينه وبين لقاء الأحبّة ودخولِ الجنة والراحة من إبرام الدنيا وأذاها إلا فراقُ هذه النفس الأمّارة بالسوء أن يكون بفراقها سَخِيًّا ، وبلقاء ربه مسروراً . فمكثْنا كذلك حتى أصبحنا ، وأصبح ابن نمير وأدهم بن محرز الباهلىّ فى نحو من عشرة آلاف ، فخرجوا إلينا ، فاقتتلنا اليومَ الثالثَ يومَ الجمعة قتالاً شديدًا إلى ارتفاع الضّحى . ثمّ إنّ أهل الشأم كَثّرونا وتعطّفوا علينا ٢/٥٦٠ من كلّ جانب ، ورأى سليمانُ بنُ صُرَد ما لقى أصحابُه ، فنزل فنادى : عبادَ الله ، منْ أراد البُكورَ إلى ربّه ، والتوبة من ذنبه ، والوفاء بعهده ، فإلىّ ؛ ثم كسر جفنَ سيفه ، ونزل معه ناسٌ كثير ، فكسروا جفونَ سيوفهم ، ومشَوْا معه ، وانزوت خيلُهم حتى اختلطت مع الرّجال ، فقاتلوهم حتى نزلت الرجال تشتدّ مُصلتةً بالسيوف ، وقد كسروا الجفون ، فحمل الفرسانُ على الخيل ولا يثبتون ، فقاتلوهم وقتلوا من أهل الشأم مقتلةً عظيمة ، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح . فلما رأى الحصين بن نمير صَبْرَ القوم وبأسَهم ، بعث الرجالَ ترميهم بالنّبل ، واكتنفتْهم الخيل والرجال ، فقُتِل سليمان بن صُرَد رحمه الله ، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوقع ، ثمّ وثب ثم وقع ؛ قال : فلما قتل سليمان بن صُرَد أخذ الراية المسيّب بن نَجَبة ، وقال لسليمان بن صُرَد : رحمك الله يا أخى ! فقد صدقت ووفَيت بما عليك ، وبقى ما علينا ، ثمّ أخذ الراية فشدّ بها ، فقاتل ساعةً ثمّ رجع ، ثم شدّ بها فقاتل ثمّ رجع ، ففعل ذلك مراراً يشدّ ثم يرجع ، ثمّ قُتل رحمه الله .

قال أبو مخنف : وحدّثنا فروة بن لقيط ، عن مولًى للمسيّب بن نجَبَة الفزارىّ ، قال : لقيته بالمدائن وهو مع شبيب بن يزيد الخارجىّ ، فجرى الحديثُ حتى ذكرْنا أهلَ عين الوردة .

قال هشام عن أبى مخنف ؛ قال : حدّثنا هذا الشيخ ، عن المسيّب بن نَجَبة ، قال : والله ما رأيت أشجعَ منه إنسانًا قطّ ، ولا من العصابة التى كان فيهم ، ولقد رأيتُه يومَ عين الوردة يقاتل قتالًا شديداً ، ما ظننتُ أنّ ٢/٥٦١

رجلاً واحداً يقدر أن يُبلى مثلَ ما أبلى ، ولا ينكأ فى عدوّه[1] مثلَ ما نكأ ، لقد قتل رجالا ؛ قال : وسمعتُه يقول قبل أن يُقتَل وهو يقاتلهم[2] :

قد علمتْ مَيالةُ الذوائبِ واضِحة اللَّبّاتِ والتّرائبِ

أنّى غَدَاةَ الرَّوْعِ والتَّغالُبِ أَشْجَعُ مِنْ ذِى لِبَدٍ مُوَاثِبِ

* قَطَّاعُ أقرانٍ مَخُوفُ الجانِبِ *

قال أبو مخنف : حدّثنى أبى وخالى ، عن حُميد بن مسلم وعبد الله بن غزّية . قال أبو مخنف : وحدثنى يوسف بنُ يزيدَ ، عن عبد الله بن عوف ، قال : لما قتل المسيّب بن نَجَبة أخذ الراية عبدُ الله بن سعد بن نُفيل ، ثم قال رحمه الله : أخَوىَّ منهمْ منْ قَضَى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلاً . وأقبل بمن كان معه من الأزْد ، فحفّوا برايته ، فوالله إنا لكذلك إذ جاءنا فرسان ثلاثة : عبد الله بن الخضِل الطائىّ ، وكثير بن عمرو المُزَنىّ ، وسعر بن أبى سعر الحنَفىّ ، كانوا خرجوا مع سعد بن حذيفة بن اليمان فى سبعين ومائة من أهل المدائن ، فسرّحهم يومَ خرج فى آثارنا على خيول متلمّة مقدّحة ، فقال لهم : اطوُوا المنازلَ حتى تلحقوا بإخواننا فتبشّروهم[3] بخروجنا إليهم لتشتدّ بذلك ظهورُهم ، وتخبروهم بمجىء أهل البصرة أيضاً . كان المثنى بن مخرّبة العبدىّ أقبل فى ثلثمائة من أهل البصرة . فجاء حتى

٥٦٢/٢ نزل مدينة بَهُرَسير بعد خروج سعد بن حُذَيفة من المدائن لخمس ليال ، وكان خروجه من البصرة قبل ذلك قد بلغ سعدَ بنَ حذيفة قبل أن يخرج من المدائن . فلما انتهوا إلينا قالوا : أبشروا فقد جاءكم إخوانكم من أهل المدائن وأهل البصرة ؛ فقال عبد الله بن سعد بن نُفَيل : ذلك لو جاءونا ونحن أحياء ؛ قال : فنظروا إلينا ، فلما رأوا مصارعَ إخوانهم وما بنا من الجراح ، بكى القومُ وقالوا : وقد بلغ منكم ما نَرَى ! إنّا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فنظروا والله

---

(١) ف : « العدو » . (٢) ف : « يقاتل » .
(٣) ف : « فبشروهم » .

إلى ما ساء أعينَهم ؛ فقال لهم عبد الله بن نُفَيل : إنا لهذا خرجْنا ، ثمّ اقتتلنا فما اضطربنا إلا ساعةً حتى قتل المزنىّ ، وطعن الحنفىّ فوقع بين القتلى ، ثم ارتُثّ بعد ذلك فنجا ، وطعن الطائىّ فجزم أنفه ، فقاتل قتالا شديداً ، وكان فارسًا شاعراً ، فأخذ يقول :

قد علِمتْ ذاتُ القَوام الرُّودِ أنْ لَسْتُ بالوانى ولا الرِّعديدِ

* يوماً ولا بالفَرِقِ الحَيُودِ *

قال : فحمل علينا ربيعةُ بن المخارق حملةً منكرة ، فاقتتلنا قتالاً شديداً . ثمّ إنه اختلف هو وعبد الله بن سعد بن نفيل ضربتين ، فلم يصنع سيفاهما شيئًا ، واعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض ، ثمّ قاما فاضطربا ، ويحمل ابن أخى ربيعة بن المخارق على عبد الله بن سعد ، فطعنه فى ثُغْرة نحره ، فقتله ، ويحمل عبد الله بن عوف بن الأحمر على ربيعة بن المخارق ، فطعنه فصرّعه . فلم يُصِب مَقتلا ؛ فقام فكرّ عليه الثانية ، فطعنه أصحابُ ربيعة فصرّعوه ؛ ثمّ إنّ أصحابَه استنقذوه . وقال خالد بن سعد بن نفيل : أرُونى ٥٦٣/٢ قاتلَ أخى ، فأرَيناه ابن أخى ربيعةَ بن المخارق ، فحمل عليه فقنَّعه بالسيف واعتنقه الآخَر فخرّ إلى الأرض ، فحمل أصحابه وحملْنا ، وكانوا أكثر منّا فاستنقذوا صاحبَهم ، وقتلوا صاحبَنا ، وبقيت الرّاية ليس عندها أحدٌ . قال : فنادينا عبد الله بن والٍ بعد قتلهم فرسانَنا ، فإذا هو قد استلحم فى عصابة معه إلى جانبنا ، فحمل عليه رفاعة بن شدّاد ، فكشفَهم عنه ، ثمّ أقبل إلى رايته وقد أمسكها عبد الله بن خازم الكثيرىّ ، فقال لابن وال : أمسك عنى رايتك ؛ قال : امسكْها عنّى رحمك الله ، فإنّى بى مثلُ حالك فقال له : أمسك عنى رايتك ، فإنّى أريد أن أجاهد ؛ قال : فإنّ هذا الذى أنت فيه جهاد وأجر ؛ قال : فصحْنا : يا أبا عزّة ، أطع أميرَك يرحَمْكَ الله ! قال : فأمسكها قليلا ، ثمّ إنّ ابن والٍ أخذها منه .

قال أبو مخنف : قال أبو الصلت التيمىّ الأعور : حدّثنى شيخ للحىّ

كان معه يومئذ ، قال : قال لنا ابن وال : مَنْ أراد الحياة التي ليس بعدها موتٌ ، والراحة التي ليس بعدها نَصَبٌ ، والسرورَ الذي ليس بعده حزَنٌ ، فليتقرّب إلى ربّه بجهاد هؤلاء المحلّين ، والرواحِ إلى الجنة رحمكم الله ! وذلك عند العصر ؛ فشدّ عليهم ، وشددْنا معه ، فأصبنا والله منهم رجالًا ، وكشفناهم طويلًا ، ثمّ إنهم بعد ذلك تعطّفوا علينا من كلّ جانب ، فحازونا حتى بلغوا بنا المكان الذي كنا فيه ، وكنا بمكان لا يقدرون أن يأتونا فيه إلّا من وجه واحد ، ووليَ قتالَنا عند المساء أدهم بن مُحرِز الباهليّ ، فشدّ علينا في خيله ورجاله ، فقتل عبد الله بن وال التيميّ . ٢/٥٦٤

قال أبو مخنف ، عن فروة بن لقيط ، قال : سمعت أدهمَ بن مُحرز الباهليّ في إمارة الحجّاج بن يوسفَ وهو يحدّث ناسًا من أهل الشأم ، قال : دفعت إلى أحد أمراءِ العراق ؛ رجل منهم يقولون له عبد الله بن وال وهو يقول : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ . . .[1]﴾ ، الآيات الثلاث ، قال : فغاظني ، فقلت في نفسي : هؤلاء يَعدّوننا بمنزلة أهل الشرك ، يَرَوْن أنّ من قتلْنا منهم كان شهيداً . فحملتُ عليه أضرب يده اليسرى فأطننْتها ، وتنحّيت قريبًا ، فقلت له : أما إني أراك وَدِدْتَ أنك في أهلك ، فقال : بئسما رأيت ! أما والله ما أحبّ أنها يدك الآن إلّا أن يكون لي فيها من الأجر مثل ما في يدي ؛ قال : فقلت له : لمَ ؟ قال : لكيما يجعل الله عليك وِزْرَها ، ويُعظم لي أجرها ؛ قال : فغاظني فجمعتُ خيلي ورجالي ؛ ثمّ حملنا عليه وعلى أصحابه ، فدفعتُ إليه فطعنتُه فقتلتُه ، وإنه لمقبل إليّ ما يزول ؛ فزعموا بعدُ أنه كان من فقهاء أهل العراق الذين كانوا يُكثرون الصوم والصلاة ويُفتُون الناس .

قال أبو مخنف : وحدّثني الثقة ، عن حميد بن مسلم وعبد الله بن غزيّة

(١) سورة آل عمران:١٦٩ — ١٧٠ .

قال : لما هلك عبد الله بن والٍ نظرنا ، فإذا عبد الله بن خازم قتيل إلى جنبه ، ونحن نرى أنه رفاعة بن شدّاد البَجَلى ، فقال له رجل من بنى كنانة يقال له الوليد بن غضين : أمسك رايتَك ؛ قال : لا أريدها ؛ فقلت له : إنا لله ! ما لَكَ ! فقال : ارجعوا بنا لعلّ الله يَجْمَعنا ليوم شرّ لهم ، فوثب عبد الله بن عوف بن الأحمر إليه ، فقال : أهلكْتَنا ، والله لئن انصرفت ليركبُنّ أكتافنا فلا نبلغ فرسخاً حتى نَهلِك من عند آخرنا ؛ فإن نجا منا ناجٍ أخذه الأعراب وأهلُ القرى ، فتقرّبوا إليهم به فيُقتَل صبراً ، أنشدك الله أن تفعل ، هذه الشمس قد طفلتْ للمغيب ، وهذا الليلُ قد غشِيَنا ، فنقاتلهم على خيلنا هذه فإنا الآن ممتنعون ، فإذا غَسَق الليل ركبنا خيولَنا أوّل الليل فرمينا بها ، فكان ذلك الشأن حتى نُصبح ونسير ونحن على مَهَل ، فيحمل الرجل منا جريحَه وينتظر صاحبَه ، وتسير العَشَرة والعشرون معاً ، ويعرف الناس الوجهَ الذى يأخذون ، فيتبع فيه بعضهم بعضاً ؛ ولو كان الذى ذكرت لم تقف أمٌّ على ولدها ، ولم يعرف رجل وجهَه ، ولا أين يَسقُط ، ولا أين يَذهَب ! ولم نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور . فقال له رفاعة بن شدّاد : فإنك نعمَ ما رأيت ؛ قال : ثمّ أقبل رفاعة على الكنانىّ فقال له : أتمسكها أم آخذُها منك ؟ فقال له الكنانىّ : إنى لا أريد ما تريد ، إنى أريد لقاء ربّى ، واللّحاق بإخوانى ، والخروجَ من الدنيا إلى الآخرة ، وأنت تريد ورقَ الدنيا ، وتَهوَى البقاء ، وتكره فراقَ الدنيا ؛ أما والله إنى لأحبُّ لك أن ترشد ، ثمّ دفع إليه الراية ، وذهب ليستقدم . فقال له ابن أحمر : قاتلْ معنا ساعةً رحمك الله ولا تُلق بيدك إلى التّهلُكة ، فما زال به يناشده حتى احتبس عليه ، وأخذ أهلُ الشأم يتنادَوْن : إنّ الله قد أهلكهم ؛ فأقدِموا عليهم فافرُغوا منهم قبل الليل . فأخذوا يقدمون عليهم ، فيقدمون على شوكة شديدة ؛ ويقاتلون فُرساناً شجعاناً ليس فيهم سَقَط رجل ، وليسوا لهم بمضجرين فيتمكنوا منهم ؛ فقاتلوهم حتى العشاء قتالاً شديداً ، وقتِل الكنانىّ قبل المساء ، وخرج عبد الله بن عزيز الكندىّ ومعه ابنه محمد غلام صغير ، فقال : يا أهل الشأم ، هل فيكم أحدٌ من كندة ؟ فخرج إليه منهم رجال . فقالوا : نَعَم ، نحن هؤلاء .

٥٦٥/٢

٥٦٦/٢

فقال لهم : دونكم أخوكم فابعثوا به إلى قومكم بالكوفة ، فأنا عبد الله بن عزيز الكندىّ ، فقالوا له : أنت ابنُ عمّنا ، فإنك آمن ؛ فقال لهم : والله لا أرغب عن مصارع إخوانى الذين كانوا للبلاد نوراً، وللأرض أوتاداً ، وبمثلهم كان الله يُذكَر ؛ قال : فأخذ ابنُه يبكى فى أثر أبيه ، فقال : يابنىّ ، لو أن شيئاً كان آثرَ عندى من طاعة ربّى إذاً لكنتَ أنتَ، وناشدَه قومه الشأميون لما رأوا من جزع ابنه وبكائه فى أثره ، وأرُوا الشأميون له ولابنه رقّة شديدة حتّى جزعوا وبكَوا ، ثم اعتزل الجانب الذى خرج إليه منه قومه ، فشدّ على صفّهم عند المساء ، فقاتَل حتّى قُتل .

قال أبو مخنف : حدّثنى فضيل بن خديج ، قال : حدّثنى مسلم بن زَحْر الخَوْلانىّ ، أنّ كريب بن زيد الحميرىّ مشى إليهم عند المساء ومعه راية بلقاء فى جماعة ، قلّما تنقُص من مائة رجل إنْ نقصت ، وقد كانوا تحدّثوا بما يريد رفاعة أن يصنع إذا أمسى ، فقام لهم الحميرىّ وجمع إليه رجالا من حمير وهَمْدان ، فقال : عباد الله ! رُوحوا إلى ربّكم ، والله ما فى شىء من الدنيا خَلَف من رضاء الله والتوبة إليه ، إنه قد بلغنى أنّ طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم ، وإن هم ركَنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم ، فأمّا أنا فوالله لا أولّى هذا العدوّ ظهرى حتّى أرِدَ موارد إخوانى ؛ ٥٦٧/٢ فأجابوه وقالوا : رأينا مثل رأيك . ومضى برايته حتّى دنا من القوم ، فقال ابن ذى الكلاع : والله إنى لأرى هذه الراية حِمْيَريّة أو هَمْدانيّة . فدنا منهم فسألهم ، فأخبروه ، فقال لهم : إنكم آمنون . فقال له صاحبهم : إنا قد كنا آمنين فى الدنيا ، وإنما خرجنا نطلب أمانَ الآخرة ؛ فقاتلوا القوم حتّى قُتلوا ، ومشى صُخير بن حذيفة بن هلال بن مالك المُزَنىّ فى ثلاثين من مُزَينة . فقال لهم : لا تهابوا الموت فى الله ، فإنه لاقيكم ، ولا ترجعوا إلى الدّنيا التى خرجتم منها إلى الله فإنها لا تبقَى لكم ، ولا تزهَدوا فيما رغبتم فيه من ثواب الله فإنّ ما عند الله خيرٌ لكم ؛ ثمّ مضَوا فقاتَلوا حتّى قُتلوا ، فلما أمسى الناسُ ورجع أهلُ الشأم إلى معسكرهم ، نظر رفاعة إلى كلّ رجل قد عُقر به ، وإلى

كل جريح لا يُعينُ على نفسه ، فدفعه إلى قومه ، ثمّ سار بالناس ليلتَه كلَّها حتى أصبح بالتُّنَيْنير فعبَر الخابُور ، وقطع المعابر ، ثمّ مضى لا يمرّ بمعبر ٥٦٨/٢ إلا قطعه ، وأصبح الحصين بن نمير فبعث فوجدهم قد ذهبوا ، فلم يبعث فى آثارهم أحداً ، وسار بالناس فأسرعَ ، وخلَّف رفاعة وراءهم أبا الجُوَيْرِية العبدىّ فى سبعين فارساً يَستُرون الناس ؛ فإذا مرّوا برجل قد سقط حمله ، أو بمتاع [1] قد سقط قبَضَه حتى يعرفه ، فإن طُلب أو ابتُغيَ بعث إليه فأعلمه ، فلم يزالوا كذلك حتى مرّوا بقَرْقِيسيا من جانب البرّ ، فبعث إليهم زُفَر من الطعام والعلَف مثل ما كان بعث إليهم فى المرة الأولى ، وأرسل إليهم الأطباء وقال : أقيموا عندنا ما أحببتم ، فإنّ لكم الكرامة والمواساة ؛ فأقاموا ثلاثاً ، ثمّ زوّد كلّ امرئ منهم ما أحبّ من الطعام والعلَف ؛ قال : وجاء سعد بن حُذَيفة بن اليمان حتى انتهى إلى هيتَ ، فاستقبله الأعراب فأخبَروه بما لقيَ الناس ، فانصرف ، فتلقى المثنى بن مخرّبة العبدىّ بصندوداء ، فأخبره ، فأقاموا حتى جاءهم الخبر : إنّ رفاعة قد أظلّكم ، فخرجوا حين دنا من القرية ، فاستقبلوه فسلم الناس بعضُهم على بعض ، وبكى بعضُهم إلى بعض ، وتناعَوْا إخوانَهم فأقاموا بها يوماً وليلة ؛ فانصرف أهل المدائن إلى المدائن ، وأهل البصرة إلى البصرة ، وأقبل أهلُ الكوفة إلى الكوفة ، فإذا المختار محبوس .

قال هشام : قال أبو مخْنف ، عن عبد الرّحمن بن يزيد بن جابر ، عن أدهم بن مُحرز الباهلىّ ، أنه أتى عبدَ الملك بن مروان ببشارة الفتح ، قال : فصَعد المنبر ، فحَمِد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أما بعد ، فإنّ الله قد أهلك من رءوس أهل العراق مُلقح فتنة ، ورأسَ ضلالة ، سليمان بن صُرَد ، ألا وإنّ ٥٦٩/٢ السيوف تركتْ رأس المسيّب بن نجبَة خَذاريف ، ألا وقد قتل اللهُ من رءوسهم رأسَين عظيمين ضالّين مضلّين : عبد الله بن سعد أخا الأزد ، وعبد الله بن وال أخا بكر بن وائل ، فلم يَبقَ بعد هؤلاء أحدٌ عندَه دفاع ولا امتناع .

قال هشام ، عن أبي مخنف : وحُدّثت أن المختار مكث نحواً من خمس

(١) ف : « متاع » .

عشرة ليلةً ، ثمّ قال لأصحابه : عدّوا لغازيكم هذا أكثرَ من عشر ، ودون الشهر ، ثمّ يجيئكم نبأ هِتْر ، من طعن نَتْر ، وضرب هبر ، وقتل جمّ ، وأمر رَجم . فمَنْ لها ؟ أنا لَها ، لا تُكْذَبُنّ ، أنا لَها .

قال أبو مخنف : حدّثنا الحصين بن يزيد ، عن أبان بن الوليد ، قال : كتب المختار وهو فى السجن إلى رفاعةَ بنَ شدّاد حين قَدِم من عين الوردة : أما بعد ، فرحبًا بالعَصَب الذين أعظَم الله لهم الأجر حينَ انصرفوا ، ورضىَ انصرافَهم حين قَفَلوا . أمَا وربّ البنيّة التى بَنَى ماخطا خاط منكم خُطوةً ، ولا رَتَا رتْوة[1] ، إلا كان ثوابُ الله له أعظمَ من مُلْك الدنيا . إنّ سليمان قد قضى ما عليه ، وتوفّاه الله فجعل روحَه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين ، ولم يكن بصاحبكم الذى به تُنْصَرون ، إنى أنا الأمير المأمور ، والأمين المأمون ، وأمير الجيش ، وقاتل الجبّارين ، والمنتقم من أعداء الدّين ، والمقيد من الأوتار ، فأعدّوا واستعدّوا ، وأبشِروا واستبشروا ؛ أدعوكم إلى كتاب الله ، وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الطلب بدماء أهل البيت والدفع عن الضُّعَفاء ، وجهاد المُحلّين ؛ والسلام . ٢/٥٧٠

قال أبو مخنف : وحدّثنى أبو زهير العبسىّ ، أنّ الناس تحدّثوا بهذا مِنْ أمْر المختار ، فبلغ ذلك عبدَ الله بن يزيد وإبراهيم بن محمد ، فخرجا فى الناس حتى أتَيَا المختار ، فأخذاه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى سليمان بن أبى راشد ، عن حميد بن مسلم قال : لما تهيّأنا للانصراف قام عبد الله بن غزيّة ووقف على القتلى فقال : يرحمكم الله ، فقد صدقتم وصبَرْتم ، وكذبنا وفَرَرْنا ؛ قال : فلما سرنا وأصبحنا إذا عبد الله بن غزيّة فى نحو من عشرين قد أرادوا الرجوع إلى العدوّ والاستقتال ، فجاء رفاعة وعبد الله بن عوف بن الأحمر وجماعة الناس فقالوا لهم : نَنْشدكم الله ألّا تزيدونا فُلولا ونقصانًا ، فإنا لا نزال بخير ما كان فينا مثلكم من ذوى النيّات ، فلم يزالوا بهم كذلك يناشدونهم حتى ردّوهم غيرَ

(١) ابن الأثير : « ولا ربا ربوة » .

رجل من مزينة يقال له عُبيدة بن سُفيان، رحل مع الناس ، حتى إذا غُفِل عنه انصرف حتى لقي أهل الشأم ، فشدّ بسيفه يضاربهم حتى قُتل .

قال أبو مخنف : فحدّثني الحصين بن يزيد الأزديّ ، عن حُميد بن مسلم الأزديّ ؛ قال : كان ذلك المزنيّ صَديقًا لي ، فلما ذهب لينصرفَ ناشدتُه الله ، فقال : أما إنك لم تكن لتسألني شيئًا من الدّنيا إلا رأيتُ لك من الحقّ عليّ إيتاءَكَه ، وهذا الذى تسألني أريد اللهَ به ؛ قال : ففارقني حتى لقي القومَ فقُتل ؛ قال : فوالله ما كان شيء بأحبّ إليّ من أن ألقى إنسانًا يحدّثني عنه كيف صَنَع حين لقيَ القوم ! قال : فلقيتُ عبدَ الملك بن جزء بن الحدْرِجان الأزديّ بمكة ؛ فجرى حديثٌ بيننا ، جرى ذكرُ ذلك اليوم ، فقال : أعجب ما رأيتُ يومَ عين الوردة بعد هلاك القوم أنّ رجلا أقبلَ حتى شدّ عليّ بسيفه ، فخرجنا نحوه ، قال : فانتهى إليه وقد عقر به وهو يقول : ٥٧١/٢

إنِّى منَ اللهِ إلى اللهِ أَفِرّْ ... رِضْوَانَكَ اللَّهمّ أُبْدِى وأُسِرّْ

قال : فقلنا له : ممن أنت ؟ قال : من بنى آدم ؛ قال : فقلنا : ممن ؟ قال : لا أحبّ أن أعرِفَكم ولا أن تعرفوني يا مُخرِبي البيتَ الحرام ؛ قال : فنزل اليه سليمانُ بن عمرو بن محصن الأزديّ من بنى الخيار ؛ قال : وهو يومئذ من أشدّ الناس ؛ قال : فكلاهما أثخنَ صاحبَه ؛ قال : وشدّ الناسُ عليه من كلّ جانب ، فقتلوه ؛ قال : فوالله ما رأيتُ واحداً قطّ هو أشدّ منه ؛ قال : فلمّا ذُكر لي ، وكنتُ أحبّ أن أعلم علمه، دمعتْ عيناى ؛ فقال : أبينَك وبينه قرابة ؟ فقلت له : لا ، ذلك رجل من مضَر كان لى وُدًّا وأخًا ، فقال لي : لا أرقأ الله دمعَك ، أتبكي على رجل من مضرَ قُتل على ضلالة ! قال : قلتُ : لا ، والله ما قُتل على ضلالة ، ولكنه قتل على بيّنة من ربّه وهُدًى ؛ فقال لي : أدخلَك اللهُ مدخلَه ؛ قلتُ : آمين ، وأدخلَك الله مَدخَل حصين بن نمير ، ثمّ لا أرقأ الله لكَ عليه دمعًا ؛ ثمّ قمت وقام .

وكان مما قيل من الشعر في ذلك قولُ أعشى هَمْدانَ ، وهي إحدى المكتّمات ، كنّ يُكتّمن في ذلك الزمان :

٢/٥٧٢ أَلَمَّ خَيَالٌ مِنكِ يا أُمَّ غالبِ … فَحُيِّيتِ عنّا من حَبيبٍ مُجانِبِ[1]

ومازلتِ لى شَجْوًا ومازلتُ مُقْصَدًا[2] … لِهَمٍّ عَرَانِى من فِراقِك ناصِبِ

فما أنْسَ لاأنْسَ انْفِتَالَكِ فى الضُّحَى … إلينامع البيضِ الوِسام الخَراعِبِ[3]

تَرَاءَتْ لنا هَيْفاءَ مَهْضُومَةَ الحَشا … لطيفَةَ طىِّ الكَشْحِ رَيَّا الحَقائِبِ

مُبتَّلَةً غَرَّاءَ ، رُؤْدٌ شَبابُها … كشمسِ الضُّحَى تَنْكَلُّ بين السحائِب

فلمّا تغشَّاها السَّحابُ وحولَهُ … بَدَا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بحاجبِ

فتلك الهوى وَهْى الجَوَى لِىَ والمُنَى … فأَحْبِبْ بها من خُلَّةٍ لم تُصاقِبِ

ولا يُبْعِدِ اللهُ الشَّبابَ وذِكْرَهُ … وحُبَّ تَصابٍ فى المُعْصِرَاتِ الكَواعِبِ

ويزدادُ ما أَحببتُه من عِتَابِنَا … لُعَاباً وسُقياً للخَدِينِ المُقارِبِ

٢/٥٧٣ فإنّى[4] وإنْ لم أنسَهُنَّ لذَاكِرٌ … رَزِيئةَ مِخْبَاتٍ كريمِ المَناصِبِ[5]

توسَّلَ بالتَّقْوَى إلى اللهِ صادقاً … وتَقْوَى الإلٰهِ خيرُ تَكْسابِ كاسِبِ

وخَلَّى عن الدنيا فلم يلتبِسْ بها … وتابَ إلى اللهِ الرَّفيعِ المَرَاتِب

تخلَّى عن الدنيا وقال اطَّرَحتُها[6] … فلَستُ إليها ما حَيِيتُ بآيِبِ

وما أنا فيما يُكبِرُ الناسُ فَقْدَهُ[7] … ويسعى له الساعُونَ فيها براغِبِ

فوجَّهَهُ نحوَ الثَّوِيَّةِ سائرًا … إلى ابنِ زيادٍ فى الجموعِ الكباكِبِ[8]

بقوم هُمُ أهلُ التَّقِيَّةِ والنُّهَى … مَصَالِيتُ أنجادٌ سُرَاةٌ مَنَاجِبِ

مَضَوا تارِكى رأْىِ ابنِ طلحة حَسْبَهُ … ولم يستجيبوا للأَمير المُخاطِبِ

فساروا وهمْ من بين مُلتَمِسِ التُّقَى … وآخرَ مما جرّ بالأمسِ تائبِ

---

(١) ديوان الأعشين ٣١٥ — ٣١٧

(٢) ابن الأثير : « وما زلت فى شجو » .

(٣) ابن الأثير : « من البيض الحسان » .

(٤) ابن الأثير : « غير أنى » .

(٥) س : « المضارب » .

(٦) ابن الأثير : « اطرحتها » .

(١) ابن الأثير : « يكره الناس » .

(٨) ابن الأثير : « الكتائب » .

فلاقوا بعين الوردَةِ الجَيْشَ فاصِلاً[1] إليهمْ فَحسُّوهم ببِيضٍ قواضِبِ[2] ٢/٥٧٤

يَمانِيَةٍ تذْرِى الأَكُفَّ ، وتارةً بخيلٍ عِتاقٍ مُقْرَباتٍ سَلاهِبِ

فجاءَهُم جمعٌ من الشامِ بعده جُمُوعٌ كموج البحر من كلّ جانِبِ

فما بَرِحوا حتى أُبِيدَتْ سُراتُهم فلم ينجُ منهم ثَمَّ غيرُ عصائِبِ

وغودِرَ أهلُ الصبرِ صَرْعى فأَصبحوا تُعاوِرُهم ريحُ الصَّبَا والجنائبِ

فأَضحَى الخُزاعىُّ الرئيسُ مُجَدَّلاً[3] كأَن لم يقاتل مَرَّةً ويُحارِبِ

ورأْس بنى شَمْخٍ وفارِسُ قومِهِ شَنُوءَةَ والتّيميُّ هادِى الكتائِبِ[4]

وعمرو بنُ بِشرٍ والوليدُ وخالـدٌ وزيدُ بنُ بكرٍ والحُلَيْسُ بن غالبِ[5]

وضارِبُ من هَمدانَ كلّ مُشَيعٍ إذا شدّ لم يَنْكلْ كريمُ المكاسبِ ٢/٥٧٥

ومن كل قومٍ قد أُصِيبَ زعيمُهمْ وذو حَسَبٍ فى ذِروَةِ المجدثاقِبِ

أَبَوْا غيرَ ضربٍ يَفلِقُ الهامَ وقعُهُ وطَعْنٍ بأَطرافِ الأَسِنَّةِ صائب

وإنَّ سعيدًا يومَ يَدْمُرُ عامِرًا لأَشجَعُ من لَيثٍ بِدُرنَى مُواثِبِ

فياخيرَ جيشٍ للعراقِ وأَهلِهِ سُقِيتم رَوايا كلِّ أَسحَمَ ساكِبِ

فلا يَبْعَدنْ فُرساننا وحُماتنا إذا البِيضُ أَبدتْ عن خِدَامِ الكواعِبِ

فإن يُقتَلوا فالقتلُ أَكرمُ مِيتةٍ وكل فتًى يوماً لإِحدى الشَّواعِبِ

وما قُتِلُوا حتى أَثاروا عِصابةً مُحِلِّين ثَورًا كاللُّيُوثِ الضَّوارِبِ

وقُتِلَ سليمانُ بنُ صُرَد ومن قُتِل معه بعَين الوردة من التوّابين فى شهر ربيع الآخر . ٢/٥٧٦

---

(١) ابن الأثير : « ناصلا » . (٢) حسوهم : « قتلوهم » .

(٣) ابن الأثير : « وأضحى » ، وفيه أن الخزاعى الذي في الشعر هو سليمان بن صرد الخزاعى .

(٤) ابن الأثير : « رأس بنى شمخ » هو المسيب بن نجبة الفزارى ، وفارس شنوءة هو عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى ، والتيمى هو عبد الله بن وال التيمى من تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة ابن صعب بن على بن بكر بن وائل » .

(٥) ابن الأثير : «الوليد هو ابن عصير الكناني ، وخالد هو ابن سعد بن نفيل ، أخو عبد الله» .

[ذكر الخبر عن بيعة عبد الملك وعبد العزيز ابني مروان]

وفي هذه السنة أمر مروان بن الحكم أهلَ الشأم بالبيعة من بعده لابنيه عبد الملك وعبد العزيز ، وجعلهما وليّ العهد .

* ذكر الخبر عن سبب عقد مروان ذلك لها :

قال هشام ، عن عوانة قال : لما هزم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق مصعبَ بن الزبير حين وجّهه أخوه عبدُ الله إلى فلسطين وانصرف راجعًا إلى مروان ، ومروانُ يومئذ بدمشق ، قد غلب على الشأم كلّها ومصر ، وبلغ مروان أنّ عمراً يقول : إنّ هذا الأمر لي من بعد مروان ، ويدّعي أنه قد كان وعده وعداً ، فدعا مروانُ حسّان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لعبد الملك وعبد العزيز ابنيه من بعده ، وأخبره بما بلغه عن عمرو بن سعيد ، فقال : أنا أكفيك عمرًا ، فلما اجتمع الناس عند مروان عشيًّا قام ابن بحدل فقال : إنه قد بلغنا أنّ رجالا يتمنون أمانيّ ، قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده ؛ فقام الناس ، فبايعوا من عند آخرهم .

* * *

[ذكر الخبر عن موت مروان بن الحكم]

وفي هذه السنة مات مروانُ بنُ الحكم بدمشق مستهلّ شهر رمضان .

* ذكر الخبر عن سبب هلاكه :

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثني موسى بن يعقوب ، عن أبي الحويرث ، قال : لما حضرت معاويةَ ابن يزيد أبا ليلى الوفاة ، أبي أن يستخلف أحداً ، وكان حسان بن مالك بن بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية بن يزيد لأخيه خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان صغيراً ، وهو خال أبيه يزيد بن معاوية ، فبايع لمروان ، وهو يريد أن يجعل الأمر بعده لخالد بن يزيد ، فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشأم قيل لمروان : تزوّجْ أمّ خالد — وأمه أمّ خالد ابنة أبي هشام بن عتبة — حتى تصُ

٥٧٧/٢

شأنه ، فلا يطلب الخلافة ؛ فتزوّجها ، فدخل خالد يومًا على مروانَ وعنده جماعة كثيرة ، وهو يمشي بين الصفّين ، فقال : إنه والله ما علمتُ لأحمق ؛ تعالَ يا بن الرَّطبة الاست - يقصّر به ليُسقطه من أعين أهل الشأم - فرجع إلى أمه فأخبرَها ، فقالت له أمّه : لا يعرفنّ ذلك منك ، واسكت فإني أكفيكه ؛ فدخل عليها مروان ، فقال لها : هل قال لكِ خالد فيّ شيئًا ؟ فقالت : وخالد يقول فيك شيئًا ! خالد أشدّ لك إعظامًا من أن يقول فيك شيئًا ؛ فصدّقها ، ثمّ مكثت أيامًا ، ثمّ إنّ مروانَ نام عندها ، فغطّته بالوسادة حتى قتلته .

قال أبو جعفر : وكان هلاك مروانَ في شهر رمضانَ بدمشق ، وهو ابن ثلاث وستين سنة في قول الواقديّ ؛ وأمّا هشام بن محمد الكلبي فإنه قال : كان يومَ هلَك ابنَ إحدى وستين سنة ؛ وقيل : تُوفّي وهو ابن إحدى وسبعين سنة ؛ وقيل : ابن إحدى وثمانين سنة ؛ وكان يُكنَى أبا عبد الملك ، وهو مروان بن الحكَم بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس ، وأمّه آمنة بنت علقمة ابن صَفْوان بن أميّة الكنانيّ ، وعاش بعد أن بويع له بالخلافة تسعة أشهر ؛ وقيل : عاش بعد أن بويع له بالخلافة عشرة أشهر إلاّ ثلاث ليال ، وكان قبل هلاكه قد بعث بعثَيْن : أحدهما إلى المدينة ، عليهم حُبَيش بن دُلجة القَيْنيّ ، والآخر منهما إلى العراق ، عليهم عُبيد الله بنُ زياد ، فأما عبيد الله ابن زياد فسار حتى نزل الجزيرة ، فأتاه الخبر بها بمَوْت مروان ، وخرج إليه التوّابون من أهل الكوفة طالبين بدَم الحسين ، فكان من أمرهم ما قد مضى ذكرُه ، وسنذكر إن شاء الله باقيَ خبره إلى أن قُتل . ٥٧٨/٢

* * *

[ذكر خبر مقتل حبيش بن دلجة]

وفي هذه السنة قتل حُبيش بن دُلْجة . وأما حبيش بن دُلْجة ؛ فإنه سار حتى انتهى - فيما ذُكر عن هشام ، عن عوانة بن الحكَم - إلى المدينة ، وعليهم جابر ابن الأسود بن عوف ، ابن أخي عبد الرّحمن بن عوف ؛ من قِبَل عبد الله بن

الزبير ، فهرب جابر من حُبيش . ثمّ إنّ الحارث بن أبي ربيعة — وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة — وجّه جيشًا من البصرة ، وكان عبد الله بن الزبير قد ولّاه البصرة ، عليهم الُحنيف بن السجْف التميميّ لحرب حبيش ابن دُلْجة ، فلما سمع حبيش بن دُلْجة سار اليهم من المدينة ، وسرّح عبدالله ابن الزبير عبّاس[1] بن سهل بن سعد الأنصاريّ على المدينة ، وأمره أن يسيرَ في طلب حبيش بن دُلْجة حتى يوافيَ الجند من أهل البصرة الذين جاءوا ينصرُون ابنَ الزبير ، عليهم الحنيف . وأقبل عبّاس في آثارهم مُسرعًا حتى لحقهم بالرَّبَذَة ، وقد قال أصحاب ابن دلجة له : دَعْهم ، لا تعجلْ إلى قتالهم ؛ فقال : لا أنزل حتى آكلَ من سُقَنْدهم - يعني السَّويق الذي فيه القَنْد — فجاءه سهمٌ غَرْب فقتله ، وقتل معه المنذر بن قيس الجذاميّ ، وأبو عتّاب مولَى أبي سُفْيان ، وكان معه يومئذ يوسفُ بن الحكم ، والحجاج بن يوسف ، وما نَجَوا يومئذ إلا على جَمل واحد ، وتحرّز منهم نحوٌ من خمسمائة في عمود المدينة ، فقال لهم عباس : انزِلوا على حُكْمي ، فنزلوا على حُكْمه فضرب أعناقَهم ، ورجع فلّ حُبَيْش إلى الشأم .

حدّثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد أنه قال : الذي قتل حبيش ابن دُلْجة يوم الرَّبَذَة يزيد بن سِياه الأسواريّ ، رماه بنُشّابة فقتله ، فلما دخلوا المدينة وقف يزيد بن سياه على بِرْذَون أشهبَ وعليه ثيابٌ بياض ، فما لبث أن اسودّت ثيابُه ، ورأيتُه ممّا مسح الناسُ به وممّا صبّوا عليه من الطِّيب .

[ذكر خبر حدوث الطاعون الجارف]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وقع بالبصرة الطاعونُ الذي يقال له الطاعون الجارف . فهلك به خلقٌ كثير من أهل البَصْرة .

حدّثني عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدّثني زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بنُ جرير ، قال : حدّثني أبي ، عن المصعب بن زيد أن الجارفَ وقع وعبيد الله بن

(١) ط : « عياش » . وانظر الفهرس .

عبيد الله بن مَعمَر على البصرة ، فماتت أمه فى الجارف ، فما وجدوا لها من يَحمِلها حتى استأجروا لها أربعة عُلُوج فحملوها إلى حُفْرتها وهو الأمير يومئذ .

[مقتل نافع بن الأزرق واشتداد أمر الخوارج]

وفى هذه السنة اشتدّت شوكة الخَوارج بالبصرة، وقتل فيها نافعُ بنُ الأزرق .

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنا زهير بن حرب ، قال : حدّثنا وهب بن جرير ، قال : حدّثنا أبى ، عن محمد بن الزبير ، أنّ عبيد الله بن عبيد الله بن مَعمَر بعث أخاه عثمان بن عبيد الله إلى نافع بن الأزرق فى جيش ، فلقيهم بدولاب ، فقُتِل عثمان وهُزِمَ جيشُه .

قال عمر : قال زهير : قال وهب : وحدّثنا محمد بن أبى عيينة ، عن سبْرة بن نخْف ، أنّ ابن معمر عبيد الله بعث أخاه عثمان إلى ابن الأزرق ، فهُزِم جندُه وقُتِل ؛ قال وهب : فحدّثنا أبى أنّ أهل البَصْرة بعثوا جيشاً عليهم حارثةُ بن بدر ، فلقيهم ، فقال لأصحابه :

كَرْنِبُوا وَدَوْلِبُوا وحيثُ شئتم فاْذهَبُوا

حدّثنا عمر، قال : حدّثنا زهير، قال : حدّثنا وهب، قال : حدّثنا أبى ومحمد بن أبى عيينة، قالا : حدثنا معاوية بن قرّة ، قال : خرجنا مع ابن عُبيس فلقيناهم ، فقتل ابن الأزرق وابنان أو ثلاثة للماحُوز، وقُتِل ابن عُبيس .

٥٨١/٢

قال أبو جعفر : وأمّا هشام بن محمد فإنه ذكر عن أبى مخنف ، عن أبى الخارق الراسبىّ من قصّة ابن الأزرق ، وبنى الماحوزُ قصّةً هى غيرُ ما ذكره عمر ، عن زهير بن حرب ، عن وهب بن جرير ؛ والذى ذكر من خبرهم أنّ نافع بن الأزرق اشتدّت شوكته باشتغال أهل البصرة بالاختلاف الذى كان بين الأزْد وربيعة وتميم بسبب مسعود بن عمرو ، وكثرت جموعُه ، فأقبل نحوَ البصرة حتى دنا من الجسْر ، فبعث إليه عبدُالله بن الحارث مُسْلِمَ ابن عبيس بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف فى أهل

البصرة ، فخرج إليه ، فأخذ يحُوزه عن البصرة ، ويدفعه عن أرضها ، حتى بلغ مكانًا من أرض الأهواز يقال له : دُولاب ، فتهيأ الناس بعضُهم لبعض وتزاحفوا ، فجعل مسلم بن عبيس على ميمنته الحجّاج بن باب الحِميَرىّ ، وعلى ميسرته حارثة بن بدر التميمىّ ، ثم الغُدانىّ ، وجعل ابنُ الأزرق على ميمنته عَبيدة بن هلال اليَشكرىّ ، وعلى ميسرته الزبير بن الماحوز التميمىّ ؛ ثمّ التقَوا فاضطربوا ، فاقتتل الناس قتالا لم يُر قتال قطّ أشدّ منه ، فقتل مسلم ابن عُبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق رأس الجوارج ، وأمّر أهل البصرة عليهم الحجّاج بن باب الحميرىّ ، وأمّرت الأزارقةُ عليهم عبدَالله ابن الماحوز ، ثمّ عادوا فاقتتلوا أشدّ قتال ، فقتل الحجّاج بن باب الحميرىّ أمير أهل البصرة ، وقتل عبد الله بن الماحوز أمير الأزارقة . ثمّ إنّ أهل البصرة ٥٨٢/٢ أمّروا عليهم ربيعة الأجذم التميمىّ ، وأمّرت الخوارجُ عليهم عُبيدَالله بن الماحوز ، ثمّ عادوا فاقتتلوا حتى أمسَوا ، وقد كَرِه بعضُهم بعضًا ، وملّوا القتال ، فإنهم لمُتواقفون[1] متحاجزون حتى جاءت الخوارج سريّة لهم جامّة لم تكن شهدت القتالَ ، فحملتْ على الناس من قِبَل عبد القيس ، فانهزم الناس ، وقاتل أمير البصرة ربيعةُ الأجذم[2] ، فقتل ، وأخذ راية أهل البصرة حارثةُ بن بدر ، فقاتل ساعةً وقد ذهب الناس عنه ، فقاتل من وراء الناس فى حماتهم ، وأهل الصبر منهم ، ثمّ أقبل بالناس حتى نزل بهم منزلا بالأهواز ففى ذلك يقول الشاعر من الخوارج :

يا كَبِدًا من غيرِ جُوعٍ ولا ظَمَإٍ ... ويا كَبِدى من حُبِّ أمِّ حَكيمِ[3]

ولو شَهِدَتنى يوم دُولابَ أَبْصرتْ ... طِعَانَ آمرئٍ فى الحرب غيرِ لئيمِ[4]

---

(١) ف : « لكذلك متوافقون » . (٢) الكامل : « الربيع بن عمرو الأجذم الغدانى ».

(٣) الكامل ٦١٨ ، ٦١٩ طبع أوربا ؛ بزيادة فى الأبيات : ونسبها إلى قطرى بن الفجاءة . وأم حكيم : امرأة من الخوارج كانت معه ؛ وكانت تحمل على الناس وترتجز :

أَحْمِلُ رأساً قد سَئمتُ حمْلَهْ ... وقد مللتُ دَهْنَه وغسْلَهْ

* ألا فتًى يحمل عَنِّى ثِقْلَهْ *

(٤) الكامل : « فتى فى الحرب غير ذميم » .

غَدَاةَ طَفَتْ فى الماءِ بكْرِ بنُ وائلٍ وعُجْنَا صُدُورَ الخيل نحوَ تميمِ(١)
وكان لعبدِ القيْسِ أوّلُ حَدّنا وذَلّتْ شُيُوخُ الأزْدِ وَهْيَ تَعُومُ(٢)

وبلغ ذلك أهل البصرة ، فهالَهم وأفزعَهم ، وبعث ابنُ الزبير الحارثَ ابن عبد الله بن أبى ربيعة القرشىّ على تلك الحَرّة ، فقدم ، وعزل عبد الله ابن الحارث ، فأقبلتْ الخوارجُ نحوَ البصرة ، وقدِم المهلّب بن أبى صُفْرة على تلك(٣) من حال الناس(٤) من قبَل عبد الله بن الزّبير ، معه عهدُه على خراسان ، فقال الأحنف للحارث بن أبى ربيعة وللناس عامّة : لاوالله ، ما لهذا الأمر إلاّ المهلّبُ [بن أبى صُفْرة](٥) ، فخرج أشرافُ الناس ، فكلّموه أن يتولّى قتالَ الخوارج ، فقال : لا أفعل ، هذا عهدُ أميرِ المؤمنين معى على خُراسان ، فلم أكن لأدَعَ عهدَه وأمره ، فدعاه ابن أبى ربيعة فكلّمه فى ذلك ، فقال له مثل ذلك ، فاتفق رأىُ ابن أبىُ ربيعة ورأىُ أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير : ٥٨٣/٢

بسم الله الرّحمن الرحيم . من عبد الله بن الزُّبير إلى المهلب بن أبى صُفرة ، سلامٌ عليك ، فإنى أحمد إليك اللهَ الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنّ الحارث بن عبد الله كتب إلىّ أنّ الأزارقة المارقة أصابوا جُنْداً

---

(١) رواية الكامل : « عَلْماء » .
(٢) رواية الكامل :

غَدَاةَ طفَتْ عَلْمَاءِ بَكْرُ بن وائلٍ وعُجْنَا صُدُور الخيْلِ نَحْوَ تَميم
وكان لعبد القيس أوّل جَدّها وأحلافِهَا من يَحْصُبٍ وسَليمِ
وَظَلّتْ شيوخُ الأزدِ فى حَوْمةِ الوَغَى تَعومُ وظِلْنَا فى الجلادِ نَعومُ
فلمْ أرَ يوماً كانَ أكْثرَ مُقْعَصاً يمجُّ دماً من فائظٍ وكليمِ
وضاربة خداً كريماً على فتىً أغرَّ نَجيبِ الأمهاتِ كريمِ
أصيبَ بدولابٍ ولم تك موطناً له أرضُ دولابٍ وديرِ حميمِ
فلوْ شهدتنا يومَ ذاك وخيلُنَا تبيحُ من الكفّار كُلَّ حريمِ
رأتْ فتيةً باعُوا الإلَه نفوسَهُمْ بجنّاتِ عدن عنده ونَعيمِ

(٣) ف : « ذلك » . (٤) ف : « المسلمين » . (٥) من ف .

للمسلمين كان عددُهم كثيراً ، وأشرافهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البَصرة ، وقد كنتُ وجّهتُك إلى خُراسانَ ، وكتبت لك عليها عهداً ، وقد رأيتُ حيث ذكر هذه الخوارج أن تكون أنتَ تلى قتالَهم ، فقد رجوتُ أن يكون ميمونًا طائرُك ، مباركًا على أهل مِصرك ، والأجر فى ذلك أفضل من المسير إلى خُراسان ، فسرْ إليهم راشداً ، فقاتلْ عدوّ الله وعدوّك ، ودافع عن حقك وحقوقِ أهل مصرك ، فإنه لن يفوتَك من سلطاننا خُراسانُ ولا غيرُ خراسانَ إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

٥٨٤/٢

فأتىَ[1] بذلك الكتاب ، فلما قرأه قال : فإنى والله لا أسير إليهم إلا أن تجعلوا لى ما غلبتُ عليه ، وتُعطونى من بيت المال ما أقوّى به مَن معى ، وأنتخب من فُرسان الناس ووجوههم وذَوِى الشرف مَن أحببت ؛ فقال جميعُ أهل البصرة : ذلك لك ؛ قال : فاكتبوا لى على الأخماس بذلك كتابًا ففعلوا ، إلا ما كان من مالك بن مِسْمَع وطائفة من بكر بن وائل ، فاضطغنَها عليهم المهلّب ، وقال الأحنف وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان وأشراف أهل البصرة للمهلّب : وما عليك ألّا يَكتُب لك مالك بن مسمع ولا من تابعه من أصحابه ، إذا أعطاكَ الذى أردتَ من ذلك جميع أهل البصرة ! ويستطيع مالك خلاف جماعة الناس أوله ذلك ! انكمشْ أيها الرجل ، واعزمْ على أمرك ، وسرْ إلى عدوّك ؛ ففعل ذلك المهلب ، وأمّر على الأخماس ، فأمّر عبيد الله بن زياد بن ظَبيانَ على خمس بكر بن وائل ، وأمّر الحَريش ابن هلال السعدىّ على خمس بنى تميم ، وجاءت الخوارج حتى انتهت إلى الجسْر الأصغر ، عليهم عبيد الله بن الماحوز ، فخرج إليهم فى أشراف الناس وفُرسانهم ووجوههم ، فحازهم[2] عن الجسر ، ودفعهم عنه . فكان أوّل شىء دفعهم عنه أهل البصرة ، ولم يكن بقى لهم إلا أن يدخلوا ؛ فارتفعوا إلى الجسر الأكبر . ثمّ إنه عبّأ لهم ، فسار إليهم فى الخيل والرّجال ، فلما أن رأوا أن قد أظلّ عليهم ، وانتهى إليهم ، ارتفعوا فوق ذلك مَرحلة أخرى ، فلم يزل يحوزهم ويرفعهم مَرحلةً بعد مرحلة ، ومنزلة بعد منزلة ، حتى انتهَوا إلى منزل

٥٨٥/٢

---

(١) ف : « وأتى » . (٢) ف : « فحازبهم » .

من منازل الأهواز يقال له سَلّى وسَلّبْرَى ، فأقاموا به ؛ ولما بلغ حارثة بن بدر الغُدانى أن المهلب قد أمِّر على قتال الأزارقة ، قال لمن معه من الناس :

كَرْنِبوا وَدْوِلبوا وحيثُ شئتمْ فاذهبُوا

* قد أُمِّرَ المهلَّبُ *

فأقبل من كان معه نحو البصرة ، فصرفهم الحارثُ بن عبد الله بن أبى ربيعة إلى المهلب ؛ ولما نزل المهلب بالقوم خَنْدَقَ عليه ، ووضع المسالحَ ، وأذكى العيون ، وأقامَ الأحراس ، ولم يزل الجندُ على مصافِّهم ، والناس على راياتهم وأخماسهم ، وأبواب الخنادق عليها رجال موكَّلون بها ، فكانت الخوارج إذا أرادو ابيَاتَ المهلَّب وجدوا أمراً مُحْكَماً ، فرجعوا ، فلم يقاتلْهم إنسانٌ قطّ كان أشدّ عليهم ولا أغيَظَ لقلوبهم منه .

قال أبو مخنف : فحدّثنى يوسف بن يزيد ، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر ، أن رجلاً كان فى تلك الخوارج حدّثه أنّ الخوارج بعثتْ عَبيدةَ ابن هلال والزبير بن الماحوز فى خيلين عظيمين ليلا إلى عسكر المهلب ، فجاء الزبير من جانبه الأيمن ، وجاء عَبيدة من جانبه الأيسر ، ثمّ كبّروا وصاحوا بالناس ، فوجَدوهم على تعبيتهم ومصافِّهم حَذِرين مُغِذّين ، فلم يصيبوا للقوم غِرّةً ، ولم يَظفَروا منهم بشىء ، فلما ذهبوا ليرجعوا ناداهم عبيدُ الله ابن زياد بن ظَبْيانَ فقال : ٥٨٦/٢

وَجَدتمُونا وُقُرًا أَنْجَادَا لا كُشُفاً خُورًا ولا أَوْغَادَا (١)

هيهات ! إنّا إذا صِيحَ بنا أتيْنا ، يا أهل النار ، ألَا ابكروا إليها غداً ، فإنها مأواكم ومثواكم ؛ قالوا : يافاسق ، وهل تُدّخر النارُ إلا لك ولأشباهك ! إنّها أعِدّتْ للكافرينَ وأنت منهم ؛ قال : أتسمعون ! كلُّ مملوك لى حرّ

(١) الكامل ٦٦٩ (طبع أوربا) ؛ ونسبه إلى الحريش بن هلال ؛ وذكر معه بيتاً آخر بهذه الرواية :

لقدْ وَجَدْتُمْ وُقُرًا أَنجادا لا كُشُفاً مِيلاً ولا أوغادَا

هيهاتَ لا تُلْفُوننا رُقَّادَا لا بلْ إذا صِيحَ بنا آسادا

إنْ دخلتم أنتم الجنة إن بقيَ فيما بين سَفَوان إلى أقصى حجر من أرض خُراسانَ مجوسيٌّ ينكح أمّه وابنته وأختَه إلا دخلها ؛ قال له عَبيدة : اسكت يا فاسق فإنما أنت عبد للجبّار العنيد ، ووزيرٌ للظالم الكفور ؛ قال : يا فاسق ، وأنت عدوّ المؤمن التقيّ ، ووزير الشيطان الرّجيم ؛ فقال الناس لابن ظَبيان : وفّقك الله يابن ظبيان ؛ فقد والله أجبتَ الفاسق بجوابه ، وصدّقته . فلما أصبح الناس أخرجَهُم المهلّب على تعبيتهم وأخماسهم ، ومواقفهم الأزدُ ،وتميم ميمنة الناس ، وبكر بن وائل وعبد القيس ميسرة الناس ، وأهل العالية في القَلْب وسط الناس .

وخرجت الخوارجُ على ميمنتهم عَبيدة بن هلال اليشكريّ ، وعلى ميسرتهم الزّبير بن الماحوز ، وجاءوا وهم أحسن عُدّة ، وأكرم خيولا ، وأكثر سلاحًا من أهل البصرة ؛ وذلك لأنهم مَخَروا الأرض وجرّدوها ، وأكلوا ما بين كَرْمان إلى الأهواز ، فجاءوا عليهم مَغافرُ تضرب إلى صدورهم ، وعليهم دروعٌ يَسحَبونها ، وسوق من زَرَد يشدّونها بكلاليب الحديد إلى مناطقهم ، فالتقى الناسُ فاقتتلوا كأشدّ القتال ، فصبر بعضُهم عامّة النهار . ثمّ إنّ الخوارج شدّت على الناس بأجمعها شدّةً منكرة ، فأجفل الناسُ وانصاعوا منهزمين لا تلوى أمٌّ على ولد[1] حتى بلغ البصرة هزيمةُ الناس ، وخافوا السِّباءَ ، وأسرع المهلّب حتى سبقهم إلى مكان يَفاع في جانب عن سَنن المنهزمين . ٥٨٧/٢

ثمّ إنه نادى الناسَ : إليّ إليّ عبادَ الله ، فثاب إليه جماعةٌ من قومه ، وثابت إليه سَرِيّة عُمَان فاجتمع إليه منهم نحوٌ من ثلاثة آلاف ، فلما نظر إلى مَنْ قد اجتمع رضي جماعتهم ؛ فحَمِد الله وأثنى عليه ثمّ قال : أما بعد ، فإنّ الله ربّما يَكِلُ الجمعَ الكثيرَ إلى أنفسهم فيُهزَمون ، ويُنزل النصرَ على الجمع اليسير فيَظهرون ، ولَعَمري ما بكم الآن من قلّة ، إني لجماعتكم لَراضٍ ؛ وإنكم لأنتم أهل الصبر ، وفُرسان أهل المِصْر ، وما أحبُّ أنّ أحداً ممن انهزم معكم ، فإنهم لو كانوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا . عزمت على كلّ امرئٍ منكم لَما أخذ عشرة أحجار معه . ثم امشوا بنا نحو

(١) ف : « أم ولد على ولدها » .

عسكرهم ، فإنهم الآن آمنون ، وقد خرجتْ خيلُهم فى طلب إخوانكم ، فوالله إنّى لأرجو ألّا ترجع إليهم خيلُهم حتى تستبيحوا عسكَرهم ، وتقتلوا أميرهم . ففعلوا ، ثمّ أقبل بهم راجعًا ، فلا والله ما شعرت الخوارج إلا بالمهلّب يضاربهم بالمسلمين فى جانب عسكرهم . ثم استقبلوا عبيد الله بن الماحوز وأصحابه ، وعليهم الدّروع والسلاح كاملا ، فأخذ الرجل من أصحاب المهلّب يستقبل الرجلَ منهم ، فيستعرض وجهه بالحجارة فيرميه حتى يُشْخنَه ، ثم يطعنه بعد ذلك برمحه ، أو يضربه بسيفه ، فلم[1] يقاتلْهم إلا ساعة حتى قُتل عبيد الله ابن الماحوز ، وضرب الله وجوهَ أصحابه ؛ وأخذ المهلّب عسكر القوم وما فيه ، وقتل الأزارقة قتلاً ذريعًا ، وأقبل مَنْ كان فى طلب أهل البصرة منهم راجعًا ؛ وقد وضع لهم المهلّب[2] خيلًا ورجالًا فى الطريق تختطفهم وتقتلهم ، فانكفئوا راجعين مفلولين ، مقتولين محروبين[3] ، مغلوبين ؛ فارتفعوا إلى كَرْمان وجانب أصفهان ، وأقام المهلّب بالأهواز ، ففى ذلك اليوم يقول الصَّلَتانُ العَبْدىّ : ٥٨٨/٢

بِسِلّى وسِلَّبْرَى مَصارعُ فتْيَةٍ ... كرامٍ وقَتْلَى لم تُوَسَّدْ خدودُها[4]

وانصرفت الخوارج حين انصرفت ؛ وإنّ أصحاب النيران الخمس والست ليجتمعون على النار الواحدة من الفلول وقلّة العدد ، حتى جاءتهم مادّةٌ لهم من قبَل البحرين ، فخرجوا نحو كرْمان وأصبهان ؛ فأقام المهلب بالأهواز فلم يزل ذلك مكانه حتى جاء مُصعب البصرةَ ، وعزل الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة عنها .

ولما ظهر المهلّب على الأزارقة كتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . للأمير الحارث بن عبد الله ، من المهلّب بن أبى صُفرة . سلام عليك ؛ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ؛ أما بعد فالحمد لله الذى نَصر أميرَ المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نقمته ، وقتلهم كلّ قتلة ، وشرّدهم كلّ مشرّد. أخبر الأمير أصلحه الله أنّا لقينا الأزارقة ٥٨٩/٢

---

(١) ف : « ولم » . (٢) ف : « المهلب لهم » . (٣) ف : « محزونين » .
(٤) الكامل ٦٣٨ ، وروايته : « كرام وجرحى » .

بأرض من أرض الأهواز يقال لها سِلّى وسِلَّبْرى ؛ فزحفنا إليهم ثم ناهضناهم ، فاقتتلنا كأشد القتال مليًّا من النهار . ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض ، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم ؛ وكانت فى المسلمين جوْلة قد كنت أشفقت أن تكون هى الأصرّى منهم . فلما رأيت ذلك عمَدت إلى مكان يَفاع فعلوته ، ثم دعوت إلىّ عشيرتى خاصّة والمسلمين عامة ، فثاب إلىّ أقوام شرَوْا أنفسَهم ابتغاءَ مرضاة الله من أهل الدّين والصبر والصدق والوفاء ؛ فقصدت بهم إلى عسكر القوم ؛ وفيه جماعتهم وحدّهم وأميرهم قد أطاف[1] به أولو فضلهم فيهم ، وذوو النيّات منهم ؛ فاقتتلْنا ساعة رمْياً بالنَّبْل ، وطعناً[2] بالرماح . ثم خلص الفريقان إلى السيوف ؛ فكان الجلاد بها ساعة من النهار مبالطةً ومبالدةً . ثمّ إن الله عزّ وجلّ أنزل نصره على المؤمنين ، وضرب وجوه الكافرين ونزل طاغيتُهم فى رجال كثير من حُماتهم وذوى نيّاتهم ، فقتلهم الله فى المعركة . ثمّ اتّبعت الخيل شرادّهم[3] فقتلوا فى الطريق والآخاذ[4] والقرىّ ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك ورحمة الله .

فلما أتى هذا الكتابُ الحارثَ بن عبد الله بن أبى ربيعة بعثَ به إلى الزّبير فقرئ على الناس بمكّة . ٢ / ٥٩٠

وكتب الحارث بن أبى ربيعة إلى المهلّب :

أما بعد ؛ فقد بلغنى كتابك ، تذكر فيه نصر الله إيّاك ، وظفَر المسلمين ، فهنيئاً لك يا أخا الأزد بشرف الدنيا وعزّها ، وثوابِ الآخرة وفضلها ، والسلام عليك ورحمة الله .

فلما قرأ المهلّب كتابه ضحك ثم قال : أما تظنّونه يعرفنى إلا بأخى الأزد ! ما أهل مكة إلا أعرابٌ .

قال أبو مخنف : فحدّثنى أبو المُخارِق الراسبىّ أن أبا علقمة اليَحْمَدِىّ قاتَلَ يوم سِلّى وسِلَّبْرى قتالا لم يقاتله أحدٌ من الناس ؛ وأنه أخذ ينادى فى

(١) ف : « أطافت » .
(٢) ف : « وانعما » .
(٣) ف : « شذاذهم » .
(٤) ف : « والأخاديد »

شَبابِ الأزْد وفتيان اليَحْمَد : أعيرونا جَماجِمَكم ساعةً من نهار ؛ فأخذ فتيانٌ منهم يكرّون، فيقاتلون ثم يرجعون إليه ؛ يضحكون ويقولون : يا أبا علقمة، القدورُ تُستعار ! فلما ظهر المهلّب ورأى من بلائه ما رأى وفّاه مائة ألف .

وقد قيل : إنّ أهلَ البصرة قد كانوا سألوا الأحنف قَبْل المهلب أن يقاتل الأزارقة، وأشار عليهم بالمهلّب، وقال : هو أقوى على حربهم منّى ، وإن المهلب إذ أجابهم إلى قتالهم شَرَط على أهل البصرة أنّ ما غلب عليه من الأرض فهو له ولمن خفّ معه من قومه وغيرهم ثلاثَ سنين، وأنه ليس لمن تخلّف عنه منه شيء . فأجابوه إلى ذلك ، وكتب بذلك عليهم كتابًا ، وأوفدوا بذلك وفداً إلى ابن الزبير .

٥٩١/٢ وإنّ ابن الزبير أمضى تلك الشروط كلَّها للمهلّب وأجازها له، وإنّ المهلب لما أجيب إلى ما سأل وجّه ابنه حبيبًا فى ستمائة فارس إلى عمرو القَنَا، وهو معسكر خلْف الجسر الأصغر فى ستمائة فارس، فأمر المهلب بعقد الجسر الأصغر ، فقطع حبيب الجسر إلى عمرو ومَن معه ؛ فقاتلهم حتى نفاهم عما بين الجسر، وانهزموا حتى صاروا من ناحية الفُرات ، وتجهّز المهلب فيمن خفّ من قومه[1] معه ، وهم اثنا عشر ألف رجل ، ومن سائر الناس سبعون رجلًا . وسار المهلب حتى نزل الجسر الأكبر ، وعمرو القنا بإزائه فى ستمائة . فبعث المغيرة بن المهلب فى الخيل والرّجالة، فهزمتهم الرّجالة بالنّبل ، واتبعتهم الخيل ، وأمر المهلب بالجسر فعُقد ، فعَبر هو وأصحابه ، فلحق عمرو القنا حينئذ بابن الماحوز وأصحابه ؛ وهو بالمَفْتَح ، فأخبروهم الخبر ، فساروا فعسكروا دون الأهواز بثمانية فراسخ ، وأقام المهلّب بقية سنته ، فجبَى كُوَر دِجْلة ، ورَزَقَ أصحابَه ، وأتاه المدَد من أهل البصرة لما بلغهم ذلك؛ فأثبتهم فى الديوان وأعطاهم حتى صاروا ثلاثين ألفًا .

قال أبو جعفر : فعلَى قول هؤلاء كانت الوقعة التى كانت فيها هزيمة الأزارقة وارتحالهم عن نواحى البصرة والأهواز إلى ناحية أصبهان وكرمان فى

---

(١) ف : « معه من قومه » .

سنة ست وستين. وقيل: إنهم ارتحلوا عن الأهواز وهم ثلاثة آلاف، وإنه قتل منهم فى الوقعة التى كانت بينهم وبين المهلّب بسلّى وسلّبرى سبعة آلاف.

* * *

٥٩٢/٢ قال أبو جعفر: وفى هذه السنة وجّه مرْوان بن الحكم قبل مهلكه ابنه محمّداً إلى الجزيرة، وذلك قبل مسيره إلى مصر.

* * *

وفى هذه السنة عزل عبد الله بن الزّبير عبدَ الله بن يزيد عن الكوفة، وولّاها عبد الله بن مطيع، ونزع عن المدينة أخاه عبيدة بن الزبير، وولّاها أخاه مُصعب بن الزبير، وكان سبب عزله أخاه عبيدة عنها أنه -فيما ذكر الواقدىّ- خطَب الناس فقال لهم: قد رأيتم ما صُنع بقوم فى ناقة قيمتها خمسمائة درهم، فسُمّىَ مقوّمَ الناقة؛ وبلغ ذلك ابن الزبير فقال: إنّ هذا لهو التكلّف.

* * *

[ذكر خبر بناء عبد الله بن الزبير البيت الحرام]

وفى هذه السنة بَنَى عبد الله بن الزبير البيتَ الحرام، فأدخل الحِجْر فيه.

أخبرنا إسحاق بن أبى إسرائيل، قال: حدّثنى عبد العزيز بن خالد بن رستم الصنعانىّ أبو محمد، قال: حدّثنى زياد بن جبيل أنه كان بمكّة يومَ غلب ابن الزبير، فسمعه يقول: إنّ أمى أسماء بنت أبى بكر حدّثتْنى أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: لولا حداثةُ عهد قومك بالكفر رددت الكعبة على أساس إبراهيم؛ فأزيد فى الكعبة من الحِجْر. فأمر به ابن الزبير فحفر، فوجدوا قِلاعاً أمثال الإبل، فحرّكوا منها صخرة، فبرقتْ بارقة فقال: أقرّوها على أساسها، فبناها ابن الزبير، وجعل لها بابين: يُدخل من أحدهما ويُخرَج من الآخَر.

* * *

٥٩٣/٢ قال أبو جعفر: وحجّ بالناس فى هذه السنة عبد الله بن الزبير، وكان على المدينة أخوه مصعب بن الزبير، وعلى الكوفة فى آخر السنة عبد الله بن مطيع، وعلى البصرة الحارث بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى؛ وهو الذى

يقال له القُباع . وعلى قضائها هشام بن هُبَيرة ، وعلى خراسان عبد الله بن خازم .

* * *

[خروج بنى تميم بخراسان على عبد الله بن خازم]

وفى هذه السنة خالف مَنْ كان بخُراسان من بنى تميم عبدَ الله بن خازم حتى وقعتْ بينهم حروب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك :

وكان السبب فى ذلك – فيما ذكر – أن مَنْ كان بخُراسان من بنى تميم أعانوا عبدَ الله بن خازم على مَنْ كان بها من ربيعة ، وعلى حَرْب أوْس بن ثعلبة حتى قَتَل من قَتَل منهم ، وظَفر به ؛ وصفا له خراسان ، فلما صفا له ولم ينازعه به أحد جَفاهم . وكان قد ضمّ هَرَاةَ إلى ابنه محمد واستعمله عليها ؛ وجعل بكير بن وِشاح على شُرْطته ، وضمّ إليه شَمّاس بن دِثار العُطارديّ ؛ وكانت أمُ ابنه محمد امرأةً من تميم تدعى صَفيَّة ، فلما جفا ابن خازم بنى تميم أتوْا ابنه محمّداً بهرَاة ؛ فكتب ابن خازم إلى بكير وشمّاس يأمرهما بمنع بنى تميم من دخول هَرَاة ؛ فأما شماس بن دثار فأبَى ذلك ، وخرج من هَرَاة ، فصار من بنى تميم ، وأما بُكير فمنعهم من الدخول . ٢/٥٩٤

فذكر عليّ بن محمد أن زهير بن الهُنَيْد حدّثه أنّ بُكير بن وِشاح لمّا منع بنى تميم من دخول هَرَاة أقاموا ببلاد هَرَاة ، وخرج إليهم شمّاس بن دِثار فأرسل بكير إلى شماس : إنى أعطيك ثلاثين ألفًا ، وأعطى كلّ رجل من بنى تميم ألفًا على أن ينصرفوا ، فأبوْا ؛ فدخلوا المدينة ، وقتلوا محمد بن عبد الله ابن خازم . قال عليّ : فأخبرنا الحسن بن رُشيد ، عن محمد بن عزيز الكنديّ قال : خرج محمد بن عبد الله بن خازم يتصيَّد بهَراة ، وقد منع بنى تميم من دخولها ، فرصدوه ، فأخذوه فشدّوه وَثاقًا ، وشربوا ليلتَهم ، وجعل كلَّما أراد رجل منهم البوْل بال عليه ، فقال لهم شمّاس بن دثار : أما إذْ بلغتم هذا منه فاقتلوه بصاحبَيْكما اللذَيْن قتلهما بالسياط . قال : وقد كان أخذ قُبَيل

ذلك رجلين من بنى تميم ، فضربهما بالسياط حتى ماتا . قال : فقتلوه ، قال : فزعم لنا عمّن شهد قتله من شيوخهم أن جَيْهان[١] بن مَشْجَعَة الضبىّ نهاهم عن قتله ، وألقى نفسه عليه ، فشكر له ابن خازم ذلك ، فلم يقتلْه فيمن قتل يوم فَرْتَنا[٢] . قال : فزعم عامر بن أبى عمر أنه سمع أشياخهم من بنى تميم يزعمون أن الذى وَلِىَ قتلَ محمد بن عبد الله بن خازم رجلان من بنى مالك بن سعد ، يقال لأحدهما : عَجَلة ، وللآخر كُسيب . فقال ابن خازم: بئس ما اكتسب كُسيبٌ لقومه ، ولقد عجّل عَجَلة لقومه شرًّا .

٥٩٥/٢

قال علىّ : وحدّثنا أبو الذّيال زهير بن هُنيد العدوىّ ، قال : لما قتَل بنو تميم محمد بنَ عبد الله بن خازم انصرفوا إلى مَرْو ، فطلبهم بُكَير بن وِشاح فأدرك رجلا من بنى عُطارد يقال له شُمَيْخ ؛ فقتله ، وأقبل شمّاس وأصحابه إلى مَرْو ، فقالوا لبنى سعد : قد أدركنا لكم بثأركم ؛ قتلنا محمد بن عبد الله ابن خازم بالجُشمىّ الذى أصيب بمَرْو ، فأجمعوا على قتال ابن خازم ، وولّوا عليهم الحرِيشَ بنَ هلال القُرَيْعىّ .

قال : فأخبرنى أبو الفوارس عن طُفيل بن مرداس ، قال : أجمع أكثر بنى تميم على قتال عبد الله بن خازم ، قال : وكان مع الحريش فرسان لم يدرك مثلهم ؛ إنما الرجل منهم كتيبة ؛ منهم شمّاس بن دِثار ، وبَحير بن ورقاء الصُّريمىّ ، وشعبة بن ظَهير النّهشَلىّ ، ووَرْد بن الفلق العنْبرىّ ، والحجّاج بن ناشب العدوىّ — وكان من أرمى الناس — وعاصم بن حبيب العدوىّ ، فقاتل الحريشُ بنُ هلال عبدَ الله بن خازم سنتين .

٥٩٦/٢

قال : فلمّا طالت الحرب والشرّ بينهم ضَجِروا ، قال : فخرج الحريش فنادى ابنَ خازم ، فخرج إليه فقال : قد طالت الحرب بيننا ؛ فعلامَ تقتل قومى وقومك ! ابرز لى ، فأيّنا قتل صاحبَه صارت الأرض له ؛ فقال ابن خازم: وأبيك لقد أنصفتنى ؛ فبرز له ، فتصاولا[٣] تصاوُلَ الفَحلَين ، لا يقدر أحدٌ

---

(١) ف : وابن الأثير : « حيان » . (٢) س : « فرنبا » .
(٣) ف : « فتصاولا وتضاربا » .

منهما على ما يريد. وتغفّل ابن خازم غفلة، وضربه[1] الحُرَيش على رأسه، فرمى بفَرْوَة رأسه على وجهه، وانقطع رِكابا الحريش، وانتزع السيف. قال: فلزم ابن خازم عُنُق فرسه راجعًا إلى أصحابه وبه ضربة قد أخذتْ من رأسه، ثم غاداهم القتال، فمكثوا بذلك بعد الضربة أيامًا؛ ثم ملّ الفريقان فتفرّقوا ثلاثَ فِرَق: فمضى بحير بن ورقاء إلى أبْرَشَهْر في جماعة، وتوجّه شمّاس بن دثار العُطارديّ ناحيةً أخرى، وقيل: أتى سِجِسْتان، وأخذ عثمان بن بشر بن المحتفز إلى فَرْتَنا، فنزل قصرًا بها، ومضى الحريش إلى ناحية مَرْوَ الرُّوذ، فاتبعه ابن خازم؛ فلحقه بقرية من قُراها يقال لها قرية الملحمة — أو قصر الملحمة — والحريش بن هلال في اثنَيْ عشر رجلا؛ وقد تفرّق عنه أصحابه؛ فهم في خَرِبة؛ وقد نصب رماحًا كانت معه وتِرَسةً.

قال: وانتهى إليه ابنُ خازم؛ فخرج إليه في أصحابه، ومع ابن خازم مولًى له شديد البأس، فحمل على الحريش فضربه فلم يصنع شيئًا، فقال رجل من بني ضبّة للحريش: أما ترى ما يصنع[2] العبد! فقال له الحريش: عليه سلاح كثير، وسيفي لا يعمل في سلاحه، ولكن انظر لي خشبةً ثقيلة؛ فقطع له عودًا ثقيلاً من عُنّاب — ويقال: أصابه في القصر — فأعطاه إيّاه؛ فحمل به على مولى ابن خازم؛ فضربه فسقط وَقِيذًا. ثم أقبل على ابن خازم؛ فقال: ما تريد إليّ وقد خلّيتك والبلاد! قال: إنك تعود إليها، قال: فإني لا أعود، فصالحه على أن يخرج له من خُراسان ولا يعود إلى قتاله، فوصله ابن خازم بأربعين ألفًا. قال: وفتح له الحريش باب القصر، فدخل ابن خازم، فوصله وضمن له قضاء دَيْنه، وتحدّثا طويلا. قال: : وطارت قُطْنة كانت على رأس ابن خازم مُلصَقة على الضربة التي كان الحريش ضربه، فقام الحريش فتناولها، فوضعها على رأسه، فقال له ابن خازم: مَسُّك اليوم يا أبا قُدامة ألينَ من مَسّك أمس، قال: معذرة إلى الله وإليك؛ أما والله لولا أن رِكابيّ انقطعا لخالط السيف أضراسك. فضحك ابن خازم، وانصرف عنه، وتفرّق

٥٩٧/٢

---

(١) ف: «فيضربه».

(٢) ف: «ما صنع».

جمع بنى تميم ، فقال بعض شعراء بنى تميم :

فلو كُنتمُ مِثلَ الحَرِيشِ صبَرْتمُ وكنتمْ بقصرِ المِلحِ خيرَ فوارسِ
إذًا لَسقَيتمْ بالعَوَالى ابنَ خازمٍ سجالَ دَمٍ يُورِثنَ طُولَ وَسَاوِسِ

قال : وكان الأشعث بن ذؤيب أخو زهير بن ذؤيب العَدَوىّ قتل فى تلك الحرب ، فقال له أخوه زهير وبه رَمَق : مَن قتَلَك ؟ قال : لا أدرى ؛ طعننى رجل على بِرْذَون أصفر ، قال : فكان زهير لا يرى أحداً على برذون أصفر إلا حمل عليه ؛ فمنهم مَن يقتله ، ومنهم من يهرب ؛ فتحامى أهل العسكر البرَاذين الصُّفْر ؛ فكانت مخلّاةً فى العسكر لا يركبها أحد . وقال الحريش فى قتاله ابنَ خازم :

٢/٥٩٨

أَزَالَ عظمَ يَمينِى عَنْ مُرَكَّبِهِ حَمْلُ الرُّدَيْنِىّ فى الإدْلاجِ والسَّحَرِ[1]
حَوْلَيْنِ ما اغْتَمضَتْ عينى بمنزلةٍ إلاَّ وكَفِّى وسادٌ لى على حَجَرِ
بَزِّى الحديدُ وسرْبالِى إذا هَجَعَتْ عَنِّى العيونُ مِحالُ القارحِ الذَّكَرِ

تم الجزء الخامس من تاريخ الطبرى
ويليه الجزء السادس ، وأوله : ذكر حوادث سنة ستّ وستين

(١) ابن الأثير : « بالسحر » .

فهرس الموضوعات

صفحة

السنة السابعة والثلاثون

* * *

السنة الثامنة والثلاثون

* * *

صفحة

السنة الثانية والأربعون

* * *

السنة الثالثة والأربعون

* * *

السنة الرابعة والأربعون

* * *

السنة الخامسة والأربعون

* * *

السنة السادسة والأربعون

* * *

صفحة

صفحة

* * *

السنة الثانية والخمسون

* * *

السنة الثالثة والخمسون

* * *

السنة الرابعة والخمسون

* * *

السنة الخامسة والخمسون

* * *

صفحة

السنة السادسة والخمسون

* * *

السنة السابعة والخمسون

* * *

السنة الثامنة والخمسون

* * *

السنة التاسعة والخمسون

* * *

صفحة

السنة الستون

* * *

السنة الحادية والستون

* * *

السنة الخامسة والستون

رقم الإيداع	١٩٧٩/٤٨٨٠
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧ - ٢٤٧ - ٨٤٥ - ٥

١/٧٩/٣٤١

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)




Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



